



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

العلماء



عيد ميلاد
عمران

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

تفسير القرآن

إلى الأذهان

إمامنا العظيم الإمام

السيد محمد باقر الشيرازي

(رحمته الله)

المجلد الخامس

المطبعة
البيروتية
للكتاب

1301

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقريب القرآن الى الازهان

كاتب:

محمد الحسينى الشيرازى

نشرت فى الطباعة:

ايمان

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

| | |
|-----|---|
| ٥ | الفهرس |
| ٩ | تقريب القرآن الى الازهان المجلد ٥ |
| ٩ | اشارة |
| ٩ | اتتمة سورة فصلت |
| ١١ | ٤٢ سورة الشورى مكية- مدنية/ آياتها (٥٤) |
| ٢٦ | ٤٣ سورة الزخرف مكية/ آياتها (٩٠) |
| ٤٢ | ٤٤ سورة الدخان مكية/ آياتها (٦٠) |
| ٤٩ | ٤٥ سورة الجاثية مكية آياتها/ (٣٨) |
| ٥٧ | ٤٦ سورة الأحقاف مكية/ آياتها (٣٦) |
| ٦٩ | ٤٧ سورة محمد مدنية/ آياتها (٣٩) |
| ٧٩ | ٤٨ سورة الفتح مدنية: آياتها (٣٠) |
| ٨٨ | ٤٩ سورة الحجرات مدنية/ آياتها (١٩) |
| ٩٥ | ٥٠ سورة (ق) مكية/ آياتها (٤٦) |
| ١٠٣ | ٥١ سورة الذاريات مكية/ آياتها (٦١) |
| ١١٠ | ٥٢ سورة الطور مكية/ آياتها (٥٠) |
| ١١٥ | ٥٣ سورة النجم مكية- مدنية/ آياتها (٦٣) |
| ١٢٣ | ٥٤ سورة القمر مكية/ آياتها (٥٦) |
| ١٢٨ | ٥٥ سورة الرحمن مكية أو مدنية/ آياتها (٧٩) |
| ١٣٥ | ٥٦ سورة الواقعة مكية/ آياتها (٩٧) |
| ١٤٣ | ٥٧ سورة الحديد مدنية/ آياتها (٣٠) |
| ١٥١ | ٥٨ سورة المجادلة مدنية/ آياتها (٢٣) |
| ١٥٩ | ٥٩ سورة الحشر مدنية/ آياتها (٢٥) |
| ١٦٧ | ٦٠ سورة الممتحنة مدنية/ آياتها (١٤) |

- ١٧٤ سورة الصف مدنية/ آياتها (١٥) ٦١
- ١٧٨ سورة الجمعة مدنية/ آياتها (١٢) ٦٢
- ١٨١ سورة المنافقون مدنية/ آياتها (١٢) ٦٣
- ١٨٥ سورة التغابن مدنية/ آياتها (١٩) ٦٤
- ١٨٩ سورة الطلاق مدنية/ آياتها (١٣) ٦٥
- ١٩٤ سورة التحريم مدنية/ آياتها (١٣) ٦٦
- ١٩٩ سورة الملك مكية/ آياتها (٣١) ٦٧
- ٢٠٤ سورة القلم مكية/ آياتها (٥٣) ٦٨
- ٢١١ سورة الحاقة مكية/ آياتها (٥٣) ٦٩
- ٢١٦ سورة المعارج مكية/ آياتها (٤٥) ٧٠
- ٢٢٠ سورة نوح مكية/ آياتها (٢٩) ٧١
- ٢٢٤ سورة الجن مكية/ آياتها (٢٩) ٧٢
- ٢٢٩ سورة المزمل مكية- مدنية/ آياتها (٢١) ٧٣
- ٢٣٢ سورة المدثر مكية/ آياتها (٥٧) ٧٤
- ٢٣٩ سورة القيامة مكية/ آياتها (٤١) ٧٥
- ٢٤٢ سورة الإنسان مدنية/ آياتها (٣٢) ٧٦
- ٢٤٧ سورة المرسلات مكية/ آياتها (٥١) ٧٧
- ٢٥١ سورة النبأ مكية/ آياتها (٤١) ٧٨
- ٢٥٦ سورة النازعات مكية/ آياتها (٤٧) ٧٩
- ٢٦٠ سورة عبس مكية/ آياتها (٤٣) ٨٠
- ٢٦٤ سورة التكوير مكية/ آياتها (٣٠) ٨١
- ٢٦٧ سورة الإنفطار مكية/ آياتها (٢٠) ٨٢
- ٢٦٨ سورة المطففين مكية- مدنية/ آياتها (٣٧) ٨٣
- ٢٧٢ سورة الانشقاق مكية/ آياتها (٢٤) ٨٤

- ٢٧٤ ٨٥ سورة البروج مكية/ آياتها (٢٣)
- ٢٧٧ ٨٦ سورة الطارق مكية/ آياتها (١٨)
- ٢٧٨ ٨٧ سورة الأعلى مكية/ آياتها (٢٠)
- ٢٨٠ ٨٨ سورة الغاشية مكية/ آياتها (٢٧)
- ٢٨٢ ٨٩ سورة الفجر مكية/ آياتها (٣١)
- ٢٨٦ ٩٠ سورة البلد مكية/ آياتها (٢١)
- ٢٨٨ ٩١ سورة الشمس مكية/ آياتها (١٦)
- ٢٩٠ ٩٢ سورة الليل مكية/ آياتها (٢٢)
- ٢٩٢ ٩٣ سورة الضحى مكية/ آياتها (١٢)
- ٢٩٤ ٩٤ سورة الشرح مكية/ آياتها (٩)
- ٢٩٥ ٩٥ سورة التين مكية/ آياتها (٩)
- ٢٩٦ ٩٦ سورة العلق مكية/ آياتها (٢٠)
- ٢٩٩ ٩٧ سورة القدر مكية أو مدنية/ آياتها (٦)
- ٣٠٠ ٩٨ سورة البينة مدنية أو مكية/ آياتها (٩)
- ٣٠١ ٩٩ سورة الزلزلة مدنية أو مكية/ آياتها (٩)
- ٣٠٢ ١٠٠ سورة العاديات مدنية أو مكية/ آياتها (١٢)
- ٣٠٤ ١٠١ سورة القارعة مكية أو مدنية/ آياتها (١٢)
- ٣٠٥ ١٠٢ سورة التكاثر مكية/ آياتها (٩)
- ٣٠٦ ١٠٣ سورة العصر مكية/ آياتها (٤)
- ٣٠٧ ١٠٤ سورة الهمزة مكية/ آياتها (١٠)
- ٣٠٨ ١٠٥ سورة الفيل مكية/ آياتها (٦)
- ٣٠٩ ١٠٦ سورة قريش مكية/ آياتها (٥)
- ٣١٠ ١٠٧ سورة الماعون مكية أو مدنية/ آياتها (٨)
- ٣١١ ١٠٨ سورة الكوثر مكية أو مدنية/ آياتها (٤)

- ٣١١ سورة الكافرون مكية أو مدنية/ آياتها (٧)
- ٣١٢ سورة النصر مدنية/ آياتها (٤)
- ٣١٣ سورة المسد مكية/ آياتها (٤)
- ٣١٤ سورة الإخلاص مكية أو مدنية/ آياتها (٥)
- ٣١٥ سورة الفلق مدنية/ آياتها (٤)
- ٣١٦ سورة الناس مدنية/ آياتها (٧)
- ٣١٧ المصادر و المراجع
- ٣١٨ تعريف مركز القائمية باصفهان للتمريرات الكمبيوترية

تقريب القرآن الى الازهان المجلد ٥

إشارة

سرشناسه : شیرازی، محمد

عنوان و نام پدید آور : تقريب القرآن الى الازهان / محمد شیرازی

مشخصات نشر : قم: ایمان، [۱۳۳] .

مشخصات ظاهری : ۱۶۸ ص.

عنوان دیگر : تقريب القرآن الى الازهان

موضوع : تفاسیر شیعه

موضوع : تفاسیر -- قرن ۱۴

رده بندی کنگره : BP۹۸/ح ۴۶ ت ۷۰۴۲۱۵ ۱۳۰۰ ۷

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی : م ۶۵-۲۱۷۶

[تتمه سورة فصلت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد المصطفى وعترته الطاهرين

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧

[سورة فصلت (٤١): الآيات ٤٧ إلى ٤٨]

إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعِيَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ (٤٧) وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (٤٨)

[٤٨] و بمناسبه ما تقدم من أوصافه سبحانه، و ذكر المعاد، يأتي السياق يؤكد ذلك، حتى يعرف الناس، أن ما يعملون، إنما هو باطلاعه سبحانه، ثم يجازيهم عنه إليه سبحانه يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعِيَةِ التي هي القيامة، و المعنى أنه، إذا سئل عن وقت القيامة، رد علمه إلى الله، و قيل الله عالم، إذ لا يعلمه سواه و ما تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا أي لا تخرج ثمرة من وعائها و غلافها، إلا بعلمه سبحانه، و أكمام جمع كم، و هو الغلاف، يقال تكمم الرجل بثوبه إذا تلفف به و ما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ إنسانا كان أو حيوانا وَلَا تَضَعُ مولودها إِلَّا بِعِلْمِهِ تعالَى، و حيث إن القيامة عبارة عن ظهور عالم جديد، ناسب ذلك الإتيان بظهور الثمرة، و ظهور الحمل، و ظهور الولد، فعلمه سبحانه عام لكل شيء و أذكر يا رسول الله يَوْمَ يُنَادِيهِمْ أي ينادى الله سبحانه المشركين، قائلًا لهم أَيْنَ شُرَكَائِيَ الذين زعمتم أنهم مشتركون معي في صفة الألوهية؟ و هذا الاستفهام للتقريع قالوا أي المشركين أَدْنَاكَ أي أعلمناك، و المعنى نعلمك و نعترف لك بأنه ما مِنَّا أي ليس منا جماعة المشركين مِنْ شَهِيدٍ يشهد بأن لك شريكا، يريدون بذلك التبرؤ من أعمالهم الإشراكية.

[٤٩] وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانوا يدعون مِنْ قَبْلُ أي ضاع عنهم الآلهة، التي

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٨

[سورة فصلت (٤١): الآيات ٤٩ إلى ٥٠]

لَا يَشَاءُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَ إِن مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ (٤٩) وَ لَئِن أَدْقَنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ

السَّاعَةَ قَائِمَةً وَ لَيْتَ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنْبَتَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَ لَنْذِيْقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيْظٍ (٥٠)

كانوا يعبدونها قبل يوم القيامة، في دار الدنيا، فلم يجدوها في المحشر و ظنوا بأنهم ما لهم من مَحِيصٍ أى ملجأ و مهرب و إنما قال ظنوا حكاية عنهم، فإن الإنسان لا- يقر نفسيا بما يؤلمه، و إن كان في قرارة نفسه يعلم بوصول المكروه إليه، أو إنهم ظنوا حقيقة لاحتمالهم النجاة.

[٥٠] ثم يأتي السياق ليصف حال الكفار في الدنيا، بعد أن أرى جانبا من حالهم في الآخرة، ليبين وجه إصلاهم النار في الآخرة، إنه لانحرافهم في الدنيا، فبالإضافة إلى كفرهم، إنهم منسلخون عن الفضيلة لا يسألم الإنسان أى لا يمل و لا يكل من دُعاء الخَيْرِ و يطلبه، فهو يدعو الخير و يطلبه لنفسه دائما أبدا لا قناعة له و لا رضى في نفسه، مما حصل عليه بقدر الكفاية و إن مَسَّهُ الشَّرُّ مجرد إحساس، من فقر و مرض و خوف و ما أشبه فَيُؤَسُّ أى شديد اليأس من الفرج قَنُوطٌ من رحمة الله تعالى.

[٥١] وَ لَيْتَ أَذْفَنَاهُ أى أعطينا هذا الإنسان المتصف بتلك الصفة رَحْمَةً مِنَّا أى فرجا من كربته، بالصحة و الغنى بعد المرض و الفقر، أو ما أشبه ذلك من بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ أى وصلت إليه لَيَقُولَنَّ منكرا فضل الله و إحسانه في كشف كربته هذا الخير الذى جاءنى لى فأنا فاعله، و الآتى به، عوض أن يشكر ربه، و يعرف أنه من إحسانه و فضله و ما أَظُنُّ السَّاعَةَ أى القيامة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٩

[سورة فصلت (٤١): آية ٥١]

وَ إِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَ نَأَى بِجَانِبِهِ وَ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَدَّوْا دُعَاءِ عَرِيضٍ (٥١)

قَائِمَةً أى سوف تكون، فإن الإنسان إذا وجد نعمة بطر و نسى ربه و ميعاده، فلا يشكر، و لا يصرف النعمة في حقها، فيعرض ميعاده، بل يقول إن النعمة لى، و يصرفها في الشر قائلًا، لا قيامه، حتى أعمل صالحا بالنعمة، ثم فوق ذلك يظن أنه مكرم عند الله - كما هو تمنى الجهال - فيقول وَ لَيْتَ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي بَأَن صَدَقَ قَوْلَ النَّاسِ الْمُؤْمِنِينَ بِوَجُودِ الْمِيْعَادِ إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى أى المنزلة الحسنى، و هى الجنة، فكما أعطانى فى الدنيا، يعطينى فى الآخرة، و هنا يأتي السياق لبيان مصير هذا الإنسان فَلَنْبَتَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أى لنخبرن هؤلاء الكفار بما عَمِلُوا فى الدنيا من الكفر و العصيان، و الإخبار إنما هو لأجل التقرير، و إفصاحهم أمام الملأ العام وَ لَنْذِيْقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيْظٍ هو النار و النكال، لما عملوا من الأعمال السيئة.

[٥٢] وَ إِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ وَ الْمَرَادُ بِهِ الْإِنْسَانُ الْمُنْحَرَفُ، كما سبق فى الآية السابقة أَعْرَضَ عَنِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَ نَأَى بِجَانِبِهِ أى بعد بجانبه عن الاعتراف بالله و شكره، تشبيهه بالإنسان المعرض عن شىء، حيث يبعد نفسه منه بعدا حسيا وَ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ من مرض و فقر و خوف و ما شابه فَدَّوْا دُعَاءِ عَرِيضٍ يكثر الإلحاح و الطلب منا لرفع ضره، و «العريض» أبلغ من «الطويل»، إذ العريض لا يكون إلا طويلا،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٠

[سورة فصلت (٤١): الآيات ٥٢ الى ٥٣]

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٢) سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣)

و إلا لا يسمى عريضا، بخلاف الطويل، فإنه لا يلزم العريض.

[٥٣] قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَهُؤَلَاءِ الْكُفَّارُ الْمُنْكَرِينَ، لكون القرآن من عند الله تعالى أَرَأَيْتُمْ أى أخبرونى إِنْ كَانَ الْقُرْآنُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بَأَن أَنْزَلَهُ عَلَيَّ لا كما تقولون من أنه افتراء مختلق تُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ و جحدتموه مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ؟ أى من يكون - حينذاك - أكثر ضلالا منكم؟ و إنما أتى بهذا الوصف، تقريرا. و رهانا، لكونهم أضل، إذ هم فى شقاق بعيد عن الحق، فهم شق و الحق فى شق، و بينهما تباعد كثير.

[٥٤] سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا الدالَّة على وجودنا، و سائر صفاتنا فى الْآفَاقِ جمع أفق، و هو أطراف الكون، لأن كل طرف أفق، من سماء و

أرض، وشمس، وقمر، ونجوم، و جبال، و شجر، و حيوان، و بحار، و غيرها و في أَنفُسِهِمْ و ما فيها من لطائف الصنع، و عجائب التراكيب، التي تدل على وجود الله و علمه، و قدرته، و إرادته، و سائر صفاته، و معنى الإرائة، إلفاتهم إلى الآيات، بواسطة التوجيهات في القرآن، و كلمات الرسول و الأئمة، و الإلقاء في قلوبهم حَتَّى يَبَيِّنَ أَى يظهر لَهُمْ أَى لهؤلاء الكفار أَنَّهُ أَى الله سبحانه، أو الرسول، أو القرآن الْحَقُّ فَإِنَّ الأدلة الكونية ترشد إلى كل ذلك- و إن كان الأول أقرب- أ و لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ يا رسول الله، و الباء في

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١١

[سورة فصلت (٤١): آية ٥٤]

أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (٥٤)

«بربك» زائدة دخلت على الفاعل، إذ الأصل في المعنى «أو لم تكف بربك» أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَى حاضر، و هذا برهان على أنه الإله الحق، إذ الإله يحضر و يشهد كل شىء بخلاف سائر الأشياء، فإنها لا تشهد «الله» إذ الإله سابق عليها، و الشاهد يلزم أن يكون حاضرا من البدء إلى الختم، و ليس لأحد أن يقول: من أين نعلم، أن الله شاهد على كل شىء؟ إذ الجواب هل هناك شىء أول شهد كل شىء، أم لا؟

فإن قال نعم قلنا ذلك هو الله، و ثبت المطلوب، و إن قال لا، قلنا هذا خلاف الضروري، إذ لا يعقل أن لا يكون هناك شىء أول، و إن قال، بل يمكن أن يكون الأول متعددًا، فلا وحدة في الأول قلنا اعترفت بالواحد، فعليك الدليل على الأكثر، ثم لا يمكن تعدد الأول، لما ثبت في علم الكلام، من أن التعدد في الأزلى غير معقول، إذ يلزم من التعدد التركب، و من التركب، عدم الأولوية- فهو خلف-

[٥٥] أَلَا- إِنَّهُمْ أَى الكفار فِي مِرْيَةٍ و شك مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَى لقاء حسابه و جزائه- على سبيل تشبيه المعقول بالمحسوس- و هذا على سبيل التسفيه لعقيدتهم، فكيف يمكن أن يكون الخلق عبثًا، لا حساب لهم و لا جزاء؟ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ إحاطة علم و قدره، فهو عالم بهم، و لا- يخرجون عن قبضته، فسيأتي يوم يحاسبهم بما علم، و يعطيهم جزاء كفرهم و إنكارهم، فلا مفر لهم منه، و لا مجال للإنكار، لما اقترفه من الكفر و الآثام.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٢

٤٢ سورة الشورى مكية- مدنية/ آياتها (٥٤)

و تسمى ب «جمعسق» أيضا لاشتمالها على كلمة «الشورى» و «جمعسق»، و هى كسائر السور المكية، تعالج قضايا العقيدة، قالوا و نزلت بعض آياتها فى المدينة، كآية «القربى» و حيث ختمت سورة فصلت، بذكر إنكار الكفار للأصول، ابتدأت هذه السورة، بتقريرها، و تأكيدها، فقال سبحانه:

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ شروع فى السورة، باسم الله، و الإتيان، ب «الاسم» دون أن يقال «بالله» للتحليل و التصريح، إذ قوله «بالله» أيضا تؤول إلى «باسم الله» و للمعارضه لما يقوله أهل سائر الأديان، و الطرق كقول المسيحي «باسم الأب و الابن و الروح القدس» و التأكيد على صفتى «الرحمن الرحيم» للتوجيه إلى أهم الصفات التى تنفع الناس فى دنياهم و آخرتهم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٣

[سورة الشورى (٤٢): الآيات ١ الى ٤]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم (١) عسق (٢) كَذَلِكَ يُوحى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٤)

[٢-٣] حم* عسق أى أن هذا القرآن مؤلف من حروف الهجاء، التى منها «حاء» «ميم» «عين» «سين» «قاف»- على قول- أو رمز بين الله و الرسول- على آخر- أو هو إشارة إلى أسامى لله تعالى، فمعناه الحليم الميثب العالم السميع القادر- على رواية عن الصادق عليه السلام «١» - أو غير ذلك من الأقوال الكثيرة، فى فواتح السور.

[٤] كَذَلِكَ أى كهذا الذى ذكرها من «حم عسق» أو كالوحي الذى تقدم من سائر سور القرآن يُوحى إِلَيْكَ يا رسول الله وَ إِلَى الأنبياء الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ فاعل يوحى العزيرُ فى سلطانه، فلا- غالب عليه الحكيمُ فى تكوينه و تشريعه، فإنه يخلق الأشياء حسب الحكمة و الصلاح، و يأمر و يشرع، حسب الحكمة و الصلاح، فإنزال الوحي عليك، و على الأنبياء السابقين، تابع للحكمة، لا عبث فيه، و لا اعتبار، و لا محاباة.

[٥] لَهُ تعالى بالخلق و الملك و التدبير ما فى السَّمَاوَاتِ وَ ما فى الْأَرْضِ المراد الظرف و المظروف، فإن أحدهما يطلق، و يراد به الآخر- فى كثير من الأحيان- إيجاز فى الكلام وَ هُوَ الْعَلِيُّ أى الرفيع الذى لا أرفع منه، و المراد رفعة المنزلة لا رفعة المكان، فإنه تعالى منزله عن المكان و المكانية العظيمة الذى هو أعظم من كل شىء

(١) بحار الأنوار: ج ٨٩ ص ٣٧٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٤

[سورة الشورى (٤٢): آية ٥]

تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطِرُونَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَ الْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥)

علما و قدرة، و من حيث سائر الصفات.

[٦] ثم بين سبحانه بعض عظمته فى الكون التى أوجبت أن تقترب السماوات إلى الإنفطار و الانشقاق خوفا و روعة، و أوجبت تنزيه الملائكة، و طلب غفرانهم لأهل الأرض العصاة، كما نرى من اعتذار الوزير من الملك، عمّن عصاه، لما يرى شدة بطشه، و لما يخاف من أن تحل نعمته- تكادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطِرُونَ أى يتشققن مِنْ فَوْقِهِنَّ أى جهة أعلاهن، لأن الأعلى، أقرب إلى ما ارتكز فى الذهن من علوه سبحانه، و إن كان العلوان مختلفان، فعلوه سبحانه معنوى و علوها حسى، و المعنى أن عظمته سبحانه، بحيث تؤثر فى السماوات، حتى أنها تقترب من الانشقاق، و هذا كقوله سبحانه وَ لَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ «١» و قوله (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ) «٢» وَ الْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ أى ينزهونه بذكر محامده، فإن من قال فلان شجاع، كان حمدا و تنزيها عن الجبن، بخلاف ما لو قال إنه ليس بجبان، فإنه لا- يلزم أن يكون شجاعا وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ بأن يغفر الله لهم، أما مؤمنهم، فيغفر له عصيانه، و أما كافرهم فبأن يهيب سبحانه مغفرته بالإيمان، حتى لا يحل بهم العذاب مما يرهب منه، حتى الملائكة، و إن كان تعديبا لغيرهم، فإن الشخص يرهب العذاب، حتى إذا نزل بغيره ألا فيتنبه البشر إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ

(١) الرعد: ٣٢.

(٢) الأحزاب: ٧٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٥

[سورة الشورى (٤٢): الآيات ٦ الى ٧]

وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (٦) وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَ مَنْ حَوْلَهَا وَ تُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَ فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (٧)

لذنوب عباده الرَّحِيمِ بهم يتفضل عليهم بالإحسان فوق الغفران.

[٧] وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَى من دون الله أَوْلِيَاءَ أَى الأصنام بأن عبدها اللهُ حَفِيطٌ عَلَيْهِمْ أَى أنه يحفظهم، فالأصنام موهومات، لا حقيقة لألوهيتها، وإنما الله هو الحافظ لهم، وهكذا كما يقول الرئيس: إن فلانا الذى يحاربني، يأكل رزقى و عطائى، و ما أنت يا رسول الله عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ فإنك غير مسئول عن كفرهم، وإنما أنت مسئول عن تبليغهم، و قد فعلت ذلك.

[٨] وَ كَذَلِكَ أَى كما أوحينا إلى الأنبياء من قبلك أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَو المعنى، «هكذا أوحينا إليك» و إنما جىء ب «ذلك» لتنزيل رفعه القرآن معنى، منزله بعده حسا- كما ذكروا فى علم البلاغة- قُرْآنًا عَرَبِيًّا فَإِنَّهُ بَلَّغَهُ الْعَرَبُ لِيَفْقَهُوا ما فيه لِيُنذِرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُمَّ الْقُرَى وَ هى مكة، و المراد أهلها وَ مَنْ حَوْلَهَا أَى حول مكة من سائر القرى فى العالم، فإنها حيث صارت أما صارت كل قرية حولها، فإن البنات حول الأم، و إنما سميت أم القرى، لأن الأرض دحيت من تحتها، كالأولاد الذين يخرجون من الأم بالولادة، و كأن هذا الإنذار، بالنسبة إلى الأمور الدنيوية، فإن من أعرض عن ذكره تكون معيشته ضنكا وَ تُنذِرُ يَوْمَ الْجُمُعِ هو يوم القيامة، الذى يجمع فيه الخلائق، بأن من كفر أو عصى، عذب بالنار و النكال لا رَيْبَ فِيهِ و إن ارتاب

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٦

[سورة الشورى (٤٢): الآيات ٨ الى ٩]

وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ لَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَ الظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَرِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ (٨) أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَ هُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٩)

فيه كثيرون، إذ المعنى، إنه ليس محلما للريب، كما قال سبحانه، بالنسبة إلى القرآن (لا رَيْبَ فِيهِ) «١» و كما تقول «لا-ريب فى نور الشمس» و إن أنكره السوفسطائيون فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُطِيعُونَ وَ فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ أَى النار المستعرة الملتهبة، و هم الكفار و العصاة، فتذرعهم، بأن لا يتمادوا فى الكفر و العصيان، حتى يكونوا من أصحاب السعير.

[٩] وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُجْبِرَ النَّاسَ عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ لَكِنْ هَذَا نَقْضٌ لِلْغُرُضِ، فَإِنَّ الْغُرُضَ مِنَ الْخَلْقَةِ التَّكْلِيفِ، حَتَّى يَتَرْتَبَ عَلَيْهِ الثَّوَابُ وَ الْعِقَابُ، وَ لَوْ كَانَ النَّاسُ مُجْبُورِينَ، لَكَانُوا كَالْأَحْجَارِ وَ النَّبَاتِ فِي الْفِعْلِ وَ لَكِنْ خَيْرُهُمْ، وَ أُعْطِيَ الزَّمَامَ بِأَيْدِيهِمْ، لِيُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ مِمَّنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا فِي رَحْمَتِهِ بِالسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا، وَ الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ وَ الظَّالِمُونَ الَّذِينَ اخْتَارُوا الْكُفْرَ وَ الْعِصْيَانَ مَا لَهُمْ مِنْ وَرِيٍّ يُوَالِيهِمْ وَ يَلِي أُمُورَهُمْ وَ لَا نَصِيرٍ يَنْصُرُهُمْ.

[١٠] أَمْ مَنْقُوعَةٌ، بِمَعْنَى «بَل» أَى أَنْ الْكُفْرَ ضَرَبُوا عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَ وَلايَتِهِ، وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ هى الأصنام التى والاها الكفار فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَ إِنَّمَا الْأَصْنَامُ أَحْجَارٌ لَا تَنْفَعُ وَ لَا تَضُرُّ وَ لَا تَنْفَعُ، فَهِيَ

(١) البقرة: ٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٧

[سورة الشورى (٤٢): الآيات ١٠ الى ١١]

وَ مَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ (١٠) فَاطْرُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَ مِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)

لا توالى أحدا و لا تنفع ولاية الناس لها وَ هُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى فمبعث الخلق بيده، لا بيد غيره، و يلزم من ذلك، أن يخاف الناس عقابه، حيث إن بيده الحكم وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْإِحْيَاءِ وَ الْإِمَاتَةِ وَ الرِّزْقِ، وَ غَيْرِهَا، بِخِلَافِ الْأَصْنَامِ، الَّتِي لَا تَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ، وَ اتَّخَذَ الْقَادِرُ وَلِيًّا أُولَى مِنْ اتَّخَذَ الْعَاجِزُ.

[١١] أما هذه الاختلافات التى حدثت بين الناس، فالحكم الوحيد فيها هو الله تعالى، إذ هو المطلع على الصدق و الكذب و الحقيقة و

الزيف وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ الضمير عائد إلى «ما» أى كل شىء اختلفتم فيه فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ الْحَكْمُ الْعَالَمُ الَّذِي يَحِقُّ لَهُ الْحَكْمُ، أما من سواه، فبين جاهل، و بين ما لا يحق له الحكم، و إن كان عالماً، إذ الفصل فى القضايا و نفوذها أمر يحتاج إلى السلطة، و لا- سلطة إلى له سبحانه ذَلِكُمْ «ذا» إشارها، و «كم» خطاب الله رَبِّي أى أن الذى يحكم بين المختلفين هو ربي، لا الأصنام العابرة الجاهلة عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ فى مهمامى وَإِلَيْهِ أُنِيبُ أى أرجع فى جميع أمورى، أو المعنى، أتوب إليه.

[١٢] ثم وصف سبحانه بأنه فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أى خالقهما و مبدعهما، من فطر بمعنى خلق، و هو الذى جَعَلَ لَكُمْ أَيُّهَا الْبَشَرِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٨

[سورة الشورى (٤٢): آية ١٢]

لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢)

مِنْ أَنْفُسِكُمْ أى من جنس نفوسكم أزواجاً ليسكن الإنسان إليها، فإن «كل جنس لجنسه يألف» و لا يقال فكيف تكون فى الآخرة زوجة الإنسان حورية؟ إذ هناك يطف الإنسان، حتى يكون كالملك فيتجانسان و جعل مِنَ الْأَنْعَامِ الْإِبِلَ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ أَزْوَاجاً ذَكَرَ وَأُنْثَى، لتكميل المنافع و النتاج، لبقاء النسل، فمن يا ترى جعل كل ذلك؟ يَذَرُوكُمْ ذُرّاً، بمعنى أوجد، أى يخلقكم- أنتم و الأنعام- فيه أى فى هذا الجعل، فإن امتداد نسل الإنسان و الحيوان، إنما هو بجعل الأزواج، و لذا ينقطع من لا زوج له لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ مِنْ الْأَصْنَامِ وَغَيْرِهَا مِنْ سَائِرِ الْمَعْبُودَاتِ، و الكاف إما زائدة لتأكيد النفي- كما هو شأن الزوائد غالباً- أى ليس مثله شىء، قطعاً، أو هذا مبالغة، فإن الشىء إذا لم يكن لما يشابهه مثل، لم يكن له مثل بطريق أولى، مع أنه سبحانه لا يشابه أحداً، فهو غير منقطع عن خلقه وَ هُوَ السَّمِيعُ الْمَسْمُوعَاتِ الْبَصِيرُ لِلْمَبْصُرَاتِ، فهو غير منقطع عن خلقه، فقد أحاطهم علماً و إدراكاً.

[١٣] لَهُ سبحانه مَقَالِيدُ جمع مقلاد و هو المفتاح السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَإِنَّ مِفْتَاحَ الصَّحَّةِ وَالْمَرَضِ، وَالْغِنَى وَالْفَقْرَ، وَالْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ، وَالْإِبْجَادَ وَالْإِعْدَامَ، وَغَيْرِهَا... بيده، و هذا من باب التشبيه، فإن من بيده المفتاح يكون مسيطراً على الخزينه التى منها العطاء و المنح يَبْسُطُ الرِّزْقَ أى يوسع له لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٩

[سورة الشورى (٤٢): آية ١٣]

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣)

و يَقْدِرُ أى يضيق الرزق لمن يشاء، حسب حكمته فى التوسعة و التضيق، و ليس معنى هذا، أن لا مدخليه للطلب، إذ الطلب من جملة الأشياء التى قررها سبحانه للرزق، كما أن الزواج من جملة الأسباب التى قررها سبحانه للولد، و إن كان الولد من خلقه تعالى إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ و من علمه جعل بعض الناس أغنياء، بأن وسع عليهم، و جعل بعضهم فقراء، بأن ضيق عليهم.

[١٤] ثم أن هذا الخالق العظيم، الذى بيده كل شىء، و هو سميع بصير بكل شىء، هو الذى شرع الدين لرفاه البشر، و نظامه أفضل الأديان و الأنظمة، إذ يعرف ما يلائم حياة الإنسان، و ما لا يلائم، ثم إن نظامه خال من الأغراض، و الأهواء و الميول شَرَعَ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ مِنَ الدِّينِ أى الإسلام، و معنى الشرع، جعل النهج و النظام و أصله من الظهور، و منه الشريعة لظهور محل أخذ الماء على الشاطيء، أو من الشروع بمعنى الابتداء ما وَصَّى بِهِ نُوحًا فَالْإِسْلَامُ دِينُ الْأَنْبِيَاءِ، من شيخ المرسلين نوح الذى كان بدء العالم الجديد وَ هُوَ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى فَهَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ، و غيرهم من سائر الأنبياء، إنما بشروا بدين واحد، كما قال الله سبحانه إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ «١» و قد ذكرنا فى بعض

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٠

المؤلفات، إن الدين ينقسم إلى أصول وفروع وأخلاق، و الكل غير قادر للتبدل، فالأصول: التوحيد، والعدل، والنوّة، والوصاية، والمعاد، و هل هذا قابل للاختلاف؟ والفروع: خضوع يسمى الصلاة، وإنفاق يسمى الزكاة، وإمساك يسمى الصيام، و ذهاب إلى محل يذكر الله يسمى الحج، و أمر بالمعروف، و نهى عن المنكر، و هل هذا قابل للنسخ؟ ثم بيع و شراء و إجارة و إرث، و ما أشبهه، و رذائل محرمة، كالخمر و القمار، و فضائل لازمة، كالصلة و بر الوالدين، و هل يمكن تحريف شىء منها؟ و الأخلاق شجاعه و غيره و بذل و معونه و عفه، و ما أشبهه، و هل يمكن أن تنقلب الشجاعه رذيله، و الجبن فضيله، و هكذا؟

نعم اختلاف فى الحدود، و القيود، و الآداب، لا فى الجوهر و الأصل أن أقيموا الدين متعلق، ب «وصى» أى أوصيناهم بإقامة الدين، بأن يكون قائما غير دارس و لا تفرّقوا أيها الأنبياء عليهم السلام أو أيها الناس - بأن يكون من باب الالتفات - فيه أى فى الدين ثم ذكر الله سبحانه، إن الكفار يستعظمون دعوتك إلى التوحيد، لأنهم عباد أصنام قد توارثوها عن الآباء كبر على المشركين بالله ما تدعوهم من التوحيد و الإخلاص إليه أو المراد كبر عليهم دعوتك إلى نفسك بالرسالة، إذ قالوا، كيف صار رسولا من بيننا لو لا نزل هذا القرآن على رجلٍ من القريتين عظيم (١)؟ و هذا المعنى أقرب إلى الجملة التالية الله يجيبني إليه من يشاء أى أن الله سبحانه يختار من يشاء للرسالة،

(١) الزخرف: ٣٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢١

[سورة الشورى (٤٢): آية ١٤]

و ما تفرّقوا إلا - من بعيد ما جاءهم العلم بغيا بينهم و لو لا كلمته سبقت من ربك إلى أجل مسيئتي لفضيت بينهم و إن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب (١٤)

و لفظ «إليه» إنما هو لأن المختار ينضم و ينتهى إلى من اختاره و اجتباه، و لا يختار الله إلا من هو قابل للرسالة، فليس اعتباطا و جزافا، أو تابعا للمال و الشرف الظاهري و يهتدى إليه بالألطف الخفية من ينبى أى من يتوب إليه، و يرجع عن كفره و عصيانه، فإنه إذا هدى شخصا و أرشده الطريق، فأنا و تاب، لطف به بالأطاف الخفية.

[١٥] و ما تفرّقوا أى لم يختلف أهل الكتاب فيما بينهم إلا من بعيد ما جاءهم العلم بوحداء الدين، و حقيقة جميع الأنبياء، فقد أرشدهم سبحانه، فلم ينيوا و لم يرجعوا، و لذا تركهم سبحانه و لم يلفظ بهم بالأطاف الخفية، و لم يزد لهم هدى، و إنما تفرّقوا بغيا أى حسدا و ظلما بينهم بأن بغى بعضهم على بعض حسدا بعضهم بعضا، و المراد ظلم أهل الكتاب بعضهم بعضا، و كان الإتيان بلفظ «بينهم» لإفادة أنهم لم يظلموا الأجانب عن الإيمان بل حسدوا و ظلموا من هم على شاكلتهم فى الدين و الإذعان و لو لا كلمته سبقت من ربك بأن يمهلهم إلى أجل مسيئتي قد سمي ذلك الأجل و الأمد فى اللوح المحفوظ لفضيت بينهم أى قضى الله سبحانه بينهم، بتقوية الحق، و إهلاك المبطل، لكن الله سبحانه، حيث حكم بقائهم مدة معينة - لمصلحة رآها فى ذلك - أخر العذاب عنهم و إن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم بأن صاروا من أهل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٢

[سورة الشورى (٤٢): آية ١٥]

فإذ لك فادع و استقيم كما أمرت و لا تتبع أهواءهم و قل آمنت بما أنزل الله من كتاب و أمرت لأعبد الله ربنا و ربكم لنا أعمالنا و لكم أعمالكم لا حجة بيننا و بينكم الله يجمع بيننا و إليه المصير (١٥)

الكتاب، بعد أولئك الأنبياء، أو بعد آبائهم المختلفين لفي شك منه أى من هذا القرآن أو من الدين مريب موجب للتشكيك و

الريب، فهؤلاء كآبائهم فى الاختلاف و التفرق، أو المعنى، أن أخلاف أهل الكتاب، لفى شك من كتابهم، إذ التفرق و الاختلاف، يوجب الشك و الريب فى أن ما بيد الإنسان، هل هو صحيح أم لا؟

[١٦] فَلِذَلِكَ أَى لاختلاف هؤلاء فى الدين بحيث لم يبق الدين واضحاً قائماً فَادْعُ يا رسول الله إلى الله سبحانه وَ اسْتَقِمْ فى الدعوة، و لا تبالى بما تلاقى من أنواع الأذى و صنوف المكروه كما أُمِرْتَ أَى كما أمرك الله سبحانه بالدعوة و الاستقامة وَ لا تَتَّبِعْ يا رسول الله أهواءَهُمْ أَى أهواء أهل الكتاب الذين حرفوا الدين، و زادوا فيه، و أنقصوا منه وَ قُلْ يا رسول الله معلنا وحده الأديان و الكتب و الرسالات أَمَّتْ بما أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ فَكُلِ الْكُتُبِ لِلْهُدَايَةِ، و التبشير من جانب الله تعالى وَ أُمِرْتَ لِأَعْدَلِ بَيْنَكُمْ فَمَنْ طَبِيعُهُ دِينَ اللهُ الْعَدْلُ بَيْنَ جَمِيعِ النَّاسِ، فلا يحابى أحداً، و لا ينقص أحداً قَدْرَهُ اللهُ رَبُّنَا وَ رَبُّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، فلا إله سواه لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ فَكُلِ امْرئٍ مَجْزَى بِأَعْمَالِهِ، إن كان خيراً فخير، و إن كان شراً فشر، فكفر الكافر لا يضر إلا نفسه، كما أن إيمان المؤمن لا ينفع إلا نفسه، و قد ظهر الحق ف لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ فقد تم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٣

[سورة الشورى (٤٢): آية ١٦]

وَ الَّذِينَ يُحَاجُّونَ فى اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ عَلَيْنِهِمْ غَضَبٌ وَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١٦) الاحتجاج، و ظهر الحق، واضحاً جلياً، إذ الاحتجاج إنما يكون قبل ظهور الحق، أما بعده، فلا فائدة فيه اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا لِلْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حتى يظهر هناك، من المحق، و من المبطل وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ أى إلى ثوابه و عقابه، فالمؤمنون مصيرهم نعيم الله سبحانه و جنانه و الكافرون مصيرهم سخط الله و نيرانه.

[١٧] وَ الَّذِينَ يُحَاجُّونَ فى اللهِ فى ذاته، أو صفاته مِنْ بَعْدِ تِلْكَ الْحُجَّةِ الْوَاضِحَةِ، و قد ما اسْتُجِيبَ لَهُ استجاب للدعوة الزمرة المؤمنة حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ أى باطله زائفة، إذ الاحتجاج بعد تمام الدليل، و التفات المؤمنين حول الدعوة لا قيمة له، نعم لو لم تثبت الحجة، أو لم يكن هناك جماعة مستجيبة، يأوى إليها الإنسان من شر الخصوم و العدا، لكان لهم بعض الحق، فى الجدل و الخصومة، أما و قد بان الطريق، و سلكه الناس، فلا حجة، لمن لا يسلك عِنْدَ رَبِّهِمْ و إن كان بعض الناس يعطيهم الحق فى بقائهم على الكفر، و لكن عند الله سبحانه، و فى حسابه لا- حق لهم، و لا- مفهوم لقوله «من بعد ما استجيب له» بل ذلك بيان لشدة ضلال هؤلاء، حتى أنه بعد الاستجابة، يبقون على كفرهم و ضلالهم وَ عَلَيْنِهِمْ غَضَبٌ مِنْ اللهُ سبحانه وَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أو أعم منه، و من الدنيا، و حيث إن الله سبحانه، ليس غضبه، بمعنى ما فينا- مما هو ملازم للنفس- كان معناه نتيجة الغضب، و هو الانتقام، و ذلك أعم من

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٤

[سورة الشورى (٤٢): الآيات ١٧ الى ١٨]

اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَ الْمِيزَانَ وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧) يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَ يَغْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فى السَّاعَةِ لَفى ضَلَالٍ بَعِيدٍ (١٨) العذاب الشديد، فلا يقال بأنه موجب للتكرار.

[١٨] اللهُ الذى يحاجون فيه، هو من أنزل الشريعة و بيده المعاد، و هل يحاج الإنسان فى جاعل النظام، و إليه مصير الأنام؟ فإن الله هو الذى أَنْزَلَ الْكِتَابَ أى القرآن بِالْحَقِّ أى إنزالاً- بالحق، و لأجل إقامة الحق، فلا الإنزال بالباطل، كإنزال الشياطين على الكهنة، و لا المنزل باطل، كما لو أمر صاحب الدار بخراب داره، فإن له الحق فى الإنزال، لأنه صاحب السلطة، لكن ليس له حق فى الأمر المنزل، و هو خراب الدار وَ أَنْزَلَ الْمِيزَانَ الذى يوزن به بين الحق و الباطل فى العقائد، و الأعمال و الأقوال وَ مَا يُدْرِيكَ يا رسول الله، أى من أين تدرى- و هذا للتحويل- أو المراد، ما يدريك أيها المخاطب لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ أى القيامة، فلا يغر الإنسان، ما يراه من الأمن و السلامة، فلعل محكمته قربت، فاللازم أن يكون الإنسان على خوف و وجل منها.

[١٩] يَسْتَعْجِلُ بِهَا أَي يَطْلُبُونَ عَجْلَهُ السَّاعَةِ، بَأَن تَأْتِيهِمْ عَاجِلًا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَ إِنَّمَا اسْتَعْجَلَهُمْ عَلَى وَجْهِ الاسْتَهْزَاءِ وَ السَّخِرِيَّةِ، كَمَا يَسْخَرُ غَيْرَ الْمُؤْمِنِ بِالسَّاعَةِ إِذَا ذَكَرَ بِهَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ الْمَعَادِ مُشْفِقُونَ أَي خَائِفُونَ مِنْهَا أَي مِنَ السَّاعَةِ، لَمَا يَعْلَمُونَ مِنْ أَهْوَالِهَا، وَ لَخَوْفِهِمْ، بَأَن يَكُونُوا قَدْ قَصُرُوا، فَيَسْأَلُهُمْ عِقَابُهَا وَ نَكَالُهَا وَ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا أَي السَّاعَةُ الْحَقُّ الَّذِي لَا كَذِبَ فِيهِ مُقَابِلَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٥

[سورة الشورى (٤٢): الآيات ١٩ الى ٢٠]

اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (١٩) مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (٢٠)

الكفار، الذين يظنون أنها باطلة، لا- حقيقة لها ألا فليتنبه السامع إن الذين يمازون أي يجادلون من المرء، و هو الجدل في الساعه ليشبوا بطلانها، منكرين لوجودها لفي ضلال و ابتعاد عن الصواب بعيد كالإنسان الذي يضل عن الجادة كثيرا، و مقابل العصاة، الذين هم في ضلال، و لكن ليس بذلك البعد، فإنهم أقرب إلى الجادة، من منكر المعاد.

[٢٠] إن الله سبحانه خلق الدنيا للامتحان، و لذا يرزق المؤمن و الكافر فيها، لتهيئة وسيلة السعادة، أما الآخرة، فليس رزقها، إلا لمن آمن و عمل صالحا، و هذا لتنبية الكفار، بأن الآخرة، التي يوعدها ليست بمثابة الدنيا يرزق فيها كل صالح و طالح، و إنما مقياس تلك غير مقياس هذه الدار الله لطيف بعباده يلطف بهم ليسعدهم، فيهيئ لهم وسائل السعادة، سواء كانوا صالحين أم طالحين يرزق من يشاء كيف يشاء في سعة أو ضيق و هو القوي القادر على الإعطاء و المنع و التوسعة و التضيق العزير الغالب في سلطانه، فلا يتمكن أحد من معارضته، [٢١] و إذا كان الله رازقا هنا، فليعلم العباد أن من طلب رزق الدنيا يؤتيه بقدره، و لا نصيب له في الآخرة، و من طلب رزق الآخرة- بالإيمان و العمل الصالح- يعطى أكثر من كسبه من كان يريد بعمله حَرْثَ الْآخِرَةِ أي زرعه، فكأن العمل هنا بذر يعطى هناك ثماره نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ إِذْ يَعطيه الله سبحانه من عشرة أضعاف إلى ما فوق سبعمائة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٦

[سورة الشورى (٤٢): الآيات ٢١ الى ٢٢]

أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَ لَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَضْلِ لَقَضَيْتَ بَيْنَهُمْ وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١) تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَ هُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢٢)

ضعف و مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا بَأَن عَمِلَ وَ كَدَ وَ اجْتَهَدَ لِلدُّنْيَا فَقَطْ، بِدُونِ لِحَاطِ لِلْآخِرَةِ فِي عَمَلِهِ نُؤْتِيهِ أَي ذَلِكَ الْمُرِيدُ مِنْهَا أَي مِنَ الدُّنْيَا وَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ لِأَنَّهُ لَمْ يَزِرْعَ حَتَّى يَحْصِدَ.

[٢٢] لقد تقدم، أن الدين شرع الله سبحانه الذي بشر به الأنبياء جميعا، أما طريقة هؤلاء الكفار، فمن ذا الذي شرعها لهم، بعد أن لم يأذن بها الله سبحانه؟ أم لهم شركاء شرعوا أي هل هؤلاء الكفار أصنام شرعوا و نهجوا تلك المنهاج لهم من الدين و الطريقة في العقيدة، و العمل ما لم يأذن به الله و هذا سؤال استنكارى، أي كيف يحق لهم أن ينهجوا نهجا لم يأذن الله سبحانه به؟ و لو لا كَلِمَةُ الْفَضْلِ أَي الْكَلِمَةُ الَّتِي قَالَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ، فِي شَأْنِ تَأْخِيرِ الْعَذَابِ عَنْ هَؤُلَاءِ وَ الَّتِي هِيَ فَاصِلَةٌ بَيْنَ حَيَاتِهِمْ، وَ بَيْنَ عَذَابِهِمْ لَقَضَيْتَ بَيْنَهُمْ أَي حَكَمَ عَاجِلًا، فِيمَا بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ، وَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، بِإِنزَالِ الْعُقُوبَةِ عَلَى هَؤُلَاءِ، لِانْحِرَافِهِمْ عَنِ الطَّرِيقِ وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ وَ الْعِصْيَانِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يُؤَلِّمُهُمْ جَزَاءَ عَلَى كُفْرِهِمْ وَ عِصْيَانِهِمْ.

[٢٣] تَرَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَ أَيُّهَا الرَّائِي الظَّالِمِينَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٧

[سورة الشورى (٤٢): آية ٢٣]

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسِيئَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢٣)

مُشَفِّقِينَ أَى خَائِفِينَ مِمَّا كَسَبُوا إِذْ يَتَجَلَّىٰ هُنَاكَ لَهُمْ، أَنَّ أَعْمَالَهُمْ أَتَمَّرَتِ النَّيْرَانَ وَ النِّكَالَ وَ هُوَ أَى مَا كَسَبُوا- وَ الْمَرَادُ جَزَائِهِ، إِلَّا أَنْ يُقَالُ بِتَجْسِيمِ الْأَعْمَالِ- وَاقَعَ بِهِمْ قَطْعًا فَلَا- مَفْرَ لَهُمْ مِنْهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةَ فَصَحَّتْ عَقِيدَتُهُمْ وَ عَمَلُهُمْ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ الرَّوْضَةُ هِيَ الْأَرْضُ الْخَضْرَاءُ، بِحَسَنِ النَّبَاتِ، وَ الْجَنَّةُ الْأَرْضُ الَّتِي يُحْفَهَا الشَّجَرُ، وَ يَجْنَهَا عَنِ الشَّمْسِ وَ الْأَبْصَارِ لَهُمْ مَا يَشَاؤُنَ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَلَاذِ عِنْدَ رَبِّهِمْ فَلَهُمْ شَرَفُ الْقُرْبِ الْمَعْنَوِيِّ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، كَمَا أَنَّ لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ مِنَ الْمَلذَّاتِ الْجَسْمِيَّةِ ذَلِكَ الثَّوَابُ الَّذِي يَنْعَمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ بِهِ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ الَّذِي تَفَضَّلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ، وَ إِلَّا فَالْإِنْسَانُ مَهْمَا كَانَ عَمَلُهُ، لَا يَسْتَحِقُّ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ شَيْئًا.

[٢٤] ذَلِكَ الثَّوَابُ وَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ، هُوَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلْيَرْغَبْ فِيهِ النَّاسُ، وَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، لَا يُطَلَبُ عَوْضُ هَذِهِ الْبَشْرَى، وَ هَذِهِ الْهَدَايَةُ الْمُنْتَهِيَّةُ إِلَى تِلْكَ النِّعَمِ، وَ ذَلِكَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ مَا لَا- وَ أَجْرًا، وَ إِنَّمَا يُرِيدُ مِنَ النَّاسِ أَنْ يُوَالُوا أَقْرَبَاءَهُ، فَاطْمَئِنُّوا وَ الْأَنْمَةُ الْأَطْهَارُ، وَ ذَلِكَ لَيْسَ لَهُ أَيْضًا، وَ إِنَّمَا لَهُمْ، إِذْ إِنَّ الْأَنْمَةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٨

يُرْشِدُونَ النَّاسَ إِلَى الْخَيْرِ وَ الصَّلَاحِ، وَ يَهْدُونَهُمْ إِلَى الْحَقِّ وَ الصَّوَابِ وَ الصَّدَقِ قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِهَوْلَاءِ الَّذِينَ بَشَّرْتَهُمْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَى عَلَى مَا جِئْتُمْ بِهِ مِنَ الْهَدَايَةِ وَ الْبَشْرَى أَجْرًا وَ ثَمَنًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ أَى الْوُدَّ وَ الْحُبَّ فِي الْقُرْبَى أَى فِي أَقْرَبَائِي، وَ مِنَ الْوَاضِحِ، أَنَّ الْمَوَدَّةَ الْوَاجِبَةَ هِيَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى فَاطِمَةَ وَ الْأَنْمَةَ، صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، أَمَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى سَائِرِ ذُرِّيَةِ الرَّسُولِ- غَيْرِ مَنْ كَفَرُوا مِنْهُمْ- فَالْمَوَدَّةُ مُسْتَحَبَّةٌ، وَ

قَدْ قَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ «أَكْرَمُوا ذُرِّيَّتِي الصَّالِحِينَ اللَّهُ وَ الطَّالِحِينَ لِي»

، وَ

قال «المرء يحفظ في ولده»

«١» وَ يَنْسَبُ إِلَى الشَّافِعِيِّ، أَنَّهُ قَالَ:

يَا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ حَبْكُمُ فَرَضَ مِنَ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ كِفَاكُمُ مِنْ عَظِيمِ الْفَخْرِ أَنْكُمُ مِنْ لَمْ يَصِلْ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ وَ قَدْ وَرَدَ إِنْ الْمَشْرُكِينَ تَسْأَلُوا، هَلْ يُرِيدُ مُحَمَّدٌ مِنْ رِسَالَتِهِ أَجْرًا، فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَ مَنْ يَقْتَرِفْ أَى يَعْمَلُ حَسِيئَةً مِنْ عَقِيدَةٍ أَوْ عَمَلٍ أَوْ مَوَدَّةٍ لآلِ الْبَيْتِ نَزِدْ لَهُ فِيهَا أَى فِي تِلْكَ الْحَسَنَةِ حُسْنًا بِأَنَّ نَجْعَلَ لَهُ ثَوَابًا فِي الْآخِرَةِ فَالْتَّصَدَّقْ- مَثَلًا- حَسَنًا فِي الدُّنْيَا، فَمَنْ تَصَدَّقَ نَزِيدَ صَدَقَتَهُ حَسَنَةً، بِجَعْلِ ثَوَابِ لَهَا فِي الْآخِرَةِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

(١) الاحتجاج: ج ١ ص ١٠٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٩

[سورة الشورى (٤٢): آية ٢٤]

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشِئِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَ يَمُحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَ يُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٤) لِلسِّيَّاتِ، فَلَا يُبَاسُ الْمَذْنَبُ مِنْ عَفْوِهِ وَ غَفْرَانِهِ- وَ هَذَا بِمُنَاسَبَةِ ذِكْرِ الْكُفَّارِ وَ الظَّالِمِينَ- شُكُورٌ يُشْكِرُ حَسَنَاتِ الْعِبَادَةِ، وَ شُكْرَهُ سُبْحَانَهُ، بِإِعْطَائِهِ الزِّيَادَةَ هُنَا، وَ الْأَجْرَ هُنَاكَ- وَ هَذَا بِمُنَاسَبَةِ ذِكْرِ الْمُؤْمِنِينَ الْعَامِلِينَ لِلصَّالِحَاتِ-

[٢٥] إِنَّ هَوْلَاءِ الْكُفَّارِ يَصْمُونَ عَنِ الْحَقِّ، وَ لَا يَنْظُرُونَ فِي الْأَدْلَةِ أَمْ أَى بَلْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ مُحَمَّدٌ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا حَيْثُ نَسَبَ الْقُرْآنَ إِلَيْهِ

كذبا، و هو من كلامه، و لكن هذا الكلام منهم كذب، إذ ليس الله سبحانه يدع أحدا يدعى النبوة، و يأتي بالخارقة، ثم يذره فإن يشأ الله حين يراك كاذبا- كما زعموا- يَخْتِمُ عَلَى قَلْبِكَ فلا تتمكن من تلاوة القرآن، كالظرف المختوم الذى لا يخرج منه شىء مما فيه و لا يهملك يا رسول الله هذا الافتراء منهم، فإنه يَمُحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ من أقوالهم و يزيله، فلا يتعلق به أحد، و لا يرى كلامهم صوابا و يَحِقُّ الْحَقُّ أى يظهر كونه حقا، إذ معنى «أحق» أثبت بِكَلِمَاتِهِ أى يظهر حقيقة الرسول، بما ينزله من القرآن الذى لا يتمكن أحد من الإتيان بمثله، فيبطل دعواهم، إذ لو كان الأمر، كما قالوا لتمكن فصحاؤهم من الإتيان بمثله إِنَّهُ تَعَالَى عَلِيمٌ أى عالم بِذَاتِ الصُّدُورِ أى بالأمر التى تدور فى صدورهم حولك لإبطال أمرك، فلا يترك مؤامراتهم و أفكارهم تنفذ فيك، و تطبق عليك، بل يحبطها و يبطلها.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٠

[سورة الشورى (٤٢): الآيات ٢٥ الى ٢٧]

وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٢٥) وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (٢٦) وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ نُنزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧)

[٢٦] و لا- ييأس هؤلاء الكفار عن رحمة الله و فضله و عفوه، فإن تابوا مما هم فيه، تاب عليهم و هو الله الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ فمن تاب و رجع إليه قبل توبته و يَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ أى المعاصى، و هذا فى مقابل أن يقبل التوبة، و يضم النائب إلى جماعته، لكنه ينتقم منه لما فعل سابقا و يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ أيها البشر من عصيان و طاعة و إدبار و توبة فلا يظن أحد أنه مختف عليه سبحانه، لا يرى سيئته، فيعاقبه، أو حسنته فيجازيه بالثواب.

[٢٧] و هو الذى يَسْتَجِيبُ أى يجيب الَّذِينَ آمَنُوا بالله و رسوله و عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فهو يعطى طلباتهم إن رأى ذلك صلاحا، و إلا أخرها إلى القيامة، كما ورد بذلك الأحاديث و يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ فليس إجابة الدعاء فحسب، بل إثابة على الدعاء، فمن طلب من الله ولدا أعطاه، و تفضل عليه بالثواب حيث دعاه، أو المراد أنه يزيد على الطلب لطفًا و كرمًا، فمن طلب ولدا أعطاه ولدين - مثلا- و الْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ فى مقابل المؤمنين لهم الإجابة و الفضل.

[٢٨] و إذ تقدم أنه سبحانه، يستجيب للمؤمنين، و يزيدهم من فضله، يأتي سؤال أنه، لماذا نرى حاجة كثير من المؤمنين و فقرهم، و إنهم يدعون ليل نهار؟ و الجواب و لَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ بَأْسَ وَسْعٍ عَلَيْهِمْ فى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣١

[سورة الشورى (٤٢): آية ٢٨]

وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (٢٨)

دار الدنيا، كما يريدون لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ ف إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغِي أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْجِلَ «١»، و لذا يضيق عليهم، حتى يحفظهم من البغى و التعدى و قد حكى: إن معدما سأل موسى أن يطلب من الله- فى مناجاته- أن يتفضل عليه، فلما سأل موسى، أجابه الله بذلك، و أعلمه أن التوسعة على هذا، لم يكن صلاحا، و إنما أجاب الدعاء، و حين رجع موسى من «الطور» رأى المعدم، و هو يؤخذ للقضاء، فقالوا: إنه أثرى فشرب الخمر و سكر، و قتل إنسانا فهو يؤخذ للقصاص و لَكِنْ يُنَزِّلُ اللَّهُ الرِّزْقَ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ مما يراه صلاحا، و إن قيل، فلما ذا يفقر بعض الصالحين، كالأنبياء، و يثرى بعض الفاسدين كالفراعنة؟ فالجواب، أن الفقر هناك، لترفع الدرجات، و هنا لإزهاق أرواح هؤلاء بالمال، حيث تظهر منهم بعض السيئات، فيستحقون التوسعة للنكال و العذاب إِنَّهُ تَعَالَى بِعِبَادِهِ جَمْعٌ عَبْدٌ خَيْرٌ مطلع على أحوالهم بَصِيرٌ يراهم، فهم تحت علمه الشامل، و رؤيته النافذة، و لذا يدبرهم على نحو الصلاح و الحكمة.

[٢٩] وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ أى المطر من السماء مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا أى بعد أن يسوا عن المطر، و جذبت أراضيهم، و قحلت و يَنْشُرُ رَحْمَتَهُ بإخراج النبات و الثمر، و تنمية الزرع و الضرع، فيرى الإنسان نعمه سبحانه، منتشرة فى سهول الأرض و جبالها و هُوَ الْوَلِيُّ الَّذِي

يلى شؤون عباده الحميد المحمود فى أفعاله، فما يتفضل به يستحق به

(١) العلق: ٧ و ٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٢

[سورة الشورى (٤٢): الآيات ٢٩ الى ٣٠]

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٢٩) وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ (٣٠)

الحمد والشكر.

[٣٠] وَمِنْ آيَاتِهِ الدَّالَّةُ عَلَىٰ وجوده، و سائر صفاته خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَمِنْ خَلْقِهِمَا، إِنَّهُ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَ مَا بَثَّ فِيهِمَا أَى نَشَرَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ تَدْبُ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ، أَوْ تَطِيرُ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ الْجَمْعُ قَدِيرٌ وَ الْمُرَادُ بِالْجَمْعِ، إِمَّا الْحَشْرَ - كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ «١»- وَ إِمَّا أَنْ يَجْمَعَهُمْ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَ هَذَا لِإِلْقَاءِ ظَلِّ قُوَى مِنَ الْقُدْرَةِ الْوَسِيعَةِ، فِي ذَهْنِ الْمُخَاطَبِ، حَتَّى أَنَّهُ سَبْحَانَهُ، يَتِمَكَّنُ مِنْ جَمِيعِ هَذِهِ الْكَثْرَةِ الْهَائِلَةِ الْمُتَشَتَّتَةِ مِنْ صَنُوفِ الْحَيَوَانَ.

[٣١] أَرَأَيْتُمْ فَضْلَ اللَّهِ وَ قُدْرَتَهُ؟ فَاعْلَمُوا أَنَّ انْحِرَافَكُمْ عَنْ مَنَاجِيهِ، يُوجِبُ التَّضْيِيقَ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، فَمَا يَصِيْبُكُمْ مِنَ الْأَذَى، إِنَّمَا هُوَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، وَ إِلَّا فَفَضْلُهُ سَبْحَانَهُ عَامٌ، كَمَا أَنْكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى الْفِرَارِ مِنْ بَأْسِهِ، إِذَا شَاءَ بِكُمْ الْأَذَى، فَإِنَّهُ صَاحِبُ الْقُدْرَةِ الْوَسِيعَةِ وَ مَا أَصَابَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ مُصِيبَةٍ مَالِيَةٍ أَوْ بَدَنِيَّةٍ، أَوْ غَيْرِهَا فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَ الْعَصِيَانِ، وَ النَّسْبَةُ إِلَى الْيَدِ لِأَنَّهَا الْعَامِلَةُ فِي تَحْصِيلِ الْكَثِيرِ مِنَ الْآثَامِ، كَالسَّرْقَةِ وَ الضَّرْبِ، وَ النَّهْبِ وَ الْقَتْلِ، وَ مَا أَشْبَهَ، وَ لَا يَخْفَى أَنَّ هَذَا الْعَامَ مُخَصَّصٌ بِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ كَسْبٌ سَيِّئًا، فَإِنَّ مَا أَصَابَهُ، إِنَّمَا هُوَ لَزِيْمَةٌ الْأَجْرِ وَ الْمَنْزَلَةِ، كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ عَقْلًا وَ نَقْلًا وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ فَلَيْسَ يَعَاقِبُ عَلَيْهَا.

(١) التكوير: ٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٣

[سورة الشورى (٤٢): الآيات ٣١ الى ٣٣]

وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٣١) وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَغْلَامِ (٣٢) إِنَّ يَسَاءَ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣)

[٣٢] وَ مَا أَنْتُمْ أَيُّهَا الْبَشَرُ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ أَى لَا- تَتِمَكَّنُونَ مِنْ تَعْجِيزِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، بَأَنَّ تَفْرُونَ مِنْهُ، فَلَا يَقْدِرُ عَلَىٰ عَقُوبَتِكُمْ الَّتِي اسْتَحَقَقْتُمُوهَا، وَ لَعَلَّ الْإِتْيَانَ ب «فِي الْأَرْضِ» لِلتَّعْمِيمِ، فَإِنَّ بَعْضَ الْمُجْرِمِينَ أَيْضًا، لَا يَتِمَكَّنُونَ مِنْ تَعْجِيزِ سُلْطَاتِهِمْ فِي الْبِلَادِ الَّتِي هُمْ مَسِيْطِرُونَ عَلَيْهَا، أَمَا عَدَمُ التَّعْجِيزِ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا، فَذَلِكَ خَاصٌّ بِهِ سَبْحَانَهُ وَ مَا لَكُمْ أَى لَيْسَ لَكُمْ أَيُّهَا الْبَشَرُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَى سِوَاهُ مِنْ وَلِيٍّ يَلِي أُمُورَكُمْ، وَ يَدْبُرُ شُؤْنَكُمْ، وَ يَدْفَعُ الْعَذَابَ عَنْكُمْ وَ لَا نَصِيرٍ يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، وَ هَذَا لِتَنْبِيهِ الْكُفَّارِ عَلَى أَنْ مَعَاصِيَهُمْ، لَا بَدَّ مِنَ الْجَزَاءِ عَلَيْهَا، فَلَا يَظُنُّوْنَ أَنَّهُمْ يَتِمَكَّنُونَ مِنَ الْفِرَارِ، أَوْ أَنَّ أَوْلِيَاءَهُمْ، يَتِمَكَّنُونَ مِنْ دَفْعِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ، أَوْ أَنَّ أَنْصَارَهُمْ يَقْدِرُونَ عَلَى التَّغْلِبِ عَلَى إِرَادَةِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ.

[٣٣] وَمِنْ آيَاتِهِ أَى آيَاتِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ الدَّالَّةُ عَلَى وجوده و سائر صفاته الْجَوَارِ جَمْعُ جَارِيَةٍ، وَ هِيَ السَّفِينَةُ، سَمِيَتْ بِهَا لِجَرِيَّتِهَا فِي الْمَاءِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَغْلَامِ جَمْعُ عِلْمٍ، وَ هُوَ الْجَبَلُ الطَّوِيلُ، فَمَنْ جَعَلَ الْمَاءَ بِحَيْثُ يَحْمِلُهَا، وَ مِنْ سَخَرِ الْهَوَاءِ، بِحَيْثُ تَجْرِيهَا إِلَى حَيْثُ تَشَاءُ؟

[٣٤] إِنَّ يَسَاءَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ يُسْكِنُ الرِّيحَ بَأَنَّ لَا تَتَحَرَّكُ فَيَظْلَلْنَ أَى تَلُكُ السَّفِينُ، وَ الْإِتْيَانَ بِضَمِيرِ الْعَاقِلِ، لَعَلَّهُ بِاعْتِبَارٍ مِنْ فِيهَا رَوَاكِدَ جَمْعُ رَاكِدَةٍ، وَ هِيَ الْوَاقِفَةُ فِي مَحَلِّهَا عَلَى ظَهْرِهِ أَى ظَهَرَ الْمَاءِ،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٤

[سورة الشورى (٤٢): الآيات ٣٤ إلى ٣٦]

أَوْ يُوبِقَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ (٣٤) وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (٣٥) فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦)

لا تتحرك من أماكنها، وهذا بالنسبة إلى السفن الهوائية لا البخارية إنَّ في ذلك الذي ذكر من تسخير الماء والهواء، لتسيير السفن لآياتٍ دلالات متعددة من البحر والرياح والسير، وغيرها لكلِّ صيَّارٍ يصبر عند البلاء شُكُورٍ يشكر عند النعماء، فإن مثل هذا الإنسان، الذي نضج عقله، حتى أنه صار صبارا شكورا، هو الذي يلتفت إلى هذه النعمة العظيمة، ويراها الدالة على وجود الله سبحانه، و سائر صفاته.

[٣٥] أو إن يشأ الله سبحانه يُوبِقَهُنَّ أي يهلك السفن، بأن يجعل الرياح عاصفه حتى تغرقها بما كَسَبُوا أي كسب أهلها من الكفر والعصيان وَيَعْفُ الله سبحانه عَنْ كَثِيرٍ فإذا أهلكهم، فبعض ذنوبهم لا بكلها، وإلا كان الكل مقتضيا، لإهلاك العاصي قبل ذلك، وإن رحمهم، فبعضه عن جميع الذنوب، بمعنى عدم معالجتهم بعقوبتها.

[٣٦] وهناك، إذا وقفت الرياح أو عصفت يَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا أي يجادلون لإبطال آياتنا ما لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ أي لا نجاه لهم من تلك التهلكة، وإنما خصهم، لأنهم هناك يعترفون، أما غيرهم، وهم المؤمنون، فاعترفهم دائم الأوقات.

[٣٧] وإذ بين الله سبحانه بعض نعمه على البشر في البر والبحر، ألقت الناس إلى أن كل هذه في جنب نعيم الآخرة، هين يسير فَمَا أُوتِيتُمْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٥

[سورة الشورى (٤٢): الآيات ٣٧ إلى ٣٨]

وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨)

أي أعطيتم أيها البشر مِنْ شَيْءٍ من هذه النعم فهي متاع الحياة الدنيا أي تتمتعون بها في الحياة القريبة الزائلة وَمَا عِنْدَ اللَّهِ والمراد عند رتبته، بل شرفها، وأعلى رتبته عن رتبة ما في الدنيا، وإفليس لله تعالى مكان خَيْرٌ من متع هذه الحياة وَأَبْقَى أي أكثر بقاء، لأنها تبقى دائم الأبد، وأنها لِلَّذِينَ آمَنُوا بأن صحت عقيدتهم وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ في أمورهم، وذلك دليل الإيمان، حيث يرون الله سبحانه، مالك كل شيء، وبيده أزمة كل شيء.

[٣٨] وَالَّذِينَ عَظِفَ عَلَى «الذين» والمعنى أن ما عند الله سبحانه، إنما هو لمن اتصف بهذه الصفات يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ مثل الزنى والقمار والربا، وترك الصلاة، والزكاة، وما أشبه، وإنما قال «كَبَائِرَ الْإِثْمِ» لأن الصغائر تقع من غير المعصوم، لا محالة وَالْفَوَاحِشَ هي المعصية الفاحشة التي تتجاوز الحد كثيرا، وكان هذا أعظم من الكبائر، أو المراد التي تسمى في العرف فاحشة، كالزنى واللواط والسحق وما أشبه وَإِذَا مَا غَضِبُوا «ما» زائدة للتأكيد أو مصدرية، أي حين الغضب هُمْ يَغْفِرُونَ ذنب الذي أوجب غضبهم، بأن أزدادوا على الحلم، عن المغضب غفران ذنبه.

[٣٩] وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ بأن أجابوه سبحانه في كل ما دعاهم إليه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٦

من أمور الدين وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ خصصها بالذكر لأهميتها، ولصعوبتها على الإنسان ولأنها إذا استقامت، نهت عن الفحشاء والمنكر بطبعها وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ يتشاورون في أمورهم، هي «فعلى» من المشاورة، وهي المفاوضة في الكلام ليظهر الحق، والمراد بالأمور، هي جميع شؤونهم، التي لم يجعل لها الله حدا خاصا، وذلك من المستحب، في الزواج، والبيع، والإجارة، والتعلم، و

الاكتساب، وغيرها، وقد تمسك بعض ممن تأثرت أفكارهم بأنظمة الغرب، بهذه الآية، لتصحيح الديمقراطية الغربية، من أحزاب، و برلمان، ومجلس الشيوخ، وانتخابات، وما أشبهه، وهذا بالإضافة إلى أنه غلط في نفسه، وإن وقع فيه كثير من بلاد الغرب، كما التلث «في الدين المسيحي» غلط وقعت فيه جماعات كثيرة، مخالف للإسلام، ولم يطبقه المسلمون في يوم من الأيام، وذلك دليل عدم فهمهم من الآية ذلك ولم يفسرها الرسول أو الأئمة عليهم السلام بذلك، فلنأخذ أهل السنة أنهم قالوا، بأن الرسول مات بلا تعيين، فأبو بكر خليفة بالقوة- كما يظهر ذلك لمن راجع تاريخ السقيفة- وعمر بالوصاية من أبي بكر فقط، وعثمان بجعل من عمر في سته فقط- وإن سماه شوري، وهل نصب الملوك لشخص في مشاورة سداسية تعتبر انتخابات على ما يريدون هؤلاء؟ وعلى عليه السلام بانتخاب الثوار وجماعة من أهل المدينة، وإن كثرت الأصوات له بالنسبة إلى سابقه نوعا ما، ومجىء على إلى الحكم، لأنه عرف نفسه أحق، لا لأنه انتخب، ولذا

قال في خطبة الشقشقية «و هو يعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي» و «أرى تراثي نهبا»

، و الحسن عليه السلام بالوصاية، أو انتخاب جماعة من أهل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٧

الكوفة، و معاوية بالسيف و يزيد بالوصاية، و هكذا دامت السيف و الوصاية إلى آخر خليفة عثمانى، و عمر بن عبد العزيز جاء بالوصاية، ثم بانتخاب أهل المسجد فقط- خوفا من السلطان، كما هو معلوم في مثل هذه الأحوال، قديما و حديثا- فأين من هذا «الديمقراطية» و إن طورها أحزاب اليوم ألف تطوير، لإلصاقها بالإسلام، و يظنون أنه فتح للإسلام، فبينما هو هدم لأقوى دعائمه، ثم لناخذ الشيعة: فنعتقد نحن أن الله كما عين الرسول، عين الأئمة الاثني عشر، ثم عين الأئمة الفقهاء الجامعين للشرائط، و كل ملك شيعي كان فقيها جامعاً للشرائط، أو كان مأذونا من فقيه جامع للشرائط فهو بحق أصالة أو وكالة، و كل من فقد هذين الوصفين، فهو باطل، و نرى في تاريخ ملوك الشيعة الأقسام الثلاثة، بدون أن يكون فيهم اسم انتخاب و لو في يوم واحد إلى آخر ملوك القاجار في إيران .. ثم إن الانتخابات بجميع صورها باطلة ليست من الإسلام، أما انتخابات هذا اليوم فهي أشنع و أبشع، و لذا أفتى علماء حول مجلس إيران، بأنه ضلال و انحراف، و أرادوا تحريره، فقتل «الشيخ فضل الله النوري» و «السيد عبد الله البهبهاني» و «الشيخ الآخوند المولى محمد كاظم الخراساني» فقد كان قصدهم من «المشروطة» التي أقدموا عليها، أن يكون للملك جماعة من العلماء العدول، أقلهم خمسة، و بعض الناضجين حين ما يريد إنفاذ حكم من أحكام الإسلام، و تطبيقه على الأمة، و أرادوا بذلك إحياء سنة الرسول، و سيرة الخلفاء و الملوك الأقدمين حيث كانت مجالسهم لا تخلو من علماء لإرشادهم سبيل الدين، و ناضجين لإرشادهم سبيل الدنيا- بالنسبة إلى غير النبي و الوصي- أما هما فاستشارتهم، كانت لجلب الخواطر، و لإفهم أغنى عن ذلك ... و أفتى علماء العراق حول

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٨

[سورة الشورى (٤٢): الآيات ٣٩ الى ٤٠]

وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٣٩) وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠)

مجلس الأمة، حين أراد «فيصل» فتحه بأمر الإنكليز، لهدم الإسلام، بأن «المنتخب و المنتخب كلاهما في النار» و قد لقوا جزاء فتياتهم تشريدا و تسميما و إهانة و هتكاً، فمن أراد اليوم إعادة «المجلس» أو «الانتخاب» أو «الديمقراطية» أو «الأحزاب» أو ما شابه ذلك، بزعم أنه خدمة للإسلام و خلاص للمسلمين، فليعلم- إن كان مخلصا- أنه يبنى من جديد لهدم الإسلام، في لباس الإسلام، و سيرى في الدنيا انقلاب الأمر عليه، و في الآخرة الخسارة و النكال، فإن هذا أساس غربي بحث لا يمت إلى الإسلام بصله أصلا، و من كان شاكا فليدرس الإسلام من جديد، لا على ضوء الأنظمة الغربية، و ما ارتكز في ذهنه من سموم الأجواء التي نشرها الغرب و عملائه، بل على ضوء الكتاب و السنة، و فتوى الفقهاء، الذين هم أعرف الناس بالإسلام و بنظمه و مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ من المال و العلم و الجاه، و غيرها- حسب عموم الآية- و إن كان المنصرف خصوص المال يُنْفَقُونَ في سبيل الله.

[٤٠] وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ أَى الظلم، بَأَن ظَلَمَهُمْ أَحَدُهُمْ يَنْتَصِرُونَ بَأَن يَنْتَقِمُوا مِمَّنْ تَعَدَى عَلَيْهِمْ، لثَلَا يَصِيْبُهُمُ الذَّلْ، وَ لثَلَا يَجْرَأُ الظالم على التمدادى فى غيه، إِنْ رَأَى الْبَابَ أَمَامَهُ مَفْتُوحًا، وَ غَيْرَ خَافٍ أَن هَذَا لَا يَنَافَى قَوْلُهُ «إِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ» فَكُلُّ شَيْءٍ مَجَالِهِ.

[٤١] ثَم بَيْنَ سَبْحَانِهِ حَدَّ الْإِنْتِصَارِ لثَلَا يَتَجَاوَزُ الْمَظْلُومُ عَلَى مَقْدَارِ مَا ظَلَمَ إِنْتِقَامًا وَ تَشْفِيًا وَ جَزَاءً سَيِّئُهُ يُوْرِدُهَا الظالم سَيِّئُهُ مِثْلَهَا يُوْرِدُهَا الْمَظْلُومُ، وَ سَمِيَتْ سَيِّئُهُ، مِنْ بَابِ الْمَزَاوِجَةِ، لِكُونَ الرَّدِّ شَبِيهَ التَّعَدَى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٩

[سورة الشورى (٤٢): الآيات ٤١ الى ٤٢]

وَ لَمَنْ ائْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢)

فى الشكلى، وَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فَمَنْ ائْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١) وَ قَوْلُهُ تَعَلَّمَ مَا فِى نَفْسِي وَ لَا أَعْلَمُ (٢) فَمَنْ عَفَا وَ أَصْلَحَ بَأَن عَفَا عَنِ الْمَعْتَدَى فِيمَا كَانَ ذَلِكَ ثَوَابًا، لَا عِقَابًا، بَأَن أَذَلَ نَفْسَهُ، وَ جَرَأَ الْمَعْتَدَى عَلَى التَّمَادَى فِى الْعَدْوَانِ، وَ أَصْلَحَ فِيمَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ اللَّهِ، بَأَن كَانَ عَفْوَهُ لِلَّهِ سَبْحَانَهُ، لَا لِغَايَةِ دُنْيَوِيَّةٍ، أَوْ أَصْلَحَ بَيْنَ عَدُوِّهِ وَ نَفْسِهِ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّهُ يَشْبِيهِ جَزَاءَ عَفْوِهِ وَ إِصْلَاحِهِ إِنَّهُ لَا يُجِبُّ الظَّالِمِينَ فَلَيْسَ تَرْغِيْبُهُ فِى الْعَفْوِ، لِأَنَّهُ أَخَذَ جَانِبَ الظَّالِمِ، بَلْ لِأَجْلِ، أَن بَعْضَ النَّاسِ يَصْلِحُهُمُ الْعَفْوُ أَكْثَرَ مِمَّا تَصْلِحُهُمُ الْعُقُوبَةُ، وَ لِأَنَّهُ مَوْجِبٌ لِعَظِيمِ مَثُوبَةِ الْمَظْلُومِ.

[٤٢] وَ لَمَنْ ائْتَصَرَ لِنَفْسِهِ مِنْ ظَالِمَةٍ، بَأَن رَدَّ ائْتِدَائِهِ بِالْمِثْلِ بَعْدَ ظُلْمِهِ أَى بَعْدَ أَن ظَلَمَهُ الظالم فَأُولَئِكَ الْمُنْتَصِرُونَ، وَ إِنَّمَا جِئْتُ بِالْجَمْعِ، بِاعْتِبَارِ مَعْنَى «مَنْ» وَ قَدْ تَقَرَّرَ فِى الْأَدَبِ أَنَّهُ يَجُوزُ فِى مَنْ وَ مَا مَرَاعَاةَ اللَّفْظِ، وَ الْمَعْنَى مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ أَى مِنْ إِثْمٍ وَ عِقَابٍ فِى الْآخِرَةِ، لِأَنَّهُ أَخَذَ حَقَّهُ وَ لَمْ يَتَّعَد.

[٤٣] إِنَّمَا السَّبِيلُ فِى عِقَابِ الدُّنْيَا بِوَسْطَةِ السُّلْطَانِ وَ عِقَابِ الْآخِرَةِ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ ابْتِدَاءً وَ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ أَى

(١) البقرة: ١٩٥.

(٢) المائدة: ١١٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٠

[سورة الشورى (٤٢): الآيات ٤٣ الى ٤٤]

وَ لَمَنْ صَبَرَ وَ غَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٣) وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَ لِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَ تَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ (٤٤)

يُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ، وَ إِنَّمَا جِئْتُ بِ «فِى الْأَرْضِ» لِإِيَانِ أَنَّ كُلَّ بَغْيٍ، إِنَّمَا يَظْهَرُ أَثَرُهُ فِى الْأَرْضِ، وَ أَنَّ ظَنَّهُ الظالم صَغِيرًا مَوْضِعِيًّا «١» بِغَيْرِ الْحَقِّ فَإِنَّ كُلَّ بَغْيٍ بَغْيٌ الْحَقِّ وَ إِنَّمَا جِئْتُ بِهَذَا الْوَصْفِ، لِإِظْهَارِ الْبِشَاعَةِ، وَ تَعْلِيلِ «إِنَّمَا السَّبِيلُ» أُولَئِكَ الْبَاغُونَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ مَوْجِبٌ فِى الدُّنْيَا بِالْحَدِّ وَ التَّعْزِيزِ، وَ فِى الْآخِرَةِ بِالنَّارِ وَ النِّكَالِ.

[٤٤] وَ لَمَنْ صَبَرَ عَلَى الْأَذَى وَ غَفَرَ أَى عَفَى عَنِ الْمُؤْذَى- فِيمَا كَانَ الْغَفْرَانُ خَيْرًا- إِنَّ ذَلِكَ مِنْهُ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ أَى الْأُمُورِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى عَزِيمَةٍ قَوِيَّةٍ فِى النَّفْسِ، وَ لَيْسَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَأْتِي عَفْوِيًّا، حَسَبَ إِرَادَةِ عَادِيَّةٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ بِحَاجَةٍ إِلَى شَجَاعَةٍ نَفْسِيَّةٍ فَائِقَةٍ.

[٤٥] وَ بَعْدَ اسْتِعْرَاضِ صُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِى دُنْيَاهُمْ وَ آخِرَتِهِمْ، يَأْتِي السِّيَاقُ لِنَقْلِ حَالِ الْكَافِرِينَ فِى النَّشْأَتَيْنِ وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ بَأَن يَتْرَكَهُ وَ شَأْنَهُ، بَعْدَ أَن أَرَاهُ الطَّرِيقَ فَلَمْ يَسْلُكْهُ، وَ هَذَا هُوَ مَعْنَى الْإِضْلَالِ، كَمَا سَبَقَ فَمَا لَهُ مِنْ وَ لِيٍّ يَلِي أُمُورَهُ، وَ يَأْخُذُ بِيَدِهِ مِنْ بَعْدِهِ أَى مِنْ بَعْدِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، إِذْ لَا- هَادِي إِلَّا- اللَّهُ تَعَالَى وَ تَرَى يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ أَيُّهَا الرَّائِي الظَّالِمِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ وَ الْعِصْيَانِ، لَمَّا رَأَوْا

العذاب يوم القيامة يُقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ أَىٰ رَدٍ إِلَىٰ الدنیا، فإن

(١) العدالة الإسلامية للمؤلف.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤١

[سورة الشورى (٤٢): آية ٤٥]

و تَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ (٤٥)

«مرد» مصدر ميمي من سبيل تمنيا منهم للرجوع إلى الدنيا، حتى يعملوا صالحا- بظنهم-.

[٤٦] وَ تَرَاهُمْ أَى تَرى الظالمين يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا أَى النار، و المعنى تعرض النار عليها، و إنما جىء هكذا، لأنهم يذهب بهم من عند النار أو من باب «القلب» كقوله «كما طينت بالفدن السباعا» خاشعين أى متواضعين من الذل الذى أخذهم حيث وجدوا مرارة النكال و الحكم، عليهم بالعذاب و الهوان يَنْظُرُونَ إذا أرادوا النظر إلى شىء من طَرْفٍ خَفِيٍّ فإن الإنسان الذى لم يجرم ينظر إلى الإنسان و الأشياء بكل عينه، أما المجرم فإنه يختلس النظر بخفاء، لئلا يراه أحد فيشتمه أو يؤذيه، أو يخجل منه، فإن الحياة غالية فى العين و قَالَ الَّذِينَ آمَنُوا تعريضا بهم و جوابا لما قال الظالمون لهم، فى الحياة، بأنهم يخسرون بسبب الإيمان سعادتهم و مستقبلهم إِنَّ الْخَاسِرِينَ هم الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ حيث عذبوها و أوقعوها فى النار و أَهْلِيهِمْ حيث فارقوهم، سواء كانوا من أهل الجنة، أو من أهل النار يَوْمَ الْقِيَامَةِ فإن هذا هو الخسارة الكبرى، لا ذهاب بعض المنافع الدنيوية، كما كان يقول الكفار للمؤمنين، فى دار الدنيا أَلَا فليتنبه السامع إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ لا يتحول عنهم أبدا، و المراد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٢

[سورة الشورى (٤٢): الآيات ٤٦ الى ٤٧]

وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ (٤٦) اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ (٤٧)

بالظالمين المعاندين من الكفار، فإنهم هم المخلدون.

[٤٧] وَمَا كَانَ لَهُمْ أَى للظالمين مِنْ أَوْلِيَاءٍ جمع ولى، أى أصدقاء و أحباء يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أى من عذاب الله، بأن يدفعوا عنهم عذابه و نكاله، أو أن «من دون الله» متعلق ب «أولياء» أى لا ولى غير الله، ينصر و مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ بأن يتركه و شأنه، بعد أن أراه الطريق، فلم يهتد فما له مِنْ سَبِيلٍ يوصله إلى المقصد، و هو السعادة، إذ السبيل الوحيد، هو سبيل الله، فإذا تركه الإنسان، لم يكن هناك سبيل آخر يوجب النجاة و الخلاص.

[٤٨] اسْتَجِيبُوا أَيها الناس، و لعل الإتيان من باب «الاستفعال» لفرض بيان أن الإجابة يلزم أن تكون من القلب بطلب و إرادة، لا مجرد إجابة لفظية، و عمل سطحي لِرَبِّكُمْ بالإيمان به، و إطاعة أوامره مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ هو يوم القيامة لا مَرَدَّ لَهُ أى لا رجوع لذلك اليوم، بأن يتأخر عن مواعده، حتى يجد العصاة فرصة لاستئناف العمل من الله إما بمعنى، إن الله لا يردده، أو أنه لا يرد على الله، بأنه يردده أحد خلافا لإرادة الله ما لَكُمْ أَيها البشر مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ تلجئون إليه، و تقون أنفسكم بسببه عن عذاب ذلك اليوم و مَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ أى منكر ينصركم، أو إنكار: بمعنى أنكم لا تقدرتون على الاستنكار

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٣

[سورة الشورى (٤٢): آية ٤٨]

فَبِأَنِ اعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَ إِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَ إِن تَصَبَّهْمُ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ

أَيَّدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ (٤٨)

لشدة الهول و الفرع، أو لما ترون من عدم الفائدة في إنكاره.

[٤٩] فَإِنْ أَعْرَضُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، و لم يؤمنوا فلا يهملك أمرهم، و لا تذهب نفسك عليهم حسرات، إذ ما أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا أَى مأمورا بحفظهم حتى يكون خروجهم خلافاً لمسئوليتك، و ما كلفت به إِنْ عَلَيَّكَ أَى ما عليك يا رسول الله إِلَّا الْبَلَاغُ فَأنت مأمور بالتبليغ و الإرشاد، و قد فعلت ذلك و هؤلاء بعداء عن الإيمان، لما جلبوا عليه من البطر حالة الرخاء و الكفر حالة البلاء و كيف هؤلاء يخالفون حتى يتلوا بالنار- مع هذا الطبع الرقيق الذى لا يتحمل نعمة و لا شدة-؟ ف إِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ وَ الْمَرَادُ بِهِ هَؤُلَاءِ، لا كل إنسان، و إنما جرى باللفظ العام، لأن ذلك هو الطبع الغالب مِنَّا رَحْمَةً أَى أوصلنا إليه من طرفنا رحمة فَرِحَ بِهَا أَى بطر و تجاوز الحد، كما قال له قومه لا تَفْرَحِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ «١» وَ إِنْ نَصَبْنَا لَهُمْ سَيِّئَةً أَى صفة تؤهم كالفقر و المرض و الخوف، و ما أشبه بما قَدَمَتْ أَيَّدِيهِمْ أَى كانت تلك السيئة جزاء لبعض أعمالهم، و النسبة إلى «اليد» لأنها العضو الغالب فى الإتيان بالأفعال، و إلا فالمراد كل معصية فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ يجزع من البلاء، و ينسى النعماء.

(١) القصص: ٧٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٤

[سورة الشورى (٤٢): الآيات ٤٩ الى ٥١]

لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَ إِنَاثًا وَ يَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠) وَ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥١)

[٥٠] و النعم كلها من الله سبحانه، حتى أعظم النعم التى توجب امتداد الإنسان- و هى الذرية- فلم يبتعد الإنسان عن الله، و هو المنعم و المتفضل عليه؟ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ فهو خالقهما و مالكهما، و المراد الظرف و المظروف معا يَخْلُقُ ما يَشَاءُ فله الملك، و بيده الخلق، و منه الإعطاء، و المنع يَهَبُ أَى يعطى على وجه الهبة المجانية لِمَنْ يَشَاءُ من الناس إِنَاثًا جمع أنثى، أى البنات، و المراد بالجمع الجنس- و قد سبق، أن كلا من الجمع و الجنس، يخلف الآخر فى المعنى- وَ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ جمع ذكر، أى البنين.

[٥١] أَوْ يُزَوِّجُهُمْ أَى يجمع لهم، يقول العرب: زوجت إبلى، أى جمعت بين كبارها و صغارها ذُكْرَانًا وَ إِنَاثًا فيعطيهن من الجنسين، إما فى بطن واحد، أو بطون متعددة وَ يَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ من الرجال أو النساء عَقِيمًا لا يصير له ولد، إما بضعف منى الرجل، أو ضعف رحم المرأة إِنَّهُ سَبَّحَانَهُ عَلِيمٌ بِالْمَصَالِحِ قَدِيرٌ لما يشاء.

[٥٢] و إذ تقدم جملة من شؤون المعاد، و الألوهية، جاء السياق لبيان بعض شؤون الرسالة، كما هى العادة فى السور المكية، تبين من كل هذه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٥

[سورة الشورى (٤٢): آية ٥٢]

وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَ لَا الْإِيمَانُ وَ لَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢)

الأصول نتفا و أطرافا، و قد كان الكفار يطلبون من الرسول أن يروا الله يكلمهم و جها لوجه، حتى يصدقوا كما قالوا لَوْ لَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ «١» فجاء الجواب و ما كان لِبَشَرٍ أَى لا يمكن للبشر مهما كان عظمه و قدره أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ وَ جها لوجه، فإنه سبحانه لا يمكن رؤيته، إذ ليس جسما، و لا- جسمانيا، حتى يرى إِلَّا وَحْيًا بأن يلقى فى قلبه إلقاء، فإن أصل الوحي، هو الإلقاء الخفى بحيث لا- يعرفه غير

المخاطب أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ بَأَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ مَعَهُ، وَ لَا يَرَاهُ تَعَالَى، فَكَانَ حِجَابًا فَاصِلًا بَيْنَهُمَا، وَ هَذَا كِنَايَةٌ عَنْ عَدَمِ الرَّؤْيَةِ أَوْ يُوسِّلُ سُبْحَانَهُ رَسُولًا أَى مَلَكًا، لِيَكَلَّمَ الْإِنْسَانَ عَنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَيُوحِي بِوَأَسْطَةِ ذَلِكَ الْمَلِكِ أَوْ يُوْحِي الْمَلِكِ، وَ يَلْقَى فِي قَلْبِ الرَّسُولِ بِإِذْنِهِ أَى بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَشَاءُ مِنَ الْمَعَارِفِ وَ الْأَحْكَامِ، وَ الْإِتْيَانِ بِلَفْظِ «بِإِذْنِهِ» لِإِفَادَةِ، أَنْ كَلَّمَ مِنْ مَجِيءِ الْمَلِكِ، وَ تَكَلَّمَ مَعَ الرَّسُولِ، بِحَاجَةٍ إِلَى الْإِذْنِ وَ الْأَمْرِ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيَّ أَى رَفِيعٍ عَنْ إِدْرَاكِ الْبَشَرِ، فَلَا يَرَاهُ أَحَدٌ حَكِيمٌ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ فَلَا يَكَلِّمُ أَحَدًا إِلَّا الرَّسُولَ، أَوْ مَا أَشْبَهَهُ، أَمَا أَنْ يَكَلِّمُ كُلَّ أَحَدٍ، فَلَيْسَ ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ لِعَدَمِ قَابِلِيَّةِ مَطْلُقِ الْبَشَرِ لِكَلَامِ اللَّهِ مُبَاشَرَةً.

[٥٣] وَ كَذَلِكَ أَى كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ، أَوْ بِمَعْنَى هَكَذَا-

(١) البقرة: ١١٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٦

على تقريب تقدم بيانه- أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ رُوحًا وَ الْمَرَادُ بِهِ الشَّرِيعَةُ، إِذْ هِيَ رُوحُ الْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ بَدُونَ الشَّرِيعَةِ، كَالْمَيْتِ الَّذِي لَا يَعْقِلُ، وَ لَا يَشْعُرُ، وَ لَا يَبْصُرُ، وَ لَا يَسْمَعُ، إِذْ هُوَ خَالٍ عَنِ الْحَقَائِقِ الْكُونِيَّةِ، ضَالٌّ عَنِ طَرِيقِ الرُّشْدِ مِنْ أَمْرِنَا أَى نَاشِئًا تِلْكَ الرُّوحِ مِنْ أَمْرِنَا وَ إِرَادَتِنَا، فَهُوَ صَادِرٌ عَنَّا، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ، قَدْ يَعْطَى مِنْ نَفْسِهِ، وَ قَدْ يَعْطَى مِنْ غَيْرِهِ، وَ مَا يَعْطَى مِنَ النَّفْسِ، أَكْثَرُ خَيْرًا وَ تَكْرَمَةً، وَ لَعَلَّ الْإِتْيَانَ، بِ «مِنْ أَمْرِنَا» لِيَبَيِّنَ ذَلِكَ مَا كُنْتَ تَدْرِي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْكِتَابُ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْكَ وَ لَا الْإِيمَانُ قَبْلَ أَنْ تَتَلَقَّنَهُ، وَ مِنَ الْبَدِيهِى أَنْ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ قَبْلَ إِقْدَاءِ اللَّهِ إِلَيْهِ الْكِتَابِ وَ الْإِيمَانَ، لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهُمَا، وَ إِنَّمَا الْكَلَامُ فِي أَنْ الْآيَةَ سَاكِنَةٌ عَنْ وَقْتِ ذَلِكَ، وَ الظَّاهِرُ أَنَّهُ قَبْلَ خَلْقِ الْعَالَمِ، فَهُوَ حِكَايَةٌ عَنْ ابْتِدَاءِ خَلْقِ الرَّسُولِ فِي الْعَوَالِمِ الْعُلُويَّةِ، كَمَا وَرَدَ «كُنْتُ نَبِيًّا، وَ آدَمَ بَيْنَ الْمَاءِ وَ الطِّينِ»

«١» وَ لَكِنْ نَحْنُ الَّذِينَ أَعْلَمْنَاكَ جَعَلْنَا أَى جَعَلْنَا الْإِيمَانَ- بِاعْتِبَارِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا- نُورًا لِدَرْوَبِ الْحَيَاةِ الْمُظْلَمَةِ نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنَ الَّذِينَ يَقْبَلُونَ الدَّعْوَةَ، فَالْمَرَادُ بِالْهَدَايَةِ: الْأَلْطَافِ الْخَاصَّةِ، أَمَا إِرْشَادِ الطَّرِيقِ، فَهُوَ عَامٌ لِكُلِّ أَحَدٍ مِنْ عِبَادِنَا جَمْعَ عَبْدٍ وَ إِنْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَتَهْدِي وَ تَرشُدَ

(١) مفتاح الفلاح: ص ٤١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٧

[سورة الشورى (٤٢): آية ٥٣]

صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (٥٣)

النَّاسِ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ لَا التَّوَأءَ فِيهِ، وَ لَا انْحِرَافَ، فَكُتَابُكَ نُورٌ، وَ أَنْتَ هَادٍ، وَ الدَّرَبُ الَّذِي تَهْدِي إِلَيْهِ، صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ مُوَصَّلٌ إِلَى السَّعَادَةِ.

[٥٤] صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي قَرَّرَهُ وَ جَعَلَهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ فَلَهُ التَّكْوِينُ وَ لَهُ التَّشْرِيعُ وَ الْمَبْدَعُ الْمَكُونُ أَعْلَمُ بِمَا يَصْلُحُ مِمَّا يَفْسُدُ، وَ لِذَا فَإِنَّ نِظَامَهُ أَفْضَلُ الْأَنْظِمَةِ، وَ أَصْلَحُهَا لِلْبَشَرِ أَلَّا فَلْيَتَّبِعِ السَّمْعَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ فَمَنْهُ الْبَدءُ، وَ إِلَيْهِ الْخِتَامُ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٨

٤٣ سورة الزخرف مكية / آياتها (٩٠)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على لفظه «زخرف» وهى كسائر السور المكية بصدد بيان العقيدة، والاستدلال عليها و حيث ختمت سورة الشورى بذكر القرآن، ابتدأت هذه السورة بذلك.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الله، تيمنا، فإن الشعار يؤثر في الشيء تأثيرا خارجيا، لأن الإنسان يعامل بشعاره، و واقعا فإن لكل من الرحمن و الشيطان جنودا، فإذا ذكرت الله وحده فرت جنود الشياطين منهزمين، و الرحمن الرحيم و صفان جيء بهما لأجل استمطار شآبيب الرحمة من ساحة القدس، فمن ذكر الله بوصف طالبا منه تعالى أن يفضل عليه أعطاه كما قال وَ قَالَ رَبُّكُمْ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ «١».

(١) غافر: ٦١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٩

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ١ إلى ٥]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم (١) وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ (٤)
أَفَنضِرْبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ (٥)

[٢] حم «حاء» و «ميم» و ما أشبههما من سائر حروف الهجاء مادة هذا القرآن المعجز الذي لا يتمكن البشر من الإتيان بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا، أو رمز بين الله و الرسول، أو غيرهما من سائر الأقوال.

[٣] وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ أى قسما بهذا القرآن الواضح الذى يظهر الحق و يبينه.

[٤] إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا أى بلغة العرب، حين اختار منهم من يحمل هذه الرسالة، و اختار محلهم منبثقا لهذا الوحي الثمين لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ و هذا هو المقسم به، أى أن الغاية من إنزال القرآن عربيا تعقلكم و تفهمكم للحقائق، يا معشر العرب.

[٥] وَإِنَّهُ هذا القرآن فى أُمِّ الْكِتَابِ و هو اللوح المحفوظ، و إنما سُمى بذلك لأنه أصل الكتب السماوية و غيرها، حيث إن كل شيء مدرّج فيه على نحو الصواب و الحكمة، فهو المرجع الوحيد الصحيح، كالأم التى هى أصل الإنسان، و منها جاء و إليها يأوى لمدّينا أى الذى عندنا لَعَلِيَّ أى رفيع ذو قيمة و رتبة حكيمة قد وضع الأشياء موضعها اللائق بها من تشريع و أخبار و بيان و غيرها، فإن الحكمة وضع الأشياء موضعها اللائقة بها، و يسمى الكتاب حكيما باعتبار اشتماله على الأشياء الحكيمة.

[٦] و إذا كان هذا القرآن بهذه المثابة، فهل ترفع اليد عنه بمجرد أن جماعته

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٠

تقريب القرآن إلى الأذهان ج ٥ ٩٩

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٦ إلى ٨]

وَ كَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ (٦) وَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٧) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَ مَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (٨)
كذبوا به و أسرفوا فى الابتعاد عنه؟ أَفَنضِرْبُ عَنْكُمْ يا معشر الناس الذِّكْرَ أى القرآن صِفْحًا أى أترك الوحي؟ و أصله من ضرب الحيوان على صفحة وجهه ليميل عن طريقه إلى ما يراه، ثم استعمل فى كل تحريف لشيء عن الطريق أَنْ كُنْتُمْ أى لأجل أنكم كنتم قَوْمًا مُّسْرِفِينَ تسرفون و تجاوزون فى الكفر و العصيان؟ كلا! لا يكون هذا، فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هؤُلاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ «١» بالإضافة إلى أنه إتمام الحجّة، و توضيح للمحجّة.

[٧] و ليس هذا الأمر غريبا من هؤُلاءِ فقد كانت عادة الأمم تكذيب الأنبياء وَ كَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فى الْأَوَّلِينَ فى الأمم الماضية، و «كم» خبرية للتكثير.

[٨] وَ مَا يَأْتِيهِمْ أى الأولين مِنْ نَبِيٍّ من: لتعميم النفي إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ فإن الجهال إذا انقطعوا عن الحجّة استهزءوا و تمسخروا حتى يغلبوا خصمهم بسبب انهيار أعصابه أمام الاستهزاء، فلا يتمكن من مواصلة الاحتجاج.

[٩] فَأَهْلَكْنَا بسبب الاستهزاء و عدم الإيمان أَشَدَّ مِنْهُمْ أى من هو

(١) الأنعام: ٩٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥١

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٩ الى ١٠]

وَلَيْنُ سَاءَ لَتْهُمُ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَ جَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠)

أشد من هؤلاء القوم بَطْشًا أى قوة و منعه، فلا يغتر هؤلاء المشركون بالقوة و العدة، فإنها أمام إرادة الله سبحانه لا مجال لها و مَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ أى قد سلف فى القرآن أمثال أولئك الأقوام الذين أهلكتناهم، و قصصهم، فقد سبق شباهة أولئك الكفار السابقين بهؤلاء الكفار من قومك.

[١٠] و إذ قدم بعض الكلام حول الرسالة و القرآن يأتى الكلام حول التوحيد و لَيْنُ سَأَلْتُهُمْ أى سألت هؤلاء الكفار يا رسول الله مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ هل هو الله أم الأصنام؟ لم يجدوا بدًا من الاعتراف بالحقيقة، لأنهم لا يجدون سبيلا إلا القول بكون الخلق للأصنام ف لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ و الإتيان بضمير العاقل، أما من جهة تغليب من فيها عليها، أو لما قالوا من جواز الأمرين - من «هن» و «ها» فى غير العاقل - الْعَزِيزُ الْغَالِبُ فى سلطانه الْعَلِيمُ بكل شىء فإن هذا الخلق المدهش لا يمكن إلا أن يكون من صنع قادر عالم، و الأصنام عاجزة جاهلة.

[١١] الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا أى محلا للسكنى، فتستقرون فيها- و هذا من باب الالتفات المذكور فى علم البلاغة- وَ جَعَلَ لَكُمْ أَيُّهَا الْبَشَرُ فِيهَا أى فى الأرض سُبُلًا جمع سبيل و هو الطريق،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٢

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ١١ الى ١٣]

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١١) وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لَيْسَ تَتَوَوَّأَ عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَ تَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَ مَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣)

ليتمكن الإنسان من السير و السفر لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ إلى خالقكم حيث ترون هذه الآثار الباهرة الدالة على عالم قدير حكيم.

[١٢] وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً أى المطر، و المراد بالسماة جهة العلو بِقَدَرٍ فليس المطر - على ما يزعمه الغافل - يكون بكثرة لا قدر لها، فإن الله قد حسب ذلك حسابا دقيقا، و أنزله بقدر الحاجة لا زائدا و لا ناقصا فَأَنْشَرْنَا بِهِ أى أحيينا بسبب المطر بَلْدَةً مَيِّتًا أى جافة يابسة لا - حركة فيها، كالميت الذى لا حراك له، و الإحياء إنما هو بإخراج النبات و الثمار، و المراد أرض البلدة التى فى أطرافها، و إنما أضيف الإحياء إليها لأنها المنتفعة بالمطر كَذَلِكَ أى رأيتم من إحياء الأرض بعد موتها تُخْرَجُونَ أنتم من القبور بعد الموت للنشر و القيامة.

[١٣] وَالَّذِي خَلَقَ الْمَأْزُوجَ كُلَّهَا أى الذكر و الأنثى من الإنسان و الحيوان و النبات و المعدن و غيرها، أو المراد بالأزواج الأصناف وَ جَعَلَ لَكُمْ أى لِمَنَافِعِكُمْ مِنَ الْفُلْكِ أى السفن و الْأَنْعَامِ الإبل ما تَرْكَبُونَ عليه فى البحر و البر، و إنما قال من «الفلك» لأن بعض السفن ليست صالحة للركوب كما أن بعض الأنعام كالغنم مثلا كذلك.

[١٤] لَيْسَ تَتَوَوَّأَ أى تركبوا باستواء بلا صعوبة التمايل و الانحراف

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٣

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ١٤ الى ١٥]

وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (١٤) وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ (١٥)

على ظُهُورِهِ أى ظهور ما جعل لكم من الفلك والأنعام، و يسمى محل الركوب ظهرا، باعتبار باطن السفينة و الحيوان، الذى هو داخل فيهما لا- يمكن و لوجه أو الاستقرار فيه ثُمَّ تَذَكَّرُوا أى تذكروا و يأتى إلى ذهنكم نِعْمَةً رَبِّكُمْ التى أنعم عليكم إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ فتشكروه على تلك النعمة وَتَقُولُوا فى ذكركم سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا أى أنزهه عن المثل و الشريك و القبائح، «هذا» يعنى المركب سفينه كانت أم حيوانا وَ مَا كُنَّا لَهُ أى لهذا المركب مُقْرِنِينَ أى مطيقين مقارين له، فلو لا تسخير الله إياه لنا، لم نتمكن من ركوبه، فَإِنَّ الْإِقْرَانَ الْإِطَاقَةَ يقال أقرنت لهذا البعير أى أطقته.

[١٥] وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ أى راجعون، من انقلب، بمعنى تغيير حاله من حال إلى حال، و هذا من باب تذكّر الجنازة و سفر الآخرة، من المركب و سفر الدنيا- و ذلك من تتمّة الدعاء الذى يقال عند ركوب المركب-.

[١٦] وَ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَاتِ الْكُونِيَّةِ جَعَلُوا أى جعل الكفار لَهُ تعالى مِنْ عِبَادِهِ وَ هُم الْمَلَائِكَةُ وَ الْمَسِيحُ وَ عَزِيزٌ جُزْءًا فَقَالُوا إِنَّهُمْ أَوْلَادُ اللَّهِ، فَإِنَّ الْوَلَدَ جُزْءٌ مِنَ الْوَالِدِ، لِأَنَّهُ خَلَقَ مِنْ دَمِهِ السَّائِلَ فى عروقه إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ أى كثير الكفر، فيكفر بالله تعالى فى كل أمر.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٤

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ١٦ الى ١٧]

أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ (١٦) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧) فى ذاته، فى صفاته، فى توحيدهِ فى الرسالة، فى المعاد مُبِينٌ أى بين الكفر ظاهره.

[١٧] ثُمَّ إِنَّ الْكُفَّارَ قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ فَيَأْتِي السِّيَاقَ لِاسْتِنكَارِ قَوْلِهِمْ هَذَا، بِالْإِضَافَةِ إِلَى اسْتِنكَارِ أَصْلِ اتِّخَاذِهِ- سَبْحَانَهُ- وَلِذَا أَمْ اتَّخَذَ أى هل اتخذ الله سبحانه مِمَّا يَخْلُقُ مِنْ صُنُوفِ الْخَلْقِ بَنَاتٍ بِأَنْ جَعَلَ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتًا لَهُ وَ أَصْفَاكُمْ أى أخلصكم بِالْبَنِينَ فلو كانت البنت مكروهة- كما فى عرفكم- كيف تنسبون المكروه إليه، و تقولون إنا مختصون بالذكور؟ و هل هذا إلا تنزيل لقدر الله دون مرتبتكم.

[١٨] وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ أى أحد هؤلاء الكفار الذين قالوا إن الملائكة بنات الله بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا أى بما جعل شبها لله، فإن ولد كل شىء شبهه و نظيره، و المراد إذا بشر أحدهم بأن ولدت زوجته بنتا له ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا أى انقلب وجهه إلى السواد لكثرة الغم الذى يصيبه من هذه البشارة، فإن الإنسان إذا اغتاظ، توجه الدم إلى وجهه، و حيث إن الدم يضرب إلى السواد يظهر من تراكمه لون السواد، و لعل التعبير ب «ظل» لبيان دوام الاسوداد فى وجهه مدة أيام، لكثرة الحنق و الغيظ وَهُوَ كَظِيمٌ أى مملوء غضبا، كاظما نفسه، لثلا يبدو منه ما ينافى شأنه.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٥

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ١٨ الى ١٩]

أَوْ مِمَّنْ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨) وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْتَلُونَ (١٩)

[١٩] فكيف يجعل هؤلاء الكفار البنت التى يكرهونها بهذا النحو من الكره لله سبحانه؟ أ وَ الهمزة للاستفهام و الواو للعطف أى هل هؤلاء الكفار يجعلون لله مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ أى يكبر و يتربى فى الزينة، و هى البنت فإنها تزين بالملابس و الذهب و الفضة من صغرها حتى تكبر وَهُوَ فِي الْخِصَامِ أى فى المخاصمة و الاحتجاج غَيْرُ مُبِينٍ غير متمكن من إظهار حجتها و دليلها، فإن المرأة حيث يغلب عليها جانب العاطفة لا تتمكن أن تقاوم الرجل الذى غلب عليه جانب العقل و الاتزان، و إنما جىء بالضمائر مذكرا باعتبار «من» و قد جاز فى «من» و «ما» مراعاة اللفظ و المعنى، و الحاصل أنه كيف يجعل هؤلاء لله البنات الناعمة جسدا، العاجزة حجة، و يجعلون

لأنفسهم البنين العاملين الأقوياء في الحجاج، و هل هذا إلا انتخاب الشيء الحقيق - بنظرهم - لله تعالى، و اختيار الرفيع لأنفسهم؟ [٢٠] ثم صرح سبحانه بذلك بقوله وَ جَعَلُوا أَى هؤلاء الكفار الملائكة الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ كسائر العبيد إناثاً بأن زعموا أنهم بنات الله أَ شَهِدُوا خَلَقَهُمْ أَى هل حضر هؤلاء الكفار خلق الملائكة حتى رأوا بأنهم إناث؟ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ بهذا الكذب الشائن، و لعل الإتيان ب «السين» لما ورد من تأخير كتابة العصيان مدّة، رجاء أن يتوب الإنسان، فلا تكتب السيئة في ديوانه وَيَسْتَلُونَ عن هذه الشهادة يوم القيامة من أين قالوها؟

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٦

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٢٠ الى ٢٣]

وَ قَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠) أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (٢١) بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (٢٢) وَ كَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٣)

[٢١] و قد كان الكفار يعبدون الملائكة و قالوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ بأن يمنعنا عن عبادتهم، و قالوا ذلك في جواب المؤمنين الذين اعترضوا عليهم و كيف تعبدون الملائكة؟ ما لَهُمْ بِذَلِكَ بأن الله شاء عبادة الملائكة مِنْ عِلْمٍ فمن أين لهم أن يشبوا أن الله شاء عبادتهم للملائكة؟ إِنْ هُمْ أَى ما هم إِلَّا يَخْرُصُونَ أى يكذبون في نسبة المشيئة إليه سبحانه.

[٢٢] أَمْ آتَيْنَاهُمْ أَى هل أعطينا و أرسلنا إلى هؤلاء عباد الملائكة كِتَابًا فيه أن اعبدوهم - بأن لم يعلموا المشيئة عقلا و إنما علموها نقلا- مِنْ قَبْلِهِ أَى من قبل هذا القرآن الناهى لهم عن ذلك فَهُمْ بِهِ أَى بذلك الكتاب مُسْتَمْسِكُونَ متمسكون آخذون به تبريرا لعبادتهم للملائكة؟

[٢٣] كلا! لا علم لهم و لا كتاب بَلْ قَالُوا للتبرير موقفهم إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ أَى على طريقة هى عبادة الملائكة و إِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ و ما بقى من تقليدهم و عاداتهم مُهْتَدُونَ فالأمر لا يخرج عن تقليد صرف.

[٢٤] و ليس التقليد للآباء في الضلال و الانحراف خاصا بهؤلاء الكفار بل الكفار السابقون يقولون بمثل هذا القول في مقابل الأنبياء وَ كَذَلِكَ أَى كحال هؤلاء ما أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ يا رسول الله

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٧

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٢٤ الى ٢٥]

قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٢٤) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْكُفْرَ الَّذِي كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٥)

في قَرْيَةٍ من القرى، و المراد بها المدينة مِنْ نَذِيرٍ أى رسول ينذرهم من الكفر و المعاصى إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا أى المتنعمون فيها، من أترف بمعنى تنعم، و المراد به الرؤساء و الكبراء، لأنهم دائما يقابلون المصلحين بالإنكار و التخاصم إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ أَى على طريقة و ملء و إِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ نقتدى بهم، فلا- نخالفهم في الطريقة باتباعكم أيها الأنبياء، و ذلك لأن في اتباعهم إبقاء لكيانهم، بالإضافة إلى أن الألفة توجب تزين الأليف في النظر دون الجديد.

[٢٥] قَالَ يا رسول الله لهم أ تبقون على طريقة آبائكم و لَوْ جِئْتُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ يعنى لو كان ما أدعوكم إليه أكثر رسدا و هداية من طريقة الآباء؟ قالوا في الجواب إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ من الدين و الشريعة كَافِرُونَ سواء كان أهدى أم غيره.

[٢٦] فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ أَى من أولئك الذين تمردوا على طاعة الأنبياء عليه السلام و تمسكوا بالتقاليد البالية فَأَنْزَلْنَا يا رسول الله، أو أيها الناظر كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ للأنبياء؟ و في هذا تهديد لكفار مكة إن لم يؤمنوا كانت عاقبتهم كعاقبة أولئك، و المراد بالنظر: العلم و التفكير في أمرهم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٨

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٢٦ إلى ٢٨]

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨)

[٢٧] ثم يأتي السياق لنقل قطعة من قصة إبراهيم عليه السلام لشباعتها لقصة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أن قومه كانوا يعبدون الأصنام فأظهر التبرؤ منهم واذكر يا رسول الله إذ قال إبراهيم لأبيه آزر، و كان عمه، و إنما اسم أبيه «تارخ» و أطلق عليه لفظ «الأب» احتراماً فإن الناس يسمون العم «أبا» و الخالة «أما» كما في قصة يوسف عليه السلام «و رفع أبويه» على ما ذكره جماعة، من أن المرأة كانت خالته لا أمه و كما قال لأبيه قال ل قَوْمِهِ حين كانوا يعبدون الأصنام و الكواكب إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ من الأضنام. و التثنية و الجمع مذكراً و مؤنثاً بلفظ واحد، فهو من قبيل «زيد عدل» و إلا فالأصل «ذو براء» مِمَّا تَعْبُدُونَ من الأصنام.

[٢٨] و حيث إن العام شامل حتى الله سبحانه استثنى بقوله إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي أَي خَلَقَنِي و أوجدني من العدم فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ أصله سيهديني حذف ضمير المتكلم تخفيفاً و تنسيقاً، و حيث إن الهداية شيء يحتاج إليها الإنسان في كل خطوة من خطوات الحياة، صح الإتيان بالفعل المستقبل، و لا ينافي ذلك وجودها في الإنسان سابقاً، و من ذلك «أهدنا الصراط المستقيم».

[٢٩] وَجَعَلَهَا أَي جعل إبراهيم كلمة التوحيد- الاستفادة من قوله «إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي»- كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ أَي في نسله و ذريته بأن وصاهم بالتزامه و التمسك بها، كما قال سبحانه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٩

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٢٩ إلى ٣٠]

بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ (٢٩) وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ (٣٠) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ (١) لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ كلما انصرفوا عن الطريق، بأن يتذكروا الوصية فيرجعوا إلى التوحيد فإن الإنسان- حسب المحيط- ينحرف فإذا تذكر وصية جده رجع و تاب.

[٣٠] بَلْ لَنُدْعَ حَدِيثَ إِبْرَاهِيمَ إِلَى أَحْوَالِ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ الْمُعَاَصِرِينَ لِلرَّسُولِ، الَّذِينَ جَاءَهُمُ الْحَقُّ عَيَانًا فَقَالُوا إِنَّهُ سِحْرٌ- فَإِنَّا لَمْ نَكْتَفِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ بِكَلِمَةِ إِبْرَاهِيمَ فِي إِرْشَادِهِمْ، بَلْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا آخَرَ، وَ مَعَ ذَلِكَ انْحَرَفُوا- مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ أَي أَنْعَمْتُ عَلَيْهِمْ بِالصِّحَّةِ وَ النِّعْمَةِ وَ طَوْلِ الْعَمْرِ وَ آبَاءَهُمْ إِذْ كُلُّ جِيلٍ يَلْقَى الْجِيلَ السَّابِقَ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَ هُوَ الْقُرْآنُ أَوِ الشَّرِيعَةُ وَ رَسُولٌ مُّبِينٌ أَي ظَاهِرٌ مُبَيِّنٌ لِلنَّهْجِ، وَ هُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ.

[٣١] وَ لَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ أَي الْقُرْآنُ أَوِ الشَّرِيعَةُ أَوِ الرَّسُولُ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ ظَاهِرُ الْآيَةِ يَنَاسِبُ كَوْنَ الْمُرَادِ بِالْحَقِّ الْقُرْآنَ لِأَنَّ غَيْرَهُ يَحْتَاجُ إِلَى التَّأْوِيلِ وَ إِنَّا بِهِ كَافِرُونَ فَلَيْسَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَ إِنَّمَا الَّذِي جَاءَ بِهِ سَاحِرٌ يَرِيدُ السَّيْطِرَةَ وَ الْاِسْتِعْلَاءَ بِسِحْرِهِ، وَ قَدْ بَيَّنَّ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مُخْتَلَفَ صُنُوفِ النِّعَمِ وَ الْإِرْشَادِ عَلَى هَؤُلَاءِ: تَمْتِيعُهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ، وَ إِبْقَاءَ آبَائِهِمْ، وَ وَصِيَّةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ مَجِيءَ الرَّسُولِ،

(١) البقرة: ١٣٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٠

[سورة الزخرف (٤٣): آية ٣١]

وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١)

و مع ذلك لم يؤمنوا.

[٣٢] وَقَالُوا لَوْلَا- أَي هَلَّا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ أَي رَجُلٍ مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ أَوْ رَجُلٍ مِنْ تِلْكَ عَظِيمٍ صِفَةُ رَجُلٍ، أَي

رجل عظيم من مكة أو الطائف.

في تفسير الإمام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان قاعدا ذات يوم بفناء الكعبة إذ اجتمع جماعة من رؤساء قريش «إلى أن قال: قال له عبد الله بن أبي أمية: لو أراد الله أن يبعث لنا رسولا لبعث أجل من في ما بيننا مالا وأحسنه حالا؟ فهلا نزل هذا القرآن الذي تزعم أن الله أنزله عليك وأبعثك به رسولا، على رجل من القريتين عظيم، إما الوليد بن المغيرة بمكة وإما عروة بن مسعود الثقفي بالطائف؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: وأما قولك لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، فإن الله ليس يستعظم مال الدنيا كما تستعظمه أنت ولا خطر له عنده كما له عندك، بل لو كانت الدنيا عنده تعدل جناح بعوضة، لما سقى كافرا به مخالفا له شربة ماء، وليس قسمة الله إليك بل الله القاسم للرحمات والفاعل لما يشاء في عبده وإمائه، وليس هو عز وجل ممن يخاف أحدا كما تخافه أنت لماله وحاله، فعرفته بالنبوة لذلك، ولا ممن يطمع في أحد في ماله أو في حاله كما تطمع فيخصه بالنبوة لذلك، ولا ممن يحب أحدا محبة الهوى كما تحب أنت فتقدم من لا يستحق التقديم وإنما معاملته بالعدل، فلا يؤثر لأفضل مراتب الدين وجلاله إلا الأفضل في طاعته والأجد في خدمته وكذلك لا يؤخر في مراتب الدين والجلالة إلا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦١

[سورة الزخرف (٤٣): آية ٣٢]

أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)

أشدهم تطرا عن طاعته، وإذا كانت هذه صفته لم ينظر إلى مال ولا إلى حال بل هذا المال والحال من تفضله وليس لأحد من عباده عليه ضربة لازب، فلا يقال له إذا تفضلت بالمال على عبد فلا بد أن تفضل عليه بالنبوة أيضا؟ لأنه ليس لأحد إكراهه على خلاف مراده ولا -إلزامه تفضلا، لأنه تفضل قبله بنعمه، ألا ترى يا عبد الله كيف أغنى واحدا وقيح صورته؟ وكيف حسن صورة واحد وأفقره؟ وكيف شرف واحدا وأفقره؟ وكيف أغنى واحدا وضعه؟ ثم ليس لهذا الغنى أن يقول هلا أضيف إلى يسرى جمال فلان؟ ولا للجميل أن يقول هلا أضيف إلى جمالي مال فلان؟ ولا للشريف أن يقول هلا أضيف إلى شرفي مال فلان؟ ولا للوضيع أن يقول هلا -أضيف إلى صفتي شرف فلان؟ ولكن الحكم لله يقسم كيف يشاء ويفعل كما يشاء وهو حكيم في أفعاله، محمود في أعماله

«١».

[٣٣] وأجابهم الله تعالى بقوله أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ أى النبوة، أى هل تقسيم النبوات بيد هؤلاء حتى ينتخبوا فلانا للنبوة دون محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ كلا! فإن الله سبحانه لم يجعل بأيديهم قسمة أرزاقهم فكيف يعطى مقاليد النبوة بأيديهم؟ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ وهو ما يستعشون به فى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أى فى هذه الحياة القريبية على حسب المصلحة والحكمة وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ أَى بعض هؤلاء فَوْقَ بَعْضٍ رزقا وجاها وقوة وفى سائر الشؤون دَرَجَاتٍ فلم نفوض

(١) تفسير الإمام العسكري: ص ٥٠٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٢

إليهم أمور أنفسهم مع عدم أهميتها فكيف نفوض إليهم أعظم الأمور وهى النبوة؟ لِيَتَّخِذَ أى إنما جعلنا بعضهم فوق بعض لأن يستخدم بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وهو الذى يسخر فى الحوائج و يستخدم فى المهام، فإنه بذلك يتم نظام العالم ويستقيم، إذ لو كان الكل سادة من كان يعمل؟ ولو كان الكل أقوياء كثر التنازع والفناء، ولو كان الكل فقراء من كان يجلب الطعام والحوائج لبيعها فى وقتها عند الحاجة؟

و لو كان الكل أغنياء من كان ينكس و يطبخ و يخبز و يدير الأمور الصغيرة كالفلاحة و البناء و ما أشبه؟ و قد أراد بعض السخفاء ك «ماركس» اليهودى و أضرابه، أن يهدموا نظام الغنى و الفقر، فلم يتمكنوا و غاية ما صنعوا أنهم أضافوا إلى الأغنياء مع غنائهم السلاح، فجعلوا الناس فقراء، و الأغنياء بيدهم الحكم، لكى يتمكنوا من امتصاص دماء الفقراء بالمال و القوة معا، بعد ما كان كل من هذين العاملين للاستعلاء و الترفع فى فئته، فكان الفقراء يجدون مناصب من طغيان كل بالالتجاء إلى الآخر، و لقد كان نظامهم مغلوفاً إلى أبعد الحدود، و لذا نرى اليوم- و بعد نصف قرن من قيام دولتهم فى الشرق- يستجدون الحنطة و الرزق من بلاد الرأسماليين كل عام ... و لقد منع الإسلام عن كل من الرأسمالية بالمعنى الغربى و الشيوعية و الاشتراكية، و إنما نظم الأمور خير تنظيم، مما لا مجال هنا لتفصيله «١» وَ رَحِمْتَ رَبِّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ مِنَ الْأَمْوَالِ فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ

(١) راجع الاقتصاد للشهيد السيد حسن الشيرازى.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٣

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٣٣ الى ٣٥]

وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ سُقْفًا مِنْ فضةٍ وَ مَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَ لِيُوتِيَهُمْ أَبْوَابًا وَ سُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكُونَ (٣٤) وَ زُخْرَفًا وَ إِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥)

يترك الله الخير- بيدهم- و الحال أنه لم يترك ما يجمعون بأيديهم؟ أو المراد أن النبوة خير من الأموال، فما عندك خير مما عند رجل من القريتين عظيم، الذين يرون تفضيلهما عليك.

[٣٤] إذ قيمة المال و الزخرف فى نظر الله سبحانه تافه جدا حتى أنه لو لم تكن مخافة انحياز الناس إلى الكفار لأسبل الله على الكفار الأموال و الزخارف بكل ألوانها، فهل هذا المال الذى هكذا شأنه يكون ميزانا لإعطاء النبوة و إرسال الرسول حتى يقول الكفار أنه «لَوْ لَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ»؟ وَ لَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً أَى لَوْ لَا- مخافة أن يجتمع الناس على الكفر فيكونوا جميعا كفارا، حيث يرون ان الدنيا للكفار و المؤمنين صفر اليد منها لجعلنا لمن يكفر بالرحمن ليؤتيهم سُقْفًا جمع سقف من فضة بأن أكثرنا عليهم من الفضة حتى يصنعوا السقوف منها و معارج من فضة، و هو جمع معراج أى السلم، أى كانت سلالم بيوتهم فضة عليها يظهرون أى على تلك المعارج يصعدون و يعلون، فإن الصاعد يظهر بما لا يظهر الذى فى البيت.

[٣٥] وَ لِيُوتِيَهُمْ أَبْوَابًا مِنْ فضةٍ وَ لَأَنْفُسَهُمْ سُرُرًا جمع سرير، من فضة عليها يتكئون عند الجلوس.

[٣٦] وَ زُخْرَفًا أى جعلنا لهم فى السقف و المعارج و الأبواب و السرر،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٤

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٣٦ الى ٣٧]

وَ مَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَ إِنْهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٧)

الزخرف، و هو الذهب، و المعنى أغرقناهم فى الذهب و الفضة حتى يكون كل شىء لهم منهما و إن كل ذلك من الفضة و الذهب و الدر و سائر أنواع التجميل و الزينة لَمَّا مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا «أن» نافية و «لما» بمعنى إلا، أى ما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا، أى الحياة القريبية، التى يتمتع بها الإنسان فى أيام قلائل و الْآخِرَةُ التى عِنْدَ رَبِّكَ قريبا شرفيا، لا- مكانيا لِلْمُتَّقِينَ الذين آمنوا و أطاعوا، فمن الضرورى أن يحصل الإنسان على الآخرة لا على الدنيا الفانية التى لا قيمة لها.

[٣٧] و إذ تبين أن لا قيمة للماديات، فالكافر لا أهمية له بنظره سبحانه و إن كان ذا رئاسة أو مال، بل إن مستواه المعنوى لمنحط جدا حتى أنه دائم الملازمة للشيطان الذى يغويه، فهل مثل هذا صالح للنبوة؟ وَ مَنْ يَعِشْ أى يعرض و يتعامى عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ أصله من «العشو» و هو ضعف البصر، فكان الكافر ضعيف البصر، بالنسبة إلى الشريعة و الدين نُفِيضٌ أى نرسل له لذلك الإنسان شَيْطَانًا

يوسوس إليه و يؤذيه و يصدّه عن الحق فهو أي الشيطان له لذلك الإنسان قرين أي ملازم، و ذلك لأنه لما أعرض عن الحق خلى سبحانه بينه و بين الشياطين يفعلون به ما يشاءون، و هذا معنى «التقيض».

[٣٨] وَ إِنَّهُمْ أَي الشياطين القرناء مع الكفار، و إنما جرى بالجمع، لأن المراد بـ «شيطانا» الجنس، لا الواحد لِيُضِيدُوهُمْ أَي يمنعون هؤلاء

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٥

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٣٨ الى ٣٩]

حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ بُعِدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (٣٨) وَ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٩)

الكفار عن السبيل طريق الله سبحانه بالوسوسة و إلقاء الشبهة و يحسبون هؤلاء الكفار أنهم مهتدون أي أنهم في سبيل الحق، حيث زين لهم كفرهم و عصيانهم، حتى زعموا أنهم على هدى، و أن المؤمنين على ضلاله، كما قال سبحانه و إذا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿١﴾.

[٣٩] و يبقى الشيطان مع هذا الكافر حتى يوم القيامة ف إذا جاءنا أي حضر للحساب و الجزاء في يوم المحشر و ظهر له جزاءه السيء قال مخاطبا للشيطان الذي كان يغويه في دار الدنيا، و يمنعه عن الاهتداء يا لَيْتَ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ أيها الشيطان، بعدا مثل بُعِدَ الْمَشْرِقَيْنِ أَي المشرق و المغرب، و غلب المشرق، لقاعدة تغليب الأشراف، أو الأقرب إلى القصد، و لذا يقال للشمس و القمر «شمسان» و «قمران» فَبِئْسَ الْقَرِينُ كنت لى فى الدنيا حيث أوصلتنى إلى هذه الحالة، و هذا العقاب الأليم.

[٤٠] و إذا كان المقام محل توهم أن يخفف الشيطان المقارن للكافر- فى الآخرة- بعض عذابه، كما هو المعتاد فى الدنيا أن يخفف أحد القرينين بعض آلام الآخر، جاء الخطاب للكافر بقوله وَ لَنْ يَنْفَعَكُمُ أَيها الكفار و الشياطين القرناء لهم الْيَوْمَ أَي يوم القيامة إِذْ ظَلَمْتُمْ

(١) المطففين: ٣٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٦

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٤٠ الى ٤٢]

أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْىَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٤٠) فَأِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ (٤١) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ (٤٢)

أنفسكم فى الدنيا بالكفر و العصيان أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ هذا فاعل «لن ينفعكم» أي لا يفيدكم اشتراككم فى العذاب لتخفيفه عنكم بل لكل عذاب نفسه، بدون أن يحمل قرينه بعض عذابه.

[٤١] ثم جاء السياق ليسلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم بالنسبة إلى هؤلاء الكفار الذين لا يسمعون و عظه و إرشاده ببيان أن التقصير ليس منك، و إنما من الكافر نفسه حيث عاند حتى صار كالأصم الأعمى لا يسمع و لا يبصر أَفَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، و الاستفهام للإنكار تُسْمِعُ الصُّمَّ أَي تقدر على إسماع من به صمم فى أذنه، و «صم» جمع أصم أَوْ تَهْدِي الْعُمْىَ أَي تقدر على إرشاد الأعمى بالكلام هو و الأصم سواء من لا- ينتفع بما يرى هو و الأعمى سواء وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ أَي ضلال ظاهر بين، و هذا فى قبال أولئك فإن من ضل قلبه عن الحق و عاند يكون غير قابل للهداية، فهؤلاء لا ينتفعون بأبصارهم و أسماعهم و قلوبهم.

[٤٢] و لا بد أن ننتقم من هؤلاء الكفار سواء انتقمنا فى حياتك أو بعد موتك فَأِمَّا أَصْلَهُ «إن» الشرطية و «ما» الزائدة للتأكيد نَذْهَبَنَّ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أي نميتك قبل تعذيب هؤلاء الكفار فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ بعدك.

[٤٣] أَوْ إِنْ أَرَدْنَا أَنْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ، بَأْنَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٧

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٤٣ الى ٤٥]

فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٤) وَسَأَلْنَا مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَمْ جَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (٤٥)

نعذبهم في حياتك فإننا عليهم مُقْتَدِرُونَ فإنهم لا يتمكنون من الفرار أو الانتصار علينا.

[٤٤] فما عليك يا رسول الله أمر هؤلاء، وإنما أنت منتدب إلى البلاغ باستمرار سواء قبل الناس أم لم يقبلوا فَاسْتَمْسِكْ يا رسول الله أى تمسك بشدة بالذي أُوحِيَ إِلَيْكَ من القرآن والشريعة إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ يوصل إلى السعادة بأقرب الخطوط.

[٤٥] وَإِنَّهُ أَى الذى أوحى إليك من القرآن والشريعة لَذِكْرٌ لَكَ أى مذكر لك ما أودع في فطرتك من الأصول وَلِقَوْمِكَ أى العرب، أو من بعثت إليهم من جميع البشر، ولذا

كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»

«١» حين كان يؤذيه الكفار ولو كانوا غير قومه، ويحتمل أن يكون المراد بالذكر «الشرف» أى أنه شرف باق لكم وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ عنه يوم القيامة هل عملتم بما في هذا الذكر أم لا؟.

[٤٦] وَسَأَلْنَا مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مَنْ أَرْسَلْنَا كُنُوحَ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَغَيْرِهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَذَا مَجَازٌ يَرَادُ بِهِ الْفَحْصُ عَنْ مَقَالَتِهِمْ، كَمَا يَقَالُ سَلُّ الْأَطْبَاءِ عَنْ هَذَا الْمَرَضِ، أَى رَاجِعَ كِتَابِهِمْ

(١) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ١١٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٨

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٤٦ الى ٤٧]

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٦) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧) أَمْ جَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ أَى سِوَاهِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ أَى هَلْ قَرَرْنَا عِبَادَةَ آلِهَةٍ أُخْرَى، وَهَذَا الْكَلَامُ لِتَفْرِيعِ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي الْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مُتَّبِعُونَ لِلْأَنْبِيَاءِ وَمَعَ ذَلِكَ كَانُوا يَشْرِكُونَ بِاللَّهِ زَاعِمِينَ أَنَّ اللَّهَ أَبَاحَ لَهُمُ الشِّرْكَ وَقَالُوا: لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَيَّدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا «١» وَقَالُوا هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُتَّبِعُونَ «٢» وَهَذَا لَا يَنَافِي مَا رَوَى مِنْ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ جَمَعُوا لِلرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِيَلَهُ الْمَعْرَاجُ، وَخُوطِبَ بِهَذَا الْخُطَابِ هُنَاكَ.

[٤٧] ثم يأتي السياق ليذكر نتفا من قصة موسى عليه السّلام، تسلياً للرّسول، حيث قابله القبط بما قابل المشركون الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَى مَعَ آيَاتِنَا، وَهِيَ الْمَعْجَزَاتُ الْبَاهِرَةُ، مِنْ عَصَا، وَيَدٍ، وَجِرَادٍ، وَدَمٍ، وَغَيْرِهَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ أَى الْأَشْرَافِ مِنْ قَوْمِهِ، وَتَسْمَى الْأَشْرَافُ مَلَأً لِأَنَّهُمْ يَمْلِئُونَ الصُّدُورَ رَهْبَةً وَالْعِيُونَ هَيْبَةً، وَذَكَرَ الْمَلَأُ يَغْنَى عَنْ ذِكْرِ سَائِرِ الْقَبْطِ، لِأَنَّهُمْ تَابِعُونَ دَائِمًا، فَلَا يَحْسَبُ حَسَابَهُمْ فَقَالَ مُوسَى لَهُمْ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَيْكُمْ.

[٤٨] فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِآيَاتِنَا أَى مَعَ الْمَعْجَزَاتِ الَّتِي أَعْطَيْنَاهَا لِتَثْبِيتِ نُبُوته إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ أَى يَسْتَهْزِئُونَ بِالْآيَاتِ، وَ

هذه

(١) النحل: ٣٦.

(٢) يونس: ١٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٩

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٤٨ الى ٥٠]

وَمَا نُزِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٨) وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ (٤٩) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ (٥٠)

حيلة العاجز يتخذها وسيلة لإخماد صوت خصمه القوى حيث لا يتمكن من إبطال حجته.

[٤٩] و ما نُزِيهِمْ أى ما أريناهم، و إنما جىء بالمستقبل لأنه حكاية حال ماضية مِنْ آيَةٍ أى خارقة من الخوارق التسع إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا فما ترادف عليهم كان الثانى أكبر من الأول و الثالث أكبر من الثانى و هكذا فى الباقى أو انه عبارة عرفية لبيان كبر جميع الآيات، و لذا يقول القائل لى أولاد واحد منهم أحسن من الآخر- يريد وصول كل واحد إلى منتهى درجة الحسن- و أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فقد كانت بعض تلك الآيات عذابا لهم، كالدم و القمل و الضفادع لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ عن كفرهم و ضلالهم.

[٥٠] وَقَالُوا أى قال فرعون و ملاء لموسى، عند ما نزل بهم العذاب يا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا أى لأجل رفع عذابنا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ فقد عهد الله إلى موسى أنهم إن أرسلوا معك بنى إسرائيل بأن أطلقوا سراحهم من السجون و التسخير يكشف العذاب عنهم، كما سبق فى بعض الآيات، أو أنهم لما ضاق بهم الخناق وعدوا أن يؤمنوا إذا كشف العذاب عنهم إِنَّا لَمُهْتَدُونَ إلى الإيمان أو إطلاقهم. [٥١] و على أى فقد دعا موسى ربه و كشف الله عنهم العذاب فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ كَأَنَّ الْعَذَابَ ستر عليهم، فإذا رفع، كشف عنهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٠

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٥١ الى ٥٣]

وَ نَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَ هَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَ فَلَآ تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَ لَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَلَوْ لَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٣)

ليظهروا من تحته غير معذيين إذا هُم يَنْكُتُونَ أى ينقضون العهد و يبقون على كفرهم، أو يبقون بنى إسرائيل على إسارهم كالسابق.

[٥٢] وَ نَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ حين رأى أن أمر موسى أخذ فى العلو و الظهور، فأراد الحطّ من قدر موسى و إظهار نفسه قويا عظيما لدى أهل مصر، لئلا يميلوا إلى موسى فجمعهم و خطبهم قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ؟ على نحو الاستفهام التقريرى، أى أن لى هذا الملك الوسيع وَ هَذِهِ الْأَنْهَارُ كالنيل و نحوه تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أى من تحت أمرى و سلطتى، فلى أرض و ماء أَ فَلَآ تُبْصِرُونَ هذا الملك العظيم؟.

[٥٣] أَمْ تَبْصِرُونَ و تعلمون أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ يريد موسى عليه السلام، و المراد بالمهين الذليل الحقير، من هان بمعنى ذل و سهل أمره وَ لَا يَكَادُ يُبِينُ أى لا يكاد يفصح بكلامه، فقد كان موسى عليه السلام قبل النبوة يعقد لسانه إذا أراد الكلام، و لذا قال فى دعائه «وَ أَخْلَلُ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي» و قد استجاب الله دعاءه فكان فصيحاً، لكن فرعون استغل جهل الناس بذلك، و أنهم كانوا قد عهدوه قبل النبوة غير مفصح، و لذا خدعهم بأنه بعد باق على حالته السابقة.

[٥٤] فَلَوْ لَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أى على موسى أَسْوِرَةٌ جمع سوار و هو الحلية

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧١

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٥٤ الى ٥٦]

فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤) فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَافًا وَ مَثَلًا لِلْآخِرِينَ (٥٦)

التي تلبس فى اليد بين المرفق و الزند مِنْ ذَهَبٍ أى إن كان صادقا فلما ذا لا يلقي عليه ربه مقدارا من الذهب يثرى و يغنى أو جاء مَعَهُ

الملائكة مُقْتَرِنِينَ أى متتابعين يعينونه على أمره؟ و إذ لا ذهب يبقى و لا ملائكة معه فهو كاذب، و أى ربط بين النبوة و إلقاء الأسورة؟ أم أى حاجة إلى نزول الملائكة بعد تلك الآيات؟ و إنما أراد فرعون خداع الجماهير بهذه التلفيقات الباطلة.

[٥٥] فَاسْتَخَفَّ فرعون قَوْمَهُ بأن حسبهم خيفى العقول يتمكن من إنهاضهم لنصره بمجرد خطاب و مغالطة، كما هى عادة الطغاة دائما أمام الجماهير فَأَطَاعُوهُ فيما دعاهم إليه من رفض الإسلام و اتباع موسى، و البقاء على الكفر و العصيان إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ أى خارجين عن طاعة الله تعالى، و لذا اتبعوا فرعون.

[٥٦] فَلَمَّا آسَفُونَا أى أغضبونا ببقائهم فى الكفر و العناد، و الله سبحانه لا يغضب - كما يغضب الإنسان - بل المراد وصلوا فى كفرهم و عصيانهم إلى حد من شأنه أن يغضب انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ جزاء كفرهم و إثمهم فَأَعْرَفْنَاهُمْ فى البحر أَجْمَعِينَ و لم نبق واحدا منهم سالما.

[٥٧] فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا أى متقدمين إلى النار و على سائر الكفار وَ مَثَلًا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٢

[سورة الزخرف (٤٣): آية ٥٧]

وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧)

أى عبرة و موعظة يمثل بهم لأجل العظة و التذكير لِلْآخِرِينَ الذين يجيئون بعدهم.

[٥٨] و بمناسبة الحديث عن قصة موسى عليه السلام يقدم على ذلك مقدمة

و هى ما ذكره بعض المفسرين من أنه لما نزل قوله تعالى إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ «١» فرح بعض المشركين بأنهم وجدوا مأخذا على الرسول، فجاء ابن الزبعرى و هو القائل:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء و لا وحي نزل و قال للرسول ألم يعبد المسيح و عزيز و الملائكة؟ فقال الرسول بلى قد عبدوا، فقال:

فكيف يكون هؤلاء «حصب جهنم» كما ذكرت و أنت تثنى عليهم؟ و إذا جعلتهم من أهل النار فنحن نرضى بأن نكون كالمسيح،

فقال له النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: ويلك! ما أجهلك بلسان قومك؟ «ما» لما لا يعقل، فأقحم ابن الزبعرى و ارتد خائبا

، و فى قول آخر إن الرسول انتظر الوحي، فنزل إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ «٢» و قد أراد الله سبحانه من

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ «٣» الأصنام، لأن الخطاب موجه إلى المشركين، فكان قولهم للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ مغالطة و جدلا، و

لذا أوضحت الآية ذلك، و هناك روايات أخرى لا يهمننا التعرض لها وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا أى لما ضرب ابن الزبعرى المثل

بعيسى و أراد أن يجعله مثلا لقوله «و ما

(١) الأنبياء: ٩٩.

(٢) الأنبياء: ١٠٢.

(٣) الأنبياء: ٩٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٣

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٥٨ الى ٦٠]

وَقَالُوا أَلَهْتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ حِدَالًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصَصَ مُونَ (٥٨) إِنَّ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَ جَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ

(٥٩) وَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فى الأَرْضِ يَخْلُقُونَ (٦٠)

تعبدون» إِذَا قَوْمِيكَ يَا رَسُولَ اللهِ، و المراد بهم الكفار منه أى من هذا المثل يَصِدُّونَ أى يضجون ضجيج المجادلة، لظنهم أنهم غلبوك و أبطلوا أمرك.

[٥٩] وَقَالُوا فى جدالهم معك أَلَهْتُنَا خَيْرٌ مِنْ عيسى أَمْ هُوَ خَيْرٌ؟

فإذا كان عيسى فى النار- كما تقول أنت يا محمد- فلتكن آلهتنا فى النار أيضا، فإننا راضون بمقام عيسى ما ضرَّبوهُ أى لم يضرب هذا المثل ابن الزبعرى لَمَكَ يا رسول الله إِلاَّ جِدَدًا فهم يريدون الجدل لا الحقيقة، كسائر المعاندين بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصَّةٌ مُونٌ أى يريدون الخصومة و الجدل لدفع الحق بالباطل.

[٦٠] ثم يأتى السياق لبيان حال عيسى، بقول وسط بين إفراط النصارى و تفريط اليهود إن هُوَ أى ما عيسى إِلاَّ عَبْدٌ أُنْعَمْنَا عَلَيْهِ بالنبوة، فليس إلهًا، و لا لغير رشه كاذبا وَ جَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أى مثلا للدين و الفضيلة، فإن القدوة يكون مثلا به، ألا ترى أنك تمثل للرسالة بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ، و للزهد بالمقدس الأردبلى، و بالشقاوة ببن ملجم فإن الفرد الكامل فى صفته يجعل مثلا، و إنما كان مثلا لبني إسرائيل لأنه عليه السلام بعث فيهم.

[٦١] وَ لَوْ نَشَاءُ أَيُّهَا النَّاسُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ أَى بدلا منكم معاشر بني آدم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٤

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٦١ الى ٦٢]

وَ إِنَّهُ لَعَلِمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرَنَّ بِهَا وَ اتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَ لَا يَصُدَّنَّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٢)

ملائكته فى الأرض فإن إفناءكم و جعل الملائكة مكانكم يَخْلُقُونَ و يكونون خلفكم فى الأرض، أمر يسير علينا، فلا يظن الكفار أن الله غير قادر على إفنائهم أو أنه لا يجد أفضل منهم، و لذا يقيهم.

[٦٢] وَ إِنَّهُ أَى أن عيسى ابن مريم عليه السلام لَعَلِمٌ لِلسَّاعَةِ أى علامه لقرب القيامة، فقد ورد فى عدة أحاديث إن عيسى عليه السلام ينزل من السماء عند ظهور الحجة عليه السلام و يصلى به و كونه موجبا للعلم باقتراب الساعة ليس معناه أنه عليه السلام ينزل قرب الساعة حقيقة، بل هو من قبيل كون رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ من علائم الساعة، و يحتمل أن يرجع ضمير «إنه» إلى نزول الملائكة، أى أن النزول وقت قيامه القيامة كما قال سبحانه وَ الْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا «١» وَ يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَ نُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا «٢» و الآية بعد- عندى- من المتشابهات، كما أنه لم يظهر لى الربط التام بين آية (٦٠) و ما قبلها و الله العالم فلا تَمْتَرَنَّ بِهَا لا تشكون فى الساعة، فإنها آتية لا محالة وَ اتَّبِعُونِ فيما أمر و أنهى، و حذف «ياء» المتكلم للتخفيف هذا أى اتباعى و سلوكك دينى صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ موصل إلى السعادة الأبدية بأقصر خط و أسهل سلوك.

[٦٣] وَ لَا يَصُدَّنَّكُمْ أَى لا يصرفنكم الشَّيْطَانُ بوساوسه عن طريق

(١) الحاقة: ١٨.

(٢) الفرقان: ٢٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٥

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٦٣ الى ٦٤]

وَ لَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَ لَأُبَيِّنَنَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّى وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦٤)

الله، و صراطه المستقيم إِنَّهُ أَى الشيطان لكم أيها البشر عَدُوٌّ مُبِينٌ ظاهر العداوة.

[٦٤] وَ لَمَّا جَاءَ عِيسَى إِلَى الْيَهُودِ بِالْبَيِّنَاتِ أى الأدلة الخارقة الواضحة كإحياء الموتى و إبراء الأكمه و الأبرص قال لهم قَدْ جِئْتُكُمْ مرسلا إليكم بِالْحِكْمَةِ أى بالنبوة التى هى عرفان الشريعة و سائر الأمور المرتبطة بدين الناس و دنياهم، فإن الرسول وحده يعلم موضع كل شىء و يتمكن من وضع كل شىء موضعه، و قد سبق أن الحكمة عبارة عن وضع كل شىء فى موضعه اللائق به وَ لَأُبَيِّنَنَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فقد اختلف اليهود فى كثير من شريعة موسى عليه السلام فجاء عيسى مبينا لهم الحق فى بعض تلك

الاختلافات، وإنما قال «بعض» لأن كل الاختلافات الجزئية لا- يسهل إعلام أهلها بالحق فيها وهذا يظهر إذا قاس الإنسان ذلك بالاختلافات في ذات نفسه، فإن الخطوط العامة للاختلافات يمكن بسهولة بيان الحق فيها أما الاختلافات بين كل فردين منتشرين هنا وهناك في بعض الأمور الدينية، فلا يسهل استيعابها، ولا يهم الداعي والمرشد بيان الحق فيها فأتقوا الله أيها اليهود، وخافوا عقابه في العصيان وأطيعون فيما أمركم وأنهاكم، وحذف «الياء» للتخفيف والتنسيق.

[٦٥] إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي فَلَسْتُ إِلَهًا وَرَبُّكُمْ فَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ، فقد كانت الوثنية تتحكم في بعض طوائف اليهود فأعبدوه وحده لا شريك له

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٦

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٦٥ الى ٦٦]

فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ أَلِيمٍ (٦٥) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٦٦) هذا الذي ذكرته من لزوم توحيد الله، و اتقائه وإطاعة رسله صراطاً مستقيماً يوصلكم إلى السعادة الأبدية، بلا انحراف أو تحوير.

[٦٦] و هل بقيت أمه عيسى على صفاء التوحيد كما أمر عيسى، و صرح به في كلامه؟ و هل بقوا أوفياء فيما حملهم من الشريعة؟ كلا! فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ أَي الْفِئَاتِ الَّتِي اتَّبَعَتْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بَيْنِهِمْ أَي مِنْ بَيْنِ أَوْلِيائِكَ الَّذِينَ أُرْشَدَهُمْ عِيسَى وَ هَدَاهُمْ، فهناك من بقى يهودياً، و من انحرف عن التوحيد فقال إن عيسى ثالث ثلاثة، و من أدخل في الشريعة ما ليس منها أو أنقص منها، و من حَرَفَ الْإِنْجِيلَ كَمَا شَاءَ إِلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَحْزَابِ الْمُخْتَلَفَةِ فَوَيْلٌ كَلِمَةً تَقَالُ لِبَيَانِ سُوءِ الْحَالِ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا بِالْكَفْرِ وَ الْعِصْيَانِ مِنْ هَؤُلَاءِ مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ أَلِيمٍ أَي عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، المؤلم الموجه.

[٦٧] و إذ تقدم الكلام حول التوحيد، و حول الرسالة، يأتي السياق لبيان نتف حول المعاد- كما هي القاعدة في بيان الأحوال الثلاثة، في القرآن الحكيم- هَلْ يَنْظُرُونَ أَي هل ينتظر هؤلاء الكفار إِلَّا السَّاعَةَ؟ بمعنى ماذا ينتظرون بعد قيام الحجة عليهم، إلا أن تقوم عليهم القيامة، فيعذبون بكفرهم؟ و هذا تهديد لهم، كما تقول لمن أمرته فعصى: هل تنتظر إلا العقوبة؟ يعني أنك بعصيانك يكون حالك كحال من ينتظر العقاب، و إلا فلما ذا تعصى؟، و الإتيان بلفظ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٧

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٦٧ الى ٦٩]

الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (٦٧) يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بآيَاتِنَا وَ كَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩)

«ينظرون» لنكته هي أن المنتظر يأخذ في النظر إلى المحل المترقب، إذا قرب وقت المجيء، فكأن كل شيء تم بالنسبة إلى هؤلاء الكفار، و قد قرب وقت العذاب، فهم ينظرون إلى محله متى يأتيهم أن تأتيهم بَغْتَةً أَي فجأة بلا سابق إنذار وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَ قَتِمْ حَيْثُ حَتَّى يَتُوبُوا وَ يَسْتَعِدُّوا لَهُ.

[٦٨] الْبَآخِلَاءُ جَمْعُ خَلِيلٍ، وَ هُوَ الصَّدِيقُ، يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ لَمَّا يَرَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِنَ الْعَذَابِ لِأَجْلِ تِلْكَ الْمَصَادِقَةِ إِلَّا الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّقُوا الْكُفْرَ وَ الْمَعَاصِيَ، فَإِنَّهُمْ لَا يَتَعَادُونَ هُنَاكَ، إِذْ لَمْ يَتَرْتَبْ عَلَى صِدَاقَتِهِمْ عَذَابٌ أَوْ نِكَالٌ، بَلْ بِالْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّ التَّصَادُقَ فِي اللَّهِ يُوْجِبُ الثَّوَابَ وَ الْأَجْرَ.

[٦٩] وَ يَخَاطَبُ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِهِ يَا عِبَادِ جَمْعُ عَبْدٍ، وَ حَذَفَ الْيَاءَ لِلتَّخْفِيفِ لَا- خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ مِنَ الْعِقَابِ وَ لَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ لِقَوَاتِ الثَّوَابِ مِنْ أَيْدِيكُمْ.

[٧٠] ثم وصف العباد، ليعلم من هم؟ بقوله الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَا يَلْزِمُ الْإِيمَانَ بِهِ بآيَاتِنَا أَي بحججنا و أدلتنا وَ كَانُوا مُسْلِمِينَ لِأَوْامِرِنَا، بَأَن صَحَّتْ عَقِيدَتُهُمْ، وَ حَسُنَ عَمَلُهُمْ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٨

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٧٠ الى ٧٣]

ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَزَوَاجِكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَفَحَاتٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلْمِذُ الْأَعْيُنِ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٣)

[٧١] ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَزَوَاجِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ تُحْبَرُونَ أَي تَسْرُونَ فِيهَا سُرُورًا يَظْهَرُ عَلَى وَجْهِكُمْ أَثَرُهُ، فَإِنَّ الْحَبُورَ هُوَ السُّرُورُ الَّذِي يَظْهَرُ أَثَرُهُ فِي الْوَجْهِ.

[٧٢] يُطَافُ عَلَيْهِمْ أَي يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْوَالِدَانُ الْمَخْلُودُونَ وَمَعْنَى الطَّوْفِ أَنْ يَدُورَ فِيهِمْ لِإِسْقَائِهِمْ وَإِطْعَامِهِمْ، كَمَا يَدُورُ السَّاقِي بِصَفْحَاتٍ جَمَعَ صَحْفَةً وَهِيَ الْجَامُ الَّذِي يُؤْكَلُ فِيهِ الطَّعَامُ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا أَنْوَاعُ الْأَطْعَمَةِ وَأَكْوَابٍ جَمَعَ كُوبٍ وَهُوَ ظَرْفٌ يَشْرَبُ فِيهِ الْمَاءُ وَفِيهَا أَي فِي الْجَنَّةِ مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَلذَّاتِ وَتَلْمِذُ الْأَعْيُنُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ بِاقْوَانِ الْأَبْدَانِ بِإِذْنِ اللَّهِ أَوْ تَنْقَلُ.

[٧٣] وَتِلْكَ الَّتِي وَصَفْنَاهَا هِيَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَي انْتَقَلْتُمْ إِلَيْكُمْ، كَالْإِثْرُ الَّذِي يَنْقَلُ إِلَى الْإِنْسَانِ، وَإِنَّمَا أُورِثُوا الْجَنَّةَ بِسَبَبِ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ فِي الدُّنْيَا، وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا كَلَامٌ يُقَالُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ عَلَى سَبِيلِ التَّكْرِيمِ لَهُمْ، وَإِنَّمَا جَاءَ بِلَفْظِ «تِلْكَ» لِلْبَعِيدِ دُونَ «هَذِهِ» تَنْزِيلًا لِلرَّفِيعِ مَنزَلَةً، الْبَعِيدُ حَسًّا- كَمَا قَالُوا: فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ-

[٧٤] لَكُمْ أَيِهَا الْمَتَّقُونَ الْمُسْلِمُونَ فِيهَا أَي فِي الْجَنَّةِ فَاكِهَةٌ أَي

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٩

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٧٤ الى ٧٨]

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦) وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨)

ثَمَرَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ أَوْ قَلْبُهُ مِنْهَا تَأْكُلُونَ لِأَنَّهَا لِكثرتها لَا تُؤْكَلُ كُلُّهَا، وَإِنَّمَا يُؤْكَلُ «مِنْهَا» أَي بَعْضُهَا.

[٧٥] وَفِي مَقَابِلِ هَؤُلَاءِ، الْكُفَّارِ وَالْعِصَاةِ الَّذِينَ أُجْرِمُوا فِي الْحَيَاةِ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ وَهَذَا لِمَنْ عَانَدَ الْحَقَّ، وَأَمَّا الْعَاصِي الَّذِي تَدْرِكُهُ الشَّفَاعَةُ فَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ لَا كَالْمَعَانِدِ الَّذِي يَنْتَهِي أَمْرُهُ.

[٧٦] لَا- يُفْتَرُ مِنَ الْفِتْرِ، بِمَعْنَى التَّخْفِيفِ، لَا- يَخْفَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَهُمْ فِيهِ أَي فِي الْعَذَابِ مُبْلِسُونَ أَي آيِسُونَ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ، إِذِ الرَّاجِي لَهُ رَاحَةُ الْقَلْبِ- نَوْعًا مَا- بَيْنَمَا أَنَّ الْآيِسَ مُنْقَطِعٌ، لَا يَرَى إِلَّا دَوَامَ الْعَذَابِ، مِمَّا يَزِيدُهُ أَلَمًا وَحُزْنًا.

[٧٧] وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ بِتَعْذِيبِهِمْ فِي النَّارِ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ لِأَنَّهُمْ حَيْثُ عَمِلُوا فِي الدُّنْيَا مَا اسْتَحَقُّوا بِهِ الْعِقَابَ.

[٧٨] وَنَادَوْا أَي أَهْلُ النَّارِ يَا مَالِكُ وَهُوَ خَازِنُ جَهَنَّمَ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ أَي اسْأَلْ رَبَّكَ أَنْ يَمِيتَنَا نَتَخَلَّصَ وَنَسْتَرِيحَ مِنْ هَذَا الْعَذَابِ قَالَ مَالِكُ فِي جَوَابِهِمْ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ أَي بِاقْوَانِ النَّارِ فَلَا مَوْتَ بَعْدَ هَذَا أَبَدًا.

[٧٩] ثُمَّ يَذْكُرُهُمْ سَبْحَانَهُ- فِي الدُّنْيَا- بِأَنَّهُ أَرْشَدَهُمْ وَلَكِنْ لَمْ يَقْبَلُوا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٨٠

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٧٩ الى ٨١]

أَمْ أَبْرُمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (٧٩) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨٠) قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (٨١)

لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ أَي أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ مَا هُوَ حَقٌّ مِنْ أَمْرِ الرِّسَالِ وَالْكِتَابِ وَالشَّرَائِعِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ مَعَاشِرَ النَّاسِ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ لِمَا أَلْفَمْتُمْ مِنَ الْبَاطِلِ فَصَعِبَ عَلَيْكُمْ مَفَارِقَتُهُ إِلَى الْعَمَلِ بِالْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ.

[٨٠] أَمْ أَبْرُمُوا أَمْرًا؟ أَي بَلْ إِنْ هَؤُلَاءِ عَوَّضُوا اتِّبَاعَهُمْ لِلْحَقِّ جَعَلُوا يَحْيِكُونَ الْمُؤَامِرَاتِ ضِدَّ الْحَقِّ، مِنَ الْإِبْرَامِ، وَهُوَ الْإِحْكَامُ فِي الْعَمَلِ،

و القتل فَإِنَّا مُبْرِمُونَ أى إنا محكمون أمرنا فى إعلاء كلمتنا و مجازات هؤلاء.

[٨١] أَمْ يَحْسَبُونَ أى بل يظن هؤلاء- حين يدبرون المكر و المؤامرة- أَنَّا لَا- نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَ نَجْوَاهُمْ ما يضمرون فى أنفسهم و ما يتناجى بعضهم مع بعض بلى نسمع السر و النجوى، و إطلاق السماع على السر- المضمرة فى القلب- باعتبار الجوار للنجوى، و إلا فالسر يعلم، لأنه يسمع وَ رُسُلُنَا أى الملائكة الحفظة لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ما يسرون و يتناجون.

[٨٢] و لقد كان هؤلاء الكفار بمختلف أشكالهم يزعمون أن لله ولدا، أما المسيح أو الملائكة، أو عزيز فجاء السياق لنفى الولد قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَهُوَلَاءِ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَّا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ لذلك، باعتبار أنه جزء من الإله، فهو إله يستحق العبادة، و إنما قال «أول العابدين» لأن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٨١

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٨٢ الى ٨٤]

سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٨٢) فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَ يَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٨٣) وَ هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَ فِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٨٤)

الرسول حيث إنه أعرف الناس بالله و شؤونه لا بد و أن يكون أسرع الناس إلى عبادة ولد الله، لا يخفى ان الجملة الشرطية لا تنافى استحالة الطرفين- كما ذكروا-

[٨٣] سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ أى أنزه الله تنزيها عن هذا القول، فسبحان مصدر منصوب بفعل مقدر أى أسبح سبحان رَبِّ الْعَرْشِ جيء بهذا الوصف للدلالة على عظم مقامه سبحانه فكيف يمكن أن يتخذ ولدا عَمَّا يَصِفُونَ أى يصف هؤلاء المشركون الله سبحانه به فيقولون «له ولد».

[٨٤] فَذَرَهُمْ أى دعهم يا رسول الله يَخُوضُوا فى باطلهم، و أصل الخوض هو الارتماس فى الماء، و يسمى المحدث الذى غرق فى الحديث خائضا- تشبيها- وَ يَلْعَبُوا فى الدنيا، فإن أعمالهم الدنيوية لعب- إذ هى مثله فى عدم الفائدة و الفناء بسرعة- حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ فيه بعداب الأبد، و هو يوم القيامة، و هذا تهديد لهم.

[٨٥] وَ هُوَ وَحْدَهُ إِلَهُ الْكُونَ كله لا- إله سواه ولدا كان أو شريكا فهو الَّذِي فِي السَّمَاءِ هُوَ إِلَهُ بِلَا- شريك و فِي الْأَرْضِ هُوَ إِلَهُ بِلَا شريك، وَ هُوَ الْحَكِيمُ فى جميع أفعاله، بمعنى أن كلاً من خلقه و تشريعه حسب الحكمة و الصلاح الْعَلِيمُ بمصالح عباده، و قد سبق

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٨٢

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٨٥ الى ٨٦]

وَ تَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا وَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٥) وَ لَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (٨٦)

أن العلم و الحكمة أمران قرب عالم غير حكيم و رب حكيم غير عالم، إذ الحكمة ملكة وضع الأشياء مواضعها و تلك تجتمع مع العلم كما يمكن أن توجد بدونه.

[٨٦] وَ تَبَارَكَ أى دامت بركته، و إنمائه للخيرات الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا من ملك و إنسان و هواء و غيرها، فلا منازع له، و لا شريك و لا ولد وَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ فهو وحده يعلم وقت قيام القيامة وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أى إلى حسابه و جزائه ترجعون أنتم أيها البشر بعد الموت.

[٨٧] فهو وحده إله مالك خالق، لا- شأن للأصنام فى خلق أو ملك، أما من يعبدها بزعم أنها تشفع له فهو فى غلط و ذلك لأنه لا يَمْلِكُ الأصنام الَّذِينَ يَدْعُونَ هؤلاء الكفار لهم مِنْ دُونِهِ أى من دون الله- و إنما جاء الاستثناء لأنهم كانوا يدعون الله أيضا- الشَّفَاعَةَ و إنما جيء بضمير العاقل للأصنام لتسويق الكلام بين الكفار و بين جواهم فهم يعتبرون الأصنام عقلاء إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَ هُم عيسى

وعزيز والملائكة، فإن الكفار كانوا يعبدونهم، ولهم الشفاعة في الآخرة، أنهم يشهدون بالحق، وأنهم ليسوا بآلهة، وإنما أنبياء و ملائكة وَهُمْ يَعْلَمُونَ أنهم ليسوا بآلهة، وهؤلاء لا يشفعون من جحد الحق و كفر

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٨٣

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٨٧ الى ٨٩]

وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٨٧) وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ (٨٨) فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٨٩)

به، فلا ينتظر الكفار شفاعة الآلهة التي يعبدونها، فأصنامهم لا تشفع إطلاقاً، والأنبياء والملائكة يشفعون لغيرهم، لا لهم.

[٨٨] ومن عجيب الأمر أنهم يعبدون غير الله، مع أنهم معترفون بأن الله وحده خالقهم وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ أَى سَأَلْتِ هَؤُلَاءِ الكفار- يا رسول الله- مَنْ خَلَقَهُمْ وأخرجهم من العدم إلى الوجود لَيَقُولُنَّ فى جوابك اللّهُ خلقنا فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ أَى إلى أين يصرفون بعد هذا الاعتراف؟ والمعنى فكيف ينصرفون من عبادة الله إلى عبادة الأصنام؟.

[٨٩] ولا يجد الرسول أمام عناد هؤلاء إلا أن يشكو ربه منهم وَقِيلَ أَى قول الرسول يا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ بعد أن بلغتهم و أنذرتهم و قمت بواجب الإرشاد.

[٩٠] فَاصْفَحْ عَنْهُمْ يا رسول الله، أَى أعرض عنهم، فإن المعرض يعطى صفحة وجهه للطرف بعد ما كان مقبلاً عليه بمقدم وجهه وَقُلْ لهم سَلَامٌ أصله أن الذهاب يدعو لمن بقى بالسلامة، ثم استعمل فى كل معرض و مودة، تشبيهاً، و إن لم يكن قصده سلامتهم فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ فى الدنيا حين ضحك عيشهم، أو عند الموت، أو فى القيامة، بأنهم كانوا على خطأ، حين لم يقبلوا منك، واستمروا فى كفرهم و عنادهم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٨٤

٤٤ سورة الدخان مكية / آياتها (٦٠)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتغالها على لفظه «الدخان» و هى كسائر السور المكية تعالج قضايا العقيدة، بالنسبة إلى التوحيد و الرسالة و المعاد، و لما ختمت سورة الزخرف بالوعيد للكفار، ابتدأت هذه السورة- فى أوائلها- بالعذاب.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ شروع باسم الإله الذى له كل شىء، و يملك كل أمر، فلا أحق منه بالابتداء و جعله شعاراً، الرحمن الرحيم لعباده فى الدنيا، و يرحم المؤمنين خاصة فى الآخرة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٨٥

[سورة الدخان (٤٤): الآيات ١ الى ٤]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم (١) وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤)

[٢] حم «حاء» و «ميم» جنس هذا الكتاب المعجز الذى عجز الجن و الإنس أن يأتوا بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا، أو رمز بين الله و بين الرسول، و هل ذلك تكرار لما سبق من مثل هذه اللفظة، أو لمدلولات مختلفة، و إن تماثلت الرموز؟ احتمالات، إلى غير ذلك من الأقوال فى فواتح السور.

[٣] وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ أَى قسماً بهذا الكتاب- و هو القرآن- الظاهر، و قد مرّ أن الله سبحانه يحلف بمختلف صنوف خلقه، دلالة لعظمه كل خلق، و إن كان فى النظر أمراً هيناً، نحو «و التين و الزيتون».

[٤] إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ أَى أنزلنا الكتاب الذى هو القرآن فى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ذات بركة و نماء، و المراد بها ليلة القدر، و محتمل ليلة القدر أربع،

التاسع عشر و الواحدة و العشرين و الثالث و العشرين من شهر رمضان المبارك و ليلة النصف من شعبان، فقد نزل القرآن في ليلة القدر - جملة واحدة - إلى البيت المعمور في السماء، ثم نزل منجماً إلى الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، مبتدأً بالسابع و العشرين من رجب يوم مبعث الرسول صلى الله عليه و آله و سلم حين نزلت سورة «اقرأ» إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ للكفار و العصاة، بأنهم إن استمروا على كفرهم و عصيانهم عوقبوا في الآخرة بالعذاب و النار، و قوله «إنا ...» هو المقسم به، لقوله «وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ».

[٥] فيها أى فى الليلة المباركة يُفَرَّقُ أى يبين و يميز و يفصل كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أى كل أمر مقدر محكم مرتبط بهذا العالم، فإن التقديرات من العام إلى العام تجرى فى ليلة القدر من كل سنة، و قد ورد متواتر

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٨٦

[سورة الدخان (٤٤): الآيات ٥ الى ٨]

أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٧) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ (٨)

الأحاديث أن الملائكة ينزلون بتقديرات العام، إلى الإمام الموجود بعد الرسول صلى الله عليه و آله و سلم «١» فى دورنا هذا تنزل الملائكة فى ليلة القدر على الإمام المهدي عليه السلام بتقديرات كل إنسان و كل أمة من العام إلى العام.

[٦] نأمر بذلك أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا فَإِنَّا نَصْدُرُ الْأوامر بالتقديرات إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ للرسول إلى الأمم، و لذا أرسلنا محمداً صلى الله عليه و آله و سلم إلى هذه الأمة، و زودناه بالكتاب المبين الذى أنزل فى ليلة مباركة.

[٧] وإنما نرسل الرسل رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ أى نرحم الناس رحمة بالإرسال، إذ الرسل يبينون للناس ما يصلحهم فى دنياهم و آخراهم إِنَّهُ تعالى هُوَ السَّمِيعُ لما يتكلم به الناس و لكل صوت العليم بما يفعلون، فهو يعلم سر الناس و نجواهم، فليحذر الناس الذين أرسل إليهم أن يخالفوا الله سبحانه.

[٨] رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أى خالقها و مربيها و ما بينَهُمَا من الإنسان و الملك و الجن و الأشجار و غيرها إِنَّ كُنْتُمْ أيها الناس مُوقِنِينَ أى ذوى يقين و علم، لعلمتم بصحة هذا الخبر، و هذا فى قبال من لا- يبالى و لا يتبع الأمر ليقين، و الحاصل إن أردتم العلم برب الكون لعلمتم أن ربه هو الله.

[٩] لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وحده لا شريك له يُحْيِي الأموات، كما يحيى

(١) بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ١٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٨٧

[سورة الدخان (٤٤): الآيات ٩ الى ١٢]

بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (٩) فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (١٠) يَغْشى النَّاسَ هذا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٢)

الأرض و غيرها و يُمِيتُ الأحياء من إنسان و حيوان و نبات، و من ظن أنه يميت أحداً بواسطة القتل فقد اشتبهه، فإنه إنما يهيب السبب كما يهيب الزرع و الوالد سبب الزرع و الولد، أما الزرع و الولد فمن الله سبحانه، هو رَبُّكُمْ خالقكم و مربيكم وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ الذين سبقوكم، فهل يتمكن أحد أن يدعى أن المسيح أو الملائكة أو عزيز أو الأصنام خلقوه؟ كلا! [١٠] بَلْ هُمْ أى هؤلاء الكفار فى شَكٍّ من التوحيد يَلْعَبُونَ بالشريعة و الدين، و المراد يفعلون فعل اللاعب، لأنهم لا يرون للدين قيمة و لا يدركون أنه مرتبط بمصيرهم فى الحياة الدنيا و الآخرة.

[١١] فَارْتَقِبْ أى انتظر يا رسول الله يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ فإن من أشرط الساعة أن يشمل العالم دخان مظلم يمكث أربعين

يوماً، والمعنى أنهم إن لعبوا مقابل هذا الجدد، وشكوا مقابل هذا الأمر المتيقن، فدعهم حتى يأتيهم العذاب، في يوم القيامة. [١٢] يُعْشَى أَى يَحِيطُ ذَلِكَ الدِّخَانُ بِالنَّاسِ وَ هُوَ مِنْ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ وَ يُقَالُ لَهُمْ هَذَا الَّذِينَ تَرَوْنَ وَ تَتَرَقَّبُونَ عَذَابَ أَلِيمٍ مُؤَلَّمٌ وَ مَوْجَعٌ لِمَنْ كَفَرَ وَ عَصَى.

[١٣] وَ هُنَاكَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ أَى اِرْفَعْ عَذَابَ الدِّخَانِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٨٨

[سورة الدخان (٤٤): الآيات ١٣ الى ١٥]

أَنِّي لَهُمُ الذِّكْرَى وَ قَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ (١٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَ قَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ (١٤) إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (١٥) وَ سَائِرٌ مَا يَتَرَقَّبُونَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ إِنَّا مُؤْمِنُونَ بِمَا أَرْسَلْتَ وَ بِمَنْ أَرْسَلْتَ.

[١٤] أَنِّي لَهُمُ الذِّكْرَى أَى كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَقْبَلَ هُنَاكَ - فِي الْقِيَامَةِ - تَذَكُّرَهُمْ وَ اعْتِرَافَهُمْ وَ إِيمَانَهُمْ؟ وَ الْحَالُ أَنَّهُمْ وَقْتُ كَانُوا فِي الدُّنْيَا قَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ظَاهِرُ الصِّدْقِ، وَ الْمُرَادُ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ.

[١٥] ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَ أَعْرَضُوا عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ وَ بِمَا يَقُولُ وَ قَالُوا فِي شَأْنِهِ مُعَلَّمٌ يَعْلَمُهُ الْقُرْآنُ بَعْضُ الْأَعْجَمِيِّينَ مَجْنُونٌ فَلَيْسَ نَبِيًّا بَلْ مَجْنُونٌ قَدْ عَلَّمَهُ بَعْضُ النَّاسِ هَذَا الْقُرْآنَ، فِيرَدُّهُ لِأَشْعُورِيَا لِأَطْمَاعِ وَ غَايَاتِ، وَ الْمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَفِيدُ هُنَاكَ إِيمَانَهُمْ وَ قَدْ فَاتَ أَوَانَ الْإِيمَانِ حِينَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا.

[١٦] أَلَسْنَا ذَكَرْنَا أَحْوَالَ هَؤُلَاءِ فِي الْآخِرَةِ؟ وَ أَلَمْ يَطْلُبُوا كَشْفَ الْعَذَابِ؟ فَإِنَّا نَمَهِّلُهُمْ فِي الدُّنْيَا قَلِيلًا، لِنَرَى مَاذَا يَصْنَعُونَ؟ وَ سَمِيَ كَشْفًا لِلْعَذَابِ مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَعَذَّبُوا بَعْدَ، لِلتَّشَابُهَةِ لِفِظًا، كَقَوْلِهِ:

قَالُوا اقْتَرِحْ شَيْئًا نَجِدُ لَكَ طَبْخَهُ قَلْتَ اطْبَحُوا لِي جَبَّةً وَ قَمِيصًا إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ الدِّخَانِ وَ غَيْرِهِ، وَ الْمُرَادُ بِالْكَشْفِ: عَدَمُ تَعْذِيبِكُمْ فِيمَا بَقِيَ مِنْ أَعْمَارِكُمْ قَلِيلًا فِي الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ الْمُسْتَقْبَلَةِ مَا دُمْتُمْ فِي الدُّنْيَا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَ الْعِصْيَانِ، فَكَيْفَ قَلْتُمْ: إِنَّا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٨٩

[سورة الدخان (٤٤): الآيات ١٦ الى ١٨]

يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ (١٦) وَ لَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَ جَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٧) أَنْ أَذُوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٨)

مؤمنون، و ها نحن نراكم عائدون في الكفر؟ و هذا من أبلغ أساليب الالتفات المذكور في علم البلاغة فكأنه صار ما أخبر سبحانه من الدخان، ثم طلبوا فأجيبوا، و ها هم عائدون إلى الكفر، و من قبيله ما يحكى عن بعض الزهاد- عملا- أنه كان يذهب إلى المقابر، فيستلقى في قبر كأنه ميت، ثم يفكر بالمحاسبة و العذاب و الأهوال، فيقول «رب ارجعوني» ثم يجيب- كأنه نداء يأتيه من الأعلى- أرجعناك إلى الحياة، فيقوم و يرجع أهله شاكرًا أن استجيب له، لأن يدرك ما فات منه.

[١٧] وَ لِيَتَذَكَّرَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى أَصْلُ الْبَطْشِ الْأَخْذُ الشَّدِيدُ بِالْيَدِ لِلتَّعْذِيبِ، وَ الْمُرَادُ تَأْخِذَ النَّاسِ لِتَعْذِيبِهِمْ، وَ الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى، هِيَ الْأَخْذُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّا مُنتَقِمُونَ نَنْتَقِمُ مِنْ كُلِّ كَافِرٍ وَ فَاسِقٍ، وَ «يَوْمٌ» مَنْصُوبٌ بِالْمُقَدَّرِ، أَوْ بِ «مُنْتَقِمُونَ».

[١٨] وَ لَقَدْ فَتَنَّا أَى امْتَحَنَّا، فَإِنَّ الْفِتْنَةَ بِمَعْنَى الْامْتِحَانِ قَبْلَهُمْ أَى قَبْلَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَى فِرْعَوْنَ وَ قَوْمَهُ، فَإِنَّهُ كَثِيرًا مَا يُطْلَقُ «قَوْمُ فُلَانٍ» أَوْ «آلُ فُلَانٍ» أَوْ مَا أَشْبَهَهُ، وَ يَرَادُ بِهِ هُوَ وَ قَوْمُهُ وَ آلُهُ وَ جَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ذُو كَرَامَةٍ عَلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ، وَ هُوَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

[١٩] فَقَالَ لَهُمْ أَنْ أَذُوا أَى أَعْطُوا، مِنَ الْأَدَاءِ، كَمَا يُقَالُ «أَدَّ الْأَمَانَةَ» إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ أَى أَطْلَقُوا سَرَاحَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ هُمْ فِي أَسْرِكُمْ، فَقَدْ كَانَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٩٠

[سورة الدخان (٤٤): الآيات ١٩ الى ٢٢]

وَأَنْ لَا تَغْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (١٩) وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (٢٠) وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَمَا عَتَرْتُمْ لِي فِدْعَا رَبِّي أَنْ هُوَ لَاءِ قَوْمٍ مُّجْرِمُونَ (٢٢)

بنو إسرائيل معذبين في سجون فرعون، و تحت اضطهاده، فقال له موسى أطلق سراحهم، و هذا كقوله فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ «١» إِنِّي لَكُمْ يَا آلَ فِرْعَوْنَ رَسُولٌ أَمِينٌ مؤتمن فيما أؤديه لا أخونكم و لا أخون الوحي، فما أقوله كله وحي بلا زيادة أو نقصان. [٢٠] وَأَنْ لَا تَغْلُوا عَلَى اللَّهِ أَي لَا تَتَجَبَّرُوا عَلَى اللَّهِ بِتَرْكِ طَاعَتِهِ، فَكَأَنَّ الْكَافِرَ وَالْعَاصِيَ يَرَى نَفْسَهُ فَوْقَ رَتْبِهِ اللَّهِ، وَ لِذَا لَا يَسْتَعِدُّ أَنْ يَتَّبِعَهُ وَ يَطِيعَ أَمْرَهُ إِنِّي آتِيكُمْ يَا آلَ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ أَي حُجَّةٌ وَاضِحَةٌ وَ دَلِيلٌ ظَاهِرٌ وَ هِيَ الْأَدْلَةُ الَّتِي أَقَامَهَا عَلَى وَجُودِ اللَّهِ وَ سَائِرِ صِفَاتِهِ وَ الْخَوَارِقِ الَّتِي كَانَ مَزُودًا بِهَا.

[٢١] وَ لَمَّا دَعَاهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ تَوَعَّدُوهُ بِالْقَتْلِ وَ الرَّجْمِ - كَمَا هِيَ عَادَةُ الطَّغَاةِ أَمَامَ الْمُصْلِحِينَ - فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى وَإِنِّي عُذْتُ أَي اسْتَجَرْتُ وَ لَذْتُ بِرَبِّي وَ رَبِّكُمْ بِخَالِقِي وَ خَالِقِكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِي أَي تَرْجُمُونِي بِالْحِجَارَةِ، وَ حَذَفَ يَاءَ الْمُتَكَلِّمِ تَخْفِيفًا وَ تَسْنِيفًا. [٢٢] وَ إِن لَمْ تُؤْمِنُوا لِي أَي لَمْ تَصَدِّقُونِي فِيمَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَمَا عَتَرْتُمْ لِي أَي اتْرَكُونِي لِأَلِي وَ لَا عَلَيَّ. [٢٣] وَ لَمَّا رَأَى مُوسَى أَنَّ الْقَوْمَ مَصْرُونَ عَلَى الْكُفْرِ وَ الضَّلَالِ فِدْعَا رَبِّي

(١) الأعراف: ١٠٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٩١

[سورة الدخان (٤٤): الآيات ٢٣ الى ٢٥]

فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (٢٣) وَ اتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّعْرَقُونَ (٢٤) كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ (٢٥) أَي نَاجِي رَبِّهِ قَائِلًا يَا رَبُّ أَنْ هُوَ لَاءِ قَوْمٍ مُّجْرِمُونَ مَصْرُونَ عَلَى الْإِجْرَامِ لَا يَنْفَعُ فِيهِمُ الْبَلَاغُ.

[٢٤] فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ فِي خِلَاصِهِ مِنْ فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ فَأَوْحَى إِلَيْهِ أُسْرِيًا مُوسَى، وَ الْإِسْرَاءُ هُوَ السَّيْرُ لَيْلًا بِعِبَادِي أَي بَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْلًا وَ إِنَّمَا أَمْرُوا بِالْخُرُوجِ لَيْلًا يَعْلَمُ فِرْعَوْنُ بِهِمْ فَيَأْخُذُهُمْ عَاجِلًا قَبْلَ الْهَرُوبِ وَ الْفِرَارِ إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ أَي أَنَّ فِرْعَوْنَ سَيَتَّبِعُكُمْ، وَ هَذَا إِمَّا تَعْلِيلٌ قَوْلِهِ «لَيْلًا» أَوْ مَقْدَمَةٌ لِيَبَانَ غُرُقُ فِرْعَوْنَ وَ بَشْرَى لَهُمْ، أَوْ حَثٌّ لَهُمْ عَلَى الْإِسْرَاعِ، حَتَّى لَا يَدْرِكَهُمُ الطَّلَبُ.

[٢٥] وَ اتْرُكِي يَا مُوسَى الْبَحْرَ الَّذِي تَعْبُرُونَ مِنْهُ رَهْوًا أَي سَاكِنًا عَلَى حَالِهِ بَعْدَ أَنْ خَرَجْتُمْ مِنْهُ، بِأَنَّ يَبْقَى عَلَى حَالِهِ ذِي طَرَقٍ وَ جَوَادٍ حَتَّى يَطْمَعُ فِرْعَوْنُ فِي عُبُورِهِ فَيَغْرُقُ. وَ ذَلِكَ لِأَنَّ ضَرْبَهُ بِالْعَصَى بِقَصْدِ إِرْجَاعِهِ إِلَى مَا كَانَ، كَانَ بِيَدِ مُوسَى، فَأَمْرُهُ سَبْحَانَهُ أَنْ لَا يَفْعَلَ ذَلِكَ إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّعْرَقُونَ أَي أَنَّ فِرْعَوْنَ وَ قَوْمَهُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ مَحْكُومٌ عَلَيْهِمْ بِالْغُرُقِ جَزَاءَ لُكْفَرِهِمْ وَ عَصْيَانِهِمْ.

[٢٦] وَ سَارَ مُوسَى وَ اتَّبَعَهُ فِرْعَوْنُ فِي الْبَحْرِ بِجُنُودِهِ - كَمَا فَضَّلَ سَابِقًا - فَيَأْتِي السِّيَاقُ - بَعْدَ ذَلِكَ - لِيَبَانَ كَيْفَ أَنْ غَرَقَهُمْ لَمْ يُوَثِّرْ شَيْئًا لَا فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي السَّمَاءِ كَمْ تَرَكُوا أَي خَلْفَ فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ، بَعْدَهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ جَمْعُ جَنَّةٍ وَ هِيَ الْبَسْتَانُ، تَسْمَى جَنَّةً لِسُرِّ أَرْضِهَا بِالْأَشْجَارِ وَ النَّخِيلِ وَ عُيُونٍ جَارِيَةً.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٩٢

[سورة الدخان (٤٤): الآيات ٢٦ الى ٢٩]

وَ زُرُوعٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَ نَعْمَةٌ كَانُوا فِيهَا فَكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَ أَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ وَ مَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (٢٩)

[٢٧] وَ زُرُوعٍ جَمْعُ زَرْعٍ وَ هُوَ مَا لَا سَاقَ لَهُ كَالْحِنْطَةِ وَ الشَّعِيرِ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ أَي مَجَالِسٍ وَ مَنَازِلٍ فَخْرَةً، ذَاتِ كِرَامَةٍ وَ رَفْعَةٍ فِي الْأَنْظَارِ.

[٢٨] وَ نَعْمَةٌ بِفَتْحِ النَّوْنِ، وَ الْغَالِبُ لِغَيْرِ الْعَارِفِ، أَنْ يَاقْرَأَهَا بِكَسْرِ النَّوْنِ كَانُوا فِيهَا فَكِهِينَ مُتَّعَمِينَ مُتَلَذِّذِينَ، كَمَا يَتَّعَمُ أَكْلَ الْفَاكِهِةِ.

[٢٩] كَذَلِكَ أَخْرَجْنَاهُمْ وَأَهْلَكْنَاهُمْ وَبَقِيَتْ دُورُهُمْ وَنَعْمَهُمْ بَعْدَهُمْ وَأَوْرَثْنَاهَا تِلْكَ النِّعَمَ قَوْمًا آخَرِينَ هُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ، حَيْثُ رَجَعُوا إِلَى مِصْرَ وَصَارُوا فِيهَا مَلُوكًا وَسَادَةً.

[٣٠] فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمْ أَى عَلَى آلِ فِرْعَوْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضُ وَهَذَا كِنَايَةٌ عَنْ أَنَّهُ لَمْ يَتَغَيَّرْ شَيْءٌ فِي الْكُونِ بِهَلَاكِهِمْ، وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ تَبْكِيَانِ لِمَوْتِ النَّبِيِّ وَالْإِمَامِ وَالْعَالَمِ وَالْمُؤْمِنِ «١»، وَبَطْبِيعَةُ الْحَالِ أَنَّ الْبَكَاءَ مِنْ جِنْسِهِمَا الْمُنَاسِبَ بِهِمَا، وَإِنْ كَانَ يَحْتَمَلُ الْبَكَاءَ حَقِيقَةً - وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بَعِزِيزٌ - وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ أَى لَمَّا حَكَمَ عَلَيْهِمُ بِالْعَذَابِ، لَمْ يَمَهَلُوا حَتَّى يَتُوبُوا، فَلَا يَظُنُّ الْكَافِرُ أَنَّهُ إِذَا جَاءَ الْعَذَابُ يَتِمَكَّنُ مِنَ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِمْهَالِ لِيُصَلِّحَ مَا فَاتَ مِنْهُ.

(١) هُنَاكَ رَوَايَاتٌ حَوْلَ بَكَاءِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ عَلَى النَّبِيِّ وَالْإِمَامِ وَالْمُؤْمِنِ،

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ قَالَ لَمْ تَبْكِ السَّمَاءُ عَلَى أَحَدٍ مِنْذُ قَتْلِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قَتَلَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَبَكَتْ عَلَيْهِ «كَامِلُ الزِّيَارَاتِ: ص ٨٩» ،

وَرَدَ فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ: ج ٩ ص ١٠٩ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَكَاءَهُمَا عَلَى الْمُؤْمِنِ. تَقْرِيبُ الْقُرْآنِ إِلَى الْأَذْهَانِ، ج ٥، ص: ٩٣

[سورة الدخان (٤٤): الآيات ٣٠ الى ٣٤]

وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣٠) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) وَلَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٢) وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاغٌ مُبِينٌ (٣٣) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ (٣٤) [٣١] وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْمُؤْمِنِينَ بِمُوسَى مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ عَذَابِ فِرْعَوْنَ الَّذِي كَانَ يَهِينُهُمْ وَيَذْلُهُمْ، مِنْ قَتْلِ الْأَبْنَاءِ وَاسْتِحْيَاءِ النِّسَاءِ.

[٣٢] مِنْ فِرْعَوْنَ الَّذِي كَانَ يَأْمُرُ بِتَعْذِيبِهِمْ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا أَى مُتَجَبِّرًا مُتَكَبِّرًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَسْرِفُ وَيَتَجَاوَزُ الْحَدَّ فِي الظُّلْمِ وَالتَّعْذِيبِ. [٣٣] وَلَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ أَى اخْتَرْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى عِلْمٍ أَى عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْهَا بِاسْتِحْقَاقِهِمْ، لِأَخْتِيَارِهَا اعْتِبَاطِيًّا عَلَى الْعَالَمِينَ أَى عَوَالِمِ زَمَانِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا مُخْتَارِينَ عَلَى سَائِرِ الْكُفَّارِ فِي زَمَانِهِمْ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ، وَغَيْرُهُمْ كَانُوا كُفَّارًا، وَهَذَا كَمَا يَقُولُ: الشَّرِيفُ الْفُلَانِيُّ أَكْبَرُ أَشْرَافِ الْعَالَمِ، يَرِيدُ أَشْرَافَ زَمَانِهِ لَا كُلَّ شَرِيفٍ كَانَ أَوْ سَيَكُونُ.

[٣٤] وَآتَيْنَاهُمْ أَى أَعْطَيْنَاهُمْ، وَالنِّسْبَةُ إِلَيْهِمْ بِاعْتِبَارِ إِعْطَاءِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا يَقُولُ الْمَلِكُ: أَعْطَيْتُ الْقَبِيلَةَ الْفُلَانِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، فِيمَا إِذَا أَعْطِيَ رَئِيسَهَا مِنَ الْآيَاتِ الْخَارِقَةِ مَا فِيهِ بَلَاغٌ مُبِينٌ أَى امْتِحَانٌ ظَاهِرٌ، حَتَّى يَكُونَ الْمُؤْمِنُ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَالْكَافِرُ عَنْ عِنَادٍ يَسْتَحِقُّ الْعِقَابَ الْأَلِيمَ، وَهِيَ مِثْلُ الْعَصَا وَالْيَدِ وَفَلَقِ الْبَحْرِ، وَتَضْلِيلِ الْغَمَامِ، وَالْمَنْ وَالسُّلُوبِ وَغَيْرِهَا.

[٣٥] وَبَعْدَ التَّكْلِيفِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالرِّسَالَةِ - فِي بَعْضِ جَوَانِبِهَا - يَأْتِي السِّيَاقُ

تَقْرِيبُ الْقُرْآنِ إِلَى الْأَذْهَانِ، ج ٥، ص: ٩٤

[سورة الدخان (٤٤): الآيات ٣٥ الى ٣٧]

إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ (٣٥) فَأَتَوْا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٦) أَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِّعُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٣٧)

لِذِكْرِ الْمَعَادِ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ الْمُعَاوِرُونَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيَقُولُونَ مُنْكَرِينَ لِلْمَعَادِ.

[٣٦] إِنَّ هِيَ أَى مَا الْعَاقِبَةُ وَنَهَايَةُ الْأَمْرِ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى الَّتِي تَزِيلُ حَيَاتِنَا وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ أَى بِمَبْعُوثِينَ، فَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ مَوْتَتَانِ وَحَيَاتَانِ، كَمَا يَقُولُونَ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَإِنَّمَا قَالُوا «الْأُولَى» مَعَ أَنَّهُمْ لَا يَعْتَقِدُونَ بِمَوْتِهِ أُخْرَى، لِتَوْحِيدِ السِّيَاقِ مَعَ كَلَامِ الْمُؤْمِنِينَ

الذين كانوا يحاجوهم.

[٣٧] فَاتُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمَدْعُونَ لِلْبُعْثِ بِآبَائِنَا الَّذِينَ مَاتُوا مِنْ قَبْلِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي مَقَالِكُمْ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَبْعَثُ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَكِنْ كَلَامُهُمْ تَافَهُ إِلَى أْبَعْدِ الْحُدُودِ، إِنْ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَدْعُوا أَنَّهُمْ يَعِيدُونَ الْأَمْوَاتِ وَإِنَّمَا ادْعُوا إِعَادَةَ اللَّهِ لَهُمْ عِنْدَ الْقِيَامَةِ، فَأَيُّ رِبْطٍ بَيْنَ الْكَلَامِينَ؟ وَ لَذَا لَمْ يَأْتِ السِّيَاقُ لِجَوَابِهِ، فَإِنْ جَوَابِ الْمَعَانِدِ السُّكُوتِ.

[٣٨] أَ هُمْ خَيْرٌ أَى هَلْ هُوَ الْكُفَّارِ خَيْرٌ مِنْ حَيْثُ كَثْرَةُ الْأَمْوَالِ وَالْجِيُوشِ وَالْقُوَّةُ أَمْ قَوْمٌ تُبْعُ وَ قَدْ كَانَ تَبِعَ مَلِكًا مُؤْمِنًا، وَ قَوْمَهُ كَافِرِينَ، وَ كَانُوا كَثِيرَى الْأَمْوَالِ وَ الْقُوَى وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَعَادٌ وَ ثَمُودٌ وَ قَوْمَ لُوطٍ وَ غَيْرِهِمْ؟ وَ الْجَوَابُ مُقَدَّرٌ، أَى أَنْ أَوْلَيْتَكَ كَانُوا خَيْرًا مِنْ هُوَ الْكُفَّارِ، وَ مَعَ ذَلِكَ أَهْلَكْنَا هُمْ لَمَّا كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ عَصَوْا رِسْلَهُ لَ إِنْهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ وَ هَذَا تَهْدِيدٌ لَهُؤْلَاءِ بِأَنْ مَصِيرُهُمْ مَصِيرِ أَوْلَيْتِكَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٩٥

[سورة الدخان (٤٤): الآيات ٣٨ إلى ٤١]

وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا لِأَعْيُنٍ (٣٨) مَا خَلَقْنَا هُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٩) إِنْ يَوْمَ الْفُضْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠) يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَ لَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤١) إِنْ تَمَادُوا فِي الْكُفْرِ وَ الطُّغْيَانِ.

[٣٩] وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ صُنُوفِ الْخَلْقِ لِأَعْيُنٍ أَى بِلَا غَرَضٍ وَ غَايَةٍ كَمَا يَفْعَلُ اللَّاعِبُ، حَتَّى نَتْرَكَ هُوَ الْكُفَّارِ، كَمَا سَبَقَ بَلَّ هُمْ فِي شَكِّ يَلْعَبُونَ «١».

[٤٠] مَا خَلَقْنَا هُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ لِأَجْلِ غَايَةٍ هِيَ إِطَاعَةُ الْبَشَرِ، كَمَا

قال تعالى في الحديث «خلقت الخلق لأجلك و خلقتك لأجلي»

وَ فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْبِئْسَ إِلَّا لِیُعْزِدُونَ «٢» وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ أَى أَكْثَرُ النَّاسِ وَ هُمْ الْكُفَّارِ لَا- يَعْلَمُونَ أَنَّ الْخَلْقَ بِالْحَقِّ، بَلْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ صَدْفَةٌ فَلَا غَايَةَ وَ لَا غَرَضَ، وَ لِكُلِّ امْرئٍ مَا يَشَاءُ أَنْ يَعْمَلَ.

[٤١] وَ إِذَا كَانَ الْخَلْقُ بِالْحَقِّ، قَرَّرَ هُنَاكَ يَوْمَ لِلْحِسَابِ وَ الْجَزَاءِ- كَمَا أَنَّ لِأَجْلِ ذَلِكَ أَيْضًا نَزَلَتْ الْكُتُبُ وَ شَرَعَتْ الشَّرَائِعُ- إِنْ يَوْمَ الْفُضْلِ وَ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَفْصَلُ فِيهِ بَيْنَ الْمُحَقِّ وَ الْمُبْطَلِ، وَ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَ أَهْلِ النَّارِ مِيقَاتُهُمْ أَى وَقْتُ حِسَابِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ بِلَا تَخْلُفٍ أَحَدٍ مِنْهُمْ عَنِ ذَلِكَ الْمَوْعِدِ.

[٤٢] ثُمَّ وَصَفَ ذَلِكَ الْيَوْمَ بِأَنَّهُ يَوْمٌ عَجِيبٌ لَا يَفِيدُ فِيهِ إِلَّا رَحِمَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ التَّابِعِ لِلْإِيمَانِ وَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا

(١) الدخان: ١٠.

(٢) الذاريات: ٥٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٩٦

[سورة الدخان (٤٤): الآيات ٤٢ إلى ٤٧]

إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٤٢) إِنْ شَجَرَةَ الرَّقُومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَيْثِمِ (٤٤) كَالْمُهَلِّ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلِي الْحَمِيمِ (٤٦) خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧)

المراد بالمولى هنا الصاحب، سمي به لأنه يتولى شؤون صاحبه أى لا ينفع صاحب لصاحبه، أصلا ولا هم أى الناس يُنصَرُونَ بِأَنْ يَنْصَرَهُمْ أَحَدٌ لِإِنْقَاذِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، فِيمَا اسْتَحَقُّوا الْعَذَابَ.

[٤٣] إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ أَى تفضل عليه سبحانه بغفران ذنبه، وإدراكه الشفاعة، بعد أن كان قابلاً لذلك، بالإيمان الصحيح إِنَّهُ سبحانه هُوَ الْعَزِيزُ الْغَالِبُ عَلَى أَمْرِهِ فلا يرد بأسه عن أحد استحققه الرَّحِيمُ بِالْمُؤْمِنِينَ.

[٤٤] ثم بين سبحانه مقام كل من الفريقين هناك، فقال إِنَّ شَجَرَةَ الرَّقُومِ وَهِيَ شَجَرَةٌ تَعْطَى ثَمَارًا بِشَعَةِ مَرَّةٍ.

[٤٥] طَعَامُ الْأَثِيمِ أَى من كثرت آثامه ومعاصيه، فإن «أثيم» فعيل من «الإثم».

[٤٦] كَالْمُهْلِ وَهُوَ النِّحَاسُ الْمَذَابُ - أو ما أشبه يَغْلَى فِي الْبُطُونِ أَى إذا أكله الأثيم غلى وفار فى بطنه من شدة الحرارة.

[٤٧] كَغَلَى الْحَمِيمِ أَى مثل غلى الماء الحار الشديد الحرارة.

[٤٨] ثم يقال للزبانية الموكلين بالنار خُذُوهُ أَى خذوا هذا الأثيم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٩٧

[سورة الدخان (٤٤): الآيات ٤٨ الى ٥١]

ثُمَّ صُيِّبُوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُوقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ (٥٠) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١)

فَاعْتَلَوْهُ يُقَالُ «عْتَلَهُ» إِذَا دَفَعَهُ بِشِدَّةٍ وَعَنْفٍ، أَى فادفعوه من أطراف النار إلى سواءِ الْجَحِيمِ أَى فى وسط النار، حيث العذاب والألم أكثر، وسمى وسط الشيء سواء، لاستواء المسافة بينه وبين أطرافه المحيطة به.

[٤٩] ثُمَّ صُيِّبُوا فَوْقَ رَأْسِهِ لِلتَّعْذِيبِ وَالإِهَانَةِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ أَى الماء الحار الشديد الحرارة، فهو فى وسط النار، و فى بطنه زقوم يغلى، و على رأسه يصب الماء الحار.

[٥٠] و يقال له لإذلاله فى مقابل كبريائه فى الدنيا ذُوقْ هَذَا الْعَذَابِ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ فَإِنَّ الْكُفَّارَ يَقُولُونَ فى الدنيا، بلسان حالهم، أو لفظاً، إنا أعزاء كرماء فكيف نتبع الدين؟ فيقال لهم هذا القول هناك على وجه السخرية والاستهزاء، و

قد ورد أن أبا جهل قال للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ما بين جليها أعز ولا أكرم منى، فنزلت هذه الآية.

[٥١] ثم يقال لهم إِنَّ هَذَا الْعَذَابَ وَالْجَزَاءَ مَا كُنْتُمْ أَيُّهَا الْكُفَّارُ بِهِ تَمْتَرُونَ أَى تشكون فى دار الدنيا، فذوقوه الآن جزاء لشككم و إصراركم على الكفر والعناد.

[٥٢] و لننظر إلى مقام المؤمنين الورعين هناك إِنَّ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ اتَّقَوْا الْكُفْرَ وَالمَعَاصِيَ فى دار الدنيا فى مَقَامٍ أَمِينٍ أَى فى محل مأمون

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٩٨

[سورة الدخان (٤٤): الآيات ٥٢ الى ٥٦]

فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥) لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتُ إِلَّا الْمَوْتَةُ الْأُولَى وَوَقَّاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) من العذاب والآلام.

[٥٣] فِي جَنَّاتٍ أَى بساتين وَعُيُونٍ أَى أنهر جارية، أو عيون صافية، ومعنى «فى» إنهم فى محل فيه «عيون» و «أشجار».

[٥٤] يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَهُوَ الْحَرِيرُ الرَّقِيقُ وَإِسْتَبْرَقٍ هُوَ الْحَرِيرُ الْخَشَنُ، وَلكل فضل، فالأول ألين مسا، والثانى أكثر جمالا- فى العين، فى حال كونهم مُتَقَابِلِينَ يقابل بعضهم بعضاً فى مجالسهم، يتحدثون هناك، و لا تأخذهم وحشة الانفراد.

[٥٥] كَذَلِكَ حَالُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ جَمَعَ «حوراء» وَهِيَ الْمَرْأَةُ الْبَيْضَاءُ الْمَلَائِكِيَّةُ الْجَمِيلَةُ عَيْنٍ جَمَعَ عِينَاءَ، وَهِيَ مِنْ وَسَعَتْ حَدَقَتَهَا، وَذَلِكَ مِمَّا يَزِيدُ مِنْ جَمَالِ الْمَرْأَةِ.

[٥٦] يَدْعُونَ فِيهَا أَى يطلبون فى الجنات بِكُلِّ قِسْمٍ مِنَ الْفَاكِهَةِ أَى الثمرة آمينٍ أَى فى حال كونهم لا يخافون نفاذها أو ضررها، أو

المراد مطلق الأمان من كل مكروه، وكرر ذلك لأهميته.

[٥٧] لا يَدُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ فَهَم خالِدُونَ فِي ذَلِكَ النعيم أبد الأبدين، وقد شبه الموت بالمعلومات، ولذا نسب إليه الذوق إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى استثناء منقطع، إذ الموتة الأولى إنما هي في دار الدنيا،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٩٩

[سورة الدخان (٤٤): الآيات ٥٧ إلى ٥٩]

فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٥٧) فَإِنَّمَا يَسْرُنَاهٗ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥٨) فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ (٥٩)

والمعنى أن هؤلاء لا يلاقون الموت إلا في الدنيا، أما في الآخرة فلا موت لهم، وقد سبق وجه الاستثناءات المنقطعة عموماً، وأن الكلام المتقدم يفرض خالياً عن القيد، وذلك لتكثير الفائدة، فتحل الجملتان إلى ثلاث جمل ووقاهم أي حفظهم الله سبحانه عذاب الجحيم فليس عدم موتهم من قبيل عدم موت أهل النار، الذي يأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت «١».

[٥٨] فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ أَي يَفْضَلُ سُبْحَانَهُ بِهَذِهِ النِّعْمِ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ فَضْلًا، إِذ لَا يَسْتَحِقُّ أَحَدٌ عَلَى اللَّهِ شَيْئًا ذَلِكَ الْفَضْلُ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ أَي الْفَلَاحُ وَالظَّفَرُ بِالْمَطْلُوبِ الَّذِي لَيْسَ شَيْءٌ أَعْظَمَ مِنْهُ.

[٥٩] فَإِنَّمَا يَسْرُنَاهٗ أَي سَهَّلْنَا الْقُرْآنَ بِلِسَانِكَ الْعَرَبِيِّ، يَا رَسُولَ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ مَا أودع في فطرتهم من المبدأ والمعاد ليفوزوا بذلك الثواب وينجوا من تلك النار والعقاب.

[٦٠] فَارْتَقِبْ أَي انْتَظِرْ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْوَعْدَ إِنَّهُمْ أَي الْكُفَّارَ مُرْتَقِبُونَ أَي مُنْتَظَرُونَ، فَإِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَصْمِينَ يَنْتَظِرُ مَا يَحِلُّ بِالْخَصْمِ الْآخَرَ، وَهَذَا تَهْدِيدٌ لَهُمْ، بِأَنَّهُمْ سَيَلْقَوْنَ جَزَاءَ أَعْمَالِهِمْ كَمَا تَقُولُ لِمَنْ تَرِيدُ تَهْدِيدَهُ، «انْتَظِرْ فَإِنِّي مُنْتَظَرٌ مَعَكَ» أَي سَتَرِي مَا يَحِلُّ بِكَ.

(١) إبراهيم: ١٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٠٠

٤٥ سورة الجاثية مكية آياتها / (٣٨)

تقريب القرآن إلى الأذهان ج ٥ ١٤٩

سميت السورة بهذا الاسم لاشتغالها على كلمة «جاثية» وهي كباقي السور المكية مشتملة على قضايا العقيدة بأصولها الثلاث ولما ختمت سورة الدخان بذكر القرآن، وإنه ميسر بلسان الرسول، افتتحت هذه السورة بذلك.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نستعين بالله في أمورنا كلها، فالظرف متعلق بـ «نستعين» على بعض الأقوال، فإن الإنسان يحتاج إلى العون في كل خطوة من خطى الحياة، واسم الله أحق شيء يستعان به، الرحمن الرحيم، الذي له الرحمة المكررة ولعل التكرار، لإفادة أنه يرحم، ثم يرحم، بخلاف سائر الناس الذين إذا وجدوا أن من رحموه ليس أهلاً قطعوا الرحمة منه.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٠١

[سورة الجاثية (٤٥): الآيات ١ إلى ٤]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤)

[٢] حم «حاء» و«ميم» وأشباههما من سائر حروف الهجاء هو مادة القرآن التي يتركب منها، وهي مادة لإلفاتكم معاصر العرب، فعدم

إمكانكم الإتيان بمثله دليل قاطع على أنه تنزِيلُ اللَّهِ سبحانه، أو رمز بين الله و الرسول، أو غيرهما من الأقوال.

[٣] تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ أَيْ أَنْ أَنْزَلَ هَذَا الْكِتَابَ وَ هُوَ الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ مِنَ اللَّهِ لَا مِنْ غَيْرِهِ، كَمَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْتَرُونَ بِنِسْبَةِ الْقُرْآنِ إِلَى الرَّسُولِ أَوْ بَعْضِ الْأَعْجَمِيِّينَ، أَوْ الشَّيْطَانِ - حَيْثُ يَقُولُونَ أَنَّهُ كَهَانَةٌ - الْعَزِيزِ فِي سُلْطَانِهِ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ الْحَكِيمُ يَفْعَلُ الْأَشْيَاءَ عَلَى وَفْقِ الصَّلَاحِ فَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى طَبَقِ الصَّلَاحِ وَ الْحِكْمَةِ.

[٤] إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ دَالَّةٌ عَلَى وَجُودِ اللَّهِ وَ سَائِرِ صِفَاتِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ إِنَّمَا خَصَّهُمْ مَعَ أَنَّ الْآيَاتِ أَعْمَ، لِأَنَّهُمْ هُمُ الْمُتَمَتِّعُونَ بِهَا، وَ أَمَّا غَيْرُهُمْ فَهَمُ مَعْرُضُونَ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَ كَأَيُّنَ مِنْ آيَاتِهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَ هُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ «١».

[٥] وَ فِي خَلْقِكُمْ أَيْهَا الْبَشَرِ وَ مَا يَبُتُّ اللَّهُ أَيْ يَنْشُرُ مِنْ دَائِهِ بَيَانُ «مَا» وَ هِيَ كُلُّ حَيْوَانٍ، وَ إِنْ كَانَ الْأَصْلُ فِيهَا خَاصًّا، بِمَا يَدْبُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ آيَاتٌ أَيْ دَلَالَاتٌ دَالَّةٌ عَلَى وَجُودِ اللَّهِ وَ عِلْمِهِ وَ قُدْرَتِهِ

(١) يوسف: ١٠٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٠٢

[سورة الجاثية (٤٥): آية ٥]

وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥) لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ أَيْ يَرِيدُونَ الْعِلْمَ وَ الْيَقِينَ، فَإِنَّ الْفِعْلَ يَسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى الْإِرَادَةِ، كَمَا أَنَّ الْإِرَادَةَ تَسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى الْفِعْلِ، وَ خَصَّتِ الْآيَاتِ بِهِمْ، لِأَنَّهُمْ هُمُ الْمُتَمَتِّعُونَ بِهَا، وَ إِنَّمَا قَالَ فِي الْمَوْضِعِينَ «آيَاتٍ» مِمَّا ظَاهِرُهُ وَجُودُ بَعْضِ الْآيَاتِ، مَعَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ آيَةٌ، لِأَنَّ الْمُرَادَ آيَاتِ عِظَامٍ، وَ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْعِظَامَ مِنَ الْآيَاتِ بَعْضُهَا.

[٦] وَ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ بِمَجْئِئِ أَحَدِهِمَا مَكَانَ الْآخَرِ عَلَى نِظَامٍ وَاحِدٍ بَدُونَ خَلَلٍ وَ اخْتِلَافٍ وَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ إِمَّا الْمُرَادَ مَطْلُوقِ الْأَرْزَاقِ وَ كَوْنِهَا مِنَ السَّمَاءِ، لِأَنَّ تَقْدِيرَهَا يَكُونُ هُنَاكَ، أَوْ الْمُرَادَ الْمَطْرَ الَّذِي هُوَ سَبَبُ الْإِنْبَاتِ، وَ مِنْهُ يَأْتِي الرِّزْقُ، وَ هَذَا هُوَ الْأَقْرَبُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا يَأْتِي - وَ إِنْ أُمِكنَ الْاسْتِخْدَامُ - وَ تَسْمِيَةُ الْمَاءِ رِزْقًا بِعِلَاقَةِ السَّبَبِ وَ الْمَسْبَبِ، مِثْلُ قَوْلِهِ:

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعِينَاهُ وَ إِنْ كَانُوا غَضَابًا فَأَخْيَا بِهِ أَيْ سَبَبُ ذَلِكَ الرِّزْقِ الَّذِي هُوَ الْمَاءُ الْمَأْرُضُ بَعْدَ مَوْتِهَا جَمُودَهَا وَ اغْبِرَارَهَا، لَا حَرَكَتِ فِيهَا وَ لَا نَشَاطٍ وَ فِي تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ بِصَرْفِهَا مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ، شَمَالًا وَ جَنُوبًا، شَرْقًا وَ غَرْبًا آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ أَيْ دَلَالَاتٍ لِأَهْلِ الْعَقْلِ، أَمَّا غَيْرُهُمْ فَإِنَّهُمْ يَعْمَلُونَ عَقُولَهُمْ حَتَّى يَدْرِكُوا هَذِهِ الْآيَاتِ الدَّالَّةَ عَلَى وَجُودِ اللَّهِ وَ قُدْرَتِهِ وَ سَائِرِ صِفَاتِهِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٠٣

[سورة الجاثية (٤٥): الآيات ٦ الى ٨]

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْتَلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَ آيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (٦) وَ يُلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنَّ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشْرُهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ (٨)

[٧] تِلْكَ الَّتِي تَقَدَّمَتْ آيَاتُ اللَّهِ أَيْ دَلَالَاتُهُ الَّتِي نَصَبَهَا بَرَهَانًا عَلَى وَجُودِهِ وَ سَائِرِ صِفَاتِهِ تَنْتَلُوها أَيْ نَقَرُها، وَ الْمُرَادُ الْإِيحَاءَ بِهَا، وَ تَلَاوَهُ الْمَلِكِ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِالْحَقِّ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِالْبَاطِلِ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ الَّذِي هُوَ الْقُرْآنُ وَ آيَاتِهِ الدَّالَّةُ عَلَى وَجُودِهِ وَ سَائِرِ صِفَاتِهِ يُؤْمِنُونَ أَيْ أَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِآيَاتِ اللَّهِ الْكُونِيَّةِ وَ الشَّرْعِيَّةِ، فِيمَاذَا يُؤْمِنُونَ؟ وَ الْمَعْنَى أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِهَذَا الْوَضُوحِ وَ الْجَلَاءِ، فَإِنَّ كَانَ الْإِنْسَانُ يُؤْمِنُ بِشَيْءٍ، كَانَ الْإِلْزَامُ أَنْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَ آيَاتِهِ.

[٨] وَ يُلِّ كَلِمَةٌ تَقَالُ عِنْدَ إِرَادَةِ بَيَانِ سُوءِ الْحَالِ لِكُلِّ أَفَّاكٍ صَيِّغَةٌ مَبَالِغَةٌ، بِمَعْنَى كَثِيرِ الْإِفْكَ أَيْ الْكُذْبِ أَثِيمٍ أَيْ كَثِيرِ الْعِصْيَانِ، وَ هُوَ الَّذِي يَكْذِبُ بِكُلِّ شَيْءٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ وَ الْقُرْآنَ.

[٩] ثم يبين المراد من الأفاك الأثيم بقوله تعالى يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ أَى آيَاتِ الْقُرْآنِ تُتْلَى عَلَيْهِ وَ تَقْرَأُ عِنْدَهُ بِقَصْدِ هِدَايَتِهِ وَ إِرْشَادِهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا أَى يَقِيمُ عَلَى كُفْرِهِ وَ تَكْبَرِهِ عَنِ الْحَقِّ، وَ الْإِتْيَانِ ب «ثم» لبيان استبعاد الإصرار بعد سماع الآيات فقد كان الكبر بعيدا بعد تلاوة الآيات كَأَنَّ لَمْ يَسْمَعْهَا أَى لَمْ يَسْمَعْ الْآيَاتِ إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا وَ بَقِيَ عَلَى مَا كَانَ سَابِقًا فَبَشَّرَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ مُؤَلِّمٌ مَوْجِعٌ، وَ الْإِتْيَانِ بِلَفْظِ الْبَشْرَى لِلْإِسْتِهْزَاءِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٠٤

[سورة الجاثية (٤٥): الآيات ٩ الى ١٢]

وَ إِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوعًا أَوْ لَوْثَكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٩) مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَ لَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠) هَذَا هُدًى وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ أَلِيمٍ (١١) اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢)

[١٠] وَ إِذَا عَلِمَ ذَلِكَ الْأَفَاكُ مِنْ آيَاتِنَا أَى أَدَلَّتْنَا وَ حَجَجْنَا الدَّالَّةَ عَلَى وَجُودِنَا وَ سَائِرِ صِفَاتِنَا شَيْئًا أَى بَعْضًا اتَّخَذَهَا هُزُوعًا أَى يَسْتَهْزِئُ بِهَا، كَأَنَّ الْآيَةَ آلَةٌ سَخْرِيَّةٌ لَهُ أَوْلِيَاءُ الَّذِينَ تَلَكَّ صِفَاتِهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ يَهِينُهُمْ وَ يَذْلُهُمْ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْأَلَمِ الَّذِي فِيهِ.

[١١] مِنْ وَرَائِهِمْ أَى عَقِبَ هَؤُلَاءِ، فِي الْآخِرَةِ جَهَنَّمُ الَّتِي هِيَ مَقْرَهُمْ وَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا أَى لَا يَدْفَعُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، كَكَسْبِهِمْ لِلْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ وَ الْجَاهِ، شَيْئًا، بَأَنَّ يَخْفَفُ عَنْهُمْ بَعْضَ الْعَذَابِ وَ لَا يَغْنَى عَنْهُمْ مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ أَى لَا يَدْفَعُ عَنْهُمْ بَعْضَ الْعَذَابِ آلِهَتِهِمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فِي النَّارِ.

[١٢] هَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ، وَ الْآيَاتُ الَّتِي أَوْضَحْنَاهَا هُدًى يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَ صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ أَى أَدَلَّتْهُ الَّتِي أَقَامَهَا عَلَى تَوْحِيدِهِ وَ سَائِرِ صِفَاتِهِ، بَعْدَ مَجِيءِ الْهَدَايَةِ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ وَ هُوَ أَشَدُّ الْعَذَابِ أَى مِنْ هَذَا الْقِسْمِ مِنْهُ أَلِيمٌ مُؤَلِّمٌ مَوْجِعٌ.

[١٣] ثُمَّ أَخَذَ السِّيَاقَ فِي وَصْفِ بَعْضِ آيَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ أَى ذَلَّلَهُ لَكُمْ لِيُصَلِّحَ لِرُكُوبِكُمْ عَلَيْهِ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ أَى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٠٥

[سورة الجاثية (٤٥): الآيات ١٣ الى ١٤]

وَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣) قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤)

السفن فيه أَى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ تَعَالَى، فَتَسْخِرُ الْبَحْرَ شَيْءًا، وَ إِجْرَاءُ الْفُلُكِ شَيْءٌ آخَرٌ، وَ لِذَا قَالَ «بِأَمْرِهِ» وَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ أَى إِنْ جَرِيَانِ الْفُلُكِ لِأَسْفَارِكُمْ وَ لَطَلْبِكُمْ التَّجَارَةَ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَ لَكِي تَشْكُرُوا نِعْمَةَ سُبْحَانَهُ، فَالْتَسْخِيرُ لِغَايَاتِ ثَلَاثٍ.

[١٤] وَ سَخَّرَ لَكُمْ أَيُّهَا الْبَشَرُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ فَإِنَّهُمَا تَسِيرَانِ وَ تَعْمَلَانِ لَيْلَ نَهَارٍ لِنَفْعِ الْبَشَرِ، وَ مِنْ جَعَلَهُمَا كَذَلِكَ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ؟ جَمِيعًا صَفَةً «مَا» أَى سَخَّرَ كُلَّ شَيْءٍ جَمِيعًا مِنْهُ أَى مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَلَا شَرِيكَ لَهُ وَ لَا صَانِعَ غَيْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ التَّسْخِيرَ لِمَا فِيهَا لِأَجْلِ نَفْعِ الْبَشَرِ لِأَنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ آيَةً وَ دَلَالَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ فِي أَوْضَاعِ الْكُونِ، وَ تَخْصِيصِهِمْ بِالذِّكْرِ، لِأَنَّهُمُ الْمُتَفَكِّرُونَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ دُونَ غَيْرِهِمْ فَكَأَنَّهَا خَلَقَتْ لَهُمْ فَقَطْ.

[١٥] قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَالَكُمُ مِنَ الْكُفَّارِ أَذَى اغْفِرُوا لَهُمْ لِيُغْفِرُوا وَيُصْفِحُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ أَيُّهَا اللَّهُ هِيَ الْأَيَّامُ الَّتِي يَظْهَرُ فِيهَا عِقَابُهُ أَوْ نِعْمَتُهُ، فَإِنَّ الْكُفَّارَ لَا يَعْتَرِفُونَ بِاللَّهِ، حَتَّى يَرْجُونَ أَيَّامَهُ، وَ الْمُرَادُ بِذَلِكَ أَنْ لَا يَكُونَ الْمُؤْمِنُونَ فِي صَدَدِ الْإِنْتِقَامِ مِنَ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ يُؤْذِنُهُمْ، وَ ذَلِكَ خَطْءٌ أَخْلَاقِيَّةٌ سِيَاسِيَّةٌ فَإِنَّ الْمَظْلُومَ تَهَوَّاهُ الْأَنْفُسُ فَتَرْجَحُ كَفْتَهُ، وَ بِذَلِكَ يَكُونُ قَدْرُ رِيحِ الْمَعْرَكَةِ،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٠٦

[سورة الجاثية (٤٥): الآيات ١٥ إلى ١٦]

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١٥) وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ (١٦)

ولذا ينقل عن «غاندى» محرر الهند قوله «تعلمت من الحسين عليه السلام أن أكون مظلوما لأنتصر»، والحاصل يتركوا مجازاتهم ليتولى الله ذلك عنهم ليجزى الله قوماً أى الكفار بما كانوا يكسبون فمعنى الغفران إيكال الجزاء إليه سبحانه كما يقول الحاكم للمظلوم اترك عقاب ظالمك لأجازيه أنا.

[١٦] ثم يبين سبحانه أن كل عامل يجزى بما عمل فالمؤمنون يجزون جزاء إيمانهم والكافرون يجزون جزاء كفرهم مَنْ عَمِلَ صَالِحًا المراد به كل عمل صالح فَلِنَفْسِهِ إذ فائدته ترجع نحوه وَمَنْ أَسَاءَ بَأْسَ السَّيِّئِ فَعَلَيْهَا أى فضرر ذلك على نفسه ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ بعد الجزاء فى الدنيا، هناك جزاء آخر فى الآخرة، عند رجوع الناس إلى حساب الله و جزائه.

[١٧] ثم يأتى السياق لبيان أنه كيف يجزى من كفر بالنعمة فى الدنيا، وأنه كيف يسلب عن الظالم النعمة لتعطى غيره مع بيان أن القيادة الإلهية انتقلت من بنى إسرائيل إلى المسلمين، ليقودها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حسب شرع السماء وَلَقَدْ آتَيْنَا أى أعطينا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَهُوَ التَّوْرَةُ، وَالْحُكْمَ أى الحكومة فإن منصب الحكومة والسلطة على الناس خاص بالله سبحانه، ومن بعده لأنبيائه والأئمة حسب ما قرره تعالى، ومن بعدهم لنوابهم و وكلائهم وَالنُّبُوَّةَ فكان فيهم الملوك والأنبياء

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٠٧

[سورة الجاثية (٤٥): آية ١٧]

وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧)

وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ حيث تفضلنا عليهم بركات الأرض والسماء وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ أى عالمى زمانهم، فإن كل جيل عالم، و كل قرن عالم، وهذا هو المتبادر من هذه الجملة- كما ذكرنا سابقا- لا لجميع العوالم من الأولين والآخرين، فلو قال أحد إن الدولة الفلانية أقوى الدول، كان المتبادر منه، الدول المعاصرة لها لا دول الملوك ماضيا ومستقبلا إلى الأبد.

[١٨] وَآتَيْنَاهُمْ أى أعطيناهم بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ أى دلالات و براهين واضحات من أمر الدين و الدنيا، فإن الدين و الدنيا يحتاجان إلى مبين و موضح لمسالكهما، والأنبياء دائما يأتون بذلك، مثلا يبينون أن الصوم حنة من النار، أن الحجامة وقاية من الأمراض فاختلفوا، وقابلوا الإحسان بالكفران، وقد كانوا هم الأمة الوحيدة الموجهة للعالم التى بيدها قيام الدين و الدنيا- حتى أن عيسى عليه السلام كان شارحا و موضحا، لا ناسخا- و ما اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَأْسَ السَّيِّئِ فَعَلَيْهَا أى فضرر ذلك على نفسه ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ بعد الجزاء فى الدنيا، هناك جزاء آخر فى الآخرة، عند رجوع الناس إلى حساب الله و جزائه.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٠٨

[سورة الجاثية (٤٥): الآيات ١٨ إلى ٢٠]

ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيحَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩) هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٢٠)

و صاد بعض فى السبت، و لم يصد بعض و هكذا و إذ خرجت بنو إسرائيل عن صلاحية القيادة بسبب كفرهم و اختلافهم انتهت

القيادة إلى الرسول والمسلمين.

[١٩] ثُمَّ مِنْ بَعْدِ أَوْلَئِكَ جَعَلْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى شَرِيحَةٍ أَى عَلَى طَرِيقَةٍ مِنَ الْأَمْرِ أَى أَمْرَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، بَأَنَّ بَيْنَا لَكَ طَرِيقَةً خَاصَةً لِسَعَادَةِ الْإِنْسَانِ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ فَاتَّبِعْهَا أَى اتَّبِعْ يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ الشَّرِيعَةَ وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ، فَإِنَّ النَّاسَ يَرِيدُونَ مِنَ الْقَائِدِ أَنْ يَتَّبِعَ آرَاءَهُمْ، وَ هُنَا يَأْتِي النَّهْيُ عَنِ ذَلِكَ، فَإِنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ لَيْسَ كَسَائِرِ الْقَادَةِ، وَ إِنَّمَا لَهُ مِنْهَا جَاحِزٌ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، يَلْزَمُ عَلَيْهِ أَنْ يَطْبِقَهُ وَيُعَلِّمَهُ لِلنَّاسِ، وَ هَذَا يَنَافِي اتِّبَاعَ آرَاءِ الْأَشْخَاصِ.

[٢٠] إِنَّهُمْ أَى الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أَى لَا يَفِيدُونَكَ فِي دَفْعِ مَا يَرِيدُ اللَّهُ بِكَ - إِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ - وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ أَى أَنَّ الْكُفْرَانَ بَعْضُهُمْ يُوَالِي بَعْضٌ وَ يَنْصُرُ الْآخَرِينَ فِي مَعَادَاتِكَ، فَلَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْتَمِدَ عَلَيْهِمْ وَ تَتَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ يَلِي أُمُورَهُمْ، فَحَسْبُكَ اللَّهُ، عَنِ هَؤُلَاءِ.

[٢١] هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ بِصَائِرِ النَّاسِ جَمْعَ بَصِيرَةٍ، فَكَمَا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٠٩

[سورة الجاثية (٤٥): الآيات ٢١ إلى ٢٢]

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَ مَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١) وَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ لِيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٢)

أَنَّ الْبَصِيرَةَ فِي الْإِنْسَانِ كَاشِفَةٌ لَهُ طَرِيقَ الْفَلَاحِ، كَذَلِكَ الْقُرْآنُ كَاشِفٌ طَرِيقَ السَّعَادَةِ، أَى بَيِّنَاتٌ تَبْصِرُهُمْ أُمُورَهُمْ، فَلَا يَحْتَاجُ الْإِنْسَانُ بَعْدَ الْقُرْآنِ إِلَى اتِّبَاعِ الْأَهْوَاءِ وَ هُدًى أَى هِدَايَةً إِلَى الطَّرِيقِ وَ رَحْمَةً أَى فَضْلًا وَ تَرْحَمًا، يَرْحَمُهُمُ اللَّهُ بِهِ إِذْ يَرِيهِمُ السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ بِهِ وَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ، وَ إِنَّمَا خَصَّهُمْ، لِأَنَّهُمُ الْمُنْتَفِعُونَ أَمَّا غَيْرُهُمْ، فَهَمُ فِي ضَلَالٍ وَ نَقْمَةٍ.

[٢٢] هُنَالِكَ ظَالِمُونَ يَتَّبِعُونَ الْأَهْوَاءَ، وَ مُتَّقُونَ يَتَّبِعُونَ الشَّرِيعَةَ، فَهَلْ هُمَا مُتَسَاوِيَانِ؟ كَلَّا، فَإِنَّ الْبُيُوتَ بَيْنَهُمَا شَاسِعٌ أَمْ حَسِبَ أَى هَلْ حَسِبَ وَ ظَنَّ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَى اقْتَرَفُوهَا وَ ارْتَكَبُوهَا، وَ الْاجْتِرَاحُ الْاِكْتِسَابُ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ «أَمْ» مَنْقُوعَةٌ فِيهَا مَعْنَى الْاِسْتِفْهَامِ الْاِنْكَارِي، أَى لَيْسَ كَذَلِكَ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَ مَمَاتُهُمْ أَى تَسْتَوِي حَيَاتُهُمْ وَ مَوْتُهُمْ، وَ الْمَحْيَى وَ الْمَمَاتُ مَصْدَرَانِ مِثْمَانِ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ بَأَنَّ الطَّائِفَتَيْنِ مُتَسَاوِيَتَانِ، فَحَيَاةُ الْمُؤْمِنِينَ فِي سَعَةٍ وَ رَاحَةٍ وَ اِطْمَئِنَانٍ، وَ حَيَاةُ الْكَافِرِينَ ضَنْكٌ وَ تَعَبٌ وَ قَلَقٌ، وَ مَمَاتُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْجَنَّةِ وَ الرِّضْوَانِ، وَ مَمَاتُ الْكَافِرِينَ إِلَى السَّخَطِ وَ النَّيْرَانِ.

[٢٣] وَ كَيْفَ يَتَسَاوَى حَالُ الْمُؤْمِنِ وَ الْكَافِرِ وَ الْحَالُ أَنَّهُ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ مِنْ مَقْتَضِيَاتِ الْحَقِّ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ عَامِلٍ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١١٠

[سورة الجاثية (٤٥): آية ٢٣]

أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَ خَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلَى بَصِيرَتِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣)

أَجْرَهُ، لِأَنَّ يَتَسَاوَى الْمَصْلُوحُ وَ الْمَفْسُودُ فِي الْأَجْرِ؟ وَ لِيُجْزَى أَى خَلَقَهُمَا لِأَنَّ تَجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ مِنْ خَيْرٍ وَ شَرٍّ لَوْ تَسَاوَا لَمْ يَتَرْتَبْ هَذَا الثَّمَرُ عَلَى الْخَلْقِ، بَلْ لَمْ يَثْبُ الْمَحْسَنُ بِالْإِحْسَانِ، وَ لَمْ يَجَازِ الْكَافِرُ بِالْعِصْيَانِ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ فَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الْمَحْسَنِ شَيْءٌ، وَ لَا يَزِيدُ عَلَى عِقَابِ الْمُسِيءِ شَيْءٌ.

[٢٤] أَفَرَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَى الشَّخْصَ جَعَلَ مَكَانَ إِلَهِ الْهَوَى، فَكَمَا يَعْبُدُ الْمُؤْمِنُونَ الْإِلَهَ، يَعْبُدُ وَ يَتَّبِعُ هُوَ هَوَاهُ وَ مَيُولُ نَفْسَهُ، وَ قَدْ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَنْ يَعْبُدُ حَجْرًا إِذَا رَأَى حَجْرًا أَجْمَلَ مِنْهُ رَمَى بِالْأُولِ وَ اتَّخَذَ الثَّانِي إِلَهًا وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ أَى تَرَكَ سَبْحَانَهُ، لِئَنَّهُ فِي الضَّلَالَةِ عَلَى عِلْمٍ مِنْهُ سَبْحَانَهُ بِاسْتِحْقَاقِهِ لِلتَّرْكِ، فَإِنَّهُ لَمَّا أُعْرِضَ عَنِ الْهَدْيِ تَرَكَ تَعَالَى وَ شَأْنَهُ، وَ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَنْ جَهْلِ - تَعَالَى عَنِ ذَلِكَ - بَلْ عَنِ عِلْمٍ، لِاسْتِحْقَاقِهِ التَّرْكَ وَ الْخِذْلَانَ وَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ مَعْنَى الْخَتْمِ أَنْ يَكُونَ كَالشَّيْءِ

المختوم الذي لا يدخل فيه شيء و الختم على السمع كناية عن عدم إشفاعه بما يسمعه، و على القلب كناية عن عدم وعى قلبه للحق، و نسبة الختم إليه سبحانه، لأنه خلق البشر بحيث إنهم لو انحرفوا عن الجادة، و استمروا في الانحراف اعتاد قلبهم ذلك، فلم يمل إلى الهدى، و يكون الضلال ملكة لهم، فلا يدخل في القلب هداية كالشيء المختوم وَ جَعَلَ عَلَى بَصِيرِهِ غِشَاوَةً أَى غطاء، لا يعتبر بالنظر، فهو

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١١١

[سورة الجاثية (٤٥): آية ٢٤]

وَ قَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَ نَحْيَا وَ مَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٤)

و الأعمى سواء فَمَنْ يَهْدِيهِ أَى يهدى هذا الشخص المتصف بتلك الصفات مِنْ بَعْدِ اللَّهِ و هل هناك هاد إلا هو؟ و المعنى أنه إذا لم يهتد بهداية الله، فلا هداية عند غيره حتى يمكن أن يهتدى بها أَ فَلَا تَذَكَّرُونَ أصله «تذكرون» على قاعدة باب «التفعل» و الاستفهام إنكارى، أى لماذا لا تتعظون بهذه المواعظ؟

[٢٥] وَ قَالُوا أَى قَالَ المنكرون للبعث ما هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا أَى ليست للبشر حياة إلا هذه الحياة القريبة، فلا حياة بعد الموت نَمُوتُ وَ نَحْيَا فحياتنا فيها نخرج من بطون الأمهات، و موتنا هو هذا الذى نشاهده، و الفعلان باعتبار الجنس، أى نموت نحن و يحيا أولادنا، و هكذا، أو المراد كل فرد، و إنما آخر «نحيا» للتناسب مع «حياتنا الدنيا» فى السجع، و قد تقرر فى الأدب أن الواو لا يدل على الترتيب، قال ابن مالك:

و اعطف بو او سابقا أو لاحقا فى الحكم أو مصاحبا موافقا وَ مَا يُهْلِكُنَا وَ يَمِيتُنَا إِلَّا الدَّهْرُ أَى مرور الزمان، فليس هناك إله يميت وَ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ الذى ذكروه من كون الحياة منحصرة فى هذه، و إن المهلك هو الدهر مِنْ عِلْمٍ حتى يقولوا ذلك عن يقين و دراية إِنْ هُمْ أَى ما هؤلاء القائلين إِلَّا يَظُنُّونَ ظنا بذلك، من التقليد و التخمين، و التقدير «ما هم إلا ظانون».

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١١٢

[سورة الجاثية (٤٥): الآيات ٢٥ الى ٢٦]

وَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَوْنَا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٦)

[٢٦] وَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ أَى على هؤلاء المنكرين للنشأة الأخرى الكافرين بالله آيَاتُنَا أَى أدلتنا الدالة على وجودنا و وجود الدار الآخرة بَيِّنَاتٍ أَى فى حال كون تلك الآيات ظاهرات واضحات ما كَانَ حُجَّتَهُمْ أَى دليلهم فى نفى الآخرة إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَوْنَا أَيها المقرون بالمعاد بِآبَائِنَا الذين ماتوا من قبل إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فى دعوكم إن البعث سيكون؟ و قد كان هذا الكلام تافها فأى ربط بين أن يكون شيء فى المستقبل و بين أن يأتى به المدعى له حالا- أ ترى هل يصح أن يقول المنكر للصيف- و هو فى الشتاء- اتى أيها المقوم بالصيف إن كنت صادقا؟ فجوابه: أنا أقول بمدعى الصيف فى وقته ولى دليل، كما أن جواب الدهرية: نحن نقول بالبعث و لنا أدلة، أما أن يأتى بالبعث حالا بإحياء الأموات فلا ربط له بالكلام.

[٢٧] قُلِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لهؤلاء- معرضا عن جوابهم التافه- مبينا لهم الحقيقةَ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ بعد أن كنتم ترابا ميتا، و المراد بذلك استمرار إحياء الله للبشر من القديم إلى المستقبل، و لذا جىء بالمستقبل ثُمَّ يُمِيتُكُمْ بإزهاق أرواحكم- فى مقابل قولهم: ما يهلكنا إلا الدهر- ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ للنشور، من القبور، منتهين فى السير إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ حين يحاسب الخلائق لا رَيْبَ فِيهِ أَى ليس محلا للريب، و إن ارتاب فيه المبطلون وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ لأنهم أعرضوا عن التعلم، فإن المعاد فيه جهتان، الإمكان، و الوقوع، أما

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١١٣

[سورة الجاثية (٤٥): الآيات ٢٧ الى ٢٩]

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِنِدِ الْغَاطِقُونَ (٢٧) وَ تَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلَّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩)

الإمكان فمن قدر على الابتداء يقدر على الإعادة بالضرورة ... و أما الوقوع، فقد أخبر الصادق بوقوعه، فلا بد أن يقع.

[٢٨] وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَأَنْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ تَحْتَ قُدْرَتِهِ، وَ لَا تَتَوَنَّاهُ إِمَّاكَانَ الْفِرَارِ وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَى الْقِيَامَةِ يُومِنِدِ الْغَاطِقُونَ أَيُّ الْغَاطِقُونَ أَى الْفَاعِلُونَ لِلْبَاطِلِ، وَ مَعْنَى خَسَارَتِهِمْ هَلَاكِهِمْ.

[٢٩] وَ تَرَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ أَيُّهَا الرَّائِي، فَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلِّ أُمَّةٍ جَائِيَةً مِنَ الْجَنَّةِ وَ هُوَ التَّهَيُّؤُ لِلْقِيَامِ، وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ الْخَائِفَ لَا يَجْلِسُ جَلْسَةَ الْإِطْمِنَانِ بَلْ يَرْفَعُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَرْضِ حَتَّى إِذَا نَوَدَى أَوْ جَاءَ الْفِرْعُ قَامَ فُورًا بِلَا اسْتِبْطَاءٍ، وَ هُنَاكَ كُلُّ أُمَّةٍ مَنَحَاةً عَنِ أُمَّةٍ أُخْرَى، جَائِيَةً عَلَى رَكْبَتَيْهَا، أَوْ الْمَرَادُ جُثُومَهُمْ بَيْنَ يَدَيْ الْحُكَّامِ، كَمَا يَجْتَوِ الْمَتْرَافِعَانَ عِنْدَ الْقَاضِي، كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْمَنْزَلِ عَلَى نَبِيهَا، لِأَنَّ الْكِتَابَ حُكْمًا بَيْنَهُمْ، هَلْ عَمِلُوا عَلَى طَبَقِهِ أَمْ لَا وَ ذَلِكَ كَمَا يَقُولُ أَحَدُ الْمُتَخَصِّمِينَ لِلْآخِرِ: أَدْعُوكَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، فَيَقَالُ لَهُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ أَى نَفْسِ الْأَعْمَالِ - بِنَاءً عَلَى تَجْسِيمِهَا - أَوْ جَزَائِهَا.

[٣٠] هَذَا كِتَابُنَا أَى اللَّوْحَ الْمَحْفُوظَ، أَوْ دِيْوَانَ الْحَفِظَةِ الَّذِي سَجَّلَ فِيهِ أَعْمَالَكُمْ يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ أَى يَبِينُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَ سَمَى الْبَيَانَ نَطْقًا، لِلْمَشَابَهَةِ فَى إِبْدَاءِ الْمَخْفَى مِنَ الْعَمَلِ، كَمَا أَنَّ النَّطْقَ يَبْدَى الْمَخْفَى فَى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١١٤

[سورة الجاثية (٤٥): الآيات ٣٠ إلى ٣٢]

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (٣٠) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَ كُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٣١) وَ إِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ السَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَ مَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ (٣٢)

القلب بِالْحَقِّ فَلَا يَبِينُ الْبَاطِلَ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ أَى نَكْتُبُ، وَ الْاسْتِنْسَاخُ هُوَ الْأَمْرُ بِالنَّسْخِ، أَى نَأْمُرُ الْكُتُبَةَ بِنَسْخِ أَعْمَالِكُمْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ فَى دَارِ الدُّنْيَا.

[٣١] فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا يَجِبُ الْإِيمَانَ بِهِ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَى الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فَى رَحْمَتِهِ أَى جَنَّتِهِ وَ ثَوَابِهِ وَ فَضْلِهِ ذَلِكَ الْإِدْخَالَ فَى الرَّحْمَةِ هُوَ الْفَوْزُ أَى الْفَلَاحُ الْمُبِينُ الظَّاهِرُ.

[٣٢] وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقَالُ لَهُمْ أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ يَقْرَؤُهَا عَلَيْكُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَ الْمُرْشِدُونَ فَاسْتَكْبَرْتُمْ أَى تَعَاظَمْتُمْ عَنِ قَبُولِ الْحَقِّ وَ كُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ تَعْمَلُونَ بِالْإِجْرَامِ، كَفَرُوا وَ عَصِيَانًا؟ وَ هَذَا سُؤَالٌ تَوْبِيخٌ وَ تَقْرِيعٌ.

[٣٣] وَ كُنتُمْ فَى دَارِ الدُّنْيَا إِذَا قِيلَ لَكُمْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَالْبَعْثُ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ وَ السَّاعَةُ أَى الْقِيَامَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا أَى لَيْسَتْ مَحَلُّ الرِّيبِ وَ الشُّكِّ قُلْتُمْ فَى جَوَابِ الْمُؤْمِنِينَ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ أَى لَا نَعْلَمُ مَا هِيَ، تَقُولُونَ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الْاسْتِهْزَاءِ إِنْ نَظُنُّ أَى مَا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١١٥

نظن بها إِلَّا ظَنًّا فَلَيْسَ لَنَا عِلْمٌ بِهَا، وَ «الظن» فَى الْأَوَّلِ اسْتَعْمَلَ فَى الْمَعْنَى الْأَعْمَ، وَ فَى الثَّانِي بِمَعْنَاهِ الرَّاجِحِ الْمَقَابِلِ لِلْوَهْمِ وَ مَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ أَى لَا يَقِينُ وَ لَا عِلْمٌ لَنَا.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١١٧

تقريب القرآن الى الأذهان الجزء السادس والعشرون من آية (٣٤) سورة الجاثية إلى آية (٣١) سورة الذاريات

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ وَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى وَ عَتْرَتِهِ الطَّاهِرِينَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١١٩

[سورة الجاثية (٤٥): الآيات ٣٣ الى ٣٥]

وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٣) وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٣٤) ذَلِكَ بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَغَرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٣٥) [٣٤] وَهَذَا بَدَأَ أَيُّ ظَهَرَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا أَيُّ الْجِزَاءِ الَّذِي رَتَبَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَحَاقَ أَيُّ حَلٍّ وَأَحَاطَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ مِنَ الْعَذَابِ، فَإِنَّهُمْ إِذَا هَدَدُوا بِالْعَذَابِ فِي دَارِ الدُّنْيَا، اسْتَهْزَؤُوا بِهِ، وَهَذَا يَحِلُّ ذَلِكَ بِهِمْ.

[٣٥] وَقِيلَ لَهُمْ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ أَيُّ نَتْرَكْكُمْ هَمَلًا كَالْمَنْسَى، تَلَاقُونَ الْعِقَابَ وَالْعَذَابَ كَمَا نَسَيْتُمْ وَتَرَكْتُمُ الْعَمَلَ لِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَذَا فَكَمَا تَرَكْتُمُ الْإِسْتِعْدَادَ لِهَذَا الْيَوْمِ نَتْرَكْكُمْ فِي الْعَذَابِ، وَالْإِتْيَانُ بِلَفْظِ نَسَى لِأَنَّ الْمَهْمَلَ إِذَا طَالَ أَمَدَ إِهْمَالِهِ صَارَ نَسِيًا مَنَسِيًا، فَالْمَعْنَى نَتْرَكْكُمْ إِلَى أَنْ تَكُونُوا مَنَسِينَ وَمَأْوَاكُمُ أَيُّ مَحَلِّكُمْ وَمَنْزِلِكُمُ النَّارُ فَكَمَا أَحْرَقُوا أَعْمَارَهُمْ وَطَاقَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا سَوْفَ يَحْرَقُونَ بِالنَّارِ فِي الْآخِرَةِ، فَإِنَّ النِّيرَانَ الْمَعْنَوِيَّةَ صَارَتْ نِيرَانًا مَادِيَّةً وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ يَخْلُصُونَكُمْ مِنَ النَّارِ، فَكَمَا لَمْ يَنْفَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا الَّذِينَ كَانُوا يَرِيدُونَ خَلَاصَهُمْ مِنَ نِيرَانِ عَقَائِدِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، كَذَلِكَ لَا يَنْفَعُهُمْ هُنَاكَ أَيُّ نَاصِرٍ لِأَنَّ الْآخِرَةَ تَبِعَ لِلدُّنْيَا، وَهِيَ ثَمَرَةٌ لِلْأَعْمَالِ فِي الدُّنْيَا، فَكَمَا أَنَّ بَذْرَةَ التَّفَاحِ تَعْطَى التَّفَاحَ، وَبَذْرَةَ الْحَنْظَلِ تَعْطَى الْحَنْظَلَ، كَذَلِكَ الْعَقَائِدُ وَالْأَعْمَالُ وَالصِّفَاتُ فِي الدُّنْيَا تَعْطَى ثَمَرَهَا فِي الْآخِرَةِ.

[٣٦] أَمَا أَنَّهُمْ كَيْفَ سَلَكُوا فِي الدُّنْيَا هَذَا الْمَسْلَكَ الَّذِي أَدَّى بِهِمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَى النَّارِ فَذَلِكَ ذَلِكَ الْمَسْلَكَ الدُّنْيَوِيَّ، إِنَّمَا كَانَ أَيُّهَا الْكُفَّارُ الْمَخَاطَبُونَ - فَإِنَّ «كَمْ» خُطَابٌ - بِسَبَبِ أَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٢٠

اللَّهِ الْآيَاتِ الْبَشَرِيَّةَ، كَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَنْمَةَ وَالْمُرْشِدِينَ، وَالْآيَاتِ الْعَقَائِدِيَّةَ، كَالْعَقِيدَةَ بِأَصُولِ الدِّينِ، وَالْآيَاتِ الْإِحْكَامِيَّةَ، كَأَحْكَامِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهَا كُلُّهَا آيَاتٌ، وَعَلَامَاتُ اللَّهِ، وَعَلَامَاتُ تَكْوِينِيَّةٌ، وَعَلَامَاتُ تَشْرِيْعِيَّةٌ.

هُزُوعًا أَلَّهُ اسْتَهْزَاءً، فَكُنْتُمْ تَضْحَكُونَ عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَعَلَى أَحْكَامِهِ، كَمَا هُوَ شَأْنُ الْإِنْسَانِ الْجَاهِلِ وَالْمُتْجَاهِلِ، وَبِذَلِكَ لَمْ يَرْضَخُوا لِأَنْبِيَاءِهِ وَأَوْلِيَاءِهِ سَبْحَانَهُ، وَلا - لِأَحْكَامِهِ تَعَالَى وَغَرَّتْكُمْ خَدَعْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا الْقَرِيبَةَ فَحَسَبْتُمْ أَنْ لَا حَيَاةَ سِوَاهَا، وَلِذَا انْسَقَمْتُمْ مَعَ الْأَهْوَاءِ وَالْمَشْتَهَاتِ الَّتِي أَضْرَتْكُمْ، نَتِيجَةً عِنَادِكُمْ لِلْحَقِّ فَالْيَوْمَ فِي الْآخِرَةِ، فَإِنَّ الْيَوْمَ يُطْلَقُ عَلَى النَّهَارِ وَحَدِهِ، وَعَلَى النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَعَلَى الْقِطْعَةِ مِنَ الزَّمَانِ وَلا كَانَتْ طَوِيلَةً جَدًّا، وَلا يُقَالُ:

الدَّهْرُ يَوْمَانِ يَوْمٌ لَكَ وَيَوْمٌ عَلَيْكَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا لَا مَخْرَجَ لَهُمْ، لِيَبَانَ أَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ بِأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْخُرُوجِ، فَالْخُرُوجُ إِنْ كَانَ فَهُوَ بِوَسْطَةِ الْغَيْرِ، وَلا غَيْرَ يَخْرُجُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ لَا يَطْلُبُ مِنْهُمْ أَنْ يَعْتَبُوا بِهِمْ أَيُّ يَرْضَوْهُ، بِالِاسْتِغْفَارِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، لِأَنَّ الْوَقْتَ قَدْ فَاتَ، فَإِنَّ وَقْتَ إِرْضَاءِ اللَّهِ هُوَ دَارُ الدُّنْيَا، وَسَبَبُ أَنْ الْآخِرَةَ لَيْسَتْ مَحَلَّ الْإِرْضَاءِ: أَنَّ الْعَقَائِدَ وَالْأَعْمَالَ فِي الدُّنْيَا أَحَالَتِ الْإِنْسَانَ إِلَى قِطْعَةٍ خَبِثَتْ، كَمَا تَسْتَحَالُ الْبَيْضَةُ إِلَى فَرَخٍ، فَكَمَا لَا يُمْكِنُ إِرْجَاعُ الْفَرَخِ بَيْضَةً، كَذَلِكَ لَا يُمْكِنُ إِرْجَاعُ مَا اسْتَحَالَ خَبِيثًا إِلَى الْحَالَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ الَّتِي يُمْكِنُ بِهَا أَنْ يَعْمَلَ صَالِحًا وَيَعْتَقِدَ صَاحِحًا، فَإِنَّ فِي الدُّنْيَا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٢١

[سورة الجاثية (٤٥): الآيات ٣٦ الى ٣٧]

فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣٧) الْإِسْتِفْرَاحُ، وَهَذَا لَا يَنَافِي قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ، إِذْ اللَّهُ يَخْلُقُ كُلَّ شَيْءٍ مُمْكِنًا، وَهَذَا شَيْءٌ مُمْكِنٌ خَلَقَهُ سَبْحَانَهُ، وَتَفْصِيلُ الْمَسْأَلَةِ فِي كِتَابِ الْفَلَسَفَةِ.

[٣٧] وَإِذْ بَيْنَا لَكُمْ مَصِيرَ الْمَطِيعِ وَالْعَاصِي فَاصْرَفُوا كُلَّ طَاقَاتِكُمْ فِي سَبِيلِ الْإِطَاعَةِ، وَالِاجْتِنَابِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، إِذْ لِلَّهِ وَحْدَهُ الْحَمْدُ لِأَنَّ كُلَّ خَيْرٍ مِنْهُ، حَتَّى أَنْ الْإِنْسَانَ إِذَا عَمَلَ الْخَيْرَ، فَإِنَّهُ سَبَقَهُ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْقُدْرَةَ عَلَى الْخَيْرِ، فَإِنَّهُ هُوَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ مَا فِي الْجِهَاتِ الْعَالِيَا وَ

رَبِّ الْأَرْضِ مَا فِي الْجَهَّةِ السُّفْلَى، و إنما جعلت السماوات جمعا و الأرض مفردا، لأن ما نسكنها أرض، و كل ما سوى ذلك فهو سماوات لأنها أعلى من هذه الأرض، أما جمع الأرض في الأدعية، و في قوله سبحانه وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ «١» فلما حطت النسبة رَبِّ الْعَالَمِينَ كل عالم، عالم الجن، و عالم الملائكة، و عالم الإنسان، و عالم الحيوان، إلى غيرها، و حيث التداخل بين العوالم و بين السماوات و الأرض، لم يأت بالواو في «رب العالمين» و جىء بالجمع العاقل باعتبار تغليب العاقل على غيره لأن العاقل أشرف.

[٣٨] إنه «الله» الذات المستجمع لجميع الكمالات و «رب» و يربى و ينمى الأكوان و لَهُ الْكِبْرِيَاءُ لأنه أكبر من كل شيء، كبرا معنويا، و أكبر من أن يوصف في السَّمَاوَاتِ و الْأَرْضِ فهو القاهر الذي ليس لشيء

(١) الطلاق: ١٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٢٢

كبر و قهر مستقل، إن ما استفاده منه، فهو يستحق الحمد، لأنه الله، و لأنه رب، و لأن له الكبرياء و هو يستحق الحمد، لأنه كامل، و لأنه رب، و لأنه الكبير القاهر المشرف على كل شيء و هُوَ الْعَزِيزُ الْوَحِيدُ الذي غيره ذليل أمام عظمته (وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ) «١» الْحَكِيمُ وضع كل شيء حسب الحكمة في موضعه اللائق به.

(١) طه: ١١٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٢٣

٤٦ سورة الأحقاف مكية / آياتها (٣٦)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتغالها على لفظ «الأحقاف» و هي كسائر السور المكية مشتملة على قضايا العقيدة ألوهية و رساله و معادا.

و لما ختمت سورة «الجاثية» بصفات الله سبحانه ابتدأت هذه السورة، بأن القرآن من تنزيل هذا الإله العظيم، ليكون الناس أقرب إلى قوله لأنه لأنه منزل من عند الله سبحانه.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ باسم الله نبدأ، ليطابق ابتداءنا في اللفظ، الابتداء في الخلق، فكما أن الله سبحانه أول كل شيء، كذلك اسمه أول كل كلام، و هو مكرر الرحمة، يرحم بدء و ختاماً بمختلف أشكال الرحمة، و لعله لذا جىء بلفظي الرحمن و الرحيم، فإن اختلاف اللفظ دليل على اختلاف المعنى، فالرحمن إشارة إلى نوع من الرحم، و الرحيم إشارة إلى نوع آخر.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٢٤

[سورة الأحقاف (٤٦): الآيات ١ الى ٣]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم (١) تَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ (٣)

[٢] حم رمز بين الله و الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ و الراسخين في العلم، و لعله يأتي زمان يدرك الناس هذا الكنز المعنوي، كما انه لا يمر زمان إلا و يدرك الناس كنوزا كونية، فإن العلوم كلها قوانين وضعها الله في الكون، مثل قانون جاذبية الأرض و قانون أرخميدس في الماء و قانون الأطياف في النور و غيرها، و إذا كان رمزا لم يلزم أن يعرفه الكل، فإن الرموز بين رؤساء الحكومات و كبار أعضاء الدولة في صلاح الناس، و إن كان كل الناس لا يعرفونها.

[٣] إن هذا القرآن هو تَنْزِيلُ الْكِتَابِ و إنما قال «تنزيل» لأنه أنزل من فوق أى الفوق المعنوى لأن الله سبحانه أرفع من الكل، كما يقال فى العرف أن الأمر صدر من الجهات العليا، يريدون جهة السلطان، و إن كان بيت السلطان تحت الجبل، و المأمور فوق الجبل مثلا، إذ السلطان أعلى رتبة من السوقة و المأمورين مِنَ اللَّهِ لا من الجن، بالكهانة، و لا من لسان أعجمى، و لا من نفس محمد صلى الله عليه و آله و سلم كما كانوا يرمون القرآن بكل ذلك العزير فبعزته أرسل رسولا و أنزل دستوراً، إذ لو لا العزة لم يكن له ذلك الحَكِيم الحكمة و وضع الأشياء موضعها؛ فإنزله الكتاب إنما هو حسب الحكمة، لإصلاح الدين و الدنيا، و قد كان الله قادراً على أن يخلق الكون مثل ما ينتهى إليه فى آخر نقطة من الكمال، إلا أن هذا اللون من الخلق كان يتطلب بلسان الحال إفاضة الوجود و الله فياض مطلق لا بخل فيه، و لذا خلق هذا اللون المتدرج فى الصعود أيضاً.

[٤] ما خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ تَقْدِمَ فِي آخِرِ سُورَةِ الْجَاثِيَةِ وَ جِهَ جَمْعِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٢٥

السماوات و أفراد الأرض و ما بَيْنَهُمَا فى كل خلل و فرج منهما، كالإنسان و الملك و نحوهما، فالمخلوقات فيهما باعتبار، و بينهما باعتبار آخر إلاً بِالْحَقِّ لا هزوا و لا لعباً، و المراد بالحق المطابق للصالح، خلافاً للهزو الذى ليس مطابقاً للصالح، لا يقال قدر من اللعب أيضاً مطابق للصالح، و لذا أجاز يعقوب عليه السلام أن يلعب أولاده، لأنه يقال ذلك يصلح للإنسان المخلوق بهذه الكيفية الخاصة، الذى لا يقدر من العمل الجدى المستمر فيحتاج إلى الترفيه، لا بالنسبة إلى الله الذى لا يتعب و لا يمسه لغوب و إلا إلى أجل زمان مُسَمَّى سُمِيَ عندنا إذا انتهى ذلك الأجل هلكت السماوات و الأرض و ما بينهما كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ «١» فليس الخلق فوضى فى المدة، كما يزعمه الجاهلون ثم إن الأجل له إطلاقات «القطعة من الزمان» مثل إن أجل زيد خمسون سنة، و «آخر الزمان» مثل إن أجل زيد إلى سنة ألف و أربعمئة من الهجرة و كلاهما محتمل فى الآية الكريمة و مع ذلك الَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أَنْذَرُوا مِنَ الْعِقَابِ فى الدنيا لمخالف قوانين الله، فكل من لم يعمل بالشرعية وجد ضنك العيش و مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً «٢» و من العقاب فى الآخرة بالنار و الجحيم مُعْرِضُونَ فلا يعملون بالأوامر، مع أن الخلق بالحق، و إن المدة قصيرة ذات أجل، و قد كان مقتضى العقل أن يعمل الذين كفروا بالإنذار، بعد ما يشاهدون من حقيقة الخلق و بعد ما

(١) القصص: ٨٩.

(٢) طه: ١٢٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٢٦

[سورة الأحقاف (٤٦): آية ٤]

قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَا ذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ اتَّبُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤)

علموا من عدم البقاء السرمد، و إنما لكل شىء أجل.

[٥] ثم إنكم أيها الكفار، لا حجة لكم فى كفركم ف قل لهم يا رسول الله أَرَأَيْتُمْ أى أخبرونى أيها الكافرون عن حال ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ من الأصنام، سواء كان، شمساً، أو قمراً، أو بشراً، أو حجراً، أو غير ذلك أَرُونِي مَا ذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ فهل خلقوا نباتاً أو حيواناً أو بحراً أو براً، أو غير ذلك، و لا يحق لهم أن يقولوا أن فرعون مثلاً خلق تلك المدينة إذ فرعون لم يخلق، و إنما فرعون جاء بالمعدات أى حركة عضلاته فقط، و إنما مادة البناء و صورته كلاهما لله سبحانه و لذا قال سبحانه وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ «١» أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ شراكة فى خلق السماوات و حيث رأيتم إنهم شركاء الله فى خلق الأرض و السماوات فاتخذتموهم شركاء لله و كفرتم بوحدانيته و إذ ادعيتهم الشراكة فى الخلق اتَّبُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا الْقُرْآنِ يُؤِيدُ اشْتِرَاكَ الْأَصْنَامِ فى الخلق، إن كنتم تدعون أنكم على دين، كما

كان بعضهم يدعى أنه على دين إبراهيم عليه السلام، أو دين عيسى عليه السلام، أو دين موسى عليه السلام، ومع ذلك كانوا يجعلون الأصنام أو المسيح، أو عزيزا، شركاء لله أو آثاره بقية من علم بأن يدل المنطق على صحة اعتقادكم بالآلهة الباطلة إن كنتم صادقين في دعوكم أن الأصنام

(١) الفرقان: ٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٢٧

[سورة الأحقاف (٤٦): آية ٥]

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥)

وغيرها شركاء لله سبحانه، و إذ لا دليل لكم من كتاب سابق، و لا من علم و برهان، فتركوا الأصنام و سائر المعبودات، و اعبدوا إلهها واحدا فقط، و إنما قال سبحانه «أثارة من علم» لأنهم كانوا جهالا و هم أيضا ما كانوا يدعون أنهم علماء، و لكن الجاهل قد يبقى له بعض العلم و المنطق عن أسلافه.

[٦] و هؤلاء الكفار الذين يتركون الله سبحانه و يدعون غير الله من الأوثان، سواء تركوا الله إطلاقا، أو تركوا الله في الجملة، بأن أشركوا معه غيره، لا- أحد أكثر ضلالا منهم إذ من أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له فهو قد ترك السميع المجيب القادر على قضاء حوائجه و اتخذ إلهه صنما لا يجيبه إلى يوم القيامة و لو دعاه طول حياة الدنيا، و جعل يوم القيامة غاية مع أن الأصنام لا تجيبهم إلى الأبد و حتى بعد يوم القيامة، إنما هو لأجل أن هؤلاء يعترفون في يوم القيامة بضلال أنفسهم، ففي يوم القيامة لا دعوة من باب السالبة بانتفاء الموضوع، فلا دعوة للكفار حتى يطرح الكلام في أنه هل تجيبهم الأصنام أم لا، مثل قولهم لا كلمتك إلى أن تموت، فليس المراد أكلمك بعد الموت، بل المراد أن موضوع الكلام ينتفى و هم أي تلك الآلهة البشرية أو الحجرية أو الشمس و القمر و نحوها، و إنما جرى بلفظ العاقل، لأن بعض المعبودات عقلاء، أو لأن الكفار لما أنزلوها منزلة العقلاء عبادتهم لها، جرى الكلام على منطقتهم عن دعائهم أي دعاء الناس لتلك الأصنام غافلون لأنها جمادات فلا تشعر طلب الكفار منها، أو عباد مشغولون بأحوال أنفسهم، فالغفلة كناية عن عدم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٢٨

[سورة الأحقاف (٤٦): الآيات ٦ الى ٧]

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ (٦) وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٧)

قضاء حاجة عبادها، فإذا قضاوا حاجة لهم، فإنما في الحقيقة، ليست مرد الحاجة لتلك الأفراد بل لله سبحانه.

[٧] وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ أَي جَمَعُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَانُوا تِلْكَ الْأَصْنَامَ لَهُمْ لِلْبَشَرِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَهَا أَعْدَاءً لِأَنَّ الْأَصْنَامَ تَضُرُّ عِبَادَهَا، بِإِدْخَالِهِمُ النَّارَ، كَمَا يَفْعَلُ الْعَدُوُّ بَعْدَهُ وَكَانُوا تِلْكَ الْأَصْنَامَ بِعِبَادَتِهِمْ أَي عِبَادَةَ الْبَشَرِ لَهَا كَافِرِينَ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْطِقُ الْأَصْنَامَ لِيُظْهِرُوا تَبْرِيَهُمْ مِنْ عِبَادَتِهَا، أَوْ كِنَايَةً عَنْ أَنَّهُ لَوْ كَانَ تِلْكَ الْأَصْنَامَ لِسَانَ لَكُفْرَتْ بِعِبَادَتِهَا، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي آيَةٍ أُخْرَى إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَ لَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ «١» و لا- مانع من نطق الجماد بقدرة الله تعالى، و في الآيات و الأخبار دلالة على ذلك كقوله سبحانه قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ «٢» و قوله سبحانه فَأَيِّنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا «٣» و قوله عز من قال فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ «٤» و قوله سبحانه يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا «٥» إلى غير ذلك ... و حاصل الآيتين الكريمتين أنه لا فائدة في عبادة هذه الأصنام و إنما تضر في الآخرة، عوض أن تنفع.

[٨] و هؤلاء الكفار اتخذوا الباطل، و تركوا الحق و عاندوه، أما اتخاذهم الباطل فلما سبق من عبادتهم الأصنام، و أما تركهم الحق

فلأنهم

(١) فاطر: ١٥.

(٢) فصلت: ١٢.

(٣) الأحزاب: ٧٣.

(٤) النازعات: ١٥.

(٥) الزلزلة: ٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٢٩

[سورة الأحقاف (٤٦): آية ٨]

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٨)

إذا تُلِّيَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا الدالَّةُ على التوحيد و الرسالة و المعاد، في حال كونها بَيِّنَاتٍ واضحة يفهمها كل عاقل قال الَّذِينَ كَفَرُوا قَالُوا لِلْحَقِّ الَّذِي بَيْنَا لَهُمْ لَمَّا جَاءَهُمْ وَاضِحاً هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ أَى واضح كونه سحراً، فجعَلوا الحق الواضح، سحراً واضحاً، بسبب عنادهم، ثم إن الفرق بين السحر و المعجز: أولاً: أن العقل يميز بينهما، فهل أن للكون إلهها عالماً قادراً سحراً؟ و هل أن الصنم و البشر إله خالق؟ و ثانياً: إن الإعجاز بدون أدوات، و السحر يأتي بأدوات. و ثالثاً:

إن الساحر لا يقدر على كل شيء بل على أشياء خاصة، بينما صاحب الإعجاز على كل شيء مقدور في ذاته.

[٩] إنهم كانوا يقولون أن الآيات سحر، و كانوا يقولون أن محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مفتر على الله، لأنه يدعى أنه نبي من قبل الله، و الحال أنه ليس نبي أم يَقُولُونَ افْتَرَاهُ «أم» بمعنى «بل» كأنه تعجب من دعواهم أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مفتر قُلْ في جوابهم يا رسول الله لا يمكن أن يفترى البشر على الله، إذ اللازم على الله أن يفضحه، فإن العقلاء يحتجون على المفترين بما لا يتمكن من رده ف إِنْ افْتَرَيْتُهُ افتريت القرآن فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً يقال «يملك الوزير من الأمير» أَى أن الأمير إذا أراد شيئاً و لم يرده الوزير يتمكن الوزير أن يصرف الأمير عن إرادته، لكن الإنسان لا يملك أن يصرف الله عن إرادته، و قد أراد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٣٠

[سورة الأحقاف (٤٦): آية ٩]

قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٩)

سبحانه فضح مدعى النبوة كذباً، لأنه سبحانه نصب الأدلة العقلية على خلافه، كما نصب الأدلة العقلية على فضح مدعى الطب كذباً، و مدعى الهندسة كذباً، لأن الأول لا يقدر على شفاء المرضى، و الثاني لا يقدر على جعل الهندسة لبناء دار و نحوها، و الرسول إن كان كاذباً فهل كان يقدر على جواب كل سؤال و حل كل مشكلة؟ فلو كان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كاذباً، لا يملك أحد أن يصرف الله عن إرادته في فضح الكاذب ... ثم هددهم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بقوله هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ تندفعون فيه من الشرك و تكذيب آياته و الافتراء على رسوله، و سيجازيكم عليه كَفَىٰ بِهِ أَى بالله شَهِيداً شاهداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ يشهد لي بالصدق، لأنه لم يفضحنى، بالأدلة العقلية و يشهدكم بالانحراف بما قد نصب من الأدلة العقلية المبينة لبطلان المبطل و لا بأس لكم فإن تبتم تاب الله عليكم لأنه هُوَ الْغَفُورُ لعباده التائبين الرَّحِيمُ بهم يتفضل عليهم من رحمته زيادة على غفران ذنوبهم.

[١٠] و قد كان كفار مكة يستدلون على عدم رسالة الرسول بأنه لو كان رسولا لزم أن يأتيهم بكل آية يقترحونها من الإعجاز، عنادا فيهم و تضليلاً للسذج ف قُلْ يا رسول الله في جوابهم ما كُنْتُ بِدَعَاً جديداً بديعاً مِنَ الرُّسُلِ حتى أتاكم بكل ما تقترحونه من الآيات،

فهل كانت الرسل تأتي بكل آية تقترحها عليهم أمهم؟ حتى يأتيكم بمثل أولئك الرسل، كلما تقترحون من الآيات، فإن كانت الحجة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٣١

كافية، فقد أتيتكم بالقرآن و بمعجزات أخر تكفى فى إثبات النبوة، و إن كانت الحجة غير كافية، فالإتيان بالمعجزة أيضا غير مفيدة لإقناعكم، أ رأيت لو عالج الطبيب أعصى الأمراض، و تحدى الأطباء، فهل للأطباء أن يقولوا أنت لست بطبيب، و إلا فعالج مرضى آخرين؟ و إذا قالوا ذلك ألم يحمل كلامهم على العناد؟ و كذلك الكفار كانوا يقولون للرسول إن كنت رسولا فقل لنا ما هو مصيرنا فى الدنيا و ما هو مصيرك؟ و أجابهم الرسول صلى الله عليه و آله و سلم ما أدري ما يفعل بي و لا بكم فإن علم الغيب تفصيلا خاص بالله تعالى إن أتبع إلا ما يوحى إليّ «إن» نافية أى ما أتبع فى المعجىء بالآيات، و فى الإخبار عن المغيبات، إلا كما يوحى إلى، و ليس من الصلاح إجابة كل معاند بما يقترح، و إلا كان مهزل، و كرروا قولهم أنه سحر، فما ذا يفعل الرسول لمن يرد العناد؟ و قبل الرسول صلى الله عليه و آله و سلم جاءهم موسى بكل آية فقالوا سحران تظاهرا «١» كما انه ليس من الصلاح أن يخبرهم الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بكل ما يريدون من المغيبات لأنه إن كان لإقناع المصنف فقد اقتنع بما رآه من إعجاز القرآن و غيره، و إن كان لإقناع المعاند، فالمعاند لا يقتنع و لو جاءهم الرسول بكل آية، أليس عيسى عليه السلام أخبرهم بما يأكلون و ما يدخرون فى بيوتهم و مع ذلك كفروا به؟ و ما أنا إلا نذير منذر بأن من لم يسمع كلامى له حياة سيئة فى الدنيا و فى الآخرة

(١) القصص: ٤٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٣٢

[سورة الأحقاف (٤٦): آية ١٠]

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠)

وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى «١» مُبَيَّنَّ واضح كوني منذرا و رسولا، فاللازم أن أتى إليكم بالقدر الذى يثبت أنى منذر و رسول، لا أن أتى بالمقترحات العنادية لكم.

[١١] قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِي شَاهِدَانِ عَلَىٰ صَدَقِي، فَكَيْفَ تَكْفُرُونَ أَنْتُمْ، مِمَّا يَسْبَبُ لَكُمْ أَشَدَّ الْوَبَالِ. الأول: الإعجاز. الثانى: تصديق أهل الكتاب الذين هم أهل خبرة لى، و ذلك كما ادعى إنسان أنه طبيب ثم عالج الأمراض، و صدقه الأطباء، فهل يبقى هناك شك فى كونه طبيبا؟

و من أنكر كونه طبيبا أليس يكون معاندا؟ أ رأيتكم أخبروني إن كان القرآن من عند الله دليل أنكم عاجزون عن الإتيان بمثله و الحال أنكم كفرتُم به أليس ذلك يسبب الوبال لكم؟ و أ رأيتم إن كان شهد شاهد من بنى إسرائيل الذين هم أهل كتاب و خبرة كعبد الله بن سلام الذى كان من علماء بنى إسرائيل و آمن برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم على مثله أى مثل قولى أنه من عند الله فأمن و استكبرتم أنتم، أليس ذلك يسبب لكم الوبال؟ و قد حذف الجواب «لأنه كان من عند الله...» للتحويل، مثل قولك مهديا لولدك، إن شربت الخمر؟ تريد أنه يلاقى عقوبة بسبب شربه- كما ذكروا فى علم البلاغة- ثم ألمع سبحانه إلى الجواب بقوله إن الله لا يهدي القوم الظالمين الذين

(١) طه: ١٢٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٣٣

[سورة الأحقاف (٤٦): آية ١١]

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكَ قَدِيمٍ (١١)

ظلموا أنفسهم بالعناد، الله لا يوصلهم إلى مطلبهم، لأن الهداية قد تكون بمعنى إراءة الطريق نحو وَاَمَّا نَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى «١» أى أريناهم الطريق، وقد تكون بمعنى الإيصال إلى المطلوب نحو إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ «٢» أى لا توصلهم إلى المطلوب، وإلا فالهداية بإراءة الطريق كانت من شأن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ...

وإذا لم يوصلهم الله إلى مطلبهم خسروا الدنيا والآخرة.

[١٢] ثم إن هؤلاء الكفار بالإضافة إلى كفرهم بالله، وبالرسول، وبالقرآن، أخذوا يستهزئون بالمؤمنين وذلك بأن قال الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أى قالوا عنهم، وكأنه جاء «باللام» مرة دلالة على أنهم قالوا فى حضور المؤمنين و ب «سبقوا» غائباً، مرة دلالة على أنهم قالوا فى غيبة المؤمنين، للدلالة على أن الكفار كانوا يقولون ذلك فى كل حال لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ وَالْقُرْآنُ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا أى لم يسبقنا المؤمنون بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، إِلَيْهِ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ، وذلك لأننا أكثر عقلاً- منهم، فلو كان خيراً لكننا نحن السابقين و سبب قولهم هذا هو أنهم إِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ و لم يسلكوا سبيل الهداية فَسَيَقُولُونَ للترفيه عن أنفسهم إنه ليس بخير بل هذا القرآن و ما جاءه الرسول إِفْكَ كَذِبٌ قَدِيمٌ كما فى آية أخرى وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا «٣» فهم لم يقبلوا عناداً، واستهزءوا بالمؤمنين، وقالوا إنه ليس بخير،

(١) فصلت: ١٨.

(٢) القصص: ٥٧.

(٣) الفرقان: ٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٣٤

[سورة الأحقاف (٤٦): الآيات ١٢ الى ١٣]

وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ (١٢) إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣)

وإنما هو كذب سابق، و كل قولهم و عملهم هراء و بدون حجة، و إنما هو كلام المستكبرين و المعاندين، فإن رمى كل حق بأنه ليس بخير، و أن المؤمنين به لا عقل لهم، و إنه إفك قديم، سهل، لكن الإتيان بالدليل على ذلك غير ممكن، و لذا قالوا فى المثل «ما أسهل كيل التهم و أصعب إقامة الأدلة عليها».

[١٣] و كيف يكون هذا إفك و الحال أن مِنْ قَبْلِهِ قَبْلَ الْقُرْآنِ كِتَابُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ التَّوْرَةُ تشمل على ما يشمل عليه هذا القرآن، فى حال كونه إماماً يقتدى به الناس، فهل من يقتدى بكتاب موسى عليه السَّلَام لا عقل له؟ وَرَحْمَةً لِرَحْمِ الْبَشَرِ، و الكذب ضد الرحم، فقولهم «ليس بخير» و «إفك» جوابهم أنه ككتاب موسى عليه السَّلَام فهو «إمام» و «رحمة» و هذا القرآن كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لما فى كتاب موسى عليه السَّلَام من أصول الدين و الأخلاق، و نحوهما و لكن مع فارق، فالتوراة كان لساناً عبرياً، و القرآن لِسَانًا عَرَبِيًّا و إنما أنزل لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنْذَارًا بِخَسْرَانِ دِينِهِمْ وَ دُنْيَاهُمْ وَ لِيَكُونَ بُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ للذين أحسنوا بالإيمان به و باتباعه، بأن لهم خير الدنيا و الآخرة، أما أن القرآن لم نزل على لغة العرب؟ فيرده أنه بأية لغة نزلت كان موضع هذا التساؤل؟ و لو قيل لماذا لم ينزل بكل لغة؟ فجوابه أن كونه بلغة واحدة أحسن لأنها تصبح لغة واحدة لكل البشر يتفاهمون بها بالإضافة إلى لغاتهم الخاصة بهم.

[١٤] و حيث عرفتم أيها المؤمنون خير ما تمسكنم به، و عرفتم بطلان حجج الكفار، فلا يستفزركم أذاهم و استهزائهم لكم، و كونوا

مستقيمين فى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٣٥

[سورة الأحقاف (٤٦): الآيات ١٤ إلى ١٥]

أُولَئِكَ أَصِيحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِإِحْسَانٍ حَمَلْتَهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعْتَهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سِنًا قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥)

دينكم حتى تنالوا جزاء الاستقامة ف إن الذين قالوا ربنا الله و تركوا الأصنام، بأن صحت عقيدتهم ثم استقاموا في اتباع أوامره سبحانه فلا نخوف عليهم من مكروه آت ولا هم يخزنون لمكروه سابق، فإن الخوف من المكروه المرتقب، و الحزن من المكروه الوارد الكائن الآن، أو الماضي، و ذلك ليس بمعنى أن المؤمنين لا يصيبهم حزن و خوف، بل بمعنى «النسيه» فخوفهم و حزنهم، بالنسبة إلى خوف الكفار و حزنهم، قليلا- جدا بحيث يمكن سلب كونه خوفا أو حزنا، لأنهما قليلا مؤقتان، و مقترنان بالبشارة بالأجر و الثواب، بخلاف خوف الكفار و حزنهم.

[١٥] و إنما كان خوفهم و حزنهم مؤقتا لأن أولئك المؤمنين أصيحاب الجنة في الآخرة، فما يلاقونه من الأتعاب في الدنيا ينقضى بسرعة خالدين فيها أبدا جزاء بما كانوا يعملون و الاعتقاد نوع من العمل أيضا، لأنه عمل القلب، فلا يقال: لماذا لم يقل سبحانه: ... بما كانوا يعتقدون و يعملون؟.

[١٦] و كما أننا وصينا الإنسان بعدم الشرك و عبادة الله الذي هو منعم حقيقي عليه كذلك وصينا الإنسان بوالديه اللذان هما سبب وجوده فكل واحد منهما منعم مجازى على الإنسان، و الوصية قول مؤكد سواء كان في الحياة أو بعد الممات إحسانا أى أن يعمل الحسن، و قوله سبحانه «إحسانا» من باب المبالغة مثل «زيد عدل»

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٣٦

فيقدم لهما قطعة من الحسن، أى أحسن الأعمال، حتى كأن العمل ذات الحسن و اللازم أن يخص الأم بزيادة الإحسان لزيادة أتعابها في سبيله حملته أمه كرهاً كارهة الحمل لمشقتها في أغلب أوقات الحمل، بل و كثيرا ما في أوله أيضا حيث الاضطرابات التي تطرأ على المرأة عند الحمل، و حيث الحزن النفسى من أتعاب الحمل و الطلق و غير ذلك و وضعت حين الولادة كرهاً لمشقات الولادة فهي كارهة و حملته و فصائله ثلاثون شهراً فإن الحمل ستة أشهر على الأقل، و الإرضاع سنتان فالمجموع ثلاثون شهراً، تعانى فيها الأم مشاكل جمه من جهة الولد، هذا بالإضافة إلى المشاكل في المستقبل التي تعانيتها بسبب رعاية الولد و عنايتها به، أليس بعد هذه الأتعاب تستحق الأم الإحسان إليها من جانب الأولاد، و هنا ينقسم الأولاد إلى قسمين قسم يعمل بوصيتنا له في الإحسان إلى أبويه، و قسم لا- يعمل، كما انقسم الناس أمام الله سبحانه إلى قسمين قسم مؤمن، و قسم كافر، فالقسم المطيع يكون حاله حتى إذا بلغ أشده استحكم قوته البدنية و العقلية، كأن يشد من التبعثر، و بهذا البلوغ يتمكن عقله من الفهم على وجوب الإحسان إليهما، و يتمكن بدنه من القيام بخدمتهما و هذه الحالة تمتد حتى بلغ أربعين سنة حيث القوة البدنية تأخذ بالضعف، و حيث أن الغالب موت الأبوين قبل بلوغ الولد ذلك، فلا حاجة لهما إلى خدمة الولد قال الإنسان يا رب أوزعني ألهمني و خذ أمانى حتى لا أنحرف عن الجادة، فإن معنى وزعه: منعه أن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٣٧

أشكر نعمتك التي أنعمت علي و على والدي فإن قوة الشباب ذهبت احتاج الإنسان إلى الاستعانة بالله أكثر في التوفيق للشكر، و لأن حالة الحدة تأخذ مجراها إلى الإنسان فهو يكون أبعد من الشكر، لأن مشكلات الحياة تستفزه فيكون أقرب إلى الكفران، و الشكر للنعمة التي كانت على الوالدين، نوع إطاعة لله و إحسانه إليها و أوزعني أن أعمل صالحاً ترضاه فأريد منك يا رب أن توجه قلبي و لساني بالشكر، و جوارحى بالعمل الصالح و يا رب أدعوك أن أصلح لي في ذريتي اجعلهم صالحين، و «في» باعتبار أن الصلاح يقع

فيهم، و «لى» باعتبار أن صلاح الذرية عائد إلى الوالدين، سمعه و ثوبا، و لعل الإتيان بهذه الجملة هنا للدلالة على أن الإحسان إلى الأبوين يؤثر في إحسان الذرية للإنسان، فصلاح الإنسان يسبب صلاح الذرية، أما ما سلف منى من المخالفة ف إنى تُبْتُ إِلَيْكَ يَا رَبِّ وَ أَسْتَغْفِرُكَ عَنْ ذَلِكَ وَ إِنِّى مِنَ الْمُسْلِمِينَ لك أعترف بذلك، ليكون الإنسان أقرب إلى التواضع، فالإنسان الحسن هو الذى عبد الله و لم يشرك به، و أحسن إلى والديه من حين بلوغ أشده إلى حين أربعين سنة، و حيث فقد الوالدين بلوغ الأربعين دعا لهما، و اعترف بفضلهما، و طلب من الله أن يعينه فى المستقبل «حاله ضعفه» أن يشكره كما كان يشكره سابقا، و طلب منه إصلاح ذريته .. و قد صبت هذه الحقيقة فى هذا القالب البلاغى الرائع الذى يمشى بالإنسان من حين حمل الأم له إلى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٣٨

[سورة الأحقاف (٤٦): الآيات ١٦ الى ١٧]

أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَ نَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (١٦) وَ الَّذِي قَالَ لَوْلَا دَيْتِيهِ أَفْ لَكُمْ أَتَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَ قَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَ هُمَا يَشْتَكِيَانِ اللَّهَ وَ يَلْتَكِمُ آمِنْ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٧)

حين بلوغه أربعين سنة، و إنما لم تختتم الآية الإنسان، إلى حين الموت لبقاء فجوة فى النفس، كما هى العادة فى الألواح الجميلة، ليذهب الخيال كل مذهب.

[١٧] أُولَئِكَ الْأَفْرَادِ الَّذِينَ هَذِهِ صَنَعْتَهُمْ مِنَ الْعِبَادَةِ وَ الشُّكْرِ وَ الدُّعَاءِ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا أَى بَقْبُولِ أَحْسَنَ، لا- أن أعمالهم الأحسن فقط تقبل، فهو من باب «القلب» مثل: عرضت الناقة على الحوض وَ نَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فلا يجازون بها، فهم يكونون فى أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَ قد وعدنا بذلك وَعَدَّ الصَّدَقِ لا خلف فيه بل صادق مطابق للواقع الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ «الذى» صفة «وعد» فهؤلاء حسناتهم مقبولة و سيئاتهم مغفورة، و مقرهم الجنة.

[١٨] وَ بِالْعَكْسِ مِنْ هَذَا الْقِسْمِ مِنَ الْإِنْسَانِ الْمُؤْمِنِ الشَّاكِرِ لِلَّهِ وَ لَوْلَا دَيْتِيهِ الَّذِي قَالَ لَوْلَا دَيْتِيهِ لَمَا كَبُرَ وَ عَقْلُ أَفْ لَكُمْ فَهُوَ كَافِرٌ بِهَمَا، وَ كَافِرٌ بِعَقِيدَتِهِمَا الَّتِي هِيَ التَّوْحِيدُ، فَقَدْ جَمَعَ بَيْنَ الْكُفْرَيْنِ، وَ «أف» كلمة «تضجر» و «إهانة للمخاطب» أَتَعْدَانِي مِنْ الْوَعْدِ- أَنْ أُخْرَجَ بَعْدَ الْمَوْتِ، مِنْ قَبْرِى لِلْحِسَابِ وَ الْحَالِ أَنَّهُ قَدْ خَلَّتِ مَضَتْ الْقُرُونُ وَ السَّنَوَاتُ الْكَثِيرَةُ مِنْ قَبْلِي فَلَمْ يَرْجِعْ أَحَدٌ مِنَ الْأَمْوَاتِ، وَ إِنكَارِ الْبَعْثِ مُسْتَلْزِمٌ لِإِنكَارِ الْأُلُوهِيَّةِ وَ إِنكَارِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٣٩

[سورة الأحقاف (٤٦): الآيات ١٨ الى ١٩]

أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (١٨) وَ لِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَ لِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٩)

الرسالة وَ هُمَا يَشْتَكِيَانِ اللَّهَ يَطْلُبَانِ مِنَ اللَّهِ هِدَايَتَهُ وَ يَقُولَانِ لَهُ وَيَلْتَكِمُ السُّوءَ لك إذا بقيت على هذه العقيدة آمن بالله، فهما يدعوان لإيمانها، و يطلبان منه الإيمان إِنْ وَعَدَ اللَّهُ بِالْبَعْثِ حَقٌّ فلا تكفر به، و مجرد الاستبعاد و أنه لماذا لم يحشر السابقون، ليس دليلا على العدم فَيَقُولُ مَا هَذَا الَّذِي تَقُولَانِ مِنَ الْبَعْثِ إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ جمع أسطورة، و هى الخرافة، التى قالها السابقون بدون برهان و دليل.

[١٩] أُولَئِكَ أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ بِالْبَعْثِ، وَ لَمْ يَشْكُرُوا وَ الْوَالِدِيهِمْ فَلَمْ يَطِيعُونَهُمَا الَّذِينَ حَقَّ ثَبْتُ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ الَّذِي قُلْنَا وَ وَعَدْنَا بِهِ بِأَنْ لَمْ يَأْمَنْ جَزَاءَهُمْ جَهَنَّمَ، فَهُمْ دَاخِلُونَ فِي أُمَّمٍ جَمَاعَاتٍ كَافِرَةٌ قَدْ خَلَّتْ مَضَتْ مِنَ السَّابِقِينَ قَبْلِهِمْ مِنْ كُفْرَةِ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ وَ لَعَلَّ ذَكَرَ الْجِنِّ لِأَجْلِ التَّهْوِيلِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ خَسِرُوا دُنْيَاهُمْ وَ آخِرَتَهُمْ، وَ «إنهم» إما جملة مستأنفة تحسريته، و إما عطف بيان ل «القول» فمعناه ثبت عليهم أنهم خاسرون.

[٢٠] وَ كَمَا أَنَّ الْقِسْمَ الْمُؤْمِنِ مِنَ النَّاسِ نُوْفِيهِمْ أَعْمَالَهُمْ بِإِدْخَالِهِمْ الْجَنَّةَ كَذَلِكَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ نُوْفِيهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِى لِكُلِّ مِنَ الْقَسْمَيْنِ

دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا إِذْ الْأَشَدُّ إِيمَانًا وَالْأَحْسَنُ عَمَلًا دَرَجَتَهُ فَوْقَ ذِي

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٤٠

[سورة الأحقاف (٤٦): آية ٢٠]

وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ (٢٠)

الإيمان العادي والعمل الصالح العادي، وكذلك بالنسبة إلى الكافر والكافر والأعصى والعاصي ولِيُؤْفِيَهُمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمُ الَّتِي مِنْهَا عَقَائِدُهُمْ، لأن العقيدة عمل العقل، ومعنى التوفية، إرجاعه إليهم وافيًا، بدون زيادة أو نقصان، ثم هل الجزاء نفس العمل أخذ صورة الآخرة، كما أن الدجاجة نفس البيضة، والشجرة نفس النواة، والولد نفس المني، ولذا قال سبحانه «أعمالهم»- أو إن الجزاء جزاء العمل، مثل «دينار» يعطيه الإنسان أجره للبناء؟ احتمالان، وإن كان ظاهر الأدلة والمؤيدات الثقيلة والعقلية الأولى وَهُمْ لَا يُظَلِّمُونَ فَلَا يَنْقُصُ مِنْ حَسَنَةِ الْمُؤْمِنِ، وَلَا يَزِيدُ فِي سَيِّئَةِ الْكَافِرِ.

[٢١] ثم إن القرآن مشى بالفريقين «عقيدتهم وعملهم» في الدنيا حتى أوصلهما إلى الآخرة، وقد رأينا المؤمن كيف أنه دخل الجنة فلننظر إلى الكافر وحاله يوم القيامة لنرى وَ يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ فِي حَالِ كَوْنِهِمْ واقفين على شفيرها، في ذل وهول عظيمين، فيقرأ عليهم وثيقة الاجرام، فيقال لهم أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا إِنْ الْبَدَنُ وَالْعَقْلُ وَالطَّاقَاتُ وَسَائِرُ مَا لِلْإِنْسَانِ مِمَّا يَتِمُّكَنُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِيهِ، طيب منحها الله له، لأجل إيساعده، لكن الكفار يصرفونها لأجل شقاوتهم، كمن أعطى ولده مالا لأجل أن يكتسب به لتأمين مستقبله فصرفه في شرب الخمر والزنى والقمار مما أوجب أمراضه الجسدية والعقلية وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا بتلك الطيبات حتى نفذت ولذا ليس عندكم الآن شيء لراحتكم وسعادتكم، بل حصلتم بتلك

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٤١

[سورة الأحقاف (٤٦): آية ٢١]

وَ اذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ يَمِينِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ إِلَّا تَعْتَدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١)

الطيبات، هذه النار والعذاب لأنفسكم، إذن فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ يُؤْلَمُ جَسَدُكُمْ بِالنَّارِ، وَأَنْفُسُكُمْ بِالْإِهَانَةِ، لأنكم صرفتم جسدكم وأنفسكم في المملذات الضارة بسبب ما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ فَالْهُونُ لِذَلِكَ الْاسْتِكْبَارِ وَبَسَبَبِ مَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ وَتَأْتُونَ بِالْمَعَاصِي، فالنار لأجل تلك المعاصي الجسدية، والسر أن كل طاقة قابلة لأن تصرف في الفساد وقابلة لأن تصرف في الصلاح، فالنفس يمكن أن يصرف في طبخ الطعام، وفي إحراق الدار والأثاث، والماء يمكن أن يصرف في الزراعة والشرب والنظافة وفي غرق الإنسان به في بحر أو نهر أو نحوهما، إلى غير ذلك، والطاقات التي منحها الله للإنسان كذلك صالحة لصرفها في شراء الجنة والعزة الأبدية، وصالحة لصرفها في شراء النار والهوان الأبدية، وحيث صرفها الكافر في غير المصروف الصحيح كان جزاءه عذاب الهون، ولعل قوله سبحانه «بغير الحق» لأن إرادة الكبر قد تكون لأجل إصلاح الناس ومنع المفسدين عن الفساد، ولذا فالقيد إخراجي، لا توضيحي.

[٢٢] وَ لِيَعْتَبِرَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ بِقِصَصِ التَّارِيخِ، حتى يعلموا أن جزاء تكذيب أنبياء الله، والانحراف عن منهجه سبحانه يوجب خسران الدنيا، أيضا، بالإضافة إلى خسران الآخرة، التي ذكر في الآية المتقدمة ف اذْكُرْ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخَا قَبِيلَةٍ عَادِ الْقَبِيلَةَ الْكَافِرَةَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ أَخُوهُمْ هُوَ «هود» النبي عليه السلام إِذْ أَنْذَرَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٤٢

قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ جمع حقف، وهو رمل مستطيل مرتفع عن الأرض فيه انحناء، وكانت قبيلة عاد يسكنون في «اليمن» في أراض رملية،

و كانت لهم مدن فى تلك الأراضى وَقَدْ خَلَّتْ أَى مَضَتْ و سبقت النُّذُرُ جمع نذير، أى الأنبياء مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ قبل هود عليه السَّلام وَ مِنْ خَلْفِهِ بعد هود عليه السَّلام- هذه جملة معترضة- لإفادة أن النبى محمد صَلَّى الله عليه و آله و سلم ليس جديدا بل الأنبياء كانوا مستمرين، قبل هود و بعد هود، و كان هود أيضا نبيا، و كلهم و ضوا أممهم أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ فَإِنْ لَمْ تَعْبُدُوا اللَّهَ، أو عبدتم غير الله فِ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ فى هوله، يأخذكم ذلك العذاب فى الدنيا قبل الآخرة، و هنا سؤال هو أنه لماذا عبادة غير الله، أو عدم عبادة الله، توجب العذاب، فهل الله يحتاج إلى العبادة حتى يعذب غير العابد؟

و الجواب أن الله ليس محتاج، و إنما طبيعته عبادة غير الله تنتهى إلى العذاب، كطبيعته الحنظل التى تنتهى إلى المرارة، و طبيعته بيضة الحية التى تنتهى إلى السم، و هنا سؤال آخر: هو أنه هل هذه الطبيعة يجعل الله، أو خارجه عن إرادة الله، فإن كانت يجعله سبحانه فلما ذا جعلوا هكذا؟ و إن كانت خارجه عن إرادته، فذلك مما دل العقل على بطلانه، إذ الله قادر على كل شىء؟ و الجواب: هى يجعل الله، و إنما جعل سبحانه هكذا، لأن الماهيات تتطلب الفيض، و عدم الفيض بخل لا يليق بمقامه سبحانه، و تفصيل المسألة فى الكتب الفلسفية الإسلامية.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج 5، ص: 143

[سورة الأحقاف (46): الآيات 22 الى 24]

قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتْفِكَنَّا عَنْ آٰلِهِنَا فَأَتَيْنَا بِمَا تَعَدُّنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّٰدِقِينَ (22) قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَ أَبْلُغْكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَ لَكِنِّى أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (23) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أُوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (24)

[23] قَالُوا أَجِئْنَا يَا هود لِنَتْفِكَنَّا لنصرفنا عن عبادة آلهتنا فإنا لا نؤمن بك، فجوابهم لهود عليه السَّلام لم يكن تقليدا بحثنا، و ضلالا، بدون حجة و برهان- كما هو شأن كل جاهل معاند- فَأَتَيْنَا بِمَا تَعَدُّنَا من العذاب على الشرك إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّٰدِقِينَ فى كلامك و قد قالوا ذلك له على سبيل الاستهزاء.

[24] قَالَ هود عليه السَّلام إِنَّمَا الْعِلْمُ فى وقت عذابكم عِنْدَ اللَّهِ فليس الأمر بيدي حتى أطلب الآن العذاب و أما أنا فشأنى أَنْ أَبْلُغْكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ و قد فعلت ذلك وَ لَكِنِّى أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ لأنكم تتركون الحجة التى أتيت بها إليكم و تأخذون بالعناد، و لا بد أن يأتى يوم ينزل عليكم العذاب حيث لا ينفع الندم.

[25] حتى إذا بلغوا كل مبلغ من العتو و أخبرهم هود بوقت عذاب الله، و كانت بلادهم خصبة فأصابهم القحط، و لم ينفعهم ذلك أيضا فى رجوعهم، فلا الحجة أفادت، و لا أرضاهم الذى من الله به عليهم، و لا القحط الذى أصابهم، فاستحقوا العقاب فَلَمَّا رَأَوْهُ رَأَوْا العذاب و كان ريحا سوداء لاحت لهم من الأفق عَارِضًا أى شيئا كالسحاب ذى المطر عرض فى أفق السماء مُسْتَقْبِلَ متوجهة أُوْدِيَّتِهِمْ جمع وادى، الصحراء التى تسيل فيها السيول قالوا جهلا منهم بحقيقته

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج 5، ص: 144

[سورة الأحقاف (46): الآيات 25 الى 26]

تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَاصْبِرُوا لَآ يَرَى إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ كَذٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (25) وَ لَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَ جَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَ أَبْصَارًا وَ أَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَ لَآ أَبْصَارُهُمْ وَ لَآ أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (26)

العارض هذا عَارِضٌ سحاب مُمِطِرُنَا فنخرج من القحط و أجابهم هود عليه السَّلام كلا بلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ طلبتموه و قلتهم: فَأَتَيْنَا بِمَا تَعَدُّنَا، هى رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ مؤلم و لعل رياح نخوتهم تبدلت إلى رياح العذاب، كما أن أنهار فرعون التى كان يفتخر بها فى قوله «و هذه الأنهار تجرى من تحتى» و صارت سببا لادعائه الألوهية، تجمعت فصارت سببا لغرقه و هلاكه، فإن العذاب من جنس العصيان.

[٢٦] تَدْمَرُ تَهْلِكُ هذه الرياح كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْمَبْنِيِّ وَالْأَشْجَارِ وَالْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانَ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَقِفَ أَمَامَهَا شَيْءٌ فَجَاءَ تَهُمٌ وَأَهْلَكَتَهُمْ وَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ أَمَا فِي الْمَسَاكِينِ وَمِنْ فِي الْمَسَاكِينِ فَقَدْ هَلَكْتَ، فَإِذَا حَضَرَ إِنْسَانٌ تِلْكَ الْبِلَادَ لَمْ يَرِ إِلَّا أَثَارَ بِيوتِهِمْ، وَإِنَّمَا بَقِيَتْ لِلْعَبْرَةِ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ وَهَلَّ الْعَذَابُ كَانَ خَارِقًا أَوْ كَانَ عَادِيًا؟ اِحْتِمَالَانِ: وَعَلَى أَى حَالٍ فَالْعَذَابُ عَذَابٌ كَيْفَمَا كَانَ قَالَ سُبْحَانَهُ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ «١».

[٢٧] وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ أَى قَوْمٍ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا إِنْ قَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ مِنْ

(١) الأنعام: ٦٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٤٥

[سورة الأحقاف (٤٦): آية ٢٧]

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٧)

القوى البدنية والعقلية، والإمكانات الكونية، فأنتم وإياهم سواء في إعطاء الله سبحانه نعمه وجعلنا لهم سمعاً يسمعون به آيات الله وأبصاراً يرون بها آثار الله وأفتداه يعرفون بها المعقولات ويميزون بها بين الحق والباطل، وقدم السمع، لأن السمع غالباً أكثر دركاً من البصر إنه يسمع الأخبار من الأزمنة والأمكنة البعيدة بخلاف البصر الذي لا يرى إلا في شعاع محدود، والأفتداه تتأخر في الإدراك عن السمع والبصر، لأنهما بابان إلى الفؤاد فما أغنى عنهم ما أفاد في الدفاع عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفتداهم لأنهم لم يستعملوها فيما يفيدهم، وإنما لم تنفعهم في إنقاذهم من العذاب من شئ من الإغناء أى ولو إغناء قليلاً إذ كانوا يجحدون ينكرون بما يرونه ويسمعونه ويفهمونه من آيات الله اللفظية، والكونية وحق نزل بهم ما كانوا به يستهزئون أى استهزأ بهم، فإن استهزأ بهم صار عذاباً منزل بهم، وقد سبق أن عمل الإنسان كالبذر ينمو وينمو وينمو حتى يصل إلى ثمرة، فاحذروا أيها الناس أن ينزل بكم العذاب كما نزل بهم، فإنه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإن لم يكن عذاب خارق، لكن لا شك أنه تكون عذابات متناسبة والأعمال، فإن لكل انحراف آثار سيئته، كما هو واضح عقلاً و دل عليه الدليل الشرعى.

[٢٨] واعلموا يا أيها البشر أن العذاب لم يكن خاصاً بقوم هود بل كل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٤٦

[سورة الأحقاف (٤٦): آية ٢٨]

فَلَوْ لَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكُمْ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٨)

مخالف لا بد وأن ينال عذابه ولقد أهلكنا ما حولكم ما فى أطرافكم يا أهل مكة من القرى كقرى قوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط، وغيرها وقد صرّفنا الآيات التى تنبههم من الرخاء والبلاء والإعجاز، والتصريف جعل الشئ من حالة إلى حالة، فسبب التنبيه لهم صار عدة مرات لعلهم يرجعون لكنهم لم يرجعوا عن غيرهم فأخذهم العذاب، حتى يروا جزاء أعمالهم، وحتى يعتبر بهم البشر الآتون بعدهم إنهم إذا خالفوا كان مصيرهم مصير أولئك.

[٢٩] فلو كانت تلك الأصنام آلهة، كما كان يزعم قوم هود عليه السلام فلو لا لماذا نصبرهم الذين أى الأصنام، وجىء لهم بضمير العاقل، لأن عبادها كانوا يزعمون أن تلك الأصنام عقلاء اتخذوا من دون الله قرباناً أى يتقربون بهم إلى الله، حيث كان الكفار يقولون «هؤلاء شفعاؤنا عند الله» آلهة مفعول «اتخذوا» بل ضلوا وغابوا تلك الأصنام عنهم عن نصره أولئك القوم ولذا لم ينصروهم ساعة نزول عذاب الله وذلك الأثر أى العذاب، عاقبة إفكهم وكذبهم، فإن الأصنام لم ينصروهم، بل هى تلك الأصنام صارت سبب بلائهم وعذابهم وذلك سبب افتراءهم وقوله سبحانه ما كانوا يفترون يؤول بالمصدر، أى افتراءهم، ف «إفكهم» أى عدولهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٤٧

[سورة الأحقاف (٤٦): الآيات ٢٩ إلى ٣٠]

وَإِذْ صِرْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَشْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠)

عن الحق، و «افتراءهم» أى لجوءهم إلى الباطل فإن كل مبطل له عملان انصرافه عن الحق، واتخاذ الباطل، لا يقال كل مؤمن يقتل كالأنبياء والحسين عليهم السلام وغيرهم، أيضا لا ينصرهم الله تعالى لإنقاذهم من أيدي الظلمة، لأنه يقال أولئك عذبوا بالعذاب السماوى و لو كانت آلهتهم مربوطه بالسماء لم يعذبوا، بخلاف الصالحين فإنهم قتلوا بأيدي الأشرار.

[٣٠] وكيف يكفر أهل مكة بك يا رسول الله، وقد تمت عليهم الحجة، وإنهم علموا بإيمان الجن بك، وقد علم الكفار إيمان الجن، بواسطة كهنتهم، وهذه حجة أخرى عليهم إذ صِرْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا وَجَهْنَا إِلَيْكَ جَمَاعَةً مِنَ الْجِنِّ يَشْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ حَضَرُوا قِرَاءَةَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِلْقُرْآنِ قَالُوا قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَنصِتُوا اسْكُنُوا حَتَّى نَفْهَمَ الْقُرْآنَ فَهَمَا كَامِلًا فَلَمَّا قُضِيَ انْتَهَى الرَّسُولُ مِنْ قِرَاءَتِهِ وَلَوْ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالْقُرْآنِ حَاقَ بِهِمُ الْعَذَابُ.

[٣١] قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَعَلَّ أَوْلَئِكَ الْجِنُّ مَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ بَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَأَن فِي الْجِنِّ، كَمَا فِي الْإِنْسِ أَدْيَانٌ وَمَذَاهِبٌ، أَوْ لَأَن كِتَابَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مُتَمِّمٌ لِّكِتَابِ مُوسَىٰ أَوْ لَأَن الْيَهُودَ كَانُوا قَرِيبِينَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَيَتِمُّكُنَّ الْكُفْرَانِ مِنَ الْاسْتِفْسَارِ مِنْهُمْ هَلْ هُنَاكَ جِنٌّ مُؤْمِنُونَ، فَذَكَرَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ هَذَا الْبَابِ، فِي

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٤٨

[سورة الأحقاف (٤٦): الآيات ٣١ إلى ٣٢]

يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَعْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيَجْزِئَكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (٣١) وَمِنْ لَّا- يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٢)

حال كون ذلك الكتاب مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ لَمَّا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ الْمُنزَلَةِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ الْحَقُّ هُوَ الْمَطَابَقَةُ لِلْوَاقِعِ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ فَإِنَّ الْوَصُولَ إِلَى الْهَدْفِ «الْحَقُّ» قَدْ يَكُونُ بِطَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ، وَقَدْ يَكُونُ بِطَرِيقٍ غَيْرِ مُّسْتَقِيمٍ.

[٣٢] يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ الَّذِي هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَالْإِضَافَةُ تَشْرِيفِيَّةٌ وَآمِنُوا بِهِ الْإِجَابَةُ أَنْ يَذْهَبَ الْإِنْسَانُ لِيَسْمَعَ كَلَامَ الْمُنَادِي، وَالْإِيمَانُ هُوَ قَبُولُ كَلَامِهِ، فَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ يَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ بَعْضَهَا، لَأَنَّ حَقُوقَ النَّاسِ لَا تَسْقُطُ بِالْإِيمَانِ، إِلَّا بِقَدْرِ خَاصٍّ مَذْكَورٍ فِي الْفِقْهِ، فَإِذَا كَانَ الْكَافِرُ مَدِينًا لَزِيدٍ فِي شِرَاءِ دَارٍ وَأَنْكَرَ ذَلِكَ، وَآمَنَ لَمْ يَجِبْهُ الْإِسْلَامُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ وَيَجْزِئُكُمْ يَحْفَظُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ مَوْلَمٌ، فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ إِذْ خِلَافٌ أَوْامِرُ اللَّهِ يُوجِبُ آلَامَ الدُّنْيَا أَيْضًا.

[٣٣] وَلَا يَظُنُّ ظَانَ أَنَّهُ يَمْكُنُ الْهَرَبَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، إِذَا لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَإِنَّهُ مَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ وَ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ لَا يَعْجِزُ اللَّهُ بَأَن يَهْرَبَ مِنْهُ، وَلَا يَتِمُّكُنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَا يَمْكُنُ الْفِرَارَ مِنْ حُكُومَتِهِ فِي الْأَرْضِ أَيْ مَكَانٍ مِنَ الْأَرْضِ كَانَ شَمَلَهُ سُلْطَانُ اللَّهِ، فَإِنَّ الْمَجْرِمَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْحُكُومَةِ لَا يَعْجِزُهَا فِي مَدِينَةِ الْحُكُومَةِ،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٤٩

[سورة الأحقاف (٤٦): آية ٣٣]

أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَعْبُدْ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣) وَتَعْجِزُ الْحُكُومَةُ فِي سَائِرِ الْأَرْضِ، بِخِلَافِ الْمَخَالَفِينَ لِلَّهِ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْجِزُونَ اللَّهَ فِي أَى مَكَانٍ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا يَظُنُّ الْمَخَالَفُ لِلَّهِ، أَنَّ صَنْمَهُ يَنْقِذُهُ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِذْ لَيْسَ لَهُ لِذَلِكَ الْمَخَالَفِ مِنْ دُونِهِ غَيْرُ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ يَنْصِرُونَهُ مِنْ بَأْسِهِ سَبْحَانَهُ أَوْلَئِكَ الْمَخَالَفُونَ لِلَّهِ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ وَاضِحٌ، لَأَنَّهُمْ لَا دَلِيلَ لَهُمْ، ثُمَّ هُمْ فِي مَعْرِضِ الْهَلَاكِ وَالْعَذَابِ- وَهَذَا كُلُّهُ كَلَامُ الْجِنِّ-.

[٣٤] ثم إن هؤلاء الكفار، بالإضافة إلى أنه لا برهان لهم على كفرهم، في معرض خطر عذاب الآخرة، و إنكارهم للبعث لا يستند إلى حجة و دليل، فهم ينكرون الله أو يشركون به بدون دليل، و ينكرون الرسول بدون دليل، و ينكرون البعث بدون دليل أو لَمْ يَرَوْا أَلَّا يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَمْ يَعْزِ بِخَلْقِهِنَّ حَتَّى لَا يَقُولُوا أَنَّهُ خَلَقَ أَوَّلًا، لكنه عجز بعد ذلك فلا يقدر على الإعادة، و الدليل على عدم العجز، التلازم بين الخلق و استمرار القدرة بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى لِأَنَّ الإِعَادَةَ كَالِإِبْتِدَاءِ، فالقادر على بناء دار قادر على إعادتها بعد الخراب - مثلا- بلى نعم إِنَّهُ سَبَّحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ و هذه الجملة لتأكيد الكلام في قبال أن الكفار كانوا يؤكدون عدم البعث، لأنه ليس بممكن في نظرهم، ثم إن البعث

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٥٠

تقريب القرآن إلى الأذهان ج ٥، ص: ١٩٩

[سورة الأحقاف (٤٦): الآيات ٣٤ إلى ٣٥]

وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَ رَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٤) فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَ لَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ (٣٥)

يتوقف على علم الله بذوات الإنسان المبعثرة في الأرض و بقدرته على جمعها ثانيا، و الله عالم قادر فلما ذا الامتناع؟.

[٣٥] إن الكفار كانوا يقولون في الدنيا أن البعث و الجنة و النار ليس بحق، لكنهم يعترفون في الآخرة بكل ذلك و يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ يُرْتَى بِهِمْ عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ مِثْلَ «عرضت الناقة على الحوض» و يقال لهم أَلَيْسَ هَذَا الَّذِي تَشَاهَدُونَهُ مِنَ الْعَذَابِ بِالْحَقِّ فَهَلْ هَذَا كَذِبٌ كَمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي دَارِ الدُّنْيَا؟ قَالُوا بَلَى إِنَّهُ حَقٌّ وَ رَبَّنَا قَسَمَ بِاللَّهِ، فهم يعترفون بالله، و بالبعث، حيث لا ينفعهم الاعتراف قال الملك لهم إذا فذوقوا العذاب بكل أعضاء جسمكم بسبب ما كنتم تكفرون في الدنيا، و هذا إهانته و توبيخ.

[٣٦] و إذا تمت عليهم الحجة يا رسول الله و لم ينفعهم فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل الذين كانت عزيمتهم في الهداية و الإرشاد و الصبر على المحن أكثر من غيرهم، و هم كما في رواية نوح و إبراهيم و موسى و عيسى و محمد عليهم السلام و لَا تَسْتَعْجِلْ بِطَلْبِ الْعَذَابِ لَهُمْ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يُؤْمِنُونَ وَ فِي أَصْلَابِ بَعْضِهِمْ مُؤْمِنُونَ، إذا عذبوا و ماتوا، لم يخرج أولئك المؤمنون إلى الوجود، بالإضافة إلى أنه لا يهمل بقائه طويلا ف كَأَنَّهُمْ يَوْمَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٥١

يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَإِنَّ الْمَاضِي مَهْمَا كَانَ طَوِيلًا لَا يَرَى إِلَّا قَلِيلًا، أ رأيت من عمر مائة سنة إذا تكلم يقول ذهب عمرنا كأنه لمح بصر و قوله «نهار» كناية عن أنهم أبصروا لكنهم تعاملوا، و هذا القرآن بلاغ لهم، و كفاية لمن أراد الرجوع إلى الحق، فإذا خرجوا عن الطاعة بعد البلاغ فإنهم يضررون أنفسهم فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ و الفسق هو الخروج عن الطاعة، و لذا يطلق حتى على الكفر.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٥٢

٤٧ سورة محمد مدنية / آياتها (٣٩)

سميت بهذا الاسم و ب «القتال» لاشتغالها على كلا الاسمين، و هي كسائر السور المدنية تعالج قضايا الشريعة. و لما ختمت سورة الأحقاف بتهديد الكفار بعذاب الآخرة، افتتحت هذه السورة بتهديدهم بعذاب الدنيا و ضلال أعمالهم، فلا تنفعهم في نجاتهم من أيدي المؤمنين.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نبتدئ باسمه تعالى، ليبارك لنا في أمورنا، فإن اسم الله بركته، توجب الثبات و الدوام، فإنه وحده هو

الدائم، فكلمة ارتبط به كان له نسيئة الدوام «الرحمن الرحيم» فإن الرحم إعطاء بدون استحقاق، والله يعطى الإنسان خلقه و وجوده بدون استحقاق، ثم يعطيه حوائجه بدون استحقاق أيضا.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٥٣

[سورة محمد (٤٧): الآيات ١ الى ٣]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (٣)

[٢] الَّذِينَ كَفَرُوا بِانكار الله أو التشريك معه و إنكار أنبيائه و أوصيائهم و إنكار المعاد وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ عَنْ طَرِيقِهِ بِمَنْعِ النَّاسِ عَنِ الْهُدَايَةِ، فَهَمْ أَجْرَمُوا مَرَّةً بِكُفْرِهِمْ وَ مَرَّةً بِمَنْعِ الْآخِرِينَ عَنِ الْإِيمَانِ أَضَلَّ اللَّهُ أَى أَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ الَّتِي كَانُوا يظنون أَنهَا تَنْفَعُهُمْ كَالصَّدَقَةِ وَ إِقْرَاءِ الضَّيْفِ وَ نَحْوِهِمَا.

[٣] وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَى الصِّفَاتِ الصَّالِحَةِ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِدُونِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ لَا يَنْجِي كَمَا أَنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ بِدُونِ الْإِيمَانِ لَا يَنْفَعُ وَ حَيْثُ أَنَّهُ كَانَ مُورد تَوْهَمِ أَنَّ يَقُولُ أَهْلُ الْكِتَابِ نَحْنُ أَيْضًا مُؤْمِنُونَ عَامِلُونَ بِالصَّالِحَاتِ، خَصَّصَ تَعَالَى بِقَوْلِهِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ وَ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْقُرْآنِ يَلْزِمُ الْإِيمَانَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ نَفْسَهُ وَ هُوَ أَى مَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ الْحَقُّ النَّازِلُ مِنْ رَبِّهِمْ مِنْ رَبِّ الْمُؤْمِنِينَ كَفَّرَ اللَّهُ، أَى سَتَرَ وَ أَبْطَلَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ السَّابِقَةَ عَلَى إِيْمَانِهِمْ وَ أَصْلَحَ اللَّهُ بِأَلَهُمْ أَى حَالِهِمْ وَ شَأْنِهِمْ بِأَنَّ وَفْقَهُمْ وَ هَدَاهُمْ لِأَنَّ يَنْظُمُوا أُمُورَهُمْ بِحَيْثُ يَكُونُ حَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ حَسَنًا، فَإِنَّ الْعَمَلَ بِمَنْهَاجِ الْإِسْلَامِ يَصْلِحُ شُؤُونَ الْإِنْسَانِ.

[٤] ذَلِكَ الَّذِي تَقْدَمُ مِنْ ضَلَالِ أَعْمَالِ الْكُفَّارِ، وَ كُفْرَانِ سَيِّئَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَ إِصْلَاحِ أَمْرِهِمْ بِسَبَبِ أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَ الْبَاطِلَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٥٤

[سورة محمد (٤٧): آية ٤]

فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَتْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَ إِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَ لَكِنْ لِيَبْئُلُوا بِغَضَبِكُمْ وَ لِيَبْغِضُوا الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤)

كَالْمَرَضِ يَبْطُلُ أَثْرُ الْأَطْعَمَةِ الطَّيِّبَةِ وَ يَفْسُدُ الْأَعْضَاءُ الصَّحِيحَةُ وَ أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ وَ الْإِنْسَانَ الصَّحِيحَ الْجِسْمِ حَتَّى إِذَا أَصَابَ جِسْمَهُ مَرَضٌ طَفِيفٌ دَفَعَهُ الْجِسْمُ وَ اسْتَعَادَ صِحَّتَهُ، فَالسَّيِّئَةُ مَكْفُورَةٌ فِي الْمُؤْمِنِ مِنْ رَبِّهِمْ تَأْكِيدٌ لِطِلَانِ قَوْلِهِمْ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ جَاءَ بِالْقُرْآنِ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ كَذَلِكَ الَّذِي ذَكَرَ مِنْ أَنَّ الْكُفْرَانَ اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ، وَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ اتَّبَعُوا الْحَقَّ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ أَى الْأَمْثَالَ النَّافِعَةَ لَهُمْ، فَالْحَقُّ مِثْلُ الْمُؤْمِنِ وَ الْبَاطِلُ مِثْلُ الْكَافِرِ.

[٥] وَ إِذْ ظَهَرَ أَنَّ الْكُفْرَانَ مَعَانِدُونَ فَإِذَا لَقِيتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي حَالِهِ الْحَرْبِ فَضَرْبِ الرِّقَابِ اضْرَبُوا رِقَابَهُمْ ضَرْبًا وَ اقْتُلُوهُمْ حَتَّى إِذَا أَثْخَتْتُمُوهُمْ أَى أَكْثَرْتُمْ مِنْ قَتْلِهِمْ وَ الْجَرْحِ فِيهِمْ، حَتَّى اسْتَسْلَمُوا، يُقَالُ فُلَانٌ مَشْخَنٌ أَى ثَقِيلٌ لِلْحَمْلِ الَّذِي عَلَيْهِ، وَ جَمَاعَةُ الْكُفْرَانِ إِذَا كَثُرَ فِيهِمُ الْقَتْلُ وَ الْجَرْحُ، يَكُونُونَ كَالْإِنْسَانِ الثَّقِيلِ الَّذِي لَا يَتِمَكَّنُ مِنَ الْحَرَكَةِ وَ الْقِتَالِ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ الْوَتَاقُ مَا يُوْتَقُ بِهِ مِنَ الْحَبْلِ وَ نَحْوِهِ أَى شَدُّوهُمْ بِالْوَتَاقِ، كِنَايَةٌ عَنْ أَسْرِهِمْ، وَ بَعْدَ ذَلِكَ فَإِمَّا تَمَنُّونَ عَلَيْهِمْ مَنَّا بَعْدُ بِإِطْلَاقِ سِرَاحِهِمْ بِدُونِ أَخْذِ الْفِدْيَةِ وَ إِمَّا تَفْدُونَ وَ تَأْخِذُونَ مِنْهُمْ فِدَاءً مُقَابِلَ إِطْلَاقِ سِرَاحِهِمْ، وَ إِنَّمَا تَفْعَلُونَ ذَلِكَ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا الْوَزْرُ الثَّقَلُ، أَى أَثْقَالَهَا،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٥٥

[سورة محمد (٤٧): الآيات ٥ الى ٧]

سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِاللَّهِمَّ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ (٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧)

فإن للحرب أثقالا كالسلاح ونحوها، وإضافتها إلى الحرب مجازية، وظاهر الآية أن المراد بالإنحان وشد الوثاق إنما هو لأجل انتهاء الحرب، و كأنه جواب سؤال مقدر هو لماذا قتل الناس ولماذا أسرهم؟ والجواب حتى لا تكون حربا ذلك الذي ذكرناه هو التكليف ولو يشاء الله لانتصر منتهم لغلب المسلمين على الكفار بدون القتال، لأنه سبحانه قادر على كل شيء ولا يمكن له استأصل الكفار ولم يبداهم ليئولوا بغيركم ببعض يمتحن المؤمنين بقتالهم فيبيهم الجنة، والكافرين بقتالهم للمؤمنين فيجزئهم بالنار والذين قتلوا في سبيل الله فلا تظنوا أنه تلف وذهب، كما هو ظن الذين لا يعتقدون باليوم الآخر، ولذا يفرون من الجهاد فلن يصل الله، ولن يضيع أعمالهم الصالحة، فهم أحياء ويرون جزاء أعمالهم الحسنة.

[٦] سَيَهْدِيهِمُ اللَّهُ، إلى الجنة، وإنما جاء «بالسين» لأن الجنة بعد البرزخ ويصلح بالهم أي شأنهم في البرزخ، فإنهم أحياء عند ربهم يرزقون.

[٧] وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ فِي حَال كونه سبحانه عرفها لهم قبل ذلك، ومن المعلوم أن ترقب الخير يوجب سرور النفس.

[٨] ولا يظن المؤمنون أنهم إذا حضروا القتال بالأهبة والاستعداد يتركهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٥٦

[سورة محمد (٤٧): الآيات ٨ الى ١٠]

وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصَلَّ أَعْمَالُهُمْ (٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٩) أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (١٠)

الله، حتى يتغلب عليهم الكفار بل يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله بنصره دينه و نبيه و نصره ما جاء به النبي صلى الله عليه و آله و سلم ينصركم الله على عدوكم ويثبت أقدامكم كالإنسان الواقف على أرض صلبة، لا إن الله ينصركم أولا، ثم يترككم و شأنكم بل يبقى معكم يرشدكم في سبيل الحياة، ولا يخفى أن «نصرة الله» غيبية، وبالأسباب الظاهرة أيضا و هي أن الإنسان إذا علم أنه مع الله استبسل في القتال و ارتفعت معنوياته، مما توجب نصرته على الكفار الفاقدين للمعنويات.

[٩] وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ أَي فينحطون انحطاطا، في الدنيا بالمعلوية و في الآخرة بأنه سبحانه أصل أعمالهم الصالحة، فلا يثابون عليها.

[١٠] وَذَلِكَ التَّعَسُّبُ بِسَبَبِ أَنَّهُمُ الْكَافِرِينَ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَكْبَرًا وَعِنَادًا بَعْدَ أَنْ تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَبْطَلَ أَعْمَالَهُمُ الصَّالِحَةَ، فلا لهم دنيا سعيدة و التي تعبوا لأجلها، و لا لهم آخرة مريحة حيث كفروا بها.

[١١] ثم اللازم على هؤلاء الكفار، إن لم يقبلوا بالحجة و الدليل، أن يخافوا سوء العاقبة كما عاقبنا الكفار من الأمم السابقة أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ يَسِيرُوا إِلَى الْيَمَنِ وَ إِلَى الشَّامِ وَ إِلَى غَيْرِهِمَا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٥٧

[سورة محمد (٤٧): الآيات ١١ الى ١٢]

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (١١) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ (١٢)

فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مَنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ كَذَبُوا أَنْبِيَاءَ اللَّهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَقَدْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَادَهُمْ وَأَفْنَاهُمْ، و آثارهم موجودة، كما في اليمن من آثار قوم عاد، و في قرب الشام من آثار قوم لوط، إلى غيرهما من سائر الآثار للأمم البائدة، و لو لم يكونوا بائدين، لبقيت مدنهم و أحفادهم، لكنهم سادوا، فعصوا، فبادوا و للكَافِرِينَ بك يا رسول الله أمثالها أمثال تلك العقابات التي أنزلت

بالأمم السابقة.

[١٢] و إنما نصر الله المؤمنين و أباد الكافرين ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَلِيَهُمْ و أَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ حتى يدفع عنهم العذاب، بل المولى الحقيقى لهم و هو الله عدوهم و معذبهم.

[١٣] و حيث إنَّ الله مولى المؤمنين فإنه يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا و عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ الْجَنَّةِ الْحَدِيدَةِ سميت جنه لاستتار أرضها بالأشجار تجرى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أى من تحت أشجارها، و هذا جزاء إيمانهم و عملهم الصالح و أما الَّذِينَ كَفَرُوا فلا عقيدة لهم و لا عمل صالح بل يَتَمَتَّعُونَ فى الدنيا بلا ملاحظه الهدف و بدون جعل دنياهم وسيلة آخرتهم فإن المؤمن يتزود و الكافر يتمتع و يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ بلا ملاحظه قبل الأكل و لا ملاحظه بعد الأكل، فإنهم يأكلون ما يحصلونه من حلال أو حرام و لا يلاحظون فى أكلهم هدف

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٥٨

[سورة محمد (٤٧): الآيات ١٣ الى ١٤]

و كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلُكِنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ (١٣) أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ و اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٤)

الطاعة و العبادة، تشبيها بالأنعام التى لا تلاحظ شيئا بخلاف العاقل الذى يلاحظ ألا يكون المال سرقة و نحوها قبلها و ألا يكون ضارا بعد الأكل و حيث أنهم لم يلاحظوا الهدف ف النَّارُ مَثْوًى لَهُمْ أى مرجعهم و منزلهم.

[١٤] و إذا ترى يا رسول الله أن أهل مكة أخرجوك بأن أجبروك على الهروب فلا تحزن فإننا سنتقم منهم إذ كَأَيِّنْ أى كثير من قَرْيَةٍ مدينه، فإن القرية تطلق على كل مدينه هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ من حيث المال و السلاح و الرجال و العمران الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلُكِنَاهُمْ بأنواع العذاب لما أخرجوا أنبيائهم و عتوا عن أمرنا فلا ناصِرَ لَهُمْ حين أخرجوا أنبيائهم، حتى يدفع عنهم العذاب.

[١٥] كما أن اللازم ألا يغتم المؤمنون الذين أخرجهم أهل مكة فإنهم على بينه من ربهم و هذا أكبر تسلى لهم أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ حجة واضحة فى عقيدته و فى سلوكه مِنْ رَبِّهِ فَإِنَّ الْحِجَّةَ إِذَا كَانَتْ مِنْ قَبْلِهِ سَبْحَانَهُ كَانَتْ قَطِيعَةً الْفَائِدَةُ و الصحة كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ زينه الشيطان و الهوى له، و إن كان عقله يدل على بطلانه مثل كفار مكة الذين أخرجوا المؤمنين و اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ليس يتساوى هذا بذاك فلا يحزن المؤمنون لما أصابهم بعد أن علموا أنهم على حق و أن أعدائهم على باطل.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٥٩

[سورة محمد (٤٧): آية ١٥]

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ و أَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ و أَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ و أَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى و لَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ و مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ و سَقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (١٥)

[١٦] إنهم أخرجوا الرسول و المؤمنين من مكة، لكن الله أعد لهم المدينه المنورة فى الدنيا، و الجنة فى الآخرة و الجنة خير من منازلهم فى مكة مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ مثل مدينه ليست أمثال مدن الدنيا، فإن مدن الدنيا لا يوجد فيها الشىء المطلوب، و إن وجد فيها فهو قليل أو فاسد أما الجنة فإن فيها أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ غير متغير الطعم و الريح، و فيه تعريض بمكة حيث أن مياهها قليلة و آسنه لأنها تبقى فى الحباب و الأحواض فتتغير! و هذا و ما بعده شبه تسليه للمؤمنين الذين أخرجوا من مكة و أَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ بخلاف لبن الدنيا فإنه إذا بقى تغير طعمه و أَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ لا فيها سوء مذاق و لا فيها سكر بحيث تنغض لذة الشارب بخلاف خمر الدنيا.

و أَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى لا يخالطه الشمع و فضلات النحل و لَهُمْ للمؤمنين فيها فى الجنة مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ لا كمكة لا ثمار فيها، و حيث أن المؤمنين حرموا من ما كان عندهم فى مكة من الماء و الشراب، و العسل و اللبن و الثمار القليلة، و لم يحرموا من زوجاتهم

بل كن معهم، لم يذكر في الآية الكريمة الحور وما ذكر مما لهم في الجنة بدل عما حرموه، ثم أن المؤمنين حرموا عطف وحنان الكفار الذين كانوا يعطفون عليهم قبل الإسلام، إذ صاروا لهم أعداء، عوض الله لهم عن ذلك برضاه و عطفه فقال سبحانه مبشرا لهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٦٠

[سورة محمد (٤٧): آية ١٦]

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٦)

مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وهذه لذة معنوية حيث يعلمون أن الله غفر لهم ورضى عنهم، فهل هذه النعم التي حصل عليها المؤمنون تتساوى مع ما حصل عليها الكفار من النار والماء الحار؟ وهل هؤلاء المؤمنون كمن هو خالد في النار لهم حرق النار، و حزن أنهم يعلمون أنهم خالدون وإذا عطشوا و طلبوا الماء سيقوا ماء حاراً ففقط ذلك الماء من فرط الحرارة أمعاءهم والآية، وإن كان مساقها في المؤمنين والكافرين من أهل مكة، كما ذكرنا، إلى أنها عامه لكل مؤمن و كافر - كما هو واضح -.

[١٧] وإذا تبين أهوال الكفار في الآخرة فليعلم المنافقون الذين ظاهرهم معك يا رسول الله و باطنهم على خلافك، أنهم أيضا لهم مصير الكفار، و علامتهم أنهم لا يعون كلامك و لا يهتمون بأمرك فإن منهم من يستمع إليك بعد أن يحضر مجلسك في ضمن المؤمنين، لكن ليس قلبه عندك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم من المؤمنين، حيث أن المؤمنين وعوا كلامك و تعلموا أوامرهم ما إذا قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم آنفاً أي قبل قليل في أول وقت يقرب منا، من استأنف الشيء إذا ابتدأ به، كأنه عند أنفه أولئك المنافقون الذين هذه صفتهم هم الذين طبع الله على قلوبهم فإنهم بعنادهم حصلوا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٦١

[سورة محمد (٤٧): الآيات ١٧ الى ١٨]

وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًىٰ وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧) فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرَاهُمْ (١٨)

على حالة في قلوبهم، تمنعهم عن وعى كلام الرسول، فصارت ملكة لهم، و النسبة إلى الله، لأن الله سبحانه جعل هذه الملكة عقيب تكرر اللامبالاة، كما جعل العدالة عقيب تكرر الكف عن المحرمات و اتبعوا أهواءهم في الباطل و لم يتبعوا الحق، فهؤلاء المنافقون حالهم حال الكفار الذين تقدم أنهم اتبعوا أهوائهم فهم مثلهم في العقاب، و إيمانهم الظاهري لا ينفعهم.

[١٨] و بالعكس من المنافقين الذين يزدادون غيا، إذ كل مرة ينصرفون عن كلام الرسول و أوامره تزداد غشاوة قلوبهم سمكا، كما في سائر الملكات التي تتقوى بالتكرار و الممارسة الذين اهتدوا حقيقة من المؤمنين زادهم الله هدى بكلمات الرسول صلى الله عليه و آله و سلم إذ تتقوى ملكة الإيمان في قلوبهم و آتاهم أعطاهم الله تقواهم اللاتقة بهم، إذ ترفع درجات التقوى في نفس الإنسان المؤمن حتى تصل إلى غايتها الممكنة.

[١٩] فليرجع المنافقون عن غيهم قبل مجيء يوم القيامة و إلا ندموا على ما فعلوا إذا رأوا العذاب فهل ينظرون أي المنافقون إلى شيء إلا الساعة كناية عن أنهم لا يؤمنون حقيقة و لو جاءهم كل آية أن تأتيهم بغتة أي فجأة بدون استعداد سابق، لكن إذا كان المنافقون ينتظرون الساعة، فليعلموا أنها قريبة إذ قد جاء أشراطها علاماتها التي منها بعثه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، و انشقاق القمر، فالمدة من زمان الرسول صلى الله عليه و آله و سلم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٦٢

[سورة محمد (٤٧): آية ١٩]

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩)

إلى الساعة، أقرب من المدة بين آدم عليه السّلام و الساعة، أو موسى عليه السّلام و الساعة و هكذا فَأَنَّى لَهُمُ الْمُنَافِقِينَ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ أَى ما ذكروا به، و المراد بذكرهم الساعة، و قوله سبحانه «فأنى» جواب «فهل» أى إن كان ينظر المنافقون إلى الساعة حتى يؤمنوا:

فأولا: جاءتهم علاماتها فاللزام أن يؤمنوا:

فأولاً: جاءتهم علاماتها فاللزام أن تؤمنوا و ثانياً: ما هى فائدة مجيء الساعة إذ حين ذاك لا يقبل الإيمان، و قوله سبحانه «فأنى» للامتناع، أى ليس لهم حين قيام الساعة، أن يؤمنوا.

[٢٠] و إذا علمت يا رسول الله سعادة المؤمنين و شقاوة الكافرين و المنافقين فاعلم أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أثبت على علمك، لأن العلم فياض إلى الإنسان آنا بعد آن، كما أن النور فياض من الشمس آنا بعد آن، فيامكان الإنسان أن يبقى على علمه و بإمكانه أن يترك علمه و يعمل عمل غير العالم و اسْتَعْفِرْ لِدُنْبِكَ أكمل النفس بالاستغفار فإن العلاتق المادية الضرورية، حيث لا يمكن رفعها، كان لا بد من التواضع أمام الله، بالاستغفار، حتى يحوز على الكمال الممكن، مثلا ان العارى الذى لا ملابس له، إذا جاءه إنسان اعتذر من عريه و الاعتذار ليس لأنه فعل خطأ بل لأجل التواضع أمام ذلك الإنسان و هذا النحو من التواضع يزدده جاها عند الزائر، و هذا هو سبب استغفار الأنبياء و الأئمة عليهم السلام.

أما العبادات الخاصة فى كلام الإمامين أمير المؤمنين

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٦٣

[سورة محمد (٤٧): آية ٢٠]

و يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَ ذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَىٰ لَهُمْ (٢٠)

و السجادة عليه السلام و غيرها عليهم السلام فإنها كبايات و مجازات تشبها للنواقص الضرورية بالنواقص الحقيقية و استغفر للمؤمنين و المؤمنات بطلب غفران الله لهم و الله يعلم مقلبككم تقلبكم فى كافه أحوالكم و مشواكم حين ترجعون إلى بيوتكم للنمام و الاستراحة، فاللزام أن تخشوه و تستغفروه لأنه معكم دائما، فهو سبحانه جدير بأن تعتقدوا به، كما فى «و اعلم...» و أن تستغفروه كما فى «و استغفر...».

[٢١] و إذ تبين أن الله هو الإله الوحيد الواجب إنفاذ أمره و طلب الغفران منه، فاللزام إطاعته فى الذهاب إلى الجهاد، بالإضافة إلى أن المؤمنين هم طلبوا من الرسول صلى الله عليه و آله و سلم الجهاد و وعدوا أن يجاهدوا إذا أمروا به و قد كان يقول الذين آمنوا لولا أى هلا- «تحريض و طلب» نزلت سورة تأمرنا بالجهاد فإذا أنزلت سورة محكمة مبينة لا لبس و لا تشابه فيها- فلا تكون محلا للعدر بالتأويل- و ذكر فيها القتال بأن كان فيها أمرا بالحرب رأيت الذين فى قلوبهم مرض من المنافقين و مرض القلب هنا انطباعه على خلاف الأوامر و الفرار من الطاعة ينظرون إليك يا رسول الله نظر المغشى عليه فإن من غشى عليه من جهة قرب الموت إليه تدور عينه فى حالة بهت، ثم يشخص بصره إلى ناحية لا يتمكن من حركتها، و هكذا حال الجبناء

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٦٤

[سورة محمد (٤٧): الآيات ٢١ إلى ٢٢]

طَاعِيَهُ وَ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَمْوَ صِدْقُوا اللَّهُ لَكَ خَيْرًا لَهُمْ (٢١) فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ تَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢)

عند شدة الخوف و مثل هؤلاء فالموت أولى لهم من الحياة، و هذا دعاء عليهم بالهلاك.

[٢٢] إن المنافقين قالوا قبل نزول سورة القتال طاعة أى نحن مطيعون و قول معروف أى كان قولهم قولا معروفا، حول الجهاد فإذا عزم

الأمرُ أى صار الجهاد عزما و جدًا بنزول السورة في شأنه، انسحب المنافقون عن الميدان، فعصوا عوض الطاعة، و أخذوا يتكلمون بما لا يليق بإنسان مؤمن أن يتكلم بمثله عوض «قول معروف» كانوا يتكلمون به سابقا، و هذه الآية تفسير للآية السابقة «وَيَقُولُ الَّذِينَ...» «فإذا نزلت...» فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ فِيمَا زَعَمُوا مِنَ الْحَرَصِ عَلَى الْجِهَادِ، بَأَن أَطَاعُوا عِنْدَ نَزْوْلِ حَكْمِ الْقِتَالِ لَكَانَ الصَّدَقُ خَيْرًا لَهُمْ فِي دِينِهِمْ وَ دُنْيَاهُمْ.

[٢٣] و حيث أنهم هربوا من القتال، أخذوا يعينون أنفسهم في القرى و غيرها لئلا يكونوا بحضور المؤمنين و أخذوا يفسدون بالطعن في الرسول و في أرحامهم المؤمنين الملتفين حوله ليبرروا موقفهم في الابتعاد عن الرسول و عن المؤمنين، كما هو شأن كل منافق يبتعد عن القيادة و يخالف الإطاعة فَهَلْ عَسَيْتُمْ هَلْ يَتَوَقَّعُ مِنْكُمْ إِلَّا هَذَا، فَإِنْ «عسى» بمعنى الاحتمال القريب الوقوع إِنْ تَوَلَّيْتُمْ عَنِ الْجِهَادِ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بِالطَّعْنِ فِي الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ تَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ الَّذِينَ التَّفَوُّوا حَوْلَ الرَّسُولِ وَ أَطَاعُوا أَوْامِرَهُ،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٦٥

[سورة محمد (٤٧): الآيات ٢٣ الى ٢٥]

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ (٢٣) أَفَلَا- يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤) إِنْ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَذْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَ أَمَلَى لَهُمْ (٢٥)

و هذه الصفة تنطبق على كل من يتولى عن القيادة الإسلامية الصحيحة في كل زمان و مكان.

[٢٤] أُولَئِكَ الَّذِينَ تَلَكَّ صِفَاتِهِمْ- و إن كانوا مؤمنين حسب الظاهر- هم الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَبْعَدَهُمْ عَنِ كُلِّ خَيْرٍ، بسبب انحرافهم عن جادة الإيمان فَأَصَمَّهُمُ اللَّهُ عَنِ اسْتِمَاعِ الْحَقِّ وَ أَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ عَنِ رُؤْيَى الْحَقِّ وَ نَسَبَهُ الْفَعْلِينَ إِلَى اللَّهِ، بينما أنه بأنفسهم صموا أسماعهم و غمضوا أعينهم عن الحق، من جهة أن الله تركهم و شأنهم، كما يقال أفسد الوالد ولده، إذ تركه و شأنه حتى فسد.

[٢٥] أَفَلَا- يَتَذَكَّرُونَ هُوَ لاءِ الْمُنَافِقُونَ الْقُرْآنَ لِيَفْهَمُوا أَنَّ اللَّهَ جَازَى الْمُخَالِفِينَ مِنَ الْأُمَّمِ السَّابِقَةَ بِعِقَابِ الدُّنْيَا وَ عَذَابِ الْآخِرَةِ، لعلهم يردعون عن غيهم أَمْ عَلَى قُلُوبٍ قُلُوبِهِمْ أَقْفَالُهَا فلا يمكنهم التدبر؟ أى يقدرون فلا يتدبرون، أم لا يقدرون؟ و هذه عبارة بلاغية تقال في مورد كناية عن أن الطرف معاند لا ينفع معه الوعظ و الإرشاد، كما يقال «لمن سقط في البئر» هل غمضت عينيك أم أنت أعمى؟ و لعل تنكير القلوب لأجل إفادة ابتعادها حتى كأنها نكرة، و إضافة الأفعال إليها، لبيان أن للقلوب أقفال خاصة، هي التعامى و العناد، مما يسبب عدم نفاذ العلم و الفضيلة فيها.

[٢٦] و ليعلم هؤلاء المنافقون الذين يفرون من القتال، أن الشيطان صار قائدهم، بعد أن كانوا تحت سلطان الله الخالق العظيم، فهم انساقوا وراء عدوهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٦٦

[سورة محمد (٤٧): آية ٢٦]

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦)

إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا رَجَعُوا عَلَى أَذْبَارِهِمْ بَدَلِ أَنْ يَسِيرُوا إِلَى الْأَمَامِ، رَجَعُوا قَهْقَرَى مِنْ طَرَفِ الدَّبْرِ إِلَى الْخَلْفِ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ ظَهْرَ لَهُمُ الْهُدَى وَ عَرَفُوا الْحَقَّ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ سَهْلَ لَهُمْ رُكُوبَ الْآثَامِ، مِنَ السُّوْلِ بِمَعْنَى الْاسْتِرْخَاءِ وَ أَمَلَى لَهُمْ أَى قَرَّرَ عَلَيْهِمْ، كَالَّذِي يَمْلَى عَلَى الْآخِرِ الشَّيْءِ لِيَكْتَبَهُ، فَالشَّيْطَانُ أَوْلَا جَعَلَهُمْ رُخْوًا، ثُمَّ قَرَّرَ لَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا عَنِ الطَّاعَةِ.

[٢٧] و إنما تمكن الشيطان من الأخذ بقيادتهم، لأنهم انصرفوا عن طاعة الرسول إلى طاعة الكفار و حيث بدلوا قيادة الله إلى قيادة الشيطان تمكن الشيطان منهم ذَلِكَ التمكن من الشيطان من قيادتهم بسبب أنهم قالوا للكفار لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ إِذْ الْكُفَّارُ كَرِهُوا الْقُرْآنَ وَ الرَّسُولَ سَيُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ كما هو شأن المنافقين دائما، إنهم يميلون قليلا إلى جانب الأعداء، و هذا الميل القليل

ينتهى بهم إلى الميل الكثير، ثم تبديل القيادة من الإيمان إلى الكفر، و في هذا تنبيه على أنه لا- ينبغي للمؤمن أن يميل قليلا، و إلا انحرفوا، كما قال الله سبحانه ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ آسَأُوا السُّوَايَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ «١» وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمُ السِّرَ الَّذِي نَاجُوا بِهِ

(١) الروم: ١١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٦٧

[سورة محمد (٤٧): الآيات ٢٧ الى ٢٩]

فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبَارَهُمْ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَ كَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (٢٩)

الكفار أولا- حتى حصل الانحراف أخيرا، و في هذا تهديدهم و تنبيه للآخرين أن لا يتخذوا الكفار أولياء، إذ الكافر بالآخرة يحزف المسلم.

[٢٨] هذا حالهم في الدنيا فضيحة و انحراف فكيف بهم في الآخرة إذا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَخَذِينَ أرواحهم في حال كون الملائكة يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبَارَهُمْ ضرب الوجه لتوجههم إلى الكفار و ضرب الدبر لاستدبارهم الحق و المؤمنين.

[٢٩] و إنما صار ذلك حالهم عند الموت بسبب أنهم اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ من ترك أوامره وَ كَرِهُوا رِضْوَانَهُ كرهوا رضى الله فَأَحْبَطَ أبطل الله أَعْمَالَهُمُ الصالحة و التسلسل الطبيعي، أنهم اتبعوا ما أسخط الله فذهبوا إلى المنافقين، فارتدوا، فخرت دنياهم و آخرتهم، و أسلوب القرآن، كأسلوب الكون في جمع المختلف، حيث كان القصد جمال الكون، فمأ إلى جنب شجر، إلى جنب حيوان إلى آخره، و كذلك فعل الله سبحانه في كتابه التكويني و ذلك لشحذ الذهن، و قد ذكرنا طرفا من ذلك في كتاب «حول القرآن الحكيم».

[٣٠] ثم ليعلم هؤلاء المنافقون أن نفاقهم لحفظ ماء وجههم عند كلا الجانبين يعود عليهم بأكبر الضرر حيث إن الكفار لا يعتمدون عليهم،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٦٨

[سورة محمد (٤٧): آية ٣٠]

وَ لَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠)

كما هو واضح، و المؤمنون يعرفون ضمائرهم فيسلبون اعتمادهم أيضا، فيبقون مكروهين من الجانبين أَمْ حَسِبَ بل زعم الذين في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مرض النفاق أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ أحقادهم، نحو الرسول و نحو المؤمنين، كلا ليس كذلك بل تظهر أحقادهم، كما

قال الإمام على عليه السلام «ما نوى امرء شيئا إلا ظهر في فلتات لسانه و صفحات وجهه»

«١».

[٣١] وَ لَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ رُؤْيَاهُ الْعَيْنِ بَأَن يَنْزِلُ جِبْرَائِيلُ وَ يَقُولُ إِنَّهُمْ فُلَانُ وَ فُلَانُ، لكن الله على الأغلب يترك الأمور مع الأنبياء على طبيعة الحياة، من دون إعجاز، ليتخذهم الناس أسوء، لثلا- يقول الناس أنهم قدروا على إدارة الأمور من جهة الوحي و الغيب، و لا تتمكن نحن مثلهم فيتقاعسوا عن العمل فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ سيما الإنسان ملامح وجهه، لكننا لا نشاء ذلك، لما تقدم ثم ابتداء سبحانه بقوله وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ أى أن فلتات ألسنتهم تدللك عليهم و اللحن هو الإمالة، فإن المنافق يميل بكلامه، حيث إن قلبه لا يرضى أن يتكلم حسب موازين الإيمان وَ اللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ أعمال المؤمنين و المنافقين فاللازم مراقبته سبحانه، و هذا تهديد للمنافق بأنه بالإضافة إلى أنه يفضح في الدنيا، فهو يجزى بالجزاء في الآخرة، لأن الله يعلم عمله.

(١) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ٢٠٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٦٩

[سورة محمد (٤٧): الآيات ٣١ إلى ٣٢]

وَلَنْبَلُوكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبَلُّوا أَخْبَارَكُمْ (٣١) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَالَهُمْ (٣٢)

[٣٢] ثم لا يظن المؤمنون أنهم بمعزل عن الاختبار، وإن الاختبار أسقط المنافقين، وأظهر طيب جوهر المؤمنين، وانتهى كل شىء - كما يزعم ذلك من نجح في الامتحان الأول غالباً - وَلَنْبَلُوكُمْ أى نمتحنكم أيها المؤمنون حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ من غير المجاهدين، إذ لا يكفى الامتحان الأول بالإيمان فى ترك الإنسان و شأنه، وقوله «حتى نعلم» أى يقع علمنا على الخارج، أى يصل العلم إلى مرتبة الفعلية بعد أن كان الله عالم لكل ذلك من قبل وَالصَّابِرِينَ إذ من الممكن الشروع فى الجهاد، لكن لا يصبر عليه المجاهد وَ حَتَّى نَبَلُّوا أَخْبَارَكُمْ أى نمتحن أخباركم، فإنه كما يمتحن الإنسان بالجهاد ونحوه، يمتحن خبره هل أن من يصل إليه خبر المجاهد وغير المجاهد، يتبع المجاهد أو غير المجاهد، و امتحان الخبر كناية عن امتحان من يصل إليه الخبر، مجازاً.

[٣٣] ثم إن الكفار والمنافقين يظنون أنهم يضرون الله و ينفعون أنفسهم، و الحال أنهم لا يضرونه بل يضرون أنفسهم بحبط أعمالهم إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ظَاهِرًا وَ بَاطِنًا، أو باطنا فقط كالمنافق وَ صَدُّوا منعوا الناس عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بأن جعلوا الناس فى الطرق المنحرفة، حيث الناس - إذا كانوا هم بأنفسهم - مشوا فى سبيل الله المستقيم وَ شَاقُّوا الرَّسُولَ هم فى شق «أى طرف» و الرسول فى شق مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ ظَهَرَ الْهُدَىٰ إذ قبل إتمام الحجّة عليهم لا يحبط أعمالهم الصالحة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٧٠

[سورة محمد (٤٧): الآيات ٣٣ إلى ٣٤]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ لَا تَبْطُلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٣٤)

لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا بكفرهم و صدهم وَ سَيُحِطُّ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ يبطلها فلا يعطيهم جزاء حسناً لصدقتهم و عتقهم و إقرائهم الضيف و نحو ذلك، فهم ضروا أنفسهم و لم يضروا الله، بينما كانوا يزعمون أنهم ينفعون أنفسهم و يضرون الله.

[٣٤] ف يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذا علمتم أن المخالفة تعود بالضرر على المخالف أَطِيعُوا اللَّهَ فى أوامر القرآن وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ فيما يأمر وَ لَا تَبْطُلُوا أَعْمَالَكُمْ الصالحة بسبب العصيان فإن العصيان يحبط العمل الصالح.

[٣٥] و ليعلم الكفار أن باب التوبة لهم مفتوح، فإذا رجعوا إلى الإيمان و الطاعة، غفر الله لهم إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ آمَنُوا و عملوا صالحاً أعطوا جزاء إيمانهم و كل عمل صالح سبق إيمانهم أو لحقه، أما إذا ماتوا وَ هُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ لأنه لا ينفع الإيمان و الندم بعد الموت و قد ذكرنا سابقاً أن العناد على الكفر يوجب تبدل الجوهر إلى النارى الذى لا يبدله بعد الموت إلى الجوهر النورى، و لذا لا غفران لمن مات بكفر، أو رأى الموت بعينه، كما ذكره سبحانه بقوله (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ). «١»

(١) النساء: ١٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٧١

[سورة محمد (٤٧): الآيات ٣٥ إلى ٣٦]

فَلَا تَهِنُوا وَ تَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَ أَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَ اللَّهُ مَعَكُمْ وَ لَنْ يَبْرِكُمْ أَعْمَالَكُمْ (٣٥) إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَ لَهُوَ وَ إِن تَوَمَّنُوا وَ تَتَّقُوا

يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ (٣٦)

[٣٦] و إذا علمتم أيها المؤمنون أن الله معكم، و ضد الكافرين فلا تهنؤا لا تضعفوا عن القتال و لا تدعوا إلى السلم المسالمة مع الكفار خوفا منهم، بخلاف ما إذا كانت الدعوة إلى السلم لمصلحة قلة المسلمين أو نحو ذلك أو كما قال سبحانه و إن جنحوا للسلم فاجنح لها و الحال أنتم الأعلون جمع أعلى، فإن المسلم أعلى حجة، و أعلى قوة، لأن إيمانه يجعله أعلى من جهة المعنويات و هي مهمة جدا في الانتصار و الله معكم ينصركم و يثبت أقدامكم و لن يترككم أى لن يضع منكم أعمالكم فأنتم أعلى منطلقا و نفسا، و الله معكم، و ترجون جزاء حسنا، و بهذه الجهات الثلاث لا ضعف في المسلمين و يجب أن يعلموها حتى لا يهنؤا و لا يدعوا إلى السلم.

[٣٧] و إن كان الفرار من الجهاد، لأجل حب الحياة فاعلموا إنما الحياة الدنيا لعب لا حقيقة لها كما لا حقيقة للعب فإن الشيء الذى يلعب به الصبيان شبيه بالأمور الواقعية، و كذلك الحياة الدنيا بالنسبة إلى الآخرة و كهو يلهي الإنسان و يصرفه عن الأهداف الحقيقية، التى هى رضى الله و الجنة و إن تؤمنوا بالله و تتقوا بترك اللهو و اللعب يؤتكم الله أجوركم اللاتفة بكم، فإن الأجر اللائق بعمل الإنسان، هو رضى الله و الجنة و لا تخافوا من الإيمان و التقوى، حيث يزعم بعض الناس أنه لو آمن يجب عليه أن يدفع ماله فى سبيل الله، كلا ليس كذلك لا يسئلكم الله أموالكم كلها،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٧٢

[سورة محمد (٤٧): الآيات ٣٧ الى ٣٨]

إِنْ يَسْأَلْكُمْ فِيمَا فِيكُمْ تَبَخَّلُوا وَ يُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ (٣٧) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَ مَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَ اللَّهُ الْعَنِي وَ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَ إِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (٣٨)

بل شيئا يسيرا منها كالخمس و الزكاة و هى لمنفعتكم أيضا.

[٣٨] و إنما لا- يسأل الله كل أموالكم «أى غير الضرورية لكم» مع أن سؤال كل الأموال أولى لما فيه من توسعة رغبة الإسلام و من إنقاذ الناس من براثن المستكبرين؟ لأنه إن يسئلكمها أى كل الأموال فيخفكم فيبالغ في الطلب، فإن الإحفاء بمعنى المبالغة تبخلوا عن عطاء الكل و يخرج الطلب أضغانكم أحقاد صدوركم، و ليس المراد أن الضغن كامن فيظهر، بل هو من قبيل إخراج النبات أى أوجده، و الحاصل أن طلب كل المال، و إن كانت فيه مصلحة إلا أنه تركه سبحانه، لأن أضراره أكثر من منافعه فهو من قبيل «لو لا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك».

[٣٩] و إذ مهد الجوى، بذكر أن الحياة زائلة فلا ينبغي للإنسان أن يتعلق بها، و أن الله لا يريد كل أموالكم صار المجال لإظهار وجوب دفع بعض المال، و ليس ذلك لأمر شخصى، بل لإقامة حكم الله و فى سبيل الله ها للتنبيه أنتم أيها المؤمنون هؤلاء أى هم الذين- و الإتيان بهذه العبارة لجلب الانتباه أكثر فأكثر- تدعون يدعوكم الله، و لعل الإتيان بالمجهول، لئلا يكون رده من البخلاء ردا على الله مباشرة؟ إذ قال «يدعوكم الله» لتنفقوا فى سبيل الله للغزو و لمصالح المسلمين و لسد عوز المحتاجين فمنكم من يبخل فلا يعطى أو يعطى أقل من الحق الواجب عليه و اعلموا أن من يبخل فإنما يبخل عن نفسه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٧٣

لأن ضرر البخل عائد عليه، فكان البخل عن النفس من قبيل «منع عن نفسه الخير» و إنما يعود ضرر البخل إلى الإنسان نفسه، لأن مجتمع البخلاء لا ينمو و إذا لم ينمو المجتمع تضرر الجميع، بما فيهم البخيل نفسه و لا يزعم أحد أن الله إنما يطلب المال لأنه فقير، و أن الذين يطلب منهم أغنياء؟ ف الله هو العني إنه يملك كل الكون، و يملك ان يخلق كل شىء بإرادته، فهل مثله فقير؟ و أنتم الفقراء حتى أنكم تحتاجون فى استمرار حياتكم إليه تعالى، و هل مثل هذا الإنسان يسمى غنيا؟ بل إنما يطلب منكم المال ليمتحنكم، و ليعود نفعه إليكم و إن تَوَلَّوْا فلا- تنفقون يشيدل الله بكم قوماً غيركم يقيمهم مقامكم، فإن الخير يلتف حوله الناس، و إنما المهم أن يكون الإنسان من أهل الخير ثم لا- يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ فى المخالفة لأوامره سبحانه، و من الطبيعى أن تأتى الأجيال اللاحقة لتعتبر

بنواقص الأجيال السابقة فيكملوها فلا يكونوا أمثال أولئك السابقين.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٧٤

٤٨ سورة الفتح مدنية: آياتها (٣٠)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على كلمة «الفتح» و هي كسائر السور المدنية مشتملة على أحكام الشريعة و لما ختمت سورة محمد صلى الله عليه و آله و سلم بقضايا الجهاد بالنفس و المال، افتتحت هذه السورة بثمره تلك المجاهدات، حيث فتح الله على نبيه مكة المكرمة، ببركة جهاده و جهاد المجاهدين من أصحابه.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الذي يمنح كل خير، و الذي منه فتح مكة «الرحمن الرحيم» بعباده، و لذا يمنحهم ما فيه صلاحهم برحمته الواسعة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٧٥

[سورة الفتح (٤٨): الآيات ١ الى ٢]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ وَ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ يَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢)

[٢] إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَتْحًا مُّبِينًا و اوضحا، قالوا نزلت بعد أن رجع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من الحديبية، و المراد أنه سيفتح له، فنزل المضارع المحقق الوقوع منزله الماضي، لأنه في كونه يقينا مثل المستقبل، أو المراد أن الحديبية فتح، لأنها كانت سبب الفتح و مفتتحه.

[٣] و إنما فتحنا لك لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ عَلَى الْفَتْحِ وَ مَا تَأَخَّرَ أَى أَنْ الْفَتْحِ سبب لغفران كل الذنوب، و المراد به، إما ذنوبه صلى الله عليه و آله و سلم عند الكفار، فإنه كان عاقا قاطعا للرحم عندهم و قد قتل رجالهم و سب آلهتهم قبل الفتح و بعد الفتح، فإذا سلط عليهم، غمضوا عن ذنوبه، كما هي العادة أن الإنسان إذا تسلط غفر الناس ما يزعمون له من ذنوب، و إما المراد بالذنوب، ما ذكروا من ذنوب الأنبياء، من أنها تعد ذنوبا بالنظر إلى الكمال الواقعي يمنعه الاضطرار إلى المأكل و المشرب و ما أشبهه، فهو نوع من التواضع، يرفع النقص الذي ألجئ إليه اضطرارا، و إما المراد ذنوب الأمة فإن ذنب الأتباع يعد ذنب الرئيس - عرفا - فالجهاد تكميل للمضطر إليه، أو سبب غفران ذنب الأمة و ل يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ بإعلاء الإسلام و ضم السيطرة إلى النبوة و ل يَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا فإن الهداية تتلاحق آنا بعد آن، و في حاله بعد حاله، مثلها مثل الحياة، و مثل ماء النهر، فكل خطوة بعدها إما هداية أو ضلال، لأنه إن مشى مستقيما - بعد تلك الخطوة - فهو هداية و إلا كان ضلالا، و الفتح سبب الهداية، لأنه صلى الله عليه و آله و سلم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٧٦

[سورة الفتح (٤٨): الآيات ٣ الى ٤]

وَ يُنصِرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا (٣) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيُزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٤)

يمشى في البلد المفتوح بسيرة حسنة و هي هداية جديدة.

[٤] وَ ل يُنصِرَكَ اللَّهُ فَإِنَّ الْفَتْحَ سبب النصره «و إن كان نفس الفتح أيضا نصره» نَصْرًا عَزِيمًا فيه عزة و منعه فالفتح صار سببا لأربعة أمور، غفران الذنب، و تمام النعمة، و الهداية الجديدة، و النصره العزيمه.

[٥] و ليشكر المؤمنون نعمه الفتح فإن الله هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ الصفة الموجبه للسكون و الطمأنينه فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ تَهْيِئَةَ الْإِنْسَانِ لِلْمَقْدَمَاتِ توجب إفاضه الله للتناجح، كما أن تهيئة الزارع للزرع توجب إفاضه الله النبات، و لما استعد المؤمنون للإطاعة بقتال

الأعداء، ذهب منهم الخوف والاضطراب وصارت لهم الطمأنينة، مما أوجبت فتحهم السريع ليزدادوا إيماناً جديداً مع إيمانهم القديم، فإن سكون القلب يوجب التفكير حسناً ورؤية الأشياء كما هي الواقع، فيرون فضل الله عليهم وبذلك يزدادون إيماناً ولا يزعم المؤمنون أنهم، بدون فضل الله تمكنوا من الفتح، بل كان معهم جند الله، مثل إلقاء الرعب في قلوب الكافرين، وإنزال السكينة في قلوب المؤمنين، إذ لله جنود السماوات والأرض الجنود المادية والمعنوية وكان الله عليمًا يعلم كيف ينصر المسلمين على الكافرين حكيمًا يضع الأشياء موضعها فلما أن هتأ المسلمون أنفسهم للقتال، كانت الحكمة تقتضى نصرتهم، كما أن الأب الحكيم يمدّ ولده بالمال كلما رأى حسن طاعته له.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٧٧

[سورة الفتح (٤٨): الآيات ٥ الى ٦]

لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا (٥) وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٦)

[٦] وإنما فعل سبحانه ما فعل من النصر للمؤمنين، بعد أن أطاعوا وأوامره ليزيد ثوابهم فيدخل المؤمنين والمؤمنات لأنهن أيضا كن مجاهدات جنات تجرى من تحتها الأنهار أى من تحت أشجارها، فى حال كونهم خالدين فيها أبداً ويكفر عنهم سيئاتهم أى يغطيها ويزيلها، فإن الجهاد سبب غفران الذنب، كما هو سبب رفع الدرجة فى الجنة، فالمراد بإدخالهم الجنة فى أثر الجهاد، الجنة الرفيعة التى لو لا الجهاد لم يستحقوها وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً لأنه منتهى رغبة الإنسان، أن يكون فى لذة دائمة، ولعل ذكر «عند الله» للإفادة بأنهم فى نعمه معنوية أيضاً، لأنهم يلتذون بأنهم قرب الله سبحانه، قرباً معنوياً.

[٧] وَيُعَذِّبُ عَطْفَ عَلَى «يُدْخِلُ» أَيْ أَنَّ اللَّهَ نَصَرَ الْمُؤْمِنِينَ لِأَمْرَيْنِ:

الأول: لأجل رفعة درجات المؤمنين فى الآخرة. والثانى: ليزيد عذاب المنافقين والمنافقات لأنهم بنفاقهم فى باب هذه النصر زاد عذابهم فى الآخرة والمشركين والمشركات لأنهم ببقائهم على الشرك ومحاربتهم للرسول زاد عذابهم الظالمين بالله ظن السوء حيث كانوا يظنون أن الله لا ينصر رسوله، وأنه كذب سبحانه مع رسوله فى ما وعده من النصر عليهم على أولئك المنافقين والكفار دائرة السوء أى ما كانوا يظنونهم من عدم النصر، حتى يسوء

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٧٨

[سورة الفتح (٤٨): الآيات ٧ الى ٨]

وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (٧) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٨)

المؤمنون، دائر عليهم وحائق بهم، وسميت دائره، من دوران الفلك، فقد دارت دائره سيئه بالنسبه إليهم، وقوله سبحانه «عليهم...» إما إخبار أو ادعاء عليهم و غضب الله عليهم قطعهم عن رحمته و لعنهم أبعدهم عن كل خير، و ذلك لأن الله تعالى لا يتغير حاله، و لا يعرفه غضب و نحوه كما قرر فى علم أصول الدين و أعيد لهم جهنم و ساءت مصيراً أى أن جهنم موضع سوء يصيرون إليه بعد موتهم.

[٨] و يؤكد سبحانه للمؤمنين وجوب إقدامهم فى الحروب لأجل الإسلام، كرر سبحانه لله جنود السماوات والأرض فالحر والبرد والمطر والرياح من جنوده فى السماء، والرعب فى القلب والتشتت للشمل ونحوهما من جنوده فى الأرض، إلى غيرهما من جنوده الكثيره و كان الله عزيزاً يقدر أن يفعل ما يريد لعزته حكيماً يضع الأشياء موضعها، فإذا نصر المؤمنون دينه، نصرهم.

[٩] و لما ذكر شىء من صفاته سبحانه، ذكر بعض صفات رسوله، القائد للمؤمنين ليعلم المؤمنون أن قائدهم صالح لقيادتهم إلى خير الدنيا وسعادة الآخرة إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَاهِدًا عَلَى النَّاسِ لِتَشْهَدَ عَلَى الْمُؤْمِنِ بِالْإِيمَانِ وَعَلَى الْكَافِرِ بِالْكَفْرِ وَعَلَى الْمُنَافِقِ

بالنفاق وَ مُبَشِّرًا تبشيراً المؤمنين بخير الدنيا والآخرة وَ نَذِيرًا تنذر الكافرين و المنافقين بشر الدنيا والآخرة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٧٩

[سورة الفتح (٤٨): الآيات ٩ الى ١٠]

لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُعَزِّرُوهُ وَ تُوَقِّرُوهُ وَ تَسْبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ آصِيلاً (٩) إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١٠)

[١٠] و إنما أرسلنا الرسول لتؤمنوا بالله و رسوله لأنه الدال إلى الله و إلى رسوله و تعزروه تقووه بالنصرة و ذلك بتقوية دينه و نصره أحكامه و توقروه تعظموه و تسبحوه تنزهوه عن الشريك و عن المناقص بكرة صباحا و أصيلاً عصراً.

[١١] و إذ عرف المسلمون الرسول صلى الله عليه و آله و سلم حق المعرفة فاللزام أن يعرفوا أن بيعتهم له لازمة عليهم، لأن بيعته بيعه لله تعالى، فإذا نكث الإنسان بيعته، فبالإضافة إلى أنه خان الله و رسوله، كان ضاراً لنفسه، إذ فائدة البيعة تعود إلى نفس المؤمن إن الذين يبایعونك يا رسول الله إنما يبایعون الله إذ الرسول صلى الله عليه و آله و سلم ممثل لله تعالى يد الله فوق أيديهم فقد كان أسلوب البيعة أن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم يرفع يده ممدودة باطنها إلى الأرض و ظاهرها إلى السماء، فيأتي المبايع فيمر باطن كفه بكف الرسول مبتدأ من رأس الخنصر منتها إلى رأس إبهام الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، هذه هي كيفية البيعة، و هي رمز أن البائع قد باع كل شيء له من نفس و مال و غيرهما، للرسول صلى الله عليه و آله و سلم قال سبحانه إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة «١» و إتيان الصيغة باب المفاعلة، لأنه باع ما عنده ليأخذ بقدره من الجنة، فالباع من الطرفين، و إذا أراد شخص نقض البيعة مع أمير أو ما أشبهه، كان يمر بيده من رأس الإبهام

(١) التوبة: ١١١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٨٠

[سورة الفتح (٤٨): آية ١١]

سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَ أَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرُوا لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١١)

إلى رأس الخنصر، و كما يستفاد من روايتين ذكرهما الفيض «رحمه الله» في الصافي، و يد الله كناية، مثل بيت الله و ناقه الله فمن نكث نقض البيعة فإنما ينكث بما يعود ضرره على نفسه لأنه إذا لم يتبع سبيل الله اتبع السبل المنحرفة التي في سلوكها الضلال و العذاب و من أوفى أى وفى، كلاهما بمعنى واحد كما قال سبحانه أوفوا بالعقود «١» و هل فائدة باب الأفعال الدلالة على كمال الوفاء تأكيداً له بما أى بالذى عاهد عليه الله فسيؤتيه الله فى الدنيا والآخرة أجراً عظيماً و السين لأجل أن الحصول على الفوائد الدنيوية لا يكون إلا متأخراً، و

قد ورد أن هذه الآية نزلت فى بيعه الرضوان عام الحديبية، و قد كان تخلف عن رسول الله فى سفره إليها قبائل أسلم و جهينة و مزينة و غفار و غيرهم فإنهم بعد أن استنفرهم الرسول صلى الله عليه و آله و سلم اعتلوا بالشغل بأموالهم و أهلهم، فنزلت فيهم هذه الآية «٢».

[١٢] سَيَقُولُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الْمُخَلَّفُونَ كَأَن ضَعْفَ إِيمَانِهِمْ سَبَبَ مَخَالَفَتِهِمْ، وَ لَذَا جَاءَ بِصِيغَةِ الْمَفْعُولِ، مِثْلَ «أَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ» بِصِيغَةِ الْمَجْهُولِ مِنَ الْأَعْرَابِ وَ هُم أَهْلُ الْبَادِيَةِ، وَ لَا يُسَمَّى أَهْلُ

(١) المائة: ٢.

(٢) راجع مجمع البيان: ج ٩ ص ١٩٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٨١

المدن أعرابا، وإنما يسمون عربا شغلنا أموالنا وأهلونا عن السفر معك يا رسول الله فاستغفر لنا اطلب الغفران من الله على تخلفنا، فإنهم تخلفوا خوفا، ولما رجع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم منتصرا ندموا وجاءوا يعتذرون، لكن كلامهم في اعتذارهم، أولا، وفي طلب استغفاره صلى الله عليه وآله وسلم لهم ثانيا، كان كذبا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فعدم نفرهم أولا: كان خوفا، و طلب استغفارهم ثانيا: كان لأجل أن يمحو عن أنفسهم و صمة العار التي لحقت بهم عند المؤمنين قل يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم فمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هل هناك من يقدر على منع نفوذ قضاء الله فيكم إن أراد بكم ضرراً بالقتل وإغارة قبيلة على قبيلة أو ما أشبه ذلك فأنتم كان فراركم خوفا، بينما لا ينفع الفرار من بأس الله إن كان مقدر أن ينزل بكم أو أراد بكم نفعاً و الآن أنتم جئتم معتذرين لتحصلوا من اعتذاركم على نفع المستقبل من الجاه عند المؤمنين و الغنيمة في المستقبل، بينما النفع بيد الله، لا أن اعتذاركم يجر إليكم نفعاً، والحاصل أنهم كانت أعمالهم و عدم نفرهم، و اعتذارهم، تابعة لخوفهم و رجائهم، بينما الضرر و النفع بيد الله، لا بحسب أعمالهم بل كان الله بما تعملون خبيراً فعلم سبب تخلفكم و سبب اعتذاركم «على خلاف ما أظهرتم».

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٨٢

[سورة الفتح (٤٨): الآيات ١٢ الى ١٤]

بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَ زَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَ ظَنَّتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَ كُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا (١٢) وَ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا (١٣) وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَ كَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا (١٤)

[١٣] ثم بين الله سبحانه كذبهم في دعواهم «شغلنا أموالنا و أهلونا» بقوله بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول و المؤمنون إلى أهلهم أبداً لأن كفار مكة يقتلونهم و زين ذلك الظن في قلوبكم فإن الإنسان يرتاب أولاً ثم يشك ثم يظن، ثم يقوى ظنه إلى حد أنه الذي يزين له فيصرفه عن العمل بخلاف ذلك و قد كان الظن باطلا إذ ظننتم ظن السوء لم يكن يستحق أن يزين في قلوبكم، إذ ما كنتم تعلمون من خطط النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحكيمه، و من نصره الله له كان ينبغي أن يصرفكم عن ظنكم و كنتم بانصرافكم عن النصر مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قوماً بوراً جمع بائر، أى هالكين، هلكت دنياكم لأنكم فضحتهم، و آخرتكم لما أعده الله لكم من العقاب.

[١٤] لقد كنتم قوما بورا في الدنيا كما وضع ذلك للجميع و أما أنكم بور في الآخرة فلوضح أن من لم يؤمن بالله و رسوله كما ظهر ذلك من تخلفكم عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الساعة الحرجة فإننا أعتدنا هيئنا للكافرين سعيراً نارا تستعر.

[١٥] و الله سبحانه قادر على عذابهم إذ لله ملك السماوات و الأرض لا يتمكن الحروب عن إرادته و لكن إذا رجع هؤلاء إلى التوبة و الطاعة فلعله سبحانه يغفر لهم إذ هو تعالى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٨٣

[سورة الفتح (٤٨): آية ١٥]

سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥)

يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء و ليست مشيئته اعتبارية بل تابعة لعمل الإنسان فيشاء غفران الثائب و عذاب المصّر و كان الله عفورا يستر ذنب الثائب رحيماً يرحمه بأن يبدل سيئاته حسنات.

[١٦] و إذ بين سبحانه أن عذرهم كان كذبا، أراد أن يبين أن طلبهم للتوبة و الاستغفار أيضا كذب سيقول المخلفون الذين تخلفوا عن

النصر مع الرسول إلى الحديبية إِذَا أَنْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ حَرْبٍ جَدِيدٍ مِمَّا فِيهِ مَغَانِمٌ جَمَعَ مَغْنَمٌ بِمَعْنَى الْغَنِيمَةِ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا أَيُّ دَعْوَانَا تَتَّبِعُكُمْ فحيث كان الخوف من أهل مكة لم يسافروا مع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أما حيث حرب طفيفه، يريدون الكون معكم ليحصلوا على الغنائم يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ اسْتَعَدُّوا لِقِتَالِ أَهْلِ مَكَّةَ فِي الْحَدِيثِ لِيَعْلُوا الْإِسْلَامَ، لَكِنْ كَانَ رَأْيُهُمْ خَطَأً، إِذْ مَا كَانَ بِالْإِمْكَانِ فَتَحَ مَكَّةَ، مَعَ عِلْمِ أَهْلِهَا أَنَّ الرَّسُولَ يُرِيدُ مُحَارَبَتَهُمْ، بَلْ أَرَادَ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَتَحَهَا فِي حَالِهِ غَفْلَتَهُمْ لِثَلَا- تَرَاقِ دِمَاءٍ، وَكَانَ كَمَا أَرَادَ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الصَّلْحِ، وَلَمَّا ثَقُلَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، حَيْثُ لَمْ يُحَارَبُوا وَ لَمْ يَحْصُلُوا عَلَى مَغَانِمٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَعَدَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَعْضِبَهُمْ عَنْ مَغَانِمِ مَكَّةَ بِمَغَانِمٍ خَيْرٍ، فَكَانَتْ مَغَانِمُ خَيْرٍ لِأَهْلِ الْحَدِيثِ- حَسْبُ وَعَدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ- فَإِذَا تَبَعَ الْمُخْلَفُونَ الْمُسْلِمِينَ فِي فَتْحِ خَيْرٍ كَانَ ذَلِكَ تَبْدِيلًا لِكَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى، وَ لَذَا فِ قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِلْمُخْلَفِينَ لَنْ تَتَّبِعُونَا إِِنْ شَاءَ فِي صُورَةِ إِخْبَارٍ، لِيَبَانَ أَنَّهُ مُحَقَّقٌ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٨٤

[سورة الفتح (٤٨): آية ١٦]

قُلْ لِلْمُخْلَفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولَىٰ بِأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦)

الوقوف كذلك أي هكذا و «كم» أداة خطاب قال الله من قبل أي من قبل أن تنهياً لخير، و هو في الحديبية فسيقولون أي المخلفون بل تحسدوننا أن نشارككم في الغنائم، و هذا نفى لكلام المؤمنين حيث قالوا للمخلفين «إن الله وعد الغنائم لأهل حديبية» بل ليس كما يقول المخلفون إذ أنهم كانوا لا يفقهون إلا قليلاً فهم لا يفهموا حتى موازين الدنيا، فإن من عليه الغرم فله الغنم، لا أن يكون الخوف و الصعوبة للمؤمنين، ثم يشاركهم المخلفون في الغنائم.

[١٧] قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِلْمُخْلَفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ كَرَّرَ ذِكْرَهُمْ بِهَذَا الْاسْمِ مَبَالِغَةً فِي ذَمِّهِمْ وَإِشْعَارًا بِشِنَاعِهِ تَخْلَفُهُمْ سَتُدْعُونَ إِلَىٰ قِتَالِ قَوْمٍ أُولَىٰ بِأْسٍ شَدِيدٍ حَيْثُ يَكُونُ فِيهِ الْخَوْفُ وَ الْغَنَمُ مَعًا، فَإِنَّكُمْ حَيْثُ لَمْ تَتَّحَمَلُوا خَوْفَ الْحَدِيثِ لِ- تَأْخُذُونَ مِنْ غَنَائِمٍ خَيْرٍ. أَمَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ لَنَا حَرْبٌ مَعَ قَوْمٍ أُولَىٰ بِأْسٍ شَدِيدٍ، كَأَهْلِ مَكَّةَ «حين نريد فتحها» و «كحرب حنين» و «كحرب الطائف» و غيرها، فلکم أن تأتوا معنا لتناولوا قسطكم من صعوبة الحرب، و قسطكم من غنائمها تقاتلونهم أو يسلمون فإما القتال حتى النصر، أو أن يسلموا بدون قتال، و لعله إشارة إلى أن أهل مكة استسلموا بدون قتال، و أن أهل حنين قوتلوا إلى أن انتصر المسلمون فإن تطيعوا باستجابة الذهاب

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٨٥

[سورة الفتح (٤٨): آية ١٧]

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا (١٧)

مع المسلمين إلى قتال هؤلاء يؤتكم الله أجراً حسناً بتوسعة التجارة مع أهل مكة، و بالغنائم في حنين بالإضافة إلى ثواب الله في الآخرة و إن تَوَلَّوْا وَ لَمْ تَحْضُرُوا الْقِتَالَ كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ فِي الْحَدِيثِ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا مَوْلَمَا لَتَضَاعَفَ جَرْمُكُمْ، بِإِصْرَارِكُمْ عَلَىٰ مُخَالَفَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

[١٨] نعم لا يجب حضور الجهاد على الكل فالمتخلف في الحديبية و في غير الحديبية لا يشمله التهديد و الوعيد ف ليس على الأعْمَى حَرْجٌ أَي - لا- نشد عليه بإلزامه حضور الحرب و لا على الأعْرَجِ حَرْجٌ لِأَنَّهُ لَا يَتِمَكَّنُ مِنَ اللَّحَاقِ بِالْمُجَاهِدِينَ الْمَاشِينَ، وَ لَا يَقْدِرُ عَلَى رُكُوبِ الْفَرَسِ، لِعَدَمِ وَصُولِ رِجْلِهِ إِلَى الرِّكَابِ وَ لَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ إِذَا كَانَ مَرَضُهُ يَمْنَعُهُ مِنَ السَّيْرِ وَ إِذَا أُطْعِمَ أَيُّهَا الْمُخْلَفُونَ، فِي الْمُسْتَقْبَلِ إِذَا دَعَاكُمْ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْحَرْبِ فَإِنْ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَلَا يَذُوقُ حَرَّ الصَّحْرَاءِ، لِأَنَّهُ فِي جَنَّةٍ، وَ لَا عَطَشَ شَحِّ الْمَاءِ، لِأَنَّهُ عِنْدَ الْأَنْهَارِ الْجَارِيَةِ وَ مَنْ يَتَوَلَّ مِنْكُمْ يُعَذِّبُهُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا مَوْلَمَا، وَ

قد كرر سبحانه التهديد ليكون أبلغ في التخويف و ليهيئ نفوسهم لقبول الأوامر.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٨٦

[سورة الفتح (٤٨): الآيات ١٨ الى ١٩]

لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٩)

[١٩] ثم جاء الكلام لينقل قصة الحديبية لتكون بشارة للمؤمنين الذين شهدوا الحديبية، و تعريضا بالمتخلفين لزيادة تحذيرهم عن التخلف ثانياً فقال سبحانه لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ كانت في الحديبية شجرة جلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحتها، و أخذ البيعة من المسلمين الذين كانوا معه لمحاربة قريش، حين أشيع بأنهم قتلوا رسول النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلههم، و هذه البيعة سميت ببيعة الرضوان، لقوله تعالى «لقد رضى الله» و المراد برضى زيادة الرضا، لأن الله كان راضيا عنهم قبل ذلك، أو رضاه ببيعتهم فَعَلِمَ اللَّهُ بسبب بيعتهم ما فِي قُلُوبِهِمْ من الإيمان و الإخلاص، و المراد رفع علمه سبحانه على المعلوم حين وجد المعلوم في الخارج، فالمراد ظهر ما في قلوبهم، و هذا الظهور كان معلوما لله تعالى، و على هذا «الفاء» في فعلهم، للترتيب الكلامي لا الترتيب الخارجى فَأَنْزَلَ اللَّهُ جزاء لبيعتهم السَّكِينَةَ سكون النفس عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ و أعطاهم ثوابا لذلك فَتْحًا قَرِيبًا هو فتحهم لخير بعد انصرافهم من الحديبية.

[٢٠] وَأَثَابَهُمْ مَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا من خير و كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا غالباً على أمره حَكِيمًا يفعل الأشياء حسب المصلحة و الحكمة، فحركة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحديبية، أفادت طغى القبائل في أهل مكة حيث منعوا عن الحرم، كما فتحت الطريق أمام فتح مكة حيث أن نقض المشركين للعهد أعطى الزمام بيد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليهاجم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٨٧

[سورة الفتح (٤٨): الآيات ٢٠ الى ٢١]

وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَ لَتَكُونَ آيَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢٠) وَ أُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢١)

مكة دفاعا، و كذلك كرس - منعهم عن الحج - نفوسهم إلى التصميم على فتح خير.

[٢١] وَعَدَكُمْ اللَّهُ أيها المسلمون مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا و هي المغانم التي حصل و يحصل عليها المسلمون منذ الحديبية إلى يوم القيامة فَعَجَّلَ لَكُمْ هذه مغانم خير و كَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ أيدي أهل خير فلم يقدروا على محاربتكم، إذ أنهم ذهلوا و سقط في أيديهم فلم يحاربوا بقدر قواهم الواقعية وَ لَتَكُونَ هَذِهِ الْغَنَائِمُ، و كف أيدي الناس آيَةً علامة لِلْمُؤْمِنِينَ فظهر صدق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حيث أخبرهم قبل خير أنهم سيغلبون و يغنمون غنائم كثيرة، و الظاهر أن «لتكون» عطف على مقدر يفهم من الكلام السابق فكأنه قال «عجل الغنيمه و كف الأعداء» لتنتفعوا ماديا، و لتكون آيَةً لتنتفعوا معنويا وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا عطف على «لتكون» إذ المعونة المادية و المعنوية تزيد الإنسان صلابه للاستقامة في الطريق، فقد تقدم أن كل خطوة في الحياة، إما مستقيمة أو منحرفة.

[٢٢] وَ أُخْرَى عطف على «هذه» أي عجل لكم غنائم خير و ادخر لكم غنائم أخرى هي غنائم هوازن لَمْ تَقْدِرُوا بعد عَلَيْهَا لأنه لم تقع حرب هوازن بعد قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا أي استولى عليها بالعلم و القدرة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٨٨

[سورة الفتح (٤٨): الآيات ٢٢ الى ٢٣]

وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلُوا الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٢٢) سُبَّحَانَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٢٣)

مثل الدائرة المحيطة بالشيء حيث لا يقدر ذلك الشيء التخلص من تلك الدائرة وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا فسيرشدكم على كيفية التسلط على تلك الغنائم، وهذا إما إخبار بالغيب أو أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان يعرفه بتجسس تجمع المشركين للقضاء على المسلمين، فإن للحرب أرسادا في الغالب.

[٢٣] إن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ صالح في الحديبية، وحارب مع أهل خيبر، وقد اجتمع لمناصرة خيبر حلفاؤهم، لكنهم لما رأوا قوة الرسول انهزموا وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ حَلْفَاءِ خَيْبَرَ لَوَلَّوْا الْأَذْبَارَ وَانْهَزَمُوا وَانْكَسَرُوا فِي الْقِتَالِ، وَذَلِكَ لَوْضُوحٌ أَنَّهُ لَوْ انْهَزَمَتِ الْقُوَّةُ الْأَقْوَى لَانْهَزَمَتِ الْقُوَّةُ الْأَضْعَفُ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ أَوْلِيَاءَ لِحَلْفَاءِ وَلِيًّا يَلِي أُمُورَهُمْ بِالتَّوَسُّطِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَإِعْطَانِهِمُ الْمَعْلُومَاتِ وَنَحْوَهَا كَمَا يَفْعَلُ أَوْلِيَاءُ كُلِّ جَمَاعَةٍ بِهِمْ وَلَا نَصِيرًا يَنْصُرُهُمْ فِي حَرْبِهِمْ مَعَ الرَّسُولِ.

[٢٤] هذه هي سُنَّةُ اللَّهِ طَرِيقَتُهُ حَيْثُ يَنْصُرُ أَوْلِيَاءَهُ عَلَى أَعْدَائِهِ، وَيُعْطِي الْأَوْلِيَاءَ غَنَائِمَ الْأَعْدَاءِ الَّتِي قَدْ حَلَّتْ مَضَتْ مِنْ قَبْلِ فِي سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَإِنْ قُلْتَ فَكَيْفَ كَانَ يَقْتُلُ الْكُفَّارَ الْأَنْبِيَاءُ، قُلْتَ كَانُوا يَتَسَلَطُونَ عَلَيْهِمْ حَيْثُ لَا يَكُونُ لِلنَّبِيِّ جَمَاعَةٌ مَدَافِعُهُ، أَمَا إِذَا كَانَتْ فَسَنَةُ اللَّهِ نَصْرَهُ الْأَنْبِيَاءُ، لَا يَقَالُ إِذَا لَافَرَ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ، لِأَنَّهُ يَقَالُ الْفَرْقُ إِنْ الْأَنْبِيَاءُ يَنْتَصِرُونَ وَ لَوْ بَدُونَ مَكَافَتَهُ الْقَوَى بِخِلَافِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٨٩

[سورة الفتح (٤٨): الآيات ٢٤ الى ٢٥]

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٢٤) هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ الْهَيْدَى مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ وَ لَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَ نِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّهُمْ فَتَصِيْبُكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٢٥)

غير الأنبياء عليهم السَّلَامُ. إِنْ قُلْتَ وَ كَذَلِكَ بَعْضُ الْأُمَمِ الضَّعِيفَةُ تَغْلِبُ عَلَى الْأُمَمِ الْقَوِيَّةِ قُلْتَ: إِذَا أَخَذَتِ الْغَلْبَةَ بِالْمَعْنَى الْمَادِي أَى تَبْدِيلِ أَنْاسٍ فِي الْحُكْمِ بِأَنْاسٍ آخَرِينَ فَقَطْ بَدُونَ تَغْيِيرِ النَّظَامِ فِيهِ مَوْجُودَةٌ فِي أَى فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ مَصْمُومَةٍ تَغْلِبُ فِتْنَةً كَثِيرَةً غَيْرَ مَصْمُومَةٍ، أَمَا إِذَا أَخَذَتِ بِالْمَعْنَى الْمَادِي وَ الْمَعْنَى فَتَلِكُ خَاصَّةٌ بِأَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا إِذْ إِنْ قَوَانِينِ اللَّهِ فِي الْحَيَاةِ لَا تَتَغَيَّرُ، فِيهِ جَارِيَةٌ إِلَى زَوَالِ الْحَيَاةِ عَنِ الْأَرْضِ.

[٢٥] ثم بين سبحانه فلسفة الصلح في الحديبية، و لتوضيح أن النصره كانت هناك للمؤمنين - حسب سنة الله - و إنما يقاتل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا - لخوف الانهزام بل لمصلحه أخرى وَ هُوَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ الَّذِي كَفَّ مَنَعَ أَيْدِيَهُمْ أَيْدِيَ الْكُفَّارِ عَنْكُمْ فَلَمْ يَتَجَرَّعُوا عَلَى قِتَالِكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ فَقَبِلْتُمُ الصَّلْحَ وَ تَرَكْتُمُ الْحَرْبَ بِبَطْنِ مَكَّةَ مَرْكَزَ الْعَدَاوَةِ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ تَقْعُ الْحَرْبُ فِي بَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ فَبَعْدَ أَنْ كَانُوا يَغْرُونَكُمْ فِي الْمَدِينَةِ طَلَبُوا مِنْكُمْ الصَّلْحَ فِي الْحَدِيبَةِ وَ هَذَا ظَفَرٌ مَعْنَوِي وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا حَيْثُ أَطْعَمَ الرَّسُولَ بَعْدَ الْحَرْبِ، مَعَ أَنْ رَأَيْكُمْ كَانَتْ الْحَرْبُ، وَ كُنْتُمْ تَرَوْنَ عَدَمَ الْحَرْبِ انْهَزَامًا.

[٢٦] وَ قَدْ كَانَ أَهْلُ مَكَّةَ مُسْتَحْقِينَ لِلْحَرْبِ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٩٠

وَ رَسُولِهِ وَ صَدُّوْكُمْ مَنَعُوكُمْ عَنِ زِيَارَةِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَيْثُ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَرِيدُونَ الْعِمْرَةَ وَ مَنَعُوا عَنِ الْهَيْدَى الْإِبِلِ الَّتِي سَاقَهَا الْمُسْلِمُونَ لِعِمْرَتِهِمْ مَعْكُوفًا مِنْ عَكْفٍ إِذَا حَبَسَ لِأَنَّ الْإِبِلَ كَانَ مَحْبُوسًا عَلَى الْهَيْدَى لِيَنْحَرَّ بَعْدَ قِضَاءِ الْعِمْرَةِ، فَقَدْ مَنَعَ الْمَشْرُكُونَ أَنْ يَبْلُغَ الْهَيْدَى مَحَلَّهُ الْمَكَانَ الَّذِي يَنْحَرُّ فِيهِ بِمَكَّةَ، وَ بِهَذَا قَدْ اسْتَحَقُّوا الْقِتَالَ مَرَّةً لِكُفْرِهِمْ، وَ مَرَّةً لَصُدِّهِمْ عَنِ الْمَسْجِدِ، وَ مَرَّةً لَمَنْعِهِمْ الْهَيْدَى، وَ مَعَ ذَلِكَ فَقَدْ كَفَّ اللَّهُ تَعَالَى أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ وَ لَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَ نِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ فِي مَكَّةَ مُخْتَلَطِينَ بِالْكَفَّارِ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ بِأَشْخَاصِهِمْ، لِتَتَجَنَّبُوا قِتَالَهُمْ عِنْدَ قِتَالِكُمْ مَعَ الْمَشْرُكِينَ أَنْ تَطَّوُّهُمْ بِدَلِّ اشْتِمَالِ مِنْ «رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ...» أَى لَوْ لَا خَوْفٌ سَحَقَكُمْ «وَ وَطَّئِكُمْ» فِي حَالَةِ حَرْبِ الْمَشْرُكِينَ، لِرِجَالٍ وَ نِسَاءٍ مُسْلِمِينَ إِذَا وَطَّئُوهُمْ تَصِيْبِكُمْ مِنْهُمْ مِنْ جِهَةِ أَوْلِيَاءِ الْمَسْحُوقِينَ مَعْرَةً أَى مَكْرَهُ

إذ يحزن المسلم أن يقتل المسلم، إذا وقع القتل اشتباهاً، بالإضافة إلى تعيير المشركين للمسلمين بأنهم قتلوا حتى إخوانهم في الدين، إلى غير ذلك بغير علم منكم المسلم من غير المسلم، فقوله «لم تعلموهم» لبيان أنهم لا يعرفون أولئك المسلمين، وقوله «بغير علم» لبيان أن سحقهم بغير علم، فلا تكرر، و جواب «لولا» محذوف لدلالة الكلام عليه، أى لو لا خوف سحقكم للمؤمنين المجهولين، لما كف الله أيديكم عن المشركين، وإنما كنا نجيز لكم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٩١

[سورة الفتح (٤٨): آية ٢٦]

إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٢٦)

في حرب أهل مكة لو لا خوف سحق المؤمنين ليدخل الله في رحمته من يشاء من الذين يحاربون، فظاهر «ليدخل» أنه تعليل للجواب المحذوف، ففي الآية معلولان «الحرب» و «الكف» و علتان «الإدخال في الرحمة للأول» و «خوف السحق للثاني» لكن لما كان الثاني أهم، رجحه سبحانه على الأول، ثم أكد سبحانه أن الكف عن الحرب كان لخوف سحق المؤمنين بقوله لَوْ تَزَيَّلُوا تَفَرَّقُوا و تميز المسلم عن الكافر- في أهل مكة- لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ- في قبال الذين آمنوا منهم- عَذَابًا أَلِيمًا مؤلماً، بالقتل والأسر و غنيمه الأموال.

[٢٧] و قد كان كف الله أيديكم عنهم و حتى لا تقع الحرب إذ في زمان جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ أى الكبر و الأنفة حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّ «الحمية» مشتقة الحمى، و قد تستعمل لحمية الخير، و قد تستعمل لحمية الشر، و لذا بينه سبحانه، بأنها كانت حمية الجاهلية، إذ الجاهل يحمى عن الباطل، و ذلك لأنه بعد أن تقرر الصلح بين الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و بين رسول المشركين

«في الحديبية» قال الرسول صلى الله عليه و آله و سلم لعلى عليه السلام اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما صالح عليه محمد رسول الله أهل مكة ... فقال سهيل بن عمر «رسول المشركين» بل اكتب «باسمك اللهم»- و ذلك لأنهم كانوا يكرهون اسم الرحمن لجهلهم- و لا تكتب رسول الله، لأننا لو عرفناه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٩٢

[سورة الفتح (٤٨): آية ٢٧]

لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧)

رسولاً ما حاربناه ... فأمر الرسول صلى الله عليه و آله و سلم علياً عليه السلام أن يكتب كما قال سهيل، و لو لا مسامحة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم لاشتعلت نار الحرب

«١» فقد جعل رسول المشركين في قلبه حمية الجاهلية لكن فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ سكونه على رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ فلم يصروا على كيفية كتابه كتاب الصلح و أَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى فجنحوا إلى الخوف من الله في أن لا- ينساقوا وراء الكبر فتقع الحرب، و يسحق المؤمنون المجهولون الذين كانوا بمكة، و «السكينة» هى حلم الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و المؤمنون، فى حال قدرتهم على الحرب و المراد بالكلمة «الشعار» فإن المؤمنين جعلوا شعارهم التقوى، فكلمة وقعت مشكله، التفوا حول هذا الشعار و كانوا الرسول و المؤمنون أحق بها من المشركين، لأن المؤمن أحق بتجنيب المزالق من غير المؤمن و كانوا أهلها أهل التقوى، من قبيل قولنا: أهل الرجل أحق باتباع الرجل و كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا يعلم ما يفعله المؤمنون من جهة تقواهم، فيشبههم عليه، كما يعلم ما يفعله الكفار من جهة حميتهم فيعاقبهم عليه.

[٢٨] كان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قبل خروجه إلى الحديبية رأى في المنام أنه و المؤمنين معه دخلوا المسجد الحرام، فنقل رؤياه للمؤمنين، و لما

(١) راجع وقعه صفيين: ص ٥٠٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٩٣

قبل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الصلح في الحديبية و لم يدخل المسجد الحرام، تساءل المؤمنون عن مدى صحة الرؤيا، و هل كانت أضغاث أحلام؟ و إذا كانت صادقة فلما ذا لم تتحقق؟ و أجاب الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن الرؤيا صحيحة و أنهم يدخلون المسجد، و لكن ما ظنه المسلمون من أن تحقق الرؤيا يكون في هذه السنة «سنة الحديبية» كان غير صحيح ف لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُوْلَهُ الرُّؤْيَا فكان ما أراه الله في المنام صدق بالحق الصدق هو مطابقة الخبر للواقع، و الحق هو مطابقة الواقع للخبر، و قد يجتمعان للتأكيد، أو المراد أن ما أراه تعالى له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان صدقا «يقع في المستقبل» متلبسا «بالحق» أى بالعرض الصحيح و الحكمة البالغة، فأنتم أيها المؤمنون لتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ مؤكدا «باللام» و «نون الثقيلة» إِنْ شَاءَ اللهُ إِنْ شَاءَ اللهُ إما كلمة تبرك، فليس لها معنى الشرط، أو هي مثل لفظ «لعل» الذى يستعمله القرآن الحكيم المراد به أن الكلام محل «لعل» أو محل «إِنْ شَاءَ اللهُ» و إِنْ كَانَ سبحانه لا يرجو شيئا و لا شك له حتى يعلق على المشيئة، فهو كاستعمال الأمر بقصد التهديد أو ما أشبهه، و كذلك فى كل إنشاء و إخبار، قد يستعملان بقصد آخر، فى حال كونهم آمنين عن محاربة الكفار لكم، و فى حال كونكم مُحَلِّقِينَ رُؤْسَكُمْ و مُقْصِرِينَ مِنْ أَظْفَارِكُمْ و غيرهما، و الظاهر أن المراد أن قسما محلق و قسما مقصر لا تخافون بعد ذلك، فالآمن حين الدخول، و عدم الخوف بعد ذلك فلمجرد الترتيب فى الكلام علم الله

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٩٤

[سورة الفتح (٤٨): آية ٢٨]

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً (٢٨)

ما لَمْ تَعْلَمُوا من كون المصلحة تأخير دخول المسجد الحرام، و قد تقدم أن المصلحة ظهرت بعد ذلك فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ من قبل دخولكم المسجد الحرام فَتْحاً قَرِيباً هو فتح خبير، و بذلك قوى الإسلام و اطمأن المسلمون بالنصر و الغنائم، إلى أن تيسر وقت فتح مكة، تصديقا لرؤيا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

[٢٩] و كيف زعم بعض المسلمين فى الحديبية أنهم انهزموا، حتى قال قائلهم ما شككت فى نبوة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مثل شكى يوم الحديبية و الحال أن الله هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى يصحبه الهدى، لهداية الناس إلى الحياة السعيدة فى الدنيا و الآخرة وَ دِينِ الْحَقِّ الدين هى الطريقة، و الحق هو الواقع «لأن لكل شىء واقعا صحيحا» فالدين الحق هو الطريقة، و الهدى عبارة عن الهداية إليه، كما يقال هديته إلى الطريق، و النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جاء بأن يهدى الناس، و كأن معه خريطة دين الحق، و إنما أرسله الله سبحانه لِيُظْهِرَهُ لِيُغْلِبَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ كل الأديان، سواء كانت سماوية منسوخة أو غير سماوية وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً فالله يشهد بأنه رسوله و أن ما أتى به هو الدين الحق، و شهادته سبحانه عبارة عن جعله تعالى الفطرة البشرية موافقة له، و جعل الحج له، أو المراد جعل المعجزة المصدقة للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ معه، ثم إنه كما يحق لمخترع الطائرة أن يقول ستعم الطائرة كل البلاد، و سينسخ السفر بالدواب «لأنه يعلم ذلك بالمقايسة بين المركوبين، و بفهم طبيعة البشر المائلة إلى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٩٥

[سورة الفتح (٤٨): آية ٢٩]

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سَاجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَ رِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فى وُجُوهِهِمْ

مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)

الراحة» كذلك ظهور الإسلام على الأديان كلها، شىء موافق للمنطق، بعد فهم طبيعة الإنسان المائلة إلى الأخذ بالمنهج الصحيح، و فهم طبيعة الإسلام و مقاييسه بسائر الأديان ليظهر أنه الأمام بطبيعة الإنسان.

[٣٠] و إذ تقدم الكلام عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ، و عن المؤمنين به و عن المنافقين ذكر الله تعالى صفاتهم الظاهرة ليعرف بها المؤمن عن المنافق مُحَمَّدٌ رَسُوْلُ اللهِ ظَاهِرُ الْآيَةِ أَنَّهُ مَبْتَدَأُ وَ خَيْرَ وَ الَّذِينَ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ لِأَنَّ الْكَافِرَ مَبْدَأُهُ فَاسِدٌ مَفْسُدٌ فَإِذَا لَمْ يُوْخَذْ بِالشَّدَةِ لِإِقَافِهِ عِنْدَ حُدُودِ فَسَدٍ وَ أَفْسَدٍ، لَكِنِ الْمَرَادُ بِالشَّدَةِ الْعَقْلَانِيَّةُ «كَمَا هُوَ الْمَتَبَادِرُ مِنْهُ» لَا الشَّدَةُ بِمَعْنَى الْقِسَاوَةِ وَ الْإِفْرَاطِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ يَرْحَمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَإِنَّ أَرْوَاحَهُمْ تَتَلَقَى بِالْإِيمَانِ، مِمَّا يُوْجِبُ رَحْمَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا تَرَاهُمْ أَيُّهَا الرَّائِي رُكْعًا سَيِّجِدًا لِكَثْرَةِ صَلَاتِهِمْ يَتَّبِعُونَ أَى يَلْتَمِسُونَ بِكَثْرَةِ الصَّلَاةِ فَضْلًا وَ زِيَادَةً مِنَ اللَّهِ ثَوَابًا وَ رِضْوَانًا يَطْلُبُونَ مَرْضَاتِهِ فَهؤُلَاءِ سِيْمَاهُمْ عَلَامَةُ إِيْمَانِهِمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ كَالسَّمَةِ الَّتِي تَحْدُثُ فِي جِبَاهِهِمْ مِنْ كَثْرَةِ سَجُودِهِمْ، فَهَذِهِ ثَلَاثُ صِفَاتٍ لَهُمْ، صِفَةٌ مَعَ الْأَعْدَاءِ، وَ صِفَةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَ صِفَةٌ مَعَ اللَّهِ ذَلِكَ الْوَصْفُ الَّذِي ذَكَرَ لَهُمْ مَثَلُهُمْ أَى وَصَفَهُمْ فِي التَّوْرَةِ الْمُنزَلَةَ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ مَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ الْمُنزَلَةَ عَلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَدْ وَصَفَ الْمُؤْمِنُونَ فِي الْكِتَابَيْنِ، بِالْأَوْصَافِ الثَّلَاثَةِ الْمَتَقَدِّمَةِ، ثُمَّ بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ حَالَةَ نَمُوهِمْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٩٦

و تكاثرهم، من جراء تلك الأوصاف الثلاثة السابقة، فهم كزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ أَى فَرَاحَهُ فَآزَرَهُ فَقَوَاهُ، أَى قَوَى الزَّرْعَ فَرَاحَهُ، إِذِ الْفَرَاحُ يَقْوَى قَلِيلًا قَلِيلًا فَاسْتَغْلَظَ ذَلِكَ الزَّرْعُ أَى صَارَ مِنَ الدَّقِةِ إِلَى الْعَلَّظَةِ فَاسْتَوَى وَ اسْتَقَامَ ذَلِكَ الزَّرْعُ بَعْدَ الْغَلْظَةِ عَلَى سُوْقِهِ جَمْعُ سَاقٍ، فَإِنَّهُ كَانَ فِي بَدْوٍ أَمْرِهِ، بَدُونَ فَرَاحٍ، وَ بَدُونَ غَلْظَةِ السَّاقِ، وَ بَدُونَ اسْتِقَامَةٍ، فَإِذَا هَبَتْ بِهِ رِيحُ أَمَالَتِهِ وَ رُبَّمَا قَلَعَتْهُ يُعْجِبُ ذَلِكَ الزَّرْعَ الزُّرَّاعَ مِنْ مَنظَرِهِ وَ فَرَاحِهِ وَ غَلْظَتِهِ وَ قَوْتِهِ وَ كَذَلِكَ بَدَأَ الْمُؤْمِنُونَ قَلِيلِينَ، ثُمَّ أَفْرَحُوا فَالْحَقُّوا بِأَنْفُسِهِمْ أَنَسَا آخِرِينَ، فَهَمَّ كَالْفَرَاحِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ الْأَوَّلِينَ، وَ بِذَلِكَ حَصَلَ مُوَازَرَةُ السَّابِقِينَ لِلآخِقِينَ، وَ بِذَلِكَ صَارَ الْأَوَّلُونَ أَقْوِيَاءَ كَأَنَّهُمْ اسْتَغْلَظُوا، لِأَنَّ مِنْ وَجَدِ الْأَعْوَانَ يَقْوَى، وَ حِينَئِذٍ قَامُوا بِأَنْفُسِهِمْ أَشِدَّاءُ، لَا تَخَوْفُهُمْ رِيحُ الْكُفْرِ، وَ لَا يَمِثَلُ بِهِمْ أَعَاصِيرُ الْبَاطِلِ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ اللَّامُ لِلْعَاقِبَةِ، مِثْلُ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا، أَى كَانَ عَاقِبَةُ كَوْنِهِمْ كَالزَّرْعِ الْكَذَائِي غِيظَ الْكُفَّارِ، وَ لَعَلَّ الْإِنِّيَانِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ «غِيظَ الْكَافِرِينَ» لِأَجْلِ بَيَانِ أَنَّهُمْ لِيُغَيِّظُوا الْمُؤْمِنِينَ، مِمَّا يُعْطَى الْمُؤْمِنِينَ تَبْرِيرَ قِتَالِهِمْ وَ اسْتِئْصَالَ شَأْفَتِهِمْ، وَ بِذَلِكَ «يُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلَّهُ» وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ كُلَّ هَذِهِ الْكَثْرَةِ الَّتِي نَفَتْ حَوْلَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ مِمَّا هُمْ كَالزَّرْعِ، لَيْسُوا مِنْ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ بَلِ الْمُؤْمِنُونَ مِنْهُمْ فَقَطْ كَذَلِكَ مَغْفِرَةً غَفَرْنَا لذنوبهم وَ أَجْرًا عَظِيمًا فِي الْآخِرَةِ، فَدُنْيَا الْمُؤْمِنِينَ كَزَرْعٍ كَذَا، وَ آخِرَتُهُمْ غَفْرَانٌ وَ أَجْرٌ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٩٧

٤٩ سورة الحجرات مدنية / آياتها (١٩)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على كلمة «الحجرات» و هي كباقي السور المدنية مشتملة على قضايا الشريعة. و لما ختمت سورة الفتح بصفة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ و المؤمنين معه ابتدأت هذه السورة ببعض وظائف المؤمنين اتجاه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نستعين في أمورنا كلها بالله، ليكون الله عوننا لنا و ليكون اسمه شعارنا، و لنوحى إلى أنفسنا أن نلتف حوله سبحانه، لينقذنا من مشاكلنا، و ليمنح لنا ما نحتاجه في ديننا و دنيانا و آخرتنا، فهو الرحمن الرحيم في الدنيا و الآخرة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٩٨

[سورة الحجرات (٤٩): الآيات ١ إلى ٢]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢)

[٢] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا أَى لَا تَقْدَمُوا، كما يقال مقدمة الجيش لمن تقدم منهم و لعل المجيء من باب التفعيل، من باب أن النفس تقدم الإنسان، ولذا يأتي أحيانا بصيغة المجهول- في مثل هذه الأفعال- قال تعالى فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ «١» لأن أنفسهم أجبرت على ألسجود بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ كناية عن عدم سبق الإنسان بأن يحكم بحكم قبل أن يكون الله أنزله و قبل أن يكون الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ، وإلا فليس لله سبحانه يد، وإنما هو من باب تشبيه المعقول بالمحسوس، ولا يبعد أن يكون لفظ «لا تقدموا» يشمل حتى في تقدم المشى أمام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَاتَّقُوا اللَّهَ خَافُوا مِنْهُ فَلَا تَخَالَفُوا أَوْامِرَهُ وَنَوَاهِيَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لَأَقْوَالِكُمْ عَلَيْكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، و

عن تفسير القمي أن وفد بني تميم إذا قدموا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وقفوا على باب حجرته فنادوا يا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أخرج إلينا و كانوا إذا خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تقدموه في المشى و كانوا إذا كلموه رفعوا أصواتهم فوق صوته، يقولون يا محمد ما تقول في كذا؟ كما يكلم بعضهم بعضا فأنزل هذه الآيات «٢».

[٣] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ فَلَا تَكُنْ

(١) الشعراء: ٤٧.

(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ٣١٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ١٩٩

[سورة الحجرات (٤٩): آية ٣]

إِنَّ الَّذِينَ يُغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣)

درجة رفع صوتكم أكثر من درجة رفع النبي صوته، مثلا يصل صوت النبي إلى ذراع و يصل صوتكم إلى ذراعين بل اللازم أن يكون صوتكم أخفض من صوته أو مساويا له و لا تَجْهَرُوا لَهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ جِيءَ ب «له» لبيان أن إجهارهم كان لأجله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حتى يسمع كلامهم- بزعمهم- بِالْقَوْلِ عِنْدَ التَّكْلِمْ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ عِنْدَ مَا يَكْلَمُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَإِذَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سَاكِتًا فَأَرَدْتُمْ أَنْ تَكْلَمُوهُ تَكْلَمُوا بِأَدَبٍ وَخُضُوعٍ وَخَفْضِ صَوْتٍ، لا كما يكلم بعضهم بعضا من الجهر و رفع الصوت الخارجين عن أدب التكلم مع الكبار، وإنما لا تفعلوا ذلك ل أن لا تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ فَإِنْ سَاءَ الْأَدَبُ مَعَ الرَّسُولِ يُوْجِبُ حَبْطَ الْعَمَلِ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أَنَّهُا مَحْبُطَةٌ.

[٤] إِنَّ الَّذِينَ يُغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ يَخْفِضُونَهَا وَلا- يرفعونها، بقدر صوت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و لا- أكثر من صوته، سواء كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في حال التكلم، أو كان ساكنا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ سِوَا تَكْلَمُوا مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَوْ مَعَ إِنْسَانٍ آخَرَ مِنَ الَّذِينَ عِنْدَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى جَزَبَهَا لَهَا وَرَمَّهَا عَلَيْهَا، أى ظهرت تقوى قلوبهم لأن أعمال الجوارح تابعة للقلب لَهُمْ مَغْفِرَةٌ غَفْرَانٍ لذنوبهم لتأديبهم بهذا الأدب الرفيع عند الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ثَوَابٍ جَزِيلٍ،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٠٠

تقريب القرآن إلى الأذهان ج ٥ ص ٢٤٨

[سورة الحجرات (٤٩): الآيات ٤ الى ٥]

إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)
فلهم جزاء ان محو الذنب و رفع الدرجة.

[٥] إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ مِنْ خَلْفِ حِجْرَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ كَانَ لِكُلِّ امْرَأَةٍ لَهَا حِجْرَةٌ خَاصَةٌ بِهَا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ إِذِ الْعَقْلُ يَقْتَضِي حَسْنَ الْأَدَبِ فَلَا يَنَادِي الشَّخْصَ الْإِنْسَانَ الْكَبِيرَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجْرَةِ، بَلْ إِذَا مَا أَنْ يَدُقَّ الْبَابَ دَقًّا خَفِيفًا، أَوْ أَنْ يَشِيرَ بِكَلَامٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ حَاضِرٌ لِحَاجَتِهِ، أَوْ أَنْ يَصْبِرَ حَتَّى يَخْرُجَ الْإِنْسَانُ الرَّفِيعُ بِنَفْسِهِ وَ إِنَّمَا قَالَ «أَكْثَرُهُمْ» مَعَ أَنْ كُلِّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَا يَعْقِلُ، تَأْدِيبًا، حَتَّى يُمْكِنَ أَنْ يَزْعَمَ أَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ دَاخِلًا فِي «أَكْثَرِهِمْ» فَلَا يَتَأَذَى، وَ هَذَا بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْبَلَاغَةِ، حَيْثُ يَفْهَمُ الْمُتَكَلِّمُ، مِنْ فِعْلِ السَّيِّئِ، قَبْحَ فِعْلِهِ، مَعَ تَجَنُّبِ أَنْ يُؤْذِيَهُ.

[٦] وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنَ الْاسْتِعْجَالِ وَ النَّدَاءِ وَاللَّهُ غَفُورٌ لِمَنْ تَأَدَّبَ بَعْدَ ذَلِكَ وَ سَمِعَ الْأَمْرَ رَحِيمٌ يَعطى للمتأدب الأجر و الثواب، و هذه الآيات لم ينته فحواها، بل الأدب يقتضى كل ذلك مع الكبار، فإن كل آيات القرآن تنفع الإنسان عبرة أو حكما، حتى آية النجوى التى نسخت فى زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أفادت طبيعة الإنسان و أنها بخيلة لا تصرف المال و إن فاته الخير بسبب صرف المال، حتى يعلم الإنسان أن اللازم عليه محاربة شحه، إلى غير ذلك من الآيات التى يظهر منها ابتداء أنها خاصة، ثم إن الجهر عند الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و الإنسان الرفيع الشأن لا يكون مذموما إذا كان

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٠١

[سورة الحجرات (٤٩): آية ٦]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦)
بأمره، كما إذا أمر بالمناداة، و هكذا إذا أمر بنحو المناداة كما

ورد أنه صلى الله عليه وآله وسلم أمرهم برفع أصواتهم فى تلبية الحج، حين أمره جبرائيل عليه السلام «بالعج و الشج» أى رفع الصوت، و ذبح الهدى
«١».

[٧] وَ حَيْثُ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَدَبَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ تَكْلِيفَ بَعْضِهِمْ اتِّجَاهَ بَعْضٍ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ بِخَبْرٍ فَتَبَيَّنُوا فَتَعْرِفُوا وَ تَفْحَصُوا هَلْ صَدَقَ فِي خَبْرِهِ أَمْ لَا، فَإِنْ ظَهَرَ أَنَّهُ كَانَ صَادِقًا رَتَبُوا الْأَثْرَ عَلَيْهِ وَ إِلَّا فَاتَرَكُوا خَبْرَهُ، وَ إِنَّمَا أَمَرْنَا بِالتَّبَيُّنِ لِإِنْ لَا تُصَيِّبُوا قَوْمًا بِمَكْرُوهِهِ مِنْ جَرَاءِ خَبْرِ ذَلِكَ الْفَاسِقِ بِجَهَالَةٍ بِجَهْلِ مَنْكُمْ بِالْوَقْعِ، اعْتِمَادًا عَلَىٰ خَبْرِ ذَلِكَ الْفَاسِقِ فَتُصْحَبُوا تَكُونُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ مِنَ الْأَخْذِ بِخَبْرِ ذَلِكَ الْفَاسِقِ وَ تَرْتِيبِ الْأَثْرِ عَلَيْهِ نَادِمِينَ

فإن النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعث وليد بن عقبة لجمع صدقات بنى المصطلق و كان بينه و بينهم عداوة، فلما سمعوا بمجيئه استقبلوه، فظن أنهم يريدون قتاله، و لم يتحقق فى الأمر، و إنما رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، و قال إنهم ارتدوا و منعوا الزكاة، فأظهر الرسول الاهتمام بقتالهم، فنزلت الآية الكريمة

، هكذا فى بعض الروايات غير النقية السند، و فى بعض الروايات الأخرى، أنها نزلت فى بعض أزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم حين اتهمت ماريًا بالزنى، و الظاهر أنه لا منافاة بين الأمرين، لأن الآية عامة تشمل كل ما كان كذلك، فهما مصداقان، و يمكن نزولها مرتين، كما فى بعض الآيات حيث نزلت مرتين، حالها

(١) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٣٧٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٠٢

[سورة الحجرات (٤٩): آية ٧]

وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧)

حال ما إذا رأيت إنسانا يظلم فتقول له «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ...» وإذا رأيت آخر يظلم، تقرأ له نفس الآية، ثم لا يقال كيف أرسل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الفاسق لجمع الصدقات؟ ثم كيف هم بقتالهم مع أن العقلاء لا يعتمدوا على خبر الفاسق، و الجواب أن فسقه لم يكن ظاهرا قبل ذلك، بل أظهره القرآن، والرسول أظهر إرادة القتال، لا إنه أراد أن يقاتل واقعا و كثيرا ما كان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يظهر شيئا لمصلحة، وإن كان لا يريد واقعا، وقد كان إظهار الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لأن بعض الصحابة أشار إليه بحرب بنى المصطلق كما ورد في التفاسير «١».

[٨] ولذا قال سبحانه وَاعْلَمُوا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ فَلَا تَسِينُوا الْأَدبَ مَعَهُ، بالكذب عليه، كما كذب الوليد، ولا تشيروا عليه بما تشتهون، كما أشرت إليه بحرب بنى المصطلق، فإنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَشِيرُونَ عَلَيْهِ بِهَا، ف «الأمر» اسم جنس لَعَنِتُّمْ لوقعت في العنت، لأن كل أحد يأتي إليه، ويقول له ما يرى هو من نظره الخاصة، بينما الرسول لا يعمل إلا بما يصلح العموم، كما هو شأن الكبراء حيث يلاحظون المصلحة العامة، وإلا فهذا يقول ضد ذلك، وذلك يقول ضد هذا، وكل يريد تنفيذ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما يشير به إليه، ومن المعلوم أن ذلك يوجب مشقة المسلمين، لأن معنى سماع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كلامهم، أن يطرد هذا ويعاقب هذا، وهلم جرا، ثم بين سبحانه، أن ترك إطاعة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

(١) راجع مجمع البيان: ج ٩ ص ٢٢٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٠٣

[سورة الحجرات (٤٩): آية ٨]

فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨)

للمؤمنين الذين يشيرون إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأرائهم، لا يسبب لأولئك المؤمنين كراهية للإيمان أو للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإن العادة عند الناس أن كبراءهم إذا لم يقضوا حوائجهم كرهوهم، بل أحيانا صاروا ضد أولئك الكبراء، لكن المؤمنين ليسوا كذلك، فليس التفافكم أيها المؤمنون حول الرسول، لإطاعته لكم ولأخذه بأقوالكم وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَصَرَّتْ تَحْبُونَ الْإِيمَانَ حَتَّى صَرَّتْ تَحْبُونَ الرَّسُولَ، وإن لم يأخذ بنصائحكم وإرشاداتكم وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ قد يكون الشيء محبوبا لكنه غير مزين، كولد الإنسان القبيح المنظر، وقد يكون محبوبا وجميلا، كولدته الجميل، وهكذا الإيمان محبوب وجميل، وذلك حيث خلق الله فطرة الإنسان، بحيث يحب المحبوب ويرى جمال الجميل، ولذا نسب الفعلين «حب ... و زين» إلى نفسه تعالى وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ جَعَلَهُ مَكْرُوهًا وَالْفُسُوقَ أَي الْكُذْبَ، وقرينه «إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ» وأصل الفسوق الخروج، ويسمى الفاسق فاسقا لخروجه عن الطاعة وَالْعِصْيَانَ كُلِّ مَعْصِيَةٍ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَحْبُونَ الْإِيمَانَ وَيَكْرَهُونَ الْكُفْرَ وَالْعِصْيَانَ هُمُ الرَّاشِدُونَ لهم رشد عقلي، حيث يحبون الجميل، ويكرهون القبيح.

[٩] حبب الله إليهم الإيمان، و كره إليهم الكفر والعصيان فَضْلًا مِنَ اللَّهِ زِيَادَةً عَلَى أَصْلِ خَلْقَتِهِمْ وَإِعْطَائِهِمْ النِّعَمَ الْمَادِيَّةَ، وإنما

تفضل الله ذلك عليهم، دون الكافرين والعصاة، لأنهم تهيئوا لاستماع كلام الله

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٠٤

[سورة الحجرات (٤٩): آية ٩]

وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاصِلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَعَثَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَاصِلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسُطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩)

و سلكوا طريق العقل و الفكر و نعمة الإعطاء فضل، و المعطى - بصيغته المفعول - نعمة، تسبب أن ينعم بال الإنسان و الله عليهم بأحوال الملتفين حول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و لذا جعل بعضهم بحيث حب إليهم الإيمان و كره إليهم الكفر و العصيان حكيم يضع الأشياء موضعها و يعطى كل ذي حق حقه.

[١٠] و حيث كان الانسياق وراء قول الوليد يوجب اقتتال المؤمنين، بعضهم مع بعض، لكن الله عصم رسوله، فلم تقع مثل هذه الحرب، كأن الكلام محل سؤال أنه إذا وقعت مثل هذه الحرب فما ذا هو التكليف؟

و قد أجاب القرآن عن ذلك بقوله و إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الجمع باعتبار المعنى، فإن كل طائفة تتكون من جماعة من الأفراد فاصِلِحُوا أيها المسلمون الخارجون عن المعركة بَيْنَهُمَا بالنصيحة و الدعوة إلى الكف عن القتال و التصالح فيما بينهما فإن لم تقبل إحداهما النصح بل بَعَثَ من البغى بمعنى الظلم و التعدى إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى و هذا هو الغالب أن تكون إحداهما باغية ظالمة، فإن قوله «فإن بعت» ليس المراد به أنه ليس من أول النزاع باطل و حق، إذ لا يعقل حقان متقاتلان، بل الجاهل منهما بطلانه، يظهر له جهله في الأثناء، و يعلم أنه باغ فقاتلوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ بالكف عن القتال و الرجوع إلى الوحدة الإسلامية فإن فَاءَتْ و تركت القتال و استعدت لأن تقبل حكم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٠٥

[سورة الحجرات (٤٩): الآيات ١٠ الى ١١]

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاصِلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١)

الإسلام في العداة الذي وقع بينها و بين الطائفة الأخرى فَاصِلِحُوا أيها المؤمنون الخارجون عن المعركة بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ فإن الإصلاح يمكن أن يكون بالجور، بأن تقبل الطائفة الأضعف بما يوجب هضم بعض حقها و أَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ الذين يحكمون بالقسط و قد ورد في بعض التفاسير أن الآية نزلت في قتال حدث بين الأوس و الخزرج بالسعف و النعال، و كان ذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فأصلح بين الجانبين «١»، و لا يخفى أن ما ورد في تأويل الآية بقتال الإمام في البصرة، لا يدل على إيمان من حاربه، إلا بالمعنى العام للإيمان، إذ كثير ما يطلق الإيمان على الظاهري منه.

[١١] إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ في الإيمان فكما أن الأخ النسبي يحنو على أخيه كذلك المؤمن يحنو على المؤمن فَاصِلِحُوا أيها المؤمنون بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ إذا حدث بينهما شقاق و شجار وَ اتَّقُوا اللَّهَ خافوه فلا تنازعوا، و إن تنازع اثنان منكم فلا تتركوهما أعداء بل أصلحوا بينهما لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ فإن المتقى لا- يعلم هل يموت على التقوى و هل يبقى على التقوى في مستقبل عمره، فكونه مرحوما ليس مقطوعا به، بل لعله يرحم.

[١٢] و إذ كان المؤمنون إخوة، فاللزام عليهم أن لا يفعل البعض ما يسىء

(١) مجمع البيان: ج ٩ ص ٢٢٠.

إلى البعض الآخر يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَشِيخُرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ رَجَالٍ مِنْ رَجَالٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا أَوْلِيَّكَ الَّذِينَ سَخَّرَ مِنْهُمْ خَيْرًا مِنْهُمْ مِنَ السَّخَرِينَ، وَعَسَى بِمَعْنَى لَعْلٍ، وَهَذِهِ الْعَلَّةُ لِتَأْكِيدِ النَّهْيِ، وَإِلَّا فَالسَّخَرِيَّةُ مُحْرَمَةٌ عَقْلًا وَشَرْعًا، حَتَّى بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَسَاوِي وَالْأَدُونِ وَ لَا تَسْخَرُ نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ عَسَى لَعْلٍ أَنْ يَكُنَّ تِلْكَ الْمَسْخَرُ مِنْهُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ مِنَ السَّخَرَاتِ وَ

فِي الصَّافِي عَنِ الْقَمِيِّ أَنهَا نَزَلَتْ فِي عَائِشَةَ وَ حَفْصَةَ حَيْثُ كَانَتَا تَسْخَرَانِ مِنْ صَفِيَّةَ وَ تَقُولَانِ لَهَا يَا بِنْتَ الْيَهُودِيَّةِ فَسَخَّرْتَهُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فَقَالَ لَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: قَوْلِي لِهَمَا أَبِي هَارُونَ نَبِيَّ اللَّهِ وَ عَمِي مُوسَى كَلِيمَ اللَّهِ وَ زَوْجِي مُحَمَّدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ، وَ لَمَّا قَالَتْ لِهَمَا ذَلِكَ، قَالَتَا: عَلِمَكَ هَذَا رَسُولَ اللَّهِ «١» وَ لَا- تَلْمِزُوا لَا تَعْبُوا بِاللِّسَانِ أَوْ بِالْإِشَارَةِ أَنْفُسِكُمْ لِأَنَّ عَيْبَ الْآخِرِينَ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَيْبٌ عَلَى النَّفْسِ، لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ وَاحِدَةٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى وَ لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ «٢» وَ لَا- تَنَابَزُوا بِاللِّقَابِ التَّنَابُزُ بَابُ الْمَفَاعَلَةِ مِنَ النَّبِزِ بِمَعْنَى أَنْ يَجْعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلْآخَرِ لِقَابًا سِيئًا، وَ النَّبِزُ حَرَامٌ، وَ إِنَّمَا جَاءَ بِلَفْظِ التَّنَابُزِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ النَّبِزَ لَا بَدَّ وَ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْمُنَابَزَةِ بِسَمِّ الْإِسْمِ أَيْ الْعَلَامَةِ لِأَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ الْوَسْمِ الْفُسُوقُ الْخُرُوجُ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ، بِأَنَّ كَانَتْ عِلْمًا الْمُؤْمِنِ الْفُسُوقُ

(١) تفسير القمى: ج ٢ ص ٣٢١.

(٢) النساء: ٣٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٠٧

[سورة الحجرات (٤٩): آية ١٢]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِمَّا زُنُّوا بِهِمْ وَإِنْ زُنُّوا بِهِمْ لَبِئْسَ مَا يَكُونُ لَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢)

بَعْدَ الْإِيمَانِ بَعْدَ أَنْ آمَنَ وَ صَارَ شِعَارَهُ وَ اسْمُهُ «الْمُؤْمِنُ» ثُمَّ يَصِحُّ شِعَارُهُ وَ اسْمُهُ «الْفَاسِقُ» لِأَنَّهُ فَعَلَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَ مَنْ لَمْ يُتَّبِعْ عَنِ مَا ارْتَكَبَهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ فَأَوْلِيَّكَ هُمْ الظَّالِمُونَ لِأَنفُسِهِمْ حَيْثُ أَنَّهُمْ عَصَوْا ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا، أَمَا مِنْ تَابَ بَعْدَ عَصِيَانِهِ فَلَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى ظَالِمًا.

[١٣] وَ بَعْدَ أَنْ نَهَى الْمُسْلِمُونَ مِنَ التَّقَاتِلِ، نَهَى عَنِ الْاسْتِهْزَاءِ وَ اللَّمَزِ وَ النَّبِزِ، وَ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ كُلَّ مَرْتَبَةٍ مُتَأَخَّرَةٌ أَنْزَلَ مِنَ الْمَرْتَبَةِ السَّابِقَةِ، وَ لَذَا جَاءَ السِّيَاقُ لِيُنْهِيَ عَنِ الْأَنْزَالِ مِنَ تِلْكَ أَيْضًا وَ هُوَ سُوءُ الظَّنِّ، فَقَالَ سَبْحَانَهُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِمَّا زُنُّوا بِهِمْ أَيْ الظَّنِّ السَّيِّئِ وَ إِنَّمَا قَالَ كَثِيرًا لِأَنَّهُ لَا بَدَّ وَ أَنْ يَوْجِدَ فِي الْكَثِيرِ مِنَ الظَّنِّ السَّيِّئِ الظَّنِّ الْمَحْرَمِ، بِخِلَافِ قَلِيلِ الظَّنِّ فَإِنَّهُ بِمَا لَا يَكُونُ فِيهِ الْمَحْرَمِ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَنَّ قَلِيلَ الظَّنِّ لَيْسَ تَحْتَ اخْتِيَارِ الْإِنْسَانِ فَإِنَّهُ حَالَةٌ نَفْسِيَّةٌ قَدْ تَأْتِي بِدُونِ الْاِخْتِيَارِ فَلَا يُمْكِنُ النَّهْيُ عَنْهُ، أَمَا كَثِيرُ الظَّنِّ فَإِنَّهُ تَحْتَ الْاِخْتِيَارِ إِذْ الْكَثْرَةُ لَا- تَحْصُلُ إِلَّا بِالتَّبَعِ وَ الْاِنْسِيَاقِ وَرَاءَ الْإِنْكَارِ، وَ إِنَّمَا نَقُولُ اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ لِإِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَ قَدْ قَرَّرَ فِي عِلْمِ أَصُولِ الْفِقْهِ وَ جُوبِ الْاجْتِنَابِ مِنَ أَطْرَافِ الشَّبْهَةِ الْمَحْصُورَةِ فَإِذَا كَانَ بَعْضُ الظَّنِّ إِثْمًا وَ جُوبِ الْاجْتِنَابِ مِنَ الْأَطْرَافِ الْمَحْتَمَلَةِ لِذَلِكَ، وَ الظَّنِّ السَّيِّئِ إِمَّا حَرَامٌ بِنَفْسِهِ، وَ إِمَّا حَرْمٌ لِأَنَّهُ مُقَدِّمَةٌ لِلْعَمَلِ الْمَحْرَمِ، إِذْ الَّذِي يَظُنُّ سُوءَ غَالِبًا مَا يَرْتَبِ الْأَثَرُ الْعَمَلِيَّ عَلَى ظَنِّهِ السَّيِّئِ وَ لَا تَجَسَّسُوا لَا تَبْحَثُوا عَنِ عَوْرَاتِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٠٨

[سورة الحجرات (٤٩): آية ١٣]

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)

الْمُسْلِمِينَ وَ أُمُورَهُمُ الْخَفِيَّةَ وَ لَا يَعْتَبُ بِبَعْضِكُمْ بَعْضًا وَ الْغَيْبَةَ هِيَ ذَكَرٌ أَحَاكٌ بِمَا يَكْرَهُ، وَ لَوْ بِالْإِشَارَةِ أَيْ حَبُّ أَحَدِكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَالْغَيْبَةُ بِمَنْزِلَةِ أَكْلِ لَحْمِ الْأَخِ الْمَيْتِ فِي شِدَّةِ قُبْحِهِ وَ كَرَاهَتِهِ، وَ لَعَلَّ التَّشْبِيهَ مِنْ بَابِ أَنْ لِلْأَخِ ذَاتًا وَ ذَكَرًا فَكَمَا أَنْ قَطَعَ قِطْعَةً

من لحمه و لو كها في الفم قبيح كذلك قطع قطعة من ذكره «عرضه» و لو كها في الفم كذلك، و قد جعل كونه غائبا مثل كونه ميتا في عدم شعور كليهما بما يصنع بلحمه و بذكره فَكَّرَهُتْمُوهُ فَمَا كَرِهْتُمْ أَكَلِ لَحْمِهِ أَكْرَهُوا أَكَلِ عَرْضِهِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ خَافُوهُ فِي عَصِيَانِهِ، و إذا اتقيتم الله و تبتم عما سلف منكم ف إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ كَثِيرٌ قَبُولُ التَّوْبَةِ رَحِيمٌ يَرْحَمُ الْعِبَادَ فَلَا يَعْاقِبُهُمْ بَعْدَ تَوْبَتِهِمْ.

[١٤] و حيث أن المعاصي السابقة الذكر تنشأ من رؤية الإنسان نفسه أرفع من غيره، بين سبحانه أن لا-رفعاً لأحد على أحد إلا بالتقوى، و إذا حصلت التقوى امتنع الإنسان عن تلك المعاصي يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى آدَمَ وَ حَوَاءَ عَلَيْهِمَا السِّيلَامُ أَوْ أَبٌ وَ أُمٌ كُلٌّ فَرْدٌ، فلا تفاضل في أصل الخلقه وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا تُجْتَمَعُونَ تحت عنوان واحد، كاللغة و المدنية و اللون و نحوها وَ قَبَائِلَ تُجْتَمَعُونَ فِي أَبٍ تَتَشَعَّبُ الْقَبِيلَةُ وَ تَتَحَدَّرُ مِنْهُ، و هذان أيضا لا يوجبان التفاضل، و إنما جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا لأجل أن يتعرف بعضكم على

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٠٩

[سورة الحجرات (٤٩): آية ١٤]

قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَ إِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤)

بعض بسبب القبيلة، أو بسبب أنه من الشعب الفلاني إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ أَكْثَرَكُمْ تَقْوَى فَمَنْ أَرَادَ الرَّفْعَةَ عِنْدَ اللَّهِ فَلْيَجِدْ فِي أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَ تَقْوَى مِنَ الْآخَرِينَ، و كلما زاد الإنسان تقوى زاد كفاءه، منتهى الأمر أن الكفاءة عند أهل الدنيا، عبارة عن الكفاءات الدنيوية فقط، و عند الله هي الكفاءات الدنيوية بالإضافة إلى الكفاءات الأخروية، لأن الإسلام دينا و آخرة إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِكُلِّ أَمْرٍ خَبِيرٌ وَ الْخَبِيرُ فَوْقَ الْعَلِيمِ، لأنه عبارة عن العلم و التجربة، فالذي تعلم الطب و لم يجرب لا يسمى خبيرا، بخلاف ما إذا جرب، و المراد به في الله سبحانه أنه في غاية العلم و الإدراك، فمن أطاعه علم ذلك و جزاه و من عصاه علم ذلك و أخزاه.

[١٥] و إذ تقدم شرائط الإيمان، بالانتهاء عن كل معاصي الله تعالى، حتى من مثل الظن الباطني، ذكر سبحانه أن الذي لم يشتمل على هذه الشرائط لا يحق له أن يقول آمنت قَالَتِ الْأَعْرَابُ هُمْ أَهْلُ الْبَادِيَةِ- كما تقدم الكلام في ذلك- آمَنَّا بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَ بِمَا جِئْتَ بِهِ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا لَعَدَمِ تَوْفُرِ شَرَايِطِ الْإِيمَانِ فِيكُمْ وَ لَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا فَإِنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ الْإِنْقِيَادُ وَ الدِّخُولُ فِي السَّلْمِ وَ إِظْهَارُ الشَّهَادَتَيْنِ، و هذه كانت موجودة في الأعراب وَ لَمَّا وَ بَعْدَ لَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ لأنه إذا دخل القلب حصلت الطاعة بجميع أوامر الإسلام، و لا يخفى أنه قد يطلق الإيمان و يراد به

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢١٠

[سورة الحجرات (٤٩): الآيات ١٥ الى ١٦]

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَزْتَابُوا وَ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥) قُلْ أ تَعْلَمُونَ اللَّهُ بِدِينِكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٦)

الإسلام، و قد يطلق على الأخص من الإسلام وَ إِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَ نَهَى لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا بَلْ يُعْطِي أَجْرَكُمْ كَامِلَةً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لِسَابِقِ الذُّنُوبِ رَحِيمٌ بَعَادَهُ يُتَفَضَّلُ عَلَيْهِمْ زِيَادَةً عَلَى غَفْرَانِ ذُنُوبِهِمْ، و قوله «لا-يلتكم» تشويق للأعراب أن يؤمنوا زيادة على إسلامهم.

[١٦] و إنما لم يدخل الإيمان في قلوب الأعراب بعد، لأن المؤمن الصادق هو الذي كانت له صفات خاصة مما لا تتوفر في هؤلاء الأعراب ف إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِيْمَانًا مِنْ عَمَقِ قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَمْ يَزْتَابُوا لَمْ يَشْكُوا فِي صَدَقِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ وَ لِإِنْقَاذِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ بَرَاثِنِ الْمُسْتَكْرِبِينَ، و كان الإنقاذ لأجل أمر الله أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ الَّذِينَ صَدَقُوا فِي دَعْوَاهُمُ الْإِيمَانَ، و إنما قال سبحانه «ثُمَّ لَمْ يَزْتَابُوا» لأن كثيرا ممن أسلموا

كانوا يشكون حين ما كان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يأمرهم بأمر لا يلائم أذواقهم.

[١٧] وإذا كان لكم إيمان صادق فالله يعلم ذلك، بدون أن تقولوا بأفواهكم آمنتم فلا حاجة إلى قولكم، بل اللازم واقع الإيمان قُلْ

لهم يا رسول الله أتعلمون الله بدينكم أي تخبرونه بقولكم: آمنا؟ وهذا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢١١

[سورة الحجرات (٤٩): الآيات ١٧ الى ١٨]

يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٧) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)

استفهام إنكارى وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ فهل من يعلم كل شيء يخفى عليه إيمانكم - إن كان لكم إيمان - حتى

يحتاج إلى إخباركم بأنكم آمنتم؟ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وهذا أعم من «يعلم...» لأن الأول يشمل الموجودات فقط، وهذا يشمل

حتى غير الموجودات، قال بعض المفسرين روى أنه لما نزلت الآية المتقدمة جاءوا وحلفوا أنهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه الآية

«١».

[١٨] وإذا كان اللازم أن لا يتفوه الإنسان بأنه مؤمن، لأن الله لا يحتاج إلى ذلك بل هو عليم بكل شيء، فمن اللازم المؤكد أن لا

يؤمن الإنسان بإيمانه يَمُنُونَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ أَسْلَمُوا فَيَعِدُونَ إِسْلَامَهُمْ عَلَيْكَ مِنْهُ قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ فَأَنْتُمْ أَنْتُمْ الَّذِينَ أَنْتُمْ

بِإِسْلَامِكُمْ، لا أنا بلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ إِعْطَاءٍ مِنَ اللَّهِ لِلإِنْسَانِ حَيْثُ يَبْصُرُ بِسَبَبِهِ طَرِيقَهُ فِي الدُّنْيَا وَيَسْعَدُ بِهِ

فِي الْآخِرَةِ، وَمَعْنَى الْمُنَّةِ أَنَّهُ أَحْسَنُ إِلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي ادِّعَاءِ الإِيمَانِ، وَإِلَّا فَعَدَمُ مَنْهُ اللَّهُ، مِنْ بَابِ السَّالِبَةِ بَانْتِفَاءِ الْمَوْضُوعِ.

[١٩] إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَا غَابَ عَنِ الْحَوَاسِ فِيهِمَا

(١) مجمع البيان: ج ٩ ص ٢٣٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢١٢

فكيف يخفى عليه إيمانكم؟ وكيف يخفى عليه صدقكم و كذبكم في الإيمان؟ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ فهو يرى قلوبكم التي فيها

الإيمان والتي ليس فيها الإيمان، ويرى أعمال جوارحكم التي تأتون بها حسب إيمانكم أو حسب عدم إيمانكم، فلا يخفى عليه

سرهم ولا علمكم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢١٣

٥٠ سورة (ق) مكية / آياتها (٤٦)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على هذا اللفظ: «ق» وهي كباقي السور المكية مشتملة على قضايا العقيدة و لما ختمت سورة

الحجرات بأحوال المنافقين وأشباههم، افتتحت هذه السورة بأحوال الكافرين.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الذى من تمسك به كان من الناجين و من انحرف عنه بكفر أو نفاق كان من الهالكين «الرحمن الرحيم»

الذى يرحم تفضلا فى إيجاد الإنسان، ثم يرحم فى إعطائه ما يحتاج إليه من الأمور المادية و المعنوية.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢١٤

[سورة ق (٥٠): الآيات ١ الى ٣]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢) أ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٣)

[٢] ق

ورد عن الصادق عليه السلام أن «ق» هو الجبل المحيط بالأرض و خضرة السماء منه و به يمسك الله الأرض أن تميد بأهلها
«١». أقول:

إن الأمواج المحيطة بالأرض مما يشملها الهواء، سميت بالجبل، لأنها مثله في الارتفاع و الشموخ، و من المعلوم أن تراكم الذرات في هذا الجو السيال يسبب لونا خاصا، هو لون السماء، و لو لا- هذا الغلاف الجوى لهلك الإنسان، لما تكون الأرض معرضا لتساقط الأحجار، ملايين الأحجار من الجو- كما ثبت في العلم الحديث- و قد تقدم الكلام في فواتح السور و في إعرابها و القرآن قسما بالقرآن المجد ذى العظمة و الشرف، و جواب القسم محذوف أى قسما بالقرآن المجيد، أنه حق، بقريته ما بعده- و هناك احتمالات أخر مذكورة في التفاسير.

[٣] بَلْ عَجِبُوا الْكُفَّارُ أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ هُوَ الرُّسُولُ الَّذِي يَنْذِرُهُمْ مِنْ عَاقِبَةِ كُفْرِهِمْ مِنْهُمْ مِنْ جِنْسِ الْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ، وَ الْمَرَادُ بِالْمُنْذِرِ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا كَوْنُ النَّبِيِّ مُنْذِرًا مِنْ قَبْلِ اللَّهِ تَعَالَى شَيْءٌ عَجِيبٌ هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي لَمْ يَأْلَفْهُ الْإِنْسَانُ وَ لَمْ يَتَوَقَّعْهُ.

[٤] و حيث كان أنذرهم بالعاقبة السيئة بعد الموت قال الكفار- بصدد بيان تعجبهم- أ إذا مِنَّا وَ كُنَّا تُرَابًا لِأَنَّ الْمَيِّتَ بَعْدَ زَمَانٍ مِنْ مَوْتِهِ يَتَحَوَّلُ إِلَى تُرَابٍ، أ نرجع أحياء، كما يقول الرسول صلى الله عليه و آله و سلم؟ و قد حذف جواب

(١) بحار الأنوار: ج ٨٩ ص ٣٧٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢١٥

[سورة ق (٥٠): الآيات ٤ الى ٥]

قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَ عِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (٤) بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ (٥)

«إذا» لوضوحه ذلك الذى يقوله محمد صلى الله عليه و آله و سلم، من الرجوع أحياء رجوع بعيد يبعد فى نظرنا أن يكون له حقيقة.
[٥] و لماذا بعيد هل لأننا لا نقدر على الإعادة؟ و جوابه: أن الذى يقدر على الابتداء يقدر على الإعادة أو لأن أجزائه تنتشر فى الأرض، و لا- نتعرف أين سقطت تلك الأجزاء؟ و جوابه قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ما تأكل من أجسادهم إذا ماتوا، فإذا علمنا ما تأكل الأرض من لحومهم و عظامهم و سائر أجزائهم، مع أن أكل الأرض شىء لا يراه حتى من ينظر، فكيف لا نعرف أجزاءهم المبعثرة بعد تحولها إلى تراب و عِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ يحفظ كل شىء، و هو اللوح المحفوظ، و من المعلوم أنه سبحانه لا يحتاج إلى الكتاب، و إنما ذكر ذلك لتقريب أذهان الكفار، و فى ذلك الكتاب يحفظ خصوصيات الإنسان الحى، و الأجزاء المبعثرة من الميت فإذا أريد بعث الميت أعيد بدون زيادة و لا نقيصة، بتلك الخصوصيات و المزايا التى كان له حال الحياة.

[٦] يَلِإِنَّهُمْ زَادُوا عَلَى التَّعْجَبِ، بَأَنَّ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ، فَلَمْ يَقْفُوا عَلَى الشُّكِّ وَ التَّرَدُّدِ، مَعَ أَنَّهُمْ لَا حُجَّةَ لَهُمْ فِي هَذَا التَّكْذِيبِ لِأَنَّهُمْ فِي أَمْرٍ مُضْطَرَّبٍ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ وَ هُوَ الرُّسُولُ وَ الْقُرْآنُ، وَ مَا جَاءَ بِهِ الرُّسُولُ مِنَ الْعَقِيدَةِ وَ الشَّرِيعَةِ، وَ تَكْذِيبِهِمْ بِدُونِ دَلِيلٍ أَفْطَحَ مِنْ تَعْجَبِهِمُ السَّابِقِ- وَ لَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ «بَلْ» فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ مُضْطَرَّبٍ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢١٦

[سورة ق (٥٠): الآيات ٦ الى ٨]

أ فَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَ زَيَّنَّاهَا وَ مَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦) وَ الْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَ أَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبَصَّرَةٌ وَ ذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٨)

فتارة يقولون أنه صلى الله عليه و آله و سلم شاعر، و تارة كاهن و تارة مسحور، و تارة ساحر، و تارة يعلمه بشر، و ذلك يدل على

أنهم لا يستندون إلى حجة.

[٧] أ فَلَمْ يَنْظُرُوا حِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَبِقُدْرَتِهِ عَلَى الْبَعْثِ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ أَلَا يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى الْإِلَهِ الْعَلِيمِ وَالْقَدِيرِ؟ وَهَلْ مِنْ عِلْمِهِ وَ قُدْرَتِهِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ أَلَا يَقْدِرُ عَلَى الْبَعْثِ؟ كَيْفَ بَيَّنَّاها؟ فَإِنَّ نِظَامَ تَسْيِيرِ الْكَوَاكِبِ الدَّقِيقِ مِنْ أَغْرَبِ الْبِنَاءَاتِ وَزَيَّنَّاها بِالْكَوَاكِبِ وَ مَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ فَرَجَةٌ خَالِيَةٌ عَنِ النَّظَامِ، وَ الدَّلِيلُ عَلَى عَدَمِ الْفَرَجَةِ، أَنَّ الْكَوَاكِبَ تَسِيرُ بِانْتِظَامٍ مُعَيَّنٍ عَلَى طَوْلِ الزَّمَانِ، وَ لَوْ كَانَ مَكَانٌ فِي السَّمَاءِ بِدُونِ نِظَامِ كَانَ الْكَوْكَبُ إِذَا وَصَلَ إِلَيْهِ سَبَبَ اضْطِرَابِهِ، وَ لَكِنْ هَذَا مَا لَيْسَ بِمَوْجُودٍ.

[٨] وَ الْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا بِسَطْنَاهَا، فَهِيَ مَدُورَةٌ لَا مِثْلَ الْإِبْرَةِ وَ الْهَرَمِ وَ مَا أَشْبَهَ مَا لَيْسَ قَابِلًا لِلسَّكْنِ وَ أَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ جَمْعَ رَاسِيَةٍ، وَ هِيَ الْجِبَلُ، أَى الْجِبَالِ الثَّابِتَةُ، وَ الْإِلْقَاءُ بِمَعْنَى الْخَلْقِ مِنْ قَبِيلِ قَوْلِهِمْ «ضَيْقُ فَمِ الرِّكِيَّةِ» فَلَيْسَ الْمُرَادُ الْإِلْقَاءُ بَعْدَ خَلْقِ الْأَرْضِ، وَ لَوْ لَا الْجِبَالُ لَتَفَتَّتِ الْأَرْضُ فِي دَوْرَانِهَا السَّرِيعِ وَ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ بَهِيحٍ يَبْتَهِجُ بِهِ الْإِنْسَانُ وَ يَفْرَحُ عِنْدَ النَّظَرِ إِلَيْهِ، لِحَسَنِهِ وَ جَمَالِهِ.

[٩] وَ إِنَّمَا فَعَلْنَا كُلَّ ذَلِكَ تَبَصُّرَةً لِيَتَبَصَّرَ بِهِ وَ ذِكْرًا وَ لِيَتَذَكَّرَ بِهِ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ رَاجِعٍ إِلَى رَبِّهِ عَنِ غَفْلَتِهِ مَفْكَرٍ فِي بَدَائِعِ خَلْقِهِ، وَ الْفَرْقُ بَيْنَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢١٧

[سورة ق (٥٠): الآيات ٩ الى ١١]

وَ نَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَ حَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَ النَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَ أَخْيَيْنَا بِهِ بَلَدَهُ مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (١١)

التبصرة و التذكرة، أن الأولى لمن لا يعرف فيكون ما خلق سبب عرفانه، و الثانية لمن عرف و نسى فيكون ما خلق سبب تذكرته.

[١٠] وَ نَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً الْمَطَرِ مُبَارَكًا كَثِيرَ الْبَرَكَةِ، وَ الْبَرَكَةُ مِنْ «بَرَكَ» بِمَعْنَى ثَبَتَ وَ دَامَ فَإِنَّ مَاءَ السَّمَاءِ دَائِمٌ لِأَنَّهُ يَخْتَرِنُ فِي فَجَاجِ الْأَرْضِ فَيَكُونُ عَيْونًا وَ أَنْهَارًا، فَيَنْتَفِعُ بِهِ الْإِنْسَانُ طَوْلَ حَيَاتِهِ فَأَنْبَتْنَا بِهِ بِمَاءِ السَّمَاءِ جَنَّاتٍ بِسَاتِينَ لِلْجَمَالِ وَ الْإِنْتِفَاعِ بِمَخْتَلَفِ الْإِنْتِفَاعَاتِ وَ حَبَّ الْحَصِيدِ حَبَّ الزَّرْعِ الَّذِي مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَحْصُدَ، كَالْحِنْطَةِ وَ الشَّعِيرِ وَ غَيْرِهِمَا.

[١١] وَ أَنْبَتْنَا بِهِ النَّخْلَ بِاسِقَاتٍ أَى طَوَالًا، وَ الْمُرَادُ بِالنَّخْلِ جِنْسُهُ، وَ لَذَا جَاءَتْ صِفَتُهُ جَمْعًا لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ مَنْصُودٌ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ، وَ الطَّلْعُ وَ عَاءُ الثَّمَرِ.

[١٢] أَنْبَتْنَاها رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَ الرِّزْقُ يَشْمَلُ الرُّؤْيَةَ أَيْضًا، لِأَنَّ كُلَّ مَا يُعْطِيهِ اللَّهُ لِلْإِنْسَانِ مِمَّا يَتَمَتَّعُ بِمَنْظَرِهِ أَوْ بِشَمِّهِ أَوْ بِأَكْلِهِ أَوْ بِلبسِهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَهُوَ رِزْقٌ، وَ الْمُرَادُ بِالْعِبَادِ أَعْمٌ مِنَ الْإِنْسَانِ وَ الْحَيَوَانَ، لِأَنَّ كُلَّ ذِي رُوحٍ عَبْدٌ لِلَّهِ وَ أَخْيَيْنَا بِهِ بِذَلِكَ الْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ بِلَدَّةٍ مَيْتًا أَرْضًا مَيْتَةً لَا زَرْعَ فِيهَا وَ لَا مَا يَتَّبِعُ الزَّرْعَ مِنَ الْإِنْسَانِ وَ الْحَيَوَانَ، وَ حَيَاءُ الْأَرْضِ تَحْرِكُهَا وَ التَّحْرُكُ عَلَيْهَا، وَ سَمِيَ الْأَرْضُ بِلَدَّةٍ، مَجَازًا بِالْمِشَارَفَةِ لِأَنَّ الْمَاءَ يُجْعَلُ الْأَرْضَ بِلَدًا كَذَلِكَ كَمَا أَخْرَجْنَا مِنَ السَّمَاءِ الْمَاءَ وَ مِنَ الْأَرْضِ الْبُيُوتَ الْخُرُوجَ تَخْرُجُونَ أَنْتُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ عِنْدَ بَعْثِكُمْ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢١٨

[سورة ق (٥٠): الآيات ١٢ الى ١٥]

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ أَصْحَابُ الرِّسِّ وَ ثَمُودُ (١٢) وَ عَادٌ وَ فِرْعَوْنُ وَ إِخْوَانُ لُوطٍ (١٣) وَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَ قَوْمُ بُعِثَ كُلِّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (١٤) أ فَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٥)

[١٣] وَ إِنْ كَذَّبَكَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَا تَغْتَمِ، فَإِنَّا سَوْفَ نَجَازِي الْمَكْذِبِينَ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَبْلَ كَفَارِ مَكَّةَ قَوْمُ نُوحٍ وَ أَصْحَابُ الرِّسِّ الَّذِينَ رَسُوا نَبِيَّهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ أَقْبَرُوهُ حَيًّا، وَ كَانَتْ مَدَنُهُمْ بَيْنَ إِيرَانَ وَ رُوسِيَا، وَ كَانُوا عَلَى نَهْرِ يُسَمَّى إِلَى الْيَوْمِ بِنَهْرِ «أَرَس» وَ تَفْصِيلُ الْقِصَّةِ مَذْكَورَةٌ فِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ وَ فِي التَّفَاسِيرِ كَتَفْسِيرِ الصَّافِي فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ «١» وَ ثَمُودُ قَوْمٌ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

[١٤] وَ عَادَ هُم قَوْم هود عليه السّلام وَ قَوْم فِرْعَوْنَ فَإِنَّهُ قَدْ يُطْلَقُ اسْمُ الْكَبِيرِ عَلَى كُلِّ قَوْمِهِ وَ إِخْوَانُ لُوطٍ عَلَيْهِ السّلام وَ لَعَلَّ التَّعْبِيرَ بِالْإِخْوَانِ لِأَجْلِ التَّفَنُّنِ الْبَلَاغِيِّ، كَمَا أَنَّ الظَّاهِرَ أَنَّهُ لِأَجْلِهِ، اِخْتَلَفَ التَّعْبِيرُ بِقَوْمٍ وَأَصْحَابٍ، وَ ذَكَرَ فِرْعَوْنَ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

[١٥] وَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْغِيضَةُ وَ هُم قَوْمُ شَعِيبٍ عَلَيْهِ السّلام وَ قَوْمٌ تُبْعَ وَ حَيْثُ سَبَقَ تَفَاصِيلُ قِصَصِ هَؤُلَاءِ لَمْ نَكْررها كُلَّ كُلِّ هَؤُلَاءِ كَذَّبَ الرُّسُلَ الْمُرْسَلَةَ إِلَيْهِمْ فَحَقَّقَ فُتِبَتْ وَ حَلَّ وَعِيدٍ وَ عِيدٍ عَلَيْهِم بِالْعَذَابِ، وَ فِي هَذَا تَسْلِيَةٌ لِلرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ تَهْدِيدٌ لَهُمْ.

[١٦] أَ فَعَيْنَا هَلْ عَجَزْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ أَى هَلْ أَصَابَنَا الْعِجْزُ بَعْدَ أَنْ خَلَقْنَا الْخَلْقَ أَوَّلًا، وَ فِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ أَ فَعَجَزْنَا عَنِ الْإِبْدَاءِ حَتَّى نَعْجِزَ عَنِ الْإِعَادَةِ؟ «٢» لَكِنِ الْمَتَبَادِرُ مِنَ الْآيَةِ مَا ذَكَرْنَاهُ بَلْ هُمْ لَا يَنْكُرُونَ

(١) تفسير القمى: ج ٤ ص ١٣.

(٢) مجمع البيان: ج ٩ ص ٢٣٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢١٩

[سورة ق (٥٠): الآيات ١٦ إلى ١٧]

وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَ نَعَلَّمْهُ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ (١٧)

أنا لم نعجز عن الخلق الأول و إنما ينكرون البعث لأنهم في لبس و اشتباه و التباس من خلق جديد فليس إنكارا للسابق و إنما شكاً بالنسبة إلى اللاحق، و يحتمل أن يراد بـ «لبس» أى لباس، لأن خلايا الإنسان تتبدل كل آن فهم على طول الزمان فى خلق جديد فمن يعرف كونه يبعث كل آن كيف ينكر البعث فى الآخرة.

[١٧] إِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْسَاقُ وَرَاءَ وَ سَاوَسَ نَفْسَهُ فِي الْبَعْثِ، مَعَ أَنَّ الْإِلْزَامَ أَنَّ يَنْسَاقُ وَرَاءَ الدَّلِيلِ وَ الْبِرْهَانِ وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فَمَا الْبَدءُ وَ مَنَا الْإِعَادَةُ وَ نَعْلَمُ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ مِنْ إِنْكَارِ الْبَعْثِ وَ غَيْرِهِ وَ كَيْفَ لَا نَعْلَمُ وَ سَاوَسَ نَفْسَهُ وَ الْحَالُ أَنَّا نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ الْوَرِيدَانِ هُمَا الْعِرْقَانِ الْمَكْتَنَّفَانِ بِصَفْحَتَيْ الْعُنُقِ فِي مَقْدَمِهِ، وَ إِضَافَةُ الْحَبْلِ إِلَيْهِ لِلْبَيَانِ، أَى الْحَبْلِ الَّذِى هُوَ وَرِيدٌ، وَ مَعْنَى قُرْبِهِ سَبْحَانَهُ قُرْبَهُ عِلْمًا وَ إِطْلَاعًا، فَإِنَّ اللَّهَ لَا مَكَانَ لَهُ، وَ لَعَلَّ ذَكَرَ حَبْلَ الْوَرِيدِ، لِأَنَّهُ مَرْبُوطٌ بِالْقَلْبِ وَ بِالْمَخِّ فَهُوَ وَسْطٌ بَيْنَهُمَا، وَ لَا أَقْرَبَ مِنْهُ إِلَى الْإِنْسَانِ، الَّذِى إِنْسَانِيَّتُهُ بِمَخِّهِ وَ قَلْبِهِ.

[١٨] نَحْنُ أَقْرَبُ إِذْ فِي الزَّمَانِ الَّذِى يَتَلَقَّى يَأْخُذُ وَ يَسْجَلُ الْمُتَلَقِّيَانِ الْمَلِكَانَ الْمَوْكَلَانَ بِالْإِنْسَانِ لِحَفْظِ أَعْمَالِهِ وَ أَفْكَارِهِ، فَالْمُرَادُ أَنَّهُ غَنَى عَنِ الْمَلِكِينَ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْإِنْسَانِ مِنْهُمَا، إِلَّا أَنَّهُ تَعَالَى حَيْثُ جَعَلَ الدُّنْيَا دَارَ الْأَسْبَابِ، جَعَلَهَا سَبَبًا لِحَفْظِ الْأَعْمَالِ، كَمَا جَعَلَ عِزْرَائِيلَ سَبَبًا لِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٢٠

[سورة ق (٥٠): الآيات ١٨ إلى ٢٠]

مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) وَ جَاءَتْ سَيِّكْرُهُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَ نَفَخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ (٢٠)

فإن أحدهما فى طرف اليمين و الآخر فى طرف الشمال، ملازم للإنسان كالقاعد إلى جنبه.

[١٩] مَا يَلْفِظُ الْإِنْسَانُ مِنْ قَوْلٍ وَ ذَكَرَ اللَّفْظَ مِنْ بَابِ الْمَثَالِ، وَ إِلا فكل عمل للإنسان بل و كل فكر له مراقب، إلا لمدية رقيب يراقبه و يحفظه، و هو الملكان، و حيث أنه أراد جنس الرقيب لم يأت بصيغة التثنية عتيد مهياً حاضر لا يشتهه.

[٢٠] وَ هَكَذَا تَسْتَمِرُّ رِقَابَةُ الْمَلِكِينَ لِلْإِنْسَانِ إِلَى أَنْ جَاءَتْ سَيِّكْرُهُ الْمَوْتِ إِلَيْهِ فَإِنَّ الْمَوْتَ سَكْرَةً تَغْطِي عَقْلَهُ كَالسُّكْرَانِ بِالْحَقِّ بِالَّذِى

قاله الأنبياء من حقائق الآخرة، و التي كان ينكرها الكفار، فيرونها معاينة عند موتهم، و يقال لهم حينذاك و ذلك المجيء ما كنت أيها الإنسان منه تَحِيدُ تَفِيء، فالآن قد وصلت إليك حيث لا ينفَعُكَ الندم و التوبة.

[٢١] و بعد ذلك و نَفَخَ فِي الصُّورِ فكما أنه إذا أريد جمع الناس نفخوا في الأبواق إعلاما لهم حتى يجتمعوا كذلك إذا أراد جمع الخلائق و إحيائهم للبعث، و لعله سمي صورا لخروج صور الناس منه، كما ورد في الحديث، أن للصور ثقبا بعدد الخلائق، فتخرج النفوس منها عند البعث ذلك اليوم يَوْمُ تحقُّقِ الوَعِيدِ الذي وعدناه في الدنيا، فقد كنا وعدنا المؤمن بالثواب و الكافر بالعقاب، و في هذا اليوم يرون ذلك.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٢١

[سورة ق (٥٠): الآيات ٢١ الى ٢٤]

وَ جَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) وَ قَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (٢٣) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤)

[٢٢] وَ جَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ يسوقها إلى محشرها وَ شَهِيدٌ يشهد عليها بما عملت في الدنيا، و الظاهر أن المراد جنس الشهيد، فيشمل «المتلقيان» الذي سبق.

[٢٣] و يقال له حينذاك لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ فعدم الاستعداد الكامل لهذا اليوم جهلا أو عنادا غفلة من هذا اليوم فلم تستعد له فَكَشَفْنَا الآن عَنْكَ غِطَاءَكَ الذي كان مانعا عن رؤيته الآخرة و الاعتقاد بها فَبَصِيرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ نافذ إلى الآخرة يراها بعد أن كان عليه غطاء يمنع عن رؤيتها، و لا- يبعد أن تكون الدنيا و الآخرة متداخلتين تداخل العطر و الماء في الورد لا- يحس بالآخرة المنهمك في المحسوسات، و قد ذكرنا ذلك في كتاب «حول القرآن الحكيم».

[٢٤] وَ قَالَ حينذاك قَرِينُهُ الملك الشاهد عليه الذي كان قرينه في دار الدنيا و شاهدا على أعماله هذا دفتر عمله ما لَدَيَّ مما سجلته عليه عَتِيدٌ مهياً لا يحتاج إلى حساب جديد، مثل دفاتر التجار التي لا تحتاج إلى جمع الأرقام و الأجناس، بل مهياً حاضر.

[٢٥] ثم يخاطب السائق و الشهيد، من قبل الله تعالى و يمكن أن يكون المراد من «قرينه» الشيطان المقترن معه، يقول هذا الكافر الذي عندي مهياً للنار، يقوله على سبيل الاستهزاء به و هذا المعنى أنسب إلى السياق في ما يأتي من حكم «قرينه» كما أن المعنى الأول أنسب إلى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٢٢

[سورة ق (٥٠): الآيات ٢٥ الى ٢٦]

مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَالْقِيَاءُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦)

ظاهر الآية مع الغض عما يأتي و الله العالم، أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ «إنما أتى بصيغة المبالغة» و لم يقل كافر، دلالة على أن كل كافر كفار، لأن استمراره في الكفر أوجب شدة كفره عَنِيدٌ معاند للحق، لأن غير المعاند الذي كفر عن جهل ليس مقامه جهنم، و في دعاء الكميل «أن تخلد فيها المعاندين» و إلا فلو كان غير معاند يمتحن يوم القيامة، كما ورد في جملة من الروايات الواردة في من كان في الفترة بين الرسل و طفل الكافر و المجنون إلى غير ذلك.

[٢٦] مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ كما هي صفة الكفار العنيد، يمنع عن إسلام أحد و عن أن يوصل أحد إلى المسلمين بخير، و الخير جنس شامل لكل خير مُعْتَدٍ متعد عن حدّه، و هي صفة ثانية ملازمة للكفار العنيد مُرِيبٌ كثير الريب و الشك و هذه صفة ثالثة له إذ المعاند دائما في ريب و وسواس، كما يظهر ذلك لمن راقب أحوال المعاندين، فإن كبرياء المعاند الذي يلزمه يجعله يشك دائما في أصدقائه و أصحابه لثلا يميلوا إلى الحق، و هكذا هو شأن كل مستكبر و مستعلى.

[٢٧] الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ بيان للكفار، و يشمل ما إذا كان ملحدا لا يعترف بالله، لأن معبوده مهما كان «حتى إذا كان هواه»

فهو إليه مجعول مع الله و ما إذا كان مشركا، لأنه أشرك بالله غيره فألقيه أيها الشاهد و السائق في العذاب الشديد شدته، لأجل شدة كفره و عناده، و تكرر «ألقيا» للدلالة على استحقاقه، حتى لا يتوهم متوهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٢٣

[سورة ق (٥٠): الآيات ٢٧ إلى ٢٩]

قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَعَيْتُهُ وَ لَكِن كَان فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَ قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَ مَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٢٩)

أنه ليس بمستحق، كما تقول أضرب زيدا أضربه، فإن الثاني لإفادة قطعية استحقاقه.

[٢٨] و هنا يأخذ الكافر و الشيطان القرين له في التنازع الكافر يقول للشيطان أنت كنت سبب ضلالي و الشيطان يرد عليه بأنك كنت ضالاً بنفسك و إنما أنا أعتتك فقط قَالَ قَرِينُهُ الشيطان المقترن معه كما قال سبحانه نُقِيضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ «١» لوضوح أن الجنس يميل مع جنسه رَبَّنَا مَا أَطَعَيْتُهُ أنه ما سببت طغيانه، فلا تعذبنى عذاب من أضل غيره وَ لَكِن كَان الكافر بنفسه فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ أى بعيد عن الحق، لأن الضال إذا كان قريبا من الجادة رجا أن يهتدى إليها، أما الضال البعيد عن الجادة، فلا يرجي هدايته، فهناك مخاصمة بين الشيطان و الكافر كل يلقي اللوم على الآخر.

[٢٩] و يجيهم الله، بأنه لا تنفع الخصومة، و إنما لكل قسطه من العذاب قَالَ اللهُ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ، فإنه لا فائدة فيها وَ قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي كَتَبِي الْمُنزَلَةِ و على لسان أنبيائي المرسلين بِالْوَعِيدِ و أن من عصي كان جزاءه جهنم، و كلاكما عاصيان، و لا حجة لكما.

[٣٠] مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ فَلَا يَقَعُ الْخَلْفُ فِي وَعِيدِي بِإِدْخَالِ الْكَافِرِ

(١) الزخرف: ٣٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٢٤

[سورة ق (٥٠): آية ٣٠]

يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ (٣٠)

المعانند النار، و كذلك بإدخال الشيطان الذي أغواه، أما إدخال المذنب من المؤمنين الجنة بالشفاعة و نحوها، فليس من تبديل القول، لأن عذابه مشروط بعدم الشفاعة و نحوها، فإذا انتفى الشرط انتفى المشروط و ما أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ فليس عذابي إياكما ظلما و إنما قال «ظلام» لأن العذاب إذا كان ظلما كان ظلما فظيحا لكثرة العذاب و استمراره، و يمكن أن تكون الصيغة للنسبة، لا للمبالغة، كما قال ابن مالك:

و مع فاعل و فعال فعل في نسب أغنى عن اليا فقبل.

[٣١] كل هذه الكلمات مع الملك و مع الشيطان و بين الشيطان و الكافر يكون يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ و الظاهر أن السؤال حقيقي، فإن لكل شيء حالة تعقل و إدراك مع الله، كما يظهر من متواتر الآيات و الروايات، و أيده العلم الحديث، و إن كانت إدراكاتها تتفاوت، و يكون إدراك الإنسان فوق كل إدراك فلا يقال أن العقل خاص بالإنسان، إذ ينقض ذلك بالحيوان الذي لا إدراك و لا عقل له، و الظاهر أن سؤال جهنم، إنما هو لبيان جوابها الموجب لهول الكفار أكثر فأكثر، فإنه فرق بين أن تقول للمجرمين لى «حية» تلدغكم جميعا، و أن تسأل الحية، و تجيب هى، فإنه أشد هولاً للمجرم وَ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ «مزيد» مصدر ميمي بمعنى الزيادة، أى أن لى متسعا يتسع لكل زيادة، و هذا لأجل التهويل، فإنه فرق بين أن تلقى المجرم فى نار مساحتها

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٢٥

[سورة ق (٥٠): الآيات ٣١ الى ٣٣]

وَأَزْلَفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هذا ما تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣) عشرة أذرع، أو في نار مساحتها ألف ذراع فإن الكثرة تلقى في النفس رهبة، وإن كانت نتيجة الاحتراق واحدة «و يحتمل في الآية معنى آخر مذكور في التفاسير».

[٣٢] و حيث عرفنا أحوال الكافر و عاقبته في دخوله النار، فلنعرف أحوال المؤمنين و دخولهم الجنة و أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ قُربت إليهم، إما من باب «القرب» أي قربوا إلى الجنة، أو أنه حقيقة يؤتى بالجنة إلى قرب المحشر لِلْمُتَّقِينَ في قبال إلقاء الكفار في النار، في حال كونها غَيْرَ بَعِيدٍ و حيث أن الإنسان لا يذهب إلى العذاب فإنه يلقي فيه أما النعيم فإن الإنسان يذهب إليه و لذا لم يقل «دخل الجنة» بل جاء بما ظاهره التدرج إلى دخولها.

[٣٣] و يقال للمتقين بعد ما يرون الجنة هذا ما تُوعَدُونَ ما كنتم وعدتم به في دار الدنيا لِكُلِّ أَوَّابٍ من آب بمعنى رجوع، أي كثير الرجوع إلى الله بالتوبة و التذكر، فإنه لحظة غفلة عن الله- و لو بالاشتغال بالمباحات- بعد عن قربه سبحانه حَفِيظٍ يحفظ حدود الله سبحانه، فجهنم للكافر العنيد، و الجنة للأواب الحفيظ.

[٣٤] و الأواب الحفيظ هو مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فمع أنه يعلم أن الله رحمن مع ذلك يخشاه، و إن كان المؤمنون الذين يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر غائبين عنه، فلا- يترك العصيان خوفا من الإنسان، و إنما خوفا من الله الغائب عنه و جاء إلى المحشر بِقَلْبٍ مُنِيبٍ من أناب بمعنى تاب، و ليس «منيب» و «خشى» تكرارا، إذ قد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٢٦

[سورة ق (٥٠): الآيات ٣٤ الى ٣٦]

أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ (٣٦)

يخشى الإنسان من شيء لكنه لا يرعوى و لا يترك ما يخشى منه، فهو «يخشى» و قلبه «منيب» و «يحفظ» حدود الله، و «كثير التوبة: أواب» فهي أربع صفات في قبال «الكافر العنيد المناع المريب».

[٣٥] فإذا جاءوها قيل لهم ادخلوها ادخلوا الجنة بِسَلَامٍ مع سلامة، إذ ربما يدخل الإنسان المكان الحسن لكن مع صعوبة و عذاب، أو المراد «سلموا إذا دخلتموها» أو المراد سلام الملائكة لهم ذَلِكَ اليوم يَوْمُ الْخُلُودِ بخلاف أيام الدنيا فإنها ليست للخلود، أما الجنة فإن الإنسان إذا دخلها خلد إلى الأبد.

[٣٦] لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا من أنواع النعم، و لا يشتهي الإنسان هناك القبائح، فلا يقال هل تكون هناك حرب أو نحوها مما قد يشتهيها الإنسان في الجنة و لَدَيْنَا مَزِيدٌ زيادة على ما يشتهون، مما لا يخطر بالهم و قد ورد أن في الجنة ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر.

[٣٧] و إذ قد علم أن للكفار النار و للمتقين الجنة، فليعلم هؤلاء الكفار الذين لا يؤمنون بك يا رسول الله أن لهم عقابا في الدنيا أيضا، فقد عاقبنا الكفار السابقين الذين كذبوا أنبياءهم و كَمْ لِلتَّكْثِيرِ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ قبل هؤلاء الكفار مِنْ قَوْمٍ أهل قرن، و القرن جزء خاص من الزمان، و أطلق على أهل القرن بعلاقة الحال و المحل، مثل «وَسَيَلِّ الْقَرْيَةَ» هُمْ أولئك القرون أَشَدُّ مِنْهُمْ من قومك يا رسول الله بِطْشًا قُوَّةً و إفسادا، لأن البطش الأخذ بشدة مثل قوم عاد و ثمود

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٢٧

[سورة ق (٥٠): الآيات ٣٧ الى ٣٨]

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَاهِدٌ (٣٧) وَ لَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَ مَا

مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ (٣٨)

وغيرهما، وحيث كانوا أكثر بطشا وقوة فنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ كَأَن دَخَلُوهُمْ فِي الْبِلَادِ تَنْقِيبًا، لأنهم كانوا يفحصون عن مواضع الثروة و النزهاء، كالمنقب الذي يخرق و يثقب الأرض طلبا للمال و الكنز، فإن قوتهم و بطشهم صار سببا لذلك و لذلك جاء «بالفاء» ف هَلْ كان لهم مع شدة البطش و التنقيب في البلاد مِنْ مَحِيصٍ مهرب و خلاص لهم من الله حين أراد إهلاكهم.

[٣٨] إِنَّ فِي ذَلِكَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنَ التَّخْوِيفِ بِعَذَابِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِمَنْ كَفَرَ لِدِكْرِي تَذَكُّرًا، وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ بِفَطْرَتِهِ يَعْلَمُ كُلَّ ذَلِكَ، وَ إِنَّمَا يَكُونُ بَيَانُ الْقُرْآنِ تَذَكُّرًا لِمَنْ نَسِيَهِ أَوْ تَنَاسَى عَنْهُ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَيْ قَلْبٌ وَاعٍ، فَإِنَّ مَنْ لَا وَعَى لِقَلْبِهِ، مِثْلَ مَنْ لَا قَلْبَ لَهُ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ أَيْ اسْتَمَعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ حَاضِرُ الذَّهْنِ لِيَفْهَمَ مَا يُقَالُ لَهُ وَ يَسْتَمِعُ إِلَيْهِ، فَقَدْ يَكُونُ لِلْإِنْسَانِ قَلْبٌ مَهْيَأً، وَ قَدْ لَا يَكُونُ لَهُ قَلْبٌ مَهْيَأً لَكِنِّه يَسْتَمِعُ بَانْتِبَاهٍ وَ بِذَلِكَ يَهْيَأُ قَلْبَهُ، وَ فِي كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ، يَكُونُ مَا ذَكَرْنَاهُ تَذَكُّرًا لَهُ، فَقَدْ تَكُونُ الْأَرْضُ بِنَفْسِهَا صَالِحَةً لِلزَّرْعِ، وَ قَدْ لَا تَكُونُ لَكِنِّهَا تَقْبَلُ الْإِصْلَاحَ، فَتَصْلِحُ ثُمَّ تَزْرَعُ، ف «لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ» كالأول و «أو ألقى...» كالثاني.

[٣٩] أَمَا وَ كَيْفَ أَنْ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ يَنْكُرُونَ الْبَعْثَ وَ هُمْ يَرُونَ خَلْقَنَا السَّابِقَ، وَ يَعْلَمُونَ أَنَّا لَمْ نَتَّعِبْ لِأَجْلِهِ، وَ دَلِيلُ عَدَمِ التَّعَبِ اسْتِمْرَارُنَا فِي الْخَلْقِ وَ فِي إِدَارَةِ الْكُونِ وَ لَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٢٨

[سورة ق (٥٠): آية ٣٩]

فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (٣٩)

صنوف الخلائق في سِتِّهِ أَيَّامِ الْيَوْمِ قَطْعُهُ مِنَ الزَّمَانِ، وَ إِن كَانَ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ كَمَا فِي قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (١) «و قد دلت بعض التجارب العلمية على أن اكتمال خلق السماوات و الأرض بهذه الصورة الحالية، استوعب ستة مليارات «كل مليار ألف مليون» من السنوات «سنه بتقديرنا الحاضر» و العلم عند الله و ما مسنا حتى مجرد المس «و هو ما لا- يدخل في الأعماق» مِنْ لُغُوبٍ مِنْ تَعَبٍ وَ إِعْيَاءٍ، وَ قَدْ زَعَمَ الْيَهُودُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَدَأَ الْخَلْقَ يَوْمَ الْأَحَدِ وَ انْتَهَى فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَ اسْتَرَاحَ يَوْمَ السَّبْتِ وَ اسْتَلْقَى عَلَى الْعَرْشِ.

[٤٠] فَاصْبِرْ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى مَا يَقُولُونَ مِنَ التَّكْذِيبِ بِالتَّوْحِيدِ وَ بِالرِّسَالَةِ وَ بِالْبَعْثِ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ نَزَهُ اللَّهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ، مَصَاحِبًا تَنْزِيهَكَ بِتَحْمِيدِهِ مِمَّا يَلِيقُ بِعَظَمَتِهِ، فَالْحَمْدُ ذِكْرُ الْحَسَنِ، وَ التَّسْبِيحُ التَّنْزِيهِ عَنِ الشَّيْءِ، وَ «الباء» لِلْمَصَاحِبَةِ، وَ تَقْدِيمُ التَّنْزِيهِ، لِوُضُوحِ أَنَّ الْأَرْضَ لَا تَزْرَعُ إِلَّا بَعْدَ تَنْظِيفِهَا وَ الْقَلْبَ لَا يَكُونُ مَبْعَثَ الْخَيْرِ، إِلَّا بَعْدَ تَنْزِيهِهِ عَنِ الصِّفَاتِ السَّيِّئَةِ، وَ كَذَلِكَ جَاءَتْ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ فَأَوْلَا «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وَ النَّفْيُ الشَّرْكَ ثُمَّ «إِلَّا اللَّهُ» وَ السَّرُّ أَنَّ الْعَدَمَ مُقَدِّمٌ عَلَى الْوُجُودِ دَائِمًا، وَ عَلَى هَذَا جَرَى قَوْلُهُ «وَ سَبِّحْ...» قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ حَيْثُ يَبْتَدِئُ يَوْمٌ جَدِيدٌ بِنِعْمَةٍ جَدِيدَةٍ وَ قَبْلَ الْغُرُوبِ حَيْثُ انْتَهَى الْيَوْمُ بِسَلَامٍ

(١) المعارج: ٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٢٩

[سورة ق (٥٠): الآيات ٤٠ إلى ٤٣]

وَ مِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَ أَدْبَارَ السُّجُودِ (٤٠) وَ اسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ (٤٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَ نُمِيتُ وَ إِنَّا الْمَصِيرُ (٤٣)

و رحمة و ذلك ما يستحق الشكر.

[٤١] وَ مِنَ اللَّيْلِ بَعْضَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ شُكْرًا لِمَجِيءِ اللَّيْلِ الْمَوْجِبِ لِرَاحَةِ الْإِنْسَانِ وَ سَبِّحَهُ أَدْبَارَ السُّجُودِ بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ شُكْرًا لِأَنَّ وَفَقَكَ لَطَاعَتَهُ وَ عِبَادَتَهُ، وَ قَدْ تَفْسَّرُ الْإِتْيَانُ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَ الظَّاهِرُ أَنَّهُ مِنْ بَابِ الْمَصْدَاقِ.

[٤٢] ثم رجع السياق إلى قصة البعث، حيث أن الكلام كان فيها وَاسْتَمِعْ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ لِلْبُعْثِ فَإِنْ إِسْرَافِيلَ يَنْفِخُ فِي الصُّورِ فَيُبْعِثُ الْأَمْوَاتَ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ بحيث يصل نداءه إلى الكل على حد سواء، فليس النداء قريباً إلى بعض بعيداً عن بعض، كما هي العادة في الدنيا حيث أن النداء من مكان قريب بالنسبة إلى بعض وبعيد بالنسبة إلى آخرين.

[٤٣] يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ يَسْمَعُ هَؤُلَاءِ الْمُنْكَرُونَ كما يسمعه سائر الناس بِالْحَقِّ فَإِنَّ الصَّيْحَةَ مَقْتَرَنَةٌ بِالْحَقِّ، وليست دعوة باطلة ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ مِنَ الْقُبُورِ لِلْبُعْثِ، ففي الآية الأولى أنت تسمع يا رسول الله، وفي الثانية هم يسمعون، فيظهر صدقك، ويظهر خسرانهم، وفيهما بشارة للداعي وإنذار للمدعو.

[٤٤] أَفَلَا يَرَوْنَ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ فلما ذا ينكرون البعث؟ وَإِنَّا لَمُصِيرٌ مُصَدِّرٌ، أي الصيرورة والرجوع بعد الموت.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٣٠

[سورة ق (٥٠): الآيات ٤٤ إلى ٤٥]

يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤٤) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ (٤٥)

[٤٥] وذلك المصير يكون في يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ تنشق قبورهم فيخرجون منها سِرَاعاً أي مسرعين لما يصيبهم من الهول والوحشة ذَلِكَ الْإِخْرَاجُ حَشْرٌ جَمْعٌ لِلنَّاسِ لِلْبُعْثِ عَلَيْنَا يَسِيرٌ سهل.

[٤٦] نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ من تكذيبك فلا تهتم لقولهم فَإِنَّا سَنَجَازِيهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ تجبرهم على الإيمان، فإنما أنت داع تدعوهم، فإذا لم يستجيبوا فلك أجرك بدعوتهم، وعليهم وزرهم بعدم الإجابة فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ فَالْقُرْآنُ آلهُ التذكير مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ فإنه هو الذي ينتفع به أما من لا يخاف من الوعيد، فإنه وإن وجب تذكيره، لكنه حيث لا ينتفع به فكأنه لم يذكر أصلاً.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٣١

٥١ سورة الذاريات مكية / آياتها (٦١)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتغالها على كلمة «الذاريات» وهي كباقي السور المكية مشتملة على قضايا العقيدة بأصولها الثلاثة ولما ختمت سورة «ق» بذكر الآخرة والبعث افتتحت هذه السورة بذلك، بعد القسم بعدة أمور.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ باسم الإله نبدأ السورة، لإفادة أنا تحت هذا الاسم نعمل أعمالنا، وكرر اسمه المشتق من مادة «رحم» ليكرر رحمته علينا.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٣٢

[سورة الذاريات (٥١): الآيات ١ إلى ٦]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوراً (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْراً (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً (٣) فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْراً (٤)

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (٦)

[٢] وَالذَّارِيَاتِ الواو للقسم أي قسما بالذاريات، وهي الرياح التي تذر التراب وغيره ذُرُوراً مفعول مطلق للتأكيد.

[٣] فلمجرد الترتيب الكلامي أو لأن الحاملات الأشياء التي تحمل وِقْراً أي حملاً ثقيلًا سواء كانت تلك الحاملات التي تحمل الأمطار أو السفن التي تحمل الإنسان وغيره أو نحوهما، تسير بسبب الذاريات.

[٤] فالسفن أو السحب الجاريات التي تجرى في الماء أو الهواء يُسْراً يسر وسهولة.

[٥] فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْراً قسما بالملائكة التي خلقها الله وجعلها تقسم أمور الكون فتجري أمور الكون تحت نظرها.

[٦] إِنَّمَا تُوعَدُونَ مِنَ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ لَصَادِقٌ وَضَعُ اسْمِ الْفَاعِلِ مَوْضِعَ الْمَصْدَرِ أَيْ صَدَقَ، لَا بَدَّ مِنْ وَقُوعِهِ، وَهَذَا هُوَ جَوَابُ الْقِسْمِ، وَ الْمُنَاسِبَةُ هُوَ أَنْ مِنْ خَلَقِ الرِّيحَ، وَ الْمِيَاهَ، وَ قَرَّرَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَانُونًا صَالِحًا لَهُ، كَتَقْرِيرِ قَانُونِ سَيْرِ الْأَشْيَاءِ الْمَحْمَلَةُ بِالْأَثْقَالِ بِكُلِّ يَسْرٍ، وَ مِنْ خَلَقِ الْمَلَائِكَةِ، وَ جَعَلَ بِأَيْدِيهِمْ تَقْسِيمَ أُمُورِ الْكُونِ عَلَى نَحْوِ الصَّلَاحِ وَ الْحِكْمَةِ، لِقَادِرٍ عَلَى إِعَادَةِ الْأَمْوَاتِ إِلَى الْحَيَاةِ، «فَإِنَّ الْأَشْيَاءَ تَعْرِفُ بِأَمْثَالِهَا».

[٧] وَإِنَّ الدِّينَ الْجَزَاءَ لَوَاقِعٌ قَطْعًا فَيَجْزَى كُلُّ إِنْسَانٍ بِمَا عَمِلَ إِنْ خَيْرًا فَيُخِيرُ وَ إِنْ شَرًّا فَيُشْرُ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٣٣

[سورة الذاريات (٥١): الآيات ٧ الى ١١]

وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْجُبُكِ (٧) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (٨) يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (٩) قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ (١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (١١) [٨] وَ السَّمَاءِ أَيْ قَسَمًا بِالسَّمَاءِ ذَاتِ الْجُبُكِ جَمْعُ حَبَاكٍ عَلَى نَحْوِ:

مِثْلُ جَمْعِ مِثَالٍ، وَ هُوَ الطَّرِيقُ الْحَسَنُ فَإِنَّ فِي السَّمَاءِ طَرَقًا، لِلنِّيَازِ كَ وَ لِلْمَلَائِكَةِ وَ لِمَسِيرِ الشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ وَ الْكَوَاكِبِ وَ نَزُولِ الْمَطَرِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَ الْحَلْفُ هَكَذَا لِمُنَاسِبَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى.

[٩] إِنَّكُمْ أَيُّهَا الْبَشَرُ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ وَ اخْتِلَافٍ قَوْلِهِمْ وَاضِحٌ، وَ إِنَّمَا احْتِيَجُ إِلَى الْحَلْفِ لِيَبَانَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَصْدُرُونَ فِي حُكْمِهِمْ عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ بِأَنَّهُ شَاعِرٌ وَ كَاهِنٌ وَ مَجْنُونٌ وَ غَيْرِ ذَلِكَ، لَا عَنْ دَلِيلٍ وَ بَرَهَانٍ بَلْ عَنْ الْهَوَى، وَ إِلَّا لَمْ يَخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهُوَ عَلَى حَدِّ أَنْ يَقُولَ «قَسَمًا بِالسَّمَاءِ أَنْتُمْ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ فِي تَكْذِيبِ الرَّسُولِ».

[١٠] يُؤْفِكُ يَصْرِفُ عَنْهُ أَيْ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ مَنْ أُفِكَ أَيْ مَنْ صَرَفَ عَنِ الْحَقِّ، أَوْ أَنْ الضَّمِيرُ فِي «عَنْهُ» عَائِدٌ إِلَى «الَّذِينَ» أَيْ عَنِ الْبَعْثِ وَ الْجَزَاءِ.

[١١] قَتَلَ دَعَاءٌ عَلَيْهِمْ بِالْقَتْلِ، أَيْ أَنْ يَقْتُلَهُمُ اللَّهُ الْخَرَّاصُونَ الْخَرَّاصُ الَّذِي يَخْتَمِنُ بِدُونِ عِلْمٍ، كَنِيَاةٌ عَنِ أَنْ الْمُنْكَرَ لِلرَّسُولِ، أَوْ الْقِيَامَةَ، خَرَّاصُونَ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالنَّفْيِ وَ إِنَّمَا يَخْمِنُونَ تَخْمِينًا.

[١٢] الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ فِي ضَلَالٍ وَ جَهْلٍ يَغْمَرُهُمْ، كَالْمَاءِ الَّذِي يَغْمَرُ الْإِنْسَانَ وَ يَسْتَوْعِبُهُ، كَأَنَّ الْجَهْلَ وَ الضَّلَالَ شَمَلَهُمْ مِنْ رَأْسِهِمْ إِلَى أَرْجُلِهِمْ سَاهُونَ غَافِلُونَ عَمَّا أَمَرُوا بِهِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٣٤

[سورة الذاريات (٥١): الآيات ١٢ الى ١٧]

يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (١٢) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (١٤) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ عَيُْونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦)

كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧)

[١٣] يَسْأَلُونَ عَلَى سَبِيلِ الْإِنكَارِ أَيَّانَ وَقْتُ زَمَانِ يَوْمِ الدِّينِ أَيْ يَوْمِ الْجَزَاءِ؟

[١٤] وَ الْجَوَابُ عَنِ سُؤْلِهِمْ، أَنَّهُ يَكُونُ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ يَحْرَقُونَ وَ يَعَذَّبُونَ.

[١٥] وَ يُقَالُ لَهُمْ هُنَاكَ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ عَذَابِكُمُ الَّذِي هِيَ أَمْوَةٌ لِأَنْفُسِكُمْ فِي الدُّنْيَا بِإِنْكَارِكُمْ لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ وَ الْبَعْثِ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ فَقَدْ كَانَ الْكُفَّارُ يَقُولُونَ إِنْ كَانَ هُنَاكَ عَذَابٌ فَاتِنًا بِهِ يَا مُحَمَّدُ، وَ هَذِهِ الْآيَةُ تَهْدِدُهُمْ بِأَنَّهُمْ سَيَصِلُونَ إِلَيْهِ.

[١٦] هَذَا حَالُ الْمَكْذِبِينَ، أَمَّا حَالُ الْمُصْذِقِينَ إِنْ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ عَيُْونٍ فَإِنَّهُمْ يَذْهَبُونَ فِي الْعَيْونِ لِلسِّيَاحَةِ مُقَابِلِ أَوْلِيئِكَ الَّذِينَ كَذَبُوا حَيْثُ أَنَّهُمْ فِي النَّارِ وَ الْعَذَابِ.

[١٧] آخِذِينَ قَابِلِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ الْعَطَاءِ وَ النِّعَمِ، بِكُلِّ رِضَى وَ سُرُورٍ، فِي مُقَابِلِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ يَصُبُّ فَوْقَهُمُ الْعَذَابَ بِكُلِّ كَرِهٍ مِنْهُمْ، لَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا مُحْسِنِينَ زَرَعُوا فِي الدُّنْيَا الْإِحْسَانَ فَأَخَذُوا ثَمَارَهُ فِي الْآخِرَةِ الْجَنَانِ.

[١٨] و كان من وصفهم في الدين أنهم كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٣٥

[سورة الذاريات (٥١): الآيات ١٨ الى ٢١]

و بِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ (١٩) وَ فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١)

الهجوع النوم، أى قليلاً من الليل ينامون، ف «ما» زائدة، أو المراد قليلاً من الليل لا ينامون، ف «ما» نافية.

[١٩] وَ بِالْأَسْحَارِ أى فى الأسحار، و السحر هو الثلث الأخير من الليل هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ يطلبون الغفران من الله، و لفظ «هم» لإفادة الحصر،

أى أنهم هم الذين يستغفرون حقيقة، دون سواهم، فإن استغفاره صورى لا يخرج عن عمق القلب.

[٢٠] وَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ نصيب حق عليهم و ثبت لِّلَسَّائِلِ الذى يسأل وَ الْمَحْرُومِ الذى لا يسأل، فإن سأل السائل أعطوه و إن لم يسأل المحروم ابتدأوا بإعطائه.

[٢١] ثم رجع السياق إلى ما كان بصده من الأصول الثلاثة الألوهية و الرسالة و المعاد، و حيث كان الكلام السابق حول المعاد، و

الاستدلال له جاء الكلام الآن حول الألوهية وَ فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ دلالات على وجود الله و صفاته.

و فى كل شىء له آية تدل على أنه واحد لِّلْمُوقِنِينَ الذين سلكوا طريق الاستدلال «اليقين» لا الذين سلكوا طريق الأهواء و الظنون.

[٢٢] وَ فِي أَنْفُسِكُمْ آيَاتٌ تدل على وجوده و صفاته تعالى فإن كل جزء من أجزاء الجسم، و كل صفة من صفات النفس دليل ساطع على وجود

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٣٦

[سورة الذاريات (٥١): الآيات ٢٢ الى ٢٤]

وَ فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَ مَا تُوَعَدُونَ (٢٢) فَ رَبُّ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (٢٣) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤)

الله و علمه و قدرته و غير ذلك أفلا تُبْصِرُونَ هذه الآيات؟ حتى ترجعوا إلى الله و تعترفوا به و بصفاته؟

[٢٣] ثم إن رزقكم و مقدراتكم أيضاً دليل آخر على وجود الله تعالى وَ فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ إن المطر ينزل من السماء و يسبب لكم

الرزق من الحبوب و لحوم البهائم و غير ذلك مما تأكلون و تلبسون و غيرهما أفليس ذلك دليلاً على الله و صفاته؟ و إلا فلو لم يكن

إله فمن ذا الذى أنزل المطر؟ وَ فِي السَّمَاءِ مَا تُوَعَدُونَ فإن كل ما يصيب الإنسان من صحة و مرض و غيرهما خارج عن إرادته أليس

ذلك دليلاً على أنه يأتى من جهة الله؟ و المراد بالسماء جهة العلو، و الإنسان وعد بمقدراته إما لفظاً على لسان الأنبياء و إما عرفه

فطرة، و كلاهما وعد له.

[٢٤] ثم لتأكيد ما تقدم من المعاد و الألوهية- بعد الاستدلال لهما بما ذكر فى الآيات السابقة- حلف سبحانه فقال وَ رَبُّ السَّمَاءِ وَ

الْأَرْضِ إِنَّهُ ما ذكرناه لَحَقٌّ مطابق للواقع مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ أى مثل نطقكم فكما لا شك لكم فى أنكم تنطقون ينبغى أن لا تشكوا

فى حقيقة الألوهية و المعاد و لعل المعجىء «بالنطق» لأنهم كانوا يريدون إبطال الحق بنطقهم و قولهم و تكذيبهم، فقابلتهم الآية

«بالنطق» للإثبات، و المقابلة اللفظية نوع من البلاغة.

[٢٥] ثم ذكر سبحانه هلاك قوم لوط عليه السلام إنذاراً لكفار قريش، بأنهم إن لم يؤمنوا أصابهم العذاب، و ذكر مقدمه ذلك معجىء

الرسول الذين كانوا مكلفين بعذابهم، إلى قرى لوط من طريق مرورهم على إبراهيم عليه السلام

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٣٧

[سورة الذاريات (٥١): الآيات ٢٥ الى ٢٧]

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) هَلْ أَتَاكَ جَاءُكَ وَأَخْبَرْتُ بِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِيثٌ قِصَّةُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ فَإِنَّهُمْ كَانُوا مَلَائِكَةً وَلِذَا كَانُوا مُكْرَمِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (١).

[٢٦] إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي دَارِهِ فَقَالُوا لَهُ سَلَامًا أَيْ نَسَلِمُ عَلَيْكَ سَلَامًا قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي جَوَابِهِمْ سَلَامٌ لَعَلَّ عَدُولَهُ إِلَى الرَّفْعِ لِقِصْدِ الثَّبَاتِ - حَيْثُ أَنَّ الْجُمْلَةَ اسْمِيَّةٌ - وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى الثَّبَاتِ، حَتَّى تَكُونَ تَحِيَّتَهُ أَكْثَرَ مِنْ تَحِيَّتِهِمْ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي نَفْسِهِ لَمَّا أَرَى الْمَلَائِكَةَ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ لِأَنَّهُ مَا كَانَ رَأَاهُمْ فِي بَلَدِهِ قَبْلَ ذَلِكَ، أَوْ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ يَرِيدُ بِهِ أَنْ يَعْرِفُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُوَ مِثْلُ «مَنْ أَنْتُمْ؟».

[٢٧] فَرَاغَ ذَهَبَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَىٰ أَهْلِهِ بِتَسْلُلٍ وَخَفِيَّةٍ لِيَحْضُرَ لَهُمْ طَعَامًا فَإِنَّ مِنْ أَدَبِ الضِّيَافَةِ أَنْ يَتَسَلَّلَ الضَّيْفُ لِاحْتِضَارِ الطَّعَامِ، وَالتَّسَلُّلُ لِأَجْلِ أَنْ لَا يَمْنَعَهُ الضَّيْفُ عَنِ الْإِحْضَارِ فَجَاءَ إِلَيْهِمْ بِعِجْلٍ سَمِينٍ مَطْبُوحًا، وَاخْتَارَ السَّمِينُ مِنْ بَقْرِهِ لِأَنَّهُ أَدَبٌ أَنْ يَحْسُنَ الْإِنْسَانُ الضِّيَافَةَ.

[٢٨] فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ لِيَأْكُلُوا لَكِنَّهُمْ أَبَوْا عَنِ الْأَكْلِ فَ قَالَ لَهُمْ أَلَا تَأْكُلُونَ لَكِنَّهُمْ لَمْ يَأْكُلُوا أَيْضًا.

(١) الأنبياء: ٢٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٣٨

[سورة الذاريات (٥١): الآيات ٢٨ إلى ٣٠]

فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَّةٍ فَصَيَّ كَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٣٠)

[٢٩] فَأَوْجَسَ أَضْمَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي نَفْسِهِ مِنْهُمْ مِنْ عَدَمِ أَكْلِهِمْ خِيفَةً لِظَنِّهِ أَنَّهُمْ جَاءُوا لِشَرِّ، فَإِنَّ الضَّيْفَ إِذَا لَمْ يَأْكُلْ ظَهَرَ مِنْهُ قِصْدُ الشَّرِّ عَرَفُوا قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا مَلَائِكَةٌ، وَ الْمَلَائِكَةُ لَا تَأْكُلُ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ تَلَدَهُ زَوْجَتُهُ سَارَةً بَعْدَ أَنْ كَانَتْ عَقِيمًا لَا تَلِدُ وَ قَدْ كَبُرَتْ بِمَا لَمْ يَعْتَدِ وِلَادَةَ مِثْلِهَا عَلِيمٍ مِنْ صِفَتِهِ الذِّكَاءِ وَالْعِلْمِ.

[٣٠] وَلَمَّا سَمِعَتْ سَارَةَ بِخَبْرِ الْوِلَادَةِ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَّةٍ فِي صِيَّاحٍ مِنَ الصَّرِيرِ بِمَعْنَى الصَّوْتِ فَصَيَّ كَتْ أَيْ لَطَمَتْ وَجْهَهَا فَعَلَّ الْمَتَعَجَّبِ، لِتَعْجَبِهَا بِأَنَّهَا كَيْفَ تَلِدُ وَقَالَتْ هَلْ تَلِدُ عَجُوزٌ عَقِيمٌ حَتَّى تَبْشُرُونِي بِغُلَامٍ.

[٣١] قَالُوا الْمَلَائِكَةُ كَذَلِكَ كَمَا قُلْنَا قَالَ رَبُّكَ وَ «كَ» خَطَابٌ لَهَا إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ فَيَكُونُ قَوْلُهُ حَقًّا وَفَعَلَهُ مُحْكَمًا.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٣٩

تقريب القرآن إلى الأذهان الجزء السابع والعشرون من آية (٣٢) سورة الذاريات إلى آية (٣٠) سورة الحديد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٤٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى وَعُتْرَتِهِ الطَّاهِرِينَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٤١

[سورة الذاريات (٥١): الآيات ٣١ إلى ٣٦]

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (٣٣) مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥)

فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦)

[٣٢] قَالَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْمَلَائِكَةِ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّ فَمَا شَأْنُكُمْ وَمَا طَلِبُكُمْ وَلِمَاذَا جِئْتُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ رَسَلُ اللَّهِ

تعالى.

[٣٣] قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا أَرْسَلْنَا اللَّهُ تَعَالَى إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ يَعْنُونَ قَوْمَ لُوطٍ.

[٣٤] لأجل أن نرسل عليهم حجارة من طين يطبخ حتى يكون في صلابه الحصاة، و يسمى بالسجيل معرب «سنگ كل».

[٣٥] مُّسَوِّمَةً مَعْلَمَةً عِنْدَ رَبِّكَ فَمَا يَهِيئُ رَيْسَ الدُّوَلَةِ لِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْأَجْرَامِ نَوْعًا مِنَ الْعُقُوبَةِ كَذَلِكَ اللَّهُ هِيَ لِكُلِّ نَوْعٍ جَرِيمَةٍ نَوْعٍ عِقَابٍ فِي الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ، وَ الْعَذَابُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ كَمَا أَنَّ الدَّجَاجَةَ مِنْ جِنْسِ الْبَيْضَةِ لِلْمُشْرِفِينَ الَّذِينَ أُسْرَفُوا فِي الْعَصْيَانِ، وَ قَدْ ذَكَرْنَا فِي كِتَابِ «حَوْلِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ» مَنَاسِبَهُ بَعْضَ الْعُقُوبَاتِ لِبَعْضِ الْإِجْرَامَاتِ، الْمَذْكُورَةَ فِي الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ، ثُمَّ جَاءَ الْقُرْآنُ بِأَسْلُوبِ الْإِلْتِفَاتِ، فَقَالَ:

[٣٦] فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا فِي قَرْيٍ لُوطٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَ رَسَلَهُ وَ أَحْكَامَهُ.

[٣٧] فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا فِي تِلْكَ الْقَرْيَةِ غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ هُوَ بَيْتُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٤٢

[سورة الذاريات (٥١): الآيات ٣٧ الى ٤٠]

وَ تَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٣٧) وَ فِي مُوسَى إِذِ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٣٨) فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَ قَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَ هُوَ مُلِيمٌ (٤٠)

لوط عليه السلام، و قد كانت زوجته أيضا مع الكفار، و لما خرج لوط و أهل بيته إلا زوجته، و ابتعدوا عن المدينة، نزل على القرى العذاب.

[٣٨] وَ تَرَكْنَا فِيهَا فِي قَرْيٍ لُوطٍ الَّتِي دَمَرَتْ آيَةٌ عَلَيْهِ وَ هِيَ الْآثَارُ الْبَاقِيَةُ الَّتِي يَرَاهَا النَّاسُ حِينَ يَمْرُونَ بِتِلْكَ الْأَرْضِ، وَ الْبَحْرُ الْمِيْتُ قَرِبَ الْأُرْدُنِ - إِلَى الْآنَ - مِنْ آثَارِ تِلْكَ الْقَرْيَةِ لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ الْمُؤَلَّمِ وَ حَيْثُ إِنَّ الَّذِي يَخَافُ يُعْتَبَرُ دُونَ غَيْرِهِ، خُصَّصَ سَبْحَانَهُ الْآيَةُ «لِلَّذِينَ يَخَافُونَ» وَ إِلَّا فَكَوْنَهُ آيَةً يَرَاهَا الْكُلُّ.

[٣٩] وَ فِي مُوسَى عَطْفٌ عَلَى «وَ فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ» أَيْ أَنَّ فِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامِ آيَاتٍ، وَ الظَّرْفُ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ، إِذِ الْآيَاتُ فِي مَجْمُوعِ الْقِصَّةِ إِذِ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ بِحُجَّةٍ وَاضِحَةٍ تَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِ فِي دَعْوَاهِ النَّبُوءَةِ، وَ الْمُرَادُ بِهَا مَعَايِزُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. [٤٠] فَتَوَلَّى فَأَعْرَضَ فَرَعُونَ بِرُكْنِهِ كَأَنَّ إِعْرَاضَهُ بِسَبَبِ مَا كَانَ يَتَّقِي بِهِ مِنْ جُنُودِهِ وَ مَلِكِهِ، فَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ اعْتَمَدَ عَلَى الْحُجَّةِ، وَ فَرَعُونَ اعْتَمَدَ عَلَى الْقُوَّةِ وَ قَالَ فَرَعُونَ إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سَاحِرٌ إِنْ كَانَ عَاقِلًا فِيمَا يَفْعَلُ أَوْ مَجْنُونٌ إِنْ كَانَ لَا يَعْقِلُ، فَإِنَّ قِسْمًا مِنَ الْمَجَانِينِ الَّذِينَ دَخَلَتْ فِيهِمُ الْأَرْوَاحُ الشَّرِيرَةُ يَفْعَلُونَ الْخَوَارِقَ.

[٤١] فَأَخَذْنَاهُ وَ جُنُودَهُ الَّذِينَ كَانُوا مَعْتَمِدِينَ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامِ فَتَبَدَّوْنَهُمْ طَرْحَانَهُمْ طَرَحَ إِهَانَهُ فِي الْيَمِّ فِي الْبَحْرِ فغرقوا جميعا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٤٣

[سورة الذاريات (٥١): الآيات ٤١ الى ٤٤]

وَ فِي عَادٍ إِذِ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤١) مَا تَدْرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (٤٢) وَ فِي ثَمُودَ إِذِ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ (٤٣) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذْتُهُمُ الصَّاعِقَةَ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ (٤٤)

وَ هُوَ مُلِيمٌ آتٍ بِمَا يَلَامُ عَلَيْهِ، فَقَدْ كَانَ تَكْذِيبُهُ لِمُوسَى لِبَقَاءِ سُلْطَنِهِ وَ سَمْعَتِهِ، وَ الْغَرَقُ ذَهَبٌ بِالسُّلْطَنَةِ، وَ انْفِضَاحُهُ ذَهَبٌ بِالسَّمْعَةِ فَصَارَ النَّاسُ يَلُومُونَهُ وَ يَلْعَنُونَهُ.

[٤٢] وَ فِي عَادٍ عَطْفٌ عَلَى «وَ فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ» أَيْ آيَاتٍ فِي قَوْمِ عَادٍ، الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذِ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ سَمِيَتْ عَقِيمًا، لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَلِدُ خَيْرًا، كَمَا هِيَ عَادَةُ الرِّيحِ إِذْ هِيَ تُولِدُ السَّحَابَ وَ الْمَطَرَ وَ تَنْقُلُ مَا تَلْفَحُ الثَّمَارَ وَ الْأَزْهَارَ، بَلْ

ولدت شرا.

[٤٣] ما تَذُرُّ ما تترك مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ تِلْكَ الرِّيحُ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ الرَّمِيمِ ما تفتت من حجر أو نبات أو غيرهما، وإنما كانت آيات، لأن كل أثر من تلك الرياح آية و علامة لصدق رسل الله، و عقاب من خالف الرسل.

[٤٤] وَفِي تَمُودَ عَطْفَ عَلَى «وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ» و ثمود هم قوم صالح عليه السلام إِذْ قِيلَ لَهُمْ قَالَ لَهُمْ نبيهم صالح عليه السلام تَمَتَّعُوا ابْقُوا فِي دُورِكُمْ حَتَّى حِينٍ حَتَّى زَمَانَ مَقْرُورٍ وَهُوَ ثَلَاثَةٌ أَيَّامٍ، أمهلهم ثلاثة أيام لعلهم يتوبون.

[٤٥] لَكُنْهُمْ لَمْ يَتُوبُوا مَعَهُمْ رَأَوْا آثَارَ الْعَذَابِ فَعَتَوْا اسْتَكْبَرُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ بِالْإِيمَانِ وَ الْهَدَايَةِ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ - كما

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٤٤

[سورة الذاريات (٥١): الآيات ٤٥ الى ٤٧]

فَمَا اسْتَيْطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَ مَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ (٤٥) وَ قَوْمِ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٤٦) وَ السَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧)

وعدهم نبيهم - و الصاعقة هي ما تصعق الإنسان و تميته فجأة و هم يُنظَرُونَ و لا يقدرُونَ على دفعها، و في قوله سبحانه «وَهُمْ يُنظَرُونَ» دلالة على ضعفهم، حيث كانوا يظنون أنهم أقوياء و بسبب هذا الظن كانوا يستكبرون، و دلالة على تألمهم إذ لو كانت أخذتهم في حالة النوم مثلاً لم يتألموا مثل هذا التألم.

[٤٦] فَمَا اسْتَيْطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ أَنْ يَقُومُوا مِنْ كِبوتِهِمْ، فلم يكونوا كالمرضى الذين يتمكنون من شفاء أنفسهم، و في هذا تنبيه إلى أن عذاب الله إذا جاءهم لم يكن له علاج، إلا بالرجوع إليه سبحانه و ما كانوا مُنْتَصِرِينَ لم ينصرهم أحد، فلا يقوم أمام أمر الله، لا قوة ذاتية، و لا نصره خارجية.

[٤٧] وَ أَهْلَكْنَا قَوْمَ نُوحٍ وَ إِنَّمَا لَمْ يَعِطْفَهُ، للتفنن الذي هو مقتضى البلاغة مِنْ قَبْلُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرُوا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ خَارِجِينَ

عن طاعة الله سبحانه، و لذا أغرقناهم بالطوفان أليس في كل هذه العقوبات دلالة لكفار قريش على سوء مصير المكذب؟

[٤٨] ثم ألا- يستدل هؤلاء على وجود الله و علمه و قدرته بما يشاهدون من آثار عظمته؟ وَ السَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا فَإِن جَعَلَ الْأَنْجَمَ وَ جَعَلَ النِّظَامَ فِي الْكُونِ، من أجل الأنبياء- لوضوح أن البناء ليس خاصا بالبناء الحجري و نحوه- بِأَيْدٍ بِقُوَّةٍ مِنْ آدٍ، يثيد، فإن قوة المبنى و إتقانه تدل على

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٤٥

[سورة الذاريات (٥١): الآيات ٤٨ الى ٥٠]

وَ الْأَرْضِ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨) وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩) فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) قوة الباني، و قوة بنائه، ثم إنا لم نستنفد قوانا في بناء ما يشاهدون وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ السماء، و قد دل علم الفلك الحديث على أن الكون في توسع دائم.

[٤٩] وَ الْأَرْضِ فَرَشْنَاهَا جَعَلْنَاهَا فَرَاشًا لَتَسْتَقِرُّوا عَلَيْهَا وَ تَتَنَفَّعُوا بِهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ نحن الذين مهدنا لكم الأرض.

[٥٠] وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ مِنْ أَصْنَافِ الْحَيَوَانَ وَ أَصْنَافِ النَّبَاتِ وَ حَتَّى أَصْنَافِ الْمَاءِ حَلُوقًا وَ مَالِحًا وَ شَبَهَهُ كَالسَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فعلنا كل ذلك من خلق السماء و الأرض و الأزواج لأجل أن تتذكروا فتعرفوا الخالق و تعبدوه، ثم إنه لا- منافاة بين تعدد الغاية فالخلق لأجل طلبها الفيض و الله فياض مطلق و لأجل تذكّر الإنسان كما إذا سافر الإنسان لأجل صحة مزاجه و لأجل تنزهه.

[٥١] و إذ عرفتم الله و علمتم أنه يثيب المطيع و يعاقب العاصي فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ فَكَمَا أَنْ مِنْ يَطَارِدُهُ الْأَسَدُ يَفِرُّ، كذلك من طارده الذنوب لزم عليه أن يفر بالأعمال الصالحة، و سرعة الإتيان بها بمثابة الفرار، إلى ثواب الله و طاعته إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ أَي من قبل الله نَذِيرٌ

أندركم إن بقيتم في الكفر والعصيان تلحقكم نتائج سيئاتكم مُبينٌ واضحٌ لوضوح الأدلة التي تدل على نبوته صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٤٦

[سورة الذاريات (٥١): الآيات ٥١ الى ٥٣]

وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥١) كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أ تَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٥٣)

[٥٢] وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ كما كان المشركون يجعلون ذلك إِنِّي لَكُم مِّنْهُ من قبل الله نَذِيرٌ مُّبِينٌ فاللازم أمران: الأول:

توحيد الإله. والثاني: عدم عصيانه، ولعل وجه تقديم الثاني، في الآيتين إن الاشتغال بالمعاصي يحجب الإنسان عن الإيمان بالوحدانية، كما قال تعالى ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوَاى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ «١» كما أن وجه تكرار آخر الآية بشكل واحد لعله للتنبه على أن الإنذار على المعاصي مثل الإنذار على الشرك، كما قال تعالى لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا «٢».

[٥٣] إِنْهُمْ مَعَ إِنْذَارِكُمْ لَهُمْ إِنْذَارًا وَاضِحًا يَنْسِبُونَكَ إِلَىٰ أَنْكَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ وَكَذَلِكَ أَى أَن الْأَمْرُ مِثْلَ ذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأَمَمِ مِنْ رَسُولٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ بَعْضُهُمْ قَالُوا سَاحِرٌ وَبَعْضُهُمْ قَالُوا مَجْنُونٌ، أَوْ كَمَا تَقَدَّمَ فِي تَفْسِيرِ آيَةِ «وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ».

[٥٤] أ تَوَاصَوْا بِهِ أَى أَن الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ الَّذِينَ رَمَىٰ كُلَّهُمْ أَنْبِيَاءُهُمْ بِالسَّحْرِ وَالْجِنِّ هَلْ أَوْصَىٰ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَنْ يَنْسُبُوا الْأَنْبِيَاءَ إِلَىٰ مِثْلِ هَذِهِ النَّسْبَةِ؟ كَلَّا، إِذْ لَا رِبْطَ بَيْنَ الْأَمَمِ مَعَ اخْتِلَافِ زَمَانِهِمْ وَتَبَاعُدِ

(١) الروم: ١١.

(٢) الأنعام: ١٥٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٤٧

[سورة الذاريات (٥١): الآيات ٥٤ الى ٥٧]

فَقَوْلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ (٥٤) وَذَكَرَ فَإِنَّ الذُّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥) وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ (٥٧)

بلادهم يَلْ هُمْ الْأَوْلُونَ وَالْآخِرُونَ الْكَافِرُونَ بِالْأَنْبِيَاءِ قَوْمٌ طَاغُونَ فمشاركتهم في الطغيان أوجبت أن يرموا الأنبياء بما يكون مقتضى الطغيان والعتو على الله سبحانه، بعد أن فقدوا الحجته في رد برهان الأنبياء.

[٥٥] فَقَوْلَ فَاعْرَضَ عَنْهُمْ وَلَا تَجَادَلْهُمْ بَعْدَ أَنْ كَرَّرْتَ عَلَيْهِمُ الدَّعْوَةَ فَأَبَوْا إِلَّا الْعِنَادَ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ عَلَىٰ إِعْرَاضِكَ بَعْدَ أَنْ جَهَدْتَ فِي الْبَلَاغِ فَلَمْ يَنْفَعْ مَعَهُمْ.

[٥٦] وَ لَكِنْ خَذَ طَرِيقَكَ فِي الْإِرْشَادِ الْعَامِ فَ ذَكَرَ النَّاسَ حَسْبَ قَدْرَتِكَ فَإِنَّ الذُّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُمْ يَزْدَادُونَ بِهَا بَصِيرَةً، أَوْ الْمَرَادُ بِالْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَهُمْ نَفُوسٌ طَيِّبَةٌ تَقْبَلُ الْحَقَّ، فَاسْتَعْمَلِ «الْمُؤْمِنِ» فِيمَنْ لَهُ طَبِيعَةٌ إِيْمَانِيَّةٌ.

[٥٧] وَإِذَا نَفَعَتِ الذُّكْرَى الْمُؤْمِنِينَ عَمَلُوا بِمَا هُوَ غَايَةُ الْخَلْقَةِ إِذْ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ وَيَطِيعُونَ، وَإِذَا أَطَاعُوا كَمَلُوا هُمْ، لَا أَنَّ اللَّهَ اسْتَفَادَ مِنْهُمْ شَيْئًا.

[٥٨] مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ مِنْ مَالٍ كَمَا يَرِيدُ السَّادَةُ مِنَ الْعَبِيدِ أَنْ يَعْمَلُوا لِأَجْلِ جَلْبِ الْمَالِ لِلْسَّادَةِ حَتَّىٰ يَرْتَزِقَ بِهِ السَّيِّدُ فِي اشْتِرَاءِ دَارٍ وَ لِبَاسٍ وَ مَرْكَبٍ وَ مَا أَشْبَهَ «فَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ رِزْقٌ» وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ أَنْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٤٨

[سورة الذاريات (٥١): الآيات ٥٨ الى ٦٠]

إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ (٥٩) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٦٠)

يطعمونى يهيئوا الى طعاما، كما يفعله الطباخ للسيد.

[٥٩] إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ لكل من يحتاج إلى الرزق من بشر و حيوان و غيرها، فكيف يخلقهم لأن يرزقوه؟ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ الشديد، لا مثل قول الملوك لا متانة لها و لذا تؤول إلى الضعف و الانحلال و العدم، و إذا كان سبحانه له القوة المتين فلا حاجة له فى الطعام كى يتقوى به كما أن الإنسان كذلك يتقوى بالطعام.

[٦٠] و إذا أبلغت فى الإنذار و لم يقبلوا فلا- تغتم إذ إنا سوف نعاقبهم فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا بالتكذيب لك ذُنُوبًا نصيبا من العذاب مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ مثل نصيب نظائرهم من الأمم السابقة، و هذا تشبيهه حيث إن أصل «الذنوب» الدلو العظيم المملوء ماء، و جىء به للإشارة إلى كثرة ذنوبهم فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ العذاب لأنه سيأتيهم لا محالة.

[٦١] فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سوء لهم مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ أى يوم القيامة، و «من» أى من ناحية ذلك اليوم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٤٩

٥٢ سورة الطور مكية / آياتها (٥٠)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على كلمة «الطور» و هى كسائر السور المكية مشتملة على قضايا العقيدة بأصولها الثلاث و لما ختمت سورة الذاريات بعذاب الكفار ابتدأت هذه السورة بذلك، بعد تأكيد عذابهم، بجملة من الأيمان.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ شرع فى السورة مصاحبا باسم الله، لكى نتعلم أن كل شروع لا بد و أن يقترب باسمه، لأنه شكر للنعمة أن يتذكر الإنسان خالقه و رازقه عند كل ابتداء، إذ لو لا لطفه، لم يكن الإنسان قادرا على العمل «الرحمن الرحيم» الذى يرحم كل شىء يعطيه الوجود، ثم يرحمه بتربيته و السير به فى مراحل الكمال فهو سبحانه يرحمه إيجادا و يرحمه إبقاء.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٥٠

تقريب القرآن إلى الأذهان ج ٥ ٢٩٩

[سورة الطور (٥٢): الآيات ١ الى ٦]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الطُّورِ (١) وَ كِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنُشُورٍ (٣) وَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤)

وَ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦)

[٢] وَ الطُّورِ قسما بطور سيناء الذى تكلم موسى عليه السلام مع ربه من فوقه، قال جمع من المفسرين أنه جبل بمدين.

[٣] وَ قسما ب كِتَابٍ مَسْطُورٍ إما المراد أى كتاب، فالطور مرفوع مكانا، و الكتاب مرفوع معنى، فالمراد القسم بكل رفيع، مادي أو معنوي، أو المراد كتاب خاص، مثل التوراة و الإنجيل و القرآن، و لا- يبعد إرادة الإنجيل باعتبار أنه سبحانه و تعالى حلف بشىء لموسى عليه السلام، و بشىء لعيسى عليه السلام و بشىء لمحمد صلى الله عليه و آله و سلم «و هو البيت المعمور».

[٤] ذلك الكتاب فى رَقٍّ أى جلد رقيق مَنُشُورٍ نشر لقراءته، و لعل القصد من الصفات إفادة و وضوحه، فالكتابة مسطوره، لا مندمجة بعضها فى بعض، و هى فى ورق قد نشر، يقرأه كل إنسان، فالكتابة جمعت بين الارتفاع معنى الظهور، كما أن الطور جمع بين الارتفاع مادة الظهور.

[٥] وَقَسَمَ ابِ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ الْكَعْبَةَ الْمَعْظَمَةَ، أَوِ الضَّرَاحِ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةَ أَوِ السَّابِعَةَ.

[٦] وَقَسَمَ ابِ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ السَّمَاءِ، لِأَنَّهُ سَقْفٌ يَمْنَعُ وَصُولَ أَحْجَارِ النَّيَازِكِ إِلَى الْأَرْضِ، وَ الْمَرَادُ بِهِ بَعْضُ طَبَقَاتِ السَّمَاءِ.

[٧] وَقَسَمَ ابِ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ الَّذِي لَهُ أَمْوَاجٌ كَشَعْلِ النَّيْرَانِ، أَوْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٥١

[سورة الطور (٥٢): الآيات ٧ الى ١٣]

إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (٨) يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩) وَ تَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (١٠) فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١١)

الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٢) يَوْمَ يُدْعُونَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً (١٣)

المراد به حين ينقلب نيرانا، كما في أهوال القيامة.

[٨] إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ عَلَى الْكَافِرِ لَوَاقِعٌ قَطْعًا.

[٩] مَا لَهُ لَيْسَ لِلْعَذَابِ مِنْ دَافِعٍ يَدْفَعُهُ عَنِ الْكَفَارِ، فَكَأَنَّ الْإِنْسَانَ يَسْرَحُ بِخِيَالِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَ الْجِبَلِ، وَ الْبَحْرِ، وَ بَيْتٌ مَرْتَفِعٌ فِي وَسْطِهَا،

وَ كِتَابٌ نَشَرَ فِي أَحْوَالِ الْكُونَ، «كِتَابٌ تَكْوِينِي إِلَى جَانِبِهِ كِتَابٌ تَشْرِيْعِي» أَلَا يَدُلُّ كُلُّ ذَلِكَ عَلَى عَظِيمِ الْقُدْرَةِ؟ إِذَا فَلَا بَدَّ وَ أَنْ

يَذُوقُوا الْعَذَابَ.

[١٠] وَ إِنَّمَا يَقَعُ الْعَذَابُ يَوْمَ تَمُورُ تَضْطَرِبُ السَّمَاءُ مَوْرًا لِأَنَّ النِّظَامَ الْكُونِيَّ يَنْهَدِمُ فَتَضْطَرِبُ الْكَوَاكِبُ.

[١١] وَ تَسِيرُ الْجِبَالُ كَالسَّحَابِ السَّائِرِ سَيْرًا مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ لِلتَّأْكِيدِ.

[١٢] فَوَيْلٌ وَ سُوءٌ يَوْمَئِذٍ فِي هَذَا الْيَوْمِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِاللَّهِ وَ بِرَسُولِهِ وَ بِالْمَعَادِ.

[١٣] الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَخُوضُونَ فِي الْكُفْرِ وَ الْعَصِيَانِ يَلْعَبُونَ فَيَنْ عَمَلٌ مِنْ لَا يَفْكَرُ فِي الْعَاقِبَةِ لَعِبٌ إِذَا لَا هَدَفَ حَقِيقِي لَهُ، وَ إِنْ

تَصَوَّرَ أَنْ لَهُ هَدَفًا.

[١٤] وَ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ يُدْعُونَ الدِّعَ الدَّفْعَ الْعَنِيفِ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٥٢

[سورة الطور (٥٢): الآيات ١٤ الى ١٧]

هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ (١٤) أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (١٥) اضِلُّوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا إِنْ مَا تُجْزَوْنَ مَا

كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٦) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَعِيمٍ (١٧)

مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ لِلتَّأْكِيدِ الْعَنِيفِ فِي سَوْقِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ.

[١٥] وَ يُقَالُ لَهُمْ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ وَ كُنْتُمْ تَقُولُونَ أَنْ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ سِحْرٌ لَا أَصْلَ لَهُ.

[١٦] أَفَسِحْرٌ هَذَا الَّذِي تَرَوْنَهُ فِي النَّارِ؟ يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ تَبْكِيتًا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ أَنْ هَذِهِ نَارٌ؟ كَمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الدُّنْيَا، إِنْ لَا نَرَاكَ

وَ مِنْ بَيْنِنَا وَ بَيْنِكَ حِجَابٌ «١».

[١٧] اضِلُّوْهَا ذُوقُوا النَّارَ فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا بِأَنْ تَجْزَعُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَى الصَّبْرِ وَ عَدَمِهِ، فَأَيُّهُمَا لَا يَخْفَفُ مِنْ عَذَابِكُمْ إِنْ مَا تُجْزَوْنَ مَا

كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ظَاهِرُهُ نَفْسُ عَمَلِكُمْ إِذْ قَدْ ذَكَرْنَا فِي بَعْضِ السُّورِ أَنَّ نَفْسَ الْعَمَلِ صَارَ جِزَاءً كَمَا أَنَّ نَفْسَ الْبَيْضَةِ وَ النَّوَاءَ تَصِيرُ فَرْخًا وَ

شَجْرَةً، وَ مِنْ الْوَاضِحِ أَنْ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ لَا فَرْقَ بَيْنَ الصَّبْرِ وَ الْجِزَعِ وَ لَعَلَّ هَذَا الْكَلَامَ لِلْكَافِرِ، جِزَاءً لَمَا كَانُوا يَقُولُونَهُ لِلْأَنْبِيَاءِ إِنْهُمْ

لَا يَقْبَلُونَ كَلَامَهُمْ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ، فَجِزَاؤُهُمْ النَّارُ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ.

[١٨] وَ فِي مَقَابِلِ هَؤُلَاءِ الْمَكذِّبِينَ الْمَصْدُقُونَ فِ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَعِيمٍ النِّعْمَةُ الْبَاطِنِيَّةُ «الْجَنَّةُ الظَّاهِرِيَّةُ» كَمَا أَنَّ الْكَافِرَ فِي أَلَمِ

النَّارِ

(١) فصلت: ٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٥٣

[سورة الطور (٥٢): الآيات ١٨ الى ٢١]

فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَكِينِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٢٠) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيئًا (٢١)

و ألم التويخ والاستهزاء، كما فى «أفسحراً؟ فاصبروا...».

[١٩] فَاكِهِينَ متلذذين بما آتاهم أعطاهم رَبُّهُمْ من النعم وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ أى حفظهم من ذلك العذاب، إشارة إلى أنهم وإن استحقوا العذاب لبعض معاصيهم إلا أن الله يغفر لهم ويحفظهم من ذلك العذاب لطفًا و تفضلاً.

[٢٠] ويقال لهم كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا الهنيء الذى لا تنغيص فيه لا من جهة الفم و لا من جهة الحلق عند الازدراء و لا من جهة العاقبة فلا أثر سيئ له بسبب ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ من العقيدة الصحيحة، و الأعمال الصحيحة، فإن العقيدة نوع عمل للقلب حيث بنى على شىء معين.

[٢١] فى حال كونهم مُتَكِينِينَ عَلَى سُرُرٍ جمع سرير مَصْفُوفَةٍ قد اصطفت فيه جمال للمنظر بالإضافة إلى كونه راحة للجسم وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ جمع حوراء واسعة العين و بيضاء الجسم فظافة فى الأبدان و الأخلاق، و عيناه واسعة العين بما يزيدا جمالاً، و قد وردت فى الروايات تزويج النساء أيضا برجال الدنيا، و لعل عدم ذكر النساء و زواجهن من باب البلاغة، لأنه من غير المستحسن لدى العرف أن يقال للمرأة نزوجك، بخلاف أن يقال للرجل.

[٢٢] ثم إن أولاد المؤمنين الذين لا يستحقون بأعمالهم مراتب آبائهم فى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٥٤

[سورة الطور (٥٢): آية ٢٢]

وَ أَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَ لَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢)

الجنة، يلحقون بأبائهم لتقدير إيمان الآباء وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ بأن لم يكونوا كفره أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ حتى ينعم الآباء بمؤانسة الأولاد، فمرة يشتغلون بالحوار العين، و تارة بالذرية، و فى ذلك قرأ أعينهم وَ مَا أَلَتْنَاهُمْ أى ما نقصنا الآباء مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ فلم نعطي للأبناء من حق الآباء بل أعطينا الأبناء زيادة على حق الآباء كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيئًا كأن نفس الإنسان مرهونة بالعمل الصالح فإذا أعطى الله العامل استرجع نفسه فصار حراً، و إلا-بقى أسيراً فى جهنم، لأنه لم يقدم ما يفكك به نفسه، كما أن صاحب الدار الذى رهنها لأنه لم يقدم مال المرتهن لم يتمكن من استرداد داره، و لعل قوله سبحانه «كُلُّ امْرِئٍ...» لدفع توهم أنه إذا أعطى الذرية ما لا يستحقون فقد حصلوا الثواب بغير عمل؟ و الجواب كلا، إن الذرية كانوا مؤمنين فاستحقوا الجنة بذلك، و لكن الله تفضل عليهم بالمزيد جزاء للآباء فدرجتهم بين جزاء لهم و جزاء لآبائهم، أو يقال إن كلا من الآباء و الذرية استحق نفس الدرجة الرفيعة و استحق الجمع بينها، فالآية إخبار عن الواقع، و لا إعطاء لما لا يستحق و لو إعطاء تفضلاً.

[٢٣] وَ أَمَدَدْنَاهُمْ استمرنا فى إمدادهم، فليس كالضيافات، فى الدنيا التى يؤتى إلى الضيف بالمأكل و المشروب أول ما يجىء فقط، فإذا جلس ساعه مثلاً، لا يؤتى إليه مرة أخرى بهما بِفَاكِهَةٍ وَ لَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٥٥

[سورة الطور (٥٢): الآيات ٢٣ الى ٢٧]

يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأَسَا لَا لَعَوَ فِيهَا وَ لَا تَأْتِيَهُمْ (٢٣) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (٢٤) وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ

(٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧)

و اللحم شامل للطير و السمك و سائر اللحوم.

[٢٤] يَتَنَزَّعُونَ عَلَى سَبِيلِ الْمَزَاحِ وَ الْمَفَاكِهِ فِيهَا فِي الْجَنَّةِ كَأَسَا فِيهَا خَمْرٌ لَا لَعْوٌ فِيهَا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِذَا شَرِبُوا بِاللَّغْوِ وَلَا تَأْتِيهِمْ مِنْ مَا يَفْعَلُهُ شَارِبُوا الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا مِنَ السَّبِّ وَ الضَّرْبِ وَ الْجِرْحِ وَ أحياناً التعدي على الأعراض و غيرها، فإنه لا فساد في الآخرة.

[٢٥] وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ يَمْرُؤٌ بِهِمْ مُرُورًا مُتَوَاصِلًا، لِإِعْطَائِهِمُ الْكَأْسَ وَ الْفَاكِهِ وَ قِضَاءَ حَوَائِجِهِمْ غُلْمَانٌ جَمَعَ غُلَامٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ فِي بِيَاضِهِمْ وَ جَمَالِهِمْ لَوْلَوْ مَكْنُونٌ مَحْفُوظٌ فِي مَكَانٍ نَظِيفٍ بَحِثَ لَمْ يَكُنْ ظَاهِرًا حَتَّى يَغْيِرَ بَرِيقَهُ الْهَوَاءُ وَ الْوَسْخُ.

[٢٦] وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ هَذَا يَسْأَلُ ذَاكَ وَ ذَاكَ يَسْأَلُ هَذَا عَنْ أَحْوَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَ مَا اسْتَحَقُّوا بِهِ هَذِهِ الدَّرَجَاتِ؟

[٢٧] قَالُوا الْمَسْئُولُونَ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي دَارِ الدُّنْيَا حَيْثُ كُنَّا فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ خَائِفِينَ مِنَ الْعَذَابِ، إِذْ مِنْ لَّا خَوْفَ لَهُ لَّا يَعْمَلُ صَالِحًا- إِلَّا فِي الْأَنْدَرِ مِنَ النَّادِرِ-

[٢٨] فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بَغْفِرَانِ ذُنُوبِنَا وَ وَقَانَا حَفْظَنَا عَذَابِ السَّمُومِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٥٦

[سورة الطور (٥٢): الآيات ٢٨ الى ٣١]

إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٢٨) فَذَكَرْ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَ لَا مَجْنُونٍ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَتَرَبَّصُّ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١)

النار النافذة في المسام و ثقب الجسد.

[٢٩] إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ فِي دَارِ الدُّنْيَا نَدْعُوهُ نَدْعُوهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، وَ لَا نَدْعُوهُ غَيْرَهُ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْبَرُّ الْمَحْسَنُ الرَّحِيمُ وَ لَذَا أَحْسَنَ إِلَيْنَا وَ رَحْمَنَا، رَحْمَانًا فَلَمْ يَعْدِبْنَا بِذُنُوبِنَا، وَ أَحْسَنَ إِلَيْنَا بِإِعْطَائِنَا أَزِيدَ مِنْ اسْتِحْقَاقِنَا.

[٣٠] فَذَكَرْ يَا رَسُولَ اللَّهِ النَّاسَ بِالْعَقَائِدِ الصَّحِيحَةِ وَ لَا يَمْنَعُكَ مِنَ الْاسْتِمْرَارِ فِي التَّذْكِيرِ سَبْهُمُ لَكَ وَ اتِّهَامُهُمْ إِيَّاكَ بِأَنَّكَ كَاهِنٌ أَوْ مَجْنُونٌ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِسَبِّبِ إِعْطَاكَ تَعَالَى بِكَاهِنٍ مُتَّصِلٍ بِالْجِنِّ يَخْبِرُهُ بَعْضُ الْأَخْبَارِ الْغَائِبَةِ عَنِ الْحَوَاسِ وَ لَا مَجْنُونٍ دَخَلَ فِيهِ الْجَانُ فَأَخَذَ يَتَكَلَّمُ بِبَعْضِ الْمَغْيِبَاتِ- كَمَا كَانُوا يَتَهَمُونَ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ بِهَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ-

[٣١] أَمْ يَقُولُونَ بَلْ يَقُولُونَ أَنْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ شَاعِرٌ إِذَا رَأَوْا عَدَمَ قَبُولِ النَّاسِ افْتِرَائِهِمُ الْأَوَّلِ «إِنَّهُ كَاهِنٌ أَوْ مَجْنُونٌ».

تَتَرَبَّصُّ بِهِ أَيْ نَصْبِرُ وَ نَنْتَظِرُ رَبِّبَ الْمُنُونِ أَيْ مَا يَقْلِقُ النَّفْسَ مِنْ حَوَادِثِ الدَّهْرِ، فَإِذَا احْتَفَتْ بِهِ الْمَشَاكِلُ انْقَلَعَ عَنْ دَعْوَاهِ النَّبُوَّةِ، أَوْ الْمَرَادُ بِالْمُنُونِ الْمَوْتِ.

[٣٢] قُلْ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَرَبَّصُوا أَنْتَظِرُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٥٧

[سورة الطور (٥٢): الآيات ٣٢ الى ٣٥]

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤) أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ (٣٥)

فكما أنكم تنتظرون هلاكى و عدم نجاحى، فإنى أنتظر نجاحى و تقدم دعوتى، أو أنتظر موتكم، و سوف نرى العاقبة لمن؟.

[٣٣] أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا التَّنَاقُضِ فِي أَقْوَالِهِمْ فَمَرَّةً يَقُولُونَ شَاعِرٌ، وَ أُخْرَى كَاهِنٌ وَ ثَالِثَةً مَجْنُونٌ، فَهَلْ أَمْثَالُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ تَصْدُرُ مِنَ الْعُقَلَاءِ؟ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ يَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَ إِنَّمَا يَقُولُونَ الْبَاطِلَ لَطْغِيَانِهِمْ عَلَى الْحَقِّ، وَ عِنَادِهِمْ فِي الْأَمْرِ.

[٣٤] أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ أَيْ اخْتَلَقَ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ الْقُرْآنَ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ بَدُونَ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِ وَحَى بَلْ هُمْ يَعْلَمُونَ وَ

إنما لأنهم لا يُؤْمِنُونَ يرمون القرآن بهذه الأمور حتى يجعلوا لأنفسهم عذرا في عدم إيمانهم.

[٣٥] وإذا كان تقوّل من الرسول فليأتوا بِحَدِيثٍ شَىءٍ جَدِيدٍ مِثْلَهُ مِثْلَ الْقُرْآنِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِي قَوْلِهِمْ «تَقُولُهُ» إِذْ لَوْ كَانَ الْقُرْآنُ

كلام البشر لتمكّن بلغائهم أن يأتوا بمثله، فعدم تمكّنهم بأجمعهم من الإتيان بمثل القرآن دليل عدم كون القرآن من كلام البشر.

[٣٦] أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ خَالِقٍ لَهُمْ وَ لَذَا لَا يَدْعُونَ بِالْخَالِقِ وَ لَا يَسْمَعُونَ كَلَامَهُ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ خَلَقُوا أَنْفُسَهُمْ؟ وَ حَيْثُ لَا هَذَا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٥٨

[سورة الطور (٥٢): الآيات ٣٦ الى ٣٨]

أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمُصَيِّطُونَ (٣٧) أَمْ لَهُمْ سُلَيْمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ

مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨)

و لا هذا كان لا بد من إذعانهم للخالق، فلما ذا يكفرون به و يجعلون له شريكا؟

[٣٧] أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ فَهَمْ شُرَكَاءُ لِلَّهِ، وَ الشَّرِيكَ لَا يَخْضَعُ لِشَرِيكِهِ، بَلْ لَيْسَ كُلُّ ذَلِكَ وَ هَمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ عبيدُ مَرْبُوبُونَ

و إنما لا- يُوقِنُونَ فإن الانسياق وراء البرهان- دون الأهواء و التقاليد- لا- يكون إلا لمن أراد التيقن، فنفى الإيقان عنهم باعتبار نفى

آثاره، كما يقال: لا عين لفلان إذ لم يستعمل عينه حتى سقط في بئر، و يقال لا عقل له، إذا لم يستعمل عقله.

[٣٨] أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ فَلَا يَرُونَ أَنْفُسَهُمْ بِحَاجَةٍ إِلَى اللَّهِ، وَ لَذَا لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ لَا بِرَسُولِهِ وَ لَا بِكُتَابِهِ؟ أَمْ هُمْ الْمُصَيِّطُونَ عَلَى

الْخَزَائِنِ، وَ إِنْ تَكُنْ لَهُمْ فَسَيُطْرَقُونَ عَلَى الْخَزَائِنِ تَوْجِبُ أَنْ يَزْعَمُوا غَنَائِهِمْ عَنِ الْإِيمَانِ؟

[٣٩] أَمْ لَهُمْ سُلَيْمٌ مَرْقَاهُ يَصْعَدُونَ بِسَبَبِهَا إِلَى السَّمَاءِ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ إِلَى الْوَحْيِ فَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ

لأنهم كالرسول يعرفون أمور السماء فإذ زعموا ذلك، و قالوه عنادا فليأت مسدّتهم من ادعى الاستماع بسُلْطَانٍ حُجَّةٍ مُبِينٍ وَاضِحَةٍ

على صدقه، كأن يخبر عن الآتى، كما يأتى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ بأخبار الغيب، و لا يخفى أن فى هذا احتجاج على منكر

اللّه، و على من جعل له شريكا، و على من

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٥٩

[سورة الطور (٥٢): الآيات ٣٩ الى ٤٢]

أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَ لَكُمْ الْبُنُونَ (٣٩) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٠) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤١) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ

كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ (٤٢)

أنكر الرسول أو القرآن، و على من أنكر البعث، بأسلوب بلاغى رائع، و باحتجاجات عقلية، و عرفية يفهمها كل إنسان و إن لم يكن

من أهل الخبرة و الدقة.

[٤٠] أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ فَقَدْ كَانَ جَمْعٌ مِنْ كَفَارِ قَرِيشٍ يَقُولُونَ إِنْ الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ وَ لَكُمْ الْبُنُونَ الْبَنُونَ خَاصٌ بِكُمْ؟ وَ بِأَيِّ دَلِيلٍ تَقُولُونَ

هَذَا الْقَوْلُ؟.

[٤١] أَمْ تَسْأَلُهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجْرًا عَلَى الرِّسَالَةِ فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ يَحْمِلُونَ الثَّقَلَ، وَ لَذَا لَا يُؤْمِنُونَ بِكَ فَرَارًا مِنْ إِعْطَاءِ

المال، و حيث لا تسألهم أجرا و الدليل معك فلما ذا لا يؤمنون؟

[٤٢] أَمْ عِنْدَهُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُمْ يَكْتُبُونَ مَا أَخَذُوهُ عَنِ الْغَيْبِ وَ بِذَلِكَ عَلِمُوا كَذِبَكَ وَ لَذَا لَا يُؤْمِنُونَ بِكَ؟

[٤٣] أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا بِكَ، لَا حُجَّةَ لَهُمْ، وَ لَا عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ، وَ إِنَّمَا يَكِيدُونَ بِكَ لِتَخْلَصُوا مِنْكَ حَتَّى لَا تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى، اسْتِثْقَالًا

عَنِ الْحَقِّ، لَكِنْ فَلْيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْكَيْدِ بِكَ، وَ إِنَّمَا كِيدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ يَعُودُ وَ بِالْكَيدِ كِيدُهُمْ

عَلَيْهِمْ، كَمَا قَالَ وَ مَكَّرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ «١».

(١) آل عمران: ٥٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٦٠

[سورة الطور (٥٢): الآيات ٤٣ إلى ٤٦]

أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٣) وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ (٤٤) فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٥) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٦)

[٤٤] أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ و لهذا يشركون مع الله إلهها غيره؟ سُبْحَانَ اللَّهِ منزه عَمَّا يُشْرِكُونَ إذ لا- شريك له، كما دل على ذلك العقل، بالإضافة إلى أنهم لا- دليل لهم على الشرك، و في هذه الآيات تفنيد لمزاعم الكفار، و الجامع بينها إنها كانت مزاعم باطلة راتجة بينهم.

[٤٥] و قد كان الكفار يتحدثون الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ بأنه إن كان صادقاً، فليسقط عليهم قطعة من السماء لإهلاكهم، مثل تحدى كل جاهل معاند، و قد أجابهم القرآن بأنهم حتى إن رأوا ذلك عاندوا الحق، كما هو شأن كل معاند و إن يَرَوْا كِسْفًا قِطْعَةً مِنَ السَّمَاءِ كَأَحْجَارِ الْجَوْ، أو ما يزعمه سماء، سَاقِطًا يَقُولُوا من فرط عنادهم و طغيانهم، هذا سَحَابٌ مَرْكُومٌ تراكم و تجمع بعضه على بعض، فلا فائدة في إتيانك يا رسول الله بهذه المعجزة.

[٤٦] فَذَرَهُمْ فَاتْرَكَهُمْ بعد ما رأيت من عنادهم حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ يموتون بأيديكم، أو موته طبيعية، حتى يروا جزاءهم هناك.

[٤٧] يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا في رد العذاب فإن عذاب الآخرة ليس كمشاكل الدنيا يمكن ردها بالكيد و الأساليب الدنيوية و لا هُمْ يُنصَرُونَ كما ينصر بعضهم البعض في الدنيا، فإن الآخرة ليس فيها

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٦١

[سورة الطور (٥٢): الآيات ٤٧ إلى ٤٩]

وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٧) وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (٤٩)

ناصر ينصر من أراد الله عذابه.

[٤٨] و إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا من هؤلاء الكفار، جىء بهذا اللفظ، للدلالة على اقتران الكفر بالظلم غالباً، بل الكفر من أعظم الظلم بنفس الكافر عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ قبل عذاب الآخرة، و هو ما يشاهدونه في الدنيا من ثمرات أعمالهم، فإن الظلم لا يثمر إلا العذاب و لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ذلك، و الحاصل أن كفرهم يعود عليهم بعذاب الدنيا و عذاب الآخرة.

[٤٩] وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ الذى أعطاك، فإن الرسول كان حاكماً من قبل الله فَأِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا أى تحت حفظنا و رعايتنا، و الإتيان بجمع العين، لبيان أنهم إن كانوا جماعة ضدك، فإن أعينا أيضاً تراقبك لحفظك و لثلا يمسوك بسوء و سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ نزهه مع إثبات صفات الكمال له- كما تقدم مثله- حِينَ تَقُومُ في أول النهار و اشكره على أن مضى ليلك بسلام.

[٥٠] و سَبِّحْهُ مِنَ اللَّيْلِ بعض الليل حين يدخل الليل على أن مضى نهارك بسلام و سَبِّحْهُ إِدْبَارَ النُّجُومِ إذا أدبرت النجوم، بعد منتصف الليل حين تأخذ النجوم في النزول من نصف السماء، فإن الإنسان يستيقظ عند ذاك، غالباً و يفكر في عظمة الله، و يلقي سكون الليل في نفسه رهبة و خشوعاً أمام خالق الكون و جاعل الظلمات و النور.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٦٢

٥٣ سورة النجم مكية - مدنية / آياتها (٦٣)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتغالها على لفظ «النجم» و هي كسائر السور المكية مشتملة على قضايا العقيدة، كما أن بعض آياتها التي نزلت بالمدينة تعالج قضايا العمل - على ما يظهر من نفس السورة من أنها مكية مدنية، و على ما قاله جمع من المفسرين - ولما اختتمت سورة الطور بما يفيد تكذيب الكفار لرسول الله صلى الله عليه وآله و سلم، ابتدأت هذه السورة بتفنيد مزاعمهم في كذبه صلى الله عليه وآله و سلم، و إنه صلى الله عليه وآله و سلم صادق و ليس بكاذب و لا ضال.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نَشْرَعُ بِاسْمِ اللَّهِ، فَإِنَّ الذَّاتَ الشَّرِيفَةَ تُوَثَّرُ فِي شِرَافَةِ إِمداداتها، كما أن الذَّاتَ غيرَ الشَّرِيفَةَ تُوَثَّرُ فِي عَدَمِ شِرَافَةِ إِمداداتها، لذا يحب الإنسان حتى أسم محبوبه و يكره حتى أسم مكروهه، الله المستجمع لجميع صفات الكمال، الرحمن بعباده بدءاً، و الرحيم بهم استمراراً.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٦٣

[سورة النجم (٥٣): الآيات ١ الى ٥]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)
عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥)

[٢] وَالنَّجْمِ قِسْمًا بالنجم، و المنصرف جنس النجم إِذَا هَوَىٰ نحو المغيب، من وسط السماء، أو من الأفق.

[٣] مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ما عدل هو عن الطريق المستقيم، و لعل وجه القسم بالنجم، أن النبي صلى الله عليه وآله و سلم نجم معنوي في كل أحواله، كما أن النجم نجم حتى في حال هويته، و ما غَوَى الناس في دعوته إلى الله، بل هو مهتد في نفسه و دعوته للناس دعوة إلى الرشد.

[٤] وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ عن هوى النفس و ميوله الشخصية كما كان الكافرون يقولون «تقول».

[٥] إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ إلهي من الله تعالى إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ إليه من جانب الله و هل الوحي وقتي، أو مستمر و إنما جهاز الاستقبال وقتي مثله مثل نور الشمس المستمرة منذ أن خلقت، و إنما إذا وجدت زجاجة مقعرة أخذته و أحرقت به ما ينعكس إليه النور منها، فحالة الرسول صلى الله عليه وآله و سلم الخاصة تأخذ الوحي المناسب في الوقت المناسب، احتمالان: و إن كان ظاهر الأدلة الأول.

[٦] عَلَّمَهُ أَى علم الرسول صلى الله عليه وآله و سلم بالوحي شَدِيدُ الْقُوَى جبرئيل، فإن للملك قوى كما للإنسان قوى، و قوى الملك شديدة، مثلاً علمه كثير، و لا ينسى، و قدرته كثيرة و لا تضعف إلى غير ذلك، و ظاهر الآية بسياق الآيات الآتية أن المراد به جبرئيل عليه السلام.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٦٤

[سورة النجم (٥٣): الآيات ٦ الى ١٠]

ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦) وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠)

[٧] ذُو مِرَّةٍ ذو قوة، و أصل المِرَّةُ خلط في العروق، كالصفراء و السوداء، و سمى مرة لقوة البدن به، ثم استعملت في أصل القوة، فكانه قال مرة «قواه شديدة» و مرة «قوى بمجموعه» أو المراد بنى مرة حصانه في عقله و رأيه فالأول: لقواه المادية. و الثاني: لقوته العقلية، فلما أراد أن ينزل الوحي على الرسول صلى الله عليه وآله و سلم فَاسْتَوَى استولى على الأرض لإتيان الوحي.

[٨] وَ هُوَ جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ مكانه في أعالي السماوات.

[٩] ثُمَّ دَنَا جَبْرَائِيلُ إِلَى الرسول صلى الله عليه وآله و سلم فَتَدَلَّىٰ في الهواء، تدلى الدلو في البئر، و أصل التدلى استرسال مع تعلق، و لعل هذا التعبير باعتبار تعلق جبرئيل عليه السلام بالأعلى تعلقاً.

[١٠] فَكَانَ جِبْرِيلُ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَابَ قَوْسَيْنِ فَإِنْ قَوَسِينَ إِذَا انصقت إحداهما بالأخرى يكون عرضهما مقدار ذراعين لأن «قاب» كل قوس مقدار ذراع تقريبا، و«القاب» عبارة عن الفاصل بين رأسى القوس الواحد، والمراد من هذه الآية - حسب الظاهر - إن قرب جبرئيل من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان بقدر ذراعين أو أذنى و لعله كان يقترب و يبتعد، كما هي عادة كل متكلمين.

[١١] فَأَوْحَى اللَّهُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ إِلَى عَبْدِهِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَا أَوْحَى مَا أَرَادَ وَحِيهِ، أَوِ الْمَرَادِ، ب «أَوْحَى» جِبْرِيلُ، مِثْل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٦٥

[سورة النجم (٥٣): الآيات ١١ الى ١٥]

مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١) أَفْتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥)

قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ «١» أما الضمير فى عبده راجع إلى الله سبحانه، و فى تفسير الآية ذكر مصاديق و تأويلات لا تنافى ظاهرها الذى ذكرناه.

[١٢] مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ فُؤَادَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَا رَأَىٰ مِنْ جِبْرِيلَ وَ سَمِعَ مِنَ الْوَحْيِ، إِذْ قَدْ يَكْذِبُ الْفُؤَادُ الْحَوَاسِ، كَأَن يَرَى الْإِنْسَانَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ صَغِيرِينَ، أَوْ مَاءَ الْبَحْرِ أَسْوَدًا، لَكِنِ الْقَلْبُ يَقُولُ لَيْسَ كَمَا رَأَيْتَ، فَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رَأَىٰ جِبْرِيلَ بَعِينَهُ وَ عَرَفَ صَدَقَ رُؤْيِيَهُ بِقَلْبِهِ.

[١٣] أَفْتَمَارُونَهُ أَىٰ أَيُّهَا الْكُفَّارُ هَلْ تَجَادِلُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ مَا رَآهُ فَتَقُولُونَ لَهُ: قَدْ اشْتَبَهْتَ وَ لَمْ يَكُنْ جِبْرِيلُ؟ وَ لَعَلَّ الْإِتْيَانَ ب «يرى» بصيغة المستقبل، لاستمرار علم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى وقت الكلام، بأن ما رآه كان صدقا، لا خيالا.

[١٤] وَ هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ اشْتَبَهَ وَ الْحَالُ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَقَدْ رَآهُ رَأَىٰ جِبْرِيلَ نَزْلَةً أُخْرَىٰ حِينَ نَزَلَ بِالْوَحْيِ إِلَيْهِ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَ الْاشْتِبَاهُ لَا يُمْكِنُ مَرَّتَيْنِ.

[١٥] وَ كَانَتْ رُؤْيِيَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الثَّانِيَةَ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى «المنتهى» مضاف إليه، لعل المراد انتهاء عالم الدنيا إلى هناك بقربته.

[١٦] عِنْدَهَا أَىٰ عِنْدَ تِلْكَ السِّدْرَةِ جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ الَّتِي يَأْوَىٰ إِلَيْهَا

(١) السجدة: ١٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٦٦

[سورة النجم (٥٣): الآيات ١٦ الى ١٩]

إِذْ يَعْشَى الْسُّدْرَةَ مَا يَعْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَ مَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (١٨) أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّىٰ (١٩) الْمُؤْمِنُونَ الصَّالِحُونَ.

[١٧] إِذْ يَعْشَى السُّدْرَةَ غَشِيَهُ بِمَعْنَى أَحَاطَ بِهِ وَ اسْتَوْلَىٰ عَلَيْهِ مَا يَعْشَىٰ مِمَّا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَىٰ وَ لَعَلَّهَا بِاعْتِبَارِ كَوْنِهَا الْحَدَّ الْفَاصِلَ بَيْنَ عَالَمِ الدُّنْيَا وَ عَالَمِ الْآخِرَةِ، يَكُونُ مَهْبِطَ الْمَلَائِكَةِ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ، وَ مَصْعَدَ أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلَائِكَةِ الصَّاعِدَةِ مِنَ الْأَرْضِينَ وَ السَّمَاوَاتِ إِلَى طَرْفِ الْجَنَّةِ.

[١٨] وَ لَا يَقُولُ الْكُفَّارُ لَعَلَّهُ اشْتَبَهَ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْمَرَّةَ أَيْضًا، لِأَنَّهُ مَا زَاغَ لَمْ يَمَلِ الْبَصِيرُ بِبَصَرِ رَسُولِ اللَّهِ، بِأَنَّ

رأى غير جبرئيل فرعم و ما طغى بأن لم يكن شىء فيزعمه شيئاً كما فى من يرى السراب فيزعمه شيئاً و هو ليس بشىء، ثم لا يخفى أن رؤية الرسول صلى الله عليه و آله و سلم لجبرئيل مرتين، إنما يراد به أنه رآه بصورته الواقعية، كما ورد بذلك النص و التفاسير «١»، و إما بغير صورته الواقعية، كصورة «دحية» فقد رآه صلى الله عليه و آله و سلم مرات عديدة.

[١٩] و لقد رأى الرسول صلى الله عليه و آله و سلم عند سدره المنتهى من آيات ربه الكبرى أى الآيات العظام التى كانت حول شجرة السدر.

[٢٠] هل الله و ما شاهده الرسول صلى الله عليه و آله و سلم من آيات الله، يقاس بما أنتم عاكفون عليها من الأصنام؟ أفرأيتم اللات و العزى و هما صنمان كان

(١) الاحتجاج: ج ١ ص ٢٤٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٦٧

[سورة النجم (٥٣): الآيات ٢٠ الى ٢٣]

و مَنَاءَ النَّائِثَةِ الْآخَرَى (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ مَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى (٢٣)

يعبدهما قريش.

[٢١] و مَنَاءَ الصنم النَّائِثَةِ الْآخَرَى و لعلها أخرى فى المرتبة عندهم؟

أقول: و حذف الجواب لزيادة الاستهجان، فهو كما يقال «الزيد مليون دينار» ثم يقال أرايتم كم لعمر من الدنانير؟ «فيما كان له ثلاثة دنانير مثلاً» فإن قوله: أرايت، يراد به الاستهجان، و بيان عدم المقايسة بين الأمرين.

[٢٢] ثم استهجن القرآن كلاماً آخرًا للمشركين، و هو قولهم أن الملائكة بنات الله فقال ألكم الذكر و له سبحانه الأنثى فقد كانوا يزعمون بأنهم مخصصون بالأولاد الذكور، و لا ولد ذكر الله تعالى، و يحتمل أن يراد أنكم تكرهون الإناث، فكيف جعلتم الأصنام الثلاثة «و كانوا يزعمون أنهم إناث» شركاء الله تعالى.

[٢٣] تِلْكَ القسمة بينكم ف «لكم الذكر» و بين الله «و له الأنثى» إذاً إذا كان كما زعمتم قِسْمَةٌ ضِيزَى جائره، من ضاز يضيض، إذا جار.

[٢٤] إِنْ هِيَ مَا تَلِكُ الأصنام الثلاثة إِلَّا أَسْمَاءٌ أَى تسميتها بالألوهية اسم مجرد لا حقيقة تحت هذا الاسم ف «هى» محل، أطلق، و أريد به «الحال» لأن «الاسم» حال، و «الصنم» محل سَمَّيْتُمُوهَا مجرد تسميته أنتم و آبأؤكم من قبل، و إلا فهل الأصنام آلهة؟ ما أنزل الله بها مِنْ سُلْطَانٍ من حجة و برهان، و إنما هوى أنفسهم مع تلك

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٦٨

[سورة النجم (٥٣): الآيات ٢٤ الى ٢٦]

أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى (٢٤) فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَ الْأُولَى (٢٥) وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَرْضَى (٢٦)

الأصنام ثم ظنوا أنها آلهة، فلا- دليل من العقل و لا من الشرع عليها إن ما يتبعون إِلَّا الظَّنَّ بأنها آلهة و ما تهوى الأنفس ما تشتهيهم أنفسهم و لقد جاءهم مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى الرسول و الكتاب المطابقان للعقل و الفطرة فتركوهما و اتبعوا أهواءهم الباطلة فى القول بأن الأصنام آلهة.

[٢٥] أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى استفهام إنكارى أى ليس للإنسان ما يتمناه، فهؤلاء يتمنون صحة عقيدتهم و يتمنون أن تشفع الأصنام لهم، لكن هذا التمنى لا يتحقق.

[٢٦] فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ بِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ فَهُوَ الْإِلَهُ وَهُوَ الشَّفِيعُ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴿١﴾.

[٢٧] إنهم يرجون الشفاعة من الأصنام بينما الملائكة لا تقدر على الشفاعة إلا بعد إذن الله وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ فَهُوَ مَعْ كُونَهُ ملكا، و مع كونه في السماوات قريبا من رحمة الله لا تُعْنَى لا تفيد شفاعتهم شيئا أى أنهم على تقدير أن يشفعوا لا تفيد شفاعتهم و «كم» لا- مفهوم له، حتى يكون هناك «ملك» تغني شفاعته، و لعل الإتيان به لإفادة أنه إذا كان كثير من الملائكة كذلك، فكيف بالأصنام؟ و لا حاجة في إسقاط الأصنام

(١) الزمر: ٤٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٦٩

[سورة النجم (٥٣): الآيات ٢٧ الى ٢٩]

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُؤْنَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ (٢٧) وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (٢٨) فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩)

عن الشفاعة القول بأن «كل الملائكة كذلك» إلا من بعيد أن يأذن الله في الشفاعة لمن يشاء من الملائكة أن يشفع و من الناس أن يشفع له وَيُضَى و يراه أهلا لذلك: شافعا و مشفوعا، و الرضا و إن كان قبل الإذن إلا أن ملاحظة رؤوس الآي أورت تأخيره، [٢٨] إِنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَ ذَلِكَ يَلْزَمُ عَدَمَ إِيمَانِهِمْ بِمَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ لَيَسْمُؤْنَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ فَإِنَّهُمْ حَيْثُ قَالُوا الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ سَمَوْا كُلَّ مَلَكٍ بِنْتًا.

[٢٩] وَ الْحَالُ مَا لَهُمْ بِهِ بِمَا يَقُولُونَ مِنْ عِلْمٍ أَى لَا عِلْمَ لَهُمْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ أَنْثَىٰ إِنْ مَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ فَإِنَّهُمْ يظنون أن الملائكة بنات وَ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي لَا يفيد مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِذْ لَا بُرْهَانَ لِلظَّنِّ، و ما لا برهان له ليس مطابقا للواقع، فإن كل مطابق للواقع له برهان. [٣٠] فَأَعْرِضْ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا إِذْ لَا يفيد معه التذكير! لأنه معاند وَ لَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَكُلُّ سَعْيِهِ وَ عَمَلِهِ لِلدُّنْيَا،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٧٠

[سورة النجم (٥٣): الآيات ٣٠ الى ٣٢]

ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَىٰ (٣٠) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَ يَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ (٣١) الَّذِينَ يَجْتَبِئُونَ كِبَارَ الْإِثْمِ وَ الْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ إِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَىٰ (٣٢) و لا يعتقد بالآخرة حتى يعمل لها، فهو منكر للتوحيد، و منكر للمعاد.

[٣١] ذَلِكَ انحصار فكرهم في الدنيا، من دون نفوذ علمهم إلى المبدأ و لا إلى المعاد مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ قدر بلوغ علمهم فهو علم ضيق محدود منحرف، فلا تتعب نفسك يا رسول الله مع هؤلاء فإن الله يعلم حالهم و سوف يجازيهم إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ أَى أنفذ علما فيعلم خصوصياتهم و كل دقائقهم وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَىٰ فيجازى كلا حسب عقيدته و عمله.

[٣٢] وَلِلَّهِ مَا أَى الذى فى السَّمَاوَاتِ وَ مَا أَى الذى فى الْأَرْضِ أَى كل شىء فيهما ملكا و خلقا لِيَجْزِيَ اللَّهُ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَ الْعَمَلُ يشمل عمل القلب أيضا لأن الاعتقاد عقد القلب على شىء خاص، و «اللام» للعاقبة، لا للعلّة، مثله، مثل لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا ﴿١﴾ وَ يَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالمثوبة الحسنی فى الدنيا و الآخرة.

[٣٣] و من هم الذين أحسنوا؟ هم الَّذِينَ يَجْتَبِئُونَ كِبَارَ الْإِثْمِ الْآثَامِ الْكَبِيرَةِ وَ التى منها الكفر و الشرك و عدم الإيمان بالرسول و بما جاء به الرسول و عدم الإيمان بالمعاد وَ الْفَوَاحِشَ التى إثمها يتعدى إلى

(١) القصص: ٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٧١

[سورة النجم (٥٣): آية ٣٣]

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣)

الآخرين، من فحش إذا تعدى عمله الآثم إلى الآخرين إلاً اللّمم أى الذى يلّم بالإنسان و يرد عليه مما لا علاج من وروده غالباً، و هى الصغائر و هى الصغائر مثل كلمة نايية، أو ضحكة غير جائزة أو نظرة محرمة أو ما شابه ذلك، و الاستثناء منقطع لدفع توهم أن كل عصيان كبيرة، حيث إنها معصية لاله عظيم إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ فيغفر للّمم قطعاً، بعد أن كان يغفر لكثير من الكبائر لمن يشاء هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ حتى من أنفسكم فمن عمل صالحاً يعرفه و من عمل فاسداً يعرفه إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَإِنَّ عِلْمَهُ شَامِلٌ لِمَنْ تَكُونُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ حيث إن الإنسان تراب ثم ينقلب، نباتاً، ثم ينقلب حيواناً ثم النبات و الحيوان ينقلب إلى طعام يأكله الأبوان فيصير دماً ثم ميتاً وَ إِذْ أَنْتُمْ أَحْجَتُمْ جَمْعَ جِنِينَ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ و هذه أول مرحلة إنسانية، فيعلم بكم من ذلك الحين إلى اليوم فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ لَا يَغْرَنُكُمْ أَعْمَالُكُمْ الصالحة، كما يقع فيه بعض المؤمنين غير المتأدبين، فيزكى نفسه إنه صام و صلى و أنفق و فعل الخير، فإنه غرور يوجب سقوط النفس عن الرفعة عند الله و عند الناس هُوَ سَبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى فَعَلَى الْمُؤْمِنِ، لا يكون مفترطاً بعمل الفواحش، و لا مفترطاً يزكى نفسه، فإن التزكية للنفس قبيح، و لله أقبح لأنه أعلم بالإنسان من حال كونه تراباً إلى حال تقياً، حتى من نفسه.

[٣٤] و إذا عرفنا أحوال المتقين الذين يجتنبون كبائر الإثم و الفواحش إلا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٧٢

[سورة النجم (٥٣): الآيات ٣٤ الى ٣٧]

وَ أَعْطَى قَلِيلًا وَ أَكْدَى (٣٤) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهَوَ يَرَى (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧)

اللمم فلنعرف أحوال غيرهم أَفَرَأَيْتَ فِي قَبَالِ ذَلِكَ الْمُتَّقَى الَّذِي تَوَلَّى عَنِ الْحَقِّ وَ أَعْرَضَ عَنْهُ وَ إِنْ آمَنَ بِهِ.

[٣٥] وَ أَعْطَى مَالًا- قَلِيلًا كما هو شأن كثير من الناس حيث يظهرون الإيمان لكنهم لا يلتزمون بموازينه، و بالأخص لا يدفعون المال المفروض عليهم إطلاقاً أو يعطون شيئاً قليلاً وَ أَكْدَى أى قطع العطاء و أمسك يده عن الإنفاق، لغلبة حالة البخل عليه، و من طبيعته أمثال هؤلاء الناس، أنهم يلقون تبعه ذنوبهم على غيرهم، فإذا قلت له لماذا تعصى؟ قال ذنب المبلغين الذين لا يبلغون كاملاً، ثم أن الله يغفر لى، و ما أشبه من الكلمات المتعارفة عند البخلاء و العصاة، و فى التفاسير أن الآيات نزلت فى عثمان فى قصة «١»، و من المعلوم أنه من باب المصداق.

[٣٧] أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فيعلم أن إنفاقه قد كفاه فى حصول منزله له عند الله، و يعلم أن غيره يتحمل إثم أعماله؟ فَهَوَ يَرَى الْغَيْبِ وَ يَعْلَمُ بِهِ؟

[٣٧] أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ أَلَمْ يَخْبُرْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى

[٣٨] وَ بِمَا فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى كَانَ وَفِيًا بِكُلِّ مَا تَعَاهَدَ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، وَ «وَفَّى» بِالتشديد مبالغة فى الوفاء «و فيه تعريض

أن هذا المؤمن الذى أعطى قليلاً ... إلى آخره» لم يوفى بما شرط على

(١) مجمع البيان: ج ٩ ص ٢٩٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٧٣

[سورة النجم (٥٣): الآيات ٣٨ الى ٤٣]

أَلَا تَرَىٰ وَازِرَةً وَّزَرَ أُخْرَىٰ (٣٨) وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَ أَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ (٤١) وَ أَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ (٤٢)

وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ وَ أَبْكَى (٤٣)

نفسه من الإطاعة في كل الأوامر.

[٣٩] أَلَا تَرَىٰ لَا- تحمل وازرة نفس حامله وزر حمل نفس أخرى فكل إنسان ذنبه على نفسه، لا كما زعم هذا البخيل من أن ذنبه على غيره.

[٤٠] وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ فلم يزعم أن إعطائه القليل كاف عن الإعطاء الذي أمر به فكما لا يؤخذ أحد بذنب الغير كذلك لا يثاب أحد بأكثر مما عمل.

[٤١] وَ أَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ يراه بنفسه بدار الدنيا جزاء بالمدح أو بغير ذلك، فإن الدنيا قبل الآخرة دار المكافات «و لا يجتنى الجاني من الشوك العنب».

[٤٢] ثُمَّ يُجْزَاهُ أَى يجزى العبد سعيه الجزاء الأوفى الأوفر و ذلك في الآخرة.

[٤٣] وَ ليعلم الناس أن الله هو مبدأ الأشياء و كل الأشياء تنتهي إليه و كل الأمور بيده، و لذا يجب عليهم شكره، و طاعته، كما يجب عليهم أن يخافوا من عقابه و عذابه وَ أَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ انتهاء كل شيء، و معنى «إلى» إلى جزائه و ثوابه و عقابه.

[٤٤] وَ أَنَّهُ هُوَ سَبَّحَانَهُ أَضْحَكَكَ وَ أَبْكَى فقد خلق في الإنسان قوتها

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٧٤

[سورة النجم (٥٣): الآيات ٤٤ الى ٤٩]

وَ أَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَ أَحْيَا (٤٤) وَ أَنَّهُ خَلَقَ الرَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثَىٰ (٤٥) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ (٤٦) وَ أَنْ عَلَيْهِ النَّشْأَةُ الْأُخْرَىٰ (٤٧) وَ أَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَ أَقْنَىٰ (٤٨)

وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَىٰ (٤٩)

كما خلق و قدر ما يسبب البكاء و الضحك، و الضحك و البكاء ليس خاصا بالإنسان بل كل شيء له ضحك و بكاء، قال الشاعر:
إن فصل الربيع فصل جميل تضحك الأرض من بكاء السماء ذهب حيثما ذهبنا و درّ حيث درنا و فضة في الفضاء [٤٥] وَ أَنَّهُ هُوَ سَبَّحَانَهُ أَمَاتٌ وَ أَحْيَا حتى أنه إذا قتل الإنسان إنسانا فإن روحه بيد الله، و لذا لا يموت الإنسان في جهنم.

[٤٦] وَ أَنَّهُ خَلَقَ الرَّوْجَيْنِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثَىٰ و عدم ذكر الخنثى إما لشدوده، أو لأنه في الحقيقة إما ذكر أو أنثى.

[٤٧] خَلَقَهُمَا مِنْ نُطْفَةٍ هِيَ الْمَاءُ الْقَلِيلُ إِذَا تُمْنَىٰ تدفق في الرحم.

[٤٨] وَ أَنْ عَلَيْهِ سَبَّحَانَهُ النَّشْأَةُ الْآخِرَىٰ فكما بدأ يقدر على الإعادة.

[٤٩] وَ أَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ الْأَغْنِيَاءَ بِخَلْقِ وَسَائِلِ الْغِنَىٰ وَ أَقْنَىٰ أَعْطَى الْمَالَ الَّذِي يَدْخُرُ لِلْقَنِيَةِ أَى الْإِبْقَاءِ، فالمال المتحرك الموجب للغنى، و المال الثابت كلاهما من عنده تعالى.

[٥٠] وَ أَنَّهُ هُوَ تَعَالَىٰ رَبُّ الشُّعْرَىٰ نجم في السماء يطلع آخر الليل،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٧٥

[سورة النجم (٥٣): الآيات ٥٠ الى ٥٥]

وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ (٥٠) وَ تَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ (٥١) وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ إِنْهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَ أَطْغَىٰ (٥٢) وَ الْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ (٥٣) فَعَشَّاهَا مَا عَشَّىٰ (٥٤)

فَبِأَىِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ (٥٥)

كان جماعة من العرب يعبدونه.

[٥١] وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا أَى قَبِيلَهُ عَادَ الْأُولَى قَوْمَ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ هُنَاكَ عَادٌ ثَانِيَةٌ عَادَ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ.

[٥٢] وَأَهْلَكَ تَمُودَ قَوْمَ صَالِحٍ فَمَا أَبْقَى أَحَدًا مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، حَيْثُ عَصَوْا وَعْتَوَا وَ كَانَ جَزَاؤُهُمُ الْعَذَابِ.

[٥٣] وَأَهْلَكَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ قَبْلِ عَادٍ وَ تَمُودٍ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ أَكْثَرَ ظُلْمًا وَ أَطْعَى أَكْثَرَ طَعْيَانًا فَقَدْ وَرَدَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُضْرَبُونَ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَبْقَى لَيْسَ بِهِ حِرَاكٌ، فَهَمُ ظَالِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ طَاغُونَ عَلَى غَيْرِهِمْ وَ قَدْ دَعَاهُمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَلَمْ يَنْفَعْ فِيهِمْ.

[٥٤] وَالْمُؤْتَفِكَةَ وَ هِيَ قَرْيَةٌ قَوْمَ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّتِي اتَّفَكَتْ بِأَهْلِهَا أَى انْقَلَبَتْ أَهْوَى بِهَا وَ قَلْبُهَا بَعْدَ أَنْ رَفَعَهَا.

[٥٥] فَغَشَّاهَا أَحَاطَ بِتِلْكَ الْقَرْيَةِ مِنَ الْعَذَابِ مَا غَشَّى الشَّيْءَ الَّذِي غَشَّاهَا مِنْ أَصْنَافِ الْعَذَابِ الَّذِي لَا يُوصَفُ.

[٥٦] وَ بَعْدَ كُلِّ هَذِهِ الْعَذَابَاتِ الَّتِي تَعْلَمُ بِهَا، مِمَّا أَصَابَ الْعَصَاةَ قَبَائِئِ الْآءِ نَعْمَ رَبِّكَ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ تَتَمَارَى تَتَشَكَّكُ، أَلَيْسَ وَجُودَ الْأَنْبِيَاءِ نَعْمَةً؟ أَلَيْسَ إِنْزَالُ الْكُتُبِ نَعْمَةً، أَلَيْسَ إِرْشَادُ الْعَقْلِ إِلَى الصَّحِيحِ وَ الْبَاطِلِ نَعْمَةً؟ وَ هَلْ شَكٌّ فِي هَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي مِنْ أَخْذِ بِمَقْتَضَاهَا سَعْدٌ، وَ مِنْ تَرْكِ مَقْتَضَاهَا شَقَى وَ عَذَبٌ، حَتَّى إِنَّكَ تَشْكُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٧٦

[سورة النجم (٥٣): الآيات ٥٦ إلى ٥٩]

هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى (٥٦) أَرْزَقَ الْأَرْزَقَةَ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨) أَمْ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَ تَعْصَى وَ تَتْرَكَ الْأَمْرَ.

[٥٧] هَذَا الْقُرْآنُ نَذِيرٌ يَنْذِرُكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ لِمَنْ عَصَى مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى مِنْ جِنْسِ الْإِنْذَارَاتِ السَّابِقَةِ الَّتِي بَعَثْنَا بِهَا إِلَى الْأُمَمِ السَّابِقِينَ، وَ مِنَ الْمَحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهَذَا الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فَهُوَ نَذِيرٌ مِنْ جِنْسِ الْمُنْذَرِينَ «الرَّسُلِ» السَّابِقِينَ.

[٥٨] لَقَدْ أَرْزَقَتْ قُرْبَتِ الْأَرْزَقَةَ الْقِيَامَةَ الَّتِي هِيَ قَرِيبَةٌ إِلَى كُلِّ مَنْ جَاءَ إِلَى دَارِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ خَلَقَ جِسْمَهُ الَّذِي هُوَ مِنَ التُّرَابِ، قَبْلَ مِائَةِ الْأَلُوفِ مِنَ السَّنَوَاتِ، وَ قَدْ خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْوَاحَ قَبْلَ الْأَجْسَادِ بِالْفَى عَامًا، فَإِذَا جَاءَ إِلَى دَارِ الدُّنْيَا فَقَدْ قَرُبَ مَوْتَهُ، وَ إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ قَامَتْ قِيَامَتُهُ، أَوِ الْمُرَادُ الْقِيَامَةُ الْحَقِيقِيَّةُ، لِأَنَّ أَكْثَرَ عُمُرِ الدُّنْيَا قَدْ انْقَضَى - كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْآثَارُ وَ الْعِلْمُ الْحَدِيثُ -.

[٥٩] لَيْسَ لَهَا لِلْآرْزَقَةِ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَحَدٌ غَيْرَ اللَّهِ كَاشِفَةٌ نَفْسَ قَادِرَةٌ عَلَى كَشْفِهَا وَ الْإِتْيَانِ بِهَا، فَإِنَّ الْقِيَامَةَ شَيْءٌ مَخْفَى، فَإِذَا أَقَامَهَا اللَّهُ سَبَّحَانَهُ فَقَدْ كَشَفَهَا، وَ الْمُرَادُ الْكِنَايَةُ عَنْ أَنَّ الْقِيَامَةَ بِيَدِ اللَّهِ تَعَالَى.

[٦٠] إِذْنٌ فَالْإِذْنُ عَلَى هَؤُلَاءِ مِنْ خَوْفِ عِقَابِ الدُّنْيَا - كَمَا فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ - وَ مِنْ خَوْفِ عِقَابِ الْآخِرَةِ - كَمَا فِي هَاتَيْنِ الْآيَاتِينَ - أَنْ يُؤْمِنُوا وَ يَخَافُوا وَ يَعْمَلُوا صَالِحًا، وَ لَكِنَّهُمْ سَادَرُوا فِي غِيهِمْ أَمْ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ حَدِيثِ التَّوْحِيدِ وَ النُّبُوَّةِ وَ الْمَعَادِ مِمَّا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ تَعْجَبُونَ وَ قَدْ كَانَ الْإِذْنُ أَنْ لَا تَعْجَبُوا، لِأَنَّهُ قَدْ قَامَتْ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٧٧

[سورة النجم (٥٣): الآيات ٦٠ إلى ٦٢]

وَ تَضَحَّكُونَ وَ لَا تَبْكُونَ (٦٠) وَ أَنْتُمْ سَامِدُونَ (٦١) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَ اعْبُدُوا (٦٢)

[٦١] وَ تَضَحَّكُونَ اسْتَهْزَاءً وَ لَا - تَبْكُونَ نَدْمًا وَ حَزْنًا عَلَى مَا سَلَفَ مِنْكُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَ الْإِسْتِغْنَاءِ، وَ حَزْنًا عَلَى مَا يَأْتِي مِنَ عِقَابِ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ.

[٦٢] وَ أَنْتُمْ سَامِدُونَ لَاهُونَ وَ هَذِهِ الْاسْتَفْهَامَاتُ اسْتِنكَارِيَّةٌ.

[٦٣] فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَ اعْبُدُوا اخْضَعُوا لَهُ بِالسُّجُودِ وَ الْعِبَادَةِ إِنْ كُنْتُمْ أَرَدْتُمْ الْخَلَاصَ وَ النِّجَاةَ، وَ هَذِهِ السُّجُودَةُ وَاجِبَةٌ، وَ لَعَلَّهَا فِلْسُفَةٌ وَ جُوبَهَا كُوجُوبُ السُّجُودَاتِ الثَّلَاثِ الْآخِرِ وَ اسْتِحْبَابُ غَيْرِهَا مِنَ السُّجُودَاتِ تَلْوِينِ الطَّاعَةِ، كَمَا لَوَّنَ سَائِرَ الطَّاعَاتِ مِنَ صَلَاةٍ وَ صِيَامٍ وَ حَجٍّ وَ

اعتكاف فكل واحد بشكل، و لكل واحد أجزاء بأشكال، و ذلك طبقا للكون الذي هو أشكال و ألوان و الله العالم بحقائق أوامره و أحكامه.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٧٨

٥٤ سورة القمر مكية / آياتها (٥٤)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على كلمة «القمر» و هي كسائر السور المكية تتعرض لقضايا العقيدة بأصولها الثلاثة. و حيث تقدم في آخر سورة النجم «أزفت الآزفة» ابتدأت هذه السورة بذلك أيضا.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نبدأ باسم الله ليكون اسمه الكريم عوناً لنا على الإتمام، إذ التوفيق للإتمام لا يكون إلا بيده سبحانه، و هو الرحمن الذي يرحمنا بالتوفيق الرحيم الذي يرحمنا مرة أخرى بإدامته التوفيق.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٧٩

[سورة القمر (٥٤): الآيات ١ الى ٤]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَ اِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (٢) وَ كَذَّبُوا وَ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَ كُلٌّ مُّسْتَقِرٌّ (٣) وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُّزْدَجَرٌ (٤)

[٢] اَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ الْقِيَامَةُ، و فيها احتمالان كما تقدم في آخر السورة السابقة في «أزفت الآزفة» أو المراد أنه ليس بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلا الساعة، فقد انتهت نبوات السماء به صلى الله عليه و آله و سلم وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ الذي هو من علامات اقتراب الساعة، و قد كان ذلك معجزة لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في قصة طويلة، و قد نقل كتاب «الإسلام يتحدى» ذكر بعض التواريخ الغابرة رؤية الناس لهذا الانشقاق، كما ذكرت بعض الجرائد الكويتية- بعد نزول الغريبين على القمر- رؤيتهم مكان الانشقاق كأنه صار نصفين ثم التحم- مع أنهم مسيحيون لا يؤمنون بنبوة محمد صلى الله عليه و آله و سلم-.

[٣] وَ اِنْ يَرَوْا هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ الْمَعَانِدُونَ آيَةً مُّعْجَزَةً تَدَلُّ عَلَى صِدْقِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ يُعْرِضُوا عَنْهَا وَ لَا يَقْبَلُونَهَا وَ يَقُولُوا اِنْ مَا يَأْتِي بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ مِنْ الْآيَاتِ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ فَهُوَ يَأْتِي بِالسَّحْرِ عَلَى سَبِيلِ الْاِسْتِمْرَارِ.

[٤] وَ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ وَ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ مَا قَرَّرَ عَلَيْهِمُ الْهَوَى وَ الْمِيلَ الْفَسَانِي، لا ما قرره عليهم عقلمهم وَ كُلٌّ مُّسْتَقِرٌّ وَ كُلٌّ أَمْرٌ لَا بَدَّ وَ أَنْ يَنْتَهَى إِلَى مَحَلِّ اسْتِقْرَارِهِ، وَ هَذَا تَهْدِيدٌ لَهُمْ، أَى أَنْ تَكْذِيبُهُمْ لَا بَدَّ وَ أَنْ يَنْتَهَى إِلَى عَاقِبَةِ سَيئِهِ لَهُمْ.

[٥] وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ أَى الْأَخْبَارِ بِاللَّهِ وَ بِالْآخِرَةِ، وَ بِجِزَاءِ الْمُحْسِنِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٨٠

[سورة القمر (٥٤): الآيات ٥ الى ٨]

حِكْمَةٌ بِالْعَمَّةِ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (٥) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ (٦) خُشِعَا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (٧) مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَاْفِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨)

حسننا و المسمى سينا ما فيه كفاية و مُزْدَجَرٌ ازدجار، مصدر ميمي، فلو أنهم كانوا من أهل العقل و الحكمة لكفاهم ما ذكرنا لهم من الوعيد ازدجارا.

[٦] ذلك الذي قلناه لهم من الأنباء حِكْمَةٌ بِالْعَمَّةِ بلغتهم، و قد كانت حكمة بوضع الشيء في موضعه و لكن فَمَا تُغْنِ ما تفيد النُّذُرُ الإنذارات، بالنسبة إلى من يتعامى عنها.

[٧] فَتَوَلَّى أَعْرَضَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنْهُمْ مِنْ بَعْدِ أَنْ أْبْلَغْتَ وَ أَنْذَرْتِ، وَ لَمْ يَقْبَلُوا، لِأَنَّ الْإِنْذَارَ لَا يَنْفَعُ فِيهِمْ فَمَا أَهْوَلُ مَا يَنْتَظِرُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ

فِي يَوْمٍ يَدْعُ الدَّاعِيَ الدَّاعِيَ الَّذِي يَدْعُوهُمْ عِنْدَ الْبُعْثِ، لِيَقُومُوا لِلْحِسَابِ إِلَى شَيْءٍ نُكِّرَ مِنْكَرٍ فَظَعِيعٌ، وَإِنَّمَا كَانَ مِنْكَرًا، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَمْ يَأْلَفْهُ وَلَمْ يَشَاهِدْهُ.

[٨] خُشَعًا جَمَعَ خَاشِعٌ بِمَعْنَى الذَّلِيلِ أَنْبَسَارُهُمْ فَإِنَّ خُشُوعَ النَّفْسِ يَظْهَرُ مِنْ خُشُوعِ الْعَيْنِ يَخْرُجُونَ فِي أَثَرِ النَّدَاءِ مِنَ الْأَجْدَاثِ جَمْعُ جَدَثٍ، بِمَعْنَى الْقُبُورِ كَأَنَّهُمْ جَرَاءٌ مُتَشَبِّهُونَ فِي الْكَثْرَةِ وَالتَّمَوُّجِ وَعَدَمِ النِّظَامِ وَانْتِشَارِهِمْ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

[٩] مُهْطِعِينَ مُسْرِعِينَ إِلَى الدَّاعِ إِلَى الَّذِي يَدْعُوهُمْ إِلَى الْحِسَابِ-

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٨١

[سورة القمر (٥٤): الآيات ٩ الى ١٣]

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوْحِاجِ وَدُسِّرَ (١٣) وَيَوْمَ ذَلِكَ كَلَّمَهُمْ مَطِيعُونَ- يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ أَيْ عَسِيرٌ صَعْبٌ.

[١٠] وَهَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَنَّهُ يَنْتَظِرُهُمْ عَذَابُ الْآخِرَةِ، كَذَلِكَ مِثْلُهُمْ مِثْلُ الْأَقْوَامِ السَّابِقَةِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْأَنْبِيَاءِ وَبِمَا جَاءُوا بِهِ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ الدُّنْيَا فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَبْلَ قَوْمِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَوْمُ نُوحٍ فَقَدْ بَغَوْا وَطَغَوْا وَكَذَّبُوا عَبْدَنَا نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالُوا إِنَّهُ مَجْنُونٌ كَمَا يَقُولُ الْكُفَّارُ بِالنَّبِيِّ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَازْدُجِرَ زَجَرَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ التَّبْلِيغِ بِأَنْوَاعِ الْأَذْيَةِ، لَكِنْ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْتَقَامَ وَلَمْ يَنْصَرِفْ عَنِ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ.

[١١] فَدَعَا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ قَدْ غَلَبَ عَلَيَّ الْكُفَّارُ بِقَوْتِهِمْ الْمَادِيَةَ فَانْتَصِرْ فَاَنْصِرْنِي يَا رَبِّ عَلَيْهِمْ.

[١٢] وَقَدْ اسْتَجَبْنَا دَعَاءَهُ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ مَوَاضِعَ نَزُولِ الْمَطَرِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ أَنْهَمِرُ وَتَسَاقَطَ بِكَثْرَتِهِ، كَأَنَّهُ أَفْوَاهُ الْقُرْبِ.

[١٣] وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا حَتَّى كَانَتْ لَهَا عَيُونَ فَالْتَقَى الْمَاءُ مَاءَ السَّمَاءِ وَمَاءَ الْأَرْضِ عَلَى أَمْرٍ هُوَ إِغْرَاقُ قَوْمِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامِ قَدْ قُدِرَ قَدْرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَحُكْمُ بِهِ.

[١٤] وَحَمَلْنَاهُ أَرْكَبَنَا نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمِنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى سَفِينَةٍ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٨٢

[سورة القمر (٥٤): الآيات ١٤ الى ١٨]

تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٥) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ (١٦) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٧) كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ (١٨)

ذَاتِ الْأَوْحِاجِ أَخْشَابٌ عَرِيضَةٌ، جَمْعُ «لَوْحٍ» وَدُسِّرَ الْمَسَامِيرُ، فَإِنَّهُ جَمْعُ «دَسَارٍ» بِمَعْنَى الْمَسَامِيرِ.

[١٥] تَجْرِي السَّفِينَةُ بِالْمِيَاهِ الْمَحِيطَةِ بِالْأَرْضِ بِأَعْيُنِنَا حَتَّى نَظَرْنَا وَرَعَايَتَنَا، وَالْجَمْعُ بِاعْتِبَارِ أَنَّ كُلَّ حَرَكَةٍ تَحْتَاجُ إِلَى عَيْنٍ تَرَعَاهَا مِنَ الْغُرُقِ وَالْهَلَائِكِ، وَقَدْ فَعَلْنَا ذَلِكَ بِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَزَاءً حَسَنًا مِمَّا لَمِنَ كَانَتْ كُفْرَ لِنُوحٍ الَّذِي كَفَرَ بِهِ قَوْمُهُ.

[١٦] وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا أَبْقَيْنَا خَبَرَ نُوحٍ وَقَوْمَهُ آيَةً عَلامَةً يَعْتَبِرُ بِهَا الْعُقَلَاءُ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ هَلْ هُنَاكَ مِنْ يَعْتَبِرُ بِالقِصَّةِ؟ الْمَبْلُغُ يَعْتَبِرُ بِهِ فَلَا يَهْمُهُ تَكْذِيبُ النَّاسِ، وَالنَّاسُ يَعْتَبِرُونَ فَلَا يَكْذِبُونَ الْمَبْلُغِينَ لِأَنَّ عَاقِبَتَهُمْ تَكُونُ سَيِّئَةً.

[١٧] فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي لِلْمَكْذِبِينَ وَنُذْرٍ إِذْ بَرَأْتِي لَهُمْ، أَلَمْ تَكُنْ عَاقِبَةُ الْمَكْذِبِينَ الْعَذَابُ كَمَا وَعَدْتَهُمْ؟

[١٨] وَهَلْ يَرِيدُونَ أَوْضَحَ بَيَانًا مِنْ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَخُوفِنَاهُمْ بِهِ؟ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ لِيَتَذَكَّرَ بِهِ النَّاسُ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ مَنْ يَتَذَكَّرُ وَيَتَعَطَّى؟ اسْتَهَامَ تَحْرِيطِي، وَ«مَدَّكِرٌ» مِنْ «ادَّكِرُ» أَصْلُهُ «تَذَكَّرُ».

[١٩] وَبَعْدَ قَوْمِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَذَّبَتْ عَادٌ قَبِيلَةَ عَادٍ وَهُمْ قَوْمُ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَعَذَّبْنَاهُمْ بِتَكْذِيبِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي؟ أَلَيْسَ

فِي تَكَرَّارِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٨٣

[سورة القمر (٥٤): الآيات ١٩ إلى ٢٢]

إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّشْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ (٢١) وَ لَقَدْ يَسْرُونَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (٢٢)

العذاب لكل قوم كذبوا، وعظا لكفار قريش؟ فليس لهم أن يقولوا أن عذاب قوم نوح كان من القضايا الاتفاقية.

[٢٠] إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ عَلَى عَادٍ رِيحًا صَرْصَرًا بَارِدَةً شَدِيدَةً الْبَرْدِ فِي يَوْمِ نَحْسٍ شَوْمٍ عَلَيْهِمْ مُّسْتَمِرًّا اسْتَمَرَ الْعَذَابُ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ حَتَّى أَهْلَكَهُمْ.

[٢١] تَنْزِعُ تَقْلَعُ تَلْعُكَ الرِّيحِ النَّاسَ قَوْمِ عَادٍ، مِنْ أَمَاكِنِهِمْ فِي الْغُرْفِ وَ غَيْرِهَا وَ كَانَتْ تَفْتَحُ الْأَبْوَابَ وَ تَخْرُجُ النَّاسَ إِلَى السَّاحَاتِ وَ تَرْفَعُهُمْ عَنِ الْأَرْضِ ثُمَّ تَضْرِبُهُمْ بِهَا، وَ كَانَتْ تَقْلَعُ رُؤُوسَهُمْ عَنِ أَجْسَادِهِمْ فَبَقِيَتْ أَجْسَادُهُمْ كَأَنَّهُمْ أَصُولُ نَخْلٍ مُّثْقَعِرٍ مُنْقَلَعٍ عَنِ مِغَارِسِهِ، وَ لَعَلَّهُمْ كَانُوا يَلْوُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ شِدَّةِ الْأَلْمِ وَ لِأَن يَجْمَعُوا أَنْفُسَهُمْ فِي قِبَالِ الرِّيحِ، وَ لِذَا شَبَّهُوا بِأَعْجَازِ النَّخْلِ.

[٢٢] فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذْرٍ؟ لَعَلَّ وَجْهَ التَّكْرَارِ لِأَجْلِ أَنَّ مِثْلَ هَذَا الْعَذَابِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَحْمَلَ عَلَى أَنَّهُ طَبِيعِي، وَ إِنْ أُمْكِنَ ذَلِكَ فِي الْغُرْقِ.

[٢٣] وَ لَقَدْ يَسْرُونَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَلَمْ نَجْعَلْهُ كَالْكَتَبِ الْفَلَسْفِيَّةِ الَّتِي لَا يَفْهَمُهَا الْإِنْسَانُ إِلَّا بِصُعُوبَةٍ بِالْغَيْهِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ؟ مِنْ يَتَذَكَّرُ فَلَا يَعْصِي حَتَّى لَا يَعْذِبَ كَمَا عَذِبَ الْأُمَمَ السَّابِقَةَ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٨٤

[سورة القمر (٥٤): الآيات ٢٣ إلى ٢٧]

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذْرِ (٢٣) فَقَالُوا أَوْ بَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٢٤) أَلْقَى الذُّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشْتَرٌ (٢٥) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِيرِ (٢٦) إِنَّا مَرْسَلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَبَّهُمْ وَ اضْطَبَّرَ (٢٧)

[٢٤] كَذَّبَتْ قَبِيلَهُ ثَمُودُ قَوْمِ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالنُّذْرِ جَمَعَ نَذِيرِ أَى الْأَنْبِيَاءِ إِذْ تَكْذِيبُ نَبِيٍّ وَاحِدٍ هُوَ تَكْذِيبٌ لِكُلِّ الْأَنْبِيَاءِ.

[٢٥] فَقَالُوا أَوْ بَشَرًا مِّنَّا مِنْ جِنْسِنَا أَوْ مِنْ قَبِيلَتِنَا، لِأَنَّ صَالِحًا كَانَ مِنْ قَبِيلَتِهِمْ وَاحِدًا لَا تَبِعَ لَهُ نَتَّبِعُهُ وَ نَقْبَلُ كَلَامَهُ؟ هَذَا لَا يَكُونُ إِذَا إِذَا إِذَا ابْتَعْنَا بَشَرًا وَاحِدًا لَفِي ضَلَالٍ عَنِ طَرِيقَةِ آبَائِنَا وَ سُعُرٍ جَمَعَ سَعِيرٍ، أَى نَحْرَقُ بِنَارِهِ، كَمَا يَقَالُ فُلَانٌ أَحْرَقَ نَفْسَهُ أَى سَبَّبَ ضِيَاعَ نَفْسِهِ وَ مَالِهِ وَ مُسْتَقْبَلِهِ، إِنَّهُمْ مَا كَانُوا يَقْتَنِعُونَ بِالْبِرْهَانِ، بَلْ كَانُوا يَرِيدُونَ أَنْ يَكُونَ الْهَادِي لَهُمْ مِنْ جِنْسٍ أَعْلَى كَالْمَلَائِكَةِ لَا «مِنَّا» أَوْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَ سَطْوَةٌ وَ شَوْكَةٌ مِثْلَ أَنْ يَكُونَ مَلِكًا أَوْ رَئِيسَ عَشِيرَةٍ.

[٢٦] أَلْقَى الذُّكْرَ الْكِتَابَ وَ الْوَحْيَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا؟ فَلَمَّا ذَا لَمْ يَلْقَ الْوَحْيَ إِلَى مَنْ هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُ مَالًا- أَوْ شَخْصِيَّةً؟ بَلْ هُوَ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَذَّابٌ كَثِيرُ الْكُذْبِ فِي نِسْبَةِ الْوَحْيِ إِلَى نَفْسِهِ أَشِيرٌ حَمَلَهُ بَطْرَهُ عَلَى التَّرَفِّعِ عَلَيْنَا بِادْعَائِهِ النَّبُوَّةَ، فَإِنَّ الْمَتَرَفِّعِينَ لَمَّا يَعْتَادُونَ الْإِشَارَةَ إِلَى النَّاسِ بِالْإِسْتِهْزَاءِ وَ السُّوَاءِ، اشْتَقَّ مِنْ مَادَّةِ الْإِشَارَةِ، الْأَشْرُ بِهَذَا الْمَعْنَى.

[٢٧] سَيَعْلَمُونَ غَدًا حِينَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ مَنْ هُوَ الْكَذَّابُ الْأَشِيرُ هَلْ هُمْ الَّذِينَ أَكْثَرُوا مِنَ الْكُذْبِ أَمْ صَالِحُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

[٢٨] إِنَّا أَى اللَّهُ سَبَّحَانَهُ مَرْسَلُوا النَّاقَةَ مَخْرُجُوهَا مِنَ الْجَبَلِ وَ بَاعَثُوهَا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٨٥

[سورة القمر (٥٤): الآيات ٢٨ إلى ٣١]

وَ نَبَّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ (٢٨) فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذْرٍ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١)

إليهم معجزة لصالح عليه السلام فتنية اختبارا و امتحانا لهم هل يؤمنون بالإعجاز أم لا؟ فأرتقيهم أي انتظرهم و راقبهم هل يؤمنون أم

٤٧

وَاضْطَرُّ عَلَيْهِم بِالِاسْتِمْرَارِ فِي التَّبْلِيغِ وَعَدَمِ الدَّعَاءِ عَلَيْهِمْ مَعَ إِيْذَانِهِمْ لَكَ.

[٢٩] وَتَبَّهْتُهُمْ أَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْمَاءَ الَّذِي كَانَ يَجْرِي نَهْرًا عِنْدَهُمْ قِسِيمَةً بَيْنَهُمْ مَقْسُومٌ لِلنَّاقَةِ يَوْمَ وَلَهُمْ يَوْمٌ، فَإِذَا شَرِبَتِ النَّاقَةُ فِي يَوْمِهَا كُلَّ مَاءِ النَّهْرِ أُعْطِيَتْهُمُ عَوْضَهُ حَلِيبًا كُلُّ شَرْبٍ شَرِبَ الْحِصَّةَ مِنَ الْمَاءِ مُخْتَصِرٌ يَحْضِرُهُ صَاحِبُهُ وَلَا حَقَّ لِأَحَدِهِمَا فِي الْمَاءِ فِي يَوْمِ الْآخِرِ.

[٣٠] فَتَادَوْا ثُمُودَ صَاحِبَيْهِمْ وَهُوَ قَدَارُ الَّذِي كَانَ مِنْ شِرَارِهِمْ فَتَعَاطَى أَخَذَ النَّاقَةَ، وَ لَعَلَّ بَابِ التَّفَاعُلِ مِنْ جِهَةٍ أَنْ قَدَارٌ وَجَمَاعَةٌ مِنْهُمْ أَخَذُوا زِمَامَ النَّاقَةِ حَتَّى أَلْجَوْهَا إِلَى مَكَانٍ يُمْكِنُ عَقْرُهَا فَعَقَرَ قَدَارُ النَّاقَةَ أَيْ جَرَحَهَا وَ قَتَلَهَا.

[٣١] فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذْرِي؟ هَلْ تَرَكْتَ عَذَابَهُمْ لِمَا خَالَفُوا وَكَذَّبُوا أَمْ أَخَذْتَهُمْ بِالْعَذَابِ؟.

[٣٢] إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً صَاحِبَهُمْ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَانخَلَعَتْ بِذَلِكَ قُلُوبُهُمْ فَكَانُوا كَهَيْشِيمِ الْمُخْتَضِرِ كَالْحَشِيشِ الْيَابِسِ الَّذِي يَجْمَعُهُ صَاحِبُ الْمَاشِيَةِ فِي الشِّتَاءِ فِي حَظِيرَتِهِ، وَ لَعَلَّ وَجْهَ التَّشْبِيهِ، أَنَّهُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٨٦

[سورة القمر (٥٤): الآيات ٣٢ الى ٣٦]

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (٣٢) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٣٤) نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتْنَا فَتَمَارَوْا بِالنَّذْرِ (٣٦)

تقطعت أيديهم و أرجلهم و تكومت الأبدان و الأيدي و الأرجل في مكان، كما يتكوم الهشيم المتكسر المجتمع.

[٣٣] وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ لَا يُقَالُ فِي الْقُرْآنِ مُتَشَابِهَاتٌ، لِأَنَّهُ يُقَالُ عَامَةً الْقُرْآنَ مِيسِرُهُ وَ بَعْضُ الْآيَاتِ الْمُتَشَابِهَاتِ لَا يُضِرُّ بِالْعُمُومِ مِنْ حَيْثُ الْعُمُومِ.

[٣٤] كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ فَلَمْ يَقْبَلُوا إِذْ أُنذِرُوا لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ تَكْذِيبُ لُوطٍ تَكْذِيبٌ لِسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ.

[٣٥] إِنَّا جَزَاءً لَتَكْذِيبِهِمْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا رِيحًا تَرْمِيهِمُ بِالْحِجَارَةِ يُقَالُ حَصَبُهُ أَيْ رَمَاهُ بِالْحِجَارَةِ إِلَّا آلَ لُوطٍ لُوطٌ وَ أَهْلُ بَيْتِهِ الْمُؤْمِنِينَ «بِاسْتِثْنَاءِ زَوْجَتِهِ فَإِنَّهَا أَصَابَهَا مَا أَصَابَ الْقَوْمَ لِأَنَّهَا كَانَتْ كَافِرَةً مِثْلَهُمْ» نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ فِي آخِرِ اللَّيْلِ.

[٣٦] وَ إِنَّمَا نَجَّيْنَاهُمْ نِعْمَةً لَهُمْ مِنْ عِنْدِنَا إِذْ كَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ إِمَاتَتُهُمْ فِي ذَلِكَ الْحَالِ، بِدُونِ عَذَابٍ، كَمَا يَمُوتُ كُلُّ خَيْرٍ فِي زَمَانٍ مَا كَذَلِكَ هَكَذَا، كَمَا جَزَيْنَا آلَ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ نِعْمَتَنَا عَلَيْهِ، بِالْإِيمَانِ وَ الطَّاعَةِ، وَ الْمَرَادُ الشُّكْرُ الْقَلْبِيُّ وَ الشُّكْرُ الْعَمَلِيُّ.

[٣٧] وَ قَدْ قَدِمَ سَبْحَانَهُ عَذَابَهُمْ عَلَى ذِكْرِ بِلَاغِ لُوطٍ لَهُمْ، لِبَيَانِ أَنَّ الْعَذَابَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٨٧

[سورة القمر (٥٤): الآيات ٣٧ الى ٣٩]

وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَ نَذْرِي (٣٧) وَ لَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَ نَذْرِي (٣٩) يَأْخُذُ الْمُعْتَدِينَ بِسُرْعَةٍ حَتَّى كَأَنَّ بَقَاءَهُمْ فِي الْحَيَاةِ لَمَحَّةُ عَيْنٍ وَ لَقَدْ أَنْذَرَهُمْ لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِطْشَتِنَا أَخَذْنَا الشَّدِيدَ بِالْعَذَابِ لِمَنْ خَالَفَ أَوْ أَمَرْنَا فَتَمَارَوْا فَتَشَكَّكُوا مِنَ الْمَمَارَاةِ أَيْ الْمَجَادَلَةِ بِالنَّذْرِ وَ أَخَذُوا يَجَادِلُونَ بِالْبَاطِلِ حَوْلَ صَدَقِ لُوطٍ.

[٣٨] وَ لَمْ يَقْتَنِعُوا بِتَكْذِيبِهِ وَ الِاسْتِمْرَارِ فِي فَحْشَائِهِمْ، بَلْ أَضَافُوا عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ الْمَرَاوِدَةُ، الرُّوْحُ وَ الْمَجِيءُ، فَقَدْ جَاءَ آلَ لُوطٍ ضَيْفٌ، فَأَرَادَ قَوْمَهُ أَنْ يَلُوطُوا بِهِمْ، وَ كَانَ أَوْلَئِكَ الضُّيُوفُ هُمُ الْمَلَائِكَةُ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَمَسَحْنَا وَ سَوَّيْنَا بِسَائِرِ الْوُجُوهِ حَتَّى عَمِيَتْ عَيْونُهُمْ وَ شَوَّهَتْ خَلْقَتَهُمْ فَقَلْنَا لَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَ نَذْرِي أَيْ ذُوقُوا عَاقِبَةَ إِذْ نَذَرْتُ لَكُمْ، أَوْ الْمَرَادُ كَأَنَّ لِسَانَ الْحَالِ يَقُولُ لَهُمْ «ذُوقُوا...».

[٣٩] وَ لَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ دَخَلَ الْعَذَابَ عَلَيْهِمْ فِي الصُّبْحِ الْبَاكِرِ، وَ الْبُكْرَةُ أَوَّلُ الصُّبْحِ، وَ دَخُولُ الْعَذَابِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَنْكَرٌ، لِأَنَّهُمْ يَرْجُونَ خَيْرَ النَّهَارِ إِذَا بِهِمْ يَجِدُونَ انْهَادَ الْأَمَالِ بِالْعَذَابِ مُسْتَقِرٌّ فَلَمْ يَكُنْ عَذَابًا عَابِرًا، بَلْ عَذَابٌ اسْتَقَرَّ بِهِمْ حَتَّى أَهْلَكَهُمْ.

إهانتهم من جهة الشماتة ذوقوا مسَّ سَقَرَ مسَّه، أى أصابه، و سقر علم على جهنم.

[٥٠] و حيث إن الكفار كانوا يقولون: ائتنا بعذاب الله إن كنت صادقاً، أجاوبهم القرآن إنا كلُّ شئٍ خَلَقْنَاهُ أى جعلناه بِقَدَرٍ بتقدير خاص، فيوم القيامة، و عذاب هؤلاء، يأتي في الوقت المقدر لهما، و لا تقدم العذاب حسب طلبهم فكما أن كل بذرة تعطى ثمراً، فلثمره بين زرعها و بين إثمارها زمان مقدر، كذلك كل عمل إلى أن يعطى ثمره و جزاءه له وقت مقدر خاص.

[٥١] لكن إذا حان الوقت المقدر، فلا تراجع فيه و لا بطء فيه و ما أمرنا بعذابهم أو بغير ذلك إلا واحِدَةً فلا حاجة للتكرار في الأمر، كما لا تراجع منه إذا أمرنا و هو كَلَمَحٍ بِالْبَصِيرِ حركة البصر، في السرعة فلا يحتاج إلى مقدمات فيجب أن يعرف هؤلاء الكفار أنه إذا حان عذابهم لا تراجع فيه، كما أنه لا يأخذهم تدريجياً ليفكروا في الخلاص بل يأخذهم بغتة.

[٥٢] و لَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ أَشْبَاهَكُمْ من الأمم، و قد عرفتم كيف لم تراجع حين أردنا عذابهم و كيف لم نتدرج في عذابهم بل أخذناهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٩١

[سورة القمر (٥٤): الآيات ٥٢ الى ٥٥]

وَ كُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبْرِ (٥٢) وَ كُلُّ صَغِيرٍ وَ كَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ (٥٣) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَهْرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ (٥٥)

دفعه واحده فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ مَدَّكَرٍ يتذكر، حتى يرجع عن غيه؟.

[٥٣] و لم ننس حتى أصغر شئ فعلوه فعاقبناهم بكل ما ارتكبوا من جرائم و كُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ مكتوب في الزُّبْرِ كتبه الحفظه.

[٥٤] وَ كُلُّ صَغِيرٍ وَ كَبِيرٍ من أعمالهم، كما هو كذلك في كل أعمال البشر مُسْتَطَرٌّ مسطور مكتوب.

[٥٥] إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَهْرٍ جمع نهر بسكون الهاء، و لعل المراد انهم يسبحون في أنهار الجنة، و الظرف مجاز.

[٥٦] فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ في مكان لا كذب فيه، بخلاف الدنيا، فإن مكان الدنيا باعتبار أن ظاهره الراحة و واقعه التعب، كذب عِنْدَ مَلِكٍ ملك، و ملك أكثر دلالة على استقرار ملكه، لأنه صفة مشبهة كشريف مُّقْتَدِرٍ له القدرة على تنفيذ ما وعد من عذاب العصيان و نعيم المطيعين.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٩٢

٥٥ سورة الرحمن مكية أو مدنية / آياتها (٧٩)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتغالها على كلمة «الرحمن» و قد اختلفوا في كونها مكية أو مدنية لكنها أشبه بالسور المدنية لمعالجتها قضايا العقيدة، لا الشريعة. و لما ختمت سورة القمر بذكر الله سبحانه نعمه للإنسان في الآخرة، ابتدأت هذه السورة بذكره سبحانه، و نعمه للإنسان في الدنيا.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نقرن أعمالنا بذكر اسمه تعالى، شعارا لنا بأننا من أتباع الله و المطيعين لأوامره، كما نرجو أن يرحمنا في مستقبل دنيا و آخرتنا، كما في ماضى أمرنا بالخلق أولا، و إعطائنا سائر النعم ثانيا.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٩٣

[سورة الرحمن (٥٥): الآيات ١ الى ٧]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤)

الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥) وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦) وَ السَّمَاءُ رَفَعَهَا وَ وَضَعَ الْمِيزَانَ (٧)

[٢] الرَّحْمَنُ لَأَنَّهُ رَحِمَنٌ «فإن تعليق الأمر على الصفة يفيد العلية».

[٣] عَلَّمَ الْقُرْآنَ إذ لو لا رحمه لم يعلم القرآن و ترك البشر في دياجير الظلام.

[٤] خَلَقَ الْإِنْسَانَ أَمَرَ الخلق، عن التعليم مع أنه مقدم على التعليم زمانا، للدلالة على جلاله العلم حتى أنه لو لا العلم لكان خلق الإنسان قليل الفائدة.

[٥] عَلَّمَهُ الْبَيَانَ بأن يتكلم و يظهر ما في ضميره.

[٦] و إذ ذكر القرآن الإنسان بالنعم التي تدل على علم الله و قدرته و دقة حكمه، جاء الدور للتنبيه على أنه لا مكان للعبثية و الاعتبار في الخلق الشمس و القمر بحسبان قد خلقا و يجريان بحساب معلوم مقدر بلا زيادة و لا نقصا.

[٧] وَ النَّجْمُ الموجود في السماء، و الذي ينجم أى يظهر في الأفق وَ الشَّجَرُ الذى ينجم أى يظهر من الأرض يَسْجُدَانِ خاضعان لله سبحانه، و يسجد ليس بمعنى المستقبل، بل بمعنى الحال أى دائما، أو المراد سجودهما، إذ لكل شىء معرفة بالله و نوع خضوع له، و فى جملة من التفاسير، إن المراد بالنجم النبات الذى لا ساق له، فى مقابل الشجر الذى له ساق.

[٨] وَ السَّمَاءَ رَفَعَهَا اللهُ سبحانه، سواء أريد به المدارات أو الجزئيات،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٩٤

[سورة الرحمن (٥٥): الآيات ٨ الى ١٢]

أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَ أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَ لَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (٩) وَ الْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (١٠) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَ النَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (١١) وَ الْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَ الرَّيْحَانُ (١٢)

أو الأنجم وَ وَضَعَ أى جعل و إنما أتى بهذا اللفظ، ليجعل المقابلة بين الرفع و الوضع الميزان ليوفى كل ذى حق حقه، ففى القضايا التكوينية عدل و حساب دقيق، و كذلك جعل سبحانه للتعامل بين الناس عدلا و حسابا.

[٩] و إنما وضع الميزان ل- أَلَّا تَطْغَوْا وَ تجوروا فى الميزان فى وزن الأشياء إذ لو لم يكن الميزان الذى به توزن الأشياء لحصل الجور فى وزن الأشياء.

[١٠] لكن قسما من الناس أيضا يجورون مع وجود الميزان، بالاحتياى و التطفيف و لذا قال الله سبحانه وَ أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ بِالْعَدْلِ وَ لَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ أى لا تنقصوه، و المراد ما فى الميزان بعلاقة الحال و المحل.

[١١] و إذا تقدم ذكر السماء فلنذكر ما يقابل نعمة السماء من نعمة الأرض فإن الْأَرْضَ وَضَعَهَا اللهُ لِلْأَنَامِ لفائدتهم أحياء و أمواتا.

[١٢] فِيهَا فَاكِهَةٌ إما الثمار أو كل ما يتفكه به وَ النَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ الكم و عاء التمر، و «ذات» باعتبار جنس النخل.

[١٣] وَ الْحَبُّ كَالْحِنْطَةِ وَ الشَّعِيرُ ذُو الْعَصْفِ ورق الزرع، سمي به

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٩٥

[سورة الرحمن (٥٥): الآيات ١٣ الى ١٧]

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (١٤) وَ خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (١٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٦) رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (١٧)

لأنه يعصف به أى يتحرك، و منه «العاصفة» بمعنى الريح الشديدة وَ الرَّيْحَانُ ما يستشم به من الأوراد و نحوها.

[١٤] فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا جمع «إلى» بمعنى النعمة رَبِّكُمَا أيها الجن و الإنس، بقريته «للأنام» و «أيها الثقلان» تُكَذِّبَانِ فإن تكذيبهم برب النعمة و إنكارهم له، كفران للنعمة، و تكذيب لربط النعمة برب النعمة، و تكرار التذكير بهذه الآية «فَبِأَيِّ آلَاءِ...» فى مقابل كثرة تكذيبهم برب النعمة.

[١٥] خَلَقَ اللهُ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ الطين اليابس الذى له صلصلة، أى صوت كَالْفَخَّارِ الخزف فإن الله جعل التراب طينا و لما بقى مدة

صار كالحمى المسنون، ثم ييس و صار صلصالا، كما فى آيات متعددة.

[١٦] وَخَلَقَ الْجَانَّ أبا الجن، أو كل جنى، فكما أن أصل كل فرد منا التراب، كذلك أصل كل جنى النار مِنْ مَارِجٍ صافٍ من الدخان مِنْ نارٍ أى نار مارجة، و يسمى مارجا من مرج بمعنى اضطرب.

[١٧] فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هل تكذبون بنعمة الخلق؟ و من خلقكم إذن؟.

[١٨] اللَّهُ هُوَ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ مشرق الصيف و مشرق الشتاء وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٩٦

[سورة الرحمن (٥٥): الآيات ١٨ الى ٢٣]

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٨) مَرَجَ الْبُحَيْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (٢٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢١) يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجَانُ (٢٢)

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٣)

مغربهما.

[١٩] فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ و هل هناك رب آخر جعل المشرق و المغرب؟ و من هو إذن؟

[٢٠] مَرَجَ الْبُحَيْرَيْنِ خلط بين بحر عذب و بحر مالح يَلْتَقِيَانِ فإن تحت الأرض قطعة من الماء المالح فى البحار، و العذب فى العيون و المخازن الخلقية، و هما متجاوران، و هذا فى بطن ذاك و بالعكس.

[٢١] بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ حاجز لا يَبْغِيَانِ فلا العذب يدخل فى المالح، و لا العكس، و ذلك لقانون خلقه الله فى المائين، مما لا يقبل أحدهما الاختلاط بالآخر، و إنما كل ماء يجذب إلى نفسه أجزاء ما من جنسه، و قد ذكروا تفصيل ذلك فى علم الفيزياء.

[٢٢] فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فهل خلق المائين غير الله؟ و هل جعل هذا القانون فيهما غير الله؟

[٢٣] يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ الدر الذى فى الصدف و الْمَرْجَانُ شجرة تنبت تحت الماء.

[٢٤] فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فهل خلق اللؤلؤ و المرجان من غيره تعالى؟ و من هو إذا؟

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٩٧

[سورة الرحمن (٥٥): الآيات ٢٤ الى ٢٨]

وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فى الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٢٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٥) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فان (٢٦) وَ يَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ (٢٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٨)

[٢٥] وَلَهُ سبحانه الْجَوَارِ جمع جارية أى السفينة، و كونها له لأنه خلق مواردها، و وهب الإنسان عقلا لصنعها و جعل فى الماء قانونا «كشفه أرخميدس» لأجل أن لا تغرق فى الماء المنشآت التى أنشأها و أوجدها الإنسان بفكر و هبه الله له فى الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ جمع علم و هو الجبل الطويل، فكيف أنها لا تغرق فى الماء؟.

[٢٦] فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هل خلق المواد، و إعطاء الإنسان قدرة الإنشاء، أو جعل قانون أرخميدس فى الماء، لغير الله؟، و من يجرأ أن يقول ذلك؟

[٢٧] هكذا أنشأناكم، و هيأنا مصالحكم، ثم بعد ذلك كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا أى على الأرض فإن يفنى و يهلك.

[٢٨] وَ يَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذات ربك، و الإنسان يقال له وجه، فيقال «نحتاج إلى وجوه جديدة» أو «فلان وجه كريم» و ذلك، لأنه محل التوجه، فيطلق على الكل من باب إطلاق الجزء على الكل، كما ذكره فى أقسام المجاز ذُو الْجَلَالِ فهو أجل من أن يفنى و الْإِكْرَامِ الذى أكرم بالخلق ثم يكرم بالإعادة. و الأول: صفة جلال. و الثانى: صفة جمال.

[٢٩] فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فهل تكذبون بأن الله يفنى زيدا و عمروا و بكرا؟ و كل واحد من فناءاته نعمه، نعمه على المؤمن لأنه

ينجيه إلى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٩٨

[سورة الرحمن (٥٥): الآيات ٢٩ إلى ٣٠]

يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٠)
دار كرامته، و على غير المؤمن لأنه لا يزداد عصيانا ببقائه في دار الدنيا.

[٣٠] فهو الخالق، و هو مهئى كل نعمه، و هو المغنى، ثم هو المسؤول لكل حاجة، في كل الكون يَسْئَلُهُ يطلب الحوائج منه مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ مِنَ الملائكة و غيرهم و الْأَرْضِ مِنَ الإنسان و الجن و غيرهما، و ليس الله كالإنسان الذى يجعل القانون ثم لا يغيره و لا يبدله، فلا- شَأْن له في التصرف بعد وضعه القانون بل كُلَّ يَوْمٍ هُوَ سَبِحَانِهِ فِي شَأْنٍ فَإِذَا قَدَرَ الْفَقْرَ ثُمَّ سَأَلَهُ إِنْسَانٌ أَنْ يَغْنِيَهُ أَغْنَاهُ، و هكذا، فهو يتصرف في الكون في كل آن، لا- يقال ما هى الحاجة إلى ذلك و قد كان بقدرته سبحانه أن يكون كصاحب معمل يشغل معمله لحظة، ثم يتركه طيلة حركته، فيخلق الله الكون لحظة، ثم لا يعمل شيئاً؟ لأنه يقال المحال لا يقع تحت قدرة الله تعالى فإن الأشياء عدم بدون استمرار عناية الله بها مثل أن النور عدم بدون إفاضة الشمس دائماً له، و مثال المعمل غير صحيح، لأن صاحب المعمل لا- يأتى إلا بالمعد أى بحركة أعضائه و جوارحه في اللحظة الأولى أما دوران المعمل فهو حسب قانون جعله الله في الكون فالله قائم على دوران المعمل لا إنه يدوره بنفسه كما أن من يضغظ على جهاز الكهرباء أتى بالمعد و انتهى فالإنارة المستمرة إنما هى حسب قانون الله في جريان تيار الكهرباء، و هذا بحث طويل مربوط بالفلسفة.

[٣١] فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ أليس الله يستمر في إعطاء الكون الحياة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٢٩٩

[سورة الرحمن (٥٥): الآيات ٣١ إلى ٣٣]

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ (٣١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٢) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (٣٣)
و البقاء الجديد؟ و أليس كل ذلك آلاء و نعماء.

[٣٢] سَنَفْرُغُ لَكُمْ ستنجرد عن شؤون الدنيا لأجل حسابكم يوم القيامة- إذ لا- دنيا حينئذ- أَيُّهَ الثَّقَلَانِ الْجِنِّ وَالْإِنسِ، و الظاهر أنه تهديد، و كناية على أنه لا عمل إلا حسابكم، فيكون الحساب دقيقاً جداً، فهو مثل قول الرجل لمن يريد تهديده، سأفرغ لك، أى لا يكون لى شغل إلا الإيقاع بك.

[٣٣] فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ لا تكذبوا بآلاء الله حتى لا تقعوا في العذاب يوم القيامة و أهوالها.

[٣٤] إن ذلك التفرغ لشأنكم إنما يكون في يوم لا مفر لأحد من سلطان الله، فيقال للثقلين يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ يا أيها الجماعة إنِ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا أَنْ تَهْرَبُوا مِنْ ثَقْبِ الْكَوْنِ مِنْ أَقْطَارِ جَمْعِ قَطْرٍ بِمَعْنَى الناحية السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لِأَنَّ أَقْطَارَهَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَسْدُودَةٌ فَانْفُذُوا وَ اهْرَبُوا لَكِنْ هِيَآتُ أَنْ تَتَمَكَّنُوا مِنْ ذَلِكَ لَا تَنْفُذُونَ لَا تَقْدِرُونَ مِنَ النَفُوذِ وَ الْهَرَبِ إِلَّا بِسُلْطَانٍ بِحِجَّةٍ وَاضِحَةٍ تَأْتُونَ بِهَا عَلَى أَنْتُمْ عَمِلْتُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنًا، فيعطى لكم جواز التخلص من الحساب إلى سعة الجنة.

أقول: ربما فسر هذه الآية بعض العلماء بعدم إمكان الذهاب إلى أجواء السماء و أعماق الأرض إلا بسلطان العلم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٠٠

تقريب القرآن إلى الأذهان ج ٥ ٣٤٩

[سورة الرحمن (٥٥): الآيات ٣٤ إلى ٣٨]

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُوسِلُ عَلَيْكُمْ سُورًا مِنْ نَارٍ وَ نَحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (٣٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٦) فَإِذَا انشَقَّتْ

السَّمَاءِ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدَّهَانِ (٣٧) فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبُّكُمْ تُكذِّبَانِ (٣٨)

[٣٥] فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبُّكُمْ تُكذِّبَانِ فكما أن الدنيا نعمة، كذلك الحساب نعمة، فإن مثله مثل الامتحان الذي يعطى كل ذى حق حقه، فهل

تكذبان بنعم الحساب التي توجب وصول كل ذى حق إلى حقه؟

[٣٦] فى ذلك اليوم يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا أَيُّهَا الْجَنُّ وَالْإِنْسُ شُواظٌ لَّهَبٍ خَالِصٍ، أو ذرأت النار المتطايرة من نارٍ وَنُحَاسٌ مَذَابٌ حَتَّى

يتأذى بهما الكفرة و العصاة فلا تَنْتَصِرَانِ لا أحد ينصركم من بأس الله، فأمنوا و اعملوا حتى لا يصيبكم مثل هذا العذاب.

[٣٧] فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبُّكُمْ تُكذِّبَانِ لا تكذبوا بالآلاء حتى لا يشملكم مثل هذا العذاب.

[٣٨] فَبِإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ بَانَ كَانَ فِي نَظَرِ النَّاطِقِ كَانَ فِيهَا خَلَلٌ وَ فَرَجٌ، كما أن يوم الحساب ينظر الناس إلى السماء كأن فيها فرج من

أثر وجود الغيم فى بعضها و عدم وجوده فى بعضها فَكَانَتْ السَّمَاءُ وَرْدَةً يَظْهَرُ فِي فَرْجِهَا أَثَارُ الْعَذَابِ الْأَحْمَرِ، لأن النار حمراء

كَالدَّهَانِ كالدَّهْنِ أى عذاب سيال كالدَّهْنِ أَحْمَرٌ كالنار، و جواب «إذا» لا يسأل، كما يأتى.

[٣٩] فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبُّكُمْ تُكذِّبَانِ لا تكذبا حتى لا تبتلوا بأهوال هذا اليوم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٠١

[سورة الرحمن (٥٥): الآيات ٣٩ الى ٤٢]

فَيَوْمَئِذٍ لا- يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لا جَانٌّ (٣٩) فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبُّكُمْ تُكذِّبَانِ (٤٠) يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسَيِّمَاتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَ الْأَقْدَامِ

(٤١) فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبُّكُمْ تُكذِّبَانِ (٤٢)

[٤٠] فَيَوْمَئِذٍ تكرر لقوله سبحانه «فإذا» للتأكيد لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ عَنْ ذَنْبِ أَحَدٍ، إلا نفسه، و جىء بضمير مفرد، لإفادة أن كل إنسان هو

المسؤول عن نفسه فلا يتوهم أنه يمكنه الفرار و إلقاء الأجر على عاتق الغير، كما أن الكبراء فى الدنيا يفعلون كذلك، يلقون أجوبه

الأسئلة المحرجة على عاتق غيرهم إِنْسٌ وَ لا جَانٌّ فكل إنس يجيب عن نفسه و كل جنى يجيب عن نفسه.

[٤١] فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبُّكُمْ تُكذِّبَانِ هل تكذبان؟ و تخلفان هذه المشكلة التي لا مفر منها وراء ظهوركم.

[٤٢] إنه بالإضافة إلى أنهم يسألون فى موطن من موطن القيامة عن أعمالهم، إنهم يعرفون من ألوانهم يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسَيِّمَاتِهِمْ وَ

وجوههم السود و أجسامهم الزرق، فإن أجسامهم تكون كجسم من لفحه برد شديد، و كآبتهم الظاهرة يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌُ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌُ

«١» «زرقاء» وَ وُجُوهٌُ يَوْمَئِذٍ بِاسْرَةٍ (٢) و إنما لم يذكر الصالحون، لأن المقام لتهديد الكفار و العصاة فَيُؤْخَذُ كُلُّ مُجْرِمٍ بِالنَّوَاصِي وَ

الْأَقْدَامِ ظاهر الآية أنهم يجمع الملائكة بين ناصيتهم و أقدامهم لإلقائهم فى جهنم.

[٤٣] فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبُّكُمْ تُكذِّبَانِ لا تكذبوا حتى لا تقعوا فى أمثال هذا العذاب الجسمى و الإهانة النفسية.

(١) آل عمران: ١٠٧.

(٢) القيامة: ٢٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٠٢

[سورة الرحمن (٥٥): الآيات ٤٣ الى ٤٧]

هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ حَمِيمٍ آناً (٤٤) فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبُّكُمْ تُكذِّبَانِ (٤٥) وَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ

جَنَّتَانِ (٤٦) فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبُّكُمْ تُكذِّبَانِ (٤٧)

[٤٤] و يقال لهم حينذاك هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كَانَ يُكذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ فى دار الدنيا فكانوا يقولون لا جنه و لا نار، أرايتم كيف وصلتكم

إليها، و لم ينفعكم تكذيبكم بها فى الخلاص منها.

[٤٥] و المجرمون فى حركة دائمة فيها بين شدة العذاب و العطش و بين شرب الماء الذى هو فى غاية الحرارة يَطُوفُونَ المجرمون، و

الطواف هو الذهاب و المجيء بين نيرانها و بين ماء حميم حار آن من شدة الحرارة قد انتهى حره إلى آخر درجة.

[٤٦] فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فهل لكم طاقة بهذا العذاب حتى تكفروا، و تبتلوا به؟.

[٤٧] هذا حال المجرمين و المكذبين و لمنْ خافَ مَقَامَ رَبِّهِ موقف ربه، أى يوم الحساب و إضافة «مقام» إلى «الرب» لبيان اختصاص الحكم هناك لله سبحانه، لا إن المراد «قيام الله» كما ربما توهم، أى خاف الله فى الدنيا فآمن و عمل صالحا جتّان جنه لجزاء عمله، و أخرى زيادة و تفضلا، كما قال تعالى لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَ زِيَادَةٌ «١» و قوله كَفَلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يَجْعَلُ «٢».

[٤٨] فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ لا تكذبوا بالآلاء حتى تنالوا هذا

(١) يونس: ٢٧.

(٢) الحديد: ٢٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٠٣

[سورة الرحمن (٥٥): الآيات ٤٨ الى ٥٤]

ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢)

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٣) مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرْشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَ جَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤)
الثواب العظيم.

[٤٩] ذَوَاتَا أَفْنَانٍ كل جنه ذات ألوان من النعيم و الثمار و الحور و القصور.

[٥٠] فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ لا تكذبوا حتى تنالوا هذا النعيم ذا الأفنان.

[٥١] فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ فى كل جنه عين، لها صفاء العين، و جمالها، و منظر النهر الجارى.

[٥٢] فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فينما كان ينبغى أن يكون وراء كل مخوف و كل نعمة تصديق، هؤلاء يكذبون، و سيجزون جزاء تكذيبهم.

[٥٣] فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ صنفان شتوى و صيفى أو غريب و مألوف، أو كبير و صغير، أو رطب و يابس، إلى غير ذلك، كل ذلك للتعنى و مزيد النعمة.

[٥٤] فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ بنعمه الظاهرة أو بنعمه الباطنة؟ و هل نعمه قابلة للتكذيب؟

[٥٥] و هؤلاء أصحاب هذا النعيم تراهم فى حال كونهم مُتَّكِنِينَ بحاله راحة و استرخاء على فُرْشٍ جمع فراش بطائنها البطانة مقابل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٠٤

[سورة الرحمن (٥٥): الآيات ٥٥ الى ٦٠]

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٥) فِيهِنَّ قاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَ لَا- حِيَانٌ (٥٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَ الْمَرْجَانُ (٥٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٩)
هَلْ جِزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦٠)

الظاهرة مِنْ إِسْتَبْرَقٍ من ديباج ثخين، يسبب الراحة، فليس فراش ظاهر فقط، حتى لا يستريح الإنسان عليه وَ جَنَى الْجَنَّتَيْنِ أى الذى يجنى منهما و هو الثمر دان متهدل على رؤوسهم يتمكن القاعد و النائم أن يناله بسهولة.

[٥٦] فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هل تكذبان بالآله فى الآخرة.

[٥٧] فِيهِنَّ فى تلك الفرش نساء قاصِرَاتُ الطَّرْفِ مقصورة أبصارهن على أزواجهن لا يردن غيرهم لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ لم يمسهن، لا بالجماع

ولا بغير الجماع إنس قبلهم قبل أهل الجنة ولا جان فزوجه الإنس لم يمسهما إنس و زوجته الجن لم يمسهما جن.

[٥٨] فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ بِآلَائِهِ الَّتِي تُوَكَّلُ وَ تَشْرَبُ أَمْ بِآلَائِهِ مِنْ جِنْسِ الزَّوْجِ وَالِاسْتِمْتَاعَاتِ.

[٥٩] كَأَنَّهُنَّ كَانَتْ تِلْكَ النِّسَاءُ الَّتِي أُقُوْتُ فِي حِمْرَةِ الشَّفَاةِ وَ الْوَجَنَاتِ وَ الْمَرْجَانِ فِي بِيَاضِ الْجِسْمِ وَ الْبَشْرَةِ.

[٦٠] فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فَمِنْ خَلْقٍ مِثْلِ هَذَا الْجَمَالِ الَّذِي رَأَيْتُمُوهُ فِي الدُّنْيَا، فِي الْجَمَلَةِ، وَ سِيرَاهِ الْمُؤْمِنُونَ فِي الْآخِرَةِ فِي كَمَالِهِ الرَّائِعِ؟.

[٦١] ثم أن كل هذا الجزاء لمن أحسن في الدنيا بالإيمان و العمل الصالح

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٠٥

[سورة الرحمن (٥٥): الآيات ٦١ الى ٦٦]

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦١) وَ مِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ (٦٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٣) مُدْهَامَاتٍ (٦٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٥) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ (٦٦)

و هل جزاء الإحسان أى إحسان المؤمنين إلّا الإحسان إليهم فى الآخرة بالثواب و النعيم؟ فإن البذرة تثمر الثمرة التى هى من جنسها.

[٦٢] فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فهل هناك تكذيب بأن الإحسان يولد الإحسان؟.

[٦٣] النعم التى ذكرناها إنما هى للسابقين المقربين و مِنْ دُونِهِمَا أَدْوَانِ وَ أَنْزَلَ مِنَ الْجَنَّتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ جَنَّاتٍ وَ الظاهر أنهما لمن دون المقربين فى الأعمال، أى باقى المؤمنين.

[٦٤] فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فهل يتساوى الأكثر طاعة و الأقل طاعة؟

الأكثر طاعة فى جنتين ريفيتين، و الأقل طاعة فى جنتين أقل درجة، فهل يكذب الإنسان بمثل هذا؟

[٦٥] مُدْهَامَاتٍ مِنْ «دَهْمٍ» بِمَعْنَى السَّوَادِ أَيْ أَنَّ الْجَنَّتَيْنِ خَضِرَاوَاتَانِ تَضْرِبَانِ إِلَى السَّوَادِ مِنْ شِدَّةِ الْخَضْرَاءِ، فَلَا يَبْسُ لِهَمَا.

[٦٦] فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هل تكذب بجمال و نضارة ما يمنحه الله للمطيعين الذين أكرمهم بإسكانهم دار كرامته؟

[٦٧] فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ فَوَارَتَانِ، لَا كَمِثْلِ الْجَنَّتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ حَيْثُ الْعَيُونَ الْجَارِيَةُ الَّتِي هِيَ أَجْمَلُ مِنْ مَجْرَدِ النُّضَاخَةِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٠٦

[سورة الرحمن (٥٥): الآيات ٦٧ الى ٧٣]

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٧) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رُمَّانٌ (٦٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٩) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧١)

حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٣)

[٦٨] فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ أليس فى قدره الله أن يجعل العين تنضخ؟

[٦٩] فِيهِمَا فَاكِهَةٌ مِنْ بَعْضِ أَقْسَامِ الْفَوَاكِهِ وَ نَخْلٌ لِلتَّمْرِ وَ رُمَّانٌ وَ هَذَا أَقْلُ مِمَّا فِي الْجَنَّتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ حَيْثُ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجِينَ.

[٧٠] فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ألا يقدر سبحانه أن يعطى المؤمن أمثال هذا النعيم.

[٧١] فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ نِسَاءً هُنَّ خَيْرٌ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ مِثْلُ «زَيْدِ عَدَلٍ» «حَسَانِ» الْوَجُوهِ وَ هُنَّ أَقْلُ مِنَ الْحُورِ الْقَاصِرَاتِ الطَّرْفِ، فَالسَّابِقَاتُ كَأَنَّهُنَّ اللَّوْلُؤُ وَ الْمَرْجَانُ.

[٧٢] فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فإن الله قادر على أن يجعل المرأة خيرا محضا و حسنة الوجه.

[٧٣] حُورٌ جَمْعُ حُورَاءٍ، كَمَا تَقَدَّمَ وَ هُنَّ الْبِيضَاوَاتُ جَسْمًا مَقْصُورَاتٌ مَحْفُوظَاتٌ مَخْدِرَاتٌ فِي الْخِيَامِ فَأَهْلُ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ لَيْسَ لَهُمْ قُصُورٌ مِثْلُ أَصْحَابِ الْجَنَّتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ بَلْ لَهُمْ خِيَامٌ كَخِيَامِ أَهْلِ الْبَادِيَةِ.

[٧٤] فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ أليست هذه النعمة مما يجب أن يشكر عليها، عوض أن يكفر بها المكذبون؟

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٠٧

[سورة الرحمن (٥٥): الآيات ٧٤ الى ٧٨]

لَمْ يَطْمِئُنْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٧٤) فَبَأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ (٧٥) مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرِفِ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦) فَبَأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ (٧٧) تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٧٨)

[٧٥] لَمْ يَطْمِئُنْهُنَّ لَمْ يَجَامِعْنَهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ فَهِنَّ بَاكَرَاتٍ.

[٧٦] فَبَأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِقَادِرٍ عَلَىٰ مِثْلِ ذَلِكَ.

[٧٧] فِي حَالِ كَوْنِ أَصْحَابِ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرِفِ جَمْعِ رَفْرَفِهِ وَهِيَ الْوَسَادَةُ خُضْرٍ خَضِرَاتٍ وَعَبْقَرِيٍّ كُلِّ ثَوْبِ مُوشَى يُقَالُ لَهُ عَبْقَرِيٌّ، وَ لَعَلَّ عَلَى تِلْكَ الْوَسَائِلِ أَثْوَابٌ جَمِيلَةٌ مُوشَاءُ حِسَانٍ تِلْكَ الرَّفْرِفُ وَالْعَبْقَرِيُّ كُلُّهَا حَسَنَاتٌ وَ هَذِهِ أَقْلُ مَرْتَبَةٍ مِنْ فَرَشٍ بِطَائِفَتِهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ.

[٧٨] فَبَأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ أَلَيْسَ مِثْلُ هَذَا جَزَاءُ الصَّالِحِينَ وَ إِنْ كَانُوا بِدَرَجَةٍ ثَانِيَةٍ مِنَ الصَّلَاحِ؟

[٧٩] تَبَارَكَ مِنْ بَرَكَ بِمَعْنَى الدَّوَامِ وَ الثَّبَاتِ اسْمُ رَبِّكَ وَ دَوَامِ الْاسْمِ كَاشِفٌ عَنِ الدَّوَامِ الْمَسْمُومِ، وَ فِيهِ تَلْمِيحٌ بِالْعِظْمَةِ حَيْثُ لَمْ يَقُلْ «تَبَارَكَ رَبُّكَ» ذِي الْجَلَالِ أَجَلٌ مِنَ الصِّفَاتِ السَّيِّئَةِ الَّتِي لَا تَلِيْقُ بِهِ وَ الْإِكْرَامِ فَلَيْسَ اللَّهُ جَلِيلًا وَ جَمِيلًا لِنَفْسِهِ بَلْ يَكْرَمُ غَيْرَهُ، وَ فِيهِ تَلْمِيحٌ إِلَى صِفَاتِ الْكَمَالِ، إِذْ فَاقَدَ الشَّيْءُ لَا يُعْطِيهِ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ كَرِيمًا لَمْ يَتِمَّ كُنْ مِنْ إِكْرَامِ غَيْرِهِ، وَ الْإِكْرَامُ بِأَصْلِ الْخَلْقِ وَ الْإِبْجَادِ، ثُمَّ بِالْقِيَامِ بِشُؤْنِ الْخَلْقِ، ثُمَّ بِجَزَائِهِمْ جَزَاءً حَسَنًا.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٠٨

٥٦ سورة الواقعة مكية / آياتها (٩٧)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتغالها على كلمة «الواقعة» و هي كسائر السور المكية تعالج قضايا العقيدة، و ربما يقال إن بعض آياتها مدنية. و لما كان الكلام في آخر سورة الرحمن عن «المبدأ» ابتدأت هذه السورة بذكر «المعاد» و هما أساسان من الأسس الثلاث للعقيدة «بإضافة الرسالة».

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نَبْدَأُ بِاسْمِ الْإِلَهِ الَّذِي إِذَا ذَكَرَ اسْمُهُ كَانَ فِيْمَا اقْتَرَنَ بِهِ بِرُكَّةً وَ ثَبَاتٌ وَ دَوَامٌ، فَهُوَ الذَّاتُ الثَّابِتُ الَّذِي لَا زَوَالَ لَهُ وَ لَا-اضْمَحْلَالُ، الرَّحْمَنُ بِخَلْقِهِ كُلِّ مَا فِي الْكَوْنِ، الرَّحِيمُ الَّذِي يَرْحَمُ خَلْقَهُ بِالْعِنَايَةِ وَ الرَّعَايَةِ، وَ لَيْسَ كَمَنْ يَبْدَأُ بِالْخَيْرِ ثُمَّ يَقْطَعُ خَيْرَهُ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٠٩

[سورة الواقعة (٥٦): الآيات ١ الى ٨]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٤)

وَ بُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُتْبِثًا (٦) وَ كُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨)

[٢] إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ إِذَا حَدَثَتِ الْقِيَامَةُ وَ جَاءَتْ وَ سُمِّيَتْ بِالْوَأْقَعَةِ لِتَحَقُّقِ وَقُوعِهَا.

[٣] لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا نَفْسٌ كَاذِبَةٌ فَكُلٌّ يَصْدُقُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ صَحْتُهُ، وَ إِنْ كَانَ جَمَاعَةٌ يَنْكُرُونَهُ فِي الدُّنْيَا، وَ هَذَا كَمَالٌ يُقَالُ إِذَا وَقَعَتْ فِي السَّجْنِ تَصَدَّقَ كَلَامِي بِأَنْ مَا تَعْمَلُهُ الْآنَ لَيْسَ مِنْ صِلَاحِكَ.

[٤] وَ هَذِهِ الْوَاقِعَةُ خَافِضَةٌ تُخْفِضُ وَ تَنْزِلُ بِالْكَفَّارِ وَ الْعِصَاةِ الَّذِينَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا، يَنْظُرُ النَّاسُ فِي رَفْعِهِ وَ سَمُو رَافِعَةٌ تُرْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُطِيعِينَ الَّذِينَ كَانُوا فِي دَارِ الدُّنْيَا، يَنْظُرُ النَّاسُ فِي ذَلِّ وَ هَوَانِ.

[٥] و يكون ذلك فيما إذا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا تحركت تحركا شديدا بالزلازل التي هي من علائم الساعة.

[٦] وَبَسَّتِ الْجِبَالُ فَتَتْ وَ تحركت بَسًّا مفعول مطلق لبيان شدة التفتت و الحركة.

[٧] فَكَانَتْ هَبَاءَ هَبَاءٍ الهباء الذي يرى من الذرات في شعاع الشمس إذا دخل الشعاع في كوة في غرفة مظلمة مُتَبِّثًا منتشرًا.

[٨] وَكُنْتُمْ أَيُّهَا الْبَشَرُ أَزْوَاجًا أصنافا ثلاثة المقربون و أصحاب اليمين، و أصحاب الشمال.

[٩] فصنف أصحاب الْمَيْمَنَةِ أصحاب اليمين ما أصحاب الْمَشْأَمَةِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣١٠

[سورة الواقعة (٥٦): الآيات ٩ الى ١١]

وَ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١)

ما أعظم حالهم إذ هم في خير سعادة و بركة.

[١٠] وَ صَنَفَ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ أصحاب الشؤم و هم أهل النار ما أصحاب الْمَشْأَمَةِ ما أعظم حالهم في العذاب، مثل فَعَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ

ما غَشِيَهُمْ «١».

[١١] وَ صَنَفَ السَّابِقُونَ وَ لا حاجة إلى ذكر التهويل في حالهم، كالصنفين السابقين فإنهم معروفون بأنهم السَّابِقُونَ يسبقون إلى الجنة

بغير حساب.

[١٢] أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ إلى رضوان الله سبحانه، مما لم يلحقهم أحد من المؤمنين، و هم الأنبياء و الأوصياء و الأولياء.

لا يقال إن صفاء جوهر الأنبياء و الأوصياء سبب إطاعتهم، فأية فضيلة لهم و لو كان غيرهم خلق صافي الجوهر لكان كذلك؟ لأنه

يقال بالإضافة إلى أن خلق عدم صافي الجوهر يوجب نقصا في الخلق، و بخلا عن الفيض، و كلاهما تمتنع على الله، أنهم إنما صفي

جوهرهم لأنهم أجابوا بالطاعة في عالم الدر، بما لم يجب غيرهم بمثلهم فلو فرض تساويهم مع غيرهم، لكنهم أجابوا بالطاعة، فصفي

جوهرهم، فكان ذلك جزاء العمل لا اعتباطا، و لذا

ورد في دعاء الندبة «بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية و زخرفها و زبرجها فشرطوا ذلك و علمت منهم الوفاء،

فقبلتهم

(١) طه: ٧٩. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣١١

[سورة الواقعة (٥٦): الآيات ١٢ الى ١٧]

فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى (١٣) وَ قَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١٤) عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (١٥) مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦)

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَ لَدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٧)

و قربتهم»

«١» و البحث طويل مكانه كتب الفلسفة الإسلامية.

[١٣] و المقربون في جَنَّاتِ النَّعِيمِ التي ملأت نعمه و فيرة بحيث لا مكان للشر فيها.

[١٤] ثَلَاثَةٌ أي جماعة كثيرة من الْأُولَى الأمم السابقة من لدن آدم عليه السَّلام إلى محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، و ذلك لأن

الأنبياء و الأوصياء كانوا في هذه الفترة.

[١٥] وَ قَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ كمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ و أهل بيته و من إليهم و هم أقل عددا من السابقين، كما هو واضح.

[١٦] و هم عَلَى سُرُرٍ جمع سرير مَوْضُونَةٍ أي منسوجة بالذهب و اللؤلؤ.

[١٧] مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا في حاله راحة و استرخاء مُتَقَابِلِينَ بعضهم مقابل بعض للتحدث و مزيد السرور.

[١٨] يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الطَّوْفَ الذَّهَابِ وَ الْمَجَىءِ، وَ لَذَا يُقَالُ طَافَ بِالْبَيْتِ، وَ لَا يَلْزَمُ الدَّوْرَ وَ لَذَا يُقَالُ طَافَ بِالصَّفَا وَ الْمَرْوَةِ وَ لَذَا أَوْلَادُ كَالْخَدْمِ، فَالْحَوْرُ خَادِمَاتُ، وَ الْوَلْدَانُ خَدَمٌ مُخَلَّدُونَ بَاقُونَ دَائِمًا عَلَى هَيْئَتِهِمْ لَا يَهْرَمُونَ وَ لَا يَمُوتُونَ.

(١) مفاتيح الجنان: ث ٦٠٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣١٢

[سورة الواقعة (٥٦): الآيات ١٨ الى ٢٥]

بِأَكْوَابٍ وَ أَبَارِيقٍ وَ كَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٨) لَا يُصَدِّعُونَ عَنْهَا وَ لَا يُنْزِفُونَ (١٩) وَ فَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَ لَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَ حُورٍ عِينٍ (٢٢)

كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جِزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَ لَا تَأْتِيماً (٢٥)

[١٩] بِأَكْوَابٍ جَمْعُ كُوبٍ إِنْاءٌ لَا- عَرْوَةٌ لَهُ وَ لَا- خَرْطُومٌ وَ أَبَارِيقٌ جَمْعُ إِبْرِيقٍ مَا لَهُ عَرْوَةٌ وَ إِبْرِيقٌ وَ كَأْسٌ مِنْ مَعِينٍ الْمَاءِ الْمَعِينِ وَ هُوَ الزَّلَالُ الْعَذْبُ الطَّعْمِ، وَ لَعَلَّ الْمُرَادَ بِهِ الْخَمْرُ بِقَرِينَةِ الْآيَةِ الْآتِيَةِ.

[٢٠] لَا- يُصَيِّدُونَ عَنْهَا لَا- يَأْخُذُهُمُ الصَّدَاعُ، وَ هُوَ وَجَعُ الرَّأْسِ كَمَا أَنَّ مَنْ يَشْرَبُ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا يَأْخُذُهُ الصَّدَاعُ وَ لَا- يُنْزِفُونَ لَا يَسْكُرُونَ، لِأَنَّ مَنْ سَكَرَ فَقَدْ «نَزَفَ» أَيْ سَالَ عَقْلَهُ وَ خَرَجَ مِنْ رَأْسِهِ.

[٢١] وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْوَلْدَانُ بِ فَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ يَخْتَارُونَ.

[٢٢] وَ بَ لَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ يَرِيدُونَ.

[٢٣] وَ حُورٍ عِينٍ عَطْفٌ عَلَى «وَلْدَانٍ» أَيْ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ حُورٌ عِينٌ، وَ كَأَنَّ ذَلِكَ كُنْيَاةٌ عَنْ تَهَيُّو الْفَرَّاشِ لَهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ.

[٢٤] وَ هُنَّ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ فِي الصَّفَاءِ وَ النُّضَارَةِ فَإِنَّ اللُّؤْلُؤَ إِذَا لَمْ يَكُنْ وَ لَمْ يَحْفَظْ قَلَّ صَفَاؤُهُ.

[٢٥] يُعْطَى أَهْلَ الْجَنَّةِ كُلِّ ذَلِكَ جِزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أَعْمَالَهُمُ الَّتِي عَمَلُوهَا فِي الدُّنْيَا.

[٢٦] لَا- يَسْمَعُونَ فِيهَا فِي الْجَنَّةِ لَغْوًا أَيْ كَلَامًا لَغْوًا وَ لَا- تَأْتِيماً نَسْبَةً إِلَى الْإِثْمِ، فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَ الْأَوْلِيَاءَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا

يسمعون

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣١٣

[سورة الواقعة (٥٦): الآيات ٢٦ الى ٣٢]

إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا (٢٦) وَ أَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٨) وَ طَلْحٍ مَنضُودٍ (٢٩) وَ ظِلِّ مَمْدُودٍ (٣٠) وَ مَاءٍ مَسْكُوبٍ (٣١) وَ فَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢)

اللُّغُو مِنْ أَقْوَامِهِمْ وَ يَنْسَبُونَهِمْ إِلَى الْإِثْمِ فَيُقَالُ لَهُمْ، إِنَّهُمْ آثِمُونَ لِتَرْكِهِمْ أَدْيَانَ قَوْمِهِمْ وَ اتِّخَاذِهِمْ دِينًا جَدِيدًا، لَكِنْ فِي الْجَنَّةِ لَا شَيْءَ مِنْ هَذِينَ فَقَدْ ذَهَبَ الْأَتْعَابُ وَ صَارُوا فِي رَاحَةٍ وَ رِفَاهٍ.

[٢٧] إِلَّا اسْتِنَاءً مَنْقُطَعٌ قِيلًا قَوْلًا سَلَامًا سَلَامًا هَذَا يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ وَ يَسْلَمُ، وَ ذَاكَ يَدْخُلُ وَ يَسْلَمُ، وَ هَكَذَا.

[٢٨] وَ الصَّنْفُ الثَّانِي أَصْحَابُ الْيَمِينِ الَّذِينَ هُمْ دُونَ الْمُقَرَّبِينَ مَرْتَبَةً، وَ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ الصَّالِحُونَ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ لَا يَتَكَلَّمُ حَوْلَهُمْ مِنَ السَّعَادَةِ وَ الرِّفَاهِ الَّذِينَ هُمْ فِيهِمَا.

[٢٩] هُمْ يَعِيشُونَ فِي جَنَّاتٍ نَضْرَةٌ فِي سِدْرٍ النَّبِقِ مَخْضُودٍ قَدْ خَضَدَ شَوْكُهُ فَلَا شَوْكَ فِيهِ.

[٣٠] وَ طَلْحٍ شَجَرِ الْمَوْزِ مَنضُودٍ قَدْ نَضَدَ وَ رَتَبَ ثَمْرَهُ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ.

[٣١] وَ ظِلِّ لَا شَمْسَ فِيهَا تُؤْذِيهِمْ مَمْدُودٍ لَا يَزُولُ كَمَا يَزُولُ ظِلُّ الدُّنْيَا وَ تَنْسَخُهُ الشَّمْسُ.

[٣٢] وَ مَاءٍ مَسْكُوبٍ دَائِمُ السَّكْبِ، لَا يَنْقَطِعُ حَتَّى يَحْتَاجُونَ إِلَى عِنَاءِ تَحْصِيلِهِ.

[٣٣] وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَافْرَةٍ مُسْتَمِرَّةٌ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣١٤

[سورة الواقعة (٥٦): الآيات ٣٣ الى ٤٠]

لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُورٍ مَرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرْبًا أَتْرَابًا (٣٧)
لِلْأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨) ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى (٣٩) وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (٤٠)

[٣٤] لا- مَقْطُوعَةٍ كما في فواكه الدنيا حيث تكون في فصل دون فصل ولا مَمْنُوعَةٍ لا يمنع عن أخذها أحد، فهي مباحة لكل أهل الجنة.

[٣٥] وَفُورٍ مَرْفُوعَةٍ نساء مرفوعات في الأخلاق و الجمال كما يقال فلان إنسان رفيع، و عبر عن النساء الحوريات بالفراش لافتراض الأزواج لهن.

[٣٦] إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ ابتدأنا خلقهن إنشاءً بدون ولادة، كما في نساء الدنيا.

[٣٧] فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا دائمات البكارة ليتلذذ الأزواج بهن أكثر، و كذلك هن يتلذذن أكثر، لأنه لا وجم لهن، و لا صعوبة لأزواجهن في افتضاضهن.

[٣٨] عُرْبًا جمع عروب بمعنى المحبة للزوج أتراباً جمع ترب بمعنى المتساويات مع أزواجهن في السن، لا الصغيرة التي يرى الزوج منها عنتا و لا الكبيرة التي يكرهها زوجها لكبر سنها.

[٣٩] كل ذلك النعيم لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة و هم المؤمنون من الأمم.

[٤٠] ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى جماعة كثيرة من الأمم السابقة.

[٤١] وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ من أمه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣١٥

[سورة الواقعة (٥٦): الآيات ٤١ الى ٤٧]

وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِنْ يَحْتُمُونَ (٤٣) لا- بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (٤٤) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥)

وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ (٤٦) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧)

[٤٢] وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ و هم الصنف الثالث من البشر و الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار ما أَصْحَابُ الشَّمَالِ فهم في أهوال كثيرة، حتى لا يمكن أن يتصور أحوالهم.

[٤٣] فِي سَمُومٍ نيران تنفذ إلى مسام الجلد وَحَمِيمٍ ماء متناه في الحرارة.

[٤٤] وَظِلٍّ مِنْ يَحْتُمُونَ دخان أسود فهم في النار ذات دخان لا يرون مكانا.

[٤٥] لا بَارِدٍ كسائر الظلال وَلا كَرِيمٍ و لا نافع كما في دخان الدنيا إذ قد يمنع الدخان حر الشمس و نحوها.

[٤٦] و لماذا يذوقون هذا العذاب المؤلم؟ ل إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ في دار الدنيا مُتْرَفِينَ يعيشون في الترف و هو الانهماك في الملذات و الشهوات.

[٤٧] وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ لعهد الله أي نقضه الْعَظِيمِ و هو الشرك، لأن الله أخذ الميثاق من كل البشر بأن يؤمنوا به، ثم هؤلاء حنثوا عهد الله.

[٤٨] و بالإضافة إلى إنكارهم المبدأ و كانوا يَقُولُونَ أَإِذَا هَمَزَ لَلِاسْتِفْهَامِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣١٦

[سورة الواقعة (٥٦): الآيات ٤٨ الى ٥٤]

أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (٤٨) قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٥٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكذِّبُونَ (٥١) لَأَكَلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ (٥٢)

فَمَا لَوْ أَنَّ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤)

الإنكارى منّا وَ كُنَّا تُرَابًا لِحومنا وَ عِظَامًا ظهرت عظامنا أ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ فَأَنكروا المعاد أيضا.

[٤٩] أَوْ وَ هَلْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ الَّذِينَ صَارُوا تُرَابًا يبعثون؟ «فالهزمة» للاستفهام و «الواو» للعطف على ضمير «مبعوثون».

[٥٠] قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ لَهُمْ نَعَمْ يبعث الجميع إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ كَلَّهْمُ أَجْمَعُ.

[٥١] لَمَجْمُوعُونَ تَحْتَ التُّرَابِ إِلَى مِيقَاتٍ وَ قَتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، حَيْثُ يبعث كلهم مرة واحدة.

[٥٢] ثُمَّ بَعْدَ الْبَعْثِ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ عَن طَرِيقِ الثَّوَابِ الْمُكذِّبُونَ بِاللَّهِ وَ بِرَسُولِهِ وَ بِالْمَعَادِ.

[٥٣] لَأَكَلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ وَ هُوَ شَيْءٌ فِي غَايَةِ الْمَرَارَةِ.

[٥٤] فَمَا لَوْ أَنَّ تَمَلُّونَ مِنْهَا مِنْ تَلَكُ الثَّمَرَةِ الْمَرَّةَ الْبُطُونَ فَإِنَّهُمْ لَشَدِيدُ جُوعِهِمْ يَأْكَلُونَ مِنْهَا إِلَى حُدُودِ الْإِمْتَلَاءِ.

[٥٥] ثُمَّ يعطشون أشد العطش فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ عَلَى الزُّقُومِ مِنَ الْمَاءِ الْحَمِيمِ الَّذِي هُوَ غَايَةُ الْحَرَارَةِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣١٧

[سورة الواقعة (٥٦): الآيات ٥٥ الى ٦٠]

فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هَذَا نُزِّلَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (٥٦) نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ (٥٧) أَمْ فَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَمْ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩)

نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠)

[٥٦] فَشَارِبُونَ تَكَرَّرَ الْفَاءُ لِيَبَانَ أَنَّهُمْ يَشْرَبُونَ وَ يَشْرَبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ مِثْلَ شَرَبِ الْإِبِلِ الْعَطْشَانَ الَّذِي هُوَ فِي غَايَةِ الْعَطْشِ فَإِنَّ الْإِبِلَ الَّذِي بِهِ «الهيام» وَ هُوَ دَاءُ الْإِسْتِسْقَاءِ، يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الشَّيْءِ الْكَثِيرِ جَدًّا، وَ هِيمٌ جَمْعُ أَهِيمٍ وَ هِيَمَاءٌ.

[٥٧] هَذَا نُزِّلَهُمْ لِنَزْلِ مَا يَعِدُ لِلضَّيْفِ يَوْمَ الدِّينِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

[٥٨] وَ هَذَا جَزَاءُ تَكْذِيبِكُمْ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدَّقُونَ فَلَمَّا ذَا لَمْ تَصَدِّقُوا بِمَنْ خَلَقَكُمْ، وَ لَا بِرَسُولِهِ، وَ لَا بِمَا أَخْبَرَ مِنْ بَعْثِهِ؟

[٥٩] وَ كَيْفَ تَكْذِبُونَ بِاللَّهِ وَ أَنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّ كُلَّ مَا حَوْلَكُمْ هُوَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ؟

أَمْ فَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ مَا تَقْدِفُونَهُ فِي الْأَرْحَامِ مِنَ النُّطْفِ.

[٦٠] أَمْ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ تَجْعَلُونَهُ بَشَرًا سِوَا أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ وَ إِذَا اعْتَرَفْتُمْ بِأَنَّكُمْ لَا تَخْلُقُونَهُ فَلَمْ تَكْذِبُوا بِخَالِقِهِ؟

[٦١] ثُمَّ الْمَوْتُ الَّذِي يَأْتِيكُمْ بِغَيْرِ إِرَادَةٍ مِنْكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ سَبَبُ الْمَوْتِ أَوْ اللَّهُ؟

وَ إِذَا كَانَ اللَّهُ هُوَ الْمُقَدِّرُ لِلْمَوْتِ فَلَمَّا ذَا تَكْفُرُونَ بِهِ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ فَكُلُّ إِنْسَانٍ يَمُوتُ حَسْبَ تَقْدِيرِ اللَّهِ وَ إِرَادَتِهِ وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ بِمَعْلُوبِينَ تَشْبِيهِهُ بِأَنْ يَسْبِقَ إِنْسَانٌ إِنْسَانًا فَلَا يَقْدِرُ الْمَسْبُوقُ لِلْحَاقِّ بِالسَّابِقِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣١٨

[سورة الواقعة (٥٦): الآيات ٦١ الى ٦٥]

عَلَى أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَالِكُمْ وَ نُنشئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١) وَ لَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَدْكُرُونَ (٦٢) أَمْ فَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَمْ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلَّتُمْ تَفْكُهُونَ (٦٥)

[٦٢] عَلَى أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَالِكُمْ بِأَنْ نَذْهَبَ بِكُمْ وَ نَأْتِيَ بِغَيْرِكُمْ - مِنْ مِثْلِكُمْ - مَكَانِكُمْ وَ نُنْشِئُكُمْ نَخْلُقُكُمْ خَلْقًا جَدِيدًا فِي مَا أَيْ فِي صُورَةٍ لَا تَعْلَمُونَ لَا تَعْلَمُونَهَا كَأَنْ نَجْعَلَكُمْ قَرْدَةً أَوْ خَنَازِيرًا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ.

[٦٣] وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ كَيْفَ أَنْشَأْنَاكُمْ فَلَوْ لَا تَذَكَّرُونَ فلما ذا لا تتذكرون أن من يقدر على الإنشاء أولاً يقدر على الإنشاء ثانياً؟
فكيف تنكرون البعث؟.

[٦٤] ثم ليس خلقكم أنتم من الله فقط بل كل شيء هو من خلق الله أفرأيتم ما تحرثون تبتدون حبه لأجل الزراعة و الثمر.
[٦٥] أأنتم تزرعونته تبتونه أم نحن الزارعون و لا أحد يقدر أن يقول إنه هو الزارع للنبات كما أنه لا أحد يقدر أن يقول إن الزارع له هو الطبيعة، فهل الطبيعة الجاهلة العاجزة تقدر على مثل هذا الشيء، و إذا صدق الإنسان أن الله هو الزارع الذى يجعل من الأرض الميته نباتا حيا، سهل عنده أن يصدق أن الله قادر على إعادة الإنسان بعد موته.

[٦٦] لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا هَشِيمًا متحطما عوض أن ننمى النبات حتى نجعله شجرة ذات ثمرة فإذا فعلناه هشيما لظلمت تفكهنون

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣١٩

[سورة الواقعة (٥٦): الآيات ٦٦ الى ٧٢]

إِنَّا لَمُعْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْ لَا تَشْكُرُونَ (٧٠)

أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ (٧٢)

تتكلمون فى مجالسكم، من جهة التعجب و الندم على ما أنفقتم فى الأرض لأجل الزرع، و المراد أنكم لا تقدرون أمام قدرة الله بجعله النبات هشيما إلا التكلم فقط.

[٦٧] إِنَّا لَمُعْرَمُونَ ملزمون بغرامه ما أنفقنا.

[٦٨] بَلْ تَقُولُونَ بِالْإِضَافَةِ إِلَىٰ غِرَامِهِ مَا أَنْفَقْنَا نَحْنُ قَوْمٌ مَّحْرُومُونَ حرماننا من رزقنا.

[٦٩] أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ هو ماء عذب صالح للشرب.

[٧٠] أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ مِنَ السَّحَابِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ بقدرتنا؟

و هل هناك أحد يقول أنا أنزلت الماء؟.

[٧١] لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا مالحا يمجح الطبع فلَوْ لَا تَشْكُرُونَ أمثال هذه النعم التى هى ضرورية لحياتكم، و لو إنا ما أعطيناها لكم، لم يكن لكم علاج فى تحصيلها، إلا التفكير و التحسر.

[٧٢] أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ تخرجونها من الخشب و نحوه.

[٧٣] أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا خَلَقْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ و هل هناك أحد يقول إنه أنشأ شجرتها.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٢٠

[سورة الواقعة (٥٦): الآيات ٧٣ الى ٧٦]

نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَ مَتَاعًا لِلْمُقِيمِينَ (٧٣) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٧٤) فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّمَنْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦)

[٧٤] نَحْنُ جَعَلْنَاهَا النَّارَ تَذَكُّرًا تذكركم بنعمه الله، و بنار الآخرة، حتى تشكروه سبحانه على هذه النعمة، و تخافوا من عذاب يوم القيامة و متاعاً منفعة يتمتع بها الإنسان فى طبخه و تدفئته و قضاء سائر حوائجه المحتاجة إلى النار للمُقِيمِينَ يقال أقوى منذ أيام أى لم أكل طعاما فالمقيمون هم الذين يحتاجون إلى الطعام، و لعله من حمل الضد على الضد، حيث إن خالى البطن لا يقوى فحمل على من «يقوى» بأكله الطعام.

[٧٥] و إذ عرفت كثرة نعم الله عليك فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ نزهه عما لا يليق به، و الباء فى «باسم» مثل اللام فى «سبح لله» للتقوية العظيمة

صفة الرب.

[٧٦] وحيث فرغ عن إثبات الألوهية جاء دور إثبات الرسالة، و ذلك بسبب بيان أن القرآن من عند الله سبحانه فلا أقسم هذا صيغة تشير إلى الحلف، ليكون للكلام قوة الحلف، مع عدم الحلف احتراماً للمحلف به، ف «لا» نافية بمواقع النجوم إذ القوة الهائلة التي تحفظ النجوم الكبار، و التي بعضها ستون مليون مرة أكبر من الشمس، الشمس التي هي أكبر من الأرض بأكثر من مليون مرة، إن تلك القوة من العظمة مما ينبغي أن يحلف بها.

[٧٧] وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ لَعَلِمْتُمْ أَنَّهُ عَظِيمٌ بل خارج عظمته من

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٢١

[سورة الواقعة (٥٦): الآيات ٧٧ الى ٨١]

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠) أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (٨١)

طوق فهم البشر و إدراكهم.

[٧٨] إِنَّهُ الشَّيْءُ الْمَنْزُورُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ لَهُ كَرَامَةُ الْوَحْيِ وَ هُوَ يَكْفِي لِإِصْلَاحِ الْمَعَاشِ وَ الْمَعَادِ.

[٧٩] فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ مَكْتُوبٍ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ عِنْدَ اللَّهِ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ لِهَدَايَةِ الْبَشَرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

[٨٠] لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ إِلَّا الْمَلَائِكَةُ فَإِذَا كَانَ شَأْنُهُ هُنَاكَ فِي الْعَالَمِ الْأَعْلَى مِثْلَ هَذَا الشَّأْنِ، فَالْإِزْمُ تَقْدِيرُهُ حَقٌّ قَدْرُهُ فِي هَذَا الْعَالَمِ، وَ هَذَا حَسَبَ ظَاهِرِ الْآيَةِ، وَ مَا وَرَدَ فِي تَفْسِيرِهَا بِطَوْنٍ أَوْ تَأْوِيلٍ أَوْ مَا أَشْبَهَ «١»، وَ لَا مَنَافَاةَ بَيْنَ الْجَمِيعِ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي كِتَابِ «حَوْلِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ» «٢».

[٨١] وَ هُوَ تَنْزِيلٌ أَيْ مَنْزِلٌ، فَهُوَ مِنْ قَبِيلِ «زَيْدٌ عَدْلٌ» مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْزَلَهُ لِصَالِحِ الْكُونَ إِلَى الْأَبَدِ.

[٨٢] أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ الشَّيْءِ الْحَادِثِ الَّذِي هُوَ الْقُرْآنُ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ مَتَهَاوِنُونَ؟ كَمَنْ يَدُهْنُ فِي الْأَمْرِ أَيْ يَلِينُ جَانِبَهُ تَهَاوِنًا، وَ أَصْلُهُ اسْتِعْمَالُ الدَّهْنِ لِلِينِ الْجِسْمِ.

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٧٧ ص ٢٥٥.

(٢) موسوعة الفقه: ج ٩٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٢٢

[سورة الواقعة (٥٦): الآيات ٨٢ الى ٨٦]

وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ (٨٢) فَلَوْ لَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ (٨٣) وَ أَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْ لَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦)

[٨٣] وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَيْ سَبَبَ رِزْقِكُمْ، أُطْلِقَ عَلَيْهَا الرِّزْقَ بِعِلَاقَةِ السَّبَبِ وَ الْمَسَبِّ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ تَكْذِيبِكُمْ لِهَذَا الْقُرْآنِ الْمَوْصُوفِ بِالصِّفَاتِ السَّابِقَةِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَرُونَ أَنَّ اسْتِمْرَارَ رِزْقِهِمْ إِنَّمَا هُوَ بِالتَّجَافِي عَنِ الْقُرْآنِ وَ التَّكْذِيبِ لَهُ، كَمَا يُقَالُ «جَعَلَ فُلَانٌ رِزْقَهُ الزُّنَى» أَيْ جَعَلَهُ مَمْرَ رِزْقِهِ.

[٨٤] نَعَمْ سَتَرُونَ جِزَاءَ تَكْذِيبِكُمْ عِنْدَ مَا يَأْتِيكُمْ الْمَوْتُ وَ لَا عِلَاجَ لَكُمْ فِي دَفْعِهِ فَلَوْ لَا فَهَلَا إِذَا بَلَغَتِ النَّفْسَ الْحُلُقُومَ لِأَنَّ النَّفْسَ تَخْرُجُ مِنَ الرَّجْلِ إِلَى الْحَلْقُومِ، ثُمَّ إِلَى الرَّأْسِ، وَ ذَكَرَ الْحَلْقُومَ مِنْ جِهَةِ شُعُورِ الْإِنْسَانِ بِالْمَوْتِ مَعَ بَقَاءِ مَشَاعِرِهِ فِي الرَّأْسِ مَدْرَكَا لِهَوْلِ الْمَوْتِ.

[٨٥] وَ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْحَاضِرُونَ حَوْلَ الْمُحْتَضِرِ حِينِيذٍ حِينَ وَصَلَتْ رُوحُهُ إِلَى الْحَلْقُومِ تَنْظُرُونَ وَ هُوَ وَ أَنْتُمْ فِي غَايَةِ إِعْدَمِ مَوْتِهِ، وَ

رجوعه إلى الحياة.

[٨٦] وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ لَأَنْ عَلِمْنَا وَقَدَرْنَا نَافذَاتِنَا إِلَى أَعْمَاقِهِ، وَ أَنْتُمْ لَسْتُمْ كَذَلِكَ وَ لَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ أَنْتُمْ قَرِينَا.

[٨٧] فَلَوْ لَا تَكَرَّرَ، لِأَجْلِ ارْتِبَاطِ الْجَوَابِ بِ «لَوْ لَا إِذَا بَلَغَتْ ...» إِنَّ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ غَيْرَ مَرْبُوبِينَ مِنْ دَانَ السُّلْطَانَ الرَّعِيَّةِ إِذَا سَاسَهُمْ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٢٣

[سورة الواقعة (٥٦): الآيات ٨٧ الى ٩٢]

تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَ رِيحَانٌ وَ جَنَّةٌ نَعِيمٌ (٨٩) وَ أَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ

(٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١)

وَ أَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢)

[٨٨] تَرْجِعُونَهَا تَرْجِعُونَ النَّفْسَ إِلَى كُلِّ الْجَسَدِ، كَمَا كَانَ سَابِقًا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي إِنْكَارِكُمْ لِلَّهِ وَ قَدْرَتِهِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَهٌ - كَمَا زَعَمْتُمْ - وَ لَمْ يَكُنْ أَمْرُ الْكُونِ بِيَدِهِ، فَلَمَّا ذَا لَ - تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ عَلَى إِنْجَازِ أَحَبِّ شَيْءٍ إِلَى قُلُوبِكُمْ مِنْ إِرْجَاعِ الرُّوحِ إِلَى مِيتِكُمْ الْعَزِيزِ، أَلَيْسَ كُلُّ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى وَجُودِ إِلَهٍ قَدِيرٍ بِيَدِهِ كُلِّ شَيْءٍ.

[٨٩] ثُمَّ يَبِينُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ مَصِيرَ هَذَا الْمُحْتَضِرِ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَ هُوَ الْقِسْمُ الْأَوَّلُ مِنْ «الْأَزْوَاجِ الثَّلَاثَةِ» الْمَذْكُورِينَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ.

[٩٠] فَرَوْحٌ فَلَهُ رَاحَةٌ وَ رِيحَانٌ الرِّيحَانُ الْمَشْمُومُ كُنْيَاةٌ عَنْ حُضُورِ مَشْتَهَاتِهِ الطَّيِّبَةِ وَ جَنَّةٌ نَعِيمٌ جَنَّةٌ ذَاتُ نِعْمَةٍ.

[٩١] وَ أَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَ هُوَ الْقِسْمُ الثَّانِي مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَكِنِّهِمْ دُونَ الْمُقَرَّبِينَ.

[٩٢] فَسَلَامٌ لَكَ يَا صَاحِبَ الْيَمِينِ، سَلَامَةٌ لَكَ فِي آخِرَتِكَ وَ أَنْتَ تَكُونُ مِنْ جَمَلِهِ أَصْحَابِ الْيَمِينِ كَمَا يُقَالُ «السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ شَهِيدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» فَإِنْ «مِنْ» بَيَانٌ ل «كَافٍ» الْخَطَابِ.

[٩٣] وَ أَمَّا إِنْ كَانَ الْمُحْتَضِرُ مِنَ الْمُكْذِبِينَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ الْمَعَادِ الضَّالِّينَ عَنْ طَرِيقِ الْهُدَايَةِ، «هُمْ أَصْحَابُ الشَّمَالِ» فَهُوَ ضَالٌّ فِي

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٢٤

[سورة الواقعة (٥٦): الآيات ٩٣ الى ٩٦]

فَنَزَّلُ مِنَ حَمِيمٍ (٩٣) وَ تَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٩٦)

نفسه مكذب للحق.

[٩٤] فَنَزَّلُ هُوَ مَا يَعْدُ لِلضَّيْفِ مِنْ حَمِيمٍ مِنْ مَاءٍ حَارٍّ شَدِيدِ الْحَرَارَةِ.

[٩٥] وَ تَصْلِيَةٌ يُقَالُ صَلَاةٌ إِذَا أُوصِلَهُ جَهِيمٌ هِيَ مِنْ أَسْمَاءِ جَهَنَّمَ.

[٩٦] إِنَّ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنْ جِزَاءِ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ الْحَقُّ الْمَطَابِقُ لِلْوَاقِعِ، الَّذِي هُوَ يَقِينِي أَى مِنْ شَأْنِهِ ذَلِكَ وَ إِنْ أَنْكَرَهُ كَثِيرٌ، مِثْلُ «لَا رَيْبَ فِيهِ» أَى لَيْسَ هُوَ مَحَلُّ الرَّيْبِ وَ إِنْ ارْتَابَ فِيهِ الْكَثِيرُ، وَ هَذَا أَحَدُ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي يَنْقَسِمُ الْيَقِينُ إِلَيْهَا.

فالأول: علم اليقين، كما إذا علمت بأن النار حارة.

و الثاني: حق اليقين، كما إذا رأيت النار.

و الثالث: عين اليقين، كما إذا أدخلت يدك في النار و ذقت حرارتها.

[٩٧] وَ إِذَا عَلِمْتَ بِمَا تَقْدِمُ فَسَبِّحْ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِاسْمِ رَبِّكَ نَزْهَةً عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ الْعَظِيمُ صِفَةُ الرَّبِّ، وَ قَدْ تَقَدَّمَ بَعْضُ الْكَلَامِ فِيهِ فِي آيَةٍ

شَبِيهَةٌ بِهَا، فَبَاعْتِبَارِ أَنَّ التَّسْبِيحَ لِلذَّاتِ يَأْتِي بِلَا حَرْفٍ جَرٍّ، وَ بَاعْتِبَارِ أَنَّ التَّسْبِيحَ مَلْصُوقٌ بِالاسْمِ يَتَعَدَّى بِالْبَاءِ، وَ بَاعْتِبَارِ أَنَّ التَّسْبِيحَ لِلَّهِ يَتَعَدَّى بِاللَّامِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٢٥

٥٧ سورة الحديد مدنية / آياتها (٣٠)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على كلمة «الحديد» و هي كسائر السور المدنية مشتملة على قضايا الشريعة. و لما ختمت سورة الواقعة بتسبيح الله ابتدأت هذه السور بذلك أيضا.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نبدأ باسم الله فإنه المبدأ حقيقة، و نبدأ باسمه ليطابق الكلام الواقع و هو الرحمن بالكل يخلقهم من العدم إلى الوجود برحمته، و رحيم بالكل يعطى كل مخلوق حسب ما يستحق مما ينمي و يكمله.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٢٦

[سورة الحديد (٥٧): الآيات ١ إلى ٣]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣)

[٢] سَبَّحَ لِلَّهِ نزهه عما لا يليق به، و قد تقدم في آخر الواقعة، و جه تعدى التسبيح باللام ما في السماوات و الأرض قد سبق و جه جمع السماوات و أفراد الأرض، و تسبيح كل شيء إما بلسانه، و إن كنا لا نفهم ألسنة غير الإنسان من المخلوقات، و إما بدلالته على علم الله و قدرته و صفاته و غير ذلك، إذ حتى الشعرة الواحدة دليل على الذات و على كل الصفات العقلية الثابتة عقلا له سبحانه و هو تعالى العزيز له العزة و الرفعة و عزة ما سواه إنما تكون به تعالى الحكيم يضع الأشياء موضعها، و لحكمته خلق الكون، و لعزته سبح له كل ما في الكون.

[٣] لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بل هو وحده المالك الحقيقي، أما سواه فملكه استعارة و مجاز يُحيى التراب إلى النبات و الحيوان و الإنسان، كما يحيى الإنسان و الحيوان بعد موتهما و يميت الثلاثة بعد حياتها في دار الدنيا، كما يميت الحيوانات على الأكثر في الآخرة، حتى أن الكافر إذا رأى ذلك قال: يا ليتني كنت تراباً «١» و هو سبحانه على كل شيء قدير بشرط أن يكون لذلك الشيء أهلية تعليق القدرة، كما بحث حول ذلك في كتب الفلسفة الإسلامية.

[٤] هُوَ الْأَوَّلُ قبل كل شيء و الآخر بعد كل شيء، و لا منافاة لعدم انتهاء الجنة و النار إذ يصدق البعدية بالنسبة إلى الحال الحاضرة، فإن الكل يهلك إلى وجهه و الظاهر بآثاره لدى كل ذي عقل و الباطن

(١) النبأ: ٤١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٢٧

[سورة الحديد (٥٧): آية ٤]

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَ مَا يَعْرُجُ فِيهَا وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤)

الخفي بحقيقته لا يعلم حقيقته إلا هو تعالى و هو بكل شيء عليم يعلم كل شيء، كما أنه يقدر على كل شيء - كما تقدم في الآية السابقة -.

[٥] هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ اليوم قطعة من الزمان و لعل المراد ستة مليارات من السنوات فقد ثبت في بعض تحقیقات العلم الحديث خلقهما في مثل هذه المدة ثم استوى على العرش استولى على عرش الإبرادة إذ قبل ذلك كان من باب السالبة بانتفاء الموضوع، فالاستواء على العرش كناية عن التصرف في الكون، فهو مثل قول الشاعر:

رأيت الوليد بن يزيد مباركا شديدا بأعباء الخلافة كاهله هذا «الاستيلاء» من ناحية القدرة أما من ناحية العلم فإنه سبحانه يعلم ما يلج يدخل في الأرض كالبذر والميت وما يخرج منها كالنبات والحيوان الذي يخلق تحت الأرض ثم يخرج منها وما ينزل من السماء كالمطر وما يخرج فيها يصعد إليها كالدخان والأبخرة وهو معكم علما و قدرة إذ علمه نافذ فينا و قدرته محيطه بنا أين ما كنتم في بر أو بحر في نور أم ظلام في عراء أو بناء والله بما تعملون بصير يراكم، والبصر غير العلم كما هو واضح فإن علمنا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٢٨

[سورة الحديد (٥٧): الآيات ٥ الى ٧]

لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥) يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦) آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧)

بالشىء و لا نراه، غير أن نعلم به و نراه، أما كيفية رؤية الله فهي مجهولة مثل كيفية علمه و سائر الأمور المرتبطة بذاته تعالى.

[٦] لهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أعاد ذكره لأن الآية السابقة كانت كاستدلال لذلك، بخلاف ما ذكره سبحانه أولا، حيث إنه لم يتقدم له استدلال- في هذه السورة- و إلى الله تُرْجَعُ الْأُمُورُ فإذا أراد الإنسان شيئا فإن قدره سبحانه صار و إلا لم يصر كما أن الموظفين إذا أرادوا شيئا أرجع إلى الرئيس إن قبله صار و إلا لم يصر، و هذا كناية عن أن الإرادة النهائية له تعالى.

[٧] يُوَلِّجُ يدخل الله الليل في النهار أى يأخذ الليل مكان النهار، إذا طال الليل، أو المراد أن عمودا من الظلام يدخل في ضوء النهار ثم ينتشر الظلام إلى أن يأخذ الأفق، فإن من يلاحظ الكرة الأرضية و الشمس يعلم أن ظل الأرض كالعمود الذي يخترق نور الشمس و يُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ فيه الاحتمالان السابقان، و لذا يرى نور النهار أول الفجر كالخيوط في طرف المشرق، ثم يتوسع حتى يشمل النور الأفق و هو سبحانه عليم بذات الصدور «الذات» الحقيقة، و كأنه كناية عما في الصدور، لا بد و أن يكون محيطا به عالما بما فيه.

[٨] آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَيهَا الْكُفَّارَ، أَوْ عَمَّقُوا إِيمَانَكُمْ أَيهَا الْمُؤْمِنُونَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ اسْتَخْلَفَكُمْ وَجَعَلَكُمْ خَلَفَاءَ لِمَنْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٢٩

[سورة الحديد (٥٧): الآيات ٨ الى ٩]

وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ (٩)

قبلكم فيه في ذلك المال، إذ كان المال لغيرنا ثم صار لنا وهكذا جيلا بعد جيل كل جيل خليفة سابقه، كناية عن أن المال ليس لكم، و إنما كان لغيركم ثم يكون من بعدكم لغيركم أيضا فإن الذين آمنوا منكم و أنفقوا من أموالهم لهم أجر كبير في الدنيا بالرفاه و السعادة و في الآخرة بجنه عرضها السماوات و الأرض.

[٩] وَمَا لَكُمْ أَى شَىء لَكُمْ إِذْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ فَهَلْ لَكُمْ فَائِدَةٌ مِنْ عَدَمِ إِيمَانِكُمْ وَ الْحَالُ إِنْ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَيُقِيمُ لَكُمْ الْحُجُجَ وَ الْآيَاتِ وَ قَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَكُمْ عَهْدَكُمْ الْغَلِيظَ فِي عَالَمِ الذَّرِّ، وَ أَوْدَعَ فِيكُمْ الْفِطْرَةَ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ إِذْ يَجِدُ كُلَّ إِنْسَانٍ فِي نَفْسِهِ قَبُولَ الْحَقِّ وَ لَيْسَ هَذَا إِلَّا أَنْ شَيْئًا مَوْدِعَ فِيهِ يَلْجِئُهُ إِلَى الْإِعْتِرَافِ بِاطْنَا سِوَاءِ اعْتِرَافِ ظَاهِرًا أَمْ لَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ لَشَىء مَا، فَإِنْ تَبَيَّنَ الرَّسُولُ وَ دَلَالَةُ الْعُقُولِ مِنْ أَقْوَى مَوْجِبَاتِ الْإِيمَانِ، وَ هَذَا مِثْلُ مَا يُقَالُ «إِنْ كُنْتَ تَفْهَمُ فَافْهَمْ أَنْ الشَىءِ الْفَلَانِي يَنْفَعُكَ».

[١٠] وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَاضِحَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ أَيهَا الْبَشَرُ مِنَ الظُّلُمَاتِ

ظلمات الكفر و الجهل إلى النور نور الإيمان و العلم، فإن الكفر و الجهل يسببان عدم رؤية الإنسان للحقائق، كما أن الظلام يسبب عدم رؤية الإنسان

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٣٠

[سورة الحديد (٥٧): آية ١٠]

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠)

للأشياء وإنَّ الله الواو للحال، أو العطف بكم أيها البشر لرؤف الرأفة يقال للعطف قبل ظهوره أو دقة الرحمة رحيم عطف يظهر أثره أو مطلق الرحمة.

[١١] و مَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا أَي شَيْء لَكُمْ مِنْ عَدَمِ إِنْفَاقِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي طَرِيقِهِ الْمُؤَدِيَةِ إِلَى رِضْوَانِهِ وَ لِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ إِذَا لَمْ تَنْفِقُوا يَبْقَى الْمَالُ وَ تَمُوتُونَ، وَ لَمْ تَسْتَفِيدُوا مِنْهُ فِي تَحْصِيلِ الدَّرَجَاتِ الْعَالِيَةِ، فَإِنْ كَلَّ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مِنْ فِي الْأَرْضِ يَمُوتُونَ وَ تَبْقَى أَمْوَالُهُمْ وَ مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ فَتَحَ مَكَّةَ وَ قَاتَلَ قَبْلَ الْفَتْحِ، حَيْثُ الْإِسْلَامُ غَرِيبٌ وَ بِحَاجَةٍ شَدِيدَةٍ إِلَى الْمُقَاتِلِينَ وَ إِلَى الْمَالِ، وَ مِنْ أَنْفَقَ وَ قَاتَلَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ حَيْثُ أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ، وَ ذَهَبَ الْخَوْفُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَ كَثُرَتِ الْغَنَائِمُ، وَ حُذِفَ هَذَا الشَّقُّ لَوْضُوحِهِ أُولَئِكَ الْمُنْفِقُونَ الْمُقَاتِلُونَ قَبْلَ الْفَتْحِ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ الْفَتْحِ وَ قَاتَلُوا بَعْدَ الْفَتْحِ وَ كَلَّا مِنَ الْمُنْفِقِ وَ الْمُقَاتِلِ قَبْلًا، وَ بَعْدًا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى أَيِ الْمَثُوبَةِ الْحَسَنَى وَ هَذَا الْكَلَامُ لِنَلَّا يَزْعَمُ تَسَاوِيَهُمَا لِأَنَّ بَيَانَ تَبَرِيرِ الْمَتَقَاعَسِ قَبْلًا، إِذِ الْمَتَقَاعَسُ لَهُ وَزْرٌ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٣١

[سورة الحديد (٥٧): الآيات ١١ الى ١٢]

مِنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١) يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بَأْيْمَانِهِمْ بِشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢)

فيجازيكم حسب أعمالكم.

[١٢] ثم إن الذي يعطى ماله في سبيل الله فهو قرض يسترجع أكثر منه في دنياه و آخرته، أما الآخرة فالمثوبة، و أما الدنيا فلا إنفاق يوجب تقدم الاجتماع، و الاجتماع المتقدم يرتفع أفراده أكثر، و بذلك يكون مالهم أكثر، و لذا قال سبحانه وَ يُزِيهِ الصَّدَقَاتِ «١» مَنْ ذَا الشَّخْصِ الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا مُقَابِلَ الْقَرْضِ السَّيِّئِ الَّذِي لَا إِخْلَاصَ لَهُ أَوْ كَانَ لِأَجْلِ تَحْصِيلِ الرِّبَا بِالزِّيَادَةِ فَيُضَاعِفُهُ اللَّهُ لَهُ لِأَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ كُلَّ حَسَنَةٍ أَضْعَافًا ثُمَّ يَرُدُّهَا عَلَى صَاحِبِهَا وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ فَإِنَّ الْأَجْرَ لِأَصْلِ الْقَرْضِ «بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا يُضَافُ إِلَيْهِ مِنْ الزِّيَادَةِ» كَرِيمٌ فِي نَفْسِهِ يَرْجِعُ إِلَى صَاحِبِهِ مَعَ الْإِكْرَامِ لَهُ.

[١٣] و تلك المضاعفة و الأجر إنما هو في يوم القيامة حيث ترى المؤمنين و المؤمنات يسعى نورهم مثل نورهم عمود له امتداد ميل، فإذا تحركوا تحرك النور، فكأنه يسعى بين أيديهم و بأيمانهم فإن لهم نورا من هذين الجانبين، و لعل ما كان من بين أيديهم للمقربين، و ما كان بأيمانهم لأصحاب اليمين، ليكون علامة لمترلتهم، أو لأن صحائفهم تعطى من طرف اليمين من الأمام، و يقال لهم بشاركم بشارة لكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار من

(١) البقرة: ٢٧٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٣٢

[سورة الحديد (٥٧): آية ١٣]

يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَ ظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣)

تحت أشجارها، في حال كونهم خالدين فيها أبدا ذلك هو الفوز النجاح العظيم الذي ليس مثله فوز.

[١٤] و ذلك في يَوْمٍ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَ هُمْ يَعِشُونَ فِي ظِلَامٍ شَدِيدٍ أَنْظَرُونَا انظُرُوا إِلَيْنَا حَيْثُ يَتَوَجَّهَ عُمُودُ نُورِكُمْ إِلَى جَانِبِنَا لِنَقْتَبِسَ مِنْ نُورِكُمْ حَتَّى نَرَى طَرِيقَنَا وَ نَتَعَرَفَ إِلَى أَوْضَاعِ بَدَنِنَا، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ فِي الظَّلَامِ لَا يَرَى طَرِيقَهُ، وَ لَا يَتَعَرَفُ عَلَى أَوْضَاعِ جَسَدِهِ، وَ إِنَّمَا ذَكَرَتِ الْآيَةُ الْمُنَافِقِينَ، وَ لَمْ تَذَكَرِ الْكُفَّارَ، لِأَنَّ الْكُفَّارَ فِي مَكَانٍ آخَرَ، وَ إِنَّمَا يَحْشُرُ جَمِيعٌ مِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ الْإِيمَانَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَمَيِّزُونَ قِيلَ لَهُمْ فِي جَوَابِهِمْ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ إِلَى الدُّنْيَا فَالْتَمِسُوا فَحَصِّمُوا هُنَاكَ نُورًا كُنْيَاهُ عَنْ أَنَّ النُّورَ إِنَّمَا يَحْصُلُ فِي الدُّنْيَا لَا فِي الْآخِرَةِ.

فَضَرَبَ رَبٌّ بَيْنَهُمْ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُنَافِقِينَ بِسُورٍ بِحَائِطٍ يَكُونُ فَاصِلًا بَيْنَهُمَا لَهُ بَابٌ لِمُرُورِ الْمَلَائِكَةِ أَوْ لِأَجْلِ أَنْ يَمَيِّزَ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْمُنَافِقِ، حَيْثُ كَانَا قَبْلًا- مُخْتَلَطِينَ فَمَنْ كَانَ فِي طَرَفِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ أُخْرِجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الْمُنَافِقِينَ، وَ بِالْعَكْسِ بَاطِنُهُ حَيْثُ الْمُؤْمِنُونَ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَ سُمِيَ بَاطِنًا لِأَنَّهُ الْمَكَانُ الْأَحْسَنُ الْمَحْفُوظُ كِبَاطِنِ حَائِطِ الدَّارِ وَ ظَاهِرُهُ طَرَفُ الْمُنَافِقِينَ مِنْ قِبَلِهِ مِنْ جِهَتِهِ الْعَذَابُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٣٣

[سورة الحديد (٥٧): الآيات ١٤ الى ١٥]

يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَ لَكِنَّا كُنَّا نَفْسِنَاكُمْ فَتَنَّمْنَا أَنْفُسَنَاكُمْ وَ تَرَبَّصْنَاكُمْ وَ ارْتَبْنَاكُمْ وَ غَرَّكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَ غَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَ لَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا أَوَّكِمْنَا أَمْوَالَكُمْ وَ بَنَسْنَا الْمَصِيرُ (١٥)

[١٥] وَ حِينَ ذَاكَ يُنَادُوهُمْ يُنَادِي الْمُنَافِقُونَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا نَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ مَعًا فَكَيْفَ صَرْتُمْ أَنْتُمْ فِي رَحْمَةٍ وَ نَحْنُ فِي الْعَذَابِ؟ قَالُوا الْمُؤْمِنُونَ بَلَى كُنْتُمْ مَعَنَا فِي الظَّاهِرِ وَ لَكِنَّا كُنَّا نَفْسِنَاكُمْ أَي حَرَفْتُمْ أَنْفُسَكُمْ عَنِ الْحَقِّ بِسَبَبِ نِفَاقِكُمْ وَ عَصِيَانِكُمْ وَ تَرَبَّصْنَاكُمْ فِي إِطَاعَةِ أَمْرِ اللَّهِ، فَلَمْ تَسَارِعُوا إِلَيْهَا كَمَا سَارِعَ الْمُؤْمِنُونَ فَإِنَّ مِنْ عَادَةِ الْمُنَافِقِ أَنْ لَا يَدْخُلُ فِي جِهَادٍ وَ لَا خَيْرٍ، وَ إِنَّمَا يَقُولُ: دَعْنَا نَرَى مَاذَا تَكُونُ الْعَاقِبَةُ وَ ارْتَبْنَاكُمْ شَكَاكُمُ فِي الدِّينِ وَ غَرَّكُمُ خَدَعَتِكُمُ الْأَمَانِيُّ جَمْعُ أَمْنِيَّةٍ، مِثْلُ «أَغَانِي جَمْعُ أَغْنِيَّةٍ» فَإِنَّ الْمُنَافِقَ لَا يَجَاهِدُ رَجَاءً أَنْ لَا يَصَادَفَ بِأَذَى، وَ لَا يَنْفِقُ رَجَاءً أَنْ يَزِيدَ تِجَارَتَهُ، وَ لَا يَحْضُرُ الْخَيْرَ رَجَاءً أَنْ يَقْدَمَ عَمَلُهُ الدُّنْيَوِيُّ وَ هَكَذَا حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ تَقَدَّمَ دِينُهُ وَ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ نَصِيبٌ فِي ذَلِكَ وَ غَرَّكُمْ بِاللَّهِ خَدَعَكُمْ بِالْإِسْتِهَانَةِ بِأَمْرِ اللَّهِ الْغُرُورُ الشَّيْطَانُ الَّذِي هُوَ كَثِيرُ الْخَدَعَةِ.

[١٦] فَالْيَوْمَ فِي يَوْمِ الْحِسَابِ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ فِدَاءً فِي مَقَابِلِ أَنْ تَخْلُصُوا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ وَ لَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذْ فِي الْآخِرَةِ لَا يَنْفَعُ إِلَّا الْإِيمَانَ وَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ مَا أَوَّكِمْنَا أَمْوَالَكُمْ الَّذِي تَأْوُونَ إِلَيْهِ نَارِ جَهَنَّمَ هِيَ مَوْلَاكُمْ أُولَى بِكُمْ وَ بَنَسْنَا الْمَصِيرُ إِنَّهُ مَصِيرٌ سَىءٌ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٣٤

[سورة الحديد (٥٧): الآيات ١٦ الى ١٧]

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَ مَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَ لَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧)

[١٧] وَ إِذَا عَرَفَ الْفَرْقَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ حَقِيقَتُهُ وَ الْمُؤْمِنِ صُورَةُ «الْمُنَافِقِ وَقَعًا» فَ أَلَمْ يَأْنِ أَلَمْ يَصِلِ الْآنَ أَي الْوَقْتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ فَتَكُونَ قُلُوبُهُمْ مُصَدِّقَةٌ لِمَا لَفِظُوا بِالْإِسْتِهَانَةِ مِنَ الشَّهَادَتِينَ وَ لَ مَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ فَيَقْبَلُوا قَلْبًا كَلِمًا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، ثُمَّ إِذَا آمَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ قَلْبًا، وَ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ظَاهِرًا وَ بَاطِنًا، اعْلَمُوا إِنَّ مِنْ شَرَطِ الْإِيمَانِ الْمَنْجَى الْبَقَاءَ عَلَى الْإِيمَانِ وَ عَدَمَ الْإِنْحِرَافِ وَ لَا يَكُونُوا أَوْلَئِكَ الْمُؤْمِنُونَ كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ كِتَابِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ الزَّمَنُ فَفَسَتْ قُلُوبُهُمْ لَمْ تَكُنْ لَهَا شَفَافِيَةٌ وَ لَبِنُ قُلُوبِ الْمَعَاصِرِينَ لِلْأَنْبِيَاءِ، فِي عَصْرِ الرِّسَالَةِ، حَيْثُ كَانُوا يَخْضَعُونَ لِأَوْامِرِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، لِمَا لَهُمْ مِنْ لَبِنٍ وَ طَهَارَةٍ وَ شَفَافِيَةٍ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ خَرَجُوا عَنِ الطَّاعَةِ، فَالْبَاقِي مِنْهُمْ قَسَى قَلْبَهُ، وَ غَيْرُ الْبَاقِي خَرَجَ عَنِ الطَّرِيقِ.

[١٨] لَكِنَّ اللَّهَ لَا يَتْرُكُ دِينَهُ بَيْنَ ذَاكَ وَ هَذَا بَلْ إِنَّهُ كَمَا يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ الْيَابِسِ بَعْدَ الْإِنْدِرَاسِ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي

الأَرْضَ بَعِيدَ مَوْتِهَا بسبب المطر، و كيفية تحديد الله للأمم، أن الأمة السابقة تأخذها النخوة و الغرور فلا تعمل صحيحا بل تأخذ في عمل الباطل، و أمة جديدة صفت أذهانها عن الرواسب و الأنانيات تأخذ في العمل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٣٥

[سورة الحديد (٥٧): الآيات ١٨ الى ١٩]

إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يضاعف لهم ولهم أجر كريم (١٨) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٩)

ولذا تأخذ مكان الأمة السابقة، و قد جعل الإسلام الشورى في الحكم و كون رئيس الدولة المجتهد العادل المخالف لهواه المطيع لأمر مولاه ضامنا لبقاء الإسلام غصنا طريا قد بيننا لكم الآيات الدلالات الواضحات على صحة ما نقول لعلكم تغفلون تفهمون ما نقول و تعملون بموجبه.

[١٩] و حيث كان الكلام قبلا في إعطاء المال في سبيل الله رجع الكلام إليه فقال سبحانه إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ أَصْلَهُ «تصدق» أى أعطى الصدقة و الذين أقرضوا الله قرضاً حسناً و إنما سميت الصدقة صدقة، لأنها تصديق لله في ما يقول فالمعنى إن الذى صدق الله في إعطاء المال، و قد جعله قرضاً حسناً يضاعف لهم عند رد ما أعطوا و لهم أجر كريم و قد تقدم تفسير الآيه، فلا حاجة إلى التكرار.

[٢٠] نعم إنه لا ينفع مجرد إعطاء الصدقة إذا لم يكن كامل الإيمان و لذا قال سبحانه وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ فشرط القبول الإيمان بالله و الرسول و إعطاء الصدقة قرضاً حسناً بإخلاص و بدون ربا أولئك هم الصادقون لكثرة تصديقهم لأنهم صدقوا بالله و بكل أنبيائه و بما وعد من إعطائهم المال، إلى غير ذلك و الشهداء عِنْدَ رَبِّهِمْ لأن الله يجعلهم شهداء على غيرهم، فى الآخرة، إذ الإنسان العادل المعتدل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٣٦

[سورة الحديد (٥٧): آية ٢٠]

اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَاعٌ الْعُرُورِ (٢٠)

فى سلوكه يكون شاهدا على غيره لهم لهؤلاء المؤمنين المصدقين أجر الصديقين و نورهم و نور الصديقين و بالعكس منهم الذين كفروا و كذبوا بآياتنا فلم يؤمنوا و لم يعملوا صالحا أولئك أصحاب الجحيم لا أجر حسن لهم، و لا نور لهم، بل يعيشون فى حر النار و ظلام الدخان.

[٢١] اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ فهى صورة للآخرة الحقيقية، مثل ملاعب الأطفال التى هى صورة للأشياء الحقيقية فى الدنيا و لهُوَ تلهى الإنسان عن الواقع الذى هو الآخرة و زينة مظهر لا واقع له كما يترين الإنسان ببعض المظاهر التى لا تغير من الواقع شيئا و تفأخرو بينكم يفتخر الإنسان على إنسان ثان و بالعكس و هى حالة بدائية يتصف بها الأطفال و تكاثرو فى الأموال و الأولاد حيث كل ما يريد أن يكون أكثر من الآخر مالا- و ولدا بينما لا يفيد أيهما له فائدة حقيقية، ثم كل ذلك إلى الزوال و الفناء كمثل غيث مطر أعجب الكفار الزراع نباته قد أعجبوا بها و فرحوا بما لا دوام له و لا بقاء ثم يهب هيجانا إلى الفساد فتراه مضفراً قد ذهب رونقه و جماله ثم يكون حطاماً يابساً متكسراً فالدنيا فى نضارتها الخلابه ثم سرعه زوالها مثل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٣٧

[سورة الحديد (٥٧): آية ٢١]

سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ

اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١)

النبات السريع الزوال هذا حال زينة الدنيا، في الدنيا وَ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ فِي قِبال أهل الدنيا المغترين بها، الذين مثل دنياهم ما تقدم أهل الآخرة الذين لهم مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٌ غفران لذنوبهم و رضى الله لهم الذى هو أعظم شىء لأنه نعمة روحية، و النعمة الروحية أفضل من النعمة الجسدية وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ لمن أقبل إليها و لم يطلب بها الآخرة الباقية، فإنها تغر الإنسان عن منافعه الواقعية.

[٢٢] و إذا عرف الإنسان حال الدنيا و حال الآخرة فليسرع إلى تحصيل الآخرة سابقوا من المسابقة تحريض لطلب الآخرة بكل سرعة ممكنة، كما يفعل المسابق فى الدنيا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أسباب الغفران وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا سَعْتها كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ كسعتهما و الفضاء وسيع جدا حتى أن كل السماء و الأرض فى جنبه كحبة أرز فى صحراء غير متناهية أَعِدَّتْ هَيَاتُ تلك الجنة لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ فليتشوق إليها كل عاقل ذَلِكَ إعطاء الجنة للمؤمنين فَضْلُ اللَّهِ لأنه ليس بواجب عليه سبحانه إعطاء الجنة للمطيع يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ و مشيئته تابعة للصالح الذى لا يكون إلا للمؤمن العامل بالصالحات

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٣٨

[سورة الحديد (٥٧): الآيات ٢٢ الى ٢٣]

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣)
وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ الذى لا يعرف مدى فضله وسعة رحمته إلا هو.

[٢٣] و حيث ذكر سبحانه وجوب القتال و الإنفاق و شوق المطيعين بالجنان و أنذر المخالفين بالعقاب جاء دور بيان أن ما يصيب الإنسان عامة «و التى منها ما يصيبه حال الحرب من الموت و الجرح و ما أشبه» مثبت عند الله و لا يضيع أجره ما أصاب مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ كالجرب و أكل الجراد المزارع و لا حرق عطف فى أَنْفُسِكُمْ كالمرض و الجرح إِلَّا مَكْتُوبَةٌ فِي كِتَابٍ ثابته فى علمنا، و لعل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا برأه بمعنى خلقه إِنَّ ذَلِكَ كناية فى كتاب من قبل تكونه عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لأنه سبحانه عالم بما كان و بما يكون و بما هو كائن إلى الأبد، و الإشكال بأنه إذا كان سبحانه عالما لا يمكن تخلفه، واضح الجواب: لأن العلم ليس بعلة، كما أنك إذا علمت بطلوع الشمس غدا لا تكون علة لطلوعها.

[٢٤] و قد ذكرنا ذلك لكم بأنه ثابت فى الكتاب لِكَيْلَا تَأْسَوْا لا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا، و قد ذكر سبحانه تبعا لذلك «و إن لم يكن الكلام منصبا عليه» قوله وَ لَكِي لا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ أعطاكم من نعيم، فإن من علم أن كل شىء يصيبه من خير و شر مقدر

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٣٩

[سورة الحديد (٥٧): آية ٢٤]

الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَ مَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٤)

كائن، لا يحزن حزنا متزايدا و لا يفرح فرحا متزايدا، لأن شدة الحزن و الفرح، لمحزن و لمفرح فجائى، و العلم يرفع الفجائية ألا ترى أن من يعلم أن غدا يموت ولده لا يحزن مثل حزن من لا يعلم بذلك بل يفاجأ به، إلى غير ذلك ثم المراد «عدم الحزن المخرج للإنسان إلى الجزع» و «عدم الفرح المخرج للإنسان إلى البطر» وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ من اختال بمعنى تكبر فخور كثير الفخر، فإن من فرح فرحا متزايدا بالنعمة، و لم يخف عواقبها أخذ فى الكبر و الافتخار على الناس.

[٢٥] و من هو المختال الفخور؟ هم الَّذِينَ يَبْخُلُونَ عن الإنفاق فإن الذين يفرحون بالفرح المطغى ممن لا يؤمن بأن المال جاءه بكتابة من الله، و إنه زائل و له حساب دقيق «للتلازم بين العلم بالكتابة و بين التواضع و الإنفاق، كالتلازم بين عدم هذا العلم و بين التكبر و

البخل».

وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ إِذِ الْبُخْلَاءُ يَرِيدُونَ بَخْلَ النَّاسِ حَتَّى لَا تَقَعَ اللَّائِمَةُ عَلَيْهِمْ وَمَنْ يَتَوَلَّ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ فَلَا يَنْفِقُ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ أَمْرٌ بِالْإِنْفَاقِ لِمَصْلَحَتِهِ هُوَ لَا- لِأَنَّ اللَّهَ بِحَاجَةِ إِلَى الْمَالِ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَنِيُّ إِذْ غَنَى مَا سِوَى اللَّهِ مَجَازَى الْحَمِيدُ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى الْإِنْفَاقِ لِيَكْثَرَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى يَحْمَدُوهُ، فَإِنَّهُ الْمَحْمُودُ بِالذَّاتِ سِوَاءِ حَمْدِهِ أَحَدٌ أَوْلَا.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٤٠

[سورة الحديد (٥٧): آية ٢٥]

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥)

[٢٦] و من كونه غنيا حميدا يتبين أن إرساله الرسل و الأحكام ليس لأجل حاجته و إنما لأجل الناس أنفسهم لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ بِالْأَدْلَةِ الْبَيِّنَةِ الْوَاضِحَةِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ جِنْسَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ وَأَنْزَلْنَا الْمِيزَانَ وَمَعْنَى أَنْزَلَهُ تَقْرِيرَهُ، وَحَيْثُ إِنَّهُ مِنْ مَكَانٍ رَفِيعٍ مَعْنَى، صَحَّ «أَنْزَلْنَا» كَمَا يَقَالُ هَذِهِ الْأُمُورُ مِنْ فَوْقٍ إِذَا كَانَتْ مِنَ الرَّئِيسِ، وَ الْمَرَادُ كُلِّ مِيزَانٍ لِلْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ، سِوَاءِ كَانَتْ مَوَازِينٍ لِلْأَخْلَاقِ أَوْ الْمَعَامَلَاتِ أَوْ الْمَعَاشِرَاتِ أَوْ الْمَوَازِينِ الْحَدِيدِيَّةِ وَ نَحْوَهَا، لِأَنَّ كُلَّ الْمَوَازِينِ الْعِلْمِيَّةِ وَ الْعَمَلِيَّةِ إِنَّمَا قَرَرَهَا اللَّهُ سَبْحَانَهُ، لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ أَيْ بِالْعَدْلِ، فَلَا يَظْلِمُ أَحَدٌ أَحَدًا، فَالْكِتَابُ لِبَيَانِ الْحُكْمِ، وَ الْمِيزَانُ لِتَطْبِيقِ ذَلِكَ الْحُكْمِ عَلَى الْمَجْتَمَعِ، وَ مَنْ يَخَالِفُ؟ فَهَلِ الْحَدِيدُ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ أَنْزَالَهُ بِاعْتِبَارِ تَقْدِيرِهِ فِي السَّمَاءِ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ بِالْقَتْلِ وَ الْقِصَاصِ وَ نَحْوَهُمَا وَ فِيهِ مَنَافِعٌ لِلنَّاسِ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْحَاجَاتِ تَكُونُ بِسَبَبِ الْحَدِيدِ وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ عَطْفَ عَلَيْهِ فِيهِ بَأْسٌ، أَيْ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ لِلْبَأْسِ وَ الْمَنْفَعَةِ وَ الْامْتِحَانِ مَنْ يَنْصُرُهُ وَ يَنْصُرُ رُسُلَهُ إِذْ اسْتَعْمَالَ الْأَسْلِحَةَ الْحَدِيدِيَّةَ فِي مَجَاهِدَةِ الْكُفَّارِ نَصْرَهُ لِلَّهِ وَ لِرُسُلِهِ بِالْغَيْبِ فِي حَالِ كَوْنِ اللَّهِ، أَوْ الرَّسُولِ غَائِبًا عَنْهُمْ إِذِ النَّاسِ لَا يَرُونَ اللَّهَ، وَ كَثِيرًا لَا يَرُونَ الرَّسُولَ، وَ مَعَ ذَلِكَ يَجَاهِدُونَ، وَ مَعْنَى «لِيَعْلَمَ اللَّهُ» أَيْ لِتَحَقُّقِ عِلْمِهِ فِي الْخَارِجِ، لَكِنْ لَيْسَ طَلَبُ اللَّهِ لِلنَّصْرَةِ عَنْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٤١

[سورة الحديد (٥٧): الآيات ٢٦ الى ٢٧]

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَ الْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَ قَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ آتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَ جَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَ رَحْمَةً وَ رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧)

احتياج ف إن الله قوياً على إهلاك من يريد عزيزاً لا يحتاج إلى أحد، و إنما أمر بالجهاد لينتفع الناس بالجهاد في دنياهم و آخرتهم. [٢٧] ثم ذكر سبحانه بعض أفراد الرسل و لقد أرسلنا نوحاً و إبراهيم و جعلنا في ذريتهما النبوة فقد كان بعض ذريتهما أنبياء و الكتاب أعطينا بعضهم كتباً جديدة فمنهم من ذريتهما مهتد اهتدى بالأنبياء و كثير منهم أي من أولئك الذرية فاسقون خارجون عن طاعة الله سبحانه.

[٢٨] ثم بعد نوح و إبراهيم عليهما السلام قفينا أتبعنا على آثارهم آثار ذينك النبيين و ذريتهما برسلنا أرسلنا رسولا بعد رسول و قفينا أتبعنا عيسى ابن مريم رسلا أيضا و لعل عدم ذكر موسى عليه السلام أن الكلام في الأول و الوسط و الآخر فنوح أول «نبي» و إبراهيم وسط كذلك، و عيسى آخر قبل نبي الإسلام صلى الله عليه و آله و سلم و آتيناؤه أعطيناؤه الإنجيل فلما ذا ينكر النصارى الرسول و قرآنه أليس أرسل لهم رسولا و أعطوا كتابا؟ و جعلنا في قلوب الذين اتبعوه اتباعا حقيقيا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٤٢

لا- من حَرف دينه و غير كتابه رَأْفَةً صَفَةً دَاخِلَ الْقَلْبِ وَ رَحْمَةً صَفَةً دَاخِلَ الْقَلْبِ إِذَا ظَهَرَتْ فِي الْخَارِجِ وَ رَهْبَانِيَّةً مُشْتَقَّةً مِنْ رَهْبَةٍ بِمَعْنَى مَا يَظْهَرُ مِنَ الْعِبَادَةِ عَلَى الْجَوَارِحِ مِنْ آثَارِ رَهْبَةِ الْقَلْبِ، وَ رَهْبَانٍ جَمَعَ رَاهِبًا ابْتَدَعُوهَا بِدَعْوَةٍ حَسَنَةٍ أَيْ طَبَقُوا أَمْرَ اللَّهِ بِالرَّهْبَةِ عَلَى

كيفية خاصة فإن للإنسان أن يطبق الكلي على بعض أفراده، مثل أن يطبق قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ «الوقوف على حسب ما وقفها أهلها»

على بناء المدرسة الدينية، فهي مجعولة باعتبار جعل الله الكلي، و مبتدعة باعتبار الفرد، و لذا لا منافاة بين قوله تعالى «جعلنا» و بين قوله «ابتدعوها» ما كتبتاها الرهبانية عَلَيْهِمْ بالصيغة الخاصة إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فإِنَّهُمْ لما ابتدعوها كتبناها عليهم بالصيغة الخاصة لأجل طلب رضى الله، فهي مجعولة بالكلي، مبتدعة بالصيغة الخاصة، مكتوبة بعد ذلك لأجل رضى الله فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا لِأَنَّ الرُّؤُوفَ الرَّحِيمَ الرَّاهِبَ يجب عليه التصديق بما جاء من عند الله، لكنهم بكفرهم بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و باختلافهم قبل ذلك، و جعلهم الإله ثالث ثلاثة، و بتحريفهم الإنجيل، و بغشوتهم على الناس، تركوا رعايته تلك الأوصاف فَآتَيْنَا أَعْطَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَى بقوا على إيمانهم، لِأَنَّ لِلْإِنْسَانَ فى كل يوم إيمانا جديدا أَجْرَهُمُ الَّذِى يستحقون بسبب بقائهم على إيمانهم وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ خارجون عن طاعة الله.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٤٣

[سورة الحديد (٥٧): الآيات ٢٨ الى ٢٩]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٨) لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَ أَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)

[٢٩] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إيماننا صادقاً لا يشوبه النفاق، إذا آمنتم بالرسول إيماناً صادقاً يُؤْتِكُمْ يعطكم الله كِفْلَيْنِ أى نصيبين مِنْ رَحْمَتِهِ نصيباً لأجل إيمانكم بالله، و نصيباً لأجل إيمانكم برسوله و المراد أيها المؤمنون بعيسى عليه السلام آمنوا بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيعطيكُم الله رحمةً لأجل إيمانكم بعيسى عليه السلام و رحمةً لأجل إيمانكم بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ بين الناس فإن الإنسان المحكم عقله و المتبع لله و رسوله يكون له نور يعرف به الحق من الباطل فيحكمه الناس فى أمورهم و يستشيرون منه فى أعمالهم كمن عنده المصباح فى الليل المظلم حيث يستنير الناس بنور مصباحه وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ كَثِيرُ الْغَفْرَانِ رَحِيمٌ بعباده فيغفر ذنوبهم، و يعطيهم الجنة من رحمته.

[٣٠] يقال فى العرف «إن المطلب كذا، حتى لا يعلم زيد» أى أتركه حتى لا يعلم، إذا كان إنساناً معانداً لا يريد العلم، و الظاهر من الآية هو هذا، أى أن من آمن بالله و الرسول له كفلان و نور و غفران لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ أى اتركهم حتى لا يعلموا، و إنما يتركون لأنهم معاندون، فيبتدئ قوله سبحانه أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٤٤

اللَّهِ أَنْ مَخْفَفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، و اسمه ضمير محذوف، أى أنهم لا يقدرُونَ على إعطاء أو منع شىء من فضل الله، فلا يقدرُونَ على منع فضله «بالكفيلين و النور و الغفران» عن المسلمين، كما لا يقدرُونَ على منح مثل هذا الفضل لأنفسهم و «أَنْ لا يقدرُونَ» عطف على «لئلا يعلم» أى أنهم لا يعلمون الحق، و لا يقدرُونَ على صرف الأجر وَ أَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ وَ هذا تأكيد لبيان أنهم «لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ» يُؤْتِيهِ يعطى الله ذلك الفضل ل مَنْ يَشَاءُ ممن اتبع أوامره وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ نسأله سبحانه أن يمنحنا من ذلك الفضل و هو المستعان.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٤٥

تقريب القرآن الى الأذهان الجزء الثامن و العشرون من آية (١) سورة المجادلة إلى آية (١٣) سورة التحريم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين محمد المصطفى و عترته الطاهرين

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٤٧

٥٨ سورة المجادلة مدنية / آياتها (٢٣)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على فعل هذا الباب. وهو قوله «تجادلك» وهي كسائر السور المدنية مشتملة على النظام إلى جنب بيان العقيدة و حيث ختمت سورة الحديد ببيان فضله سبحانه افتتحت هذه السورة بذكر مصداق من مصاديق فضله، وذلك تلبية الله لرغبة المرأة التي جاءت الرسول تجادل في زوجها، بأن جعل لها مخرجا من تلك المشكلة التي وقعت فيها، ببيان حكم الظهار.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نبتدئ باسم الإله المستحق لجميع المحامد و أنواع التعظيم، ففي الابتداء باسمه أداء لحقه في التقديم، و إتيان بمقتضى عظمته، الرحمن الرحيم الذى يتفضل بالرحم على كل شىء، و على كل أحد، فهو «يعطى من سأله»

و

«يعطى من لم يسأله و من لم يعرفه، تحننا منه و رحمة».

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٤٨

[سورة المجادلة (٥٨): آية ١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَ تَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَ اللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١)

[٢] قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الْمَرْأَةِ الَّتِي تُجَادِلُكَ أَى تراجعتك و تتكلم معك يا رسول الله فى أمر زَوْجِهَا و اسم المرأة «خولة» و اسم زوجها «أوس» وَ تَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ حَالَهَا و ما نزل من المكروه وَ اللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا أَى تخاطبكما أنتما يا رسول الله، و يا أيتها المرأة إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ يسمع الكلام بَصِيرٌ يبصر الأحوال، فأنتما باطلاعه سبحانه استماعا و إبصارا، قال فى المجمع - بتلخيص -:

نزلت الآيات فى امرأة من الأنصار من خزرج. و اسمها «خولة» و زوجها «أوس» و ذلك أنها كانت حسنة الجسم فرآها زوجها ساجدة فى صلاتها، فلما انصرفت أرادها، فأبت عليه، فغضب عليها، و كان امرءا فيه سرعة و لمم، فقال لها: أنت على كظهر أمى، ثم ندم على ما قال، و كان الظهار من طلاق أهل الجاهلية، فقال لها: ما أظنك إلا و قد حرمت على، فقالت:

لا تقل ذلك و أت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فأسأله؟

فقال: إنى أجد أنى أستحى من أن أسأله عن هذا. قالت: فدعنى أسأله؟ فقال: سليه فأنت النبى صلى الله عليه و آله و سلم فقالت: يا رسول الله إن زوجى أوس بن الصامت تزوجنى و أنا شابة غنية ذات مال و أهل حتى إذا أكل مالى و أفنى شبابى، و تفرق أهلى و كبر سننى ظاهر منى، و قد ندم فهل من شىء يجمعنى و إياه فتعشنى به؟ فقال: ما أراك إلا حرمت عليه - أراد صلى الله عليه و آله و سلم الحرمة الموقته التى تحل بالكفارة - فقالت: يا رسول الله و الذى أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا، و أنه أبو ولدى و أحب الناس إلى؟ فقال صلى الله عليه و آله و سلم: ما أراك إلا حرمت عليه، و لم أوامر فى شأنك بشىء

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٤٩

[سورة المجادلة (٥٨): آية ٢]

الَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَمَدْنَهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَ زُورًا وَ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ غَفُورٌ (٢)

فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و إذا قال لها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حرمت عليه هتفت و قالت: اشكوا إلى الله فاقتى و حاجتى و شدة حالى، اللهم فأنزل على لسان نبيك، و كان هذا أول ظهار فى الإسلام. و قالت:

انظر في أمرى جعلنى الله فداك.

فنزّل على الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الوحي، ثم قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ادعى زوجك فتلا عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ «قد سمع الله» إلى تمام الآيات، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: هل تستطيع أن تعتق رقبة؟ قال: إذا يذهب مالى كله و الرقبة غالية و أنى قليل المال فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ فقال: والله يا رسول الله إنى إذا لم آكل ثلاث مرات كلّ بصرى و خشيت أن تعشى عيني، قال: فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكينا؟ قال: لا- و الله إلا- أن تعيننى على ذلك يا رسول الله، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إنى معينك بخمسة عشر صاعا و إنى داع لك بالبركة، فأعانه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بذلك.

(١).

[٣] ثم بين سبحانه ذم «الظهار» بقوله الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ أَيُّ يَقُولُونَ لَهْن: «أنت كظهر أمى» فإن هذا اللفظ كان طلاقاً فى الجاهلية، و معناه: أنه كما يحرم على ظهر الأم، كذلك تحرمين أيتها الزوجة على، و قد أقر الإسلام كون هذا اللفظ محرماً للزوجة، إذا اجتمع فيه شروط الطلاق، من كونه بمحضر العدلين و ما أشبهه، إلا أنه حرم الطلاق بهذا النحو و جعل الرجوع فيه الكفارة ما هُنَّ أى لسن الزوجات، المقول فيهن هذا القول أمهاتهنم فإن مجرد اللفظ لا يجعل من الزوجة أمّا إن أمهاتهنم

(١) مجمع البيان: ج ٩ ص ٤٠٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٥٠

تقريب القرآن إلى الأذهان ج ٥ ص ٣٩٩

[سورة المجادلة (٥٨): آية ٣]

وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكَمْ تُوَعِّظُونَ بِهِ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣)

أى أمهات هؤلاء المظاهرين إلا النساء اللائى جمع التى ولدنهنم فلا أمومه حقيقه بين المظاهر و المظاهر منها و إنهنم ليقولون منكراً من القول فإن تشبيه الزوجة بالأم قول منكر، فلا شرعية لهذا القول، و كل شىء لا يكون له حقيقة و لا شرعية فهو باطل و زوراً أى كذبا، فإن المظاهر إذا جعل ظهر امرأته كظهر أمه، و لم يكن بحقيقه كان كذبا، لكن لا يئأس القائل من عفو الله و فضله فإن أبواب التوبة مفتوحة و إن الله لعفو كثير العفو عن العصاة عفورا لذنوبهم. و أما الفرق أن العفو هو عدم العقاب، و ذلك لا يلازم الستر بحيث لا يكون ذنبه ظاهرا، كما نرى أن الحكومات قد تعفوا عن مجرم لكن جرمه مذكور ثابت فى الدفتر، أما الغفران فهو الستر للمعصية، حتى تمحى عن ديوانه سبحانه.

[٤] ثم جاء السياق لبيان حكم الظهار و ما يترتب عليه و الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ المظاهرة مشتقة من «الظهار» و الإتيان ب «من» لأن الظاهر يبتدأ من جانب المرأة ثم يعودون لما قالوا بأن يريدون الرجوع إلى النساء و نقض كلامهم السابق المقتضى للتحريم فاللازم عليهم لحلية الوطى و رجوع الزوجة كما كانت فتحرير رقبته أى يجعل عبدا مملوكا حرا بالعتق، و إنما قيل له رقبة بعلاقة الجزء و الكل من قبل أن يتماسا أى يمس أحد الزوجين الآخر، و هو كناية عن الجماع، فإن الجماع لا يحل قبل التحرير

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٥١

[سورة المجادلة (٥٨): آية ٤]

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصَةَ يَوْمَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعِينَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤)

ذَلِكَمُ ذَا إِشَارَةٍ إِلَى التَّحْرِيرِ وَ «كَمْ» خُطَابٌ، أَى أَنْ وَ جُوبُ التَّحْرِيرِ عَلَيْكُمْ مِمَّا تُوعِظُونَ بِهِ وَ الوعظ هو التحرير عن عمل يوجب

العقاب، فإن ترك التحرير و المماسه موجب للعقاب لأنه عصيان و الله بما تعملون من المماسه بدون الكفاره أو بعدها خير عالم مطلع، فلا تفعلوا ما يوجب عليكم عقابا.

[٥] فَمَنْ ظَهِرَ مِنْ زَوْجَتِهِ وَأَرَادَ الْعُودَ وَلَمْ يَجِدْ أَى لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ عَتَقِ رَقَبَةٍ إِمَّا لِعَدَمِ وَجُودِ الْمَالِ لِاسْتِرَائِهِ، أَوْ لِعَدَمِ وَجُودِ أَصْلِ الْعَبْدِ - كَمَا فِي زَمَانِنَا - فَكُفَّارَتُهُ صِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ التَّابِعِ هُوَ التَّوَالِي وَ مَجِيءُ الْوَاحِدِ بَعْقَبِ الْآخِرِ، أَى أَنْ يَصُومَ شَهْرَيْنِ بِلَا فَصْلِ إِفْطَارِ يَوْمٍ بَيْنَ أَيَّامِ الشَّهْرَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا أَى يَجَامِعَا الرَّجُلَ وَ الْمَرْأَةَ فَمَنْ ظَهِرَ وَ لَمْ يَسْتَطِعْ الْعَتَقَ وَ لَا الصِّيَامَ وَ أَرَادَ الرَّجُوعَ فَعَلِيهِ إِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا أَى فَقِيرًا بِأَنْ يَشْبِعَ بَطْنَهُمْ أَوْ يُعْطَى لِكُلِّ وَاحِدٍ ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِ مِنَ الْحِنْطَةِ - مِثْلًا - ذَلِكَ الْحُكْمُ بِالْكَفَّارَةِ لِلْمُظَاهِرِ الْمُرِيدِ لِلْعُودِ إِنَّمَا شَرَعَ لِتَوْمُونَا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ أَى لِيُرْسَخَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ فَإِنْ رَسَخَ الْإِيمَانُ إِنَّمَا هُوَ بِتَتَابُعِ الْأَعْمَالِ وَ التَّكَالِيفِ، فَإِنَّ التَّكَالِيفَ تَوْقُظُ الْقَلْبِ وَ تَقْوَى الْمَلِكَةِ فِيهِ، وَ حَيْثُ إِنَّ الْإِيمَانَ كَسَائِرِ الصِّفَاتِ شَيْءٌ تَدْرِيغِي يَحْدُثُ أَنَا بَعْدَ آخِرِ، صَحَّ الْإِتْيَانُ بِالْفِعْلِ بِاعْتِبَارِ الْمُسْتَقْبَلِ، كَقَوْلِهِ «أَهْدِنَا الصِّرَاطَ» وَ قَدْ تَقَدَّمَ تَفْصِيلُهُ وَ تِلْكَ الْكُفَّارَاتُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٥٢

[سورة المجادلة (٥٨): الآيات ٥ الى ٦]

إِنَّ الَّذِينَ يَحَادُّونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ قَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (٥) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَ نَسَّوهُ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٦)

حُدُودُ اللَّهِ أَى هِيَ الْحُدُودُ لِلْإِيمَانِ الَّتِي قَرَّرَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ، فَلَا يُسْمَحُ لِلْمُؤْمِنِ الْخُرُوجَ مِنْهَا، بِالْعَصِيَانِ، كَمَا لَا يُسْمَحُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ حُدُودِ الْمَدِينَةِ نَحْوَ الْأَعْدَاءِ وَ لِلْكَافِرِينَ بِحُدُودِ اللَّهِ الْمُنْكَرِينَ لَهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ مُؤَلَّمٌ مَوْجِعٌ.

[٦] إِنَّ الَّذِينَ يَحَادُّونَ اللَّهَ حَادَهُ بِمَعْنَى خَالَفَهُ وَ رَسُولَهُ بِأَنْ لَا يَمْتَثِلُونَ أَوْ أَمْرَهُمَا كُتِبُوا أَى أَذَلُّوا وَ أَخْزَوْا، مِنَ الْكِبْتِ بِمَعْنَى الْإِذْلَالَ كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَ الْمُشْرِكِينَ، وَ إِذْلَالَهُمْ بِنُصْرَةِ الْإِسْلَامِ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَ عَذَابَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَ قَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ أَى عَلَائِمَ وَ أَدْلَةً بَيِّنَاتٍ وَاضِحَاتٍ ظَاهِرَاتٍ، عَلَى أَصُولِ الْعَقِيدَةِ، وَ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ، فَلَا عِذْرَ لِلشَّخْصِ أَنْ يَقُولَ لَمْ أَعْرِفْ وَ لَمْ أَدْرَ وَ لِلْكَافِرِينَ بِالْآيَاتِ عَذَابٌ مُهِينٌ وَيُهَيِّمُهُمْ وَ يَذْلَهُمُ.

[٧] وَ الْعَذَابُ الْمُهِينُ إِنَّمَا هُوَ فِي يَوْمٍ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ أَى يَحْيِيهِمْ وَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا فَلَا يَتْرُكُ مِنْهُمْ أَحَدًا، وَ لَا مَفْرَاحًا أَحَدًا مِنْ بَأْسِهِ سُبْحَانَهُ فَيُنَبِّئُهُمْ أَى يُخْبِرُهُمُ اللَّهُ بِمَا عَمِلُوا إِخْبَارًا لِأَجْلِ الْعَذَابِ، فَإِنَّ الْمَجْرِمَ يَعْذَرُ أَوْلَا ثُمَّ يَعْاقِبُ لِثَلَاثِ يَقُولُ عَذِبْتُ ظَلَمًا أَحْصَاهُ اللَّهُ أَى عَدَدَهُ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ وَ حَفِظَهُ وَ نَسَّوهُ فَإِنَّ الْغَالِبَ إِنَّ الْإِنْسَانَ يَنْسَى أَعْمَالَهُ الَّتِي عَمِلَ بِهَا وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٥٣

[سورة المجادلة (٥٨): آية ٧]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَ لَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَ لَا أَذْنَى مِنْ ذَلِكَ وَ لَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧)

أَى شَاهِدٌ حَاضِرٌ، فَيَعْرِفُ كُلَّ مَا يَصْدُرُ مِنَ الْإِنْسَانِ، وَ يَأْمُرُ الْمَلَائِكَةَ بِتَبْيِينِهِ، لِيَجَازِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

[٨] أَلَمْ تَرَ أَى أَلَمْ تَدْرِكْ، فَإِنَّ الرُّؤْيَةَ قَدْ تَكُونُ بِالْعَيْنِ، وَ قَدْ تَكُونُ بِالْقَلْبِ، وَ الْمَخَاطَبُ هُوَ الرَّسُولُ أَوْ كُلٌّ مِنْ يَتَأْتِي مِنْهُ الْعِلْمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ؟

فَكَيْفَ لَا يَعْلَمُ أَعْمَالَ الْجَاهِدِينَ وَ الْكَافِرِينَ؟ وَ الْاسْتِفْهَامُ تَقْرِيرِي، وَ هُوَ بِمِثَابَةِ الدَّلِيلِ لِقَوْلِهِ «يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا» وَ «اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» ثُمَّ أَكَّدَ عَمُومَ عِلْمِهِ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهُ شَامِلٌ حَتَّى لِلْأَسْرَارِ الَّتِي يَفْضِي بِهَا الْإِنْسَانُ إِلَى إِنْسَانٍ سَرًّا وَ فِي إِخْفَاتِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى «مِنْ» زَائِدَةٌ لِعَمُومِ النَّفْيِ، وَ «النَّجْوَى» هُوَ الْحَدِيثُ السَّرِي يَدُورُ بَيْنَ اثْنَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ فِي مَنَآئِ مِنَ النَّاسِ ثَلَاثَةٌ أَى ثَلَاثَةٌ أَشْخَاصٍ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ رَابِعُهُمْ يَسْمَعُ مَا يَقُولُونَ.

وَلَا نَجْوَى خَمْسِيَّةٍ أَشْخَاصٍ إِلَّا هُوَ سَادِسِيَّتُهُمْ يَسْمَعُ كَلَامَهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ بَأَنَّ يَكُونُ الْمُتَنَاجِينَ اثْنِينَ وَلَا أَكْثَرَ بَأَنَّ يَكُونُوا أَكْثَرَ مِنْ خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَبْحَانَهُ مَعَهُمْ بِالْعِلْمِ وَالْإِطْلَاعِ أَيَّنَ مَا كَانُوا مِنْ بَقَاعِ الْأَرْضِ، وَغَيْرَهَا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ أَيَّ يَخْبِرُهُمْ بِمَا عَمِلُوا فِي الدُّنْيَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَجَازِيَهُمْ عَلَيْهِ فَإِنَّ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٥٤

[سورة المجادلة (٥٨): آية ٨]

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يُعْوِدُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْأَيْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاؤُكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٨)

الثواب والعقاب بعد الإخبار تكريماً للمثاب، وإهانة للمعاقب، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ يعلم الأشياء كلها فلا يخفى عليه شيء.

[٩] أَلَمْ تَرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى

قال ابن عباس

إنها نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا: ما نراهم إلا وقد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو مصيبة أو هزيمة، فكان ذلك يحزنهم فشكوا إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فنهى الرسول عن النجوى فلم ينتهوا عن ذلك، فأنزل سبحانه هذه الآية «١» ثُمَّ يُعْوِدُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ غَيْرَ مَبَالِينِ أَلْمُتَنَاجُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِالْأَيْمِ فَيَكُنُّ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ آثَامَهُ وَالْعُدْوَانِ أَيَّ التَّعَدَى عَلَى النَّاسِ وَالتَّعَدَى عَنِ الْحَقِّ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ بَأَنَّ كَانَ بَعْضُهُمْ يُوَصِّى بَعْضًا بَعْضِيَانِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَإِذَا جَاؤُكَ هَؤُلَاءِ الْمُتَنَاجُونَ بِالْبَاطِلِ حَيَّوْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ أَيَّ تَحِيَّةٍ ظَاهِرًا مَلِيحًا وَبَاطِنًا قَبِيحًا،

فقد كان اليهود يقولون للرسول عوض التحية «السلام عليك» و السام هو الموت، يخفون ذلك موهمين أنهم قالوا «السلام عليك» و قد كان فريق آخر يقول في تحيته «أنعم صباحا، وأنعم مساء» و هي تحية أهل الجاهلية،

(١) مجمع البيان: ج ٩ ص ٤١٣. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٥٥

[سورة المجادلة (٥٨): آية ٩]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْأَيْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبُرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩) فنهاهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن ذلك وقال «قد أبدلنا الله بخير من ذلك تحية أهل الجنة السلام عليكم» والاستفهام في قوله «ألم تر» للإنكار، أى لماذا يفعل هؤلاء هكذا وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ الْيَهُودُ وَ الْمُنَافِقُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ أَيَّ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَوْ خَلَجَانَا فِي صُدُورِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ أَيَّ لَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا حَقًّا، فَهَلَا يَنْزِلُ اللَّهُ عَلَيْنَا الْعَذَابَ؟ أَلَيْسَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِنَبِيٍّ؟ وَيَأْتِي الْجَوَابُ لِاسْتِفْهَامِهِمُ التَّعْنَتِي هَذَا حَسْبُهُمْ أَيَّ كَافِيهِمْ عِقَابُهُ جَهَنَّمُ الَّتِي يَصِلُونَهَا أَيَّ يَدْخُلُونَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَبِئْسَ الْمَصِيرُ أَيَّ الْمَرْجِعِ وَالْمَحَلِّ لِسُكْنَاهُمْ، أَمَا عَدَمُ تَعْذِيبِ اللَّهِ فَلَأَنَّهُ لَا يَعْذِبُ اللَّهَ فِي الدُّنْيَا كُلَّ عَاصٍ، وَإِلَّا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ دَابَّةٍ.

[١٠] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ بَعْضُكُمْ مَعَ بَعْضٍ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْأَيْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ أَيَّ لَا تَفْعَلُوا كَفَعَلِ الْمُنَافِقِينَ وَ الْيَهُودِ - كَمَا سَبَقَ - وَتَنَاجَوْا بِالْبُرِّ أَيَّ بِأَفْعَالِ الْخَيْرِ، كَأَنَّ يَنَاجِي أَحَدُهُمُ الْآخَرَ بَأَنَّ يَنْفِقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالتَّقْوَى كَأَنَّ يَنَاجِيهِ فِي تَرَكَ مَعْصِيَةٍ أَوْ فَعَلَ طَاعَةً مِمَّا يَتَّقَى بِهِ عَنِ عَذَابِ اللَّهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ أَيَّ خَافُوا عِقَابَهُ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ أَيَّ إِلَى حِسَابِهِ وَ جَزَائِهِ تَنْتَقِلُونَ بَعْدَ الْمَبْعَثِ وَ الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٥٦

[سورة المجادلة (٥٨): الآيات ١٠ إلى ١١]

إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١)

[١١] إِنَّمَا النَّجْوَى الذى يتعاطاه الكفار و المنافقون مِن أعمال الشَّيْطَانِ و إيهاءاته، و إنما يوحى إلى أوليائه بذلك لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا بأن يظنوا أن المتناجين ينقلون فيما بينهم خبرا محزنا، أو يدبرون مؤامرة، أو يستهزئون بالمؤمنين أو ما أشبه و لَيْسَ نجواهم بِضَارِّهِمْ أى لا- يضر المؤمنين شَيْئًا فان النجوى ليس إلا- عملا- باطلا- لغوا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ مَطَّلِعٌ عَلَى نَجْوَاهُمْ، فإن اقتضت حكمته أن لا يحول بينهم و بين ما دبروا من المكر، كان يضرهم، أما إذا لم يرد الله سبحانه ضرر المؤمنين حال بينهم و بين ما يدبرون بالنجوى، فاللازم أن يتوجه المؤمنون إلى الله بالضراعة ليدفع كيد الكفار و المنافقين عنهم وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ بأن يكفوا أمرهم إليه سبحانه، فإنه نعم الحفيظ.

[١٢] و إذا فرغ السياق من بيان أدب من آداب المجالس، بذكر بعض الأمور المرتبطة بالنجوى، بمناسبة تحدث المرأة مع الرسول حول الظهار، الذى كان حوارا فى المجلس و مما يحدث فى المجالس، جاء السياق ليبين أدبا آخر من آداب المجالس فقال سبحانه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ و القائل أى شخص كان تَفَسَّحُوا أى اتسعوا فى الْمَجَالِسِ بأن تجمعوا أنفسكم فى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٥٧

الجلوس، حتى يتسع المكان لشخص آخر فَافْسَحُوا و وسعوا المكان يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ أى يوسع الله لكم الأمر، أو يوسع الله لكم منازلكم فى الجنة، فقد ورد أن المسلمين كانوا يتنافسون على المجلس فى محضر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ فإذا رأوا من جاءهم مقبلا ضنوا بمجلسهم عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ أن يفسح بعضهم لبعض و إِذَا قِيلَ لَكُمْ انشُرُوا أى قوموا عن أماكنكم ليجلس غيركم، من «نشز» بمعنى ارتفع فَانشُرُوا أى قوموا،

قالوا و كان سبب نزول هذا أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ كان يكرم أهل بدر، و ذات يوم و الناس آخذون مكانهم حول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ ورد بعض أهل بدر فلم يفسح الجالسون لهم مكان، فقال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ لبعض الجالسين قوموا حتى يجلس أهل بدر، فقاموا لكن الكراهية بدت فى وجوههم و استغل المنافقون ذلك فقالوا لمن أقيم: أ هكذا عدل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ حيث يقيمكم ليجلس غيركم ذلك المكان؟ فنزل ذلك

«١».

يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ إِيمَانًا صَاحِبًا مِنَ الْأَعْمَاقِ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ فى الدنيا و فى الجنة، فهذا الامتثال للرسول بالقيام حسب أمره موجب لرفعتكم فى الدنيا و الآخرة، و فيه تناسب حسن بين قيامهم من المجالس، و رفعة درجاتهم، و الدرجات إنما هى بحسب مراتب الإيمان و العلم، و اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

(١) مجمع البيان: ج ٩ ص ٤١٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٥٨

[سورة المجادلة (٥٨): آية ١٢]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدْتُمَا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَتْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ أَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢)

أى عالم مطلع فيجازيكم حسب أعمالكم.

[١٣] و بعد ذلك جاء السياق لبيان أدب آخر من آداب مجلس الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وفيه تلميح إلى أن ذلك أدب عام، فقد سبق منا أن أمثال هذه الآيات إنما أتت بها للإلماع إلى الخطوط العامة في الأحكام والآداب، وإن لم يكن لها مصاديق خارجية بعد موت الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومن يرتبط بتلك الآيات مباشرة يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ أَي أَرَدْتُمُ الْإِسْرَارَ فِي أذْنِهِ، فَإِنَّ الْفِعْلَ يَأْتِي بِمَعْنَى الْإِرَادَةَ كَهَذِهِ الْآيَةِ، كما أن الإرادة تأتي بمعنى الفعل كقوله إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً «١» وَيُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ «٢» وما أشبه ذلك فَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ أَي أمام النجوى صَدَقَةٌ فَقَدْ كَانَ الْأَشْرَافُ - فِي زَعْمِهِمْ - يَأْتُونَ إِلَى الرَّسُولِ يَنَاجُونَهُ بِالْتَرَهَاتِ، إِظْهَارًا لِفَضْلِهِمْ - كما جرت عادة أمثالهم إلى هذا اليوم - يريدون إراءة الناس ان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يسمع لقولهم ويرعاهم فجاءت هذه الآية رادعة لهم، وفيه الأمر بتعظيم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وإنفاق الفقراء، والنهي عن الإفراط في السؤال، والميز بين المخلص والمنافق، ومحب الآخرة ومحب الدنيا، فلما سمعوا بهذه الآية انتهوا، باستثناء الإمام أمير المؤمنين عليه السَّلام، فصرف ديناراً عشرة دراهم، وأخذ يعطى درهما للفقير و يناجي، و درهما آخر و يناجي، وهكذا حتى أنفق العشرة «٣».

(١) الأحزاب: ٣٤.

(٢) البقرة: ١٨٦.

(٣) راجع بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ٣٧٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٥٩

[سورة المجادلة (٥٨): آية ١٣]

أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صِدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣)

ذَلِكَ أَي إعطاء الصدقة قبل النجوى خَيْرٌ لَكُمْ لأن فيه تحصيل الثواب، و أداء الواجب، و الدلالة على السخاء، و تعظيم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَ أَطْهَرُ لِأَنَّ التَّصَدَّقَ يَطْهَرُ النَّفْسَ مِنَ الرَّذِيلَةِ وَ الشَّحِّ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تَتَّصِدُّونَ بِهِ قَبْلَ النَّجْوَى فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ يَسْتُرُ عَلَيْكُمْ تَرَكَ ذَلِكَ رَحِيمٌ بِكُمْ فَلَا يَكْلِفُكُمْ التَّصَدَّقَ بَلْ يَجُوزُ لَكُمْ النَّجْوَى بَدُونَ الصَّدَقَةِ، وَ سَتْرُهُ سَبْحَانَهُ إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ إِجَابَةِ التَّصَدَّقِ، حَتَّى يَأْتِيَ الْمَنَاجِي بَدُونَ التَّصَدَّقِ، فَلَا يَقَالُ: لَا مَجَالَ لِقَوْلِهِ «غفور» فِي الْمَقَامِ، إِذِ الْغَفْرَانُ عَنِ الذَّنْبِ وَ لَا ذَنْبَ فِي الْمَقَامِ؟ وَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ لَمْ يَتَقَدَّمْ أَحَدٌ مِنَ النَّجْوَى إِلَّا الْإِمَامُ كَمَا سَبَقَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ رَفَعَ الْحُكْمَ بِقَوْلِهِ:

[١٤] أَأَشْفَقْتُمْ أَي هل خفتم من الفقر أيها المسلمون أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ صِدَقَاتٍ وَ كَانَ الْإِتْيَانُ بِالْجَمْعِ بِاعتبار كون «النجوى» جنساً شاملاً لأفراد متعددة، فلكل فرد صدقة، و هذا استفهام توبيخي، بأنه كيف تركتم هذه الفضيلة للخوف من الفقر مع العلم أن الصدقة لم تكن محددة، فكان يكفي القليل منها فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا أَي لم تتصدقوا، و تركتم النجوى بخلاف من الإنفاق وَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِأن عفى تقصيركم في هذه الفضيلة فاعملوا بسائر أحكام الإسلام فقد رفع عنكم هذا الحكم فلا مانع بعد ذلك من النجوى بدون الصدقة فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ بِالْإِتْيَانِ بِهَا بِحُدُودِهَا وَ آتُوا الزَّكَاةَ أَي

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٦٠

[سورة المجادلة (٥٨): آية ١٤]

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَ يُحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (١٤) أعطوها وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فِي سَائِرِ أَمْرِهِمَا وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ فَأَنْتُمْ بَعِينُهُ وَ تَحْتَاطَاعُهُ، فَلَا تَعْمَلُوا مَا يَخَالِفُ أَمْرَهُ حَتَّى تَسْتَحِقُوا الْعِقَابَ.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدى «يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول» كان لى دينار فبعته بعشرة دراهم فكلما أردت أن أناجى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدم درهما
 «١»، أقول: قوله «ءأشفقتم» لا ينافى عدم وجود النسخ فى القرآن، لأن الظاهر كون الأمر بتقديم الصدقة فى الآية السابقة، كان امتحانيا من قبيل رؤيا إبراهيم عليه السلام، ولإظهار فضيلة الإمام عليه السلام - كذا يقول المنكرون للنسخ -.

[١٥] وبمناسبة ما تقدم من النجوى، أتى السياق لبيان احترام السر وأنه لا يجوز إظهاره للأعداء ألم تر يا رسول الله، أو أيها الرائي إلى الذين تولوا بالصدقة والوداد قوماً من الكفار غصب الله عليهم قال فى المجمع: والمراد به قوم من المنافقين كانوا يوالون اليهود ويفشون إليهم أسرار المؤمنين «٢» ما هم أى ليس هؤلاء المنافقين منكم أيها المؤمنون ولا منهم أى من الكفار، بل

(١) بحار الأنوار: ج ١٧ ص ٢٩.

(٢) مجمع البيان: ج ٩ ص ٤١٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٦١

[سورة المجادلة (٥٨): الآيات ١٥ الى ١٧]

أَعِدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٦) لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧)

مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء وإذا قيل لهم لم تتناقفوا يخلفون لتبرئة ساحة أنفسهم على الكذب بأننا لا نساير الكفار ولا نناقف وهم يعلمون أنهم كاذبون فى قولهم وأنهم منافقون.

[١٦] أَعِدَّ اللَّهُ أى هيا الله لهم أى لهؤلاء المنافقين عذاباً شديداً فى الدنيا بالخزى والفضيحة وفى الآخرة بالنار والنكال إنهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق وموالة أعداء الله تعالى.

[١٧] اتَّخَذُوا هؤلاء المنافقون الذين حلفوا لكم أيمانهم جمع يمين وهى الحلف جنة أى ستره وترسا يدفعون بها عن نفوسهم التهمة والظنة إذا ظهر منهم النفاق فصيدوا أنفسهم، والناس الضعاف الإيمان عن سبيل الله أى الطريق الموصل إلى مرضاته فلهم عذاب مهين يذلهم ويهينهم جزاء على نفاقهم.

[١٨] لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أى لا تفيد هؤلاء المنافقين فى دفع عذاب الله عنهم أموالهم التى جمعوها ولا أولادهم الذين خلفوهم من الله أى من بأس الله ونكاله شيئاً فلا تدفعان عنهم ولو بعض العذاب أولئك المنافقون أصحاب النار الملازمون لها، كالصاحب الذى يلازم صاحبه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٦٢

[سورة المجادلة (٥٨): الآيات ١٨ الى ١٩]

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩)

هَمُّ فِيهَا خَالِدُونَ إِلَى الْأَبَدِ، وَ

قد روى أن الآيات نزلت فى منافق كان يجالس اليهود يأخذ عنهم نفاقاً، فلما اطلع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على أمره نهاه، فقال للرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه يأخذ عنهم صفته صلى الله عليه وآله وسلم الموجودة فى التوراة، وحلف على ذلك كذبا وتغطية لأمره، لكن الوحى فضحه وفشى أمره.

[١٩] هم أصحاب النار فى يوم يبعثهم الله أى هؤلاء المنافقين يحييهم بعد الممات للحساب والجزاء جميعاً بغير أن يترك منهم أحداً

و هذا التأكيد لثلا يحتمل أحد أنه يترك، كما هو الشأن في الدنيا إذ يترك بعض القوم- جهلا أو نسيانا- في الدعوات العامة و ما أشبهها فَيَخْلِفُونَ لَهُ أَى اللّٰه سبْحَانِه، بأنهم كانوا مؤمنين في دار الدنيا كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ فِي الْحَالِ ظَانِينَ أَنَّ اللّٰه لَا يَعْلَمُ أَمْرَهُمْ، و ينطلى عليه كذبهم بمجرد الحلف و يَحْسَبُونَ أَى يظنون أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ بِأَنَّ أَيْمَانَهُمُ الْكَاذِبَةُ تَرُوجُ هُنَا، كما كانت تروج في الدنيا لدى المؤمنين أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ فِي كَلَامِهِمْ و يمينهم فلا تروج الأيمان المكذوبة هناك، بل يعرفون بالكذب و الدجل.

[٢٠] اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمْ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الشَّيْطَانُ أَى اسْتَوْلَى عَلَيْهِمْ، و الاستحواذ هو الاستيلاء، من «حاذ» بمعنى «حاز» كالذى يحوز شيئا لنفسه و يختاره لشخصه فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللّٰهِ حَتَّى أَنْهَمُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٦٣

[سورة المجادلة (٥٨): الآيات ٢٠ الى ٢١]

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ أَوْلِيكَ فِي الْآذِلِينَ (٢٠) كَتَبَ اللّٰهُ لَأَعْلَيْنَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللّٰهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١)

لا- يذكرونه سبحانه حتى يخافوا منه، فينقلعوا عن النفاق و العصيان أَوْلِيكَ الْمُنَافِقُونَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ جَمَاعَتُهُ وَ أَتْبَاعُهُ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ الَّذِينَ خَسِرُوا دِينَهُمْ وَ آخِرَتَهُمْ، فَإِنَّ الدُّنْيَا تَرُولُ، وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ النَّارُ.

[٢١] ثم انتقل السياق من المنافقين، إلى كل مخالف لله و رسوله إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللّٰهَ أَى يتجاوزون حدوده بالمخالفة وَرَسُولَهُ فيما جاء من الأحكام أَوْلِيكَ فِي الْآذِلِينَ فلا أحد أذل منهم في الدنيا و الآخرة، و كأن الأذلون فرقة سابقة على الإسلام، فهؤلاء المحادون في زمن الرسول صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ أو بعده داخلون في أَوْلِيكَ، و كأن هؤلاء أكثر ذلًا و هوانا من العصاة من المؤمنين، و بهذا الاعتبار عبر عنهم بالأذل، أو أنهم أذل من الكافر غير المحادد.

[٢٢] و هل يظن هؤلاء المحادون أن عملهم يثمر لهم نجاحا، أو للإسلام هبوطا؟ كلا! فقد كَتَبَ اللّٰهُ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ وَ قَرَّرَ لَأَعْلَيْنَ أَنَا وَرُسُلِي عَلَى كُلِّ مِحَادٍ وَ مُخَالَفٍ، وَ قَدْ جَرَّبَ الْعَالَمَ صَدَقَ هَذِهِ الْمَقَالَةُ، فَالْآخِذُونَ بِزِمَامِ الْعَالَمِ حَتَّى فِي هَذَا الْيَوْمِ الْمَظْلَمِ هُمُ الرِّسَالُ كَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، وَ لَهُمْ مِنَ الْأَتْبَاعِ أَكْثَرُ مِنْ نِصْفِ أَهْلِ الْعَالَمِ، وَ مَنَاهِجُهُمْ سَارِيَةٌ- قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا- فِي كُلِّ الْعَالَمِ إِنَّ اللّٰهَ قَوِيٌّ عَلَى نَصْرِ أَنْبِيَائِهِ عَزِيزٌ غَالِبٌ فِي سُلْطَانِهِ، فَلَا يَتِمَكَّنُ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يَغْلِبَهُ أَوْ يَغْلِبَ رِسْلَهُ، وَ

قد روى أن المسلمين لما

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٦٤

[سورة المجادلة (٥٨): آية ٢٢]

لا- تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أَوْلِيكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَ أَيْدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَ يَدْخُلُهُمْ جَنَاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ أَوْلِيكَ حِزْبُ اللّٰهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللّٰهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)

رأوا ما يفتح الله عليهم من القرى قالوا: ليفتحن الله علينا الروم و فارس فقال المنافقون: أ تظنون أن فارسا و الروم كبعض القرى التي غلبتم عليها؟ فأنزل الله هذه الآية

«١».

[٢٣] ثم جاء السياق لبيان وظيفة المسلم أمام الكافر، و أنه يلزم عليه أن لا يواد الكافر مهما كان، خلافا لأَوْلِيكَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُوَادُّونَ الْكُافِرِينَ لَا تَجِدُ يَا رَسُولَ اللّٰهِ، أَوْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ إِيْمَانًا صَاحِحًا يُوَادُّونَ الْمَوَادَّةَ الْمَحَابَّةَ، مِنْ بَابِ «الْمَفَاعَلَةُ» مَنْ حَادَّ اللّٰهَ أَى خَالَفَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ بَتَرَكَ أَوْ أَمْرَهُمَا وَ الْكُفْرَ بِهِمَا، وَ الْمَعْنَى: إِنَّهُ لَا تَجْتَمِعُ مَوَالِدَةُ الْكُفْرَارِ مَعَ الْإِيْمَانِ، فَمَنْ وَالَاهُمْ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ، وَ إِنْ أَظْهَرَ الْإِيْمَانَ وَ لَوْ كَانُوا أَى كَانَ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ آبَاءَهُمْ أَى آبَاءَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ

إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أَنَّ قُرْبَتَ قُرَابَتِهِمْ، فَإِنَّ الْكُفْرَ يَقْطَعُ قُرَابَةَ الْمُؤْمِنِ بِالْكَفَارِ وَ إِنْ بَقِيَ رَجْحَانُ بَعْضِ أَقْسَامِ الصَّلَاةِ، إِذَا كَانَ الْكَافِرَ أَبَا أَوْ أُمًّا أَوْ مَا أَشْبَهَهُ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ، وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَ صَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴿٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يُؤَادُونَ الْكُفْرَانَ كَتَبَ اللَّهُ أَى أَثْبَتَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ

(١) مجمع البيان: ج ٩ ص ٤٢١.

(٢) لقمان: ١٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٦٥

بالألطاف الخفية بهم حيث رأهم في طريق الحق.

وَ أَيْدَهُمْ أَى قَوَاهِمُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِرُوحٍ مِنْهُ أَى بِرُوحٍ مِنْ عِنْدِهِ تَعَالَى، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ الصَّامِدَ تَوَجَّدَ فِيهِ رُوحٌ قَوِيَّةٌ تَوْجِبُ التَّزَامَ أَحْكَامِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، حَتَّى أَنْ أَقْوَى أَسْبَابِ الْكُفْرِ لَا تَتِمُّكَ مِنْ زَحْزَحَتِهِ وَ يُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا وَ قُصُورِهَا الْأَنْهَارُ مِنْ عَسَلٍ وَ خَمْرٍ وَ لَبَنٍ وَ مَاءٍ حَالٍ كَوْنُهُمْ خَالِدِينَ أَى دَائِمِينَ بَاقِينَ فِيهَا أَى فِي تِلْكَ الْجَنَّاتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حَيْثُ عِلْمٌ فِيهِمُ الْإِيمَانُ الرَّاسِخُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ وَ رَضُوا عَنْهُ بِمَا مَنَحَهُمْ مِنَ الْفَضْلِ وَ الْإِيمَانِ فِي الدُّنْيَا وَ الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ أُولَئِكَ الْمُتَصَفُونَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ حِزْبُ اللَّهِ جَمَاعَتُهُ وَ أَتْبَاعُهُ - فِي مَقَابِلِ حِزْبِ الشَّيْطَانِ - أَلَا فَلْيَنْتَبِهِ السَّمْعُ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ الَّذِينَ فَازُوا وَ ظَفَرُوا بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَ سَعَادَةِ الْآخِرَةِ، قَالُوا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي «حَاطِبٍ» حَيْثُ كَاتَبَ أَهْلَ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِإِقْبَالِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ نَحْوَهُمْ لِلْفَتْحِ، بَعْدَ مَا كَانَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ نَهَى أَصْحَابَهُ أَنْ يَفْشُوا الْخَبْرَ، فَلَمَّا عَوْتَبَ فِي ذَلِكَ، اعْتَذَرَ بِأَنْ أَهْلَهُ فِي مَكَّةَ فَأَرَادَ أَنْ يَكُونَ لَهُ يَدٌ عَلَى أَهْلِهَا، حَتَّى لَوْ كَانَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ رَاعَى أَهْلَ مَكَّةَ يَدَهُ عِنْدَهُمْ، فَلَا يُؤْذُوا زَوْجَتَهُ وَ أَهْلَهُ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٦٦

٥٩ سورة الحشر مدنية / آياتها (٢٥)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على لفظة «الحشر» و هي كسائر السور المدنية تشتمل على النظام بالإضافة إلى قضايا العقيدة و حيث ختمت سورة المجادلة بذكر حزبي الرحمن و الشيطان افتتحت هذه السورة بذكر غلبة حزب الرحمن على حزب الشيطان.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِاسْمِ الْإِلَهِ نَبْتَدِئُ السُّورَةَ، لِتَكُونَ مَعْلَمَةً بَعْلَامَةً الْإِيمَانِ وَ يَكُونَ تَعْلِيمًا لِلْمُسْلِمِينَ: بِلِزُومِ أَنْ يَبْدُؤُوا أَعْمَالَهُمْ بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الَّذِي خَلَقَهُ، بِالْخَلْقَةِ أَوْلًا، وَ اللَّطْفِ وَ التَّرْبِيَةِ وَ الْعِنَايَةِ ثَانِيًا.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٦٧

[سورة الحشر (٥٩): الآيات ١ الى ٢]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَ قَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَ أَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ (٢)

[٢] سَبَّحَ لِلَّهِ أَى نَزَّهَهُ سُبْحَانَهُ عَنِ النَّقَائِصِ، وَ يَجُوزُ فِي سَبْحِ تَعْدِيهِ بِلَا وَاسِطَةٍ نَحْوَ «سَبَّحَهُ» وَ تَعْدِيهِ مَعَ الْوَاسِطَةِ نَحْوَ «سَبَّحَ لَهُ» بِاعْتِبَارِ أَنْ التَّسْبِيحَ لَهُ لَا لغيره مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ الْمَرَادُ الظَّرْفُ وَ الْمَظْرُوفُ، وَ الْمَرَادُ بِالتَّسْبِيحِ إِذَا التَّكْوِينِي بِأَنْ كُلُّ شَيْءٍ يَدُلُّ عَلَى وَجُودِ الْإِلَهِ وَ سَائِرِ صِفَاتِهِ، دَلَالَةُ الْأَثَرِ عَلَى الْمُؤَثِّرِ، أَوْ التَّسْبِيحِ بِأَلْسِنَتِهَا الَّتِي لَا نَفْقَهُهَا، كَمَا قَالَ:

كل شيء في الكون يشعر لكن منع الناس عن شعور المشاعر وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَالِبُ فِي سُلْطَانِهِ الْحَكِيمُ يفعل الأشياء حسب الحكمة و الصلاح.

[٣] هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ كُلِّ أَهْلِ الْكِتَابِ كَفَرًا، لكن منهم من آمن بالرسول، فخرج عن الكفر، ومنهم من لم يؤمن فيقال له «كفر» إما باعتبار استمراره في الكفر من قبيل «اهدنا»، أو باعتبار أنه كان إلى قبل بعثة الرسول مؤمنا- إذ كان تكليفه هو دينه- فإذا جاء الرسول و لم يؤمن صار كافرا و المراد بهم هنا يهود «بنى النضير» مِنْ دِيَارِهِمْ بَأْن سَلَطَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ وَ أَيْدِهِمْ، حتى يتمكنوا من إخراجهم لِأَوَّلِ الْحَشْرِ الْحَشْرُ هُوَ الْجَمْعُ مِنْ مَكَانٍ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٦٨

إلى مكان آخر- و لعل المراد لأول مرة في إخراج اليهود من المدينة بصورة جماعية- ثم بعد ذلك أخرج غيرهم، حتى لا يبقى في جزيرة العرب اليهود إطلاقاً، فإنهم أهل مؤامرة و دسائس، فأراد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ إخلاء البلاد منهم و من كيدهم، لئلا يدبروا المؤامرات على الدين الجديد.

مَا ظَنَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَخْرُجُوا أَيُّ الْيَهُودِ بِهَذِهِ السَّرْعَةِ لَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنْ شِدَّةِ بَطْشِهِمْ وَ شَوْكَتِهِمْ وَ ظَنُّوا أَيُّ الْيَهُودِ أَنْتُمْ مَا نَعْتُهُمْ أَيُّ تَمَنَعْتُمْ مِنْ الْمُسْلِمِينَ حُصُونَهُمْ جَمْعَ حَصْنٍ وَ هِيَ الْقَلْعَةُ الَّتِي يَتَحَصَّنُ فِيهَا الْإِنْسَانُ خَوْفًا مِنَ الْعَدُوِّ الْمُهَاجِمِ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ بِأَنَّهُ سَبْحَانَهُ إِذَا أَرَادَ بِهِمْ شَيْئًا وَقَفَتْ حَصُونُهُمْ أَمَامَ إِرَادَتِهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ أَيُّ جَاءَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ بِالْخَرَابِ لِقْلَاعِهِمْ، وَ التَّشْرِيدَ لَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَخْتَسِبُوا أَيُّ لَمْ يَظُنُّوا أَنَّهُمْ يَمْكُنُ أَنْ يَأْتِيَهُمْ مِنْ تِلْكَ الْجِهَةِ بِأَنَّ الْقِيَّ الرَّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ وَ أَرْخَى قَوَاهِمَ، وَ كَسَرَ شَوْكَتَهُمْ وَ مَنَعْتَهُمْ وَ قَدَفَ أَيُّ الْقِيَّ اللَّهُ سَبْحَانَهُ فِي قُلُوبِهِمْ الرُّعْبَ أَيُّ الْخَوْفَ، فَإِنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا كَثْرَةَ شَوْكَةِ الْمُسْلِمِينَ انْهَارَتْ قَوَاهِمَ، وَ أَوَّلَ الْهَزِيمَةِ هُوَ: الرَّعْبُ وَ خَوْرُ الْقَوَى وَ انْهِيَارُ الْأَعْصَابِ يُخْرِبُونَ أَيُّ أَوْلَئِكَ الْيَهُودُ يُبَيِّنُهُمْ بِأَيْدِيهِمْ فَقَدْ كَانُوا يَهْدِمُونَ بِيوتَهُمْ لثَلَا يَنْتَفِعَ بِهَا الْمُؤْمِنُونَ وَ أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ يَخْرِبُونَ بِيوتَهُمْ لِيَصِلُوا إِلَيْهِمْ وَ يَهْزِمُوهُمْ فَاعْتَبَرُوا وَ اتَعَزَّوْا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٦٩

يَا أَوْلِي الْأَبْصَارِ أَيُّ أَصْحَابِ الْعُقُولِ، بِأَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ إِذَا حَادَهُ جَمَاعَةٌ كَيْفَ يَهْزِمُهُمْ وَ يَغْلِبُ عَلَيْهِمْ، حَتَّى أَنَّهُمْ بَأَنْفُسِهِمْ يَهْدِمُونَ بِيوتَهُمْ الَّتِي هِيَ أَعَزُّ مَا يَكُونُ لَدَيْهِمْ، وَ الْمَرَادُ بِالْإِعْتِبَارِ النَّظَرَ فِي الْأُمُورِ لِيَرَى الْإِنْسَانُ بِهَا أُمُورًا أُخْرَى لَهَا ارْتِبَاطٌ وَثِيقٌ بِهَا. وَ قَدْ ذَكَرَ الْمَفْسُرُونَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتُ نَزَلَتْ فِي «بَنِي النَّضِيرِ» وَ تَفْصِيلُ قِصَّتِهِمْ عَلَى مَا فِي «قَادَةَ الْإِسْلَامِ» «١»: قَتَلَ أَحَدُ أَصْحَابِ الرَّسُولِ نَفْرَيْنِ مِمَّنْ كَانَا فِي عَهْدِ الْإِسْلَامِ، وَ كَانَ قَتَلَهُمَا لِهَمَا اشْتِبَاهَا، فَأَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ أَنْ يَسْتَقْرَضَ دَيْتَهُمَا مِنْ بَنِي النَّضِيرِ، وَ هُمُ الْيَهُودُ قَرِبَ الْمَدِينَةِ، عَدَدُهُمْ زَهَاءُ الْأَلْفِ، فَأَظْهَرُوا قَبُولَ إِقْرَاضِ الدَّيْنِ، وَ دَعَا الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ إِلَى دَاخِلِ الْحَصَنِ.

لكن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ أْبَى وَ اتَّكَأَ عَلَى جِدَارِ الْحَصَنِ، وَ هُنَاكَ نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِئِيلُ وَ أَخْبَرَهُ بِأَنَّهُمْ عَازِمُونَ عَلَى الْغَدْرِ بِهِ، وَ تَبَيَّنَ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ ذَلِكَ مِنْ حَرَكَاتِهِمْ، حَيْثُ إِنَّهُمْ تَأَمَّرُوا بَيْنَهُمْ أَنْ يَذْهَبَ أَحَدُهُمْ عَلَى سَطْحِ الْجِدَارِ الَّذِي كَانَ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ مَتَكِّنًا عَلَيْهِ فَيَلْقَى عَلَى رَأْسِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ حَجْرًا حَتَّى يَقْضَى عَلَى حَيَاتِهِ الشَّرِيفَةَ.

قفل الرسول راجعا إلى المدينة، قبل أن يأخذ القرض، و أرسل رسولا إلى بنى النضير إذ نقضتم ميثاقكم و أردتم الغدر، فأخرجوا من بلادى و لقد أمهلتكم عشرة أيام، و حينذاك لم يجدوا مناصا عن الخروج إلا- أن بعض المنافقين، و عددهم النصر، و نهاهم عن الخروج، فلم يخرجوا، و أخبروا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ إِنَّهُمْ لَنْ يَخْرُجُوا فليفعل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٧٠

[سورة الحشر (٥٩): آية ٣]

وَلَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبْتَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣)

الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ ما بدا له و عزموا على القتال، فخرج الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ مع جمع من أصحابه، و رايته بيد الإمام أمير المؤمنين عليه السَّلام و حاصروا حصونهم و أخذوا يحتلون بيوتهم، فكانت اليهود تنسحب من دار إلى دار، و كلما انسحبت هُدِّمت البناء الذي في معرض الاحتلال و استماتوا، فأراد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ قطع آمالهم عن أراضيهم، فأمر بقطع نخيلهم. يئس اليهود عن النجدة، و أرسلوا إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ رسولاً- يطلبون منه أن يسمح لهم بالخروج جميعاً، فأذن لهم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ، بشرط أن لا- يحملوا أكثر مما تحمله إبلهم فقط، لكنهم لم يقبلوا، و بقوا مستميتين، و لما ضيق عليهم الحصار قبلوا شرط الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ، لكن الرسول جزاهم عن عنادهم، فلم يسمح لهم بحمل شيء من أموالهم، و إنما أذن لهم بالخروج بدون حمل أثقالهم، فقبلوا الشرط و خرجوا وحدهم، و خلوا أموالهم كلها للإسلام، فقسم الأموال بين المهاجرين الأولين، و أعطى منها لنفرين من الأنصار، و بجلاء بنى النضير استراح المسلمون من عدو لدود لهم، كان يكيد لاجتثاث الإسلام من جذوره.

[٤] وَلَوْ لَا- أَنْ كَتَبَ اللَّهُ أَى حَكَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَى عَلَى بنى النضير الجلاء أَى الانتقال من ديارهم، و الجلاء عن أوطانهم لَعَذَّبْتَهُمْ فِي الدُّنْيَا بأن أمر الرسول بقتلهم و إهلاكهم كما أنه سبحانه فعل ذلك بنى قريظة وَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ لما تمادوا فى كفرهم و عصيانهم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٧١

[سورة الحشر (٥٩): الآيات ٤ الى ٦]

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ مَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَ لِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (٥) وَ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَ لَا رِكَابٍ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦)

[٥] ذَلِكُ الإِخْرَاجِ لَهُمْ عَنْ دِيَارِهِمْ، وَ إِعْدَادِ النَّارِ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ بسبب أنهم شَاقُّوا اللَّهَ أَى عَادَوْهُ وَ حَارَبُوا رَسُولَهُ وَ مَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ بالمخالفة و المحاربة فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ أَى فليستعد للعقاب الشديد، لأنه تعالى «أرحم الراحمين فى موضع العفو و الرحمة، و أشد المعاقبين فى موضع النكال و النقمة».

[٦] مَا قَطَعْتُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِينَةٍ أَى نَخْلَةٍ كَرِيمَةٍ مِنْ أَنْوَاعِ النَّخِيلِ، وَ إِنَّمَا سُمِّيَ لِينَةً لِلِّينِ ثَمَرِهِ، وَ تَقْبَلُ سَعْفَهُ لِلتَّصْنِيعِ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا أَى جَذَعُوهَا بِأَنْ لَمْ تَقْطَعُوهَا- فَقَدْ قَطَعَ الْمُسْلِمُونَ بَعْضَ النَّخِيلِ لِبَنَى النَّضِيرِ وَ تَرَكُوا بَعْضَهَا قَائِمَةً- فَبِإِذْنِ اللَّهِ فَقَدْ تَحْرَجَ الْمُسْلِمُونَ عَنْ هَذَا الْعَمَلِ، بِأَنَّهُ إِنْ لَزِمَ الْقَطْعَ فَكَانَ مَا أَبْقُوا غَيْرَ جَائِزٍ، وَ إِنْ لَزِمَ الْإِبْقَاءَ كَانَ مَا قَطَعُوا غَيْرَ جَائِزٍ، وَ لَذَا جَاءَ الْبَيَانُ لِيُبَيِّنَ مَوْقِفَهُمْ وَ يَطْمِئِنُّ قُلُوبَهُمْ، فَإِنْ مَا احتيج إلى قطعه فى الحرب و التنكيل قطع، و ما لم يحتج إلى قطعه أبقى، وَ لِيُخْزِيَ أَى يذل اللَّهَ الْفَاسِقِينَ أَى أولئك اليهود بهذا القطع و الإبقاء، فما قطع أورث فيهم حسرة كيف قطع المسلمون ما غرسوه و ربوه، و ما أبقى أورث فيهم حسرة كيف أبقى حتى ينتفع المسلمون به؟

[٧] ثُمَّ يَأْتِي السِّيَاقُ لِيُبَيِّنَ أَحْكَامَ الْغَنِيمَةِ الَّتِي غَنَمُوهَا فِي إِجْلَاءِ بَنَى النَّضِيرِ، بِأَنَّهَا خَاصَةٌ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ وَ أَقْرَبَائِهِ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَتَّبِعُوا لِأَجْلَاهَا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٧٢

و ذلك بخلاف الغنيمه التي تعب المسلمون فى تحصيلها، فإنها تقسم خمسة أقسام أربعة منها للمسلمين، و واحدة منها للرسول و

أقربائه، وإنما خصص القسم الأول بالرسول وآله، لأنهم لما منعوا من الزكاة احتجوا إلى سد نفقاتهم وذلك إنما هو بالفىء والخمس، ولأنه لا بد وأن يكون للرسول صلى الله عليه وآله وسلم حصة زائدة ليتمكن من إدارة شؤون المسلمين المرتبطة بأمر الدولة- كما تخصص لرؤساء الحكومات- اليوم- حصة معينة من الخزينه لسد نفقاتهم المرتبطة بالشؤون العامة- وما أفاء الله الفىء هو الغنيمه، وأصله بمعنى الرجوع، وإنما سميت الغنيمه فينا، لبيان أنها كانت بيد الكفار غصبا، فرجعت إلى أصحابها الشرعيين وهم المؤمنون الذين خلق الله لهم كل شىء على رسوله منهم أى من بنى النضير فما أوجفتم أيها المسلمون، و«ما» نافية، والإيجاف تسيير الخيل والركاب من وجف يجف، بمعنى تحرك باضطراب، إذ الفتح بالقهر يلازم الاضطراب فى الحركة عَلَيْهِ أى على ذلك الفىء مِنْ خَيْلٍ هِىَ الْفَرَسِ وَلَا رِكَابٍ هِىَ الْإِبِلُ، أى أنكم لم تحصلوا على تلك الغنيمه بسبب الفتح بخيل أو إبل حتى يكون لكم ذلك الفىء.

وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنَ الْكُفَّارِ بِإِيقَاعِ الرَّعْبِ فِي قُلُوبِهِمْ حَتَّى يَفْتَحَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَدَنَهُمْ بِلَا حَرْبٍ وَلَا تَعَبٍ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَيَتِمُّكَ مِنْ تَسْلِيْطِ الرَّسْلِ عَلَى الْكُفَّارِ بِلَا حَرْبٍ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٧٣

[سورة الحشر (٥٩): آية ٧]

مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِإِذَى الْقُرْبَى وَالتَّيْتَامَى وَالتَّمْسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧)

[٨] وإذا تمهدت هذه المقدمة- وهى أن المسلمين إن لم يتعوا على هذا الفىء- جاء السياق ليذكر حكمه، وانه ليس لهم، وإنما هو للرسول وآله ما أفاء الله أى ما أرجع الله سبحانه على رسوله من أموال أهل القرى الكافرة التى حصل الرسول عليها بدون حرب فله تعالى- تشريفا للرسول- وإلا فكل شىء له سبحانه وللرسول بتمليك الله إياه ولذى القربى أى أهل بيت رسول الله وقربته، والمراد بهم الأئمة الطاهرون عليهم السلام.

والتَّيْتَامَى جمع يتيم وهو من مات أبوه وَالتَّمْسَاكِينِ جمع مسكين وهو الفقير الذى أسكنه الفقر من الحركة وَابْنِ السَّبِيلِ وهو المنقطع فى سفره الذى لا يعرف من أمره شىء، ولذا ينسب إلى الطريق. وقد ثبت أن المراد بهؤلاء السادة من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ثم بين سبحانه الحكمة فى جعل الفىء هكذا بقوله: كَيْ لَا يَكُونَ الْفَىءُ دُولَةً وهى اسم للشىء الذى يتداوله القوم فيما بينهم يكون لهذا مرة ولهذا مرة بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ حتى لا- يعمل فى الفىء ما كان يعمل فى الجاهلية، فقد كان إذا وقع غزو أخذ الرؤساء الأموال، ومن المعلوم أن الرؤساء يتداولون المال بينهم بالضيافة والزواج لأبناء بعضهم من بنات بعض، واستقبال بعضهم لبعض وهكذا مما يوجب نقل المال من هذا الرئيس إلى ذاك الرئيس فيبقى الفقراء محرومون، وهذه العلة أى قوله «لكى» مع العلة السابقة وهى «فما أوجفتم» يتمان

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٧٤

[سورة الحشر (٥٩): آية ٨]

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيُنصِرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨)

المطلوب، إذ لا- يخلو أمر الفىء بين أن يكون للرؤساء، كالجاهلية، أو للمسلمين كالغنائم، أو للرسول وآله، و إذ قد نفى الأول لأنه يوجب احتكار المال بين الأغنياء، والثانى لأن المسلمين لم يتعوا فى تحصيله حتى يستحقوا شيئا، لم يبق إلّا الثالث.

ثم لما كان هذا الحكم شاقا عليهم نزل قوله: وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ أى أعطاكم من الأحكام فَخُذُوهُ أى تمسكوا به واعملوا بفحواه وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ وَبَيْنَ لَكُمْ حَرَمَتُهُ فَانْتَهُوا عَنْهُ وَلَا تَرْتَكِبُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ أى خافوا عقابه فلا تخالفوه إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ لمن ترك أوامره و

خالفه.

قال فى المجمع - ناقلا- إن الآية نزلت فى رؤساء المسلمين قالوا له: يا رسول الله خذ صفيك و الربيع و دعنا و الباقي فهكذا كنا نفعل فى الجاهلية و أنشدوه لك المربع منها و الصفايا و حكمك و النسيطة و الفضول فنزلت الآية فقالت الصحابة سمعا و طاعة لأمر الله و أمر رسوله

(١).

[٩] ثم بين سبحانه وصف الطوائف الأربع من آل الرسول صلى الله عليه و آله و سلم الذين خصص بهم الفىء - الذى لم يوجف عليه بخيل و لا ركاب- و ليس ما يأتى من الوصف إلا كحكمة للتشريع حال نزول الآيات لا إنها أوصاف مشروطة دائما.

(١) مجمع البيان: ج ٩ ص ٤٣٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٧٥

[سورة الحشر (٥٩): آية ٩]

وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩)

لِلْفُقَرَاءِ بدل لقوله «لِذِي الْقُرْبَىٰ...» أو «وَالْيَتَامَىٰ..» و هذا هو الأوفق بما ثبت من أن الإمام الذى يأخذ الفىء لا يشترط فيه الفقر - إلا أن يكون حكمه حال النزول، كما ذكرنا- فلا تخصيص المهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ أخرجهم الكفار ظلما و عدوانا و أموالهم إذ خلفوا أموالهم وراء ظهرهم يَبْتَغُونَ أى يطلبون هؤلاء المهاجرون فَضْلًا مِنَ اللَّهِ بأن يتفضل سبحانه عليهم عوض ما خلفوه وراءهم من الديار و الأموال و رضواناً بأن يرضى عنهم و يَنْصُرُونَ اللَّهَ أى ينصرون دينه سبحانه و رَسُولَهُ بالجهد بين يديه لإعلاء كلمة الإسلام أُولَئِكَ المتصفون بتلك الصفات هُمُ الصَّادِقُونَ الذين صدقوا فى إيمانهم حيث أتوا بمقتضيات الإيمان.

[١٠] و إذ جرى مدح المهاجرين، جاء السياق لمدح الأنصار، بقوله وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ يَعْنِي الْمَدِينَةَ، و هى دار الهجرة، و معنى «تبوؤا» اتخذوها منزلا، و مبوءا، من «باء» بمعنى رجع و يسمى المنزل مبوءا لأن الإنسان كلما خرج رجع إليه و الْإِيمَانَ أى تبوؤا الإيمان، فهو كالمنزل الذى يتخذة الإنسان محل استراحة و رجوع، فكلما نزل به أمر رجع إلى الإيمان يستلهمه العلاج و الخلاص، أو أن التقدير «آثروا الإيمان» مِنْ قَبْلِهِمْ أى قبل هجرة المهاجرين إلى المدينة، فإن أهل المدينة آمنوا قبل هجرة المهاجرين

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٧٦

[سورة الحشر (٥٩): آية ١٠]

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ (١٠)

يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ من مكة و سائر القرى الكافرة- و هذا هو خبر «الذين»- و المعنى كما أن للمهاجرين المدح بما تقدم، للأنصار المدح بأنهم يحبون المهاجرين و لا يَجِدُونَ أى هؤلاء الأنصار فى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا أى لا يحسدون المهاجرين من جهة ما آتاهم الرسول صلى الله عليه و آله و سلم من غنائم بنى النضير، و يُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أى يقدمون المهاجرين فى الإسكان و الإحسان، على أنفسهم و لو كان بِهِمْ أى هؤلاء الأنصار خَصَاصَةٌ أى احتياج و فقر، فإنهم يرجحون المهاجرين على حاجة أنفسهم، و مثل هذا الإنسان أعظم ثوبا ممن ينفق و هو غنى.

وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ أى من يحفظ بلطف الله سبحانه، من بخل النفس، بأن لا تغلبه نفسه فتبخل فأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ أى الفائزون

بالدرجات الرفيعة.

[١١] و إذ فرغ السياق عن المهاجرين و الأنصار، جاء ليمدح التابعين لهم بإحسان إلى يوم القيامة بقوله وَ الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ بَأْسَ أَسْلَمُوا مِنْ بَعْدِ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ، قولهم هذا- مما يدل على رسوخ الإيمان فيهم- رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَ اغْفِرْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٧٧

[سورة الحشر (٥٩): آية ١١]

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَ لَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَ إِن قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١)

لِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ غَيْرِهِمْ وَ لَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا أَي حقدًا و غشًا و عداوةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْ مَضَى مِنْهُمْ أَوْ مِنْ عَاصِرِنَاهُمْ وَ إِنَّمَا قَالَ «لَا تَجْعَلْ» لبيان أن اللطف منه سبحانه، حتى إذا لم يلطف بإنسان كان معرضاً للغل، و المعنى لا- تتركنا على أحوالنا، حتى يستولى علينا الشيطان و النفس، فتكون أنفسنا معرضاً للغل رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ بَعَادُكَ رَحِيمٌ بِهِمْ، و هذا تعليم للمؤمنين كيف ينبغي أن يكونوا اتجاه من سبقهم، و تجاه سائر المؤمنين المعاصرين لهم.

[١٢] و إذا سبق مدح المؤمنين و بيان صفاتهم، جاء السياق ليظهر طرفاً من أحوال المنافقين بقوله: أَلَمْ تَرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ أَيُّهَا الرَّائِي، وَ الْاسْتِفْهَامُ لِلتَّعْجِبِ وَ الْاسْتِنْكَارِ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا بَأْسَ أَظْهَرُوا الْإِيمَانَ وَ أَبْطَنُوا الْكُفْرَ يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ فِي الْكُفْرِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَي كَفَرُوا بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ، وَ الْمُرَادُ بِهِمْ يَهُودُ بَنِي النَّضِيرِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ أَي أَخْرَجَكُمْ الرَّسُولُ مِنْ دِيَارِكُمْ وَ بِلَادِكُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ مُوَافِقَةً لَكُمْ، فَلَا نَبْقَى فِي بِلَادِنَا، وَ لَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَي فِي أَمْرٍ قَاتَلَكُمْ أَحَدًا يَعْنُونَ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ أَبَدًا فَإِذَا أَمَرْنَا بِقَاتَلِكُمْ لَا نَقَاتَلِكُمْ وَ إِن قُوتِلْتُمْ بَأْسَ قَاتَلِكُمْ الرَّسُولُ وَ الْمُسْلِمُونَ لَنَنْصُرَنَّكُمْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٧٨

[سورة الحشر (٥٩): الآيات ١٢ إلى ١٣]

لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤَلَّنَّ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ (١٢) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٣)

أَي نَكُونُ فِي جَهْتِكُمْ ضِدَّ الرَّسُولِ وَ الْمُسْلِمِينَ وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ أَي هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ فِي أَقْوَالِهِمْ، فَلَا يَخْرُجُونَ مَعَ بَنِي النَّضِيرِ وَ لَا يَقَاتِلُونَ مَعَهُمْ فَقَدَ قَالُوا: إِنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي كَانَ يَحْرُضُ الْيَهُودَ عَلَى الْإِسْتِمَانَةِ وَ قَاتَلَ الرَّسُولَ وَ يَمْنِيهِمْ بِهَذِهِ الْمَوَاعِيدِ الْكَاذِبَةِ، وَ كَانَ كَمَا قَالَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ كَذَبَ حِينَ أَتَى وَقْتُ الْعَمَلِ.

[١٣] لَئِنْ أُخْرِجُوا أَي أَخْرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ بَنِي النَّضِيرِ لَا يَخْرُجُونَ أَي هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ مَعَهُمْ تَشَارَكَ مَعَهُمْ فِي الْفِرَارِ وَ التَّخْلِصِ وَ لَئِنْ قُوتِلُوا أَي قَاتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ لَا يَنْصُرُونَهُمْ كَمَا زَعَمُوا وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ عَلَى فَرَضِ مُسْتَحِيلٍ لَيُؤَلَّنَّ الْأَذْبَارَ أَي يَنْهَضُونَ عَنْ مَقَابِلَةِ الرَّسُولِ وَ الْمُسْلِمِينَ وَ يَسْلَمُونَ بَنِي النَّضِيرِ طَعْمَةً سَائِعَةً لِحُرَابِ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ الْيَهُودَ لَا يَنْصُرُونَ عَلَى فَرَضِ أَنَّهُمْ بَقُوا مَعَهُمْ وَ لَمْ يُولُوا الْأَذْبَارَ، لِأَنَّ الْمُنَافِقِينَ أَذِلُّ مِنْ أَنْ يَتِمَّكَونَا مِنَ الْمَقَاوِمَةِ أَمَامَ الرَّسُولِ وَ كِتَابِ الْمُسْلِمِينَ الْمَجَاهِدَةِ.

[١٤] ثُمَّ يَأْتِي السِّيَاقُ لِيُبَيِّنَ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ خَائِفُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَشَدَّ الْخَوْفِ فَكَيْفَ يَتِمَّكَونَا مِنْ نَصْرِ الْيَهُودِ فِي قِبَالِ الْمُسْلِمِينَ؟ لَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ أَشَدُّ رَهْبَةً أَي خَوْفًا فِي صُدُورِهِمْ أَي صُدُورِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ، أَوْ الْيَهُودِ، وَ إِنَّمَا قَالَ «فِي صُدُورِهِمْ» لِأَنَّ الصُّدُورَ مَكَانَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٧٩

[سورة الحشر (٥٩): آية ١٤]

لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسِهِمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَ قُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ

(١٤)

القلب و القلب مبعث النفس التي تحمل الخوف و الاطمئنان من الله فهم لا يخافون من الله قدر ما يخافون منكم، لأنهم يرونكم و لا يرون الله سبحانه، و لم يتمكن الإيمان في قلوبهم حتى يخافونه، ذلك أي شدة خوفهم منكم بسبب أنهم قوم لا يفقهون أي لا يعقلون و لا يعرفون عظمتة سبحانه، و من لم يعرف الملك لم يهبه.

[١٥] ثم بين سبحانه أن قتال اليهود للمسلمين ليس مثل سائر الحروب، فإنهم لشدة خوفهم من المسلمين و اختلاف الكلمة فيما بينهم لا- جرأه لهم على المقاتلة السافرة، و ذلك مما يشجع المسلمين على القتال لا يُقاتلونكم أيها المسلمون، هؤلاء اليهود جميعاً أي في حال اجتماعهم- و ذلك لبيان شدة ضعفهم حتى أن جميعهم لا يتمكنون من القتال إلا بالكيفية الآتية- أو المراد بضمير الفاعل: اليهود و المنافقون، و جميعاً لتأكيد ذلك إلا في قريءة مُحَصَّنَةٍ أي لا يبرزون لحربكم إلا و هم متحصنون بالقرى ذوات الحصون و الامتناع أو من وراء جُدُرٍ جمع جدار، يرمونكم بالنبل و الحجارة و ما أشبه.

بأسئهم بينهم شديداً يعني أن عداوة بعضهم لبعض شديدة، فلا- ائتلاف بينهم و لا اتحاد، حتى تتفق قلوبهم و يشجعوا في مقاتلتكم تحسبهم أي تظنهم يا رسول الله، أو أيها الرائي جميعاً أي متفقين متراضين و الحال ليسوا كذلك بل قلوبهم شتى جمع

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٨٠

[سورة الحشر (٥٩): آية ١٥]

كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٥)

شئت كمرضى و مريض، و الشئت هو المتفروق، أي أن قلوبهم متفرقة ذلك الذي ذكر في وصفهم بسبب أنهم قوم لا يعقلون ما فيه الرشد مما فيه الغي، و من لا يعقل يكون بما ذكر له من الصفة، و هذه الصفات في اليهود إنما تولدت من منهجين ينهجون عليهما الأول:- زعمهم بأنهم شعب الله المختار. و الثاني: تكالبهم على المادة، فإن الاتفاق و سائر الفضائل إنما تولد من التواضع و تحكيم الروحيات في الأمور، فإذا زعم كل إنسان أنه فاضل لم يرضخ لغيره مما يسبب التشيت، و إذا اتجه الإنسان نحو المادة لم تهذب نفسه حتى ينبع منها الخير و الفضيلة، و لذا نرى عبر التاريخ، اليهود بين معتد، و بين مطارد، إن صار لهم شيء اعتدوا ثم جاء من يطاردهم، و هكذا دواليك، و قد رأينا في عصرنا قصة اعتدائهم في «ألمانيا» و مطاردة «هتلر» لهم ... ثم اعتدائهم في المسلمين، و أخذت السحب تتجمع هنا و هناك لمطاردتهم.

[١٦] و مثل بنى النضير كمثل الذين من قبلهم قريياً و هم بنو قينقاع الذين نقضوا عهد الرسول فأمرهم صلى الله عليه و آله و سلم بالخروج ذاقوا وبال أمرهم أي عاقبه عملهم السيئ، و لهم عذاب أليم أي مؤلم موجه في الآخرة، و قد كان عبد الله بن أبي المنافق و عداهم النصر، فلم ينصرهم، كما غر بنى النضير و خذلهم حين التحموا بجيش المسلمين.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٨١

[سورة الحشر (٥٩): الآيات ١٦ الى ١٨]

كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَ ذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (١٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)

[١٧] فكان مثله كمثل الشيطان في تغريه ثم خذلانه و تسليمه إلى عذاب الله إذ قال للإنسان اكفر بأن وسوس إليه و زين الكفر في نظره حتى أطاعه فكفر فلما كفر و خالف الله سبحانه بما استحق به عذابه قال الشيطان إنى برىء منك أيها الكافر لا أنصرك و لا أخلصك من عذاب الله إنى أخاف الله رب العالمين و هل الخائف يتمكن من نصره غيره؟ و كذلك ابن أبي غر بنى النضير و بنى قينقاع حتى حاربا الرسول، فلم ينصرهما بل خذلهما.

[١٨] فكان عاقبتهم أي عاقبه الشيطان و الإنسان الذي غره فكفر، أنهما في النار حال كونهما خالدين فيها أي استحقا النار و لقاها

العذاب، ذاك ياغرائه، و هذا بكفره و ذلك العقاب جزاء الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بالكفر اغترارا بكلام الشيطان.

[١٩] يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ أَي خافوا عقابه، فلا تتركوا أوامره، و تخصيص الخطاب بالمؤمنين لأنهم المنتفعون به و إلا فالتقوى تجب على كل أحد و لتُنظَرُ نَفْسُ أَي لينظر كل إنسان و يفكر فى ما قَدَمْتُ لِعَدِي أَي ليوم القيامة، هل أنه قدم الصالح أو الفاسد، الثواب

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٨٢

[سورة الحشر (٥٩): الآيات ١٩ الى ٢١]

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)

أو العقاب بمعنى لزوم تقديم الشيء الحسن و إن كل عمل يعمله الإنسان فإنما يراه غدا و اتَّقُوا اللَّهَ فلا تخالفوا أوامره و زواجره إنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ مطلع على أعمالكم فيجازيكم غدا عليها.

[٢٠] وَلَا تَكُونُوا يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ بِأَن آمَنُوا ثم نسوا الله فخالفوه، كأهل الكتاب، و ليس المراد نسيانهم له حقيقة، بل أعم من ذلك و ممن ترك الأوامر، فإن العالم التارك كالناسى فى عدم الامتثال فأنسأهم الله أنفسهم أى جعلهم الله ناسين حتى أنهم لم يعملوا لنجاتها و خلاصها كالإنسان الذى ينسى نفسه فلا يهتم بشأنها أولئك الذين تلك صفتهم هُمُ الْفَاسِقُونَ الخارجون عن طاعة الله تعالى.

[٢١] و هل يتساوى هؤلاء الذين يدخلون النار جزاء لكفرهم و عصيانهم مع الذين يدخلون الجنة جزاء لإيمانهم و عملهم الصالح؟ كلا لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ الْمَلَاذِمُونَ لَهَا وَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ الدَّائِمُونَ فِيهَا أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ الَّذِينَ فَازُوا بِالثَّوَابِ وَ النِّجَاةِ.

[٢٢] و كيف لا يخشع الكفار للقرآن حتى يؤمنوا بما جاء به، و الحال أن القرآن لو نزل على جبل لخشع؟ فما يخشع له الجبل الجامد، كيف

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٨٣

[سورة الحشر (٥٩): آية ٢٢]

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢)

لا- يخشع له القلب القاسى فهى كالحجارة أو أشد قسوة «١» لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ بِأَن كان الجبل هو المخاطب بالقرآن الموظف للعمل به لَرَأَيْنَاهُ أَي رأيت يا رسول الله، أو أيها الرائي، ذلك الجبل خاشعاً خاضعاً خائفاً مُتَصَدِّعاً أَي منشقاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ و خوفه، و هذا إما على نحو الحقيقة باعتبار أن للجماذ إدراكا و ان كنا لا نعرف كيفية إدراكه، كما قال سبحانه يا جِبَالُ أُوِّبِي مَعَهُ «٢» و قال قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ «٣» و قال وَ إِنِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ «٤» و قال وَ أَشْفَقْنَ مِنْهَا «٥» و إما على المجاز كناية عن قوة ما فى القرآن من النفوذ و المضى حتى إن الجبل- مع عظمته- لو عقل لخشع و تصدع، فكيف لا- يخشع الإنسان؟ وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ أَي هذا المثل و ما أشبهه نبيها للناس، و هذا مثل لشدة نفوذ القرآن و مضيه، لتقريب عظمة القرآن إلى الأذهان لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ أى لكى يتفكروا فيما ضرب له المثل، فإن المثل يقرب الذهن إلى الممثل له، فيكون مجال التفكير فيه أوسع.

[٢٣] ثم أتى السياق لبيان جملة من صفات الله سبحانه، لبيان خضوع الوجود كله له تعالى كما أن الجبل يخضع لكلامه هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

(١) البقرة: ٧٥.

(٢) سبأ: ١١.

(٣) فصلت: ١٢.

(٤) الإسراء: ٤٥.

(٥) الأحزاب: ٧٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٨٤

[سورة الحشر (٥٩): آية ٢٣]

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣)

أى لا- متصرف فى الكون و لا- معبود بالحق إلا- هو وحده بلا- شريك عالم الغيب و الشهادة فيعلم كل شىء سواء كان غائبا عن الحواس كالملك و الجن و ما أشبههما، أو تشهده الحاسة و تدركه كالمرئيات و المسموعات و ما إليهما. أو عن الباقر عليه السلام انه قال الغيب ما لم يكن و الشهادة ما كان

هُوَ الرَّحْمَنُ الْمُتَفَضَّلُ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ الرَّحِيمُ الْمُتَفَضَّلُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَاطْلَاعُهُ اِطْلَاعَ رَحْمَنِ رَحِيمٍ لَا اِطْلَاعَ قَسَى غَلِيظٍ شَدِيدٍ. [٢٤] هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ التَّكْرَارُ يَفِيدُ التَّرْكِيزُ فِي مَقَابِلِ عِبَادِ الْأَوْثَانِ وَ الطَّبِيعِيِّينَ وَ مِنْ إِلَيْهِمُ الْمَلِكُ السَّيِّدُ الْمُطَاعُ الْمَالِكُ لِلْكَوْنِ الْقُدُّوسُ الْمَنْزَهُ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ وَ عَيْبٍ وَ آفَةٍ وَ قَبِيحٍ، مِنْ الْقُدْسِ وَ هُوَ الطَّهَارَةُ وَ النَّزَاهَةُ السَّلَامُ الَّذِي سَلَّمَ الْكَوْنُ مِنْهُ تَعَالَى، فَلَيْسَ كَالْمَلُوكِ الْمَفْسُودِينَ لِلْعِبَادِ وَ الْبِلَادِ، أَوْ الْمَعْنَى أَنَّهُ السَّلَامُ مِنَ الْآفَاتِ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنَ السَّلَامِ مِنْ بَابِ «زَيْدٌ عَدْلٌ».

الْمُؤْمِنُ الَّذِي سَلَّمَ خَلْقَهُ مِنْ ظَلَمِهِ، أَوْ وَاهَبَ الْإِيمَانَ، أَوْ بِمَعْنَى أَنْ لَهُ تَعْلُقًا بِالْخَلْقِ كَمَا أَنَّ لِلْمُؤْمِنِ تَعْلُقًا بِالْخَالِقِ، فَإِنَّ أَصْلَ الْإِيمَانِ التَّعَلُّقُ بِشَيْءٍ الْمُهَيَّمِنُ الْمَسِيطِرُ عَلَى الْكَوْنِ، مِنْ الْهَيْمَنَةِ بِمَعْنَى السَّيْطَرَةِ الْعَزِيزُ الْغَالِبُ فِي سُلْطَانِهِ أَوْ هُوَ مَا قَلَّ وَ جُودِهِ وَ كَثُرَ نَفْعِهِ، وَ اللَّهُ أَظْهَرَ الْمَصَادِيقَ لِذَلِكَ، لِتَفْرُدِهِ وَ اِحْتِيَاجِ الْكَوْنِ إِلَيْهِ الْجَبَّارُ الَّذِي يَجْبِرُ الْكَسْرَ، أَوْ الَّذِي يَقْهَرُ غَيْرَهُ، فَإِنَّ الْكَوْنَ كُلَّهُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٨٥

[سورة الحشر (٥٩): آية ٢٤]

هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)

مقهور له مسير بإرادته المتكبر الذى تكبر و تعالى عن كل ما يوجب نقصا و حاجة سبحانه الله أنزهه تنزيها عما يشركون عما يشرك به المشركون من الأصنام و الأوثان.

[٢٥] هُوَ اللَّهُ الْمُسْتَجْمَعُ لِجَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ - لِأَنَّ اللَّهَ عَلِمَ لِذَلِكَ الْذَاتِ الْمُسْتَجْمَعِ - الْخَالِقُ الَّذِي قَدَّرَ كُلَّ شَيْءٍ الْبَارِئُ الَّذِي نَفَذَ التَّقْدِيرَ بِالْإِبْدَاعِ الْمُصَوِّرُ الَّذِي صَوَّرَ كُلَّ مَوْجُودٍ بِصُورَةٍ خَاصَّةٍ، فَإِنَّ الشَّيْءَ يَحْتَاجُ إِلَى التَّقْدِيرِ وَ التَّصْمِيمِ قَبْلَ الْإِبْدَاعِ - وَ هُوَ الْخَلْقُ - ثُمَّ إِلَى إِخْرَاجِ ذَلِكَ الْمَقْدَرِ إِلَى الْوُجُودِ - وَ هُوَ الْبَرُّ - ثُمَّ إِلَى تَصْوِيرِ ذَلِكَ الْمَوْجُودِ بِصُورَةٍ خَاصَّةٍ - وَ هُوَ التَّصْوِيرُ - لَهُ تَعَالَى الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَهُوَ الْعَالِمُ، لَا الْجَاهِلُ الْقَادِرُ لَا الْعَاجِزُ الْكَرِيمُ لَا الْبَخِيلُ، وَ هَكَذَا فَلَهُ كُلُّ اسْمٍ حَسَنٍ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يَنْزُهُ كُلَّ شَيْءٍ عَنِ النَّقَائِصِ وَ الْقَبَائِحِ، تَنْزِيهَا تَكْوِينِيًّا، أَوْ حَسَبَ إِدْرَاكِهَا - كَمَا تَقَدَّمَ - وَ هُوَ الْعَزِيزُ فِي سُلْطَانِهِ الْحَكِيمُ فِي أَعْمَالِهِ فَلَا يَفْعَلُ شَيْئًا عَبَثًا، بَلْ حَسَبَ الْحِكْمَةِ وَ الصَّلَاحِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٨٦

٦٠ سورة الممتحنة مدنية / آياتها (١٤)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتغالها على فعل من هذه المادة و هو قوله «فامتحنوهن». و هى كسائر السور المدنية مشتملة على النظام بالإضافة إلى قضايا العقيدة و الإيمان. و إذ ختمت سورة الحشر بصفاته سبحانه الموجبة لأن لا يتخذ الإنسان غيره تعالى ملكا و إلهًا و سيدًا، ابتدأت هذه السورة بتحريم اتخاذ أعداء الله، أولياء. و

قد نزلت هذه الآيات في «حاطب ابن أبي بلتعة» و كان سبب ذلك أن «حاطباً» كان قد أسلم و هاجر إلى المدينة و كان عياله بمكة؛ فكانت قريش تخاف أن يغزوه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فصاروا إلى عيال حاطب و سألوهم أن يكتبوا إلى حاطب يسألوه خبر الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و هل يريد أن يغزو مكة؟ فكتبوا إلى حاطب يسألوه عن ذلك؟ فكتب إليهم حاطب أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يريد ذلك- و ذلك حين عزم الرسول على فتح مكة- و دفع الكتاب إلى امرأة تسمى صفية، فوضعت في قرونها، و ذهبت نحو مكة، فنزل جبرائيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أخبره بذلك، فبعث رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أمير المؤمنين عليه السلام و الزبير بن العوام في طلبها، فلحقها، فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: أين الكتاب؟ فقالت: ما معي شيء، ففتشوها

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٨٧

فلم يجدوا معها شيئاً، فقال الزبير: ما نرى معها شيئاً، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: و الله ما كذبنا على رسول الله، و لا كذب رسول الله على جبرائيل، و لا كذب جبرائيل على الله جل ثناؤه.

و الله إن لم تظهرى الكتاب، لأذهبن برأسك إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقالت: تنح يا على عنى حتى أخرجته- حيث علمت أن الإمام يفعل ذلك لو لم تعطه الكتاب- فأخرجت الكتاب من قرونها فأخذه أمير المؤمنين عليه السلام و جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقال رسول الله: يا حاطب ما هذا؟ فقال حاطب: و الله يا رسول الله ما نافقت و لا غيرت و لا بدلت و إنى أشهد أن لا إله إلا الله و أنك رسول الله حقا، و لكن أهلى و عيالى كتبوا إلى بحسن صنع قريش إليهم فأحببت أن أجازى قريشا بحسن معاشرتهم، فقام عمر و أراد أن يضرب عنق حاطب مستأذنا رسول الله فى ذلك، لكن حاطباً توجه إلى الرسول يستصرخه، فعفا عنه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و أمر عمر بالكف عنه فنزلت الآيات

«١»، تحذيرا للمسلمين أن يكرر منهم مثل ذلك.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نبتدى باسم الإله الذى له ما فى الكون المستحق لجميع المحامد- فإن الله علم على هذا الذات- و هل هناك أحق بتقديم اسمه من اسم الله تعالى؟ و ذكر الاسم دون أن يقال «بالله» للاحترام حتى أن اللازم أن يشرع بذكر الاسم، لا بذكر نفس الذات، الرحمن الرحيم الذى رحمته وسعت كل شيء، و له رحمة خاصة بالمؤمنين، كما قالوا فى لفظ «الرحيم» أنه خاص بعباده المؤمنين.

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١١٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٨٨

[سورة الممتحنة (٦٠): آية ١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عِدُوِيَّ وَعَدُوَكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١)

[٢] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عِدُوِيَّ الذى يعاديني بالكفر و العصيان و عَدُوَّكُمْ الذى يعاديكم بالاستهزاء و المحاربة و سائر أنواع العداوة أَوْلِيَاءَ توالونهم و تنصرونهم، جمع «ولى» فى حال كونكم تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ أى تبدلون لهم و دكم و حبكم، عمل المحب لمحبه، كما فعل «حاطب» بأهل مكة الذين هم أعداء الله و أعداء المسلمين و قَدْ كَفَرُوا أولئك الأعداء بما جاءكم مِنَ الْحَقِّ الإسلام و القرآن و الرسول، و هم يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ عن بلادهم- كما فعل كفار مكة- و الإخراج إنما كان ل أن تُؤْمِنُوا أى لإيمانكم

بِاللَّهِ رَبِّكُمْ وَ هَلْ يُوَالِي الْإِنْسَانَ مِثْلَ هَذَا الْعَدُوِّ؟

إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ بِلَادِكُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي أَى لِأَجْلِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ائْتِغَاءَ مَرْضَاتِي أَى طَلْبًا لِرِضَايَ وَ الْمَعْنَى أَنْ غَرَضِكُمْ مِنَ الْخُرُوجِ وَ الْهَجْرَةِ الْجِهَادِ وَ طَلْبِ رِضَا اللَّهِ، فَلَا- تَوَادُوا عَدُوَّ اللَّهِ وَ عَدُوَّكُمْ- أَهْلَ مَكَّةَ- تَسْتُرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ أَى تَعْلَمُونَهُمْ فِي السَّرِّ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مَوَدَّةً وَ حُبًّا وَ هَلْ يَخْفَى عَمَلِكُمْ هَذَا عَلَى اللَّهِ؟ كَلَّا فَا أَنَا أَعْلَمُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَ مَا أَعْلَنْتُمْ أَى بِخَفَايَا أُمُورِكُمْ وَ ظَوَاهِرَهَا فَلَا يَغِيبُ عَلَيَّ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٨٩

[سورة الممتحنة (٦٠): الآيات ٢ الى ٣]

إِنْ يَتَّقُواكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَ يَتَّبِعُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوِّءِ وَ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَ لَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣)

شئىء، و سأجازيكم عليها و مَنْ يَفْعَلْهُ أَى يَفْعَلِ الْإِسْرَارَ بِالْمَوَدَّةِ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ أَى عَدَلَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ إِلَى الْمَهْلِكَةِ، وَ سَوَاءَ الطَّرِيقِ: وَسَطُهُ.

[٣] إِنْ يَتَّقُواكُمْ أَى إِنْ يَصَادِفُ كُفْرًا مَكَّةَ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي الْحَرْبِ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً يَبَادِرُونَكُمْ بِالْمَحَارَبَةِ، فَعَلِ الْعَدُوَّ بَعْدَهُ، وَ هَذَا لِنَفْسِي مَا زَعَمَهُ حَاطِبٌ مِنْ أَنَّهُمْ أَحْبَبُوهُ، فَتَأْتِي الْآيَةُ لِتُبَيِّنَ إِنْ إِظْهَارَ حُبِّهِمْ لَهُ وَ لِعَائِلَتِهِ إِظْهَارَ مَكْذُوبٍ لَا حَقِيقَةَ لَهُ وَ يَتَّبِعُوا إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَيْدِيَهُمْ بِالضَّرْبِ وَ الْقَتْلِ وَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالسَّبِّ وَ الْقَذْفِ بِالسُّوِّءِ أَى بِمَا يَسِيئُونَكُمْ، فَلَا يَتْرَكُونَ وَسِيلَهُ مِنْ وَسَائِلِ الْإِسَاءَةِ إِلَّا عَمَلُوهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْكُمْ وَ وَدُّوا أَى أَحَبُّ هَؤُلَاءِ الْكُفْرَانَ لَوْ تَكْفُرُونَ أَنْتُمْ بِاللَّهِ كَمَا كَفَرُوا هُمْ، فَلَا- يَسَبُّ إِهْلَاكِكُمْ مَوَدَّةَ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ الْكُفْرَانَ فَإِنَّهُ:

[٤] لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَرْحَامُكُمْ أَى قَرَابَاتِكُمْ وَ لَا أَوْلَادُكُمْ وَ الْمَعْنَى لَا يَحْمِلُنَاكَ التَّحْفِظُ عَلَى الْقَرَابَةِ وَ الْأَوْلَادِ عَلَى مَخَالَفَةِ اللَّهِ وَ الرَّسُولِ وَ مَوَادَّةِ الْكُفْرَانَ، كَمَا فَعَلَ حَاطِبٌ حَيْثُ أَرَادَ التَّحْفِظَ عَلَى أَهْلِهِ بِمَكَّةَ فَخَالَفَ الرَّسُولَ بِأَنْ كَتَبَ إِلَى الْكُفْرَانَ، يَعْلَمُهُمْ بِقَصْدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فَفُتِحَ مَكَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ اللَّهُ بَيْنَكُمْ فَيَدْخُلُ أَهْلُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٩٠

[سورة الممتحنة (٦٠): آية ٤]

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَ الَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَّاءُ مِنْكُمْ وَ مِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَ بَدَا بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَ الْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتغْفِرَنَّ لَكَ وَ مَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْنَا نَوَكَلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤)

الإيمان الجنة و يدخل أهل الكفر و العصيان النار، فلا تفعلوا ما تستحقون به النيران و الله بما تعملون بصير يبصركم و يرى أعمالكم، فلا تفعلوا ما تستحقون به سخطه و عقابه.

[٥] قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ أَى اقْتِدَاءُ حَسَنٍ، الْأُسْوَةُ هِيَ الْقُدْوَةُ وَ هُوَ اسْمٌ لِمَا يُؤْتَسَى وَ يَقْتَدَى بِهِ فِي إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامِ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ أَى فَاقْتَدُوا بِهِمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فِي مَقَاتِعِ الْكُفْرَانَ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ الْكَافِرِينَ إِنَّا بُرَّاءُ مِنْكُمْ جَمْعُ بَرِيءٍ، فَلَا نُوَالِيكُمْ وَ مِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَى وَ مِنْ أَصْنَامِكُمْ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا، وَ الْمَعْنَى لَا عِلَاقَةَ لَنَا بِهَا، بَلْ نَظَرْنَا بِهَا بَاطِلَةٌ لَيْسَتْ بِأَلْهَةٍ، فَعَلِ الْعَدُوَّ بَعْدَهُ، وَ إِنْ لَمْ تَكُنْ مَعَادَاةً حَقِيقَةً بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَ بَيْنَ الْجَمَادِ كَفَرْنَا بِكُمْ أَى قَالُوا لِقَوْمِهِمْ جَحَدْنَا طَرِيقَتَكُمْ، أَوْ خُطَابًا لِلْأَصْنَامِ، وَ الْإِتْيَانُ بِلَفْظِ الْعَاقِلِ لِتَوْحِيدِ سِيَاقِ كَلَامِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ كَلَامِ الْكَافِرِينَ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَزْعُمُونَ الْعَقْلَ وَ الْإِدْرَاكَ لِلْأَصْنَامِ وَ بَدَا أَى ظَهَرَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ الْكَافِرِينَ الْعِدَاوَةُ وَ الْبَغْضَاءُ وَ هُوَ أَشَدُّ الْعِدَاوَةَ الْمَوْجِبَةَ لِكُونَ الْعِدَاءِ فِي الْبَاطِنِ، مِنْ «بَغْضٍ» أَبَدًا أَى إِلَى الْأَبَدِ مَا دُمْتُمْ أَنْتُمْ عَلَى الْكُفْرِ حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَ تَخْلَعُوا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ أَى اقْتَدُوا بِإِبْرَاهِيمَ، إِلَّا فِي هَذَا

القول -

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٩١

[سورة الممتحنة (٦٠): آية ٥]

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفُوْا لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥)

الذى قال لأبيه و ذلك كان قبل نهى الله سبحانه - لأبيه أى عمه آزر لَأَسِيغْفِرَنَّ لَكَ أى أطلب غفران الله لك، و كان ذلك لموعده و عده إياه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، فلا ينبغي للمسلم أن يقتدى بذلك، بأن يستغفر للكافر و يحتمل أن الاستثناء من قوله «إنا برآء منكم» أى قالوا للكفار إنا أعداء لكم، إلا إبراهيم وعد عمه بالاستغفار قبل أن يتبين أنه عدو لله، ثم قال إبراهيم لعمه و ما أملكك لَكَ يا عم من الله من شئٍ فإذا أراد بك شيئا لم أملك أن أرد العقاب عنك، ثم قال إبراهيم و المؤمنون به رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا فَقَد و كلنا أمورنا إليك و إِلَيْكَ أَنْبَأْنَا الْإِنَابَةَ هى الرجوع أى رجعتنا إليك فى أمورنا، فإن الإنسان باعتبار أنه مخلوق لله تعالى كأنه جاء من عنده، فهو إذا أطاع كان بمنزلة الراجع إليه سبحانه، تشبيها للمعقول بالمحسوس و إِلَيْكَ الْمَصِيرُ أى ان منتهى أمورنا إليك، و نعود فى يوم القيامة إلى حسابك و جزائك.

[٦] رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا أى لا تجعلنا امتحانا لهم فإن الكافر يمتحن بالكفر و بإيذاء المؤمنين و بالعصيان، و إذا وقع المؤمن مورد امتحان الكافر، أو ذى و قد لا يطبق ذلك، أو المراد لا تسلطهم علينا فيفتنوننا بعذاب لا نتحملة و اعْفُوْا لَنَا أى استر علينا و امح سيئاتنا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الذى لا يغلب القاهر فى سلطانه الْحَكِيمُ الذى يفعل كل شئ حسب الصلاح و الحكمة، و لعل حكاية هذه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٩٢

[سورة الممتحنة (٦٠): الآيات ٦ الى ٧]

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ مَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦) عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَ اللَّهُ قَدِيرٌ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧)

الجميل لتعليم المسلمين كيف يدعون الله سبحانه.

[٧] لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ «فى» بمعنى النسبة، أى بالنسبة إلى إبراهيم و من آمن معه اقتداء حسن، فهم خير مقتدى لكم فى أعمالكم، و مقاطعتهم للكفار و إنما كرر ذلك لما رتب عليه بقوله لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ أى أن هذه الأسوة و الاقتداء إنما هى للذى يرجو ثواب الله سبحانه «ليعتقد بالجزاء و الحساب فى الآخرة» أما المنكر لذلك فلا معنى لاقتدائه بمن اعتقد بالله و هذا للإشارة إلى التلازم بين الإيمان و بين الاقتداء و مَنْ يَتَوَلَّ أى يعرض عن هذا الاقتداء، فلم يقتد بإبراهيم، بل اتخذ من الكفار أولياء فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الذى لا يحتاج إلى أحد و إلى عمل الْحَمِيدُ المحمود بذاته فلا يحتاج إلى طاعة المطيع و حمد الحامد، و المعنى: أن الذى يعرض يضر نفسه، و لا يضر الله سبحانه لغناه المطلق.

[٨] و إذا تريدون أيها المؤمنون مادة أهل مكة لما بينكم من الصلات النسبية و السوابق فعله سبحانه يهيب و سائل هدايتهم حتى لا يكون محظور فى موادتهم عَسَى اللَّهُ أى لعله سبحانه أن يجعل بَيْنَكُمْ أيها المؤمنون و بَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ أى اتخذتموهم أعداء مِنْهُمْ أى من أهل مكة مَوْدَّةً بسبب الإسلام وَ اللَّهُ قَدِيرٌ على ذلك

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٩٣

[سورة الممتحنة (٦٠): الآيات ٨ الى ٩]

لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ لَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِمُوا عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِمِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ أَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَ ظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ

الظَّالِمُونَ (٩)

وَاللَّهُ غَفُورٌ لِّمَا سَلَفَ مِنْكُمْ مِنْ مَوَادَّتِهِمْ فِي حَالِ كُفْرِهِمْ رَحِيمٌ يَتَفَضَّلُ عَلَيْكُمْ بِالرَّحْمَةِ بِالإِضَافَةِ إِلَى الْغُفْرَانِ وَالْعَفْوِ. [٩] وَإِذَا كَانَ الْمَفْهُومُ مِنَ الآيَاتِ السَّابِقَةِ مَا يَشْمَلُ تَحْرِيمَ مَوَادَّةِ كُلِّ كَافِرٍ اسْتَشْنَى السِّيَاقُ مِنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ لَا يَنْهَأُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ اللَّهُ عَنْ مَوَادَّةِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي أَمْرِ الدِّينِ أَوْ مِنْ جِهَةِ أَنْكُمْ مُتَدِينُونَ بِالإِسْلَامِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ بِأَنْ كَانَ كَافِرًا مَسَالِمًا أَنْ تَبَرَّوهُمْ بِدَلِّ اشْتِمَالِ عَنْ قَوْلِهِ «عَنِ الَّذِينَ» أَيْ لَا يَنْهَأُكُمْ اللَّهُ عَنْ بَرِّ هَؤُلَاءِ وَتَقَسَّطُوا إِلَيْهِمْ أَيْ تَعَدَّلُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ، بِأَنْ تَبَادَلُوا الْحُبَّ وَالْوَدَادَ قِيلَ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ اسْتَأْمَرُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي أَنْ يَبْرُوا أَقْرَبَاءَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ «١» وَقِيلَ إِنَّ قَتِيلَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَدِمَتْ مُشْرِكَةً عَلَى بَنَاتِهَا بِهَدَايَا فَلَمْ يَقْبَلْهَا وَلَمْ تَأْذَنْ لَهَا بِالدَّخُولِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ أَيْ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي أُمُورِهِمْ.

[١٠] إِنَّمَا يَنْهَأُكُمْ اللَّهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَنْ مَوَادَّةِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ فَقَاتَلُوكُمْ مِنْ جِهَةِ أَنْكُمْ مُتَدِينُونَ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ مِنْ مَنَازِلِكُمْ، فِي مَكَّةَ وَغَيْرِهَا وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَيْ تَعَاوَنَ

(١) مجمع البيان: ج ٩ ص ٤٥٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٩٤

[سورة الممتحنة (٦٠): آية ١٠]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمَ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠)

بعضهم مع بعض في تشريدكم من بلادكم أن تولوهم أي ينهاكم الله عن توليهم واتخاذهم أولياء وهذا بدل اشتمال عن قوله: «الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ» وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ أَيْ يَتَّخِذُهُمْ أَوْلِيَاءَ وَأَحْبَاءَ فَأَوْلِيَاكُمْ هُمُ الظَّالِمُونَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْعِصْيَانِ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ.

[١١] وبمناسبة الحديث عن مَوَادَّةِ الْكُفَّارِ يَأْتِي السِّيَاقُ لِيَذْكَرَ بَعْضَ أَحْكَامِ النِّسَاءِ مِمَّا لَهُ رَابِطَةٌ بِالكَلَامِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ مِنْ دَارِ الْكُفْرِ إِلَى دَارِ الإِسْلَامِ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ أَيْ اخْتَبِرُوهُنَّ حَتَّى تَعْرِفُوا صِدْقَ إِيمَانِهِنَّ وَهَجْرَتَهُنَّ. فِي الصَّافِي عَنِ الْقَمِي قَالَ: إِذَا لَحِقَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِالْمُسْلِمِينَ تَمْتَحِنُ بِأَنْ تَحْلِفَ بِاللَّهِ أَنَّهُ لَمْ يَحْمِلْهَا عَلَى اللِّحْقِ بِالْمُسْلِمِينَ بَغْضِ لَزُوجِهَا الْكَافِرِ وَلَا حَبَّ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَإِنَّمَا حَمَلَهَا عَلَى ذَلِكَ الإِسْلَامَ، فَإِذَا حَلَفَتْ عَلَى ذَلِكَ قَبْلَ إِسْلَامِهَا «١».

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ مِنْكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ إِلا الإِيمَانُ وَالْعَمَلُ حَسَبَ ذَلِكَ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ أَيْ صَادِقَاتٍ فِي إِيمَانِهِنَّ مِنَ الْحَلْفِ وَسَائِرِ الْعَلَامَاتِ وَالْإِمَارَاتِ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ أَيْ إِلَى بِلَادِ الْكُفَّارِ لَا هُنَّ أَيْ الْمُؤْمِنَاتُ

(١) تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٦٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٩٥

حَلُّ أَيْ حَلَالٌ لَهُمْ فَإِنَّ الْكُفَّارَ لَا يَحِقُّ لَهُ مَسُّ الْمُسْلِمَةِ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ فَإِنَّهُمْ يَصْبِحُونَ كَالْأَجَانِبِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُؤْمِنَاتِ وَآتُوهُنَّ أَيْ أَعْطُوا الْكُفَّارَ- الْأَزْوَاجَ- أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، حِينَ حَبِستُمْ نِسَاءَهُمْ عَنِ الرَّجُوعِ إِلَيْهِمْ مَا أَنْفَقُوا عَلَى الْمَرْأَةِ مِنَ الْمَهْرِ فَإِنَّ الزَّوْجَةَ تَرُدُّ عَلَى زَوْجِهَا صِدَاقَهَا الَّذِي أَعْطَاهَا ثُمَّ يَتَزَوَّجُهَا الْمُسْلِمَ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَيْ لَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ فَإِنَّ إِسْلَامَهُنَّ أَبْطَلَ عَقْدَهُنَّ السَّابِقَ بِالْكَفَّارِ- عَلَى تَفْصِيلِ مَذْكَورٍ فِي الْفِقْهِ-

إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ أَيْ أَعْطَيْتُمُ النِّسَاءَ مَهْرَهُنَّ، بِمَعْنَى أَنْ الْحَلِيَّةَ مُتَوَقِّفَةً عَلَى الْعَقْدِ وَالْمَهْرِ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَرِ أَيْ لَا

تعقدوا أيها المسلمون على الكافرة، فإن الإمساك هو الأخذ، و عصم جمع عصمة و سمي العقد عصمة لأنه به يعصم كل من الزوجين عن الفجور، و الكوافر جمع كافرة، و كما لا يجوز الابتداء على عقد الكافرة كذلك لا يجوز البقاء على العقد فيما لو أسلم الرجل، و بقيت المرأة كافرة- على تفصيل مذكور في الفقه «١»- و جاءت هذه الجملة بمناسبة نكاح المسلمة بالكافر، يعني كما لا يجوز نكاح المسلمة للكافر كذلك لا يجوز نكاح المسلم للكافرة

(١) موسوعة الفقه: ج ٦٥، كتاب النكاح جزء ٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٩٦

[سورة الممتحنة (٦٠): آية ١١]

وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (١١) وَإِذَا لَحِقْتَ مِنْكُمْ- أيها المسلمون- امرأة بدار الكفر، بأن كفرت و ارتدت و ذهبت إلى الكفار سئلوا و اطلبوا من الكفار ما أنفقتم عليها من المهر و ليشئوا أي الكفار ما أنفقوا من المهر على امرأة كافرة أسلمت و التحقت بكم- لقاعدة التقابل بين الفتيين- فهم يطالبون مهر نسائهم إذا أسلمن و التحقن بكم و أنتم تطالبون مهر نسائكم إذا كفرن و التحقن بهم. ذَلِكَكُمْ «ذا» إشارة إلى ما تقدم من الأحكام و «كم» خطاب للمؤمنين حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي قَرَّرَهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ وَ الْكَافِرُونَ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأَحْكَامِ وَ مَا يَصْلِحُ لِلْبَشَرِ حَكِيمٌ فِيمَا يَأْمُرُ وَ يَنْهَى فَلَيْسَتْ هَذِهِ الْأَحْكَامُ إِلَّا حَسَبِ الصَّلَاحِ وَ الْحِكْمَةِ، قَالُوا وَ قَدْ كَانَ مِنْ بَنُو دِ صِلِحِ الْحَدِيثِ أَنَّ الرِّجَالَ يَرُدُّونَ كُلَّ إِلَى الْمَحَلِّ الَّذِي فَرَمَهُ، فَإِذَا جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْكُفَّارِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ رَدَّوهُ، وَ كَذَا بِالْعَكْسِ وَ لَمْ يَكُنْ ذِكْرٌ لِلنِّسَاءِ فِي بَنُو دِ الصَّلَاحِ وَ إِذْ تَمَّ الصَّلَاحُ وَ كَتَبُوا الْكِتَابَ جَاءَتْ «سَبِيْعَةُ بِنْتُ الْحَرِثِ» مُسْلِمَةً إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فَجَاءَ زَوْجُهَا فِي طَلَبِهَا وَ كَانَ كَافِرًا فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ ارْجِعْ عَلَيَّ أَمْرًا تَنَزَّلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ «١».

[١٢] وَ إِن فَاتَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ أَى أَحَدٌ مِنْ نِسَائِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ بِأَنَّ لِحَقْنَ بِهِمْ مَرْتَدَاتٍ فَعاقِبْتُمْ أَى غَزَوْتُمْ

(١) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٣٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٩٧

وَ أُصِيبْتُمْ مِنَ الْكُفَّارِ عَقْبَى- وَ هِيَ الْغَنِيْمَةُ- وَ امْتَنَعَ الْكُفَّارُ أَنْ يُعْطِيَكُمْ مَهْرَ زَوْجَتِكُمْ الَّتِي لَحِقَتْ بِهِمْ فَآتَوْا أَى أَعْطَوْا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ أَى الْمُؤْمِنِينَ ارْتَدَّتْ زَوْجَاتُهُمْ وَ فَرَّتْ إِلَى الْكُفَّارِ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا مِنَ الْمَهْرِ عَلَيْهِنَ. وَ الْحَاصِلُ أَنَّ الزَّوْجَةَ إِذَا فَرَّتْ وَ لَمْ يَقْبَلِ الْكُفَّارُ أَنْ يَدْفَعُوا مَهْرَهَا إِلَى زَوْجِهَا الْمُسْلِمِ أَعْطَى الْإِمَامُ مَهْرَهَا لَزَوْجِهَا مِنَ الْغَنِيْمَةِ الَّتِي حَصَلَتْ مِنَ الْمَعاقِبَةِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ أَى خَافُوا عِقَابَهُ فَلَا تَخَالَفُوا أَمْرَهُ بِأَنَّ تَمَنَعُوا الزَّوْجَ الْمُسْلِمَ عَنِ الْمَهْرِ إِذَا فَرَّتْ زَوْجَتَهُ وَ لَمْ يَبْذُلِ الْكُفَّارُ مَهْرَهَا الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ فَإِنَّ مِنَ مَقْتَضِيَّاتِ الْإِيمَانِ التَّقْوَى.

روى في الجوامع أنه لما نزلت الآية المتقدمة أدى المؤمنون ما أمروا به من نفقات المشركين على نسائهم و أبى المشركون أن يردوا شيئاً من مهو الكوافر إلى أزواجهن المسلمين فنزلت هذه الآية «١».

قال القمى: و كان سبب ذلك أن عمر بن الخطاب كانت عنده فاطمة بنت أبي أمية بن المغيرة فكرهت الهجرة معه و أقامت مع المشركين فنكحها معاوية بن أبي سفيان فأمر الله رسوله أن يعطى عمر مثل صداقها «٢». و

روى عن الصادق و الباقر عليهما السلام أنهما سئلا ما معنى العقوبة ها هنا؟ قالوا: إن الذى ذهبت امرأته فعاقبت على امرأة أخرى غيرها يعنى تزوجها فإذا هو تزوج امرأة أخرى غيرها فعلى الإمام أن

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٣٩.

(٢) تفسير القمى: ج ٢ ص ٣٦٣. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٩٨

[سورة الممتحنة (٦٠): آية ١٢]

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢)

يعطى له مهر امرأته الذاهبة

«١». أقول: فعلى هذا فمعنى «عاقبتهم» تزوجتم بأخرى عقيبتها، كما أنه لا يبعد أن يكون القيد سواء كان بالمعنى السابق أو هذا المعنى من باب القيد الغالب لا أن له خصوصية فإن على الإمام إعطاء المهر للمسلم الفارة زوجته سواء أراد التزويج أم لا و سواء غنموا أم لا. والله أعلم.

[١٣] يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ أَيُّ النِّسَاءِ اللَّائِي يَرِدُنَ الْإِيمَانَ فَهُوَ مِنْ بَابِ مَجَازِ الْمَشَارَفَةِ نَحْوِ «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ»

يُبَايِعْنَكَ أَيُّ يَرِدُنَ يَبْعَتُكَ وَقَدْ كَانَ تَرْتِيبُ بَيْعَةِ النِّسَاءِ أَنْ يَضَعَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فِي ظَرْفٍ مِنَ الْمَاءِ فَيُخْرِجُهَا ثُمَّ تَأْتِي النِّسَاءُ فَيَضَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ فِي ذَلِكَ وَمَعْنَى الْبَيْعَةِ أَنْ الْمَبَايِعَ يَبِيعُ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ (٢) عَلَى شَرْطِ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ بَأَنْ يُوَحِّدَنَّهُ وَلَا يَتَّخِذْنَ مَعَهُ شَرِيكًا شَيْئًا أَيُّ أَيُّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الشَّرِيكِ كَانَ وَلَا يَسْرِقْنَ لَا مِنْ أَزْوَاجِهِنَّ وَلَا مِنْ غَيْرِ أَزْوَاجِهِنَّ وَلَا يَزْنِينَ بِالرِّجَالِ الْأَجَانِبِ سِوَاءِ كَنِّ ذَوَاتِ بَعْلِ أُمَّ لَا وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ لَا بِالْإِسْقَاطِ وَلَا بِالْوَادِ وَلَا بِسَائِرِ أَقْسَامِ الْقَتْلِ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ أَيُّ بِكَذِبٍ يَكْذِبُهُ فِي مَوْلُودٍ يَوْجَدُ لَدَيْهِنَّ

(١) تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ٣١٣.

(٢) التوبة: ١١١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٣٩٩

بَيْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ أَيُّ لَا يَلْحَقْنَ بِأَزْوَاجِهِنَّ غَيْرِ أَوْلَادِهِمْ بَأَنْ يَزْنِينَ فَيَلْدُنَ مِنَ الزَّوْنِيِّ ثُمَّ يَنْسَبُنَّهُ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ! فَإِنَّ الْمَوْلُودَ إِنَّمَا يَلِدُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ وَيَرْتَضِعُ بَيْنَ الْيَدَيْنِ، وَهَذَا غَيْرُ النَّهْيِ عَنِ الزَّوْنِيِّ - الَّذِي سَبَقَ -.

وقال بعض: إن المرأة في الجاهلية كانت تلتقط المولود ثم تنسبه إلى الزوج فنهين عن ذلك «١» ولا يعصينك يا رسول الله في معرُوفٍ

قال الإمام الصادق عليه السلام هو ما فرض الله عليهن من الصلاة والزكاة وما أمرهن به من خير

«٢»، أقول: وكان الإتيان بقوله:

«في معروف» مع أن الرسول لا يأمر إلا بالمعروف، التنبيه على أن الرسول شأنه الأمر بالمعروف ترغيباً لهن للعمل بأوامره فبأيعهن أي قبل بيعتهن و لهن الجنة والثواب على مثل هذه البيعة واستغفر لهن الله أي اطلب من الله غفران ذنوبهن السالفات إن الله غفورٌ يغفر الذنب رحيمٌ يتفضل بالإضافة على الغفران، بالرحمة والفضل.

روى إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بايعهن وكان على الصفا، وكان عمر أسفل منه و هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان متتعبة متكررة مع النساء خوفاً من أن يعرفها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: أبايكن على أن لا تشركن بالله شيئاً، فقالت هند: إنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك أخذته على الرجال، وذلك أنه صلى الله عليه وآله وسلم بايع

الرجال يؤمئذ على الإسلام و الجهاد فقط .. فقال: و لا تسرقن فقالت هند: إن أبا سفيان رجل ممسك و إنى

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٩٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٩ ص ٧٦. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٠٠

[سورة الممتحنة (٦٠): آية ١٣] تقريب القرآن إلى الأذهان ج ٥ ٤٤٨

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (١٣)

أصبت من ماله هناك فلا أدرى أ يحل لى أم لا؟ فقال أبو سفيان: ما أصبت من مالى فيما مضى و فيما غير فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و عرفها.

فقال صلى الله عليه و آله و سلم: و لا- تقتلن أولادكن فقالت هند: ربناهم صغارا و قتلتموهم كبارا و أنتم و هم أعلم، و كان ابنها حنظلة بن أبى سفيان قتله على بن أبى طالب عليه السلام يوم بدر، فضحك عمر حتى استلقى و تبسم النبى صلى الله عليه و آله و سلم و لما قال: لا- تأتين ببهتان، فقالت هند: و الله إن البهتان قبيح و ما تأمرنا إلا بالرشد و مكارم الأخلاق، و لما قال و لا يعصينك فى معروف فقالت هند: ما جلسنا مجلسنا هذا و فى أنفسنا أن نعصيك فى كل شىء «١».

[١٤] و أخيرا يأتى السياق ليعود إلى ما استبدئى به من تحريم موادة الكفار الذى لأجله نزلت السورة يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا مِنَ الْكُفَّارِ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ

فقد روى أنها نزلت فى بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم

، و معنى التولى الموادة و المحابة و اتخاذهم أولياء قد يئسوا من الآخرة فإنهم منكرون لها كما يئس الكفار من أصحاب القبور بأن يرجعوا إلى الدنيا، فهم و الكفار سواء فى عدم الاعتقاد بالآخرة، و ان أظهر أولئك الاعتقاد بها كذبا و تدليسا.

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٤ ص ٢٧٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٠١

٦١ سورة الصف مدنية / آياتها (١٥)

سميت بهذا الاسم لاشتمالها على لفظه «الصف» و هى كسائر السور المدنية مشتملة على النظام كاشتمالها على العقيدة.

و لما ختمت سورة الممتحنة بقطع موالاة الكفار ابتدأت هذه السورة بلزوم قتالهم.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نستعين باسم الإله الذى له ما فى السموات و الأرض، و هل هناك أحق بالاستعانة منه؟ إنه «الله» الذى بيده كل شىء، الذى يعين من استعان به، الرحمن الرحيم، الذى يتفضل بالرحمة و تكميل الناقص، فهو خير من يستعان به.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٠٢

[سورة الصف (٦١): الآيات ١ الى ٤]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ (٤)

[٢] سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ و المراد الأعم من الظرف و المظروف، و إنما كرر هذه الآية فى أول السورة السابقة و

هذه السورة تأكيداً و تركيزاً في الذهن، فإن تسييح الكون - سواء كان بالمعنى التكويني أو الإدراكي - شيء غريب عن الأذهان يحتاج إلى التركيز والترسيخ وَ هُوَ الْعَزِيْزُ الْغَالِبُ فِي سُلْطَانِهِ الْحَكِيْمُ الَّذِي يَفْعَلُ الْأَشْيَاءَ حَسْبَ الصَّلَاحِ وَالْحِكْمَةِ، وَ هِيَ وَضَعُ كُلِّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ.

[٣] وَ قَدْ كَانَ قَسَمٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُونَ إِذَا لَقِينَا الْعَدُوَّ لَا نَفْرَ وَ نَرْجِعُ عَنْهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمٌ أَحَدُهُمْ فَرَّوْا فَانزَلَتْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ اسْتِفْهَامَ انْكَارِيٍّ فَإِنَّ الْقَوْلَ بِدُونِ الْفِعْلِ أَقْبَحُ مِنَ السَّكُوتِ مَعَ عَدَمِ الْفِعْلِ، كَمَا أَنَّ الْفِعْلَ بِدُونِ الْقَوْلِ أَحْسَنُ مِنَ الْفِعْلِ بَعْدَ الْقَوْلِ - إِذَا لَمْ يَكُنْ لِتَشْجِيْعٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْعِنَاوَيْنِ - قَالُوا: النَّاسُ فِي الْخَيْرِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: قَائِلُ فَاعِلٍ، وَ قَائِلُ غَيْرِ فَاعِلٍ، وَ غَيْرُ قَائِلِ غَيْرِ فَاعِلٍ، وَ غَيْرُ قَائِلِ فَاعِلٍ، وَ الْأَحْسَنُ الْأَخِيرُ، وَ الْأَقْبَحُ الثَّانِي وَ الْأَوَّلُ خَيْرٌ مِنَ الثَّلَاثِ.

[٤] كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَيُّ كِبَرٍ مِنْ حَيْثُ الْمَقْتِ وَ الْغَضَبِ عِنْدَهُ سَبْحَانَهُ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ

[٥] إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ لِإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ وَ سَبِيلِ رِضْوَانِهِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٠٣

[سورة الصف (٦١): آية ٥]

وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ لِمَ تَقُولُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥)

فِي حَالِ كَوْنِهِمْ مَصْطَفِينَ صَيِّمًا بَلَا - تَبَعَثَ أَوْ تَفَرَّقَ كَمَا أَنَّهُمْ بُنِيَانٌ مَرْصُوصٌ كَأَنَّهُمْ فِي شِدَّةِ ثَبَاتِهِمْ بِنَاءٍ قَدْ رَصَّ، أَيُّ أَحْكَمِ بِنَاؤُهُ يُقَالُ رَصَّتِ الْبِنَاءَ أَيُّ أَحْكَمْتَهُ.

رَوَى إِنْ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا: لَوْ عَلِمْنَا أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَبَدَلْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا وَ أَنْفُسَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ» الْآيَةَ فَلَمَّا كَانَ يَوْمٌ أَحَدٌ وَ تَوَلَّوْا أَنْزَلَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ «لِمَ تَقُولُونَ»؟

[٦] ثُمَّ جَاءَ السِّيَاقُ لِيَحْذِرَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَكُونُوا كَأَصْحَابِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُؤْذَنُ بَعْدَ أَنْ عَلِمُوا أَنَّهُ نَبِيٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ تَرْكَ الْقِتَالِ إِيْذَاءَ لِلرَّسُولِ وَ مَخَالَفَةُ لِأَمْرِهِ وَ اذْكَرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ لِمَ تَقُولُونَ بِأَفْعَالِكُمْ كَعِبَادَةِ الْعَجَلِ، وَ أَقْوَالِكُمْ كَقَوْلِهِمْ فَادْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقَاتِلَا «١» وَ قَدْ تَعَلَّمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ «قَدْ» لِلتَّحْقِيقِ، وَ إِنْ كَانَ الْأَكْثَرُ فِي فِعْلِ الْمَضَارِعِ أَنْ يَكُونَ لِلتَّقْرِيبِ، وَ لَعَلَّ النِّكْتَةَ فِيهِ أَنْ اِحْتِمَالُ كَوْنِهِ رَسُولًا - كَافٍ فِي كَفْهِمْ عَنْ أَذَاهِ إِلَيْكُمْ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ لِهَدَايَتِكُمْ.

لَكِنَّ الْقَوْمَ تَمَادَوْا فِي إِيْذَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمَّا زَاغُوا أَيُّ مَالُوا عَنِ الْحَقِّ بِالِاسْتِمْرَارِ فِي أَذَاهِ كَمَا هُوَ طَبِيعَةُ الْيَهُودِ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ أَيُّ تَرَكَهُمْ وَ شَأْنَهُمْ وَ مَنَعَ عَنْهُمْ الْأَلْطَافَ الْخَفِيَّةَ حَتَّى مَالَتْ قُلُوبُهُمْ، وَ نَسَبَهُ

(١) المائة: ٢٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٠٤

[سورة الصف (٦١): آية ٦]

وَ إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٦)

الزَّيْغُ إِلَيْهِ سَبْحَانَهُ، لِأَنَّهُ إِذَا تَرَكَ الْإِنْسَانَ جَذْبَتَهُ الْأَهْوَاءُ الْمَوْجِبَةُ لِلزَّيْغِ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ فَمَنْ خَرَجَ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ بَعْدَ الدَّلِيلِ وَ الْبُرْهَانِ تَرَكَهُ سَبْحَانَهُ وَ شَأْنَهُ وَ لَمْ يَلْطَفْ بِهِ الْأَلْطَافَ الْخَفِيَّةَ.

[٧] وَ هَكَذَا فَعَلَ الْيَهُودُ بَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ آذَوْهُ بَعْدَ مَا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَ اذْكَرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَ الْإِصْرَارُ

فى القرآن على إضافة عيسى بمریم علیه السلام لنفى كونه ابن الله يا بَنِي إِسْرَائِيلَ والمراد بهم اليهود إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ بعثنى لهدايتكم وإرشادكم فى حال كونى مُصِداً لِمَا بَيْنَ يَدَىْ أَى ما تقدمنى، فإن الشىء الذى أمام الإنسان هو بين يديه - مجازاً - مِنَ التَّوْرَةِ التى جاء بها موسى عليه السلام.

وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ أَى أبشركم برسول من عند الله تعالى يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ يعنى نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم - وقد ذكر الشيخ محمد صادق فخر الإسلام، فى كتابه أنيس الأعلام - وهو ممن كان مسيحياً فأسلم - قصة طويلة حول هذا الأمر وأن اسم الرسول «فارقليطا» المفسر بأحمد وهى فى كتابهم - وهذه هى عادة الأنبياء عليهم السلام يصدقون السابقين و يبشرون باللاحقين لأنهم أخوة من عند الله لبيان منهج واحد، وإنما الفروق فى المزايى والخصوصيات التابعة للظروف فلما جاءهم عيسى، أو لما جاءهم الرسول - أحمد - بِالْبَيِّنَاتِ أَى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٠٥

[سورة الصف (٤١): الآيات ٧ الى ٨]

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨)

الأدلة الواضحات قالوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ أَى سحر ظاهر ولم يؤمنوا، فإن كان الضمير راجعاً إلى عيسى، كان ردفاً لتكذيب اليهود لموسى، وإن كان راجعاً إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كانت الآيات فى صدد بيان الرسالات الثلاث، وإن أهل الملتين السابقتين كيف استقبلوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المبشر به لديهم.

[٨] وَمَنْ أَظْلَمُ أَى أى شخص أكثر ظلماً مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ أى اختلق الكذب على الله، وقال لكلامه إنه سحر و لرسوله إنه ساحر كاذب، وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ الذى فيه سعاده فى الدنيا والآخرة وَاللَّهُ لَا يَهْدِي بِالْأَلطافِ الخفية الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والعناد بعد ما رأوا النور والهدى، و دلهم على الطريق فلم يسلكوه.

[٩] يُرِيدُونَ هَوْلَاءَ الكفار المعاصرون لك يا رسول الله لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ وَهُوَ رَسُولُهُ و منهاجه بِأَفْوَاهِهِمْ و إنما سمي نوراً لأنه ينير دروب الحياة المظلمة بمناهج تسبب السعادة والوصول إلى الهدف، كمن معه المصباح فى الليلة المظلمة حيث لا يصطدم بشىء بل يسلك السبيل حتى يصل إلى المطلوب، و إنما قال «بأفواههم» لأنهم ظنوا أنهم يتمكنون من إطفاء نور الإسلام، بالتكذيب و التهريج.

وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ أَى مظهر دينه، فإن النور إذا أطفئ لم يتم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٠٦

[سورة الصف (٤١): الآيات ٩ الى ١٠]

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (١٠)

امتداده فى الزمان، أمّا إذا لم يطفأ استمر و امتد و تم و لَوْ كَرِهَ الْكُافِرُونَ من بقاء نور الله و إضاءته للعالم.

[١٠] هُوَ اللَّهُ سبحانه الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بِالْهُدَى أى مع الهداية للبشرية إلى السعادة الأبدية وَبِ دِينِ الْحَقِّ وَهُوَ دِينِ الْإِسْلَامِ لِيُظْهِرَهُ أَى أن الإرسال كان لأجل إظهار هذا الدين عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ أى على كل الأديان، فإن «الدين» جنس و لذا جىء له ب «كله» فإن الإسلام يغلب الأديان كلها على نحوين: الأول بالحجة و الدليل، و هذا موجود منذ زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، و الثانى بالغلبة و السيطرة و هذه تكون فى زمن الإمام الحجة عليه السلام.

فقد سئل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن هذه الآية و أنه هل ظهر الإسلام؟ قال عليه السلام: كلا فو الذى نفسى بيده حتى لا تبقى قريته إلا و ينادى فيها بشهادة أن لا إله إلا الله بكرة و عشياً

«١» وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ، فَإِنَّهُ يَعْلُو عَلَى رِغْمِ أَنْوْفِهِمْ.

[١١] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا خَصَّ الْمُؤْمِنِينَ بِالْخُطَابِ، مَعَ أَنَّهُ أَعْمٌ، لِأَنَّهُمُ الْمُتَنَفِعُونَ بِالْخُطَابِ الْعَامِلُونَ بِهِ دُونَ سِوَاهُمْ هَلْ أَدُلُّكُمْ أَى هَلْ تَرِيدُونَ أَنْ أَهْدِيَكُمْ وَأُرْشِدَكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ عَلَى نَحْوِ الْاسْتِفْهَامِ الطَّلَبِيِّ.

(١) تأويل الآيات: ص ٤٤٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٠٧

[سورة الصف (٤١): الآيات ١١ الى ١٢]

تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ يُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢)

[١٢] ثم بين تلك التجارة، التي لها أربح الأثمان، و هل شىء أنفع من نجاه الإنسان من عذاب مؤلم موجه؟ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ بِأَنَّ تَعْتَدُوا بِهِ إِلَيْهَا وَاحِدًا وَرَسُولِهِ بِأَنَّ تَصَدَّقُوا فِيهَا بِمَا جَاءَ بِهِ، وَ الْمَرَادُ إِيمَانًا بِأَقْيَا رَاسِخًا- فَلَا يَنَافَى ذَلِكَ كَوْنِهِمْ مُؤْمِنِينَ، كَقَوْلِهِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا «١»- وَ تَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَى تَتَّبِعُونَ أَنْفُسَكُمْ بِالْمَشَاقِ الَّتِي مِنْهَا الْحَرْبُ لِأَجْلِ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ بِأَنَّ تَبَدَّلُهَا لِأَجَلِهِ تَعَالَى وَ أَنْفُسِكُمْ بِأَنَّ تَرُخَّصُوهَا فِي أَمْرِهِ، حَتَّى إِذَا اسْتَلْزَمَتْ إِزْهَاقَ أَنْفُسِكُمْ وَ قَتْلَكُمْ فِي سَبِيلِهِ ذَلِكَ «ذَا» إِشَارَةٌ وَ «كُمْ» خُطَابٌ، أَى مَا ذَكَرَ مِنَ الْإِيمَانِ وَ الْجِهَادِ- بِاعْتِبَارِ كُلِّ وَاحِدٍ- خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الشَّرِكِ الَّذِى مَصِيرُهُ النَّارُ وَ الْعِقَابُ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَ الْمَعْنَى إِنْ كُنْتُمْ عَالِمِينَ لَعَلَّمْتُمْ أَنَّ الْإِيمَانَ وَ الْجِهَادَ خَيْرٌ وَ أَنْفَعٌ مِنَ الْكُفْرِ وَ الْكِسَالَةِ.

[١٣] وَ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ يَغْفِرْ اللَّهُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ السَّالِفَةَ وَ يُدْخِلْكُمْ اللَّهُ تَعَالَى جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَى مِنْ تَحْتِ قُصُورِهَا وَ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ مِنْ عَسَلٍ وَ مَاءٍ وَ لَبَنٍ وَ خَمْرٍ وَ يَدْخُلْكُمْ فِي تِلْكَ الْجَنَّاتِ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً جَمْعٌ مَسْكَنٍ وَ هُوَ الْمَنْزِلُ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ مَحَلُّ سُكُونِ الْإِنْسَانِ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ يُقَالُ عَدَنٌ بِالْمَكَانِ إِذَا أَقَامَ فِيهِ، أَى

(١) النساء: ١٣٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٠٨

[سورة الصف (٤١): الآيات ١٣ الى ١٤]

وَ أُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصِيرٌ مِّنَ اللَّهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ وَ بَشْرُ الْمُؤْمِنِينَ (١٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنِ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ كَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١٤)

فِي جَنَّاتٍ أَنْتُمْ دَائِمُونَ فِيهَا خَالِدِينَ لَا خُرُوجَ لَكُمْ عَنْهَا ذَلِكَ الْغَفْرَانُ لِلذَّنْبِ وَ الدَّخُولُ فِي الْجَنَّاتِ الْفَوْزُ وَ الظَّفَرُ بِالْمَطْلُوبِ وَ السَّعَادَةُ الْعَظِيمُ الَّذِى لَيْسَ فَوْقَهُ سَعَادَةٌ وَ فَلَاحٌ.

[١٤] وَ لَكُمْ مِضَافًا إِلَى نِعْمَةِ الْفَوْزِ بِالْجَنَانِ، نِعْمَةٌ أُخْرَى إِذَا آمَنْتُمْ وَ جَاهَدْتُمْ تُحِبُّونَهَا وَ هِيَ نِعْمَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ نَصِيرٌ لَكُمْ عَلَى الْكُفْرِ مِنْ طَرَفِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، لِأَنَّهُ يَنْصُرُكُمْ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَ إِنْ كَانَتْ قَوَاكِمُ الْمَادِيَّةِ أَقْلَ مِنْهُمْ وَ فَتَحَ قَرِيبٌ لِبِلَادِهِمْ، وَ قَدْ كَانَ كَمَا أَقَامَ سَبْحَانَهُ فَقَدْ فَتَحُوا مَكَّةَ وَ فَارِسَ وَ الرُّومَ وَ كَثِيرًا مِنْ أَمَاكِنِ الْمُشْرِكِينَ وَ الْكُفَّارِ فِي مَدَّةٍ وَ وَجِيزَةٍ وَ بَشْرٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ بِهَذِينَ الثَّوَابِينَ، إِنْ صَدَقُوا فِي الْإِيمَانِ وَ قَامُوا بِوَجِبِ الْجِهَادِ.

[١٥] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ أَى أَعْوَانَهُ الْمَلَازِمِينَ لِخِدْمَتِهِ بِإِقَامَةِ دِينِهِ، فِي مَقَابِلِ الْمُؤْمِنِ الَّذِى لَا يَهْيِي نَفْسَهُ لِلنَّصْرَةِ، وَ إِنَّمَا يَعْمَلُ بِبَعْضِ الْأُمُورِ الدِّيْنِيَّةِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَى أَنْصَرُوهُ نَصْرَةً مِثْلَ مَا طَلَبَ الْمَسِيحُ مِنْ تَلَامِذَتِهِ لِلْحَوَارِيِّينَ وَ هُمْ أَصْفِيَاؤُهُ

و تلاميذه مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ أَى فى السّير إلى رضوان الله و ثوابه، سيرا مستقيما، يكون معى فى تعاليمى؟ قالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ و الخطاب إما كان خاصا لهم و أجاب الجميع بالموافقة، أو كان عاما،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٠٩

و إنما قال «للحواريين» باعتبار أنهم الفئة الموجهة فى خطابه عليه السّلام للجماهير فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِيْمَانًا صَحِيحًا و هم الحواريون و من إليهم و كَفَرَتْ طَائِفَةٌ بَأَن لَمْ تُوْمَنَ بِعِيسَى أَوْ آمَنَتْ ثُمَّ انْحَرَفَتْ كَالْمَثَلِثَةِ و نحوهم فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا أَى قويناهم على عِدْوِهِمْ الكافرين فَأَصْبَحُوا أَى المؤمنون به ظاهريين غالبين بالحجة على الكافرين، أو غالبين بالعدد و القوة على أولئك، و كما أيدنا النصارى الحقيقيين على اليهود و المزيّفين من النصارى كذلك تؤيد الإسلام الصحيح على الأديان الأخرى، و الإسلام المنحرف، و إنما يسمى الغالب ظاهرا لأنه يظهر و غيره يخفى.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤١٠

٦٢ سورة الجمعة مدنية / آياتها (١٢)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتغالها على لفظه «الجمعة» و هى كسائر السور المدنية مشتملة على النظام بالإضافة إلى اشتغالها على العقيدة، و لما ختمت سورة الصف بتأييد المؤمنين بعيسى عليه السّلام افتتحت هذه السورة بالإرسال فى الأمين.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الإله الذى له كل شىء، و إنما يبدأ باسم من له كل شىء استحقاقا و استعطافا، فمن له كل شىء هو الأحق بالتبويه، و من بيده كل شىء هو الأحق و الأولى بالاستعطاف.

الرحمن الرحيم الذى يرحم العباد بالفضل، فإن الرحمة هى الفضل على من فيه نقص بتكميل ذلك النقص.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤١١

[سورة الجمعة (٦٢): الآيات ١ الى ٢]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فى السَّمَاوَاتِ و مَا فى الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) هُوَ الَّذِي بَعَثَ فى الْأُمَمِيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢)

[٢] يُسَبِّحُ لِلَّهِ أَى ينزه الله من النقائص، تنزيها إما تكوينيا، لأن فى كل شىء له آية دالة على أنه خالق عالم قدير، و إما بلسان تفقهه ما فى السَّمَاوَاتِ و مَا فى الْأَرْضِ السماء و ما فيها، و الأرض و ما فيها فإن الظرف قد يطلق على الإثنين، كما أن المظروف قد يطلق على الإثنين الْمَلِكِ السلطان على الكون بقول مطلق، فإن سلطه ما عداه تعالى مجازية الْقُدُّوسِ المنزه عن كل نقص، من قدس بمعنى تنزه العزیز الغالب فى سلطانه الْحَكِيمِ الذى يفعل الأشياء بالحكمة و الصلاح.

[٣] هُوَ اللَّهُ تعالى الَّذِي بَعَثَ أَى أرسل فى الْأُمَمِيِّينَ الأسمى منسوب إلى الأم و المراد بهم العرب، سموا بذلك إما لأنهم من أهل «أم القرى» أى مكة المكرمة- المسماة بذلك لأن القرى دحيت من تحتها- و إما لأن الغالب منهم لم يكونوا يعرفون القراءة و الكتابة فهم- فى جهلهم- كالذى خلق من الأم لا- يعرف شيئا، و البعث فى الأميين لا- يلازم أن يكون لهم و حدهم، حتى تدل الآية على خصوص نبوته صلى الله عليه و آله و سلم رَسُولًا لأجل هدايتهم مِنْهُمْ أَى من أنفسهم و من أهل بلدهم.

يَتْلُوا أَى يقرأ عَلَيْهِمْ أَى على أولئك الأميين آياتِهِ أدلته، أو آيات القرآن وَ يُزَكِّيهِمْ أَى يطهرهم تطهيرا علميا، فإن المعلم الرقيب يطهر تلاميذه من أدران القلوب و الجوارح بحفظهم عن الرذائل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤١٢

[سورة الجمعة (٦٢): الآيات ٣ الى ٤]

وَ آخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٤)
و الأعمال المنكرة وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ أَحْكَامَهُ وَ شَرَائِعَهُ وَ الْحِكْمَةَ بِأَنْ يَعْرِفُوا وَضْعَ الْأَشْيَاءِ مَوَاضِعَهَا، فَإِنَّ الْحِكْمَةَ هِيَ وَضْعُ الشَّيْءِ
مَوْضِعَهُ وَ إِنْ كَانُوا هَؤُلَاءِ الْأُمِّيُونَ مِنْ قَبْلُ أَى قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الرَّسُولُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ أَى فِى انْحِرَافٍ ظَاهِرٍ، فَلَا عَقَائِدَ صَحِيحَةَ وَ لَا
أَعْمَالَ صَالِحَةَ وَ لَا عَادَاتٍ طَيِّبَةَ، وَ لَا أَخْلَاقَ فَاضِلَةَ، يَعْنَى أَنَّهُ يُوصلُهُمْ إِلَى أَرْقَى مَرَاقَى الْكَمَالِ، وَ إِنْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ فِى أَبْعَدِ مَتَاهَاتِ
الضَّلَالَةِ.

[٤] وَ يَعْلَمُ آخِرِينَ مِنْهُمْ أَى مِنْ أَوْلَئِكَ الْأُمِّيِينَ، مِمَّنْ يَأْتَى بَعْدَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَ كَوْنَهُمْ مِنْهُمْ إِمَّا بِاعْتِبَارِ أَنَّهُمْ مِنْ نَسْلِهِمْ أَوْ بِاعْتِبَارِ
أَنَّهُمْ بِالْإِيمَانِ يَكُونُونَ مِنْ جِنْسِ أَوْلَئِكَ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ «لَمَّا» لَمَّا لَمْ يَقَعْ وَ يَنْتَظَرُ وَقُوعَهُ، أَى لَمْ يَلْحَقُوا - بَعْدَ - بِهِمْ، مَعَ أَنَّهُ يَنْتَظَرُ
لِحُوقِهِمْ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَالِبُ فِى سُلْطَانِهِ فَيَتِمَكَّنُ مِنَ الْهَدَايَةِ لِلْآخِرِينَ الْحَكِيمِ الَّذِى يَضَعُ الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا.

[٥] ذَلِكَ أَى الْإِرْسَالِ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُرْسَلِ بِأَنْ جَعَلَهُ نَبِيًّا، أَوْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ بِأَنْ شَرَفَهُمْ بِأَنْ هَدَاهُمْ فَضْلُ اللَّهِ لَطْفَهُ وَ رَحْمَتَهُ
يُؤْتِيهِ أَى يَعْطِيهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لَكِنِ الْمَعْلُومُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْطَى شَيْئًا إِلَّا حَسَبَ الْحِكْمَةِ، بِمَنْ كَانَ صَالِحًا لِلْإِعْطَاءِ، وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ الَّذِى فَضَلَهُ أَعْظَمَ مِنْ فَضْلِ كُلِّ - ذَى فَضْلٍ، وَ إِعْطَاءَ كُلِّ مَعْطَى.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤١٣

[سورة الجمعة (٦٢): الآيات ٥ الى ٦]

مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ (٥) قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦)

[٦] ثُمَّ تَبَّ السِّيَاقِ الْمُسْلِمِينَ بِوَجُوبِ التَّمَسُّكِ بِالشَّرِيعَةِ حَتَّى لَا يَكُونُوا كَالْيَهُودِ الَّذِينَ تَرَكَوا الْعَمَلَ بِالتَّوْرَةِ، بَعْدَ مَا تَمَسَّكُوا بِهَا فِى
زَمَنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ أَى حَمَلَهُمُ اللَّهُ التَّوْرَةَ، وَ كَأَنَّ الْوَجْهَ فِى التَّعْبِيرِ بـ «حَمَلُوا» إِفَادَةٌ أَنَّهُمْ إِنَّمَا تَمَسَّكُوا
بِهَا بِكُلِّ صَعُوبَةٍ وَ تَحْمِيلٍ لـ. بِالطَّوْعِ وَ الرَّغْبَةِ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا بِأَنْ تَرَكَوا الْعَمَلَ بِهَا بِاخْتِيَارٍ، وَ لِذَا جَاءَ الْفِعْلُ هُنَا مِنْ بَابِ الْمَجْرَدِ، وَ
الْمُرَادُ بِ «لَمْ يَحْمِلُوهَا» رَفْضُوهَا وَ تَرَكَوا أَحْكَامَهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا جَمْعُ سَفَرٍ وَ هُوَ الْكِتَابُ، وَ الْحِمَارُ الَّذِى يَحْمِلُ الْكُتُبَ
عَلَى ظَهْرِهِ لَا يَسْتَفِيدُ مِنْهَا، وَ الْيَهُودُ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ مَعَ كَوْنِ التَّوْرَةِ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهَا وَ لَا يَعْمَلُونَ بِأَحْكَامِهَا فَمَنْ تَمَسَّكَ
بِالْقُرْآنِ ظَاهِرًا وَ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ كَانَ مِثْلَهُ كَذَلِكَ، بِئْسَ الْمِثْلُ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَ الْمُرَادُ بِهِمُ الْيَهُودَ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِالتَّوْرَةِ - تَكْذِيبًا عَمَلِيًّا - أَوْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فِى الْقُرْآنِ، وَ الْمَعْنَى بِئْسَ الْقَوْمُ قَوْمٌ هَذَا مِثْلُهُمْ، فَإِنَّ الْمِثْلَ السَّيِّئَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلشَّخْصِ
السَّيِّئِ، وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي بِالْأَلْطَافِ الْخَفِيَّةِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ وَ الْعِصْيَانِ، بَعْدَ أَنْ هَدَاهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ فَلَمْ يَسْلُكُوهُ.

[٧] وَ قَدْ كَانَ الْيَهُودُ يَزْعَمُونَ أَنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ - بَعْدَ تَرْكِهِمُ الْعَمَلَ بِالتَّوْرَةِ - وَ يَأْتَى السِّيَاقُ لِيَفْندَ زَعْمَهُمْ هَذَا قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَهُؤُلَاءِ
الْيَهُودُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا أَى سَمَّوْا يَهُودًا، وَ تَهَوَّدُوا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤١٤

[سورة الجمعة (٦٢): الآيات ٧ الى ٨]

وَ لَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧) قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِى تَفْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَ
الشَّهَادَةِ فَيُبْتَلِيكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)

إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ وَ أَنْكُمْ شَعْبُ اللَّهِ الْمَخْتَارِ مِنْ دُونِ النَّاسِ وَ أَنْ سَائِرَ النَّاسِ لَا يَجِبُهُمُ اللَّهُ، وَ لَيْسُوا بِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِى زَعْمِكُمْ، فَإِنَّ الْوَلِيَّ لَا يَخَافُ مِنَ الْمَوْتِ، إِذْ يَعْلَمُ بَعْلُو حَالَهُ هُنَاكَ.

[٨] وَ لَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَى لَا يَتَمَنَّى الْيَهُودُ الْمَوْتَ أَبَدًا أَى إِلَى الْأَبَدِ بِسَبَبِ مَا عَمَلُوا مِنْ كُفْرِهِمْ وَ عِصْيَانِهِمْ وَ أَنْ أَحْوَالِهِمْ فِى الْآخِرَةِ سَيِّئَةٌ مِنْ
مَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَ نِسْبَةُ التَّقْدِيمِ إِلَى الْيَدِ بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْيَدَ هِيَ الْأَكْثَرُ عَمَلًا، مِنْ بَابِ عِلَاقَةِ الْجُزْءِ وَ الْكُلِّ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ عَالِمٌ

بأحوالهم و سيجازيهم على ظلمهم، و هذا تهديد لليهود.

[٩] و هل ينفع عدم تمنيمهم الموت و فرارهم منه؟ قُلْ يا رسول الله لهم إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ بتوفير أسباب الصحة لأنفسكم، و عدم حضوركم فى مواضع الخطر خوفا من الموت فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ يلقاكم و ينزل بكم لا محالة ثُمَّ بعد الموت تَرُدُّونَ أى ترجعون، فإن الإنسان حيث صدر عن إرادة الله سبحانه، كان ذهابه إلى حسابه و جزائه، شبيها بالرد و الرجوع إليه إلى عالمِ الغَيْبِ أى ما غاب عن الحواس و الشَّهَادَةِ أى ما ظهر للحواس و شهدها، أى حضرها الشخص، و المراد أنه تعالى يعلم السر و العلانية

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤١٥

[سورة الجمعة (٦٢): آية ٩]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَ ذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩)
فَيَبِّئُكُمْ أى يخبركم - إخبار الذى يريد الجزاء - بما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ من الأعمال الحسنه أو القبيحه.

[١٠] و إذا تبين لزوم العمل بالشريعة حتى لا يكون المسلم، كمثل اليهود فى تركهم العمل بالتوراه، جاء السياق لبيان شريعته عظيمه هى صلاة الجمعة، و هذه الصلاة واجبه فى زمن الحضور، أما زمن الغيبه فلعلمائنا فيها خلاف، و الذى استظهرته أن وجوبها خاص بالإمام أو مأذونه فى زمان بسط يد الإمام، و لذا لم يرد قيام الأئمه من بعد الإمام الحسين بها، و لم يكن ذلك لأجل التقية، و هذا هو السر فى اشتهاى تركها بين فقهائنا يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ و قد كان الرسول صلى الله عليه و آله و سلم إذا جلس على المنبر لخطبة الجمعة أذن بلال على باب المسجد، و كذا جرى أبو بكر و عمر بعده حتى جاء عثمان، فكان يؤذن على سطح داره أولا ثم إذا جلس على المنبر أذن ثانيا - و هذا هو الأذان الثالث الذى قالوا عنه بأنه بدعه، و كونه ثالثا باعتبار الأذان الإعلامى، و الأذان على المنبر، المشروعين - أما الأذان على سطح الدار فهو شىء لم يكن فى الإسلام مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ أى بعض يوم الجمعة، و هو لصلاة الجمعة، و سمي جمعة لاجتماع الناس فيها للصلاة، و قد كان هذا اليوم عيدا قبل الإسلام ثم قرره الإسلام، كما أن النيروز كان عيدا قبل الإسلام ثم قرره الإسلام.

فَاسْعَوْا السعى هو المضى بسرعة و عجله إلى ذِكْرِ اللَّهِ أى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤١٦

[سورة الجمعة (٦٢): الآيات ١٠ الى ١١]

فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) وَ إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَ تَرَكَوْكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَ مِنَ التِّجَارَةِ وَ اللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١)

الصلاة الجمعة وَ ذَرُوا الْبَيْعَ أى دعوا المعاملة، و الظاهر أن «البيع» من باب المثال الغالب، و إلا فالمراد كل عمل ينافى الذهاب إلى الصلاة ذَلِكُمْ أى السعى إلى الذكر، و ترك المعاملة خَيْرٌ لَكُمْ أيها المؤمنون فى دينكم و دنياكم إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أى إن علمتم الأشياء لعلمتم أن السعى خير لكم.

[١١] فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ أى أدت صلاة الجمعة فَانْتَشِرُوا أى تفرقوا أيها المؤمنون فى الْأَرْضِ بأن يذهب كل إنسان إلى عمله الموجب للانتشار و التفرق وَ ابْتَغُوا أى اطلبوا بالكسب و ما أشبه مِنْ فَضْلِ اللَّهِ رزقه و لطفه، و هذا أمر للإباحة، لأنه بعد الحظر، نحو قوله وَ إِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا «١» وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا بأن تكونوا متذكرين له لسانا و قلبا، حال الابتغاء و غيره، فإنه مجلى القلوب عن صدأ الغفلة و المعاصى لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ أى لكى تفوزوا برضاه و إحسانه.

[١٢]

قال جابر: أقبلت غير و نحن نصلى مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فانفض الناس إليها فما بقى غير اثنى عشر رجلا أنا فيهم فنزلت هذه الآية، و فى رواية إن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم قال: و الذى نفسى بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى أحد منكم لسال

بكم الوادى نارا

«٢» وَإِذَا رَأَوْا هَوْلَاءَ الَّذِينَ حَضَرُوا

(١) المائدة: ٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٥٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤١٧

لصلاة الجمعة تجارةً مقبلةً، فقد كانت تجارتهم تأتي من أطراف البلاد في مواسم معينة، فمن لم يسرع للاشتراء فاتته السلعة، و لزم عليه الانتظار إلى الموسم الآخر لسد حاجاته بالاشتراء أو لهُوًّا و كان من عادة العير التجارية إذا جاءت أن يدق الطبل إعلاماً لأهل المدينة بمجيئها وهذا هو اللهو الذي يلهى عن ذكر الله و يشغل عن الانصراف إلى الصلاة انفضوا أى أسرعوا إليها إلى تلك التجارة و اللهو- باعتبار كل واحد منهما- و الانفصاض هو التفرق بسرعه و تَرَكُوكَ يا رسول الله قائماً تخطب خطبة الجمعة، بأن لم يبالوا بشأنك تقديماً لأمر الدنيا على أمر الآخرة قل يا رسول الله لهم ما عند الله خَيْرٌ مِنَ اللّهِ فثوابه على البقاء مستمعا خطبة الجمعة أفضل من اللهو و خير لكم و مِنَ التَّجَارَةِ و لعل تقديم التجارة هناك و تأخيرها هنا، لأن هناك شروع من الأقوى يعنى أنهم يذهبون للتجارة بل لما دون التجارة و هو اللهو ... و هنا شروع من الأضعف يعنى أن ما عند الله خير من اللهو و ما فوق اللهو و هو التجارة و الله خَيْرٌ الرَّازِقِينَ فلا يزعم أحد أنه لو ترك الاشتراء من العير لبقى بلا رزق، بل الله يرزقه من واسع فضله.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤١٨

٦٣ سورة المنافقون مدنية / آياتها (١٢)

سميت السورة بهذا الاسم لأنها مشتملة على لفظة «المنافقون» و هى كسائر السور المدنية تشتمل على النظام، بالإضافة إلى قضايا العقيدة، و لما ختمت سورة الجمعة بترك الرسول قائماً، الذى هو من أشباه أعمال المنافقين ابتدأت هذه السورة بقصة من قصص المنافقين التى وقعت فى إحدى غزوات الرسول صلى الله عليه و آله و سلم.

و

قد ورد أن هذه السورة نزلت فى غزوة «بنى المصطلق» فى سنة خمس من الهجرة، و كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم خرج إليها، فلما رجع منها نزل على بئر، و كان الماء قليلاً فيها و كان الأنس بن سيار حليف الأنصار و كان جهجاه بن سعيد الغفارى أجيراً لعمر، فاجتمعوا على البئر، فتعلق دلو سيار بدلو جهجاه فقال سيار دلوى و قال جهجاه دلوى؟ فضرب جهجاه وجه سيار فسال منه الدم، فنادى سيار بالخزرج و نادى جهجاه بقريش، فأخذ الناس السلاح، و كادت أن تقع الفتنة فسمع عبد الله ابن أبى النداء فقال ما هذا؟ فأخبروه بالخبر، فغضب غضباً شديداً، ثم قال قد كنت كارها لهذا المسير، ما ظننت أنى أبقى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤١٩

إلى أن أسمع مثل هذا فلا يكن عندى تغيير ثم أقبل على أصحابه و قال هذا عملكم! أنزلتموهم منازلكم و واسيتموهم بأموالكم و وقيتموهم بأنفسكم و أبرزتم نحوركم للقتل فأرمل نساءكم و أيتم صبيانكم و لو أخرجتموهم لكانوا عيالا على غيركم.

ثم قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل- و أراد بالأعز هو و أمثاله، و بالأذل الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و المؤمنين- و كان فى القوم زيد بن أرقم و كان غلاماً و كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى ظل شجرة فى وقت الهاجرة و عنده قوم من أصحابه من المهاجرين و الأنصار، فجاء زيد فأخبره بما قال عبد الله بن أبى، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: لعلك و همت يا غلام؟ قال لا و الله ما و همت فقال: لعلك غضبت عليه؟ قال: لا و الله ما غضبت عليه. قال: فلعله سفه عليك؟ قال لا و

اللّه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لشقران مولاه أن يقدم راحلته وركب و تسمع الناس بذلك فقالوا ما كان رسول الله ليرحل في مثل هذا الوقت؟ فرحل الناس و لحقه سعد بن عبادة فقال: السلام عليك يا رسول الله و رحمة الله و بركاته فقال صلى الله عليه وآله وسلم: و عليك السلام. فقال: ما كنت لترحل في مثل هذا الوقت؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: أو ما سمعت قولاً قاله صاحبكم؟ قالوا و أى صاحب لنا غيرك يا رسول الله قال: عبد الله بن أبيّ زعم إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فقال: يا رسول الله فأنت و أصحابك الأعز و هو و أصحابه الأذل فسار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يومه كله لا يكلمه أحد، فأقبلت الخزرج على عبد الله بن أبيّ تلومه فحلف عبد الله أنه لم يقل شيئاً من ذلك فقالوا: فقم بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى نعتذر إليه، فلوى عنقه فلما جن الليل سار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليله كله، و النهار، فلم ينزلوا إلا للصلاة، فلما كان من الغد نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و نزل أصحابه و قد انهدهم الأرض من السهر الذى أصابهم، فجاء عبد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٢٠

الله بن أبيّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحلف عبد الله أنه لم يقل ذلك و أنه ليشهد أن لا إله إلا الله و أنك لرسول الله و أن زيدا قد كذب على.

فقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منه- أى أظهر السكوت- و أقبلت الخزرج على زيد بن أرقم يشتمونه و يقولون كذب على عبد الله سيدنا، فلما رحل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان زيد معه يقول اللهم إنك لتعلم أنى لم أكذب على عبد الله بن أبيّ، فما سار إلا قليلاً حتى أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان يأخذه من الحالة عند نزول الوحي عليه فثقل حتى كادت ناقته أن تبرك من ثقل الوحي، فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و هو يسكب العرق عن جبهته، ثم أخذ بأذن زيد بن أرقم فرفعه عن الرحل ثم قال: يا غلام صدقت و وعى قلبك و أنزل الله فيما قلت قرآناً، فلما نزل جمع أصحابه و قرأ عليهم سورة المنافقين ففضح الله عبد الله بن أبيّ ثم جاء ولد عبد الله بن أبيّ إلى رسول الله و قال: يا رسول الله إن كنت عزمت على قتله فمرنى أن أكون أنا الذى أحمل إليك رأسه فو الله لقد علمت الأوس و الخزرج أنى أبرهم ولداً بوالدى، فإنى أخاف أن تأمر غيرى فيقتله فلا تطيب نفسى أن أنظر إلى قاتل أبى فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار، فقال رسول الله: بل نحسن لك صحابته ما دام معنا.

«١».

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نستعين باسم الإله، ليكون عوناً لنا فى حوائجنا، الرحمن الرحيم الذى وسعت رحمته كل شىء ليلطف علينا بالرحمة فيحل مشاكلنا الدنيوية و الأخروية.

(١) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٢٨٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٢١

[سورة المنافقون (٦٣): الآيات ١ الى ٢]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢)

[٢] إِذَا جَاءَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الْمُنَافِقُونَ و المراد به عبد الله بن أبيّ، و قد تقدم أن الجمع قد يستعمل بمعنى الجنس، و يراد به الفرد، و إنما يعبر بالجمع لإفادة أن من هذا وصفه فحكمه حكم ذلك الفرد الصادر منه الفعل كما أن الفرد قد يأتى بمعنى الجنس، حيث تسلخ منه الفردية، و تبقى الجنسية التى فى ضمن الفرد، و المنافق هو الذى يبطن الكفر و يظهر الإسلام قالوا فى محضرك نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ بِأَنَّ هَذَا هُوَ اعْتِقَادُنَا الْقَلْبِيَّ، لا- إظهارنا اللفظى فقط و اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ و هذه جملة جاء بها القرآن تمهيداً للجملة

التالية، لثلا تنصرف إلى إنكار الله سبحانه رسالته حيث يكذب المنافقين وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ في ادعائهم أنهم يعتقدون برسالة الرسول من أعماق قلوبهم، فإنهم إنما آمنوا باللسان وقلوبهم باق على الكفر والجحود.

[٣] اتَّخَذُوا أَي هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ أَيْمَانَهُمْ جَمْعَ يَمِينٍ وَ هِيَ الْقِسْمُ أَي حَلْفُهُمْ جُنَّةً أَي وَقَايَهُ يَتَسْتَرُونَ بِهَا حَتَّى لَا- يَصِيبُهُمْ أَدَى مِنَ الرَّسُولِ وَ الْمُسْلِمِينَ فَصَيَّرُوا أَي مَنَعُوا بِسَبَبِ حِفْظِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ بَاطِنًا- بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ- عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَي طَرِيقِ دِينِهِ وَ ثَوَابِهِ لِأَنَّهُمْ بِنِفَاقِهِمْ يَحْفَظُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي زَمْرَةِ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ يَشَاغِبُونَ خَفِيَّةً، وَ يَمْنَعُونَ النَّاسَ عَنِ الْإِيمَانِ الصَّحِيحِ إِنَّهُمْ أَي الْمُنَافِقِينَ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٢٢

[سورة المنافقون (٦٣): الآيات ٣ الى ٤]

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمِعَ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهم خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٤)

أى بنس العمل عملهم حيث يظهرون الإيمان و يبطنون الكفر صدا عن سبيل الله.

[٤] ذَلِكَ النِّفَاقُ إِنَّمَا كَانَ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ ثُمَّ كَفَرُوا بِقُلُوبِهِمْ، فَإِنَّ الْمُنْحَرِفَ الطَّبْعَ إِذَا رَأَى خَيْرًا أَسْرَعَ إِلَيْهِ مُخْلِصًا وَإِذَا رَأَى النَّصَادِمَ مَعَ مَصَالِحِهِ يَبْقَى فِي ظَاهِرِ الْمَوَافَقَةِ- حَزَنًا- وَ يَتَرَجَّعُ فِي الْبَاطِنِ تَرْجِيحًا لِمَصَالِحِهِ فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ تَمَرَّنُوا عَلَى الْكُفْرِ وَ التَّمَادَى فِي صِفَةِ يَوْجِبُ تَطْبِيعَ النَّفْسِ بِهَا إِذْ تَكُونُ مَلَكَةً لِلتَّمَادَى، وَ الطَّابِعُ هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، الَّذِي خَلَقَ النَّفْسَ الْبَشَرِيَّةَ هَكَذَا، وَ إِنْ كَانَ الطَّبْعُ بِسَبَبِ نِفَاقِهِمْ، وَ الْمَرَادُ بِالْقُلُوبِ الْأَنْفُسَ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ أَي لَا يَفْهَمُونَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ وَ التَّقْوَى لِأَنَّ نَفْسَهُمْ انْحَرَفَتْ، وَ إِذَا انْحَرَفَتْ النَّفْسُ رَأَى الْجَمِيلَ قَبِيحًا وَ الْقَبِيحَ جَمِيلًا.

[٥] وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ أَي نَظَرْتَ إِلَيْهِمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ أَيُّهَا الرَّائِي تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ بِحَسَنِ مَنَظَرِهِمْ وَ تَمَامِ خَلْقَتِهِمْ وَ جَمَالِ صُورِهِمْ وَإِنْ يَقُولُوا أَي يَتَكَلَّمُوا فِي أَي شَأْنٍ مِنَ الشُّؤْنِ تَسْمِعَ لِقَوْلِهِمْ أَي أَصْغَيْتَ إِلَى كَلَامِهِمْ لَجَمِيلِ بَيَانِهِمْ وَ فَصَاحَةِ مَنَظَرِهِمْ، فَهُمْ مَعَ حَسَنِ الْمَنَظَرِ وَ عَذُوبَةِ الْبَيَانِ كَأَنَّهم خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ فَارغُونَ عَنِ الصِّفَاتِ الْحَسَنَةِ وَ الْفَضَائِلِ، كَالْخَشْبَةِ الْفَارِغَةِ الَّتِي لَا تَتِمَّكُنْ أَنْ تَقِفَ بِنَفْسِهَا فَتَسْتَدُ لِحَائِظٍ وَ نَحْوَهُ لِتَقِفَ وَ تَسْتَقِيمَ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٢٣

[سورة المنافقون (٦٣): آية ٥]

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَ رَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٥)

فَالْخَشْبَةُ الَّتِي أَكَلَتْ جَوْفَهَا الْأَرْضُ ظَاهِرًا جَمِيلًا وَ بَاطِنًا فَارِغًا لَا تَتِمَّكُنْ أَنْ تَقِفَ هِيَ لِرَكَائِطِهَا وَ هَؤُلَاءِ كَذَلِكَ لَهُمْ ظَاهِرٌ مِنْ غَيْرِ بَاطِنٍ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ وَ كُلَّ نَازِلَةٍ عَلَيْهِمْ لَجَبْنِهِمْ وَ فَرَاغِ قُلُوبِهِمْ عَنِ فَضِيلَةِ الْإِيمَانِ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ ثَابِتَ الْقَلْبِ رَابِطَ الْجَاشِ أَمَّا الْمُنَافِقُ فَإِنَّهُ خَائِفٌ دَائِمًا أَنْ يَظْهَرَ بَاطِنُهُ فَيَفْضَحَ، وَ لِذَا كَلِمًا حَدِثَ شَيْءٌ خَافَ وَ جَبَنَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ وَ يَفْضَحَ بَاطِنُهُ، وَ الْفَاجِعَةُ وَ النَّازِلَةُ تَسْمَى صَيْحَةً لِأَرْتِفَاعِ الصَّيَاحِ فِيهَا مِنْ بَابِ عِلَاقَةِ السَّبَبِ وَ الْمَسْبَبِ هُمُ الْعَدُوُّ أَي أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ هُمُ أَعْدَاؤُكَ الْوَحِيدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الْكَامِلُونَ فِي الْعَدَاوَةِ إِذْ الْكُفْرَارُ لظهورهم يؤمن شرهم، أما المنافق فهو يخفى في الجماعة المؤمنة بإظهار الإيمان حيث لا يرى ولا يعرف حتى يفسد و يسبب المشاكل.

فَاحْذَرْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنْ أَنْ يَخْتَلِطُوا بِالْمُسْلِمِينَ وَ يَطَّلِعُوا عَلَى أَسْرَارِهِمْ، لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا بِمَنَاطِقِ الْعِزَّةِ وَ نِقَاطِ الضَّعْفِ، فَهُمْ أَقْدَرُ مِنَ الْعَدُوِّ الْخَارِجِ عَلَى الْإِفْسَادِ وَ الْمُؤَامَرَةِ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ دَعَاءً عَلَيْهِمْ بِأَنْ يَقْتُلَهُمُ اللَّهُ لَيْسْتَرِيحَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ شَرِّهِمْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ أَي كَيْفَ يَصْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ مَعَ الْأَدْلَةِ الْوَاضِحَةِ؟

[٦] وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا أَي هَلِّمُوا وَ اتَّوَا يَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ أَي يَطْلُبُ لَكُمْ غَفْرَانَ اللَّهُ لَمَّا صَدَرَ مِنْكُمْ مِنَ الذَّنْبِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ أَي

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٢٤

[سورة المنافقون (٦٣): الآيات ٦ الى ٧]

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٦) هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفُسُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٧)

حركوها حركة المعرض، و عطفوها نحوها إلى جانب يخالف جانب القائل تكبرا وإعراضا ورأيتهم يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو أيها الرائي يصدون أي يمنعون عن سبيل الحق وهم مستكبرون يظهرون كبرهم وأنهم لا حاجة لهم إلى استغفار الرسول. [٧] و إذ كان أولئك منافقين ف سواء عليهم في عدم الانتفاع وعدم غفران الله لهم أستغفرت لهم يا رسول الله أم لم تستغفر لهم فإن الاستغفار إنما ينفع المؤمن دون المنافق لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ أبدا لأنهم يبطنون الكفر إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي بِالْأَلطافِ الْخَفِيَةِ الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ الذين خرجوا عن طاعة الله بالنفاق والشقاق.

[٨] هُمُ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ يَقُولُونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَا تَفْقَهُوا عَلَيَّ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَصْحَابُ الْحَاجَةِ حَتَّى يَنْفُسُوا أَى يَتَفَرَّقُوا عنه، و يأتى التعليق على كلامهم هذا بقوله وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ التى يبذل منها لمن حوالى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد ظن هؤلاء المنافقون أن خزائن الأرزاق والأموال بأيديهم حتى إذا قطعوا الأموال على المؤمنين يتفرقون، و جهلوا أن الشمس

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٢٥

[سورة المنافقون (٦٣): الآيات ٨ الى ٩]

يَقُولُونَ لِنَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَلْهَكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩)

و الأرض و الماء و الهواء التى هى خزائن الأموال و الأرزاق كلها بيد الله تعالى فيبذل منها على المسلمين بالزراعة و الاكتساب و ما أشبهه، فليس منع أولئك سببا لتفرق هؤلاء المؤمنين من حول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و لكنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ أَى لا يفهمون أن الخزائن بيد الله تعالى.

[٩] يَقُولُونَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ لِنَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ يَرِيدُونَ الْمُنَافِقِينَ أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا أَى من المدينة الأذل يريدون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و أصحابه، و يأتى الرد عليهم و لله العزة و هو مع المؤمنين و لرَسُولِهِ بإعزاز الله له و للمؤمنين بتمسكهم بالإسلام الموجب لسعادة الدنيا و الآخرة و عزتهما و لكنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ فيظنون أن العزة لهم حيث يجدون أعوانا من المنافقين و مقدارا يسيرا من المال، و قد دلت التجربة على ذلك، فقد جاء الأذل، و هو ابن أبى- إلى الأعز- و هو الرسول، يعطى البراءة عما اقترفه.

[١٠] و إذا تقدم ذكر النفاق الذى هو إبطان الكفر و إظهار الإيمان جاء السياق ليذكر المسلمين بأن لا يفعلوا ما هو من أخلاق المنافقين من الإقبال على الدنيا، و جعل الآخرة وراء ظهرهم يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَلْهَكُمْ أَى لا تشغلكم أموالكم و لا أولادكم عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٢٦

[سورة المنافقون (٦٣): الآيات ١٠ الى ١١]

وَ أَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْ لَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١)

بأن تشغلوا بها فلا تراعوا حق الله فيها و لا تحضروا للصلاة و غيرها من سائر الفرائض اشتغالا بالمال و الولد.

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ الْاِشْتِغَالَ بِالْمَالِ وَالْوَالِدِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ إِذْ لَا نَجَاءَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْعَذَابِ.

[١١] وَأَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ فِيمَا أَمَرْنَا مِنَ الْخَمْسِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّلَاةِ وَسَائِرِ الْحَقُوقِ - وَلَعَلَّهُ عَامٌ يَشْمَلُ الْإِنْفَاقَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْجَاهِ وَالْقُوَّةَ بِالإِضَافَةِ إِلَى الْإِنْفَاقِ مِنَ الْمَالِ - مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ أَى يَحْضُرُهُ الْمَوْتُ، بِأَنْ تَأْتِيَ أَسْبَابُهُ وَعِلَائِمُهُ فَيَقُولَ يَا رَبِّ لَوْ لَا أَى هَلَّا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ بِأَنْ أَبْقَى فِي الدُّنْيَا وَلَوْ مَدَّةً قَلِيلَةً لِأَصْلِحَ شَأْنِي فَأَصَدَّقَ أَى أَتَصَدَّقَ وَأُزَكِيَ مَالِي وَأَنْفِقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَكُنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ أَصْلَى وَأَصُومُ وَأُحْجُ وَأُبْذِلُ نَفْسِي فِي سَبِيلِكَ وَحَسَبُ أَوْامِرِكَ.

[١٢] وَهَلْ يَنْفَعُ هَذَا الطَّلَبُ؟ كَلَا وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا بِإِبْقَائِهَا فِي الدُّنْيَا زِيَادَةً عَلَى الْمَدَّةِ الْمَقْدُرَةِ لَهَا إِذَا جَاءَ وَحَضَرَ أَجْلُهَا فَلَا يَتِمَّكَنُ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ بِيَدِنِهِ وَالْإِنْفَاقِ مِنْ مَالِهِ وَاللَّهِ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ أَيُّهَا الْبَشَرُ فَلَا تَفْعَلُوا مَا يُوجِبُ الْعِقَابَ وَالنِّكَالَ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٢٧

٦٤ سورة التغابن مدنية / آياتها (١٩)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتغالها على لفظة «التغابن» وهي كسائر السور المدنية تعالج النظام إلى جنب بيان العقيدة، ولما ختمت سورة المنافقين بالأمر بالطاعة والنهي عن المعصية، افتتحت هذه السورة بذكر المطيع والعاصي.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نبتدئ باسم الله الجامع لجميع صفات الكمال، و هل هناك أحق بالابتداء ممن هو الأول والآخر، و من كان قبل كل شيء ثم كَوْن كل شيء؟ الرحمن الرحيم الذي يرحم كل شيء و الرحمة في الإنسان حالة في القلب، و لكن فيه سبحانه يراد بها فعل يترتب على الرحمة من الفضل و الإنعام إذ لا مجال فيه سبحانه لمثل هذه الصفات، و لذا قالوا «خذ الغايات و اترك المبادئ».

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٢٨

[سورة التغابن (٦٤): الآيات ١ الى ٣]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣)

[٢] يُسَبِّحُ لَعَلَّ التَّعْبِيرَ بِالْمَاضِي فِي بَعْضِ السُّورِ بِاعْتِبَارِ مَعْنَى التَّسْبِيحِ، وَبِالْمُضَارِعِ فِي الْبَعْضِ بِاعْتِبَارِ الْحَالِ وَالِاسْتِقْبَالَ لِلَّهِ أَى يَنْزُهُ عَنِ النَّقَائِصِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ظَرْفًا وَمُظْرُوفًا - كَمَا سَبَقَ - لَهُ الْمُلْكُ فَهُوَ الْمَالِكُ الْمَطْلُوقُ الْحَقِيقِيُّ، وَ سَائِرُ الْمَالِكِينَ مَلِكُهُمْ مَحْدُودٌ، وَ إِضَافِي لِاخْتِصَاصِ الشَّيْءِ بِتَخْصِيصِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لَا أَنَّهُمْ مَلَائِكَةُ حَقِيقُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ، إِذِ الْمَحَامِدُ كُلُّهَا رَاجِعَةٌ إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْحَمْدَ إِنَّمَا يَكُونُ عَلَى الْجَمِيلِ الْاِخْتِيَارِي، وَ فَاعِلُ كُلِّ جَمِيلٍ هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، أَمَا سَائِرُ مَنْ يَحْمَدُ فَهُوَ مَحْمُودٌ حَمْدًا مَقِيدًا إِضَافِيًا وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَقْدِرُ عَلَى الْإِبْجَادِ وَالْإِعْدَامِ وَالتَّصَرُّفِ كَيْفَمَا شَاءَ.

[٣] هُوَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ أَيُّهَا الْبَشَرُ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ بِاللَّهِ بِسُوءِ اخْتِيَارِهِ بَعْدَ وَضُوحِ الْحُجَّةِ وَظُهُورِ الْمَحْجَةِ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُلُ، وَ هَذَا التَّفْرِيعُ لِيَبَيِّنَ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي الْكُفْرَ بَعْدَ كَوْنِ الْمَلِكِ وَ الْخَلْقِ لَهُ سُبْحَانَهُ، وَ بَعْدَ تَسْبِيحِ الْكَوْنِ لِعَظَمَتِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْبَشَرُ بَصِيرٌ يَرَى الْأَشْيَاءَ، ثُمَّ يَجَازِيكُمْ عَلَيْهَا.

[٤] خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ظَرْفًا وَمُظْرُوفًا بِالْحَقِّ فَلَمْ يَكُنْ الْخَلْقَ عَبَثًا وَ لَعْوًا، كَمَا يَفْعَلُ الْأَطْفَالُ، مِنْ صَنْعِ التَّمَاثِيلِ مِنْ طَيْرٍ وَ نَحْوِهِ لِلَّهِ، فَإِنَّ خَلْقَهَا كَانَ لِحِكْمَةٍ وَ غَايَةٍ وَ مَقْصِدٍ وَ صَوَّرَكُمْ بِأَنْ جَعَلَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٢٩

[سورة التغابن (٦٤): الآيات ٤ الى ٥]

يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْتَرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥)

لكم الصور الظاهرة من الحواس والكيفيات والصور الباطنة بأن جعل لكم العقل والملكات فأحسن صوركم بصورة عامة، وإن كان في البشر من ليس حسن الصورة، فإن الأحكام يراد بها النوع لا- كل فرد- كما قرر في علمي البلاغة والأصول- وإليه المصير أي تصيرون إلى حسابه و جزائه بعد الموت، أو في القيامة.

[٥] يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَحْدُثُ وَمَا يَئْتِيهِمْ وَمَا يَتَصَرَّفُ فِيهِ كَيْفَ يَتَصَرَّفُ وَيَعْلَمُ مَا تُسْتَرُونَ أَي تَعْمَلُونَهُ سِرًّا عَنِ النَّاسِ وَمَا تُعْلِنُونَ تَعْمَلُونَهُ عَلَنًا فِي مَحْضَرِ النَّاسِ، أَو الْمَرَادُ مِنَ السَّرِّ الْأَعْمُ مِمَّا يَدُورُ فِي الصُّدُورِ وَمَا يَعمَلُ سِرًّا وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ أَي بِالشَّيْءِ الَّتِي تَدُورُ فِي قُلُوبِ الْبَشَرِ، وَهَذَا يُؤَيِّدُ كَوْنَ «مَا تَسْرُونَ» بِمَعْنَى تَعْمَلُونَ سِرًّا لِأَعْمِ، وَإِلَّا كَانَ تَأْكِيدًا- وَهُوَ خِلَافُ الْأَصْلِ-.

[٦] وَإِذْ بَيْنَ السِّيَاقِ آيَاتٌ حَوْلَ الْأَلُوْهِيَّةِ، جَاءَ لِيَهْدِيَ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنِ اللَّهِ وَالْإِيمَانَ بِهِ بِقَوْلِهِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ نَبَأُ أَيُّ خَيْرِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِ الْمُعَاَصِرِينَ لِلرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ إِنَّهُمْ أَعْرَضُوا عَنِ الْإِيمَانِ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ أَي عَذَبَهُمُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ حَتَّى ذَاقُوا عَاقِبَةَ كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَي مُؤَلِّمٌ مَوْجِعٌ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٣٠

[سورة التغابن (٦٤): الآيات ٦ الى ٧]

ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَعْثَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٦) زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧)

فِي الْآخِرَةِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْعَذَابِ الَّذِي ذَاقُوهُ فِي الدُّنْيَا.

[٧] ذَلِكَ الْعَذَابُ إِنَّمَا شَمَلَهُمْ وَأَخَذَهُمْ بِسَبَبِ أَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِالْبَيِّنَاتِ أَي بِالْأَدْلَةِ الظَّاهِرَةِ وَالْحُجْجِ وَالْمُعَاجِزِ فَقَالُوا أَوْلَئِكَ الْكَافِرِ، فِي رَدِّ دَعْوَةِ الرُّسُلِ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا أَي كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الرُّسُولُ الَّذِي هُوَ بَشَرٌ مِثْلَنَا يَهْدِينَا؟ وَ«بَشَرٌ» جِنْسٌ وَ لَذَا جِيءَ لَهُ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ «يَهْدُونَنَا» فَكَفَرُوا بِالرُّسُلِ وَبِمَا جَاءُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا أَي أَعْرَضُوا عَنِ قَبُولِ الْحَقِّ وَاسْتَعْثَى اللَّهُ أَي فَعَلَ فَعَلَ الْمُسْتَعْتَى عَنِ الشَّيْءِ وَهُوَ تَرَكَهُ وَشَأْنُهُ، وَهَذَا بَعْدَ أَنْ طَلَبَ مِنْهُمْ الْهَدَايَةَ وَالرِّشَادَ فَلَمْ يَقْبَلُوا، وَإِنَّمَا جِيءَ مِنْ بَابِ «الاستفعال» الظاهر في الطلب، لأن الغناء في المتعارف إنما يأتي بعقب الطلب فهو من باب التشبيه بالمحسوس، و إذ كان الكلام موهما لاحتياج الله بهم قبل ذلك جاء السياق ليدفع هذا التوهم بقوله وَاللَّهُ غَنِيٌّ بِذَاتِهِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ وَلَا أَحَدٌ حَمِيدٌ بِأَفْعَالِهِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَحْمَدَ وَلَا يَنْقُصَ عَنْ كَوْنِهِ مَحْمُودًا بِالذَّاتِ عَدَمَ حَمْدِ النَّاسِ لَهُ.

[٨] إِنْ الْكَافِرِ تَوَلَّوْا عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَ عَنِ الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ، وَ كَذَلِكَ تَوَلَّوْا عَنِ الْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ تَيْقِنًا بَلْ زَعَمًا وَظَنًّا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَ لَنْ يَحْيَا لِلْحِسَابِ وَ الْجَزَاءِ قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ رَدًّا لَزَعْمِهِمْ بَلَى لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمْتُمْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٣١

[سورة التغابن (٦٤): الآيات ٨ الى ٩]

فَأَمَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفَرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩)

وَ حَقُّ رَبِّي اللَّهُ، بَلْ لَتُبْعَثُنَّ أَي لِتُحْشَرْنَ أَحْيَاءَ بَعْدَ الْمَوْتِ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ أَي تُخْبَرْنَ- عَلَى صِيغَةِ الْمَجْهُولِ- وَ الْمَخْبِرُ هُوَ اللَّهُ وَ الْمَلَائِكَةُ وَ الْأَنْبِيَاءُ وَ مَنْ يَعِينُونَهُ لِلْحِسَابِ وَ الْإِخْبَارِ بِمَا عَمِلْتُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَ الْمُعَاصِي، فَإِنَّ الْمَجْرِمَ يَخْبِرُ بِعَمَلِهِ ثُمَّ يَعَاقِبُ وَ ذَلِكَ الْبَعْثُ وَ الْإِخْبَارُ

عَلَى اللَّهِ تَعَالَى يَسِيرٌ سَهْلٌ هَيِّنٌ، فَإِنْ مِنْ خَلْقِ الْخَلْقِ ابْتِدَاءً قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَعْيدَهُمْ.

[٩] وإذا تحقق البعث والحساب وتحقق الجزاء فَمَا مُنُوا أَيُّهَا الْبَشَرُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ بِالْإِذْعَانِ بِهِمَا وَاتَّبَاعِ أَوْامِرِهِمَا وَالتُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَهُوَ الْقُرْآنُ إِذْ هُوَ يَنْبِئُ سَبِيلَ الْحَيَاةِ الْمَظْلَمَةَ لِيَرَى الْإِنْسَانُ طَرِيقَهُ نَحْوَ السَّعَادَةِ وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْأُتْمَةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ مَصَادِيقِ ذَلِكَ النُّورِ - كما ورد (١) - وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ أَيُّهَا الْبَشَرُ خَبِيرٌ عَالِمٌ مُطَّلِعٌ، فَإِذَا آمَنْتُمْ جَزَاكُمْ بِالثَّوَابِ وَالْأَجْرِ وَلَا يَذْهَبُ إِيمَانُكُمْ هَدْرًا.

[١٠] وَذَلِكَ الْبَعْثُ وَالْجَزَاءُ إِنَّمَا يَكُونُ فِي يَوْمٍ يَجْمَعُكُمْ اللَّهُ لِيَوْمٍ يُسَمَّى يَوْمَ الْجَمْعِ لِاجْتِمَاعِ الْخَلَائِقِ فِيهِ لِلْحِسَابِ ذَلِكَ الْيَوْمَ يَوْمَ التَّغَابُنِ وَهُوَ تَفَاعُلٌ مِنَ الْغَيْبِ بَأَنَّ الْغَيْبَ كُلَّ الْآخِرِ، فَإِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَغْبِنُونَ أَهْلَ النَّارِ بِاتِّخَاذِ مَنَازِلِهِمْ فِي الْجَنَّةِ - فَإِنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَنَزَلٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنَزَلٌ فِي النَّارِ - وَبِالْعَكْسِ يَغْبِنُ أَهْلَ النَّارِ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِاتِّخَاذِ

(١) التحصين لابن طاووس: ص ٥٨٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٣٢

[سورة التغابن (٦٤): آية ١٠]

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٠)

مَنَازِلِهِمْ فِي النَّارِ - وَتَسْمِيَةُ هَذَا الطَّرْفِ: غَبْنَا مِنْ بَابِ الْجِنَاسِ، مِنْ قَبِيلِ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ «١» - وَ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ بَأَنَّ يَعْتَقِدُ بِهِ وَيَنْزَهُهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ وَيَعْمَلُ صَالِحًا أَوْ عَمَلًا صَالِحًا، وَ الْمَرَادُ بِهِ جِنْسَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، لَا عَمَلًا وَاحِدًا يُكْفِرُ اللَّهُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ أَوْ يَمْحَى عَنْ دِيْوَانِهِ مَا أَسْلَفَ مِنَ الذَّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، فَإِنَّ التَّكْفِيرَ بِمَعْنَى السُّتْرِ وَالْمَحْوِ وَيُدْخِلُهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَيْ مِنْ تَحْتِ قُصُورِهَا وَأَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ مِنْ عَسَلٍ وَخَمْرٍ وَلَبَنٍ وَمَاءٍ، فِي حَالِ كَوْنِهِمْ خَالِدِينَ فِيهَا أَيْ دَائِمِينَ فِي تِلْكَ الْجَنَاتِ أَبَدًا لَا زَوَالَ لَهُمْ عَنْهَا إِلَى غَيْرِ النِّهَايَةِ ذَلِكَ الدُّخُولُ فِي الْجَنَّةِ خَالِدًا، هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَالْفَلَاحُ الَّذِي لَيْسَ وِرَاءَهُ فَلَاحٌ.

[١١] وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أَوْ بَحْجْنَا وَأَدَلَّتْنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ الْمَلَاذِمُونَ لَهَا، فَإِنَّ صَاحِبَ الشَّيْءِ هُوَ الْمَلَاذِمُ لَهُ فِي حَالِ كَوْنِهِمْ خَالِدِينَ فِيهَا أَيْ بَاقُونَ فِيهَا أَبَدًا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ أَيْ بِئْسَ النَّارُ مَرْجَعًا وَمَأَلًا لِلْإِنْسَانِ.

(١) البقرة: ١٩٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٣٣

[سورة التغابن (٦٤): آية ١١]

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١)

[١٢] وَإِذْ دَعَا سَبْحَانَهُ إِلَى الْإِيمَانِ بَيْنَ بَعْضِ ثَمَارِ الْإِيمَانِ الطَّيْبَةِ الَّتِي يَنَالُهَا الْإِنْسَانُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا قَبْلَ الْفَوْزِ بِالْجَنَانِ فِي الْآخِرَةِ، وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْإِنْسَانِ بِأَنَّ يَهْدِيَهُ إِلَى مَا يَنْبَغِي لَهُ مِنْ مَصِيبَةٍ أَوْ لَا تَصِيبُ الْإِنْسَانَ مَصِيبَةً وَلَا يَقَعُ الْإِنْسَانُ فِي مَشْكَلَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَاللَّهُ سَبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي يَقْدِرُ الْأَشْيَاءَ فَلَوْ لَا تَقْدِيرُهُ لَمْ يَقَعْ شَيْءٌ فِي الْكَوْنِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَسْكُنَ الْكَوَارِثَ حَتَّى لَا تَنْزِلَ بِالْإِنْسَانِ، وَإِنَّمَا قَرَّرَ سَبْحَانَهُ الْمَصَائِبَ لِتَنْزِلَ بِالْإِنْسَانِ لِلْمَتَحَانِ وَالِاخْتِبَارِ، وَ لَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْمَصَائِبَ السَّيِّئَةَ يَنْزِلُهَا اللَّهُ سَبْحَانَهُ، بَلْ مَعْنَاهُ أَنَّهُ تَعَالَى لَا يَأْخُذُ أَمَامَهَا حَتَّى لَا تَنْزِلَ، فَمَنْ يَقْتُلُ ظُلْمًا - بِإِذْنِ اللَّهِ - أَوْ لَا يَمْنَعُ اللَّهُ الْقَاتِلَ - مَنَعًا تَكْوِينِيًّا بِأَنَّ تَشَلُّ يَدِهِ - حَتَّى لَا يَتِمَّكَنَ مِنَ الْقَتْلِ وَإِنَّمَا بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَا يَأْخُذُ بِيَدِ الْقَاتِلِ لِكَوْنِ الدُّنْيَا دَارَ اخْتِبَارٍ، فَلَوْ كَانَ سَبْحَانَهُ يَجْبِرُ عَلَى تَرْكِ الْقَبِيحِ لَكَانَ الْإِنْسَانُ بِمَنْزِلَةِ الْحَجَرِ وَالْجَمَادِ فِي أَعْمَالِهِ الْاضْطْرَارِيَّةِ وَيَبْطُلُ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ.

وَ إِذْ قَدَّمَ السِّيَاقَ هَذِهِ الْمَقْدَمَةَ، أَتَى إِلَى ثَمَرَةِ الْإِيمَانِ بِقَوْلِهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ إِيمَانًا صَاحِحًا رَاسِخًا يَهْدِي اللَّهُ قَلْبَهُ حَتَّى يَطْمَئِنُّ بِأَنَّ مَا

يصيبه إنما هو بعلم الله، وأنه يجازيه بالثواب والأجر على ما أصابه، وإذا علم الإنسان أن ما أصابه من الضرر يتدارك بأضعاف الخير، اطمان قلبه و لم تصدمه المصيبة كثيرا والله بكل شئ عليم فيجازى كل امرء بما عمل.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٣٤

[سورة التغابن (٦٤): الآيات ١٢ الى ١٤]

وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٢) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاجِكُمْ وَ أَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَ إِن تَعَفَوْا وَ تَصَفَّحُوا وَ تَغَفَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤) [١٣] وَ أَطِيعُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْبَشَرُ فَمَا أَمْرُكُمْ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ فِيمَا أَتَاكُمْ بِهِ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ أَى أَعْرَضْتُمْ عَنِ الْإِطَاعَةِ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ أَى أَن يَبْلَغَكُمْ بِلَاغًا ظَاهِرًا، وَ قَدْ بَلَغَ فَلَيسَ عَلَيْهِ شَىْءٌ وَ إِنَّمَا يَرْجِعُ وَ بِالِ الْعَاقِبَةِ إِلَيْكُمْ حَيْثُ أَعْرَضْتُمْ بَعْدَ الْبَلَاغِ. [١٤] اللَّهُ الَّذِي تَدْعُونَ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ هُوَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَلَا شَرِيكَ لَهُ وَ لَا نَظِيرَ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ بِأَن يَكُلُوا أُمُورَهُمْ إِلَيْهِ، وَ يَعْتَمِدُوا عَلَيْهِ.

[١٥] وَ إِذْ دَعَا السَّيَاقِ النَّاسَ إِلَى الْإِيمَانِ، جَاءَ لِبَيِّنِ بَعْضِ أَعْدَاءِ الْمُؤْمِنِ الَّذِينَ يَتَوَنَّهُ عَنِ الْإِيمَانِ لِيَتَّخِذَ مِنْهُمْ حَذْرًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاجِكُمْ أَى نِسَائِكُمْ وَ أَوْلَادِكُمْ أَى بَعْضِهِمْ، وَ لَذَا جِيءَ بِ «مِن» عَدُوًّا لَّكُمْ لِأَنَّكُمْ مُؤْمِنُونَ وَ هُمْ كَافِرُونَ أَوْ مُنَافِقُونَ فَاحْذَرُوهُمْ أَن لَا يَصُدُّوكُمْ عَنِ الْحَقِّ وَ الْهُدَى وَ إِذَا آذَوْكُمْ بِسَبَبِ إِيْمَانِكُمْ فِ إِن تَعَفَوْا عَنْهُمْ دُونَ الْإِنْتِقَامِ وَ تَصَفَّحُوا وَ هُوَ أَن يَعْرِضَ الْإِنْسَانُ وَ يَبْدَى صَفْحَهُ وَجْهَهُ أَمَامَ الْمَكْرُوهِ وَ تَغَفَّرُوا بِأَن تَسْتَرُوا ذُنُوبَهُمْ فَلَا تَنْتَقِمُوا مِنْهُمْ، وَ كَانَ لِلْأَمْرِ ثَلَاثُ مَرَاتِبٍ: سِتْرُ الذَّنْبِ، وَ عَدَمُ الْمَقَابَلَةِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٣٥

[سورة التغابن (٦٤): الآيات ١٥ الى ١٦]

إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَ أَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ وَ اللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَتَعْتُمْ وَ اسْمِعُوا وَ أَطِيعُوا وَ أَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنفُسِكُمْ وَ مَن يُوَقِّعْ سُوءَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦) حتى بالكلام، و عدم الانتقام.

فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لِّذُنُوبِكُمْ، أَوْ لِدُنُوبِهِمْ - إِذَا تَابُوا - رَحِيمٌ بِعِبَادِهِ، فَعَلَى الْمُؤْمِنِ أَن يَتَعَلَّمَ الْغُفْرَانَ وَ الرَّحْمَةَ مِنْهُ سَبْحَانَهُ، وَ هَذَا بِالْإِضَافَةِ إِلَى الثَّوَابِ، خَطَّةٌ حَكِيمَةٌ فِي جَلْبِ النَّاسِ إِلَى الْإِيمَانِ، فَإِنَّ السَّلْمَ فِي مَقَابِلِ الْعَدُوِّ، يَخْفَفُ مِنْ حُدُوثِهِ وَ يَلْقَى فِي نَفْسِهِ حُبَّ مَبْدَأِ الْمَسَالِمِ حَتَّى يَنْجَذِبَ إِلَيْهِ.

[١٦] إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَ أَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ أَى امْتِحَانٌ لَكُمْ، كَى يَتَبَيَّنَ مِنْ يَطِيعِ اللَّهِ فِيهِمَا وَ مَن يَعِصِيهِ وَ هَذَا مِنْ بَابِ الْمَثَالِ، وَ إِذَا فُاقَرَاءَ الْإِنْسَانِ وَ زَوْجِهِ أَيْضًا فَتْنَةٌ وَ امْتِحَانٌ وَ اللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ وَ ثَوَابٌ كَبِيرٌ لِمَن أَطَاعَهُ وَ لَمْ يَخَالَفْهُ لِأَجْلِ أَهْلِهِ وَ مَالِهِ. قَالَ الْإِمَامُ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِن الرَّجُلَ كَانَ إِذَا أَرَادَ الْهَجْرَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ تَعَلَّقَ بِهِ ابْنُهُ وَ امْرَأَتُهُ وَ قَالُوا نَشُدُّكَ اللَّهُ أَن تَذْهَبَ عَنَّا وَ تَدْعُنَا فَنُضَيِّعُ بَعْدَكَ، فَمِنْهُمْ مَن يَطِيعُ أَهْلَهُ فَيَقِيمُ فَحَذَرَهُمُ اللَّهُ أَبْنَاءَهُمْ وَ نِسَاءَهُمْ وَ نَهَايَهُمْ عَنِ طَاعَتِهِمْ وَ مِنْهُمْ مَن يَمْضَى وَ يَذْرَهُمْ وَ يَقُولُ: أَمَا وَ اللَّهُ لَئِن لَمْ تَهَاجِرُوا مَعِيَ ثَمَّ يَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ فِي دَارِ الْهَجْرَةِ لَا أَنْفَعَكُمْ بِشَىْءٍ أَبَدًا، فَلَمَّا جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَ بَيْنَهُمْ أَمَرَ اللَّهُ أَن يَحْسَنَ إِلَيْهِمْ وَ يَصْلِحَهُمْ فَقَالَ «وَ إِن تَعَفَوْا وَ تَصَفَّحُوا وَ تَغَفَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» (١).

[١٧] فَاتَّقُوا اللَّهَ أَى خَافُوا عِقَابَهُ، بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ مَا اسْتَتَعْتُمْ أَى بِقَدْرِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٣٦

[سورة التغابن (٦٤): آية ١٧]

إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧)

استطاعتكم فإنه لا يكلف الله نفسا إلا وسعها وأَسْمَعُوا من الرسول ما يأمركم وَاَطِيعُوا بعد ما سمعتم، و كأن المراد من السماع أن يستمعوا للعمل و أَنْفَقُوا من أموالكم في سبيل الله خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ أى إنفاقا خيرا، فإنه عائد لأنفسكم إذ تعطون بدله فى الدنيا و الآخرة و مَنْ يُوقَ أى يحفظ شَحَّ نَفْسِهِ أى بخلها، بأن يحفظه الله سبحانه من البخل، فينفق كما أمر الله سبحانه فَأُولَئِكَ المتصفون بتلك الصفات أو من وقى شح نفسه هُم الْمُفْلِحُونَ الفائزون، من أفلح بمعنى فاز و ظفر بالسعادة.

[١٨] ثم أن هذا المال الذى ينفقه الإنسان لا يذهب ضياعا بلا عوض بل هو بمنزلة قرض يقرضه الإنسان لله سبحانه، فيرده عليه أضعافا مضاعفة إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا بأن يكون الإنفاق لله و فى سبيله بلا- من و لا- رياء و لا سمعة و لا حب المدح و ما أشبه من مفسدات العمل يُضَاعِفُهُ الله لَكُمْ أى يعطى بدله أضعافا، حتى أن الواحد يصل عوضه إلى سبعمائه و أكثر و يَغْفِرُ لَكُمْ ذنوبكم بسبب ذلك الإنفاق و اللَّهُ شَكُورٌ أى فاعل الشكر، فإن الإنسان الشاكر يثنى المشكور و يبذل له عوض عمله، و هكذا الله سبحانه يمدح المعطى و يبذل له عوضه حَلِيمٌ فلا يعاجل العاصى بالعقوبة، فهو شاكر للمطيع، حلیم عن العاصى.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٣٧

[سورة التغابن (٦٤): آية ١٨]

عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٨)

[١٩] و هو يعلم كل إنفاق و عمل صالح، فلا يضيع الحسن عنده، فإنه عالم الغيب ما غاب عن الحواس و الشَّهَادَةِ ما ظهر، أى السر و العلانية و المحسوس و غير المحسوس العزیز الغالب فى سلطانه فيقدر على كل شىء الْحَكِيمِ الذى يفعل الأشياء حسب الحكمة و الصلاح.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٣٨

٦٥ سورة الطلاق مدنية / آياتها (١٣)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على هذه المادة «طلقتم» و غيره، و هى كسائر السور المدنية مشتملة على النظام إلى جنب العقيدة، و حيث ختمت سورة التغابن بالتحذير من بعض النساء، ابتدأت هذه السورة ببعض أحكامهن.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نستعين باسم الإله ليكون عوناً لنا فى مهامنا، فإنه خير مستعان إذ له العلم و القدرة و الحكمة، الرحمن الرحيم الذى يتفضل بالرحمة و لو كان الإنسان عاصيا له غير مطيع لأوامره، فهو يتفضل فوق الاستحقاق و يعين و إن لم يستحق المستعين الإعانة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٣٩

[سورة الطلاق (٦٥): آية ١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَ اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١)

[٢] يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ خطاب للرسول صلى الله عليه و آله و سلم و حيث أن خطاب العظيم يراد به هو و من معه جاء السياق بلفظ الجمع فى قوله إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ أى أردتم طلاق النساء، فإن الفعل يستعمل بمعنى الإرادة، كما أن الإرادة تستعمل بمعنى الفعل - كما سبق -

فَطَلَّقُوهُنَّ لِإِدَّتِهِنَّ أَى وقت عدتهن، و هى كونهن فى طهر غير الواقعة، فإن «العدة» بمعنى التعداد، و العدد، و «لام» لعدتهن، للتعديء، أى كون الطلاق فى العدة التى هى أيام الطهر و أَحْصُوا الْعِدَّةَ أَى أحسبوا أيام عدة المرأة التى إذا مرت خرجت من حباله الزوج الأول و جاز أن تنكح رجلا جديدا و اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ فلا تخالفوا أمره بالطلاق فى حال الحيض، أو عدم إحصاء العدة حتى تبقى المطلقة تنتظر الانقضاء، لتكوين بيت جديد، و لا تعرف ذلك.

لا- تُخْرِجُوهُنَّ الْمَطْلُوقَاتِ مِنْ بُيُوتِهِنَّ أَى مساكنهن وقت الطلاق حتى تنقضى العدة، فإن سكنها ما دامت فى العدة على الزوج و لا يُخْرِجَنَّ هُنَّ مِنَ الْبُيُوتِ مَدَّةَ الْعِدَّةِ فَإِنْ خَرَجَتْ بِلا ضرورة أثمت إلا أن يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَعْصِيَةٍ فَاحِشَةٍ أَى متجاوزة فى الإثم مُبَيَّنَةٌ أَى ظاهرة كالزنى، كما روى عن الصادق عليه السلام «١»، فإذا زنت أخرجت عن البيت ليقام عليها الحد، و فى بعض الروايات تفسيرها بأن

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٤٩٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٤٠

[سورة الطلاق (٦٥): آية ٢]

فَإِذَا بَلَغَنَّ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ و أَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ و أَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢)

تؤدى أهل البيت بلسانها فإنها تخرج إلى محل آخر و ذلك لإيذائها «١» و تَلَسَّكَ الْأَحْكَامِ التى ذكرت للطلاق حُدُودُ اللَّهِ وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ بَانَ يَخَالَفُ أَحْكَامَهُ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ أَى عرضها للعقاب و النكال، ثم بين سبحانه بعض الحكمه فى الأحكام المتقدمه بقوله لا تَدْرِى النَّفْسَ لَعَلَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ يُحَدِّثُ بَعْدَ ذَلِكَ الْعَزْمَ عَلَى الطَّلَاقِ، أو بعد ذلك الطلاق، أَمْرًا فَإِنْ تَأَخَّرَ الطَّلَاقُ إِلَى الطَّهْرِ الذى لم يواقع فيه ربما يغير من رأى الزوج، فلا يطلق و جعل العدة و عدم الإخراج من البيت ربما أوجب نزولهما عن الغضب الموجب للطلاق فيترجعا عما قصدا من الطلاق.

[٣] فَإِذَا بَلَغَنَّ النِّسَاءَ الْمَطْلُوقَاتِ أَجَلَهُنَّ أَى وصلن إلى رأس المدة- قبل انقضاء العدة- بأن بقيت من العدة شىء، تخبر الرجل بين أن يرجع إليهن، أو يذرهن حتى تنقضى العدة فَأَمْسِكُوهُنَّ إِنْ أَرَدْتُمْ الرَّجُوعَ بِمَعْرُوفٍ أَنْ تَعَاشِرُوهُنَّ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ بِالْحَسَنِ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بَانَ تَدْعُوهُنَّ عَلَى حَالِهِنَّ حَتَّى تَنْقَضِيَ الْعِدَّةَ بِمَعْرُوفٍ بَدُونَ إِيْذَاءِ لَهَا، و أخذ بعض أثائها، أو إثارة قلاقل حولها كما هو من فعل الجهال. و أَشْهَدُوا إِذَا أَرَدْتُمْ الطَّلَاقَ ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ أَى

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٢ ص ٢٢٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٤١

[سورة الطلاق (٦٥): آية ٣]

وَ يَزُوقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣)

نفرين عادلين من المسلمين حتى يشهدان على الطلاق، و العدالة عبارة عن ملكه فى النفس تبعث على الإتيان بالواجبات و الترك للمحرمات خوفا من الله سبحانه، و المعنى أنه يلزم حضور شاهدين عادلين عند إجراء صيغه الطلاق «و ذوى» جمع أريد به الاثنان فما فوق، كما فسر فى الأحاديث، و أَقِيمُوا أَيُّهَا الشُّهُودُ الشَّهَادَةَ إِذَا احتاج أحد الطرفين إلى الإِشْهَادِ لِلَّهِ فلا تحرفوا فيها، فإن الأمر إذا جاء به الإنسان لله، راقبه سبحانه، كى لا يزيد و لا ينقص ذَلِكَ «ذا» إشارة و «كم» خطاب، أى ذلك الذى تقدم من إقامة الشهادة لله، يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فإنه هو الذى يخاف الله و يقيم الشهادة لله، أما غيره فلا يهتم بالحقيقة و هذا كناية عن أن

الانحراف في الشهادة كاشف عن عدم الإتيان وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ أَي يخافه سبحانه، فيعمل حسب أوامره يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا من مشاكله. [٤] فلا يظن الإنسان أنه إذا شهد بالحق وقع في المشكلة حيث يغضب عليه المبطل الذي يريد منه الشهادة بالباطل كما لا يزعم أنه يوجب قطع رزقه حيث أن المبطل ربما كان هو السبب في رزقه أو أن له القدرة في أن يسبب إلى ولي رزقه أن يمنعه عنه وَيَزُوقَهُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ أَي من مكان لا يظن أن يأتي من ذلك المكان الرزق، و لصدق هذا الكلام شواهد كثيرة عند المجريين، و من الأمثلة البارزة الآن أمامي رجل قتل فاحشاً طمعا في مالها وألقاها في النهر، ثم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٤٢

[سورة الطلاق (٦٥): آية ٤]

وَاللَّائِي يَيْسِّنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضُنَّ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤)

أعطى مرتزقة الشركاء معه في الإثم أموالا لثلا يشهدوا عند القاضي وهددهم إن شهدوا، وانتشر الخبر وجاء القاضي يحلف الشهود بالقرآن الكريم، فحلف الكل بالإنكار إلّا واحد منهم كان صاحبا لهذا المجرم، فإنه قال لا أحلف بالقرآن كاذبا، و شهد بالحق وفر من المجرم بعد «و من الغريب» أن القاضي حكم على المجرم بهذا الشاهد الواحد، و ابتلى الكل، إلا هذا الصادق فإنه تاب من أعماله السابقة و هو إلى اليوم في الحياة يمدحه من يعرفه، بينما أن أولئك سجنوا و غرموا، و مات بعضهم في شبابه.

وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ أَي من يكل أموره إلى الله يكفيه كل مخوف و مشكلة و ينجيه من كل هلكة إِنَّ اللَّهَ بِالْعَمَلِ أَمْرِهِ أَي يبلغ ما يريده و لا يفوته شيء من إرادته، فلا يزعم الزاعم أن وعده سبحانه يمكن فيه الخلف قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا أَي مقداراً و تقديراً و تسير أموره حسب ذلك فإذا جعل تقدير المتقى الكفاية و الرزق لا بد و أن يكون كما أراد بلا خلف.

[٥] ثم بين سبحانه مقدار العدة التي إذا انقضت حل للزوجة أن تنكح زوجا جديدا و اللَّائِي جمع التي أي النساء المطلقات اللائِي يَيْسِّنَ مِنَ الْمَحِيضِ أَي ييسر من الحيض فلا- يحضن من نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ أَي شككتم في أمرهن فلا- تدرن أن انقطاع الحيض لكبرهن و يأسهن أي بلوغهن سن اليأس، و هو خمسون في غير القرشية و النبطية،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٤٣

[سورة الطلاق (٦٥): الآيات ٥ الى ٦]

ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (٥) أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَاتَّمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَمَسْرُوعٌ لَهُ الْآخَرَى (٦)

و ستون فيهما أم لعارض فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ فإذا أكملن الثلاثة خرجن من العدة، أما اليائسة فلا عدة لها إذ يجوز لها الزواج بزواج جديد بمجرد الطلاق و اللَّائِي لَمْ يَحْضُنَّ بعد لصغر السن، أو لمرض و غيره، كذلك عدتهن ثلاثة أشهر و أُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَي النساء الحاملات إذا طلقن أَجَلُهُنَّ أَي مدة انتظار عدتهن أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فإذا وضعن حملهن فقد انقضت العدة سواء طال الزمان بين الطلاق و الولادة أم قصر و مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فلا يخالف أوامره يَجْعَلُ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا أَي يسهل أموره حتى لا يقع في المشاكل، و حيث إن هذه الأحكام توجب كبت الغرائز بالنسبة إلى الرجل الذي يريد نكاحهن، و بالنسبة إليهن لفتها السياق بلفائف من التقوى تذكيرا و عظة، لثلا يزلق قدم المرأة أو الرجل المرید للنكاح في مهاوى المخالفة.

[٦] ذَلِكَ الذي ذكر من أحكام الطلاق أَمْرُ اللَّهِ و حكمه أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ لمصالحكم و مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ أَي يخافه فلا يخالفه يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ أَي يغفر له ذنوبه، فإن التكفير هو التغطية و الستر و يُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا أَي يعطيه الأجر العظيم و الثواب الجسيم في الآخرة.

[٧] ثم بين سبحانه حال المطلقة في النفقة و السكنى، مدة العدة فقال

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٤٤

أَسْكِنُوهُنَّ أَي النِّسَاءِ الْمَطْلُوقَاتِ فِي بَيْوتِكُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ أَي مَكَانًا مِنْ سَكَنِكُمْ وَ مَحَلِّكُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ أَي مِنْ مَا تَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، مِنْ وَجْدٍ بِمَعْنَى قَدْرٍ وَ تَمَكَّنَ، أَي مِنْ سَعْتِكُمْ وَ لَا تُضَارُّوهُنَّ أَي لَا تَسْبِبُوا ضَرَرًا عَلَيْهِنَّ فِي السَّكَنِ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ أَي طَالِبِينَ بِالْإِصْرَارِ التَّضْيِيقَ عَلَيْهِنَّ لِإِزْعَاجِهِنَّ حَتَّى يُضْطَرُّوا إِلَى الزَّوْجِ.

وَ إِنْ كُنَّ تِلْكَ الْمَطْلُوقَاتِ أَوْلَادًا حَمِيلًا أَي حَامِلَاتٍ فَانْفِقُوا عَلَيْهِنَّ بِالْكِسْوَةِ وَ الْأَكْلِ وَ الشَّرْبِ وَ مَا أَشْبَهَ حَتَّى يَضَعَ عَنْ حَمْلِهِنَّ فَإِنْ انْقَضَاءَ عِدَّتِهِنَّ بِالْوَضْعِ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ أَوْلَادَكُمْ بَعْدَ الْوَضْعِ فَاتَّوَهُنَّ أَي أَعْطَوهُنَّ أَجُورَهُنَّ أَي أَجْرَةَ الْإِرْضَاعِ إِذِ الْوَاجِبُ عَلَى الْوَالِدِ نَفَقَةُ وَلَدِهِ وَ أَمَرُوا أَيَّهَا الْأَبْوَانُ وَ الْمُتَعَلِّقُونَ بِهِمَا بِبَيْنِكُمْ بَعْضُكُمْ مَعَ بَعْضٍ فِي أَمْرِ إِرْضَاعِ الْوَلَدِ بِمَا هُوَ الْأَصْلَحُ بِحَالِ الْجَمِيعِ لِئَلَّا يَتَضَرَّرَ أَحَدٌ مِنَ الْأَطْرَافِ الثَّلَاثَةِ الْأَبُ وَ الْأُمُّ وَ الْوَلَدُ، وَ الْإِثْمَارُ قَبُولُ الْأَمْرِ وَ مَلَاقَاتِهِ بِالتَّجَرُّوفِ مُقَابِلِ الْمُنْكَرِ، فَلَا يَكُونُ التَّشَاوُرُ بِقَصْدِ الْإِضْرَارِ وَ إِثَارَةُ الْأَحْقَادِ وَ الْكُؤَامَنِ، بَلْ بِقَصْدِ الْإِحْسَانِ وَ الْعَدَالَةِ وَ إِنْ تَعَايَرْتُمْ أَيَّهَا الْمُتَشَاوِرُونَ فِي أَمْرِ إِرْضَاعِ الْوَلَدِ، بَأَنَّ اخْتَلَفْتُمْ فِي أَمْرِ الْأُمِّ الْمَرْضِعَةِ وَ مَقْدَارِ الْأَجْرَةِ وَ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ فَسْتَوْضِعْ لَهُ أَي لِلْوَلَدِ امْرَأَةً أُخْرَى غَيْرَ الْأُمِّ، وَ الْمَعْنَى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٤٥

[سورة الطلاق (٦٥): آية ٧]

لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَ مَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٧)
فلتسترضع الولد امرأة غير الأم، و لعل فيه إشارة إلى معاتبه الأم بأنها لا ينبغي لها المعاصرة.

[٨] ثم بين سبحانه أن المندوب على الوالد أن يوسع على المطلقة المرضعة، إن كان له سعة لينفق ذو سعة، في المال من سعيته بأن يوسع على المرضعة في الأجرة، ألم تكن زوجته، و أم ولده، و مرضعته؟ و مَنْ قَدِرَ أَي ضَيْقَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ بَأَنَّ لَمْ يَكُنْ لِلْأَبِ سَعَةٌ فَلْيُنْفِقْ عَلَى الْمَرْضِعَةِ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ بِقَدْرِ التَّمَكُّنِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ ذَلِكَ فَلَا يَطْلُبُ مِنْ مِثْلِ هَذَا الشَّخْصِ الزِّيَادَةَ عَلَى أَجْرَةِ الْمِثْلِ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا أَي أَحَدًا إِلَّا مَا آتَاهَا أَي بِقَدْرِ مَا أَعْطَاهُ مِنَ الطَّاقَةِ الْمَالِيَّةِ، كَمَا لَا يَكَلِّفُ إِلَّا بِقَدْرِ الطَّاقَةِ الْجَسَدِيَّةِ وَ سَائِرِ الطَّاقَاتِ، وَ لَا يَغْتَمُّ الْمَمْلُوقُ بِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ، كَمَا يَكُونُ الْأَبُ الْمَمْلُوقُ كَثِيرًا مَا يَتَحَسَّرُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجِدُ الزَّائِدَ حَتَّى يَبْذُلَ لِمَرْبِيئِهِ وَلَدَهُ وَ مَرْضِعَتَهُ، فَإِنَّهُ سَيَجْعَلُ اللَّهُ فِي مُسْتَقْبَلِ الْإِمْلَاقِ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا بَعْدَ فِقْرِ غَنَى - وَ بَعْدَ ذَلَّةٍ عِزَّةً - وَ بَعْدَ انْحِطَاطٍ وَ رَفْعَةٍ وَ هَكَذَا فِي سَائِرِ الْأُمُورِ.

فإن الدهر مختلفا يدور فلا حزن يدوم و لا سرور و قد بنت الملوك به قصورا فما بقي الملوك و لا القصور

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٤٦

[سورة الطلاق (٦٥): الآيات ٨ إلى ١٠]

وَ كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَ رُسُلِهِ فَحَاسِبْنَا بِهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَ عَذَّبْنَا بِهَا عَذَابًا نُكْرًا (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَ كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (٩) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠)

[٩] و إذ بين الأحكام، جاء السياق لبيان، أن العاتى العاصى لهذه الأحكام و غيرها، مصيره مصير الأقسام السابقين، الذين أهلكوا بسبب طغيانهم و عتوهم و كَأَيِّنْ بِمَعْنَى - كَمْ - الْخَبْرِيَّةُ الْمَفِيدَةُ لِلتَّكْثِيرِ مِنْ قَرْيَةٍ مِنْ اللَّتَبِينِ وَ الْمَرَادُ الْبَلَدَةُ عَتَتْ أَي طَغَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا فَلَمْ تَطْعَ أَوْامِرَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، وَ الْمَرَادُ أَهْلَ الْقَرْيَةِ، بِعِلَاقَةِ الْحَالِ وَ الْمَحَلِّ وَ رُسُلِهِ أَي عَنْ أَمْرِ رُسُلِهِ، بَأَنَّ لَمْ يَطِيعُوا رُسُلَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ فَحَاسِبْنَا بِهَا حِسَابًا شَدِيدًا مُقَابِلَ السَّمَاحِ فِي الْحِسَابِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ الْمُؤْمِنَ الْعَامِلَ بِالصَّالِحَاتِ يَعْفَى عَنْ جَرَائِمِهِ وَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا، جِزَاءً عَلَى إِيمَانِهِ وَ عَمَلِهِ، أَمَا الْعَاتِي الطَّاعِي، فَإِنَّهُ يَحَاسِبُ عَلَى كُلِّ عَمَلٍ عَمَلَهُ وَ عَذَّبْنَا بِهَا عَذَابًا نُكْرًا أَي عَذَابًا مُنْكَرًا أَلِيمًا، وَ الْمَرَادُ بِالْمَحَاسِبَةِ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى حَوْلَهُمْ لَا مُحَاسِبَتِهِمْ بِالذَّاتِ إِذِ الْحِسَابُ إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَ السِّيَاقُ يَفِيدُ كَوْنَ حِسَابِ أَوْلِيئِكَ قَبْلَ عَذَابِهِمْ فِي الدُّنْيَا.

[١٠] فَذَاقَتْ تِلْكَ الْقَرْيَةُ وَبَالَ أَمْرِهَا أَي عَاقِبَةُ صَنِيعِهَا الشَّرِّ وَ كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا أَي خَسِرَتِ الدُّنْيَا وَ خَسِرَتِ الْآخِرَةَ.

[١١] ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَ قَدْ أَعَدَّ اللَّهُ أَي بَقِيَ لَهُمْ أَي لِأَهْلِ الْقَرْيَةِ، عَذَابًا شَدِيدًا فِي الْآخِرَةِ فَاتَّقُوا اللَّهَ أَي خَافُوا عِقَابَهُ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ أَي

أصحاب العقول، فإن ألباب جمع لب، وهو العقل اتقوه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٤٧

[سورة الطلاق (٦٥): آية ١١]

رَسُولًا- يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا (١١)

سبحانه حتى لا- ينزل بكم مثل ما نزل بأولئك الأمم الَّذِينَ آمَنُوا وصف لأولى الألباب، وإنما وصفهم بذلك لأنهم هم المنتفعون بالتحذير قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا أى مذكراً يذكركم بأس الله وعذابه، والانحراف بعد التذكير أقبح.

[١٢] ثم بين سبحانه الذكر المنزل بقوله رَسُولًا أى محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَ كونه منزلاً، باعتبار أنه مبعوث من طرف الله سبحانه تشبيهاً للنزول المعنوي الحسى يَتْلُوا أى يقرأ هذا الرسول عَلَيْكُمْ أىها الناس آيَاتِ اللَّهِ أدلته وحججه التكوينية، فى حال كونها مُبَيِّنَاتٍ أى فى حال الآيات تبين و توضيح الأمر و إنما يتلو لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُوْلِهِ وَ مَا جَاءَ بِهِ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ أى ظلمات الكفر و العصيان إِلَى النُّورِ أى نور الإيمان و العمل الصالح، و إنما شبه الإيمان بالنور، لأنه ينير الإنسان ليدرك الحقيقة- فى العقيدة و العمل- فمن زعم أنه لا إله أو للإله شريك فهو فى ظلمة عن الحقيقة كالإنسان الذى فى ظلمة الليل لا يدرك ما أمامه من الأشياء، و كذلك بالنسبة إلى من يشرب الخمر، يزعم أنها لا تضر، فإنه فى ظلمة من الحقيقة، و قس على ذلك سائر الاعتقادات و الأعمال.

و قوله «الذين آمنوا» يراد بهم ذواتهم قبل الإيمان، و إنما جىء الوصف للإشارة بهم لا أن المراد إخراجهم بعد الإيمان و العمل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٤٨

[سورة الطلاق (٦٥): آية ١٢]

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢)

الصالح، لأنهم مخرجون بعد ذلك حين الاتصاف- كما لا يخفى- وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ إيمانا صحيحا وَيَعْمَلْ عملاً صالحاً الملازم لعدم العمل الفاسد يُدْخِلْهُ اللَّهُ فى الآخرة جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أى تحت أشجارها وقصورها الْأَنْهَارُ من خمر و عسل و لبن و ماء فى حال كونهم خَالِدِينَ أى دائمين فيها فى تلك الجنات أبداً بلا نهاية و قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ أى لهذا الإنسان المؤمن العامل بالصالحات رِزْقًا إذ يعطى من ثمار الجنة و مياهها و أزواجها و سائر لوازم العيش الراقية.

[١٣] ثم بين سبحانه وصفه- ليخاف العاصى- و يطمئن المؤمن لوعده بقوله اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ لعل المراد بها مدارات الكواكب السيارة، أو ما أشبه و مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ سبعة، و

قد قال الإمام الرضا عليه السلام أرض تحيط بها سماؤها، ثم أرض تحيط بها سماؤها، إلى أن عد سبعه

، و تفصيل الكلام فى كتاب- الهيئة و الإسلام- «١» و ضمير «هن» تأتى للعاقل و غير العاقل كما سبق يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ أى أن أمر الله سبحانه يتنزل من كل سماء إلى أرضها، وهكذا حتى يصل الأرض الأخيرة، و إنما خلق سبحانه ما خلق، مما يشاهده

(١) للعلامة الشهرستاني.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٤٩

الإنسان لِتَعْلَمُوا أىها البشر أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ قادر على العقاب و الثواب، كما قدر على خلق الأفلاك و الأرضين و أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا فإن الخلق يدل على العلم، إذ لو لا العلم لم يمكن الخلق، كما أن سير الكون المشار إليه بقوله «يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ

بَيِّنُهُنَّ» دالٌّ على العلم، إذ التسيير محتاج إلى العلم الدقيق.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٥٠

٦٦ سورة التحريم مدنية / آياتها (١٣)

تقريب القرآن إلى الأذهان ج ٥ ٤٩٩

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على هذه المادة و هي قوله «لم تحرم» وهذه السورة كسائر السور المدنية، مشتملة على النظام إلى جنب العقيدة و حيث ذكرت في سورة الطلاق أحكام النساء، جاءت هذه السورة لبيان بعض الأمور التي ترتبط بهن.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نستعين باسم الإله الذي هو خير معين لمن استعان به، و هل أحق بالاستعانة منه، إنه المالك لكل شيء الرحمن الرحيم الذي يتفضل باللطف و الإحسان، القادر لكل ما أراد.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٥١

[سورة التحريم (٦٦): الآيات ١ إلى ٢]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَتَّغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢)

[٢] يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ خطاب للرسول صَلَّى الله عليه و آله و سلم لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ أى لماذا تحلف لتحرم على نفسك بعض ما أحل الله لك، و قد كان التحريم للحلال بالحلف جائزا، لكن الله سبحانه بين للرسول أن حلفه حول هذا الموضوع محلولة- بهذا التعبير- تأنيبا لعائشة و حفصة اللتين آذتا الرسول صَلَّى الله عليه و آله و سلم حتى حلف ما حلف.

فقد روى البخارى- صاحب الصحيح عند العامة- عن عائشة قالت كان النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم يشرب عسلا عند زينب بنت جحش و يمكث عندها، فتوطأت أنا و حفصة على زينب إذ دخل عليها فلنقل له أكلت مغاير و هو صمغ حلو الطعم كرية الرائحة، إني أجد منك ريح مغاير، قال صَلَّى الله عليه و آله و سلم: لا و لكن كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش فلن أعود له، و قد حلفت لا تخبرى بذلك أحدا

«١» تَبَتَّغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ أى تطلب بالتحريم رضى زوجاتك، و قد سبق فى بعض الآيات أن الأغراض قد تأتى لا للمخاطب بل تبرع الغير و الله غَفُورٌ يستر على عباده، فإن تحلة اليمين، تحتاج إلى التحلة حتى لا يقال كيف خالف الرسول حلفه، و حنث رَجِيمٌ يتفضل بالرحم، علاوة على الغفران.

[٣] قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ الظاهر كون الخطاب للرسول، و إنما أتى بصيغة الجمع احتراماً، و قد تقدم سابقاً، أن الجمع و المفرد يتناوبان فى حمل

(١) الطوائف فى معرفة مذاهب الطوائف: ج ١ ص ٢٩٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٥٢

[سورة التحريم (٦٦): آية ٣]

وَ إِذْ أَسِرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَيْدِيثًا فَلَمَّا تَبَأَتْ بِهِ وَ أظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا تَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ تَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣)

أحدهما على الآخر، لنكته بلاغية، أى أوجب عليكم تحلة أَيْمَانِكُمْ بأن تحلوها فلا تتبعون مفادها، و المراد أن يشرب النبي صَلَّى الله

عليه وآله وسلم العسل فهو له حلال، وإن الله قد أحل حلفه التي حلفها أنه لا يشرب العسل طلباً لرضى بعض نسائه والله مولاكم فإذا حل اليمين فقد انحلت كما أن للمولى الحق في أن يحل يمين العبد وهو العليم بمصالحكم الحكيم فيما يأمر وينهى، فإذا عرف الصلاح في شيء كان كما أمر فشرب العسل حلالاً للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفيه الحكمة والصلاح.

[٤] ثم يأتي السياق ليشير إلى طرف من القصة بقوله سبحانه: واذكر يا رسول الله، ولعل ذلك لإفادة أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كيف كان يؤذى من قبل أزواجه كما كان يؤذى من قبل أناس آخرين تفضيحا لهن في إيذائهن للرسول، إذ أسير النبي إلى بعض أزواجه حديثاً أي حدثها سرا لتحريم العسل على نفسه- والمراد ببعض الأزواج- عائشة- أو حفصة- ولعل إسرار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان لأجل أن لا يقول الناس إنه يحرم شيئاً على نفسه لمجرد رضى زوجته فلما تبأت به أي أخبرت تلك الزوجة امرأه أخرى بذلك الحديث السرى، فقد ورد عن طريق العامة إن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أخبر عائشة بحلفه وأمرها بالإسرار لكنها خالفت وأخبرت حفصة وأظهره الله عليه أي أطلع الله نبيه على ما جرى منها في إفشاء سره عرف الرسول «عائشة» بعضه أي بعض ما

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٥٣

[سورة التحريم (٦٦): آية ٤]

إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٤) ذكرت «حفصة» أراد بذلك بيان أنها خالفت في إفشاء سره وأعرض الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن بعضه فإن من محامد الأخلاق أن لا يذكر الإنسان جميع جريمة المجرم وإنما يلمح إليها تلميحا تأديبا فإن التغافل من خلق الكرام فلما تبأها أي أخبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عائشة به أي بما أعلمه الله سبحانه له من إفشائها سره عند «حفصة» قالت «عائشة» متعجبة من علم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بإفشائها سره من أتباتك هذا أي من أخبرك بأني أفشيت سره يا رسول الله قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في جوابها تبأني أي أخبرني العليم بجميع الأمور الخبيبر بدقائقها، فإن الخبير غالبا ما يطلق على العالم النحرير المطلع على دقائق الأمور.

[٥] ثم توجه الخطاب إلى «عائشة» و«حفصة» اللتين دبرتا هذه المؤامرة مهددا لهما بقوله إِنْ تَتُوبَا أيتها المرأتان إلى الله بأن تستغفرا مما سلف منكما من إيذاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والتظاهر ضده والافتراء عليه فقد صغت قلوبكما أي مالت إلى الإثم والباطل، من «صغى» بمعنى مال وقد جرت القاعدة على أن التثنية إذا أضيفت إلى التثنية جاز في المضاف الجمع- نحو قلوبكما- وهو الأفضل والإفراد، وهو الأوسط، والتثنية وهو الأدون.

وإن تظاهرا عليه أي تظاهرا، حذفت إحدى تائي للقاعدة في

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٥٤

[سورة التحريم (٦٦): آية ٥]

عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (٥) باب المضارع إذا اجتمع في أوله تاءان، والتظاهر هو أن يقوى بعض ظهر بعض بالتوحيد بينهم لمطالبه أمر، أو لمضاده أمر فإن الله هو مولاة أي ناصر الرسول يتولى حفظه وحياطته حتى لا يؤثر فيه المكر والمكيده وجبريل معين للرسول، بإخباره عن قبل الله بما يراد ضده وصالح المؤمنين أي خيار المؤمنين، والمراد ب«صالح» الجنس، يعنى أنهم ينصرون الرسول ضد المؤامرات والمظاهرات و سائر الملائكة بعيد ذلك أي بعد ما تقدم من نصره الله وجبريل والمؤمنين ظهير للرسول يقوون ظهره، والإتيان بالمفرد، و صفا للجمع باعتبار كل واحد واحد، نحو فأنظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه «١» و وحسن أوليك رقيقاً «٢» وقد تقدم أن كلا من المفرد والجمع يقوم مقام الآخر، باعتبار بلاغى.

و قد حذف جواب الشرطين، و التقدير «أن تتوبا إلى الله كانت التوبة في موقعها إذ قد صغت» «و إن تظاهرا عليه، لا يضره التظاهر، إذ الله مولاة».

[٦] ثم جاء السياق ليقول من أهميتهما، فإن للرسول صلى الله عليه و آله و سلم أن يطلقهما، حتى تبوءا بعار المؤامرة و الطلاق و لا يبقى الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بلا-زوجة فإن الله يزوجه بمن هي خير منهما عسى ربُّهُ أى لعل الله سبحانه و لعل ليس للرجاء، بل بمعنى الاحتمال الراجح إن طَلَّقَكَ المراد إما

(١) البقرة: ٢٦٠.

(٢) النساء: ٧٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٥٥

[سورة التحريم (٦٦): آية ٦]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)

الاثنتان، أو الكل، أو من اشتركت في المؤامرة فإن الحديث تفشى في غيرهما أيضا أن يُبَدَلَهُ أى يعوض للرسول صلى الله عليه و آله و سلم أزواجاً خيراً مِنْكُمْ في الإيمان، و في مراعاة حقوق الرسول صلى الله عليه و آله و سلم ثم وصف تلك أزواجاً بما فيه تعريض بهن مُسَلِّماتٍ كاملات الإسلام مُؤْمِنَاتٍ مصدقات بالله و الرسول، و الإسلام هو الاستسلام، فالإيمان أخص منه، كما قال قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُوْمِنُوا وَ لَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ (١). قَانِتَاتٍ مطيعات لله، خاضعات للرسول تَائِبَاتٍ عن المعاصي التي تصدر منهن أحياناً، فلا إصرار لهن على الذنب عابِدَاتٍ يعبدن الله سبحانه فوق القدر اللازم المفروض من العبادة سَائِحَاتٍ أى صائمات- كما

ورد:

سياحة أمتي الصوم

«٢»- أو ماضيات في أمر الله و الرسول كالسائح الذي يضرب في الأرض تَيِّبَاتٍ قد رأين الزوج قبل الرسول و أَبْكَاراً أى عذارى لم يكن لهن أزواج- كما أنتن حين دخلتن بيت الرسول كنتن على قسمين-.

[٧] ثم توجه السياق إلى الناس موجبا لهم تأديب نسائهم، قالوا و قد تدرجت الفريضة في البلاغ من النفس إلى العموم حسب الإمكان في خمس آيات و هى النفس أولاً بقوله: عَلَيْكُمْ أَنْفُسِكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ (٣) و الأهل ثانياً بقوله: آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَاراً (٤)

(١) الحجرات: ١٥.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ١٦ ص ٥٤.

(٣) المائدة: ١٠٦.

(٤) التحريم: ٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٥٦

و العشيبة ثالثاً بقوله: وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (١) و أهل البلدة رابعا بقوله وَ لِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ (٢) و أهل العالم أجمع خامسا بقوله: وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ (٣) و الرسول صلى الله عليه و آله و سلم أسوء، و بقوله: وَ لَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ

إِلَى الْخَيْرِ «٤».

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَمْرَ لِلْجَمْعِ الْمَذْكُورِ، مِنْ «وَقَى» بِمَعْنَى حَفِظْ، أَيْ احْفَظُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ وَهُوَ عَائِلَةٌ الْإِنْسَانِ مِنْ أَوْلَادِهِ وَزَوْجَتِهِ وَأَخُوتهِ وَ مِنْ شَابِهِهِمْ نَارًا عَنْ نَارِ جَهَنَّمَ الَّتِي هِيَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ وَقُوذُهَا أَيْ حَطْبُهَا الْمَوْجِبُ لِإِقْدَادِهَا وَإِشْعَالِهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ وَهُمَا يَزِيدَانِ فِي قُوَّةِ النَّارِ لِدَسُومَةِ الْأَوَّلِ وَصَلَابَةِ الثَّانِي عَلَيَّهَا أَيْ الْمَأْمُورُونَ عَلَى تِلْكَ النَّارِ مَلَائِكَةٌ جَمَعَ مَلَكٌ وَأَصْلُهُ مِنَ الْأَلْوَكَةِ، بِمَعْنَى الرِّسَالَةِ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ رَسَلَ مِنْ قَبْلِهِ سَبْحَانَهُ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ غَلَاظٌ جَمَعَ غَلِيظٌ وَكَأَنَّ الْمَرَادَ غَلِيظَ الْقَلْبِ فَلَا يَرْحَمُ أَحَدًا شِدَادٌ جَمَعَ شَدِيدٌ، وَكَأَنَّ الْمَرَادَ شَدِيدَ الْبَنِيَّةِ وَالْقُوَّةِ، فَمَا أَرَادَ تَمَكُّنَ مِنْهُ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ مِنْ عَذَابِ أَهْلِ النَّارِ، فَلَا يَرْتَشُونَ وَلَا يَمِيلُونَ نَحْوَ الْكُفَّارِ مُخَالَفَةً لِلَّهِ سَبْحَانَهُ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، وَهَذَا تَأْكِيدٌ لِمَا سَبَقَ بِأَنَّهُمْ لَا يَعْصُونَ.

(١) الشعراء: ٢١٥.

(٢) التوبة: ١٢٢.

(٣) سبأ: ٢٩.

(٤) آل عمران: ١٠٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٥٧

[سورة التحريم (٦٦): الآيات ٧ الى ٨]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفُ رَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٨)

[٨] و إذ دخل الكفار النار، أخذوا يعتذرون على سالف أعمالهم فيقال لهم يا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الدُّنْيَا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ وَأَنْتُمْ فِي النَّارِ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ فَهَذِهِ النَّارُ جَزَاءُ أَعْمَالِكُمُ السَّالِفَةِ، وَلَا يَفِيدُ الْعِذَارَ.

[٩] و إذ قد سمعتم أيها المؤمنون بكيفية النار، فاللزام أن تتوبوا- وأنتم في الدنيا- عن معاصيكم لئلا تدخلوها يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ مَعَاصِيهِ وَارْجِعُوا إِلَى طَاعَتِهِ، وَتَخْصِيصُ الْخُطَابِ بِهِمْ لِأَنَّهُمْ الْمُنْتَفِعُونَ بِهِ.

تَوْبَةٌ نَصُوحًا أَيْ خَالِصَةٌ لَوْجِهَةِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، بِمَعْنَى بِالْغَةِ فِي النَّصِيحِ وَهُوَ صِفَةُ التَّائِبِ لِأَنَّهُ يَنْصَحُ نَفْسَهُ بِالتَّوْبَةِ وَإِسْنَادَهُ إِلَى التَّوْبَةِ مُجَازًا، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ نَصُوحٌ فِي التَّوْبَةِ، وَالتَّوْبَةُ النَّصُوحُ هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ أَنْ يَنْدِمَ الْإِنْسَانُ أَشَدَّ النَّدَمِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ وَيَعِزُّ أَوْقَى الْعِزْمِ عَلَى تَرْكِهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَيَأْتِي بِلِوَازِمِ التَّوْبَةِ مِنَ الْقِضَاءِ وَالكِفَارَةِ وَرَدِّ الْحَقُوقِ وَ مَا أَشْبَهَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَيْ لَعَلَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ إِذَا تَبَتُّمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ أَيْ يَسْتُرَ وَيَمْحَىٰ سَيِّئَاتِكُمْ أَيْ مَعَاصِيَكُمْ، وَ سَمَى الْعِصْيَانَ سَيِّئَةً لِأَنَّهَا تَسِيءُ إِلَى الْإِنْسَانِ وَ يُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَيْ تَحْتَ قُصُورِهَا وَأَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ مِنْ عَسَلٍ وَخَمْرٍ وَلَبَنٍ وَمَاءٍ،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٥٨

[سورة التحريم (٦٦): آية ٩]

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٩)

وَيَكُونُ إِدْخَالُ التَّائِبِ الْجَنَّةِ فِي يَوْمٍ لَا- يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ أَيْ لَا- يَدْخُلُ النَّارَ، وَكَانَ الْإِنْتِيَانِ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ لِلتَّرْغِيبِ فِي إِدْخَالِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ فِي هَذِهِ الزَّمْرَةِ الْمَفْضَلَةِ.

نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ فَإِنَّ وَجُوهَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ الْيَمْنَى- الَّتِي تَحْمِلُ الْكِتَابَ- تَشْعُ نُورًا يَخْرِقُ ظِلْمَاتِ الْمَحْشَرِ، فَإِذَا تَحَرَّكَ الْمُؤْمِنُ كَانَ النُّورُ يَسْبِقُهُ مِنْ أَمَامِهِ وَ مِنْ طَرَفِهِ الْأَيْمَنِ يَقُولُونَ مُخَاطِبِينَ لِلَّهِ سَبْحَانَهُ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا بِأَنْ يَضَاعَفَ وَيَكْتَبُرَ، أَوْ

يستمر حتى آخر القيامة فلا يطفأ، أو هو دعاء منهم في الدنيا، بأن يوقفهم لما يكثر نورهم، و يبقيه فلا يزول عنهم بالكفر والعصيان و اغفر لنا معاصينا إنك على كل شئ قدير من إتمام نورنا و غفران ذنوبنا، و سائر ما تريده و هذا مدح له سبحانه في ضمن الدعاء، فإن الدعاء المتضمن على الثناء أقرب إلى القبول.

[١٠] يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ بِالْقِتَالِ وَ الْمَحَارِبِ وَ الْمُنافِقِينَ بِالزُّجْرِ وَ الرَّدْعِ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ أَى اشدد عليهم فى الجهاد و الزجر، فإن اللين إنما هو للمستقيم المعتدل، أما المنحرف فاللازم معه الشدة حتى يستقيم و مأواهم جهنم أى مصيرهم، من «آوى» بمعنى اتخذ المنزل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٥٩

[سورة التحريم (٦٦): آية ١٠]

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَ قِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠)

وَ بَنَسَ الْمَصِيرُ أَى بنس المأوى جهنم لهم، لما فيها من العذاب و النكال.

[١١] ثم جاء السياق ليضرب مثلاً لأزواج الرسول صلى الله عليه و آله و سلم مبينا أن صلاح الزوج لا ينفع الزوجة إذا كانت منحرفة، كما أن فساد الزوج لا يضر الزوجة إذا كانت مستقيمة، منقادة، على طاعة الرسول و عدم الهوى فى مهوى العصيان و المخالفة ضرب الله مثلاً للذين كفروا مبينا لهم أن صلاح أصحابهم و ذويهم لا ينفعهم امرات نوح و امرات لوط فقد كانتا تحت إدارة و عيلولة عبدين من عبادنا هما نوح و لوط صالحين فهما رسولان من قبل الله سبحانه و أى صلاح أشد من ذلك فخانتاهما خيانه فى الدين، إذ كانتا تنافقان و تؤذيان زوجيهما.

فلم يغنيا أى لم ينفع نوح و لوط عنهما أى عن الزوجتين من عذاب الله شيئاً بأن يخفف عنهما، و لو بعض العذاب و قيل للزوجتين حين ماتتا ادخلا النار مع الداخلين فيها، فهما معدبتان مع كونهما زوجتا نبيين، و فى هذا تعريض بعائشه و حفصه اللتين آذتا الرسول صلى الله عليه و آله و سلم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٦٠

[سورة التحريم (٦٦): الآيات ١١ الى ١٢]

وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ وَ نَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَ صَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَ كُتِبَ لَهَا مِنَ الْقَانِتِينَ (١٢) [١٢] وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا بَيَانًا لِأَنَّ الْإِيمَانَ يَنْفَعُ صَاحِبَهُ وَ إِنْ كَانَ امْرَأَةً تَحْتَ أَكْفَرِ النَّاسِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ أَسِيَهُ بِنْتِ مَزَاحِمِ الَّتِى آمَنَتْ بِمُوسَى وَ كَانَ زَوْجُهَا يَدْعِى الرَّبَّ بِعَدَاوَةٍ وَ يَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى إِذْ قَالَتْ فِى مَنَاجَاتِهَا لِلَّهِ تَعَالَى يَا رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ فِإِنِّى لَأَرْغَبُ فِى بَيْتٍ فِى الدُّنْيَا وَ لَأَعْمَلُ لَهَا وَ نَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ فَإِنَّهُ كَانَ يَعْمَلُ بِالْكَفْرِ وَ الْعِصْيَانِ وَ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ أَتباع فرعون و حاشيته، فاستجاب الله دعاءها، فقبضها و أدخلها الجنة، و لم يكن يضرها عمل زوجها.

[١٣] كما مثل سبحانه للمؤمنين بامرأة أخرى لم يضرها قول الناس فيها، بعد أن كانت طاهرة و نقيه دلالة على أن عمل الغير و قوله السىء لا يؤثر فى المؤمن شيئاً بعد أن كان هو بنفسه مؤمناً صالحاً و ضرب الله مثلاً للذين آمنوا مريم ابنت عمران اللى أحصنت فرجها أى حفظته من البغاء، و فيه تكذيب أعداء الله اليهود إذ قالوا فيها ما هم أحق به و أخرى.

فنفخنا فيه أى فى فرجها من روحنا أى الروح المضاف إلينا- تشريفا- و ذلك كإضافة البيت إليه سبحانه، فى قولنا «بيت الله» و المراد به المسيح عليه السلام و كون النفخ فيه باعتبار خروج الولد منه، أو

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٦١

الضمير عائد إلى «الجسم» أى فى جسمها أو «الجيب» أى فى جيبها، المعلوم من الخارج، وقد كان النافخ فيه جبرئيل عليه السلام بأمره سبحانه وَصَدَّقَتْ مَرْيَمَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا أَى بما تكلم الله به و أوحاه إلى أنبيائه من الأصول و الفروع وَ كُتِبَهِ النَّازِلَةُ عَلَى الرَّسْلِ وَ كَانَتْ مِنْ جَمَلَةِ الْقَانِنِينَ الخاضعين لله سبحانه، فإنها كانت فى بيت المقدس فى جملة العباد و الزهاد و لذلك قال «القانتين» و لم يقل القانتات.

فعلى المرأة إن كانت ذات زوج أن تقتدى بامرأة فرعون، و إن لم تكن ذات زوج أن تقتدى بمريم الصديقة عليهم السلام.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٦٣

تقريب القرآن إلى الأذهان الجزء التاسع و العشرون من آية (١) سورة الملك إلى آية (٥١) سورة المرسلات

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين محمد المصطفى و عترته الطاهرين

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٦٥

٦٧ سورة الملك مكية / آياتها (٣١)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتغالها على لفظه «الملك»، و هى كسائر السور المكية تعالج قضايا العقيدة فى أصولها الثلاث، و حيث ختمت سورة التحريم بكون الصلة لا تنفع و لا تضر و إنما النافع و الضار العمل، افتتحت هذه السورة بأن الإنسان فى معرض الامتحان ليظهر المطيع من العاصى.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نبتدى باسم الله الذى هو الأول فى الكون، الخالق لكل شىء، ليطابق الابتداء باسمه كونه المبدأ و الأول الرحمن الرحيم الذى يرحم العباد فى الدنيا و فى الآخرة بتكميل نواقصهم و غفران ذنبهم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٦٦

[سورة الملك (٦٧): الآيات ١ إلى ٣]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (٣)

[٢] تَبَارَكَ مَنْ «برك» أى دام فى خير و مصدر خير، و منه البركة الذى يبيده المملك فهو المالك المطلق لكل شىء فى الكون و ملك ما عداه إنما هى بتملكه إياه، و قوله «بيده» من باب تشبيه المعقول بالمحسوس وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ قادر على إيجاده و إفنائه و التصرف فيه كيف يشاء.

[٣] الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَيَاةَ فَإِنَّ الْمَوْتَ إِذَا أَمَرَ وَ جُودَى، أَوْ عَدَمَ مَلَكَةٍ، وَ كِلَاهِمَا مَخْلُوقٌ، فَإِنَّ عَدَمَ الْمَلَكَةِ لَهُ حِظٌّ مِنَ الْوُجُودِ كَمَا تَقَرَّرُ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ، وَ إِنَّمَا خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ مِنْ «بِلا» بِمَعْنَى اخْتَبَرَهُ، أَى لِيُخْتَبِرَكُمْ أَيُّهَا الْبَشَرُ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا مِنَ الْآخِرِ، وَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ عَالَمٌ بِالْإِنْسَانِ، وَ إِنَّمَا الْإِمْتِحَانُ لِتَطْبِيقِ عِلْمِهِ عَلَى الْخَارِجِ، وَ إِذَا فَهِمَ غَنِى عَنِ الْإِخْتِبَارِ، وَ تَعْلِيلِ الْحَيَاةِ وَ الْمَوْتِ لِلْإِخْتِبَارِ بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْمَوْتَ دَاعٍ إِلَى حَسَنِ الْعَمَلِ وَ مَوْجِبٌ لِعَدَمِ الْوَثُوقِ بِالْدُنْيَا وَ لِدَاتِهَا الْفَانِيَةِ وَ الْحَيَاةُ تَوْجِبُ قُدْرَةَ الْإِنْسَانِ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَ هُوَ سَبْحَانَهُ الْعَزِيزُ الْغَالِبُ فِي سُلْطَانِهِ الْعَفُورُ الَّذِي يَغْفِرُ لِمَنْ أَذْنَبَ إِذَا تَابَ، فَاتَّمَّ أَيُّهَا الْبَشَرُ فِي قَبْضَتِهِ بِمَقْتَضَى كَوْنِهِ «عَزِيزًا»، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ بِمَقْتَضَى كَوْنِهِ «غَفُورًا».

[٤] وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَاحِدَةً فَوْقَ الْآخَرَى مُطَابِقَةً لَهَا، بِلَا تَفَاوُتٍ وَ اعْوِجَاجٍ مَا تَرَى أَيُّهَا الرَّائِي

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٦٧

[سورة الملك (٦٧): الآيات ٤ الى ٥]

ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤) وَ لَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَ جَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (٥)

فى خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ وَ اخْتِلافٍ، من جهة أن الجميع مخلوقه بدقه و إتقان و كمال لائق به فَارْجِعِ الْبَصَرَ أى رده إلى الكون، بعد أن كان سابقا إليه، و كأنه كان ناظرا بلا التفات إلى هذه الجهة، فقيل له رد بصرك بقصد التفحص و البحث هل ترى مِنْ فُطُورٍ؟ أى شقوق و فوق كالبناء الذى ينظر لخلل فيه، فهل فى الكون خلل يدل على الوهن و الضعف أم كل شىء وضع فى محله اللائق به حسب الحكمة و الصلاح؟

[٥] ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ أى كرة بعد كرة و المراد مكررا إذ لعل البصر اشتبه فى المرة الأولى فلم يرتقا- فإن الإنسان إذا كرر النظر إلى شىء أدرك خلله- فانظر إلى الكون مرة أخرى فاحصا عن الخلل، لكن لا تجده بل يَنْقَلِبْ أى يرجع إِلَيْكَ أيها الإنسان الْبَصِيرَ الذى سرحته فى الكون خاسئا قد خسا و طرد و عجز عما طلبه- من الفتق- وَهُوَ حَسِيرٌ قد حسر، أى كل وعى و لم يجد خلا و وهنا و ما يوجد من الأمراض و ما أشبه إنما هو للامتحان و العبرة لا لنقص فى الخلق.

[٦] وَ لَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا أى جمنا السماء القريبة من الأرض- و هذا لا يدل على عدم تزيين سائر السماوات، إذ لا مفهوم للقب و إنما التخصيص لأنه المدرك المشاهد- بِمَصَابِيحَ جمع مصباح، و المراد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٦٨

[سورة الملك (٦٧): الآيات ٦ الى ٨]

وَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَ بئْسَ الْمَصِيرُ (٦) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَ هِيَ تَفُورُ (٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨)

به الكواكب وَ جَعَلْنَاهَا أى جعلنا تلك المصابيح رُجُومًا مراكز للرحم للشياطين فإن الشيطان إذا اقترب من مراكز الملائكة فى الملاء الأعلى ليسترق بعض الكلمات رجم بالشهب من النجوم، فإن النجوم مرصد ينظر منها إلى الشياطين حتى إذا اقتربوا رجموا، كما سبق فى بعض السور وَ أَعْتَدْنَا أى هيأنا لَهُمْ أى للشياطين المسترقين للسمع عَذَابَ السَّعِيرِ أى عذاب النار المستعرة الملتهبة، إما بالرجوم، و إما فى الآخرة فى النار.

[٧] و كما هيأ العذاب للشياطين كذلك هيأ للكفار وَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ بأن أنكروه أو وصفوه بما لا يليق به عَذَابُ جَهَنَّمَ مبتدأ، خبره «للذين» وَ بئسَ الْمَصِيرُ أى المآل و المرجع، اسم مكان من «صار».

[٨] إِذَا أُلْقُوا أى الكفار، ألقاهم الملائكة فيها أى فى جهنم سَمِعُوا لَهَا أى لجهنم شهيقاً أى صوتا فضيحا كصوت الحمار و إنما تشهق لتدخل فى قلوب الكفار الهول و الرعب وَ هِيَ تَفُورُ فوران القدر إذا غلى، و ذلك مما يزيدا هولاً.

[٩] تَكَادُ أى تقرب جهنم تَمَيَّزُ أى تتقطع مِنَ الْغَيْظِ أى شدة الغضب و كثرة اللهب و الفوران، و هذا تمثيل لشدة اشتعالها، فإن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٦٩

[سورة الملك (٦٧): الآيات ٩ الى ١١]

قَالُوا بلى قد جاءنا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَ قُلْنَا ما نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فى ضَلالٍ كَبِيرٍ (٩) وَ قَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ما كُنَّا فى أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١)

الإنسان إذا غضب يكاد ينفجر و يتشقق بعض جلده، و كذلك النار تكاد تتفرق لشدة استعارها كُلَّمَا أُلْقِيَ فيها أى فى جهنم فَوْجٌ أى جماعة من الكفار و العصاة سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهَا أى الملائكة الموكلون بالنار، جمع «خازن» أَلَمْ يَأْتِكُمْ أيها المجرمون نَذِيرٌ ينذركم و يخوفكم من هذه النار؟ و الاستفهام للتبكيك و التقرع.

[١٠] قالوا أى أهل النار فى جواب الخزنة بلى قد جاءنا نذيرٌ رسول أو مبلغ عن الله سبحانه فكذبنا هذا اليوم و ما قاله النذير و قلنا ما نزل الله من شئ من كتاب أو تشريع إن أنتم أى ما أنتم أيها المنذرون إلا فى ضلالٍ كبيرٍ حيث تزعمون أنكم رسل الله، و إن الله أنزل إليكم الحكم و التشريع.

[١١] ثم يعترف أهل النار بأنهم لم يعملوا عقولهم فى الدنيا، حتى ابتلوا بهذا العذاب و قالوا لو كنا نسمع كلام المنذرين أو نعقل أى نعمل عقولنا لنميز بين الحق و الباطل بالإسماع، فإن الإنسان إذا عمل عقله لا بد و أن يدرك الحق فى الجملة و لو لم يسمع شيئاً ما كنا فى هذا اليوم فى أصحاب السعير اسم لجهم لاستعار نارها.

[١٢] فأعترفوا بذنبيهم الذى أدخلهم النار، فى الوقت الذى لا ينفع الإقرار فسحقاً أى بعدا، و هذا دعاء عليهم أى أبعدهم الله بعدا عن تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٧٠

[سورة الملك (٦٧): الآيات ١٢ الى ١٤]

إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢) وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)

النجاة لأصحاب السعير الملازمين لها.

[١٣] أما المؤمن الذى عمل صالحاً فهو فى خير و سعادة إن الذين يخشون ربهم يخافونه فلا يعصونه بالغيب فى حالة كونه سبحانه غائبا عن حواسهم لهم مغفرة أى غفران لذنوبهم التى صدرت منهم و أجرٌ كبيرٌ ثواب جزيل.

[١٤] ثم يأتى السياق ليبين علم الله سبحانه بكل ما يصدر من الإنسان من قول سواء كان جهراً أو سراً و أسروا أيها الناس قولكم الذى يدور فى صدوركم، بأن تقولونه سراً أو اجهروا به ف إن الله سبحانه يعلم ذلك قبل أن يخرج إلى عالم الألفاظ، إذ هو عليمٌ بذاتِ الصدور أى بالأشياء التى تدور فى صدر الإنسان، و إنما قال «الصدور» لأن القول فى القلب و القلب فى الصدر، فمن يعلم ما فى الصدر لا يعلم اللفظ؟

[١٥] ألا يعلم الخفايا و الظواهر من خلق الخلق؟ و هذا استفهام إنكارى، أى كيف لا يعلم الله الأشياء و هو الخالق و هو اللطيف أى العالم بما لطف و دق، و الشئ اللطيف هو الذى ينفذ فى الأشياء بسهولة و يسر، و توصيفه سبحانه به باعتبار نفوذ علمه و قدرته الخبير المطلع على الأشياء، و هو أدق معنى من «العالم».

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٧١

[سورة الملك (٦٧): الآيات ١٥ الى ١٦]

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥) أَمْ أَنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦)

روى إن المشركين كانوا يقولون عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم الأقوال السيئة و كان جبرئيل عليه السلام يخبره بما قالوا، فإذا أراد أحدهم التحدث حوله صلى الله عليه و آله و سلم قال بعضهم لبعض: أسروا قولكم لئلا يطلع محمد، فنزلت هذه الآيات «١».

[١٦] هو الله الذى جعل لكم الأرض ذلولاً أى سهلة مسخرة، للبناء و الزرع و دفن الأموات و السير و إجراء الأنهر و القنوات، و غيرها، من «ذل» بمعنى خضع و لان فامشوا أيها البشر فى مناكبها جمع منكب و المراد به الطريق و كلوا من رزقه الذى حصلتكم عليه بالزرع و نحوه و إليه النشور أى إن بعثكم إليه سبحانه، فهو المبدأ و المآل، و معنى «إليه» إلى حسابه و جزائه.

[١٧] ثم بعد التذكير بنعم الله ليشكر البشر، جاء السياق للتهديد بأنهم إن بقوا فى الكفر و العصيان كانوا مظنة للعذاب و النكال- و السائق للناس إلى الخير إما النعمة أو النعمة- أ أمئتم أى هل أمئتم أيها البشر من من فى السماء من الملائكة الموكلين بأموركم من

قبله سبحانه أَنْ يُخَسِفَ فاعله «من في السماء» بِكُمْ الْأَرْضَ حتى تنهار الأرض في الأعماق معكم، كما فعل بقارون و قوم لوط. و
يحتمل أن يراد

(١) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٧٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٧٢

[سورة الملك (٦٧): الآيات ١٧ الى ١٩]

أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨) أَوْ لَمْ
يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩)

ب «من في السماء» الله سبحانه، و كونه في السماء باعتبار أن أمره إلى الأرض يصدر من هناك، كما قال سبحانه وَهُوَ الَّذِي فِي
السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ «١» وقال وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ «٢» فَإِذَا هِيَ آيٌ تَفَاجِثُونَ بِأَنَّ الْأَرْضَ تَمُورُ أَي تَضْطَرِبُ وَ
تتحرك، من «مار» بمعنى تحرك و اضطرب.

[١٨] أَمْ أَمِنتُمْ أَيها البشر، من مَنْ فِي السَّمَاءِ عَلَى أَحَدِ الْمَعْنِيِّينَ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ إِنْ تَمَادَيْتُمْ فِي الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ حَاصِبًا أَي دِيمَا ذَاتِ
حِجَارَةٍ، تحصبكم كما حوصب قوم لوط، و تذكير «حاصب» باعتبار تقدير «شيئا» فَسَتَعْلَمُونَ حِينَ ذَاكَ كَيْفَ نَذِيرِ أَي كَيْفَ كَانَ
إنذارى بالعذاب صدقا.

[١٩] و ليس ذلك ببعيد من الكفار، ألم يعرفوا أن الأمم السابقة حيث كذبوا ابتلوا بمثل هذا العذاب و لَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
بآيات الله و رسله فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ؟ أَي إنكارى عليهم حيث عذبوا بأنواع العذاب، من غرق و خسف و حصب و غيرها.

[٢٠] و كيف ينكر هؤلاء وجود الله أو قدرته و هم يرون الآيات الكونية بأعينهم؟ أَوْ لَمْ يَرَوْا هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ فِي السَّمَاءِ

(١) الزخرف: ٨٥.

(٢) الذاريات: ٢٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٧٣

[سورة الملك (٦٧): آية ٢٠]

أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ (٢٠)

صَافَاتٍ تصف أجنتها فوق رؤوسهم في حال الطيران و يَقْبِضْنَ أجنتهن بعد البسط، فذات مرة صافات، و ذات مرة يقبضن و هو
الديف، و الطير جنس و لذا جيء وصفه بالجمع، كما أن الجمع بالنون يأتي للعاقل و غيره كما مر سابقا.

ما يُمَسِّكُهُنَّ أَي يحفظهن في الهواء في صفيق أو ديف إِلَّا الرَّحْمَنُ الَّذِي يَتَفَضَّلُ بِالرَّحْمِ لِكُلِّ شَيْءٍ، فمن يا ترى أعطى الطير هذه
القدرة، و أعطى الهواء قابلية الحمل غير الله سبحانه؟ إِنَّهُ سَبَّحَانَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ فيعرف المناسب لكل شيء و الصالح لكل شيء
فيعطى حسب الصلاح و الحكمة، و حسب بصيرته سبحانه أعطى الطير هذه القدرة و السماء هذه القابلية، و «بصير» هنا بمعنى الخبرة
في الأمور لا بمعنى النظر.

[٢١] أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ «أم» منقطع و «من» استفهام مبتدأ، و «هذا» مبتدأ ثان، و «الذي» خبره، و «هو جند لكم» مبتدأ و خبر،
و المجموع صلة الذي يَنْصَرُّكُمْ صفة «جند» و الاستفهام إنكارى، و المعنى من هو الذي تزعمونه جندا لكم ينصركم يوم القيامة من
عذاب الله؟ ... و المراد أنه لا جند لكم هذه صفته مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ و كأنه يقال للكفار بأى قوة تعصون الله؟ أ لَكُمْ جند يدفع عذاب
الله، حتى تعتمدون عليه في عصيانه؟

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٧٤

[سورة الملك (٦٧): الآيات ٢١ الى ٢٣]

أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَزُوقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (٢١) أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٢) قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣)

ثم يأتي السياق ليبين أنه لا جند للكفار، وإنما غرتهم الحياة الدنيا إن الكافرون أي ليس الكافرون إلا في غرورٍ قد غرهم الشيطان بأنه لا عذاب ولا نكال، فاعتمدوا عليه في الكفر والعصيان.

[٢٢] أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَزُوقُكُمْ فهل هناك أحد يعطيكم الرزق إن أَمْسَكَ اللهُ رِزْقَهُ حتى يقوم ذلك الرازق مقام الله في الإعطاء و إذ لا رازق غيره فكيف تعصون الله ولا تخافون أن يقطع رزقكم فتبقون بلا رزق ولا طعام بل إنهم يعلمون أن لا رازق غيره، وإنما لجوا أي استمروا في اللجاج والمخالفة في عُتُوٍّ أي تعد عن الحق، من «عتى» وَ نُفُورٍ أي تنفر عن الإسلام و الحق.

[٢٣] أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى بَأَن يَكُونُ وَجْهَهُ وَ بطنه على الأرض يمشى بكل صعوبته، هل هذا الشخص أحسن و أعلم بالطريق أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا مستويا مستقيما، على رجليه، و هو على صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ أي طريق موصل إلى السعادة في أقصر مسافة، فالكافر كمن يمشى مكبا على وجهه، إذ طريقه وعر صعب لا يعرف الخلاص من المشاكل و المكاره، بخلاف المؤمن الذي يرى طريقه و يسهل عليه المشى و يصل إلى الغاية المتوخاه في أقرب وقت.

[٢٤] قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَهُؤْلَاءِ الْجَاهِدِينَ لِلَّهِ، وَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَهُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٧٥

[سورة الملك (٦٧): الآيات ٢٤ الى ٢٦]

قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَ يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٦)

شريكا هو الله وحده الذي أنشأكم أي خلقكم أيها البشر و جَعَلَ لَكُمُ أي لمنفعتكم السَّمْعَ أريد به الجنس و الأَبْصَارَ أي العيون و الأَفْئِدَةَ جمع «فؤاد» و هو القلب، و كأن توحيد السمع و تجميع الأبصار و الأَفئِدَةَ للتفنن في التعبير قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ «ما» مصدرية، أي قليلا شكركم، بعد إعطائه سبحانه لكم هذه النعم العظام.

[٢٥] قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَهُؤْلَاءِ هُوَ اللَّهُ وَحده الذي ذَرَأَكُمْ أي خلقكم بالتناسل و التوالد في الأَرْضِ و أسكنكم إياها و إِلَيْهِ أي إلى حساب الله و جناته تُحْشَرُونَ أي تبعثون و تجمعون في يوم القيامة فمنه المبدأ و إليه المعاد.

[٢٦] وَ يَقُولُونَ أي الكفار المنكرون للمعاد متى هذا الوعد أي في أي زمان يكون البعث إن كُنْتُمْ أيها المؤمنون صَادِقِينَ في أن هناك حشرا و جزاء؟

[٢٧] قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ في جواب هؤلاء السائلين عن وقت المعاد إِنَّمَا الْعِلْمُ بوقت القيامة عِنْدَ اللَّهِ فهو العالم به و إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أنذركم و أخوفكم عن مجيئه حيث تعذبون إن بقيتم على الكفر و العصيان مُبِينٌ واضح ظاهر، أنذركم بكل وضوح و جلاء.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٧٦

[سورة الملك (٦٧): الآيات ٢٧ الى ٢٨]

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ (٢٧) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَ مَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (٢٨)

[٢٨] فَلَمَّا رَأَوْهُ أي رأوا العذاب زُلْفَةً أي قريبا، من «زلف» بمعنى قرب، و المراد من «رأوا» المستقبل، و إنما نزل منزلة الماضي لتحقيق وقوعه، نحو وَ نُفِّخْ فِي الصُّورِ «١» سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا أي علت وجوههم الكآبة، و ظهرت عليها آثار الخوف و الحزن من «ساء»

وَقِيلَ لِلْكَافِرِ، وَ الْقَائِلِ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّسُلِ وَ الْمُؤْمِنُونَ حِينَ يَرَى الْكَافِرَ الْعَذَابَ هَذَا هُوَ الْعَذَابُ الَّذِي كُتِبَتْ عَلَيْهَا الْكَافِرُ بِهِ تَدْعُونَ أَي تَطْلُبُونَ وَ تَسْتَعْجِلُونَ مِنَ الدَّعَاءِ، قَالُوا «تَدْعُونَ» وَ «تَدْعُونَ» بِمَعْنَى، فَقَدْ كَانَ الْكَافِرُ يَقُولُ «مَتَى هَذَا الْوَعْدُ؟» وَ يَطْلُبُونَ عَجَلَةَ الْعَذَابِ اسْتَهْزَاءً.

[٢٩] قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَهْؤُلَاءِ الْكَافِرِ أَرَأَيْتُمْ أَيِ أَخْبَرُونِي إِنْ أَهْلَكَنِي اللَّهُ أَيِ أَمَاتَنِي وَ مَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ تَعْذِيبِكُمْ أَوْ رَحِمْنَا بِتَأْخِيرِ الْمَوْتِ عَنَا لَنَرَى عَذَابَكُمْ فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ أَيِ أَنْ مَوْتِي لَا يَنْفَعُكُمْ فِي عَدَمِ نَزُولِ الْعَذَابِ بِكُمْ، فَقَدْ كَانُوا يَتَمَنُونَ مَوْتَ الرَّسُولِ وَ الْمُؤْمِنِينَ لِيَسْتَرِيحُوا إِلَى كُفْرِهِمْ وَ أَصْنَامِهِمْ، فَجَاءَ السِّيَاقُ لِيُبَيِّنَ أَنَّ مَوْتَ الرَّسُولِ لَا يَفِيدُهُمْ فِي إِجَارَتِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الَّذِي اسْتَحَقُّهُ بِسَبَبِ الْكُفْرِ وَ الْآثَامِ.

(١) الكهف: ١٠٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٧٧

[سورة الملك (٦٧): الآيات ٢٩ إلى ٣٠]

قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ وَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (٣٠)

[٣٠] قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَهْؤُلَاءِ الْكَافِرِ هُوَ الرَّحْمَنُ الَّذِي نَدْعُو إِلَيْهِ آمَنَّا بِهِ وَ صَدَقْنَا وَجُودَهُ وَ صِفَاتِهِ وَ أَمْرَهُ وَ وَعُودَهُ وَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فِي أُمُورِنَا وَ فَوْضْنَا إِلَيْهِ حَوَائِجِنَا فَسَتَعْلَمُونَ أَيِهَا الْكَافِرِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ وَ انْحِرَافٍ مُبِينٍ وَاضِحٌ؟ هَلْ نَحْنُ أَمْ أَنْتُمْ؟

[٣١] قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَهْؤُلَاءِ الْكَافِرِ، وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ، وَ الْحَالُ أَنَّ «مَاءَ كَمْ» الَّذِي بِهِ حَيَاتُكُمْ تَحْتَ أَمْرِهِ وَ تَصْرَفُهُ حَتَّى لَوْ شَاءَ قَطَعَهُ عَنْكُمْ لَهَلَكْتُمْ عَطْشًا؟ أَرَأَيْتُمْ أَيِ أَخْبَرُونِي إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا أَيِ غَائِرًا فِي الْأَرْضِ بَحِيثًا لَا تَتِمَّكِنُونَ مِنْ إِخْرَاجِهِ فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ أَيِ ظَاهِرٍ لِلْعَيْونِ، أَوْ بِمَعْنَى جَارٍ سَهْلٍ التَّنَاولِ؟ فَهَلْ هُنَاكَ أَحَدٌ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِالْمَاءِ؟ وَ إِذْ لَا أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ لَذَلِكَ فَكَيْفَ تَعْرَضُونَ عَنْهُ وَ تَكْفُرُونَ بِهِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٧٨

٦٨ سورة القلم مكية / آياتها (٥٣)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتغالها على لفظ «القلم»، و هي كسائر السور المكية تعالج قضايا العقيدة في أصولها الثلاث: الألوهية و الرسالة و المعاد، و إذا ختمت سورة «الملك» بذكر الكفار و تكذيبهم، افتتحت هذه السورة بمثل ذلك.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نَسْتَعِينُ بِاسْمِ الْإِلَهِ، فَقَدْ أَجَلَ الْقَارِئُ «اللَّهُ» سُبْحَانَهُ مِنْ أَنْ يَسْتَعِينُ بِهِ وَ إِنَّمَا اسْتَعَانَ بِاسْمِهِ، نَحْوُ «لَاذِ الْفُقَرَاءِ بِجَنَابِكَ» فَان «جَنَابٌ» هُوَ الْعَتَبَةُ، كَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَجَلَ مِنْ أَنْ يَلُودَ بِهِ الْفُقَرَاءُ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الَّذِي يَتَفَضَّلُ بِالرَّحْمَةِ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَ لِكُلِّ أَحَدٍ، فَقَدْ وَسَّعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٧٩

[سورة القلم (٦٨): الآيات ١ إلى ٤]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)

[٢] ن من جنس هذا الحرف - و هي حروف التهجي - يتركب القرآن المعجز الذي لو اجتمعت الجن و الإنس على أن يأتوا بمثله لا يقدرُونَ أو رمز بين الله و بين الرسول، و

في رواية أنها نهر في الجنة جمد فصار مدادا، و به و بالقلم كتب على اللوح المحفوظ ما كان و ما هو كائن إلى يوم القيامة
«١».

وَ الْقَلَمِ أَى قَسَمَا بِالْقَلَمِ الذى يكتب الناس به، و إنما أقسم به لما تقدم من أن كل خلق من خلق الله جليل عظيم، و الله يحلف بمختلف صنوف خلقه، إشارة إلى العظمة الكامنة فيه، أو المراد القلم الذى كتب فى اللوح المحفوظ و ما يَسْطُرُونَ أَى قَسَمَا بما يكتب الناس، أو الملائكة، من «سطر» بمعنى كتب.

[٣] ما أَنْتَ يا رسول الله بِنِعْمَةِ رَبِّكَ أَى بسبب نعمه الله عليك بالرسالة بِمَجْنُونٍ كما يزعم الكفار، فإنهم كانوا يرمونه صلى الله عليه و آله و سلم بالجنون بسبب أن الله أنعم عليه بالرسالة.

[٤] وَ إِنَّ لَكَ يا رسول الله لَأَجْرًا و جزاء على قيامك بمهمة البلاغ غَيْرَ مَمْنُونٍ أَى غير مقطوع، فَإِنَّ «مَنْ» بمعنى قطع.

[٥] وَ إِنَّكَ يا رسول الله لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ إذ تحتمل المشاق و المتاعب فى سبيل التبليغ بكل رحابة صدر، و قد أودى صلى الله عليه و آله و سلم حتى

قال «ما أودى نبى مثل ما أوديت».

(١) بحار الأنوار: ج ٥٤ ص ٣٦٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٨٠

[سورة القلم (٦٨): الآيات ٥ إلى ٩]

فَسْتَبْصِرُ وَ يُبْصِرُونَ (٥) بِأَيْكُمْ الْمُفْتُونُ (٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٧) فَلَا تُطْعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَ دُّوَا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩)

[٦] فَسْتَبْصِرُ أَى سترى أنت يا رسول الله وَ يُبْصِرُونَ أَى يرون هؤلاء الكفار الذين يرمونك بالجنون.

[٧] بِأَيْكُمْ أنت أم هم الْمُفْتُونُ أَى المجنون، أَى هل حل الجنون بك أم حل بهم حتى أعرضوا عن الحق فهل المجنون الذى يترك نفعه و يأخذ ضاراه؟ و المفتون مصدر أو اسم مفعول تشبيها بأن شخصا مفتونا حل فيه- و هذا من بديع البلاغة.

[٨] إِنَّ رَبَّكَ يا رسول الله هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ هل هو أنت- كما يقولون- أم هم- كما هو الواقع؟ و معنى الضلال عن سبيله الانحراف عن الطريقة التى قررها سبحانه للوصول إلى سعادة الدنيا و الآخرة وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ الذين اهتدوا إلى السبيل الصحيح و هو سبيل الإسلام.

[٩] و إذ قد تبين لك الطريق الواضح فَلَا تُطْعِ يا رسول الله الْمُكَذِّبِينَ بتوحيدك و بشريعتك، بل ذرهم و شأنهم.

[١٠] وَ دُّوَا أَى أحب هؤلاء الكفار لَوْ تُدْهِنُ أَى تجامل الكفار و تلين لهم، فكأن المجامل يستعمل الدهن ليتلائم مع الطرف المقابل، كما يستعمل الدهن لتلائم الشئيين الخشنيين حتى لا يسطدما و لا يسطكا بعنف فَيُدْهِنُونَ أَى فيجاملونك و بذلك يخففوا من وقع التبليغ على أنفسهم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٨١

[سورة القلم (٦٨): الآيات ١٠ إلى ١٣]

وَ لَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُنْتُ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣)

[١١] وَ لَا- تُطْعِ يا رسول الله، و هو عطف على «فلا- تطع» كَلَّ حَلَّافٍ أَى كثير الحلف بالباطل لقلته مبالاة-ته مهين أَى ذليل من «هان» بمعنى ذلّ. و هذان من صفات الكفار لأنهم لما لا يجدون سبيلا إلى إثبات باطلهم يتمسكون بالحلف، و مثل هذا الإنسان يشعر فى نفسه بذلة المغلوبية، و إن هرج و تشدق و صاح و حلف.

[١٢] هَمَّازٌ كَثِيرٌ الهمز للناس، و الهمز هو الطعن في الغير بشدة مَشَاءٌ كَثِيرٌ المشى بين الناس بِنَمِيمٍ أى بالنميمة و الفتنة و الإفساد ليضرب بعض الناس ببعض، و النميم و النميمة بمعنى واحد.

[١٣] مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ كَثِيرٌ المنع للخير فكلما رأى إرادة الإنسان للخير منعه، لدناءة نفسه مُعْتَدٍ أى مجاوز عن الحق، من اعتدى بمعنى تجاوز و ظلم أُنِيمٌ أى كثير الإثم و العصيان.

[١٤] عُنْتَلٍ جَافٌ غَلِيظٌ بَعِيدٌ ذَلِكَ الذى ذكر له من الصفات زَنِيمٌ أى دعى ملصق إلى قوم ليس منهم بالنسب. قالوا: و المعنى بذلك «الوليد بن المغيرة» (١) و هذه غالبه فى الأشرار الذين يصدون عن الحق، و يحضرون كل شر، و قد رأيناهم فى عصرنا، إبان المد الأحمر- و كأن النفس إذا انحرفت عن جادة الهدى تجمعت فيها كل تلك الصفات.

(١) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٨٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٨٢

[سورة القلم (٦٨): الآيات ١٤ الى ١٧]

أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَ بَيْنَ (١٤) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٥) سَنَسِيحُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ (١٦) إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧)

[١٥] أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَ بَيْنَ أى لأننا أعطيناه المال و البنين يكذب بآياتنا جزاء للإحسان بالإساءة، فهو متعلق بما يأتى فى قوله «قال أساطير».

[١٦] إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا تقرأ عليه آيات القرآن قال فى شأنها أساطيرُ الأُولِينَ أى أحاديث الأقبام السابقين التى سطرت بلا أن يكون لها أصل، و «أساطير» جمع أسطورة، و هى القصة الخيالية الوهمية بلا أن يكون لها حقيقة. و من الغريب شباهة هذا القول من مكذبي عصر الرسول بما يقوله المكذوبون فى عصرنا، من أن الإسلام رجعية و ارتجاع.

[١٧] سَنَسِيحُهُ أى سنعلمه يوم القيامة بعلامة يعرف بها أنه مجرم، فالسين للاستقبال، و «نسم» مضارع من «وسم» بمعنى نعلمه بعلامة على الخُرُطُومِ أى على أنفه، و سمي خرطوما تشبيها بخرطوم الفيل تحقيرا له، كما أن الوسم على الخرطوم من جهة أن الأنف مظهر الكبر و الإعراض.

[١٨] إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ أى اختبرنا أهل مكة كما بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أى أصحاب البستان الذى كان قرب صنعاء.

فقد قال الإمام الباقر عليه السلام إن أهل مكة ابتلوا بالجوع كما ابتلى أصحاب الجنة

- و هى جنه كانت فى الدنيا و كانت باليمن يقال لها

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٨٣

«الرضوان» على تسعة أميال من صنعاء (١)، و قصة أصحاب الجنة كما رواها القمى عن ابن عباس: انه كان شيخ له جنه، و كان لا يدخل بيته ثمره منها و لا إلى منزله حتى يعطى كل ذى حق حقه، فلما قبض الشيخ ورثه بنوه و كان له خمسة من البنين، فحملت جنته فى تلك السنة التى هلك فيها أبوهم حملا لم يكن حملت قبل ذلك، فراحوا الفتية إلى جنتهم بعد صلاة العصر فأشرفوا على ثمر و رزق فاضل لم يعاينوا مثله فى حياة أبيهم، فلما نظروا إلى الفضل طغوا و بغوا، و قال بعضهم لبعض: إن أبانا كان شيئا كبيرا قد ذهب عقله و خرف فهلّموا نتعاقد عهدا فيما بيننا أن لا نعطى أحدا من فقراء المسلمين (أى مسلمى زمانهم) فى عامنا هذا شيئا حتى نستغنى و تكثر أموالنا، ثم نستأنف الصنعة فيما يستقبل من السنين المقبلة.

فرضى بذلك أربعة و سخط الخامس، و هو الذى قال الله فيه «قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون» .. فقال لهم أوسطهم اتقوا الله و كونوا على منهاج أبيكم تسلموا و تغنموا، فبطشوا به و ضربوه ضربا مبرحا، فلما أيقن الأخ أنهم يريدون قتله دخل معهم فى

مشورتهم كارها لأمرهم غير طائع، فراحوا إلى منازلهم ثم حلفوا بالله أن يصرموا إذا أصبحوا و لم يقولوا «إن شاء الله»، فابتلاهم الله بذلك الذنب، و حال بينهم و بين ذلك الرزق الذي كانوا أشرفوا عليه، فأخبر عنهم في الكتاب فقال «إنا بلوناهم» إلى آخر القصة- كما يأتي- و لعل تشبيه كفار مكة بأولئك الأخوة من حيث إنهم كفروا نعمة الله سبحانه،

(١) تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٨٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٨٤

[سورة القلم (٦٨): الآيات ١٨ الى ٢١]

وَلَا يَسْتَنْوُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَ هُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ (٢١)

فابتلاهم بالقحط و الجذب، كما أن الأخوة لما أرادوا منع الفقراء خلافا لأمره سبحانه ابتلاهم الله بالنار التي أحرقت جنتهم «١». إذ أقسموا أي حلفوا بالله ليضيرمئها أي يقطعون ثمرها من «الصرم» بمعنى القطع مُصْبِحِينَ أي في حال كونهم داخلين في الصباح قبل أن يجلو النهار، ليخفوا الأمر على الفقراء و المساكين.

[١٩] وَلَا يَسْتَنْوُونَ أي لم يستنوا عند الحلف بإتيان كلمة إن شاء الله، و إنما يقال لهذه الكلمة: الاستثناء، لأن القائل يقول أفعل كذا إلا أن يشاء الله منعى، و في معنى ذلك إن شاء الله، و بعدم الاستثناء كانوا قد أسأوا أولا بنية المنع عن الفقراء، و ثانيا بعدم الاستثناء بالنسبة إلى ما عزموا عليه في المستقبل.

[٢٠] فَطَافَ عَلَيْهَا أي على الجنة طائف أي شيء من العذاب طاف على البستان من قبل رَبِّكَ يا رسول الله وَ هُمْ نَائِمُونَ بعد في فراشهم، قالوا بعث الله نارا على البستان فأحرقت.

[٢١] فَأَصْبَحَتْ الْجَنَّةُ كَالصَّرِيمِ أي كالمقطوع ثماره، من «صرم» بمعنى قطع، أو كالليل المظلم، و يقال الليل و النهار صريمان لانصرام أحدهما عن الآخر.

[٢٢] فَتَنَادُوا أي الأخوة أصحاب الجنة، نادى بعضهم بعضا

(١) تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٨١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٨٥

[سورة القلم (٦٨): الآيات ٢٢ الى ٢٧]

أَنْ أَعْدُوا عَلَى حَزْبِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانطَلَقُوا وَ هُمْ يَتَخَفَتُونَ (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ (٢٤) وَ عَدُوا عَلَى حَزْبٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧)

مُصْبِحِينَ أي حال كونهم داخلين في الصباح.

[٢٣] وَ كَانَ النِّدَاءُ مِنْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ أَنْ أَعْدُوا أَيُّهَا الْأَخُوَّةُ، أي أسرعوا غدوة على حَزْبِكُمْ أي زرعكم و ثمركم إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ مِنْ «صرم» بمعنى قطع، أي إن تريدون قطع الثمار.

[٢٤] فَانطَلَقُوا مَضُوا إِلَى الْبِسْتَانِ وَ هُمْ يَتَخَفَتُونَ أي يتسارون بينهم، و أصله من خفت فلان نفسه، إذا أخفى نفسه لئلا يراه أحد، و منه يسمى مقابل الجهر إخفاتا.

[٢٥] وَ كَانَ التَّخَافُتُ بِسَبَبِ أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا أَي الْجَنَّةُ الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ أي في يوم الصرم و قطع الثمر مَسْكِينٌ فاعل يدخل.

[٢٦] وَ هَكَذَا ذَهَبُوا حَتَّى وَصَلُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَ عَدُوا أَي أَصْبَحُوا عَلَى حَزْبٍ بِمَعْنَى الْمَنْعِ يُقَالُ حَارَدَتِ السَّنَةُ: إِذَا مَنَعَتْ قَطْرَهَا قَادِرِينَ أَي

قدروا على المنع عن الثمر لا على الثمر، وهذا كالأستهزاء بهم كما يقال فلان امتلأت كفه من الهواء عوض امتلائها من المال، يعنى أنهم أصبحوا ممنوعين من الثمر، فقد قدروا على الحرد و الحرمان لا على الثمار و الأعناب.

[٢٧] فَلَمَّا رَأَوْهَا أَي رَأُوا الْجَنَّةَ عَلَى تِلْكَ الصَّفَةِ قَالُوا أَي قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِنَّا لَصَّالُونَ أَي ضَلَلْنَا الطَّرِيقَ، فَلَيْسَتْ هَذِهِ جَنَّتَنَا.

[٢٨] و لما تأملوا و رأوا أنها جنتهم بعينها، أضربوا عن كلامهم الأول و قالوا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٨٦

[سورة القلم (٦٨): الآيات ٢٨ الى ٣٢]

قَالَ أَوْسَيْطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا تَسْبِحُون (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ عَنْ الثَّمَارِ وَ عَنْ خَيْرِ الْجَنَّةِ، فَلَقَدْ احْتَرَقَتْ.

[٢٩] قَالَ أَوْسَيْطُهُمْ أَي أَعْقَلَهُمْ، وَ يُقَالُ لِلْأَعْقَلِ أَوْسَطٌ، لِأَنَّهُ لَا إِفْرَاطَ فِي أَمْرِهِ وَ لَا تَفْرِيطَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ حِينَمَا أُرِدْتُمْ مَنَعَ الْفُقَرَاءَ لَوْ لَا أَي هَلَا تَسْبِحُونَ وَ تَتَزَهَوْنَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ؟ فَقَدْ قَالَ لَهُمْ حِينَ مَا تَوَاطَأُوا عَلَى مَنَعَ الْفُقَرَاءَ: أَيُّهَا الْأَخُوَّةُ اذْكُرُوا اللَّهَ وَ نَزَهْهُ عَنِ الْقَبِيحِ فَإِنَّهُ مَنَزَهُ عَنْ أَنْ يُعْطَى الْأَغْنِيَاءَ وَ يَحْرَمَ الْفُقَرَاءَ، لَكِنِّكُمْ رَكِبْتُمْ رُؤُوسَكُمْ وَ أَعْرَضْتُمْ عَنِ النَّصِيحِ، فَهَذَا جَزَاءُ نِيَّتِكُمُ السَّيْئَةِ.

[٣٠] وَ بَعْدَ انْتِهَاءِ كُلِّ شَيْءٍ قَالُوا سُبْحَانَ رَبَّنَا فَإِنَّهُ تَعَالَى لَيْسَ ظَالِمًا فِي إِحْرَاقِ بَسْتَانِنَا، بَلْ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ حَيْثُ قَصَدْنَا مَنَعَ الْحَقُوقِ عَنِ الْفُقَرَاءِ.

[٣١] فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ أَي بَعْضُ الْأَخُوَّةِ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ أَي يُلُومُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى مَا سَبَقَ مِنْهُمْ مِنَ النِّيَّةِ السَّيْئَةِ.

[٣٢] قَالُوا يَا وَيْلَنَا أَي يَا قَوْمَ وَيْلِنَا، أَوْ يَا وَيْلَنَا أَحْضَرَ فَهَذَا وَقْتُكَ، وَ الْوَيْلُ هِيَ الْحَالَةُ السَّيْئَةُ إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ فِي عَزْمِنَا عَلَى مَنَعَ الْفُقَرَاءِ حَقُوقَهُمْ، وَ الطَّغْيَانُ هُوَ الظُّلْمُ الْمُتَجَاوِزُ حُدُودَهُ.

[٣٣] عَسَى رَبُّنَا أَي لَعَلَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا أَي خَيْرًا مِنْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٨٧

[سورة القلم (٦٨): الآيات ٣٣ الى ٣٧]

كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَ لَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ (٣٤) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧)

هذه الجنة، بأن يتفضل علينا ببدلها و عوضها، ف إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ نرغب إليه و نطلب غفرانه و نسأله أن يعوضنا بدل الجنة.

[٣٤] كَذَلِكَ الْعَذَابُ أَي كَعَذَابِ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ، يَكُونُ عَذَابُ الْعَاصِينَ فِي الدُّنْيَا وَ لَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَي لَوْ عَلِمُوا مَقْدَارَ عَذَابِ الْآخِرَةِ، لَعَلِمُوا أَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا.

[٣٥] وَ فِي مِقَابِلِ هَؤُلَاءِ الْمُتَّقُونَ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ اتَّقَوْا الْكُفْرَ وَ الْمَعَاصِيَ، بِأَن خَافُوا عِقَابَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ رَبِّهِمْ أَي فِي الْآخِرَةِ وَ كُونَهُ عِنْدَ اللَّهِ بِاعْتِبَارِ الْقُرْبِ إِلَى رِضَاهِ لَا الْقُرْبِ الْمَكَانِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ أَي بِسَاتِينَ يَتَنَعَّمُونَ فِيهَا.

[٣٦] أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ كَالْمُجْرِمِينَ الَّذِينَ أَذْنَبُوا وَ عَصَوْا اللَّهَ سُبْحَانَهُ؟ وَ هَذَا اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارِيٌّ، أَي كَيْفَ نَجْعَلُ الْمُسْلِمَ وَ الْمُجْرِمَ - فِي الْآخِرَةِ - سَوَاءً؟ وَ قَدْ كَانَ الْكُفْرَارُ يَقُولُونَ: إِنْ كَانَ بَعْثٌ وَ جَزَاءٌ لَكَانَ حَالُنَا فِي الْآخِرَةِ أَفْضَلَ مِنْ أَحْوَالِ مُحَمَّدٍ وَ أَصْحَابِهِ.

[٣٧] مَا لَكُمْ أَيُّهَا الْكُفْرَارُ؟ كَيْفَ تَحْكُمُونَ حَكْمًا جَائِرًا فِي أَنْ الْمُجْرِمَ كَالْمُسْلِمِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى؟ وَ هَلْ يَعْقِلُ هَذَا الْحَكْمَ؟

[٣٨] أَمْ أَيُّ هَلْ أَنْ حَكْمَكُمْ بِذَلِكَ لَيْسَ اعْتِبَاطًا، بَلْ لَكُمْ كِتَابٌ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٨٨

[سورة القلم (٦٨): الآيات ٣٨ الى ٤١]

إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (٣٨) أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْعَمَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٣٩) سَلِمْتُمْ أَيْتُهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ (٤٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٤١)

سماوى نزل على الأنبياء السابقين فيه تَدْرُسُونَ و تَقْرُؤُونَ مساواة المجرم و المسلم؟

[٣٩] تدرسون ب إِنْ لَكُمْ أَنْتُمْ الْكُفَّارِ فِيهِ أَى فى ذلك الكتاب لَمَا تَخَيَّرُونَ أَى للشىء الذى تختارونه من الثواب فى الآخرة، و جملة

«إن لكم ...» أول الكلام على سبيل الاستهزاء، و لذا كسرت همزة إن، و إن كان فى الحقيقة من متعلقات «تدرسون» كما فسرنا.

[٤٠] أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا أَى عهود و موثيق علينا بأن أخذتم منا عهودا بِالْعَمَةِ تلك العهود إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ تكون هى لكم جيلا بعد

جيل إِنْ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ أَى أن تلك العهود هى أن لكم أنتم كلما حكمتم من تساوى المؤمنين بكم، و إدخالكم الجنة؟

[٤١] سَلِمْتُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أصله «اسأل» حذفت الهمزة تخفيفا أَيْتُهُمْ بِذَلِكَ الذى ذكروا من أن لهم مثل ما للمسلمين زَعِيمٌ كفى؟ فمن

الكفىل بأن يكون لهم مثل ما للمسلمين؟ و إذ لا كتاب و لا إيمان، و لا كفىل فليعرفوا أن كلامهم فارغ خال من كل حجة و دليل.

[٤٢] أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ أَى آلهة أخرى هم يعطون هؤلاء الكفار فى الآخرة مثل ما يعطى الله المؤمنين؟ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ فى يوم القيامة

ليأخذوا منهم- و هذا استهزاء بهم- إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فى كلامهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٨٩

[سورة القلم (٦٨): الآيات ٤٢ الى ٤٤]

يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتِطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَ هُمْ

سَالِمُونَ (٤٣) فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤)

إن لهم مثل ما للمؤمنين.

[٤٣] فليأتوا بشركتائهم فى يوم القيامة الذى تظهر فيه الأهوال و الشدائد حتى أنه يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَإِنِ الْخَوْفُ إِذَا كَانَ شَدِيدًا كَشَفَ

الإنسان عن ساقه، بأن رفع ثوبه ليكون أسهل فى الهرب، فلا يأخذ فاضل ثوبه رجله، و هذا كناية عن الهول- كما إن «كثير الرماد»

كناية الجود و يُدْعَوْنَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ فى ذلك اليوم إِلَى السُّجُودِ فيقال لهم على سبيل التقرير و التوبيخ «اسجدوا» فَلَا يَسْتِطِيعُونَ لِأَن

فقار ظهريهم تتداخل و تصلب حتى لا يتمكنون من الانحناء للسجود كما يظهر من الأحاديث.

[٤٤] خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ لا يرفعون نظرهم من الأرض ذلة و مهانة و وجلا تَرْهَقُهُمْ أَى تغشاهم ذلة فإنها تظهر من حركاتهم و سكناتهم و

وجناتهم و قد كانوا يُدْعَوْنَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ- فى دار الدنيا- إِلَى السُّجُودِ و الخضوع لله سبحانه وَ هُمْ سَالِمُونَ فلا يسجدون، و لذا جوزوا

بتلك الذلة، و بعدم تمكنهم من السجود يوم القيامة.

[٤٥] فَذَرْنِي أَى دعنى يا رسول الله و مَنْ أَى مع الكافر الذى يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَى بحديث التوحيد و الرسالة و المعاد و هذا

تهديد، معناه انى سأجازيهم، كما يقول القائل «دعنى و إياه» أَى اتركه فإنى سوف أحاسبه سَنَسْتَدْرِجُهُمْ الاستدراج هو طلب الشىء

درجة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٩٠

[سورة القلم (٦٨): الآيات ٤٥ الى ٤٧]

وَأُمْلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٦) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ (٤٧)

درجة حتى يصل إلى النهاية المقصودة، أَى نوجب على هؤلاء العقوبة بإعطائهم الحياة و المال حتى يتدرجوا فى الكفر و العصيان، و

يستحقوا بذلك أشد العذاب مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ إنه استدراج إلى العذاب و العقاب، بل يظنون إنها نعمة و صحة و مال و جاه.

[٤٦] وَأُمْلِي لَهُمْ أَى أمهلهم، فإن الإملاء و الإمهال بمعنى واحد إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ أَى ما أدبره لعذاب الأشقياء متين مستحکم لا ينفصم

و لا يدخله النقص و الخلل.

[٤٧] ثم عطف على قوله «أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ» قوله: أَمْ تَشِئْتُمْ لَهُمْ أَى تَسْأَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ أَجْرًا عَلَى أَدَاءِ الرِّسَالَةِ وَ الدَّعَاءِ إِلَى الْإِسْلَامِ فَهُمْ مِنْ مَعْزَمِ أَى مِنْ لُزومِ تِلْكَ الْغَرَامَةِ، وَ الْمَالِ الَّذِي تَطْلِبُهُ مِنْهُمْ مُثَقَّلُونَ قَدْ أَثْقَلَهُمْ ذَلِكَ الْمَطْلُوبُ، وَ لَذَا يَرِيدُونَ الْفِرَارَ مِنْ تِلْكَ الْغَرَامَةِ، فَعَدَمَ إِيمَانِهِمْ هَلْ لَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ لَا فَائِدَةٌ فِي الْإِيمَانِ، لِأَنَّهُمْ مَطْمَئِنُونَ، مِنْ كِتَابِ قَرِئِهِمْ فِي الْجَنَانِ مِثْلَ الْمُسْلِمِينَ - أَمْ لَأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ الْفَائِدَةَ فِي الْإِيمَانِ، وَ أَنَّ الْجَنَّةَ تَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ، وَ لَكِنْ فِي الْإِيمَانِ غَرَامَةٌ وَ هُمْ يَفِرُونَ مِنْ تِلْكَ الْغَرَامَةِ؟

[٤٨] أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ أَى أَنَّ الْوَحْيَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَ الْعِصْيَانِ هُوَ الصَّحِيحُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ذَلِكَ الْغَيْبَ وَ يَعْمَلُونَ بِهِ، وَ لَذَا لَا يَرْضَخُونَ لِلْإِسْلَامِ، لِأَنَّ عِنْدَهُمْ مِثْلَ مَا عِنْدَكَ مِنَ الْوَحْيِ وَ الْكِتَابِ؟

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٩١

[سورة القلم (٤٨): الآيات ٤٨ الى ٥٠]

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لَا - تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَ هُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَوْ لَا أَنَّ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنَبَذَ بِالْعَرَاءِ وَ هُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥٠)

[٤٩] وَ إِذْ تَرَى يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ الْكُفَّارِ الْإِعْرَاضَ بِلا حِجَّةٍ أَوْ دَلِيلٍ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فِي إِبْلَاحِ الرِّسَالَةِ، وَ تَحْمِلِ الْمَشَاقِقَ فِي سَبِيلِهِ وَ لَا تَكُنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَصَاحِبِ الْحُوتِ أَى يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي طَلَبَ الْعَذَابَ لِقَوْمِهِ، وَ خَرَجَ مِنْ بَيْنِهِمْ، لَمَّا رَأَى عَدَمَ الْفَائِدَةِ فِي دَعْوَتِهِمْ فَقَدْ كَانَ عَمَلُهُ ذَلِكَ تَرَكَ الْأُولَى بِمِثْلِ مَقَامِ الرِّسَالَةِ إِذْ نَادَى اللَّهُ سَبْحَانَهُ بِإِنزَالِ الْعَذَابِ عَلَى قَوْمِهِ وَ هُوَ مَكْظُومٌ قَدْ كَظَمَ غَيْظَهُ عَلَى الْقَوْمِ فَهُوَ مَكْظُومُ الْغَيْظِ، يُقَالُ كَظَمَ غَيْظَهُ: إِذَا حَبَسَهُ، أَوْ الْمَعْنَى نَادَى فِي بَطْنِ الْحُوتِ لَا - إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ «١» وَ هُوَ مَحْبُوسٌ فِي بَطْنِ الْحُوتِ، لَكِنْ الْمَعْنَى الْأُولَى أَقْرَبُ إِلَى قَوْلِهِ «وَ لَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ».

[٥٠] لَوْ لَا أَنَّ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ بِقَبُولِ تَوْبَتِهِ وَ اسْتِغْفَارِهِ فَانِ التَّوْبَةَ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ عَلَى الْعَبْدِ لَنَبَذَ يُونُسَ، أَى طَرَحَ مِنْ بَطْنِ الْحُوتِ بِالْعَرَاءِ أَى الْأَرْضِ الْجُرْدَاءِ الْخَالِيَةَ عَنِ الشَّجَرِ وَ السَّقْفِ حَتَّى يَهْلِكَ مِنَ الْحَرِّ وَ الْبَرْدِ وَ الْجُوعِ وَ هُوَ مَذْمُومٌ لَمَّا ارْتَكَبَهُ مِنَ الدَّعَاءِ عَلَى قَوْمِهِ، فَقَدْ كَانَ ذَلِكَ تَرَكَ لِلأُولَى، وَ ذَلِكَ - وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ عِصْيَانًا - إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ مَنَاسِبًا لِمَقَامِ الْأَنْبِيَاءِ، وَ لَذَا يَحْتَاجُونَ إِلَى التَّوْبَةِ وَ التَّطَهِيرِ مِنْ ذَلِكَ.

[٥١] وَ إِذَا تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاسْتَغْفِرْ وَ تَابَ فَاجْتَبَاهُ أَى اصْطَفَاهُ

(١) الأنبياء: ٨٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٩٢

[سورة القلم (٤٨): الآيات ٥١ الى ٥٢]

وَ إِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَ مَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٥٢) وَ اخْتَارَهُ رَبُّهُ بِأَنَّ قَبْلَ تَوْبَتِهِ وَ أَرْجَعَهُ إِلَى مَكَانِهِ الْأُولَى فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ يَصْلِحُونَ لِأَدَاءِ رِسَالَتِهِ سَبْحَانَهُ.

[٥٢] فَاصْبِرْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِحُكْمِ رَبِّكَ، وَ لَا - تَكُنْ كَيُونُسَ، وَ اعْلَمْ أَنَّ الْكُفَّارَ يَرِيدُونَ إِزَالَتَكَ عَنْ دَعْوَتِكَ وَ إِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ «إِنْ» مَخْفَفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، أَى أَنَّهُ يَقْرَبُ الْكُفَّارَ مِنْ أَنْ يَزْلِقُوكَ، وَ «زَلَقَ» بِمَعْنَى لَمْ يَتَمَاسَكَ عَلَى الْأَرْضِ بَلْ وَقَعَ لَتَمَاسِيلِ رِجْلِهِ، أَى يَرِيدُ الْكُفَّارَ أَنْ يَوْقِعُوكَ فَلَا تَقُومُ لِلتَّبْلِيغِ، وَ هَذَا لِلتَّشْبِيهِ، فَإِنَّ الَّذِي يَتَرَكَ الْقِيَامَ بِالْبَلَاغِ كَالْإِنْسَانَ الَّذِي وَقَعَ فَلَا وَقُوفَ لَهُ عَلَى رِجْلِهِ بِأَبْصَارِهِمْ أَى بِأَعْيُنِهِمْ، فَقَدْ كَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَى الرَّسُولِ شِزْرًا، وَ النَّظَرَ الْعِدَائِيَّ يَوْجِبُ انْقِطَاعَ الْإِنْسَانَ عَمَّا قَامَ بِهِ، فَإِنَّ الشَّخْصَ إِذْ رَأَى الْإِزْدِرَاءَ مِنَ السَّمْعِ لَمْ يَتَقَدَّمْ بِالْكَلَامِ لَمَّا سَمِعُوا أَوْلَيْتَكَ الْكُفَّارَ الذِّكْرَ أَى الْقُرْآنَ وَ يَقُولُونَ إِنَّهُ أَى الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ لَمَجْنُونٌ قَدْ خَلَطَ عَقْلَهُ وَ زَالَ، فَكَلَامُهُ بَاطِلٌ لِعَوَى.

[٥٣] وَ مَا هُوَ وَ الْحَالُ أَنَّهُ لَيْسَ هَذَا الْقُرْآنُ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ يَذْكُرُهُمْ مَا أودع في فطرتهم من التوحيد و المعاد و ما أشبه.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٩٣

٦٩ سورة الحاقه مكيه / آياتها (٥٣)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على لفظه «الحاقه»، و هي كسائر السور المكيه تشتمل على معالجه قضايا العقيدة، و حيث تعرضت سورة «القلم» في أواخرها بقضايا القيامة و وعيد الكفار بها ابتدأت هذه السورة بذلك.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نَشْرَعُ بِاسْمِ الْإِلَهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، فَاسْمُهُ الْكَرِيمُ أَفْضَلُ شَيْءٍ يَشْرَعُ بِهِ فِي الْأُمُورِ، إِنَّهُ يَبَارِكُ عَلَى مَا ابْتَدَى فِيهِ بِاسْمِهِ، كَمَا

ورد «كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر»،

الرحمن الرحيم الذي يتفضل بالرحمة لمن سأله و لمن لم يسأله، و إن كان من سأله مورد عنايته و أظافه الخاصه، بالإضافة إلى رحمته التي وسعت كل شيء.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٩٤

[سورة الحاقه (٦٩): الآيات ١ إلى ٦]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَ عَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤)

فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَ أَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦)

[٢] الْحَاقَّةُ هِيَ مِنْ أَسْمَاءِ الْقِيَامَةِ، وَ إِنَّمَا سُمِّيَ الْمَحْشَرُ بِهَا لِأَنَّهَا سَاعَةٌ تَحْقُقُ وَ تَتَحَقَّقُ، مِنْ «حَقَّ» بِمَعْنَى ثَبَتَ وَ صَدَقَ وَ وَجِبَ، وَ هِيَ فِي الْإِعْرَابِ مُبْتَدَأُ خَبْرِهِ:

[٣] مَا الْحَاقَّةُ؟ كَمَا تَقُولُ: زَيْدٌ مَا زَيْدٌ؟ وَ هُوَ اسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ التَّفْخِيمُ، أَيْ أَيْ شَيْءٌ هِيَ؟ وَ مَا أَكْثَرَ أَهْوَالِهَا وَ شِدَائِدِهَا.

[٤] وَ مَا أَدْرَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا الْحَاقَّةُ أَيْ أَيْ شَيْءٌ هِيَ، فَإِنَّكَ إِذَا لَمْ تَعَايِنِهَا لَمْ تَعْلَمْ شِدَائِدِهَا، وَ هَذَا لَيْسَ نَفْيًا بِعِلْمِ الرَّسُولِ- لَوْ كَانَ الْخَطَابُ مُوجَّهًا إِلَيْهِ- بَلْ كِنَايَةٌ عَنْ شِدَّتِهَا.

[٥] ثُمَّ جَاءَ السِّيَاقُ لِيُبَيِّنَ أَحْوَالَ جَمَلَةٍ مِنَ الْأُمَّمِ الْمَاضِيَةِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْقِيَامَةِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَ أَهْلَكَهُمْ كَذَّبَتْ ثَمُودُ أَيْ قَبِيلَةَ ثَمُودَ، وَ هُمْ قَوْمٌ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ قَبِيلَةُ عَادَ قَوْمٌ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْقَارِعَةِ أَيْ بِالْقِيَامَةِ، وَ تَسْمَى «قَارِعَةً» لِأَنَّهَا تَقْرَعُ الْأَشْيَاءَ وَ تَدَكُّهَا وَ تَقْرَعُ الْقُلُوبَ وَ تَخْفِيفُهَا.

[٦] فَأَمَّا ثَمُودُ فَقَدْ جُوزُوا عَلَى تَكْذِيبِهِمْ بِأَنَّهُمْ أَهْلَكُوا بِالطَّاغِيَةِ أَيْ بِالصَّيْحَةِ الطَّاغِيَةِ الَّتِي طَغَتْ عَلَيْهِمْ فَخَلَعَتْ قُلُوبَهُمْ وَ أَهْلَكَتَهُمْ.

[٧] وَ أَمَّا عَادٌ فَقَدْ جُوزُوا عَلَى تَكْذِيبِهِمْ بِأَنَّهُمْ أَهْلَكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ أَيْ بَارِدَةٍ شَدِيدَةٍ الْعُصْفِ عَاتِيَةٍ قَدِ عَتَّتْ عِنْدَ حُدُودِهَا الْمَأْلُوفَ، وَ الرِّيحُ مُؤَنَّثٌ سَمَاعِيٌّ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٩٥

[سورة الحاقه (٦٩): الآيات ٧ إلى ٩]

سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صِرْعى كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٨) وَ جَاءَ فِرْعَوْنُ وَ مَنْ قَبْلَهُ وَ الْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (٩)

[٨] سَخَّرَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ كَانَتْ مَرْسَلُهُ نَحْوَهُمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ فَكَانَتْ تَهْلِكُهُمْ بِبَرْدِهَا وَ صَرِيرِهَا حُسُومًا أَيْ فِي حَالِ كَوْنِ تِلْكَ اللَّيَالِيِ وَ الْأَيَّامِ وَ لَاءِ مُتَابَعَةٍ، مَأْخُوذٌ مِنْ «حَسَمَ الدَّاءُ بِمُتَابَعَةِ الْكَيْ»، أَوْ بِمَعْنَى أَنَّهَا حَسَمَتْهُمُ أَيْ قَطَعَتْ نَسْلَهُمْ بِحَيْثُ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ

فَتَرَىٰ أَيُّهَا الرَّائِي الْقَوْمَ أَيُّ قَبِيلَةٍ عَادَ فِيهَا أَيُّ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ صِرَعِي مَصْرُوعِينَ، جَمَعَ صَرِيحًا، وَهُوَ الشَّخْصُ الْوَاقِعُ مِثْلًا كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلِ خَاوِيَةٍ أَيُّ أَصُولِ نَخْلٍ بِالْيَةِ، فَإِنَّ أَعْجَازَ جَمَعَ عَجَزٌ وَهُوَ أَصْلُ النَّخْلِ وَالْخَاوِيُ الْخَالِي الَّذِي لَا شَيْءَ فِي جَوْفِهِ، وَشَبَّهُوا بِذَلِكَ لِأَنَّ اسْتِطَالَه جَسْمَهُمْ وَبَقَائِهِمْ فِي الْأَرْضِ يَشْبَهُ ذَلِكَ.

[٩] فَهَلْ تَرَىٰ أَيُّهَا الرَّائِي لَهُمْ أَيُّ لَأَوْلَيْكَ الْأَقْوَامِ الْمَكْذِبِينَ مِنْ بَاقِيَةِ أَيُّ مِنْ نَفْسٍ بَاقِيَةٌ؟ وَهَذَا اسْتِفْهَامٌ لِلإِيقَاطِ، أَيُّ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَكَذَلِكَ كُلُّ أُمَّةٍ كَذَبَتْ لَا بَدَّ لَهُمْ مِنَ الْفَنَاءِ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ.

[١٠] وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَ قَوْمُهُ الْعَاصُونَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ قَبْلَهُ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَحْوِهِمْ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ أَيُّ قَرَى لُوطَ التِّي قَلْبَتْ - مِنْ «اتَّفَكَ» أَيُّ انْقَلَبَ - وَ الْمَرَادُ أَهْلُ تِلْكَ الْقَرَى بِالْخَاطِئَةِ أَيُّ بِالْخَطَا، فَإِنَّهَا مَصْدَرٌ «خَطَأٌ» أَوْ الْمَرَادُ بِالْخِصْلَةِ الْخَاطِئَةُ نَسَبَتْ الْخَطَا إِلَيْهَا مَجَازًا بَعْدَ مَا كَانَ مَنْسُوبًا إِلَى الْقَوْمِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٩٦

[سورة الحاقة (٦٩): الآيات ١٠ الى ١٤]

فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَهُ رَبِّيَّةٌ (١٠) إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكَرَةً وَتَعِيَهَا أذُنٌ وَأَعْيَةُ (١٢) فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤)

[١١] فَعَصَوْا أَوْلَيْكَ الْأَقْوَامِ رَسُولَ رَبِّهِمْ أَيُّ كُلِّ قَوْمٍ رَسُولُهُ، وَ الْمَرَادُ بِالرَّسُولِ الْجِنْسُ لَا الْوَاحِدَ - كَمَا تَقَدَّمَ وَجْهَهُ سَابِقًا - فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِالْعُقُوبَةِ أَخَذَهُ رَبِّيَّةً أَيُّ زَائِدَةً فِي الشَّدَةِ مِنْ «رَبِي» بِمَعْنَى زَادَ وَ طَغَى.

[١٢] لَقَدْ أَخَذْنَا الْأَقْوَامَ الْمَكْذِبِينَ، وَأَنْجَيْنَا الْمَصْدُقِينَ، كَمَا إِنَّا أَنْجَيْنَا الْمُؤْمِنِينَ بِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِينَ هُمْ أَجْدَادُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ أَيُّ جَاوَزَ الْحُدَّ الْمَأْلُوفَ حَتَّى أَغْرَقَ الْأَرْضَ كُلَّهَا حَمَلْنَاكُمْ إِنَّمَا نَسَبَ الْحَمْلَ إِلَيْهِمْ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُمْ مِنْ أَوْلَادٍ مِنْ حَمَلُوا فِي الْجَارِيَةِ أَيُّ فِي السَّفِينَةِ التِّي كَانَتْ تَجْرِي فِي تِلْكَ الْمِيَاهِ الْكَثِيرَةِ.

[١٣] لِنَجْعَلَهَا أَيُّ نَجْعَلُ تِلْكَ الْفَعْلَةَ التِّي فَعَلْنَا بِكُمْ حِينَ آمَنْتُمْ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ تَذْكَرَةً تَتَذَكَّرُونَ بِهَا نَعْمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعِيَهَا مِنْ «وَعَى» بِمَعْنَى أَدْرَكَ، أَيُّ تَحْفَظُهَا وَتَدْرِكُهَا أذُنٌ وَأَعْيَةُ أَيُّ أذُنٌ تَعَى الْمَوَاعِظَ وَتَسْتَمِعُ لِلْعَبْرِ بِقَصْدِ التَّفْهَمِ وَالْعَمَلِ.

[١٤] وَ إِذَا رَأَيْتُمْ عَاقِبَةَ الْمَكْذِبِينَ وَ عَاقِبَةَ الْمَصْدُقِينَ فِي الدُّنْيَا فَاسْمَعُوا عَاقِبَتَهُمَا فِي الْآخِرَةِ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ أَيُّ نَفْخِ إِسْرَافِيلَ فِي الْبُوقِ لِأَجْلِ إِحْيَاءِ الْبَشَرِ نَفْخَتَهُ الثَّانِيَةَ نَفْخَةً وَاحِدَةً بِلا زِيَادَةٍ عَلَيْهَا إِذْ لَا حَاجَةَ إِلَى أَكْثَرِ مِنْهَا، فَإِنَّ الْبَشَرَ يَحْيُونَ بِمَجْرَدِ النَّفْخَةِ.

[١٥] وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ أَمَا حَمَلُ الْأَرْضِ فَبِاعْتِبَارِ رَفْعِ مَنْحَدَرَاتِهَا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٩٧

[سورة الحاقة (٦٩): الآيات ١٥ الى ١٧]

فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧)

حَتَّى تَسْتَوِيَ مَعَ سَائِرِ بَقَاعِهَا، وَ أَمَا رَفْعُ الْجِبَالِ فَبِاعْتِبَارِ أَنَّهَا تَنْسِفُ حَتَّى تَكُونَ كَالْهَبَاءِ لِتَسْتَوِيَ ظَهْرُ الْأَرْضِ كُلِّهَا بِلا رَفْعٍ وَ لا خَفْضٍ، وَ تَكُونَ سَاحَةَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهَا فَدُكَّتَا أَيُّ كَسَرْتَا وَ دَكَّ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ دَكَّةً وَاحِدَةً فَإِنَّ «الدَّكَّ» يَشْمَلُ الْأَرْضَ وَ الْجِبَالَ مَرَّةً وَاحِدَةً لَا تَدْرِجًا.

[١٦] فَيَوْمَئِذٍ أَيُّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ أَيُّ الْقِيَامَةُ، وَ سُمِّيَتْ «وَاقِعَةً» لِأَنَّهَا تَقَعُ قِطْعًا.

[١٧] وَ انْشَقَّتِ السَّمَاءُ بِمَعْنَى انْفِرَجَتْ حَتَّى يَنْظُرَ الْإِنْسَانُ إِلَيْهَا فَيَرَاهَا مَتَفَطَّرَةً كَانْفِطَارِ الْجِدَارِ وَ نَحْوَهُ فَهِيَ أَيُّ السَّمَاءِ يَوْمَئِذٍ أَيُّ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَاهِيَةٌ مِنْ «وَهَى» بِمَعْنَى ضَعْفٌ، لِأَنَّ نِظَامَهَا يَخْتَلُ، وَ مَدَارَاتُهَا تَتَدَاخَلُ وَ تَخْرُبُ.

[١٨] وَ يَرَى الْمَلَكُ النَّازِلَ لِلْحِسَابِ وَ سَائِرَ الْأَعْمَالِ عَلَى أَرْجَائِهَا أَيُّ عَلَى أَطْرَافِ السَّمَاءِ وَ نَوَاحِيهَا، وَ «أَرْجَاءُ» جَمْعُ «رَجَاءٍ» بِمَعْنَى

الطرف و الناحية و يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ يا رسول الله، و هو محل سمي بالعرش يصدر منه أوامر الله سبحانه، كما أن البيت الحرام محل مضاف إليه سبحانه تشريفا فَوْقَهُمْ أى فوق أكتافهم يَوْمَئِذٍ أى فى يوم القيامة ثَمَانِيَةَ من الملائكة العظام، و كل ذلك لتكثير الهول، و التناسب مع مدارك الإنسان الذى يرى العظمة و يشعر الخوف من هذه الأمور.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٩٨

[سورة الحاقة (٦٩): الآيات ١٨ الى ٢١]

يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُومٌ أَقْرَأُوا كِتَابِيَهُ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهُ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشِهِ رَاضِيَهُ (٢١)

[١٩] يَوْمَئِذٍ أى فى هذا اليوم تُعْرَضُونَ أنتم أيها البشر فى ذلك العرض الهائل الرهيب لا تَخْفَى مِنْكُمْ نفس خَافِيَةٌ فليس أحد هناك مخفيا لأنه لا محل للاختفاء، بل كلهم بارزون يراهم الناس معهم أعمالهم إن خيرا فخير و إن شرا فشر.

[٢٠] و هناك ينقسم الخلق إلى قسمين: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ أى صحيفه أعماله التى أدرج فيها الملائكة كل ما عمل فى دار الدنيا بِيَمِينِهِ أى بيده اليمنى، و ذلك علامة الفلاح و النجاه فَيَقُولُ لأهل القيامة- فى فرح و سرور- هَؤُومٌ أى تعالوا و خذوا، اسم فعل أمر بصيغته الجمع، مفرد «ها» أَقْرَأُوا كِتَابِيَهُ و انظروا ما فيه من الحسنات، و الهاء فى «كتابه» و نحوه للسكت، يقرأ فى الوقف و لا يقرأ فى الوصل، و كأنه جىء به للتنفس بأن لا يحبس النفس على الياء.

[٢١] إِنِّي ظَنَنْتُ فى الدنيا أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهُ فى الآخرة، و لذا عملت صالحا حتى حصلت على هذه المرتبة الرفيعة من الفلاح و النجاح و الإتيان ب «ظننت» لعله لإفادة أن مجرد الظن كاف فى العمل الصالح إذ رفع الضرر المظنون واجب بحكم العقل.

[٢٢] فَهُوَ أى صاحب الكتاب الذى أعطى كتابه بيمينه فى عِيشِهِ رَاضِيَهُ نسبة الرضا إلى العيش مجاز، فإن صاحب العيش هو الراضى أو أن اسم الفاعل بمعنى اسم المفعول- كما قالوا فى أن هذين يأتى كل واحد منهما

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٤٩٩

[سورة الحاقة (٦٩): الآيات ٢٢ الى ٢٧]

فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَائِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهُ (٢٥) وَ لَمْ أُدْرِ مَا حِسَابِيَهُ (٢٦) يَا لَيْتَنِي كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧)

فى مكان الآخر، ف جِجَابًا مَشْتُورًا «١» بمعنى ساترا كما تقدم-.

[٢٣] فِي جَنَّةٍ أى بستان عَالِيَةٍ رفيعة القدر و المكان.

[٢٤] قُطُوفُهَا جمع «قطف» و هو ما يجتنى بسرعة، أى ثمارها الناضجة أو أن القطف و القطف دَائِيَةٌ أى قريبة إلى الشخص، حتى لا يحتاج فى قطفها إلى التجشم و التعب، فإذا أرادها قربت من يده ليقطعها.

[٢٥] و يقال لهم- على وجه التكريم و الإجلال- كُلُوا من ثمار الجنة و لحومها و سائر مأكولاتها وَ اشْرَبُوا من أنهارها هَنِيئًا لكم أى تهنتون هنيئا، بلا داء و لا علة يوجبها الأكل و الشرب بسبب ما أَسْلَفْتُمْ أى قدمتم من أعمالكم الصالحة فى الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ أى الماضية، و المراد بها أيام الدنيا التى خلت و مضت.

[٢٦] و إذ رأينا أحوال أهل الجنة فلننظر إلى أحوال أهل النار وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ أى أعطى كِتَابَهُ أى كتاب أعماله التى أدرجها الملائكة فيه بِشِمَالِهِ أى بيساره، و ذلك علامة أهل النار فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ أى لم أعط كِتَابِيَهُ حتى أرى ما يسوؤنى فيه.

[٢٧] وَ لَمْ أُدْرِ أى يا ليتنى لم أعرف ما حِسَابِيَهُ أى أى شىء حسابى.

[٢٨] يَا لَيْتَنِي أى ليت الموتة التى متها فى الدنيا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ تقضى

(١) الإسراء: ٤٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٠٠

تقريب القرآن إلى الأذهان ج ٥ ٥٤٩

[سورة الحاقة (٦٩): الآيات ٢٨ الى ٣٣]

ما أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢)

إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣)

على حياتي إلى الأبد فلم أبعث بعدها لأرى سيئات أعمالى و أبتلى بالخزى و العذاب.

[٢٩] ما أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ أى ما دفع عنى مالى من عذاب الله شيئاً.

[٣٠] هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ و سلطنتى و جاهى ذهبتا، فلا مال ينفع و لا سلطان ينجع - مما كرت حياتى و جهودى لهما-.

[٣١] ثم يأتى الخطاب من المصدر الأعلى للملائكة الموكلين بهذا المجرم خُذُوهُ فلا تتركوه يفر و يهرب فَغُلُّوهُ أى أوثقوه بالغل، و هو

الحديد الذى يربط أعضاء الإنسان بعضها ببعض لئلا يتمكن من الفرار.

[٣٢] ثُمَّ الْجَحِيمَ بعد إغلاله بالغل صَلُّوهُ أى أدخلوه فيها و الجحيم هى النار العظيمة.

[٣٣] ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا أى طولها بالذراع سَبْعُونَ ذِرَاعًا و الطول لتشديد العذاب و الغم عليه فَاسْلُكُوهُ أى اربطوه بها، و قيل تدخل

من حلقة و تخرج من دبره، و هذا هو سلكه فيها.

[٣٤] ثم يأتى السياق لبيان علة هذه الأنواع من العذاب إِنَّهُ أى هذا المجرم كَانَ فى الدنيا لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ مع عظمتة سبحانه، كان

يعاند و لا يؤمن.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٠١

[سورة الحاقة (٦٩): الآيات ٣٤ الى ٣٩]

وَلَا يَحْضُرُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلِينِ (٣٦) - لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (٣٧) فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨)

وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩)

[٣٥] وَلَا يَحْضُرُ أى لا يحث الناس - من باب الأمر بالمعروف - أو هو كناية عن منعه بنفسه، لأن المانع لا يحث، فأتى بالمسبب و أريد

السبب على طعام المسكين أى إطعام الفقراء، الذين يجب الحض على إطعامهم لأنهم فى معرض الهلكة.

[٣٦] فَلَيْسَ لَهُ هذا الكافر الْيَوْمَ أى فى يوم القيامة هاهنا فى المحشر حَمِيمٌ صديق ينفعه.

[٣٧] وَلَا لَهُ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ إِلَّا مِنْ غَسِيلِينِ و هو صديق قبيح أهل النار، أى غسلتهم.

[٣٨] لَا يَأْكُلُهُ أى لا يأكل الغسلين إِلَّا الْخَاطِئُونَ الذين اخطأوا فى الدنيا بالكفر و العصيان.

[٣٩] و بعد استعراض أحوال المؤمنين و الكافرين فى الآخرة يأتى السياق، ليستدل على الرسالة و ينفى مزاعم القوم حول الرسول صلى

الله عليه و آله و سلم فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ أيها البشر.

[٤٠] وَبَ ما لَا تُبْصِرُونَ أى بالمشاهدات و المغيبات، و الإتيان ب «لا» للطفة، هى الحلف، و إفادة أن الحلف لعظيم، فإذا أردت أن

تحلف، و أردت أن تبين أن الحلف عظيم تقول «لا- أقسم بحياتك إن الأمر كذا» فأنت لم تحلف مع الإلماح إلى الحلف، و على هذا

ف «لا» للنفى، لا أنها زائدة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٠٢

[سورة الحاقة (٦٩): الآيات ٤٠ إلى ٤٥]

إِنَّهٗ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَدَّكَّرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥)

[٤١] ثم بين متعلق الحلف بقوله: إِنَّهٗ أى إن القرآن لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ عند الله سبحانه، فهو من قبله، إذ الرسول لا يقول إلّا من عنده سبحانه.

[٤٢] وَمَا هُوَ أى ليس القرآن بِقَوْلِ شَاعِرٍ فقد كانوا يقولون: إن محمدا شاعر و القرآن شعر قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ أى قليل إيمانكم، أو يؤمن منكم بالرسول أشخاص قليلون، وهذا للاستنكار و التقرّيع، أى لم تكونون هكذا؟

[٤٣] وَلَا القرآن بِقَوْلِ كَاهِنٍ فقد كان بعضهم يقول: إن الرسول كاهن، و أن القرآن كهانة، و الكاهن من له اتصال بالشياطين فيأتون إليه بأخبار ملفقة مسجعة باطلها أكثر من حَقِّهَا قَلِيلًا مَّا تَدَّكَّرُونَ فلا- تذكرون الحق المودوع في فطرتكم إلّا قليلا، أو قليل منكم يتذكرون الحق.

[٤٤] إِنَّهٗ تَنْزِيلٌ أى منزل مِّن عند رَّبِّ الْعَالَمِينَ على الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

[٤٥] وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا أى افترى الرسول علينا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ المكذوبة، و التقوّل اختلاق القول و نسبته إلى من ليس منه.

[٤٦] لَأَخَذْنَا مِنْهُ أى من الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْيَمِينِ أى بيمينه بأن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٠٣

[سورة الحاقة (٦٩): الآيات ٤٦ إلى ٤٩]

ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهٗ لَتَذِكْرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ (٤٩) قَطَعْنَاهَا، لأن من يفسد فى الأرض جزاؤه أن تقطع يده. و لا يخفى أن هذا الكلام للإنكار على الكفار، لأنه يمس ساحة قدس الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و هذا من قبيل وَ أَحَدٌ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ «١» كما سبق الكلام فيه.

[٤٧] ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ أى من الرسول الْوَتِينَ أى قطعنا عرق قلبه، و هو كناية عن إهلاكه، أو المعنى لأخذنا يده اليمنى لنتقله كما يفعل الجلاد بالمجرم يأخذ يده ليسهل قتله.

[٤٨] و لو كان كاذبا، و فعلنا به ذلك فَمَا مِنْكُمْ أىها البشر مِّنْ أَحَدٍ «من» زيادة لتعميم النفي عنه أى عن الرسول حَاجِزِينَ أى لا يقدر أحد منكم أن يدفعا و يحجز بيننا و بين الرسول حتى لا تحل به عقوبتنا.

[٤٩] وَإِنَّهٗ أى القرآن لَتَذِكْرَةٌ مذكّر لما أودع فى فطرتهم من التوحيد و سائر الأ-صول لِلْمُتَّقِينَ الذين يتقون الآثام، فإن الإنسان المحافظ للحدود الذى يتقى و يخاف الزلّة يتذكر بالقرآن، و التخصيص بهم لأنهم المنتفعون بالقرآن دون سواهم.

[٥٠] وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ أىها الناس مُّكَذِّبِينَ يكذبون بالله و بالرسول، و بالمعاد، و بالقرآن. و هذا تهديد لهم بأنهم سوف يحاسبون و يعذبون بسبب تكذيبهم.

(١) الأعراف: ١٥١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٠٤

[سورة الحاقة (٦٩): الآيات ٥٠ إلى ٥٢]

وَإِنَّهٗ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهٗ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢)

[٥١] وَإِنَّهُ أَى الْقُرْآنَ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يوجب الحسرة عليهم يوم القيامة حيث لم يعملوا به مع أنه فى تناول أيديهم.

[٥٢] وَإِنَّهُ أَى الْقُرْآنَ لَحَقُّ الْيَقِينِ أَى هذا القسم من اليقين و هو اليقين البالغ درجة راقية لمطابقته للواقع، فإن هناك علم اليقين و هو ما يعلم بغير أن يشاهد، و حق اليقين و هو ما يعلم و يشاهد- و قد سبق المثال بالنار لذلك-.

[٥٣] فَسَبِّحْ أَى نَزَّهُ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ أَى سبح الله بذكر اسمه، و لا تعر للكفار بالا، بل امض فى مسئوليتك، و التنويه بذكره سبحانه على نحو التنزيه عن الصفات السيئة و الشركاء- مما يزعمها الكفار و المشركون-.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٠٥

٧٠ سورة المعارج مكية / آياتها (٤٥)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على لفظه «المعارج»، و هى كسائر السور المكية تعالج قضايا العقيدة، إلا مفتتحها فإنها مدنية و حيث ختمت سورة «الحاقة» بوعيد الكفار، افتتحت هذه السورة بمثل ذلك.

و قد كان سبب نزول مفتتح السورة على ما

روى عن الصادق عليه السلام أنه قال لما نصب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا يوم غدير خم و قال «من كنت مولاه فعلى مولاه» طار ذلك فى البلاد، فقدم على النبى صلى الله عليه وآله وسلم النعمان بن الحرث الفهرى فقال: يا رسول الله أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله و أنك رسول الله و أمرتنا بالجهاد و الحج و الصوم و الصلاة و الزكاة فقبلناها، ثم لم ترض حتى نصبت هذا الغلام- أى عليا عليه السلام- فقلت: من كنت مولاه فعلى مولاه، فهذا شىء منك أو أمر من عند الله؟ فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: و الله الذى لا إله إلا هو إن هذا من الله. فولى النعمان بن الحرث و هو يقول: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، فرماه الله بحجر على رأسه فقتله فأنزله الله «سأل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٠٦

سائلٌ بعذابٍ واقعٍ»

«١».

أقول: و إلى هذا أشير بقوله سبحانه و إذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو آتينا بعذاب أليم «٢».

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الله ليكون شروعا مباركا موصولا- بالخير، الرحمن الرحيم الذى يتفضل بالرحم بإصلاح النواقص دينا و دنيا و آخرة، فإن الرحمة فى غيره سبحانه معنى فى القلب يبعث على الخير، و فيه سبحانه إعطاء الخير.

(١) شواهد التنزيل: ج ٢ ص ٣٨١.

(٢) الأنفال: ٣٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٠٧

[سورة المعارج (٧٠): الآيات ١ الى ٤]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مَنِ اللَّهُ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِثْقَلُهُ خَمْسينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤)

[٢] سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ يعنى استدعى مستدع و طلب العذاب، و قد عرفت أنه «الفهرى»، و من المحتمل أن المراد به أعم منه

ليشمل الكفار الذين كانوا يستعجلون بالعذاب - استهزاء -.

[٣] لِلْكَافِرِينَ أَي أَنْ ذَلِكَ الْعَذَابُ لِلْكَافِرِينَ، فَهُوَ وَقَعَ بِهِمْ سِوَاءَ طَلْبِهِ أَمْ لَمْ يَطْلُبُوهُ لَيْسَ لَهُ أَي لِدَلِّكَ الْعَذَابُ دَافِعٌ يَدْفَعُهُ.

[٤] مِنَ اللَّهِ فَإِنَّ الْعَذَابَ مِنْ قَبْلِهِ سَبْحَانَهُ ذِي الْمَعَارِجِ جَمْعُ «مِعْرَاجٍ» وَهُوَ مَحَلُّ الْعُرُوجِ وَالصُّعُودِ، وَ لَعَلَّ الْمُرَادَ بِهَا السَّمَاوَاتُ الَّتِي هِيَ مَعَارِجُ لِلْمَلَائِكَةِ وَأَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ، وَ هَذَا كِنَايَةٌ عَنْ عُلُوِّ شَأْنِهِ سَبْحَانَهُ، فَإِذَا أَرَادَ شَيْئًا لَا بَدَّ وَ أَنْ يَقَعَ.

[٥] ثُمَّ بَيْنَ مَقْدَارِ ارْتِفَاعِ الْمَعَارِجِ، حَتَّى لَا يَتَوَهَّمُ أَنَّ مَقْدَارَ ارْتِفَاعِهَا كَالْمَأْلُوفِ فِي الْأُذْهَانِ مِنَ الارتفاعات القليلة تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ الْمَلَائِكَةِ، أَوْ الْمُرَادُ أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ أَي إِلَى الْمَحَلِّ الَّذِي جَعَلَهُ سَبْحَانَهُ مَصْدَرًا لِأَمْرِهِ وَ مَحَلًّا لِتَشْرِيفِهِ، كَالْبَيْتِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلَهُ مَحَلًّا لِعَنَائَتِهِ - فَإِنَّهُ سَبْحَانَهُ مَنْزَهُ عَنِ الْمَكَانِ - فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ أَي مَقْدَارُ ذَلِكَ الْيَوْمِ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فَطُولُ ذَلِكَ الْيَوْمِ - إِذَا سِيرَ فِيهِ بِالسَّيْرِ الْعَادِيِّ - خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ مِنْ سَنَى الدُّنْيَا، وَ بِمَعْرِفَةِ طُولِ ذَلِكَ الْيَوْمِ يَعْرِفُ مَقْدَارَ بَعْدِ مَحَلِّ تَشْرِيفَاتِهِ سَبْحَانَهُ مِنَ الْأَرْضِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٠٨

[سورة المعارج (٧٠): الآيات ٥ الى ١١]

فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَ نَرَاهُ قَرِيبًا (٧) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩)

وَ لَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠) يُبْصِرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمئِذٍ بَيْنِيهِ (١١)

وَ يَحْتَمِلُ فِي الْعِبَارَةِ مَعْنَى آخَرَ، وَ هُوَ أَنَّ الْعُرُوجَ إِلَى مَحَلِّ تَشْرِيفَاتِهِ إِنَّمَا هُوَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، فَهُوَ إِمَّا لِبَيَانِ مَقْدَارِ بَعْدِ مَحَلِّ التَّشْرِيفَاتِ عَنِ الْأَرْضِ وَ إِمَّا لِبَيَانِ مَقْدَارِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَ فِي الْأَحَادِيثِ كَلَامَ الْمَعْنِيِّينَ.

[٦] فَاصْبِرْ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَبْرًا جَمِيلًا لَا جَزَعُ فِيهِ وَ لَا شَكْوَى مِمَّا تَقَاسِيهِ مِنَ الْأَتْعَابِ وَ تَكْذِيبِ الْكُفَّارِ.

[٧] إِنَّهُمْ أَي الْكُفَّارِ يَرَوْنَهُ أَي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ - بِنَاءٌ عَلَى الْمَعْنَى الثَّانِي - أَوْ الْعَذَابُ بَعِيدًا وَ لِذَا يَعْمَلُونَ بِالْكَفْرِ وَ الْمَعَاصِي.

[٨] وَ نَرَاهُ أَي نَعْلَمُهُ نَحْنُ قَرِيبًا فَإِنَّ كُلَّ آتٍ قَرِيبٌ، وَ إِنْ طَالَ الْأَمَدُ فِي مَقَاسِيهِ النَّاسِ.

[٩] ثُمَّ بَيْنَ السِّيَاقِ وَ وَقْتِ الْعَذَابِ، أَوْ وَقْتِ ذَلِكَ الْيَوْمِ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ أَي الصَّفَرِ الْمَذَابِ، وَ كَأَنَّهُ لِلصَّبِّ عَلَى النَّاسِ الْمَجْرَمِينَ.

[١٠] وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ كَالصُّوفِ الْمَنْفُوشِ، فَإِنَّهَا تَطِيرُ فِي الْجَوْ هَبَاءً، كَمَا يَطِيرُ الصُّوفُ.

[١١] وَ لَا يَسْأَلُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ حَمِيمٌ أَي صَدِيقٌ حَمِيمًا أَي عَنْ صَدِيقِهِ لِشُغْلِ كُلِّ إِنْسَانٍ بِنَفْسِهِ.

[١٢] يُبْصِرُونَهُمْ أَي يَرَى بَعْضُ الْأَصْدِقَاءِ بَعْضًا وَ لَكِنْ لَا يَسْأَلُونَ عَنْهُمْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٠٩

[سورة المعارج (٧٠): الآيات ١٢ الى ١٦]

وَ صَاحِبَتِيهِ وَ أَخِيهِ (١٢) وَ فَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤) كَلَّا إِنَّهَا لَظَى (١٥) نَزَّاعَةً لِلشَّوَى (١٦)

كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَ الْفِعْلُ مَجْهُولٌ مِنْ بَابِ التَّفْعِيلِ، كَأَنَّهُ يَحْصُلُ مِنْهُمْ الْإِبْصَارُ قَهْرًا، إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ لَا يَرِيدُونَ أَنْ يَبْصُرُوا أَصْدِقَاءَهُمْ، وَ إِنَّمَا تَقَعُ عَلَيْهِمْ بِدُونِ إِرَادَةٍ يَوْمَ الْمُجْرِمِ أَي يَتَمَنَّى وَ يَحِبُّ الْعَاصِيَ لَوْ يَفْتَدِي أَي يَعْطَى الْفِدْيَةَ عَنْ نَفْسِهِ لِيُنْجِيَهَا مِنْ عَذَابٍ يَوْمئِذٍ أَي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنِيهِ بِأَنْ يَدْفَعَ عَوْضَهُ أَوْلَادَهُ الَّذِينَ هُمْ أَعَزُّ النَّاسِ عِنْدَهُ فَيَنْزِلُ بِهِمُ الْعَذَابُ دُونَهُ.

[١٣] وَ بَ صَاحِبَتِيهِ أَي يَعْطَى زَوْجَتَهُ لِلْعَذَابِ لِيُنْجُو بِنَفْسِهِ وَ بَ أَخِيهِ حَتَّى يَنْجُو.

[١٤] وَ يَفْتَدِي بِ فَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ أَي عَشِيرَتِهِ - الَّتِي انْفَصَلَ مِنْهُمْ بِالْوِلَادَةِ - الَّتِي كَانَتْ تُؤْوِي، أَي تَعْطَى الْمَأْوَى لِهَذَا الْإِنْسَانِ فِي الشَّدَائِدِ.

[١٥] وَ يَفْتَدِي بِ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا أَي يَعْطَى بَدْلَهُ جَمِيعَ الْخَلَائِقِ ثُمَّ يُنْجِيهِ ذَلِكَ الْفِدَاءَ عَنِ الْعَذَابِ.

[١٦] و هل يفيد الفداء- و لو فرضنا أنه تمكن من كل ذلك-؟ كَلَّا لا ينجيه شيء و لا يفيد الفداء إِنَّهَا أى نار جهنم لظى أى لهب خالص، و المعنى للمجرم اللهب فلا يفيد الفداء.

[١٧] فى حال كونها نَزَاعِيَةً لِلشَّوَى أى تنزع كثير الأطراف فلا تترك جلدا و لا لحما. «و شوى» الأكارع و الأطراف، و تسميتها بالشوى لأنها

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥١٠

[سورة المعارج (٧٠): الآيات ١٧ الى ٢٣]

تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّى (١٧) وَ جَمَعَ فَأَوْعَى (١٨) إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَ إِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) تشوى بالنار.

[١٨] تَدْعُوا النار إلى نفسها، بالالتهاب و الالتهام مَنْ أَدْبَرَ عن الحق، أى أعطاه دبره ليعرض عنه وَ تَوَلَّى أى أعرض عن الدين.

[١٩] وَ جَمَعَ المال فَأَوْعَى أى أمسكه فى الوعاء- كالصندوق و نحوه- فلم ينفقه فى طاعة الله.

[٢٠] إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا أى شديد الحرص، من «الهلع» و هو الحرص.

[٢١] ثم بين سبحانه معنى الهلوع بقوله: إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ أى لامسه و نزل به شر من فقر و مرض و خوف و ما أشبه جَزُوعًا أى كان كثير الجزع، بدون أن يصبر و ينتظر الفرج.

[٢٢] وَ إِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ أى لامسه و نزل به كالغنى و الصحة و الأمن و الجاه مَنُوعًا أى كان كثير المنع لخيره عن الناس و لا يقوم بواجب الشكر من بذل ماله و جاهه، و القيام فى الخدمات بصحته و أمنه.

[٢٣] إن ذلك طبيعة الإنسان و فطرته التى ركبت فيه إِلَّا الْمُصَلِّينَ الذين اتصلوا بالله سبحانه و ارتفعوا عن مهوى النفس، بالصلاة- و الإتيان بها لأنها تلازم الإيمان و سائر الصفات الحسنه-.

[٢٤] الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ يقيمونها باستمرار، فإن إقامة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥١١

[سورة المعارج (٧٠): الآيات ٢٤ الى ٢٨]

وَ الَّذِينَ فى أموالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِللسَائِلِ وَ الْمَحْرُومِ (٢٥) وَ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨)

الضلالة بصورة مستمرة توحى إلى النفس معانى الخير، لما يحصل من الإيماء المكرر الموجب لتهديب النفس كما قال فى آية أخرى وَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ «١».

[٢٥] وَ الَّذِينَ فى أموالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ و هو مقدار منه يعطيه للفقراء، و قد ورد أن الحق المعلوم يراد به غير الزكاة مما يفرضه الرجل على نفسه فيخرجه من ماله فى كل يوم أو فى كل جمعة.

[٢٦] لِللسَائِلِ الذى يسأل لافتقاره و مسكته وَ الْمَحْرُومِ و هو الفقير الذى حرم من الثروة و لا يسأل الناس لعفته.

[٢٧] وَ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ أى يؤمنون بالقيامة الذى هو يوم الجزاء- إذ الدين بمعنى الجزاء، كما قال «و لا- أنت دِيَانِي فتخزونى»- و لعل الإتيان من باب التفعيل لإفادة كثرة تصديقهم بكل ما يقع فى ذلك اليوم.

[٢٨] وَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ فى الدنيا و فى الآخرة مُشْفِقُونَ أى خائفون، من «أشفق» بمعنى خاف.

[٢٩] و إنما يخافون فِ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ بالكفار و العاصين غَيْرُ مَأْمُونٍ أى لا يؤمن حلوله، فلا ينبغى لأحد أن يأمن منه فيتمادى فى الكفر

(١) المؤمنون: ١٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥١٢

[سورة المعارج (٧٠): الآيات ٢٩ الى ٣٣]

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) والعصيان اغترارا.

[٣٠] وَالَّذِينَ هُمْ لِأَزْوَاجِهِمْ جَمْع «فرج» وهو القبل والدبر وسمى بذلك لانفراج وانشقاق فيهما حَافِظُونَ فلا- يستحلونها في المعاصي.

[٣١] إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أى زوجاتهم ويعرف العكس بالتلازم أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ أى إمائهم، ونسب الملك إلى اليمين لأنها آله اكتساب المال الموجبة لشراء الإماء، والمتعة والتحليل داخلان فى الأزواج أو الثانى داخل فى ما ملكت أيمانهم فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ لا يلامون على استعمال فروجهم فى هذا النوع الخاص من اللذة.

[٣٢] فَمَنْ ابْتَغَىٰ أى طلب اللذة فى وَرَاءَ ذَلِكَ الذى ذكر بأن استعمله فى الحرام فى زنى و لواط و سحق و استمناء فَأُولَٰئِكَ المبتغون هُمُ الْعَادُونَ الذين تعدوا الحق و حدود الشريعة، المستحقون بذلك النكال و العذاب.

[٣٣] وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ التى تودع عندهم وَعَهْدِهِمْ مع من عاهدوا رَاعُونَ فلا يخونون الأمانات، و لا ينقضون العهود.

[٣٤] وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ أى يقومون بالشهادة التى تحمّلوها، فإذا صار موقع أن يشهدوا شهدوا بالحق لا بالباطل، و لا يهربون من

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥١٣

[سورة المعارج (٧٠): الآيات ٣٤ الى ٣٨]

وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ (٣٥) فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيْطَمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةً نَّعِيمٍ (٣٨) الشهادة لخوف أو طمع.

[٣٥] وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ و كأن المحافظة أداؤها بحدودها و آدابها، «دائمون» الاستمرار عليها، أو

الآية السابقة فى النوافل و هذه فى الفرائض، كما روى عن الإمام الباقر عليه السلام.

[٣٦] أُولَٰئِكَ المؤمنون المتصفون بتلك الصفات فى جَنَّاتٍ أى بساتين تجنّها الأشجار و القصور مُّكْرَمُونَ أى يكرمهم الله سبحانه و الملائكة، فهم فى نعمة مادية و معنوية.

[٣٧] و بعد وضوح الحق فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ يا رسول الله أى أى شىء لهم و ما حملهم على أن يفعلوا ما فعلوا؟ مُهْطِعِينَ من «أهطع» إذا نظر ببصره إلى الشىء لا يزيله عنه، و يكون ذلك عن حب أو عداوة، و المراد هنا الثانى، أى ما لهم ينظرون إليك شزرا نظر عداوة و سنان؟

[٣٨] عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ أى من طرف يمينك و طرف شمالك عِزِينَ جمع «عزة» أى جماعات متفرقين عصبه عصبه، فإن «عزة» بمعنى الجماعة، و هذا هو الغالب فى الناس إذا ظهر فيهم مصطلح أو مبدع، فإنهم ينظرون إليه جماعات من كل صوب إذا كان فى محل أو مر بمحل.

[٣٩] أَيْطَمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أى من هؤلاء الكفار أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةً نَّعِيمٍ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥١٤

[سورة المعارج (٧٠): الآيات ٣٩ إلى ٤٢]

كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩) فَلَا أُقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْرِ بُوْقِينَ (٤١) فَذَرَهُمْ يَحْوِضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢)

فما هذا الطمع السخيف بعد كفرهم وعنادهم؟ فكأنهم إذا أبغضوا الرسول ونظروا إليه نظرا شزرا توقعوا بذلك نيل رضى الله سبحانه ودخول جنته.

[٤٠] كَلَّا لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، ف إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ من نطفة قدرة، و هل من أصله نطفة صالح لدخول الجنة بدون الإيمان و

العمل الصالح؟ فإن الشيء إما بأصله أو بعمله، و هؤلاء أصلهم نطفة قدرة، و عملهم كفر و عصيان، فلا صلوح لهم لدخول الجنان.

[٤١] فَلَا أُقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ «لا» للنفى، و هذا إلماع إلى حلف، فى صورة عدم الحلف - كما سبق - و المشارق باعتبار

شروق الشمس فى كل يوم من نقطه من الفلك، و كذا المغارب بالنسبة إلى غروبها إِنَّا لَقَادِرُونَ

[٤٢] عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ أى أن نهلكهم و نأتى بدلهم خيرا منهم أناسا يؤمنون و لا يعصون و ما نَحْنُ بِمَسْرِ بُوْقِينَ بأن يسبقنا الكفار

فى الهرب، حتى نبقى وراءهم لا- نلحق بهم فلا- تتمكن من تعذيبهم كالحاكم الذى يبقى و يهرب منه المجرم فلا- يتمكن من إنزال

العقوبة به.

[٤٣] فَذَرَهُمْ أى دع يا رسول الله هؤلاء الكفار يَحْوِضُوا فى باطلهم، و أصل الخوض الارتماس فى الماء، و شبه به الإنسان الذى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥١٥

[سورة المعارج (٧٠): الآيات ٤٣ إلى ٤٤]

يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤) يتكلم و يعمل بالباطل، كأنه خائض فيه و يَلْعَبُوا أى يفعلوا فعل اللاعب الذى لا يريد غاية من عمله و إنما يقضى الوقت بذلك حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ و هو يوم القيامة.

[٤٤] ثم بين سبحانه ذلك اليوم بقوله: يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ جمع جدث و هو القبر سِرَاعًا أى مسرعين، لشدة هولهم فإن الخائف

يسرع فى المشى ليجد مأمنا قبل أن ينزل به العذاب كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصْبٍ جمع نصب كسقف جمع سقف، و هو الصنم يُوفِضُونَ أى

يسرعون، فقد كانوا فى الدنيا يسرعون إلى أصنامهم فى مواسم شركهم و هناك كذلك يسرعون عند خروجهم من القبر.

[٤٥] فى حال كونهم خَاشِعَةً أى خاضعة ذليله أَبْصَارُهُمْ فإن أثر الذلة يظهر فى العين لا يستطيعون مدّ بصرهم خوفا و فزعا تَرْهَقُهُمْ أى

تغشاهم و تحيط بهم ذِلَّةٌ لأنهم قد علموا جرمهم و أنهم محكوم عليهم بالعذاب ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ فى الدنيا فينكرونه و

الآن قد وصلوا إليه و وجدوا عذابه و هولته.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥١٦

٧١ سورة نوح مكية / آياتها (٢٩)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتغالها على لفظه «نوح» و قصته و هى كسائر السور المكية تعالج قضايا العقيدة فى أسلوب قصصى. و حيث ختمت سورة المعارج بوعيد الكفار، افتتحت هذه السورة بذكر نوح عليه السلام و ما لاقى من تكذيب قومه - تسلياً للرسول و تخويفا للكفار -.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نستعين باسم الإله، ليكون عوننا لنا فى مهام الأمور، و فى هذا الأمر الذى نشرع فيه - بصورة خاصة -

الرحمن الرحيم، الذى يتفضل بالرحم على من طلب منه الرحم و تسهيل الأمر.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥١٧

[سورة نوح (٧١): الآيات ١ إلى ٥]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢) أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَ أَطِيعُوا (٣) يَعْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَ نَهَارًا (٥)

[٢] إِنَّا أَرْسَلْنَا أَيْ بَعَثْنَا نُوحًا رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِ وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ بِأَنَّهُمْ إِنْ تَمَادَوْا فِي الْكُفْرِ وَ الْعِصْيَانِ ابْتَلَوْا بِعَذَابِ الدُّنْيَا وَ عَذَابِ الْآخِرَةِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَيْ مَوْجِعٌ مُؤْلِمٌ.

[٣] فَمَثَلِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ أَنْذِرْكُمْ وَ أَخَوْفِكُمْ مُبِينٌ أَيْ وَاضِحٌ ظَاهِرٌ.

[٤] أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَلَا- تَكْفُرُوا بِهِ وَ اتَّقُوهُ فَلَا- تَعْصُوهُ وَ أَطِيعُوا فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنَ الشَّرِيعَةِ، وَ أَصْلُهُ «أَطِيعُونِي» حَذَفَ الْيَاءَ تَخْفِيفًا وَ تَنْسِيقًا.

[٥] فَإِنَّكُمْ إِنْ عِبَدْتُمُوهُ وَ اتَّقَيْتُمْ يَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ أَيْ جَنَسِ ذُنُوبِكُمْ، فَ «مِنْ» لِلْجَنَسِ وَ يُؤَخِّرْكُمْ فَلَا- يَهْلِكُكُمْ عَاجِلًا- إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى أَيْ مَدَّةً قَدْ سَمِيَتْ فِي كِتَابِهِ، فِي مَقَابِلِ الْكَافِرِ الَّذِي يَعَذِّبُهُ بِعَذَابِ الْاِسْتِثْصَالِ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ أَيْ الْأَجَلَ الَّذِي عَيْنَهُ اللَّهُ إِذَا جَاءَ وَقْتَهُ لَا يُؤَخَّرُ فَبَادَرُوا بِالْإِيمَانِ وَ التَّوْبَةِ قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَيْ لَوْ كُنْتُمْ عَامِلِينَ بِالْأُمُورِ لَعَلِمْتُمْ بِذَلِكَ.

[٦] وَ دَعَا نُوحٌ قَوْمَهُ مَدَّةً مَدِيدَةً بِمَثَلِ تِلْكَ الْإِرْشَادَاتِ وَ النَّصَائِحِ، لَكِنْ دَعَا لَمْ يَكُنْ يَنْفَعُ فِيهِمْ، فَتَوَجَّهَ إِلَى اللَّهِ سَبِّحَانَهُ دَاعِيًا قَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥١٨

[سورة نوح (٧١): الآيات ٦ إلى ٩]

فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا- فِرَارًا (٦) وَ إِنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَ اسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَ أَصْرُؤُوا وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَ أَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي إِلَى الْإِيمَانِ لَيْلًا وَ نَهَارًا أَيْ فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ.

[٧] فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا فَإِنَّ دَعْوَتِي صَارَتْ سَبَبًا لِأَنْ يَرْصَ الْكُفَّارُ صَفُوفَهُمْ، وَ يَجَاهَرُوا بِالْكَفْرِ وَ الطَّغْيَانِ وَ الْفِرَارِ مِنَ الْحَقِّ.

[٨] وَ إِنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَ الطَّاعَةِ لِتَغْفِرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ إِنْ آمَنُوا وَ أَطَاعُوا جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ حَتَّى لَا يَسْمَعُوا كَلَامِي وَ اسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ أَيْ غَطُّوا بِهَا وَجُوهَهُمْ وَ رُؤُوسَهُمْ لِئَلَّا يَرُونِي وَ أَصْرُؤُوا أَيْ دَامُوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَ طَغْيَانِهِمْ وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا أَيْ تَكْبَرُوا وَ أَنْفُوا عَنِ قَبُولِ الْحَقِّ، وَ كَأَنَّ الْإِتْيَانَ بِصِغَةِ الْاِسْتِثْعَالِ لِإِفَادَةِ أَنَّهُمْ طَلَبُوا الْكِبْرَ، وَ إِنْ لَمْ يَكُونُوا كِبْرَاءَ حَقِيقَةً.

[٩] ثُمَّ لِتَرْتِيبِ الْكَلَامِ لَا لِتَرْتِيبِ الْمَطْلَبِ فِي الْخَارِجِ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا أَيْ جَهْرًا بِأَعْلَى صَوْتِي.

[١٠] ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ إِعْلَانًا بِالْدَعْوَةِ وَ أَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا أَيْ عَلَانِيَةً وَ سِرًّا، وَ الْمُرَادُ الدَّعْوَةُ بِكُلِّ وَجْهٍ مُحْتَمَلٍ، وَ الْجَهْرُ قِسْمٌ مِنَ الْإِعْلَانِ- فَلَيْسَ فِي ذِكْرِ الْإِعْلَانِ بَعْدَ الْإِجْهَارِ تَكَرُّرًا.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥١٩

[سورة نوح (٧١): الآيات ١٠ إلى ١٤]

فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَيْنِينَ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَ قَدْ خَلَقْنَاكُمْ أَطْوَارًا (١٤)

[١١] فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا أَيِهَا الْقَوْمِ رَبَّكُمْ أَيْ اطْلُبُوا غَفْرَانَهُ بِالْإِيمَانِ وَ الطَّاعَةِ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا كَثِيرَ الْمَغْفِرَةِ لِمَنْ اسْتَغْفَرَ.

[١٢] فَإِنِ اسْتَغْفَرْتُمْ يُرْسِلِ اللَّهُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً أَى كَثِيرَةً الدَّرُورِ بِالْمَطَرِ، قِيلَ إِنَّ الْغَيْثَ قَدْ مَنَعَ عَنْهُمْ حَتَّى ابْتَلَوْا بِالْقَحْطِ وَ لَذَا رَغِبَهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَلِكَ.

[١٣] وَ يُمِيدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَيِّنَ أَى يَكْثُرُ أَمْوَالِكُمْ وَ أَوْلَادِكُمْ الذُّكُورَ وَ يَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ أَى بَسَاتِينَ، بِسَبَبِ الْمَطَرِ وَ الْأَمْوَالِ وَ يَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَاراً تَسْقُونَ جَنَاتِكُمْ، فَإِنِ الْمَطَرُ إِذَا كَثُرَ اخْتَرَنَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ تَفَجَّرَ مِنَ الْعَيُونِ وَ جَرَى مِنْهَا.

[١٤] مَا لَكُمْ يَا مَعْشَرَ الْكُفَّارِ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً أَى لَا تَعْظُمُونَ اللَّهَ تَعَالَى، فَإِنِ «الْوَقَارُ» بِمَعْنَى الْعِظْمَةِ، وَ الرَّجَاءُ هُوَ الطَّمَعُ فِي شَيْءٍ مَرْغُوبٍ، فَإِنِ مَنْ لَا يَعْرِفُ عِظْمَةَ شَخْصٍ لَا يَرْجُوهُ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ اللَّهَ، إِذْ لَا تَعْتَرِفُونَ لَهُ بِالْوَقَارِ وَ الْعِظْمَةِ؟

[١٥] وَ الْحَالُ أَنَّكُمْ تَرُونَ آثَارَ عِظْمَتِهِ فِي أَنْفُسِكُمْ، إِذْ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً جَمْعَ «طُورٍ» فَقَدْ انْتَقَلْتُمْ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ حَتَّى وَصَلْتُمْ إِلَى هَذَا الْحَالِ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ، أَوْ الْمُرَادُ خَلْقَكُمْ مَخْتَلِفِينَ، فَكُلُّ وَاحِدٍ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٢٠

[سورة نوح (٧١): الآيات ١٥ إلى ١٩]

أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً (١٥) وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً (١٦) وَ اللَّهُ أَنْتَبَهُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَ يُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً (١٨) وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطاً (١٩)

يختلف عن الآخر مما يدل على كمال القدرة.

[١٦] إِنْ آثَارَ عِظْمَةِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ كَمَا هِيَ ظَاهِرَةٌ فِي أَنْفُسِكُمْ كَذَلِكَ هِيَ ظَاهِرَةٌ فِي الْكُونِ أَلَمْ تَرَوْا أَيُّهَا الْكُفَّارُ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فَإِنِ عِلْمُ الْفَلَكِ مَعْتَرَفٌ بِوُجُودِ سَبْعِ مَدَارَاتٍ لِلْكُوكَبِ السَّيَّارَةِ طِبَاقاً أَى بَعْضُهَا فَوْقَ الْآخَرِ؟

[١٧] وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ أَى فِي تِلْكَ السَّمَاوَاتِ، وَ يَجُوزُ الْإِتْيَانُ بِضَمِيرٍ غَيْرِ الْعَاقِلِ مَفْرُداً وَ جَمْعاً نُوراً يَنْبُرُ الظَّلَامَ بِأَشْعَتِهِ وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً أَى مَصْبَاحاً يَشِعُّ ضِيَاؤُهَا حَتَّى تَنْبُرَ الْأَكْوَانَ.

[١٨] وَ اللَّهُ أَنْتَبَهُكُمْ أَيُّهَا الْبَشَرُ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً فَإِنِ الْإِنْسَانُ يَنْبِتُ مِنَ الْأَرْضِ كَمَا أَنَّ النَّبَاتَ يَنْبِتُ مِنْهَا، وَ لَكِنَّ الْفَرْقَ هُوَ أَنَّ الْأَرْضَ تَتَحَوَّلُ إِلَى النَّبَاتِ، وَ النَّبَاتُ يَأْكُلُهُ الْإِنْسَانُ فَيَصِيرُ مَنِيّاً ثُمَّ إِنْسَاناً وَ النَّبَاتُ يَنْبِتُ ابْتِدَاءً، وَ فِي الْحَقِيقَةِ أَنَّ الْإِنْسَانَ نَبَاتَ الْأَرْضِ الْمُتَحَرِّكَ، كَمَا أَنَّ النَّبَاتَ نَبَاتُهَا السَّاكِنَ.

[١٩] ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا أَى فِي الْأَرْضِ، فَالْمِيتُ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَبْلَى وَ يَكُونُ تَرَاباً كَمَا كَانَ سَابِقاً وَ يُخْرِجُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ لَدَى الْبَعْثِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِخْرَاجاً وَ إِنَّمَا ذَكَرَ الْمَصْدَرُ تَأْكِيداً لِبَيَانِ أَنَّهُ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ.

[٢٠] وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطاً مَبْسُوطَةً لِتَتَمَكَّنُوا مِنَ الْمَشْيِ عَلَيْهَا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٢١

[سورة نوح (٧١): الآيات ٢٠ إلى ٢٢]

لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجاً (٢٠) قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَ اتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَ وُلْدُهُ إِلَّا خَسَاراً (٢١) وَ مَكَرُوا مَكْرًا كُبَّاراً (٢٢) وَ الْبِنَاءُ فَوْقَهَا، وَ تَقَضُّوا سَائِرَ مَآرِبِكُمْ عَلَيْهَا.

[٢١] ثُمَّ أَشَارَ السِّيَاقُ إِلَى وَاحِدَةٍ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي هِيَهَا اللَّهُ لِلْإِنْسَانِ عَلَى الْأَرْضِ الْمُنْبَسِطَةَ لِتَسْلُكُوا يَقَالُ سَلَكَ فِي الطَّرِيقِ إِذَا مَشَى فِيهِ وَ سَرَى مِنْهَا أَى مِنَ الْأَرْضِ وَ الْمُرَادُ فِي بَعْضِ الْأَرْضِ سُبُلًا أَى طَرِيقاً، جَمْعَ «سَبِيلٍ» فِجَاجاً «الْفِجَاجُ» هِيَ الطَّرِيقُ الْمَتَّسِعَةُ الْمُتَفَرِّقَةُ، وَاحِدُهَا «فِجٌّ» يَعْنِي حَتَّى تَتَمَكَّنُوا مِنَ السَّيْرِ فِي طَرِيقِ الْأَرْضِ الْمَخْتَلِفَةِ إِلَى حَاجَاتِكُمْ هُنَا وَ هُنَاكَ.

[٢٢] وَ بَعْدَ كُلِّ هَذِهِ التَّذَكِيرَاتِ وَ الْإِلْفَاتِ إِلَى هَذِهِ النِّعَمِ الْعِظَامِ، لَمْ يَسْتَجِبِ الْقَوْمُ لِدَعْوَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامِ، فَتَوَجَّهَ نُوحٌ إِلَى رَبِّهِ قَالَ نُوحٌ يَا رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي فَلَمْ يُؤْمِنُوا بِكَ، وَ لَمْ يَطِيعُوا أَمْرِي وَ اتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَ وُلْدُهُ إِلَّا خَسَاراً أَى اتَّبَعُوا كِبْرَاءَ قَوْمِهِمُ الَّذِينَ هُمْ رَأْسُ الْفَسَادِ، فَكَلِمَا زَادُوا مَالاً-صَرَفُوهُ فِي الشَّرِّ وَ كَلِمَا زَادُوا وَلِدًا حَرَفُوهُ عَنِ سُنَنِ الْحَقِّ، فَمَالَهُمْ وَ وَلَدَهُمْ لَا

يزيدهم إلا خساره و ضررا، مما يوجب كثرة عقوبتهم و زيادة عذابهم.

[٢٣] وَ مَكَرُوا فِي قَبَالِ نُوحٍ مَكْرًا كَبِيرًا أَيْ كَبِيرًا لِلغَايَةِ فَإِنْ إِطْفَاءِ سَنَنِ الرُّسُولِ يَحْتَاجُ إِلَى التَّدَابِيرِ الكَثِيرَةِ، وَ إِلا- فَالنَّاسُ بِطَبِيعَتِهِمُ السَّادِجَةُ يَتَّبِعُونَ الحَقَّ. وَ فاعِل المَكْرِ إِمَّا الكَبِيرُ المِشَارُ إِلَيْهِمْ ب «مَنْ» أَوْ المَرَادُ القَوْمُ- فِي الجُمْلَةِ-.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٢٢

[سورة نوح (٧١): الآيات ٢٣ الى ٢٥]

وَ قَالُوا لا تَدْرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَ لا تَدْرُنَّ وِدًّا وَ لا سُوعًا وَ لا يَغُوثَ وَ يَعُوقَ وَ نَسِرًا (٢٣) وَ قَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَ لا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالًا (٢٤) مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصارًا (٢٥)

[٢٤] وَ قَالُوا أَيْ الماكرون، لسائر الناس لا تَدْرُنَّ أَيْ لا تتركن آلِهَتَكُمْ الأصنام التي تعبدونها إطاعة لنوح في عبادة إله واحد، ثم خصوا جماعه من الآلهة كانت الأصنام الكبيرة لديهم وَ لا تَدْرُنَّ وِدًّا وَ لا سُوعًا وَ لا يَغُوثَ وَ لا يَعُوقَ وَ لا نَسِرًا و يعوق غير منصرفين للعجمه و العلميه، أو للعلميه و التأنيث كما أن عدم إتيان «لا» على البعض للتفنن في الكلام الذي هو من فنون البلاغه، و هذه كانت أسامى أصنام لهم يعبدونها من دون الله سبحانه. و ذكر بعض أن هذه أسماء كانت لرجال صالحين، فلما ماتوا مثلوا لهم تمثالا يعظمونها باعتبار أنها رموز لأولئك الصالحين، ثم عبدوها- ياغواء الشيطان-.

[٢٥] وَ قَدْ أَضَلُّوا هذه الأصنام، يا رب كثيراً من الناس و نسبة الضلال إلى الأصنام باعتبار أنها الوسيلة في الإضلال، و الإتيان بضمير العاقل تماشياً لوحده السياق بين كلام المؤمنين و الكافرين وَ لا تَزِدِ يا رب الظَّالِمِينَ الذين ظلموا أنفسهم بالكفر و العصيان و غيرهم بالإضلال و الإفساد إِلاَّ ضَلالًا جزاء على عنادهم، و إزادة ضلالهم بمنع الألفاظ الخفية عنهم، أو المعنى «لا تزد هذه الأصنام إلا ضلالاً لهم» فعلى الأول نهى، و على الثاني نفى.

[٢٦] ثم أتى السياق إلى بيان عاقبه هؤلاء الكفار بقوله: مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أَيْ من جهه خطيبه هؤلاء الكفار، و «ما» زائده و الزيادة هنا لأجل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٢٣

[سورة نوح (٧١): الآيات ٢٦ الى ٢٨]

وَ قَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَدْرُ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِِنْ تَدْرُهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَ لا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِوَالِدَيَّ وَ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ لا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبارًا (٢٨)

تزيين الكلام أُغْرِقُوا بالماء في الدنيا فَأَدْخَلُوا نارًا في الآخرة، فقد عوقبوا بعقوبتين متضادتين فَلَمْ يَجِدُوا أولئك الكفار لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَيْ غير الله سبحانه أَنْصارًا فلم يكن هناك من يمنع عنهم عذاب الله تعالى، فقد ضل عنهم من كان يعدهم النصر.

[٢٧] وَ قَالَ نُوحٌ قَبْلَ أَنْ يَغْرُقُوا- فِي دَعَائِهِ عَلَيْهِمْ- وَ إِنَّمَا آخِرُ ذَلِكَ عَنِ الغُرُقِ، فِي الكَلَامِ، لَتَعْجِيلِ تَوْصِيلِ العِقَابِ بِالانْحِرَافِ، حَتَّى كَأَنَّهُ انْحِرَافٌ وَ عِقَابٌ بِلا فَاصِلَةٍ، يا رَبِّ لا تَدْرُ أَيْ لا تَدْعُ وَ لا تَبْقُ سالماً عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكافِرِينَ دَيَّارًا أَيْ أَحداً يَعْمُرُ الدِيَارَ، أَوْ يَنْزِلُ الدارَ، بَلْ عَمَّ عِقَابَكَ عَلَى جَمِيعِهِمْ.

[٢٨] ثم بين عليه السلام علته هذا الدعاء بقوله: إِنَّكَ إِِنْ تَدْرُهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ من نسل المؤمنين وَ لا يَلِدُوا هم بأنفسهم إِلاَّ فَاجِرًا يَفْجُرُ وَ يعصى كَفَّارًا كثير الكفر، يعنى أن أولادهم فاسد و العقيدة و العمل، فلا- خير فيهم، و قد علم نوح عليه السلام ذلك من طريق الوحي.

[٢٩] يا رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ قَدْ سَبَقَ أَنْ اسْتَغْفَرَ الأَنْبياءُ وَ الأئمةُ لما يصدر منهم من المباحات الضرورية، فإنهم يرون ذلك خلافاً للأدب أمام الله الملك العظيم، كما أن من مدّ رجله- لمرض أو نحوه- أمام الملك رآه سوء أدب و إن كان مضطراً إليه، و اعتذر من فعله ذلك وَ لِوَالِدَيَّ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٢٤

بغفران ذنوبهما وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَكَانَ الدُّخُولُ فِي الْبَيْتِ كِنَايَةً عَنِ الدُّخُولِ فِي حُوزَتِهِ وَأَنْصَارِهِ، فَقَدْ آمَنَ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِدَّةٌ قَلِيلَةٌ بَيْنَ سَبْعِينَ وَثَمَانِينَ - عَلَى مَا ذَكَرُوا - وَاغْفِرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ السَّابِقِينَ وَاللَّاحِقِينَ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا أَى هَلَاكًا وَخَسَارَةً، وَذَلِكَ بِمَنْعِ الْأَطْلَافِ عَنْهُمْ، حَتَّى يَكُونَ بِقَاوِمِهِمْ مَوْجِبًا لَزِيَادَةِ عَذَابِهِمْ وَخَسَارَتِهِمْ جَزَاءً لِعِنَادِهِمْ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٢٥

٧٢ سورة الجن مكية / آياتها (٢٩)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على لفظه «الجن» وقصه منهم، كسائر السور المكية تعالج قضايا العقيدة في أسلوب قصصي طريف جديد، ولما ختمت سورة نوح بالدعاء للمؤمنين والهلاك للكافرين، ابتدأت هذه السورة بما يماثل ذلك.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الإله الخالق المالك لكل شيء، والابتداء باسمه أولى من الابتداء بأى شيء آخر، فإن الكفار كانوا يبتدئون باسم الأصنام، والمسيحيين باسم «الأب والابن وروح القدس»، والديمقراطيون في زماننا يبتدئون باسم الشعب والملكيون باسم جلاله الملك، والله أحق من الكل بالابتداء باسمه، الرحمن الرحيم الذى يرحم العباد فى الدنيا والآخرة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٢٦

[سورة الجن (٧٢): الآيات ١ إلى ٣]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣)

[٢] قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِلنَّاسِ أُوْحِيََ إِلَيَّ وَالْوَحْيُ هُوَ الْإِلْهَامُ إِلَى الرَّسُولِ مِنْ قَبْلِهِ سَبْحَانَهُ بِوَاسِطَةِ مَلِكٍ أَوْ إِقْفَاءٍ فِي الْقَلْبِ بِلَا وَاسِطَةٍ، وَ يَسْتَعْمَلُ أَيْضًا بِمَعْنَى مَطْلُوقِ الْإِلْهَامِ، كَقَوْلِهِ وَأُوْحِيَ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ «١» وَقَوْلِهِ وَأُوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى «٢» أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ أَى اسْتَمَعَ إِلَى الْقُرْآنِ طَائِفَةٌ مِنَ الْجِنِّ - فَإِنْ نَفَرَ بِمَعْنَى الطَّائِفَةُ - وَالْجِنُّ مَخْلُوقَةٌ مِنَ النَّارِ رِقَاقُ الْأَجْسَامِ كَالهَوَاءِ، وَلَهَا أَنْ تَتَشَكَّلَ فِي أَبْدَانِ غَلِيظَةٍ كَأَبْدَانِ الْإِنْسَانِ فَقَالُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِنَّا سَمِعْنَا مِنَ الرَّسُولِ قُرْآنًا عَجَبًا أَى مَا يَدْعُو إِلَى التَّعْجَبِ، لِأَنَّهُ بِأَسْلُوبٍ غَرِيبٍ فِي لَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ، وَ قَدْ سَبَقَتْ قِصَّتُهُمْ فِي سُورَةِ الْأَحْقَافِ.

[٣] يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ أَى يَدُلُّ عَلَى الْهَدْيِ الَّذِي مِنْ سَلْكِهِ رُشْدٌ فَآمَنَّا نَحْنُ الْجِنُّ بِهِ أَى بِذَلِكَ الْقُرْآنِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِعَدِ سَمَاعِ الْقُرْآنِ بِرَبِّنَا أَحَدًا أَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ شَرِيكًَا.

[٤] وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا «الجد» هُوَ الْحِطُّ، وَ الْمَرَادُ بِهِ هُنَا الْعِظْمَةُ، أَى تَعَالَتْ وَارْتَفَعَتْ عِظْمَتُهُ، مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكَ أَوْ زَوْجَةٌ أَوْ أَوْلَادٌ مَا اتَّخَذَ أَى لَمْ يَتَّخِذْ اللَّهُ سَبْحَانَهُ صَاحِبِيَّةً أَى زَوْجَةً وَلَا وَلَدًا فَقَدْ كَانَ بَعْضُ الْكُفَّارِ يَقُولُونَ أَنَّهُ سَبْحَانَهُ اتَّخَذَ زَوْجَةً مِنَ الْجِنِّ، كَمَا قَالَ

(١) النحل: ٦٩.

(٢) القصص: ٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٢٧

[سورة الجن (٧٢): الآيات ٤ إلى ٦]

وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ

بِرِّجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦)

سبحانه وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا (١)، فنفت الجن هذا الكلام.

[٥] وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا أَى جاهلنا، والمراد به جنس الجهال منهم عَلَى اللَّهِ شَطَطًا أَى كذبا و بعدا عن الحق، و كأن المراد بذلك ما شاع بينهم من أنه تزوج بالجنية، أو المراد «بسفيه منا» إبليس - لأنه من الجن - والمراد أقواله حول الله سبحانه، من نسبة الشريك إليه و ما أشبهه.

[٦] وَأَنَا ظَهَرَ لَنَا الْآدَنَ كَذِبَ ذَلِكَ السَّفِيهِ بَعْدَ مَا كُنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ الْإِتْيَانُ بِالْفِعْلِ مَثْنًا بِاعْتِبَارِ «الجماعة» عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَقَدْ كُنَّا نَحْسِبُ أَن مَا يَقُولُونَ مِنْ أَن لَهُ سَبْحَانَهُ صَاحِبَهُ وَ شَرِيكَ وَ وَلَدًا صَدَقَ، وَ الْآنَ تَبَيَّنَ لَنَا كَذِبُهُ.

[٧] وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ أَى يعتصمون و يستجبرون، و كان الرجل من العرب إذا نزل الوادى فى سفره ليلا قال «أعوذ بعزير هذا الوادى من شر سفهاء قومه» و

قد روى عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال فى هذه الآية «كان الرجل ينطلق إلى الكاهن الذى يوحى إليه الشيطان فيقول قل لشيطانك فلان قد عاذ بك»

«٢» فَزَادُوهُمْ أَى زاد الجن الإنس العائذين بهم رَهَقًا أَى طغيانا

(١) الصفات: ١٥٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦٠ ص ٩٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٢٨

[سورة الجن (٧٢): الآيات ٧ الى ٩]

وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) وَأَنَا لَمَسِينَا السَّمَاءَ فَوَحَّيْنَاهَا مُلْتَثَّ حَرَسًا شَدِيدًا وَ شُهَبًا (٨) وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا (٩)

حيث إنهم رأوا الجن ظهيرا لهم، أو زاد الإنس الجن طغيانا حيث إنهم ظنوا أن لهم مدخلا فى الأمور الكونية حتى استعاذ بهم الإنس، و أصل الرهق اللقوق، و منه غلام مراهق، فكان الإثم و الطغيان يلحق الإنسان، و لذا قيل له رهق.

[٨] وَأَنَّهُمْ أَى الإنس ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنتم معاشر الجن أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا رَسُولًا، وَ هَذَا مِنْ تَتَمُّةِ كَلَامِ الْجِنِّ الَّذِينَ آمَنُوا بِالرَّسُولِ.

[٩] وَأَنَا معاشر الجن لَمَسِينَا السَّمَاءَ أَى مسسناها بإرادة الصعود فى طبقات الجو فَوَحَّيْنَاهَا أَى أَلْفِينَا السَّمَاءَ مُلْتَثَّ حَرَسًا شَدِيدًا أَى حفظة من الملائكة شدادا، «و حرس» جمع حارس و هو الحافظ، و شديد باعتبار كل واحد من الحفظة وَ شُهَبًا جمع «شهاب» و هو نور يمتد فى السماء حتى يطفأ، أنها هيأت لرجم من يريد استراق السمع من الشياطين.

[١٠] وَأَنَا معاشر الجن كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا أَى مِنَ السَّمَاءِ مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ أَى محلات قريبة من مراكز الملائكة لنستمع ما يدار بينهم من أخبار

الأرض لنعلم الأخبار و نأتى بها إلى الكهنة، و هذا إلى قبل ميلاد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ أَوْ بَعَثْتَهُ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ مِنَّا إِلَى كَلَامِ الْمَلَائِكَةِ يَجِدْ لَهُ أَى لِنَفْسِهِ شُهَابًا رَّصَدًا يرمى به و يرصد له، ففى النجوم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٢٩

[سورة الجن (٧٢): آية ١٠]

وَأَنَا لَا نَدْرِي أَ شَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠)

عَيْنَ مَوَاضِعَ لِحِرَاسَةِ السَّمَاءِ مِنَ الْجِنِّ وَ الشَّيَاطِينِ، فَمَنْ يَتَقَدَّمُ مِنْهُمْ لِيَسْتَرْقِيَ الْكَلَامَ قَذْفَ بِالشُّهُابِ حَتَّى يَحْتَرِقَ أَوْ يَطْرُدَ.

قد روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال- في حديث يذكر فيه سبب إخبار الكاهن:- و أما أخبار السماء فإن الشياطين كانت تقعد مقاعد استراق السمع إذ ذاك، و هي لا- تحجب و لا- ترجم بالنجوم و إنما منعت من استراق السمع لئلا يقع في الأرض سبب يشاكل الوحي من خبر السماء و يلبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله لإثبات الحجّة و نفى الشبهة، و كان الشيطان يسترق الكلمة الواحدة من خبر السماء بما يحدث من الله في خلقه فيختطفها ثم يهبط بها إلى الأرض فيقذفها إلى الكاهن، فإذا زاد كلمات من عنده يختلط الحق بالباطل، فما أصاب الكاهن من خبر مما كان يخبر به فهو ما أداه إليه شيطانه مما سمعه، و ما أخطأ فيه فهو من باطل ما زاد فيه، فمذ منعت الشياطين من استراق السمع انقطعت الكهانة.

«١».

[١١] وَ أَنَا لَا نَدْرِي أَ شَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ حَيْثُ يَرْجُمُ الشَّيَاطِينُ، حَتَّى تَقْطَعَ الْأَخْبَارُ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ بَعْدَابِهِمْ، فَيَفَاجِئُونَ بِالْعَذَابِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا بَأَن يَبْعَثَ فِيهِمْ نَبِيًّا؟ وَ الْحَاصِلُ أَنَّ رَجْمَ الشَّيَاطِينِ لِأَحَدٍ أَمْرَيْنِ إِمَّا لِشَرِّ أَوْ لِخَيْرٍ؟ وَ هَذَا يُؤَيِّدُ كَوْنَ الْمَرَادِ مِنَ الرَّجْمِ وَقْتُ وِلَادَةِ الرَّسُولِ، وَ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ مِنَ الْجِنِّ حِكَايَةُ حَالِ مَاضِيَةٍ، وَ إِذَا فَقَدَ عَرَفُوا النَّبَأَ بَعْدَ فِتْرَةٍ وَ خُصُوصًا عِنْدَ وُصُولِهِمْ إِلَى خِدْمَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ.

(١) بحار الأنوار: ج ٦٠ ص ٧٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٣٠

[سورة الجن (٧٢): الآيات ١١ إلى ١٣]

وَ أَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَ مِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا (١١) وَ أَنَا ظَنَّنَا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَ لَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا (١٢) وَ أَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَ لَا رَهَقًا (١٣)

[١٢] وَ أَنَا مَعَاشِرَ الْجِنِّ مِنَّا أَى بَعْضِنَا الصَّالِحُونَ بِالْإِيمَانِ وَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَ مِنَّا دُونَ ذَلِكَ الصَّالِحِ، وَ إِنَّمَا عَبَّرَ بِهَذَا التَّعْبِيرِ لِشَمْلِ الْفَرْقِ الْمَخْتَلَفَةِ كُنَّا فِي السَّابِقِ طَرَائِقَ قَدَدًا أَى عَلَى طَرَائِقَ مَخْتَلَفَةٍ «وَ قَدَدٌ» جَمْعُ قَدَةٍ وَ هِيَ الْقِطْعَةُ، كَأَنَّ لِكُلِّ مَذْهَبٍ لُونًا مَخْتَلَفًا، فَهَمَّ قِطْعَةُ مَخَالَفَةُ لِقِطْعَةٍ أُخْرَى، وَ كَأَنَّ هَذِهِ التَّفْصِيلَاتِ الْمَنْقُولَةُ مِنْ كَلَامِ الْجِنِّ لِيَبَانَ حَقِيقَتَهُمْ، وَ تَوْضِيحُ مَا يَرْتَبِطُ بِهِمْ مِنَ الْمَزَايَا وَ الْأَحْوَالِ.

[١٣] وَ أَنَا مَعَاشِرَ الْجِنِّ ظَنَّنَا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ بَأَن نَجْمَعُ جَمُوعًا وَ نَهَيِّئُ قُوَى حَتَّى يَعْجِزَ سَبْحَانَهُ مِنَ التَّنَصُّفِ فَيُنَاقِضُ شَاءَ، وَ إِنَّمَا جَاءَ بِلَفْظِ الظَّنِّ، إِمَّا لِأَنَّهُمْ ظَنُّوا ذَلِكَ وَ لَمْ يَتَيَقَّنُوا، أَوْ لِإِبْرَاهِيمَ أَنَّ الظَّنَّ كَافٍ فِي عَدَمِ إِرَادَةِ الْمَخَالَفَةِ مَعَهُ سَبْحَانَهُ وَ لَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا أَى لَا نَسْتَطِيعُ مِنْ تَعْجِيزِهِ بِهَرَبِنَا مِنْ قُدْرَتِهِ، فَإِنَّ قُدْرَتَهُ شَامِلَةٌ مَنْبَسُطَةٌ لَا يُمْكِنُ الْفِرَارُ مِنْهَا.

[١٤] وَ أَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى حَيْثُ سَمِعْنَا قُرْآنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ آمَنَّا بِهِ أَى بِالْهُدَى وَ هُوَ الْإِسْلَامُ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ إِيْمَانًا صَحِيحًا فَإِنَّهُ لَا يَخَافُ بَخْسًا أَى تَنْقِيسًا لِحَقِّهِ فِي الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ وَ لَا زَهَقًا أَى ظُلْمًا وَ طَغْيَانًا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ سَبْحَانَهُ عَادِلٌ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا، أَمَا غَيْرُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٣١

[سورة الجن (٧٢): الآيات ١٤ إلى ١٧]

وَ أَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَ مِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَ أَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥) وَ أَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا (١٦) لِنَفِّثْنَهُمْ فِيهِ وَ مَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧)

المؤمن فإنه يخاف البخس، إذ حسناته تمحى بسبب سيئاته، و يخاف الرهق بمعنى تبعه الإثم - كما سبق في معنى الرهق.

[١٥] وَ أَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ مِنَّا الْقَاسِطُونَ مِنَ «قِسْطٍ» بِمَعْنَى جَارٍ، أَى الْجَائِرُونَ الْحَائِدُونَ عَنِ طَرِيقِ الْحَقِّ فَمَنْ أَسْلَمَ أَى دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا أَى طَلَبُوا وَ التَّمَسُّوا رَشَدًا أَى هِدَايَةً وَ حَقًّا

فيه الرشد والعقل، والتحرى هو التطلب والتماس الشيء.

[١٦] وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ الْعَادِلُونَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ فَكَانُوا أَى يَكُونُونَ - أَوْ كَانَ: لمجرد الربط - لِيَجْهَنَّمَ حَطَبًا يَلْقَوْنَ فِيهَا فَيُوقَدُونَهَا كَمَا يُوقَدُ الْحَطَبُ النَّارَ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ «١».

[١٧] وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا هُوَ لَاءَ الْقَاسِطُونَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْحَقَّةِ بَأَنْ لَمْ يَحِيدُوا عَنْهَا لِأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا يَقَالُ مَاءُ غَدَقٍ: أَى كَثِيرٍ وَهَذَا كِنَايَةٌ عَنِ الْإِفْضَالِ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا ابْتِدَاءٌ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

[١٨] لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ أَى كُنَّا نَسْقِيهِمُ الْمَاءَ الْكَثِيرَ لِمَتَحَانِهِمْ فِي ذَلِكَ السَّقْيِ، فَإِنَّ النِّعْمَ لِلْمَتَحَانِ، كَمَا أَنَّ النِّقْمَ لِلِاخْتِبَارِ، وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ مِنْ

(١) البقرة: ٢٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٣٢

[سورة الجن (٧٢): الآيات ١٨ الى ٢٠]

وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًّا (١٩) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠)

الامتحان إلا ظهور السرائر، لتبيين مقادير الاستحقاق في الآخرة، أو أنه تليل لمجىء الهدى، أى أنا إنما أرسلنا الرسول و أنزلنا الهدى للامتحان و من يُعْرِضُ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ بَأَنْ اتَّخَذَ طَرِيقَهُ الْكُفْرَ وَالْعِصْيَانَ يَسْلُكُهُ أَى يَدْخُلُهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَذَابًا صَعَدًا أَى عَذَابًا يَصْعَدُ عَلَيْهِ وَ يعلوه، بحيث يشمل جميع جسمه من قرنه إلى قدمه، أو عذابا غليظا صعبا.

[١٩] و إذ بين كون الهدى إنما هو للامتحان، جاء السياق لبيان أنه لا- يحق لأحد أن يخضع لغير الله سبحانه و أَنَّ الْمَسَاجِدَ جَمْعُ «مَسْجِدٍ» وَ هُوَ مَوَاضِعُ السُّجُودِ مِنَ الْوَجْهِ وَ الْكَفِينِ وَ غَيْرِهِمَا لِلَّهِ فَإِنَّهَا مَخْلُوقَةٌ لَهُ مَمْلُوكَةٌ لِذَاتِهِ الْمَقْدِسَةِ فَلَا تَدْعُوا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَعَ اللَّهِ أَحَدًا وَ كَيْفَ تَدْعُو غَيْرَهُ بَعْضُهُ هُوَ لَهُ؟ وَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَسَاجِدَ أَعْمَ مِمَّا تَقْدَمُ وَ مِنَ الْمَسَاجِدِ الْمَبْنِيَّةِ، وَ فِيهِ نَهْيٌ عَنِ الدَّعَاءِ لِغَيْرِهِ سُبْحَانَهُ فِيهَا، كَمَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَدْعُونَ الْأَصْنَامَ فِي بَيْتِ اللَّهِ تَعَالَى.

[٢٠] وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ أَى الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ يَدْعُوهُ يَدْعُوهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ حْدَهُ كَادُوا أَى الْكُفْرَانُ يَكُونُونَ عَلَيْهِ عَلَى الرَّسُولِ لِيَدَّ أَى مُتَكَاثِرِينَ عَلَيْهِ لِيَمْنَعُوهُ عَنِ الدَّعْوَةِ، وَ الظَّاهِرُ أَنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ كُلَّهَا مِنْ كَلَامِ الْجَنِّ، وَ أَنَّ قَوْلَهُ «لِنَفْتِنَهُمْ» مُعْتَرِضَةٌ.

[٢١] قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَهُؤْلَاءِ الْكُفْرَانُ الَّذِينَ كَادُوا يَكُونُونَ لِيَدًا عَلَيْكَ:

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٣٣

[سورة الجن (٧٢): الآيات ٢١ الى ٢٣]

قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لَا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَ لَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا (٢٢) إِلَّا- بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَ رِسَالَاتِهِ وَ مَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَ رِسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣)

إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَ حْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَ لَا أُشْرِكُ بِهِ أَى رَبِّي أَحَدًا فَلَيْسَ ذَلِكَ بَدْعًا جَدِيدًا يُوْجِبُ تَكَاثُرَكُمْ عَلَى وَ إِرَادَتَكُمْ مَنَعِي مِنْهُ. [٢٢] قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَهُؤْلَاءِ الْكُفْرَانُ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا بَأَنْ أَضْرَكُمْ وَ لَا أَمْلِكُ لَكُمْ رَشَدًا بَأَنْ أُرْشِدَكُمْ، وَ إِنَّمَا الضَّرُّ وَ الْإِرْشَادُ بِيَدِ اللَّهِ، وَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَمْرُنِي بِإِرْشَادِكُمْ، فَإِنَّ لَمْ تَقْبَلُوا فَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الضَّرَّ بِكُمْ، وَ هَذَا لِيَبَيِّنَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ فَقَطْ لَا شَيْءَ بِيَدِي سِوَى الْهَدَايَةِ وَ الْإِرْشَادِ.

[٢٣] حتى أنا فليس ضرى و خيرى بيدى قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَهُؤْلَاءِ: إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي أَى لَنْ يَحْفَظُنِي مِنْ تَقْدِيرِ اللَّهِ أَحَدٌ إِذَا أَرَادَ سُبْحَانَهُ بِي ضَرْرًا وَ لَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ سُبْحَانَهُ مُلْتَحِدًا أَى مُلْجَأً أَلْجَأَ إِلَيْهِ، مِنْ التَّحُدِّ بِمَعْنَى مَالٍ، وَ الْإِنْسَانَ الْخَائِفَ دَائِمًا يَطْلُبُ الْمُلْجَأَ فِي

منعطفات الطريق.

[٢٤] إني لا- أملك شيئاً إلاً بلاغاً أى تبليغاً من قبل الله سبحانه بأن أبلغكم آياته ورسالاته وهذا استثناء منقطع من «لا أملك» و ما بعده، وقد سبق أن الاستثناء المنقطع ينحل إلى ثلاث جمل، ففي المقام هكذا «لا أملك شيئاً» «إلا بلاغاً» «و لا أملك لكم أو لى ضرا أو خيراً» و كأنه قال «لا أملك كذا» و «أملك كذا»، و حق البلاغ منه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٣٤

[سورة الجن (٧٢): الآيات ٢٤ الى ٢٥]

حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْجُدُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَاَقْلُ عَدَدًا (٢٤) قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (٢٥) سبحانه حق لا يكون لكل أحد، كما أن رسالاته سبحانه شيء و الرسول يملك ذلك الحق كما يعرف الرسالات، فهما شيئان لا شيء واحد حتى يقال: إن العطف للبيان.

وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ بِعَدَمِ إطاعه أوامره و رُسُوْلَهْ بَعْدَمِ امتثاله فيما يأمر و ينهى فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ جزاء لعصيانه خالدين فيها أى فى حال كونهم دائمين فى النار أبداً و توحيد الضمير فى «له» باعتبار لفظ «من» و تجميعه فى «خالدين» باعتبار معناه، و قد قالوا يجوز فى ضمير «من و ما» مراعاة اللفظ و المعنى.

[٢٥] لكن الكفار لا يباليون اليوم بالنار حتى إذا رأوا هؤلاء الكفار ما يُوعَدُونَ أى العذاب الذى وعدوا به فى الدنيا فَيَسْجُدُونَ إِذَا رَأَوْا مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا هل ناصر الرسول أضعف أم ناصرهم و أَقْلُ عَدَدًا فهل جيش الرسول و أعوانه أقل أم جيشهم و أعوانهم، فقد كان الكفار يفتخرون على الرسول بكثرة جموعهم و ضعف أصحابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ فأتى السياق ليبين أن فى الآخرة تنقلب الكفة، و أنه يتبدد عددهم و يضعف ناصرهم، فلا يقوى من إنجائهم من عذاب الله سبحانه.

[٢٦] و قد كان الكفار يستعجلون الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ فى إنزال العذاب بهم- استهزاء به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ- فجاء السياق لردهم بقوله: قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَهُؤُلَاءِ الْكُفَّارِ الْمُسْتَعْجِلِينَ: إِنْ أَدْرِي أَى مَا أَدْرِي

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٣٥

[سورة الجن (٧٢): الآيات ٢٦ الى ٢٨]

عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصِيدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَ أَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَ أَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨)

أَقْرَبٌ مَا تُوعَدُونَ أى هل قريب العذاب الذى وعدتم به لكفركم و عصيانكم أَمْ يَجْعَلُ لَهُ أى ل «ما توعدون» رَبِّي أَمَدًا أى مدة، فهو بعيد عنكم؟ فإن عذاب القيامة مجهول الوقت إلا عنده سبحانه، فعنده علم الساعة.

[٢٧] فإنه وحده عالم الغيب يعلم ما غاب عن الحواس فلا يُظْهِرُ أى لا يعلم على غيبه أى الغيب الذى يعلمه هو أَحَدًا من عباده، فإن علم الغيب خاص به.

[٢٨] إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ أى اختاره للاطلاع على الغيب مِنْ رَسُولٍ أى المعنى إلا من ارتضاه للرسالة من أفراد الرسل، فإنه تعالى يظهره على قدر من الغيب- حسب الحكمة و الصلاح- و التى يخبر الإمام أو سائر الناس بقدر ما أذن له فى الإخبار، و إذ أعلمه الله سبحانه بالغيب أحاطه بجملة من الحفظه حتى يكونوا مراقبين عليه فى البلاغ، مع أنه مأمون فى نفسه، و أن الله عالم به، و لكن هذا للتشريفات، كما و كل بالعباد حفظه مع أنه عالم بما يصدر منهم.

فَبِأَنَّهُ سَبَّحَانَهُ يَسْلُكُ أى يجعل فى الطريق مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ أى من أمام الرسول و مِنْ خَلْفِهِ أى ورائه رَصِيدًا من الملائكة يرصدونه فى أعماله، تشريفاً للغيب و الوحي الذى أعلم الرسول به.

[٢٩] و إنما يرصد ليُعَلِّمَ اللهُ سبحانه، و المراد ليقع متعلق علمه فى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٣٦

الخارج، كقوله حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ (١) إلى غير ذلك أَنْ قَدْ أُبْلَغُوا أَوْلِيَاكَ الرسل الذين أطلعهم على علم الغيب رسالات رَبِّهِمْ فكل ما أوحى إليه رسالته، و مجموع الوحي رسالات وَ ذلك ليس لأنه لا يعلم- بل للتشريفات، كما ذكرنا- إذ قد أحاطَ اللهُ سبحانه بما لَدَيْهِمْ أى بما يفعله الأنبياء من تبليغ الرسالة وَ أخصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا فعلم أعداد الأشياء كلها، فإحاطته بما لدى الأنبياء من مصاديق إحصائه سبحانه عدد كل شيء من الخلائق والأعمال والأحوال.

هذا هو المعنى الذى استظهرته من الآيات المباركة حسب ما يظهر من السياق، و هناك قول آخر فى معانيها ليس بهذا القرب إلى الظاهر، و الله سبحانه أعلم بمراده.

(١) محمد: ٣٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٣٧

٧٣ سورة المزمل مكية - مدنية / آياتها (٢١)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتغالها على لفظه «المزمل»، و هى كسائر السور المدنية مشتملة على النظام و العقيدة، و قيل هى مختلطة من المكية و المدنية. و حيث ختمت سورة الجن بذكر الرسل، ابتدأت هذه السورة بذكر الرسول صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم. [١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نبتدى فى السورة باسم الإله، أى ملابسا مع هذا الاسم الكريم، الذى بيد مسماه الكون كله، الرحمن الرحيم الذى يرحم كل شيء خلقا و تربية، حتى يصل كل شيء إلى كماله اللائق به، و يرحم عبيده المؤمنين فى الآخرة بالثواب و الفضل.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٣٨

[سورة المزمل (٧٣): الآيات ١ الى ٤]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤)

[٢] يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ المراد به الرسول صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم، أصله «المتزمل» من باب التفعيل، ثم أدغمت التاء فى الزاء، و جىء بهمزة الوصل لتعذر الابتداء بالساكن، و معنى «تزمّل» تلفف فى ثوب و نحوه، فقد كان الرسول صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم يتزمل بثوبه و ينام، فخطب بهذا الخطاب لمناسبة الحالة للأمر المتوجه إليه فى قيام الليل.

[٣] قُمْ فى اللَّيْلِ لأداء صلاة الليل إِلَّا قَلِيلًا منه فلك أن تنام فيه.

[٤] ثم بين سبحانه مقدار القليل الذى سمح للرسول صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم بالنوم فيه بقوله:

نِصْفَهُ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ أى فى مقدار نصف الليل أَوْ انْقُصْ مِنْهُ أى من النصف قَلِيلًا بأن تضيف على سهرك، فىكون نومك أقل من النصف.

[٥] أَوْ زِدْ عَلَيْهِ أى على النصف، بأن تضيف على نومك فىكون نومك أكثر من النصف، و الحاصل أن المأمور به السهر بمقدار نصف الليل، أو أكثر من النصف، أو أقل من النصف- و المحور النصف- وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ أى اقرأه قراءة متوسطة لا بسرعة و لا ببطئ زائد تَرْتِيلًا تأكيد ل «رتل».

و قد سئل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن هذه الآية فقال: بينه بيانا و لا تهذه هذو الشعر «أى لا تسرعون فى قراءته كما تسرعون فى قراءة الشعر» و لا- تنثره نثر الرمل «أى لا تفرقوا بعضه عن بعض كثير الرمل» و لكن أفرعوا قلوبكم القاسية، و لا يكن هم أحدكم

آخر السورة

(١) الكافي: ج ٢ ص ٤١٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٣٩

[سورة المزمل (٧٣): الآيات ٥ الى ٨]

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (٧) وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨)

[٦] إِنَّا سَنُلْقِي أَي سَنُوحِي عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَوْلًا ثَقِيلًا أَي كَلَامًا يَثْقُلُ عَلَيْكَ الْقِيَامُ بِهِ، وَ الْمَرَادُ بِهِ الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَثْقُلُ عَلَى الْإِنْسَانِ الْعَمَلُ بِهِ، أَوْ الرِّسَالَةُ فَإِنَّهُ يَثْقُلُ أَدَاؤُهَا، أَوْ الْقِيَامُ بِاللَّيْلِ.

[٧] كَمَا فَسَّرَ قَوْلَهُ تَعَالَى: إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ أَي سَاعَاتُ اللَّيْلِ لِأَنَّهَا تَنْشَأُ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ، وَ الْمَقْصُودُ الْعَمَلُ فِيهَا أَوْ الْمَرَادُ الْعِبَادَةُ الَّتِي تَنْشَأُ فِي اللَّيْلِ. هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا أَي أَكْثَرُ ثَقَلًا وَ كَلْفَةً، لِصُعُوبَةِ الْقِيَامِ لَيْلًا شِتَاءً لِبُرْدِ الْهَوَاءِ، وَ صِيْفًا لِقِصْرِ اللَّيَالِي، وَ لَعَلَّ الْمَرَادَ كَوْنَهَا أَشَدَّ مِنْ نَاشِئَةِ النَّهَارِ وَ أَقْوَمُ قِيلاً أَي قَوْلُ اللَّيْلِ وَ عِبَادَتُهُ أَكْثَرُ قَوَامًا وَ اسْتِمْسَاكَ لِأَنَّهُ يُؤَدِّي بِحُضُورِ الْقَلْبِ وَ تَوَجُّهِ الذَّهْنِ، وَ لِأَنَّ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ أَحْمَرُهَا.

[٨] إِنَّ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي النَّهَارِ سَبْحًا «السَّبْحُ» التَّقَلُّبُ وَ مِنْهُ يُسَمَّى الْمُتَقَلِّبُ فِي الْمَاءِ سَابِحًا: أَي تَقَلَّبَا فِي أَشْغَالِكَ طَوِيلًا مِنْ إِرَاءَةِ الطَّرِيقِ، وَ الْإِرْشَادِ، وَ سَائِرِ الْأَعْمَالِ فَلَا يَتَأْتِي مِنْكَ أَنْ تَعْبُدَ كَمَا يَنْبَغِي، وَ لِذَا جَعَلَ اللَّيْلَ لِلْعِبَادَةِ.

وَ قَدْ رَوَى إِنْ الْإِمَامَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَعْمَلُ طَوِيلَ النَّهَارِ، وَ يَعْبُدُ طَوِيلَ اللَّيْلِ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا تَهْتَدُ؟ قَالَ: إِذَا هَدَأَتِ النَّهَارَ كَانَ فِيهِ ضِيَاعُ الْأُمَّةِ، وَ إِذَا هَدَأَتِ اللَّيْلَ كَانَ فِيهِ ضِيَاعُ نَفْسِي.

[٩] وَادْكُرْ يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْمَ رَبِّكَ أَنْ تَعْبُدَهُ وَ تَخْضَعُ لَهُ وَ تَبْتَلَّ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا «التَّبْتَلُ» هُوَ الْإِنْقِطَاعُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لَهُ،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٤٠

[سورة المزمل (٧٣): الآيات ٩ الى ١٢]

رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩) وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (١٠) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهْلُهمُ قَلِيلًا (١١) إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (١٢)

من «بتل» بمعنى قطع، و إنما قال «إليه» لأن الانقطاع عن الخلق إليه، لا كون الانقطاع عنه.

[١٠] ثم بين «ربك» بقوله: رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ هُوَ كُنْيَاةُ عَنِ الْكُونِ، لِأَنَّ مِنْ بِيَدِهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ كَانَ بِيَدِهِ الْعَالَمُ كُلُّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَلَا شَرِيكَ لَهُ كَمَا يَزْعُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَ لِذَا لَا يَحِقُّ الْعِبَادَةُ لِغَيْرِهِ فَاتَّخِذْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكِيلًا أَي حَفِيظًا لِلْقِيَامِ بِأَمْرِكَ وَ فَوْضَ إِلَيْهِ أَمْرِكَ.

[١١] وَاصْبِرْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي تَوْحِيدِكَ وَ نَبْذِ الْأَصْنَامِ عَلَى مَا يَقُولُونَ أَي الْكُفَّارِ حَوْلَكَ مِنْ أَنْكَ سَاحِرٍ أَوْ كَاهِنٍ أَوْ مَجْنُونٍ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ وَاهْجُرْهُمْ أَي ابْتَعِدْ عَنْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا بِأَنَّ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى فِي عَيْنِ حَالَةِ الْهَجْرِ، بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ الْمَجَادَلَةِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.

[١٢] وَذَرْنِي أَي دَعْنِي لَهُمْ فَأَنَا أَكْفِيكَ شَرَّهُمْ وَ الْمُكَذِّبِينَ بِرِسَالَتِكَ وَ مَا جِئْتُ بِهِ أُولِي النَّعْمَةِ أَي أَصْحَابَ الثَّرْوَةِ وَ غَيْرَهَا مِنْ سَائِرِ النَّعْمِ، فَكُلُّ جَزَاءِهِمْ أَلِيَّ وَ مَهْلُهمُ قَلِيلًا أَي إِنَّهُمْ بَعْدَ قَلِيلٍ سَيَقْعُونَ فِي الْعَذَابِ، عَذَابِ الدُّنْيَا فِي قِصَّةِ بَدْرٍ، وَ عَذَابِ الْآخِرَةِ. وَ قَوْلُهُ «مَهْلُهُمْ» كُنْيَاةُ عَنِ الصَّبْرِ مَعَهُمْ، وَ هَذَا تَهْدِيدٌ لِلْكَفَّارِ.

[١٣] إِنَّ لَدَيْنَا فِي الْآخِرَةِ، وَ الْمَرَادُ بِ «لَدَيْنَا» لَدَى حِسَابِنَا وَ جَزَائِنَا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٤١

[سورة المزمل (٧٣): الآيات ١٣ إلى ١٥]

وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣) يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَهِيلًا (١٤) إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥)

أنكالا جمع «نكل»، و هي القيود و الأغلال و جحيماً أى نارا كثيرة، فإن جحيم بمعنى ذلك، و هي من أسماء جهنم.

[١٤] وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ «الغصة» تردد اللقمة في الحلق بحيث لا يتمكن الإنسان من إساغتها، أى أن أطعمه النار المهيبه لهم ذات غصه فلا يتمكن المجرم من إساغتها إلا بعد علاج و صعوبة و عذاباً أليماً مؤلماً موجعا.

[١٥] إن هذه الألوان من العذاب إنما هي في يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ أى تتحرك و تضطرب، فإن الزلزال من علائم القيامة، كما قال سبحانه إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ «١» وَالْجِبَالُ لَتَكْثِيرِ الْهَوْلِ وَكَانَتِ الْجِبَالُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ كَثِيرًا مَهِيلًا «الكثيب» الرمل المجتمع الكثير «و المهيل» هو السائل المتناثر، من هال: إذا حرك أسفله فتحرك و سال أعلاه، أى تكون الجبال هكذا سائلة في الأرض.

[١٦] إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ أَيهَا الْكُفَّارِ رَسُولًا يَعْنِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ شَاهِدًا عَلَيْكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ مِنَ الْاِعْتِقَادِ وَ الْعَمَلِ، الصَّحِيحِ أَوْ الْفَاسِدِ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا وَ هُوَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١) الحج: ٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٤٢

[سورة المزمل (٧٣): الآيات ١٦ إلى ١٩]

فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً (١٦) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مَنفُطْرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا (١٨) إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (١٩)

[١٧] فَعَصَى فِرْعَوْنَ الرَّسُولَ بَأْنَ لَمْ يَطِعْ أَوْامِرَهُ، بَلْ خَالَفَهُ وَ عَانَدَهُ فَأَخَذْنَاهُ أَي أَخَذْنَا فِرْعَوْنَ أَخْذًا وَبِيلاً أَي شَدِيدًا ثَقِيلًا يَأْغْرَاقُهُ فِي الْبَحْرِ، وَ هَكَذَا أَنْتُمْ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا أَخَذْنَاكُمْ بِصُنُوفِ الْعَذَابِ.

[١٨] فَكَيْفَ تَتَّقُونَ أَيهَا الْكُفَّارِ، أَي تَجْتَنِبُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ فِي الدُّنْيَا يَوْمًا أَي مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ - وَ هُوَ مَفْعُولٌ «تَتَّقُونَ» يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ جَمْعَ وَلَدٍ شِيبًا جَمْعَ أَشْيَبٍ، وَ هُوَ الْبَالِغُ سِنِ الشَّيْبِ وَ الشَّيْخُوخَةُ فَإِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَشَدِيدُ أَهْوَالِهَا يَجْعَلُ الْأَوْلَادَ فِي صُورَةِ الشَّيْخِ بِيَاضِ الشَّعْرِ وَ نَحْوِهِ، أَي هَلْ تَتَمَكَّنُونَ مِنَ الْاِتِّقَاءِ عَنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ وَ إِذْ لَا تَتَمَكَّنُونَ فَكَيْفَ تَكْفُرُونَ حَتَّى تَتَّبَلَّوْا بِهِ؟

[١٩] السَّمَاءُ مَنفُطْرٌ بِهِ أَي بِذَلِكَ الْيَوْمِ، أَي أَنَّ السَّمَاءَ تَنْفَطِرُ بِسَبَبِ أَهْوَالِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَ السَّمَاءُ يَجُوزُ فِيهَا التَّذْكَيرُ وَ التَّنَائِثُ، وَ لِذَا قَالَ فِي مَقَامٍ آخَرَ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ «١» وَ الْاِنْفِطَارُ هُوَ الْاِنشِقَاقُ، بَأْنَ يَرَى السَّمَاءَ كَالشَّيْءِ الْمَنْشُوقِ، لِاِخْتِلَالِ نِظَامِ الْمَدَارَاتِ، وَ لَوْنِ الْهَوَاءِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ كَانَ وَعْدُهُ سَبْحَانَهُ بِمَجْئِءِ هَذِهِ الْأُمُورِ مَفْعُولًا أَي كَأَنَّهُ لَا خَلْفَ فِيهِ وَ لَا تَبْدِيلَ.

[٢٠] إِنَّ هَذِهِ أَي صِفَةُ الْأُمُورِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا لِأَهْوَالِ ذَلِكَ الْيَوْمِ تَذْكَرَةٌ

(١) الانفطار: ٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٤٣

[سورة المزمل (٧٣): آية ٢٠]

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَ نَضِيفَهُ وَ ثُلُثَهُ وَ طَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَ اللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَ آخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَ آخَرُونَ

يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٠)

و موعظة لكم أيها البشر فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً أي سلك سبيلاً يؤدي إلى رضوانه، وهو سبيل الدين و الإسلام. [٢١] ثم عطف السياق نحو قيام الليل الذي ابتدأ به الكلام فقال إِنَّ رَبَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ أَيِّ فِي الْوَقْتِ الَّذِي هُوَ أَقْرَبُ مِنْ ثَلَاثِي اللَّيْلِ وَنَصِيفِهِ وَ ثُلُثَهُ فَمَنْ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي كَانَ الرَّسُولُ يَقُومُ قَبْلَ ثَلَاثِي اللَّيْلِ بِأَنَّ كَانَ الْبَاقِي إِلَى الْفَجْرِ ثَلَاثًا، وَ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي قَبْلَ النِّصْفِ، وَ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي قَبْلَ الثَّلَاثِ وَ تَقُومُ طَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَالْإِمَامِ الْمَرْضِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ الصَّدِيقَةَ الطَاهِرَةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَ سَائِرَ الْخَوَاصِّ.

وَ اللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ أَيُّ أَنْ مَقْدَارَ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ بِيَدِهِ، فَهُوَ الْمَقْدَرُ لَهَا، وَ الْمَقْدَرُ يَعْلَمُ الْأُمُورَ الْمُرْتَبِطَةَ بِمَا قَدَرَهُ، وَ لِذَا عَلِمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ لَنْ تُحْصَوْهُ أَيُّ لَا تَتِمَّكَونَ مِنْ إِحْصَاءِ اللَّيْلِ كُلِّهِ، بِأَنَّ تَقُومُوا فِيهِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَ الطَّاعَةِ فَتَابَ عَلَيْكُمْ بِأَنَّ لَمْ يَفْرَضِ الْقِيَامَ فِي اللَّيْلِ عَلَيْكُمْ عَطْفًا وَ تَفَضُّلاً، مَعَ أَنَّ الْمَقْتَضَى لِلْإِجَابِ كَانَ مَوْجُودًا فَاقْرَأُوا فِي اللَّيْلِ مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ أَيُّ مِنْ الشَّيْءِ الَّذِي يَقْرَأُ، وَ الْمُرَادُ بِهِ الصَّلَاةُ وَ الدُّعَاءُ وَ نَحْوَهُمَا، وَ الْمَعْنَى أَنَّهُ حَيْثُ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى الْقِرَاءَةِ كُلِّ اللَّيْلِ فَاقْرَأُوا مَا سَهَلَ عَلَيْكُمْ وَ تيسر عندكم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٤٤

ثم بين سبحانه حكمته التسهيل بقوله: عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرَضَى جَمْعُ «مَرِيضٍ»، وَ الْمَرِيضُ لَا يَقْدِرُ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ وَ آخِرُونَ مِنْكُمْ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ أَيُّ يَسَافِرُونَ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ أَيُّ يَطْلُبُونَ الْفَضْلَ وَ التَّجَارَةَ وَ آخِرُونَ مِنْكُمْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ وَ سَبِيلِ دِينِهِ، وَ الْمَسَافِرُ وَ الْمُحَارِبُ حَيْثُ تَعَبَا فِي النَّهَارِ لَا يَسْهَلُ عَلَيْهِمَا قِيَامُ اللَّيْلِ، وَ لِذَا خَفَّفَ سُبْحَانَهُ عَنْكُمْ وَ لَمْ يَلْزِمْكُمْ بِالْقِيَامِ، أَوْ بِمَقْدَارِ خَاصِّ كَالنِّصْفِ وَ الثَّلَاثِ وَ الثَّلَاثِينَ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ وَ سَهَلَ مِنْهُ أَيُّ مِنَ الْقُرْآنِ، وَ الْمُرَادُ بِهِ الصَّلَاةُ وَ الدُّعَاءُ وَ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ فَإِنَّ الْقُرْآنَ مُطْلَقٌ مَا يَقْرَأُ، فَإِنَّ هَذِهِ الْعِلَلُ الْخَاصَّةُ أَوْجَبَتْ تَخْفِيفًا عَامًا- عَلَى نَحْوِ الْحِكْمَةِ- وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ فِي أَوْقَاتِهَا كَمَا فَرَضَ سُبْحَانَهُ وَ آتُوا الزَّكَاةَ أَيُّ أَعْطَوْهَا وَاجِبُهَا وَ مَنَدُوبُهَا وَ أَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا بِإِنْفَاقِ الْمَالِ فِي مَرَضِيهِ، بَلَا مِنْ أَوْ رِبَاءٍ أَوْ سَمْعَةٍ أَوْ عَجَبٍ، وَ كُونُهُ إِقْرَاضًا بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَرُدُّهُ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ أَوْضَاعًا مُضَاعَفَةً.

وَ مَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ إِلَى الْآخِرَةِ مِنْ خَيْرٍ أَيُّ طَاعَةٍ وَ عِبَادَةٍ فَإِنَّ مَا يَعْمَلُهُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْخَيْرِ يَقْدَمُ لَهُ إِلَى الْجَنَّةِ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ إِلَيْهَا وَجَدَ فِيهَا ثَوَابَ مَا عَمِلَ تَجِدُوهُ أَيُّ ذَلِكَ الْخَيْرِ عِنْدَ اللَّهِ فِي دَارِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٤٥

كرامته هُوَ أَيُّ تَجِدُوهُ هُوَ- بَعِينَهُ بَلَا نَقْصَانٍ أَوْ اخْتِلَافٍ- خَيْرٌ أَيُّ فِي حَالِ كُونِهِ خَيْرًا، أَوْ بِحَذْفِ «تَجِدُوا» أَيُّ تَجِدُوا خَيْرًا، أَوْ أَنَّهُ بَيَانٌ لَهَا «تَجِدُوهُ»، وَ فِي حَالِ كُونِهِ أَكْبَرُ أَيُّ ثَوَابًا مِمَّا كَانَ هُوَ، فَثَوَابُهُ فِي الْآخِرَةِ أَكْبَرُ مِنْ نَفْسِهِ فِي الدُّنْيَا، إِذَا كَانَ فِي الدُّنْيَا يَسَاوِي عَشْرَةَ، فَتَجِدُونَ فِي الْآخِرَةِ ثَوَابَهُ مِائَةً- مِثْلًا- أَوْ أَكْبَرُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي يَبْقَى فِي الدُّنْيَا وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ اطْلُبُوا غَفْرَانَهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لِلذُّنُوبِ رَحِيمٌ يَتَفَضَّلُ بِالرَّحْمَةِ فَوْقَ غَفْرَانِ الذُّنُوبِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٤٦

٧٤ سورة المدثر مكية / آياتها (٥٧)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتغالها على لفظة «المدثر»، وهي كسائر السور المكية تعالج قضايا العقيدة في أصولها، و حيث ختمت سورة المزمل بالصلاة و القرآن و سائر أنواع الخير، افتتحت هذه السور بذكر بعض أنواعها الأخر من القيام بالتبليغ، و التكبير، و التطهير.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نستعين باسم الإله، ليكون لنا عوناً في أمورنا، الرحمن الرحيم الذى يتفضل بالرحم و الفضل على العباد.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٤٧

[سورة المدثر (٧٤): الآيات ١ الى ٦]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤)

وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ (٦)

[٢] يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ المراد به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والمدثر أصله من «تدثر» باب التفعّل، أدغمت التاء فى الدال، وجيء بهمزة الوصل لتعذر الابتداء بالساكن، والمدثر هو لابس الدثار، والدثار هو ما يلبسه الإنسان فوق الثوب الملاصق لجسده لأجل التدفئة، و فى مقابلة الشعار و هو الثوب اللاصق بالبدن، يسمى به لأنه لاصق بشعر الإنسان.

وقد روى أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لما أوحى إليه أخذته الرعدة من الهيبة فقال لخديجه عليها السلام: دثرني، فدثرته، فجاء النداء «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ».

[٣] قُمْ من استراحتك فَأَنْذِرْ الناس و خوفهم من العقاب إن تمادوا فى الكفر و العصيان.

[٤] وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ أى كبر الله و عظمه- وحده دون الأصنام-.

[٥] وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ فإن المسلم يجب عليه تطهير قلبه عن أدران الشرك بتكبير الله وحده، و تطهير ثيابه عن الأوساخ بتقصير ذيله حتى لا- يتسخ، و تنظيفه من النجاسات. و قد روى فى معنى الآية التطهير من النجاسة و التطهير بالتقصير- و ذلك لأن المراد هو الأعم منهما-

و فى الحديث «قصر ثوبك يكون أتقى و أنقى و أبقى».

[٦] وَالرُّجْزَ أى القذارة بأقسامها الشاملة للأصنام و للنجاسات الظاهرية، و للردائل فَاهْجُرْ أى ابتعد عنها.

[٧] وَلَا تَمْنُنْ فى العطاء تَسْتَكْبِرُ أى تطلب الكثير بعدم المنّة، فإن ما يراد به وجه الله يضاعف، أو

المعنى لا تعط العطية تلمس أكثر منها-

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٤٨

[سورة المدثر (٧٤): الآيات ٧ الى ١٣]

وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) فَإِذَا نُقِرَ فى النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠) ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١)

وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (١٢) وَبَيْنَ يَدَيْهِ شُهُودًا (١٣)

كما عن الباقر عليه السلام «١»

- أو لا تمنن بعبائك، على الناس مستكثرا ما أعطيته.

[٨] وَلِرَبِّكَ أى لأجله سبحانه فَاصْبِرْ على أذى الكفار و المشركين.

[٩] فإنه سيأتى يومهم الذى ينتقم فيه منهم فَإِذَا نُقِرَ فى النَّاقُورِ أى نفخ فى الصور، و النقر هو الضرب فى الشىء، و منه نقر الغراب، «و

الناقور» فاعول، بمعنى البوق، لأنه ينقر فيه، فإن النفخ كالنقر.

[١٠] فَذَلِكَ النقر يَوْمَئِذٍ أى يوم ينقر يَوْمٌ عَسِيرٌ صعب شديد.

[١١] عَلَى الْكَافِرِينَ بالله و رسوله و ما جاء به من عنده غَيْرُ يَسِيرٍ أى غير سهل، فإن فى ذلك اليوم يعذب الكافر. و هذه الجملة للتأكيد، و إفادة أن عسر ذلك اليوم إنما هو للكافر، لا للمؤمن التقي.

[١٢] ذَرْنِي أى دعنى يا رسول الله وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا لا- مال له و لا أولاد، و المعنى انا أكفيك شره، و

أنتقم منه جزاء لتكذيبه.

[١٣] وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا أَي ذَا مَدٍّ وَطُولٍ، فَقَدْ كَانَ «وَلِيدًا» الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الْآيَاتُ صَاحِبَ أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ.

[١٤] وَجَعَلْتُ لَهُ بَيِّنَ أَي أَوْلَادًا شُهُودًا أَي حُضُورًا عِنْدَهُ،

(١) بحار الأنوار: ج ٩٣ ص ١٤٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٤٩

[سورة المدثر (٧٤): الآيات ١٤ إلى ١٧]

وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧)

و هذه نعمة أخرى بأن يكون أولاد الإنسان عنده لا يغيبون عنه.

[١٥] وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا أَي هَيَّأْتُ لَهُ الْأُمُورَ تَمْهِيدًا، بَأَنَّ صَارَ ذَاتَ جَاهٍ فِي قَوْمِهِ، وَ مَكَانَةً فِي الْبَلَدِ، وَ هَيَّأْتُ لَهُ الْأَسْبَابَ.

[١٦] ثُمَّ يَطْمَعُ هَذَا الشَّخْصَ أَنْ أَزِيدَ مَالَهُ وَ أَوْلَادَهُ.

[١٧] كَلَّا لَا أَزِيدُ بَعْدَ ذَلِكَ شَيْئًا لَهُ، فَقَدْ كَفَرَ بِي، وَ أَبْدَلَ مَكَانَ الشُّكْرِ كُفْرَانًا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا أَي مَعَانِدًا لِأَدْلَتِنَا وَ حُجُجِنَا لَا يُؤْمِنُ

بِهَا عُنَادًا وَ مَضَادَةً.

[١٨] سَأُرْهِقُهُ صِعُودًا أَي سَأُكَلِّفُهُ مَشَقَّةً مِنَ الْعَذَابِ لَا طَاقَةَ لَهُ بِهَا، وَ الصُّعُودُ هِيَ الْعَقَبَةُ الشَّاقَّةُ الْمَصْعُدُ، فَإِنَّ مِنْ يَكْلِفُ صُعُودَهَا يَشُقُّ

عَلَيْهِ، فَقَدْ شَبِهَ الْعَذَابَ بِذَلِكَ لِلتَّقْرِيبِ إِلَى الذَّهْنِ.

وَ قَدْ وَرَدَ فِي سَبَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَاتِ وَ مَا بَعْدَهَا مَا ذَكَرَهُ الْقَمِي قَالَ نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ، وَ كَانَ شَيْخًا مَجْرِبًا مِنْ دِهَاءِ الْعَرَبِ وَ

كَانَ مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَقْعُدُ فِي الْحَجْرِ وَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَاجْتَمَعَتْ قَرِيشٌ إِلَى

الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ، فَقَالُوا:

يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ مَا هَذَا الَّذِي يَقُولُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ أَشْعَرُ هُوَ أَمْ كِهَانَةٌ أَمْ خُطْبٌ؟ فَقَالَ: دَعُونِي أَسْمِعْ كَلَامَهُ، فَدَنِي

مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَقَالَ:

يَا مُحَمَّدُ أَنْشَدْنِي مِنْ شِعْرِكَ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: مَا هُوَ شِعْرِي، وَ لَكِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ الَّذِي ارْتَضَيْتَهُ مَلَائِكَتُهُ وَ أَنْبِيَآؤُهُ وَ رَسَلَهُ.

فَقَالَ: اتْلُ عَلَيَّ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَرَأَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ حَمَّ السَّجْدَةِ، فَلَمَّا بَلَغَ قَوْلَهُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٥٠

تقريب القرآن إلى الأذهان ج ٥ ص ٥٩٩

[سورة المدثر (٧٤): الآيات ١٨ إلى ١٩]

إِنَّهُ فَكَّرَ وَ قَدَّرَ (١٨) فَفُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩)

فَإِنَّ أَعْرَضُوا فَقُلُّ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَ ثَمُودَ «١» قَالَ: فَاقْشَعَرَ الْوَلِيدُ وَ قَامَتْ كُلُّ شَعْرَةٍ فِي رَأْسِهِ وَ لِحْيَتِهِ، وَ مَرَّ إِلَى بَيْتِهِ وَ

لَمْ يَرْجِعْ إِلَى قَرِيشٍ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ. فَمَشُوا إِلَى أَبِي جَهْلٍ فَقَالُوا: يَا أَبَا الْحَكَمِ إِنَّ أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ صَبَأَ «أَي مَالَ إِلَى دِينِ مُحَمَّدٍ» أَمَا تَرَاهُ

لَمْ يَرْجِعْ إِلَيْنَا؟ فَعَدَا أَبُو جَهْلٍ إِلَى الْوَلِيدِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَمَّ نَكْسَتْ رُؤُوسَنَا وَ فَضَحْتَنَا وَ أَشْمَتْنَا بِنَا عَدُونَا وَ صَبُوتَ إِلَى دِينِ مُحَمَّدٍ؟ فَقَالَ:

مَا صَبُوتَ إِلَى دِينِهِ وَ لَكِنَّ سَمِعْتَ مِنْهُ كَلَامًا صَعِبًا تَقْشَعُرُ مِنْهُ الْجُلُودَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: أَخْطَبُ هُوَ؟ قَالَ:

لَا، إِنَّ الْخُطْبَ كَلَامٌ مُتَّصِلٌ وَ هَذَا كَلَامٌ مُنْتَوِرٌ وَ لَا يَشْبَهُ بَعْضُهُ بَعْضًا.

قَالَ: أَفَشِعْرُ هُوَ؟ قَالَ: لَا أَمَا إِنِّي لَقَدْ سَمِعْتُ أَشْعَارَ الْعَرَبِ بَسِيطَهَا وَ مَدِيدَهَا وَ رَمَلَهَا وَ رَجَزَهَا وَ مَا هُوَ بِشِعْرٍ. قَالَ: فَمَا هُوَ؟ قَالَ: دَعْنِي

أَفَكْرَ فِيهِ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالُوا لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ مَا تَقُولُ فِيمَا قُلْنَا؟ قَالَ: قَوْلُوا هُوَ سِحْرٌ فَإِنَّهُ آخَذَ بِقُلُوبِ النَّاسِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ

رسوله في ذلك «ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا» وإنما سمي وحيدا لأنه قال لقريش: أنا أتوحد بكسوة البيت سنة و عليكم في جماعتكم سنة، و كان له مال كثير و حداث و كان له عشرة بنين بمكة، و كانت له عشرة عبيد عند كل عبد ألف دينار يتجر بها
(٢).

[١٩] إِنَّهُ أَى الْوَلِيدِ فَكَّرَ حَوْلَ الْقُرْآنِ وَقَدَّرَ الْقَوْلَ فِي نَفْسِهِ.

[٢٠] فُقُتِلَ دَعَاءَ عَلَيْهِ، أَى قَتَلَهُ اللَّهُ كَيْفَ قَدَّرَ؟ تَقْدِيرًا يُوَافِقُ أَهْوَاءَ الْمَكْذِبِينَ وَ أَذْهَانَ الْعَامَّةِ، فَإِنِ النَّاسُ يَسْرَعُونَ إِلَى نِسْبَةِ السِّحْرِ إِلَى كُلِّ

(١) فصلت: ١٤.

(٢) تفسير القمى: ج ٢ ص ٣٩٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٥١

[سورة المدثر (٧٤): الآيات ٢٠ الى ٢٦]

ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنِ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (٢٤) إِنِ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُضِلِّيهِ سَقَرَ (٢٦)

ما خرج عن طورهم، و هذا تعجب من تفكيره و تقديره.

[٢١] ثُمَّ لِلتَّرَاخِي فِي الْكَلَامِ لَا فِي الْخَارِجِ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ تَكْرِيرًا لِشِدَّةِ التَّعْجَبِ مِنْهُ، وَ إِعَادَةُ الدَّعَاءِ عَلَيْهِ.

[٢٢] ثُمَّ نَظَرَ فِي طَلَبِ مَا يَدْفَعُ بِهِ الْقُرْآنَ، وَ النَّظَرَ هُنَا التَّفَكُّرَ.

[٢٣] ثُمَّ عَبَسَ أَى قَطَبَ وَجْهَهُ وَ كَلَحَهُ، وَ بَسَرَ الْبُشُورَ بِدَوِّ التَّكْرَهُ فِي الْوَجْهِ.

[٢٤] ثُمَّ أَدْبَرَ أَى أَعْرَضَ عَنِ الْحَقِّ، وَ أَنَّ يَقُولَ فِي الْقُرْآنِ مَا عَلِمَهُ مِنْهُ وَ اسْتَكْبَرَ فَقَدْ مَنَعَهُ كِبَرُهُ عَنِ الْقَوْلِ بِالْحَقِّ.

[٢٥] فَقَالَ إِنِ هَذَا أَى مَا هَذَا الْقُرْآنُ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ أَى يَرُودُ عَنِ السِّحْرِ.

[٢٦] إِنِ هَذَا أَى مَا هَذَا الْقُرْآنُ إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ فَلَيْسَ وَحْيًا مَنَزَلًا مِنَ السَّمَاءِ.

[٢٧] ثُمَّ جَاءَ السِّيَاقُ لِيَهْدِيَهُ لِهَذَا الْكَلَامِ الْمَكْذُوبِ الَّذِي افْتَرَاهُ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ سِحْرًا لَقَدَّرَ السِّحْرَ عَلَى الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ، وَ لَقَدَّرَ الْمَشْرُوعُونَ فِي الْعَالَمِ أَنَّ يَضْعُوا قَوَانِينَ شَبِيهَةً بِهِ، لَكِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ وَ قَدْ عَلِمُوا بِهِ وَ إِنَّمَا مَنَعَهُمْ عَنِ ذَلِكَ كِبَرُهُمْ وَ تَمَرْدُهُمْ سَأُضِلِّيهِ سَقَرَ أَى سَادَخَلَهُ جَهَنَّمَ، وَ أَلْزَمَهُ إِيَّاهَا، فَإِنَّ «الإِصْلَاءَ» إِلْزَامُ مَوْضِعِ النَّارِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٥٢

[سورة المدثر (٧٤): الآيات ٢٧ الى ٣١]

وَ مَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ (٢٧) لَا تُبْقَى وَ لَا تَدْرُ (٢٨) لَوْ أَحَ لِّلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَ مَا جَعَلْنَا أَضْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَ مَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَ يَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَ لَا يَزَاتَبَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ لِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا - كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَ مَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَ مَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْبَشَرِ (٣١)

[٢٨] وَ مَا أَدْرَاكَ أَيُّهَا السَّمَاعُ مَا سَقَرَ أَى أَنْتَ لَا تَدْرِي مَا هِيَ لِشِدَّةِ عَذَابِهَا، حَتَّى كَأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْرِفَهَا عَلَى حَقِيقَتِهَا.

[٢٩] لَا - تُبْقَى شَيْئًا مِمَّا يَطْرَحُ فِيهَا، بَلْ تَأْكُلُ اللَّحْمَ وَ تَحْرِقُ الْجِلْدَ وَ الْعِظْمَ وَ لَا تَدْرُ إِذَا تَأْكِيدًا أَوْ بِمَعْنَى أَنَّهَا لَا تَدْعُهُمْ يَفْنُونَ حَتَّى يَنْجُوا مِنَ الْعَذَابِ، بَلْ تَحْرِقُ وَ تَعِيدُ، وَ هَكَذَا دَوَالِيكَ.

[٣٠] لَوْ أَحَ مِنَ التَّلْوِيحِ بِمَعْنَى تَغْيِيرِ اللَّوْنِ بِوَسْطَةِ الشَّمْسِ وَ نَحْوِهَا لِّلْبَشَرِ أَى أَنَّهَا تَغْيِيرُ الْجُلُودِ، وَ «البشر» جَمْعُ بَشْرَةٍ، وَ هِيَ ظَاهِرُ الْجِلْدِ.

[٣١] عَلَيْهَا أَى الْمَلَائِكَةُ الْمُوَكَّلُونَ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ وَ هَذَا أَحَدُ الْأَعْدَادِ الْمُمْكِنَةِ، وَ لَا مَجَالَ لِأَن يُقَالَ: لِمَاذَا لَيْسُوا أَكْثَرَ وَ لَا أَقَلُّ؟ فَإِنِ أَى عِدَدٍ كَانَ مَحَلُّ هَذَا السُّؤَالِ، كَمَا أَنَّ فِي سَائِرِ الْأَعْدَادِ أَيْضًا لَا إِشْكَالَ، كَثَمَانِيَّةِ أَبْوَابِ لِلْجَنَّةِ، وَ سَبْعَةِ لِلنَّارِ، وَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا وَ هَكَذَا.

[٣٢] وَ مَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ أَى الْمُوَكَّلُونَ بِهَا إِلَّا مَلَائِكَةً لِأَنَّهُمْ أَقْوَى، وَ لِعَدَمِ رِقَّتِهِمْ لِأَهْلِ النَّارِ، بِخِلَافِ مَا لَوْ كَانُوا آدَمِيِّينَ وَ مَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ أَى تَعْدَادَهُمْ بِكُونِهِمْ تِسْعَةَ عَشَرَ إِلَّا فَتْنَةً وَ امْتِحَانًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ هَلْ هُمْ يُؤْمِنُونَ أَمْ يَضْحَكُونَ مِنْ هَذَا الْعِدَدِ قَائِلِينَ لَا يَكْفَى هَذَا الْعِدَدُ الْقَلِيلُ لَتَعْذِيبِ الْكَثْرَةِ مِنَ الْكُفَّارِ وَ الْعَصَاةِ فَإِنِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٥٣

مخلوقاته سبحانه موجبة للفتنة و الامتحان سواء كانت نعمًا أو نقمًا في الدنيا أو في الآخرة، و سواء كان أصل الشيء أو خصوصياته و مزاياه.

وَ قَدْ ذَكَرْنَا عِدَدَ الْمَلَائِكَةِ فِي الْقُرْآنِ لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ أَى الْيَهُودَ وَ النَّصَارَى بِأَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ، حَيْثُ يَرُونَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ أَخْبَرَ بِمَا هُوَ فِي كِتَابِهِمْ مِمَّا لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا هُمْ فَقَطُّ، فَإِخْبَارُ إِنْسَانٍ لَا يَطَّلِعُ عَلَى كِتَابِهِمْ وَ لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُمْ بِذَلِكَ يَوْجِبُ تَعْيِينَهُمْ بِأَنَّهُ حَقٌّ وَ إِنَّمَا تَعْلَمُ ذَلِكَ بِالْوَحْيِ وَ يَزْدَادُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالرَّسُولِ إِيمَانًا حَيْثُ يَرُونَ تَصْدِيقَ أَهْلِ الْكِتَابِ - الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ الْفَنِّ - لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فِيوَجِبُ ذَلِكَ زِيَادَةَ إِيمَانِهِمْ وَ لَا يَزْتَابُ أَى لَا يَشْكُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَ الْمُؤْمِنُونَ فِي نُبُوَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ. وَ هَذَا تَأْكِيدٌ لِلْجُمْلَةِ السَّابِقَةِ، فَإِنِ الْمُؤْمِنُ قَلْبًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَ الْمُؤْمِنُ ظَاهِرًا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، فِي مَعْرَضِ الشُّكِّ وَ الزَّوَالِ، كَمَا هُوَ الشُّأْنُ فِي كُلِّ مَلَكَةٍ إِذَا لَمْ تَقْوِ، فَإِذَا وَجَدَ هَذَا الشَّاهِدَ تَقَوَّتِ الْمَلَكَةُ، وَ لَمْ يَكُنِ الْإِنْسَانُ مَعْرُضًا لِلرَّيْبِ.

وَ لِيَقُولَ اللَّامُ لِلْعَاقِبَةِ، أَى أَنَّ الْغَايَةَ مِنْ تَعْرِيفِ عِدَدِ خِزْنَةِ النَّارِ أَمْرَانِ: الْأَوَّلُ زِيَادَةُ إِيمَانِ الْمُؤْمِنِينَ، وَ حَصُولُ الْعِلْمِ لِأَهْلِ الْكِتَابِ بِصَدَقِ الرَّسُولِ. الثَّانِي شِدَّةُ نِفَاقِ الْمُنَافِقِ، وَ كُفْرُ الْكَافِرِ، فَيَقُولُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَ الْكَاذِبُونَ بِالرَّسُولِ:

مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا؟ فَكَأَنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ هَذَا الْعِدَدَ الْخَاصَّ مِنْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٥٤

[سورة المدثر (٧٤): آية ٣٢]

كَلَّا وَ الْقَمَرِ (٣٢)

باب المثل، لا أنه حقيقة مطابق لعدد الموكلين بالنار، فأخذوا يستفسرون عن قصد هذا المثل، فشان المعاند حيث يستفسر حول كل كلمة من كلمات خصمه لأن التواء قلبه يوجب أن يرى كل شيء متساويا.

ثم يأتي السياق لبيان جواب هؤلاء السائلين بقوله: كَذَلِكَ أَى ببيان الحقائق، كما بين عدد ملائكة النار يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ فَإِنَّهُ إِذَا ذَكَرَ الْحَقِيقَةَ نَفَرَ عَنْهَا أَنَسٌ، فَذَلِكَ إِضْلَالٌ لَهُمْ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِذْ يَتَعَلَّقُ بِالْإِيمَانِ أَنَسٌ آخَرُونَ وَ ذَلِكَ هِدَايَةٌ لَهُمْ، فَإِنِ إِضْلَالُهُ وَ هِدَايَتُهُ لَيْسَا بِمَعْنَى الْجَبْرِ، بَلْ بِمَعْنَى إِنْزَالِ آيَةٍ أَوْ بَيَانِ حُكْمٍ يَوْجِبُ الْإِضْلَالَ وَ الْهَدَى لِيَمْتَحِنَ النَّاسَ.

وَ بِمُنَاسَبَةِ بَيَانِ عِدَدِ جُنُودِ الْمُوَكَّلِينَ، بِالنَّارِ جَاءَ السِّيَاقُ لِيَقْرَرِ حَقِيقَةَ عَامَّةِ بَقُولِهِ: وَ مَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ الْمُوَكَّلِينَ بِكُلِّ شَيْءٍ، الْمُحَافِظِينَ لِكُلِّ خَلْقٍ إِلَّا هُوَ سَبْحَانَهُ وَحْدَهُ، إِلَّا إِذَا أَعْلَمَ ذَلِكَ لِبَعْضٍ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَّ جُنْدَ كَذَا أَكْثَرَ أَوْ أَقَلُّ مِمَّا يُخْبِرُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَ مَا هِيَ أَى سَقَرِ التِّي تَقْدَمُ الْكَلَامُ حَوْلَهَا إِلَّا ذِكْرِي لِلْبَشَرِ أَى تَذَكُّرُهُمْ، بِمَعْنَى أَنَّ ذِكْرَهَا يَذَكِّرُهُمْ بِالْعَذَابِ فَيَقْلَعُوا عَنِ الْمَعَاصِي، أَوْ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ تَذَكُّرُهُمْ لَهُمْ.

[٣٣] كَلَّا لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا تَوَهَّمُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ مِنْ أَنَّهُ لَا حِسَابَ وَ لَا جَزَاءَ وَ الْقَمَرِ أَى قَسْمًا بِالْقَمَرِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٥٥

[سورة المدثر (٧٤): الآيات ٣٣ الى ٣٨]

وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (٣٦) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧) كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيئَةً (٣٨)

[٣٤] وَقَسَمَ بِاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ وَلِيَّ وَذَهَبَ لِيَأْتِيَ مَكَانَهُ النَّهَارِ.

[٣٥] وَقَسَمَ بِالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ أَيَّ إِذَا أَضَاءَ وَجَاءَ.

[٣٦] إِنَّهَا أَيَّ «سقر» التي تقدم الكلام حولها لِإِحْدَى الْكُبَرِ جمع كبرى، أي إحدى آيات الله العظمى، فإن من قدر على خلق تلك الآيات من القمر والليل والنهار، لقادر على خلق النار وسقر لتعذيب الكفار وغير المؤمنين، ولعل اختيار الحلف بهذه الأمور لإيحائها بالظلمة المختلطة بشيء من الضياء، كالنار التي هي كذلك، كما أن سكون هذه الأمور يوحي بسكون أهل النار الشبيه بالموت بخلاف أهل الجنة الذين هم أحياء.

[٣٧] فِي حَالِ كَوْنِهَا نَذِيرًا لِلْبَشَرِ تَنْذِرُهُمْ بِأَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَا ابْتَلَوْا بِهَا، كَمَا تَقُولُ: هَذِهِ السَّلَاسِلُ تَنْذِرُ الْمُجْرِمِينَ.

[٣٨] لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْبَشَرُ أَنْ يَتَّقَدَّمَ إِلَى الْخَيْرِ لِيَنْجُو أَوْ يَتَأَخَّرَ بِالْعَصِيَانِ حَتَّى يَبْتَلَى، فَلِكُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَخْتَارَ مَصِيرَهُ «إِمَّا إِلَى جَنَّةٍ وَ إِمَّا إِلَى النَّارِ».

[٣٩] كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ مِنَ الطَّاعَةِ أَوْ الْمَعْصِيَةِ رَهِيئَةً كَالرَّهْنِ الَّذِي هُوَ مَحْبُوسٌ فِي مِقَابِلِ الدِّينِ؛ فَإِنْ وَفَى الدِّينَ فَكَّ وَإِلَّا لَمْ يَفْكَ، وَكَذَلِكَ إِذَا وَفَى الْإِنْسَانُ بِمَا عَلَيْهِ - مِنَ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ - فَكَّ وَحُطِيَ بِالثَّوَابِ، وَإِلَّا كَانَ مَصِيرُهُ النَّارَ وَالْبَقَاءَ فِي حَبْسِ الْأَبَدِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٥٦

[سورة المدثر (٧٤): الآيات ٣٩ الى ٤٥]

إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَاتٍ يَنْسَاءُ لُونٌ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَ لَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ (٤٤) وَ كُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥)

[٤٠] إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ الَّذِينَ يُعْطَى كِتَابُهُمْ بِإِيمَانِهِمْ، وَ يُؤْخَذُ بِهِمْ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ - ذَاتَ الْيَمِينِ نَحْوَ الْجَنَانِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ فَكُوا أَنْفُسَهُمْ مِنَ الرَّهْنِ بِأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ.

[٤١] فَإِنَّهُمْ فِي جَنَاتٍ يَنْسَاءُ لُونٌ أَيُّ يُسْأَلُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، أَوْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، أَوْ مِنْ نَفْسِ الْمُجْرِمِينَ.

[٤٢] عَنِ الْمُجْرِمِينَ وَ عَلَى الْأُولِينَ، يَلْتَفِتُونَ بَعْدَ السُّؤَالِ إِلَى الْمُجْرِمِينَ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ .. إِلَى قَوْلِهِ: فَاطَّلَعَ فَرَأَاهُ فِي سِوَاءِ الْجَحِيمِ* قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لِتَزِدَّيْنِ «١» وَ عَلَى الثَّلَاثِ يَكُونُ الْمَسْئُولُ ابْتِدَاءً هُوَ الْمُجْرِمُ.

[٤٣] فَيَقُولُونَ لَهُمْ: مَا سَلَكَكُمْ أَيُّ مَا أَدْخَلَكُمْ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ فِي سَقَرٍ فِي هَذِهِ النَّارِ الْعَظِيمَةِ؟

[٤٤] قَالُوا أَيُّ الْمُجْرِمُونَ فِي جَوَابِهِمْ لَمْ نَكُ نَحْنُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْمُصَلِّينَ أَيُّ مَا كُنَّا نَصَلِّي الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةَ.

[٤٥] وَ لَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ إِطْعَامًا وَاجِبًا، بِإِعْطَاءِ الزَّكَاةِ وَ نَحْوِهَا.

[٤٦] وَ كُنَّا نَخُوضُ فِي الْبَاطِلِ مَعَ الْخَائِضِينَ أَيُّ مَعَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي الْبَاطِلِ، وَ أَصْلُ «الْخَوْضِ» الدُّخُولُ فِي الشَّيْءِ بِجَمِيعِ الْجَسْمِ فَكَانَ

(١) الصفات: ٥٢ - ٥٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٥٧

[سورة المدثر (٧٤): الآيات ٤٦ الى ٥١]

وَ كُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨) فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفَرَةٌ (٥٠)

فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (٥١)

الباطل شيء يخاض فيه.

[٤٧] وَ كُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ «الدين» هو الجزء، أى لا نعترف بيوم القيامة، بل نقول أنه كذب لا يكون.

[٤٨] حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ أى الموت، بأن لم نتب قبل أن نموت و سعى الموت يقينا لأنه سبب لانكشاف ذلك العالم لدى الإنسان، حتى يتيقن بما هناك.

[٤٩] وَ إِذَا كَانُوا كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ أى الذين يشفعون للمذنبين، من الأنبياء و الملائكة و العلماء و من أشبههم، إذ ذنبهم فوق حد الشفاعة، و هذا من باب السالبة بانتفاء الموضوع، إذ لا يشفع لهم أحد حتى تنفع.

[٥٠] ثُمَّ يَأْتِي السِّيَاقُ لِيَسْتَعْرَبَ مِنْ عِنَادِهِمْ فِي الْبَاطِلِ فَمَا لَهُمْ أى ما لهؤلاء الكفار عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ أى لم أعرضوا عن القرآن الذى يذكرهم بالحقائق و بما فيه نفعهم؟ و أى خير لهم فى هذا الإعراض؟

[٥١] كَانَتْهُمْ حُمْرٌ جَمْعُ «حمار» مُسْتَنْفَرَةٌ أى وحشية نافرة «و استنفر» بمعنى نفر، كأنها طلبت من نفسها الفرار، لما شاهدت من الخوف، و تشبيهم بالحمار لعدم إدراكهم و بلادتهم.

[٥٢] فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ أى الأسد، فإن الحمار إذا شاهد الأسد فر منه، و كذلك الكفار يفرون من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٥٨

[سورة المدثر (٧٤): الآيات ٥٢ الى ٥٦]

بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صِخْرَفًا مُنْشَرَةً (٥٢) كَلَّا- بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ (٥٣) كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ (٥٤) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ (٥٥) وَ مَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (٥٦)

[٥٣] بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى أى يعطى فى يوم القيامة صِخْرَفًا مُنْشَرَةً بأن يوحى إليه و ينزل عليه الكتاب من الله سبحانه كما قال سبحانه لَوْ لَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَلَائِكَةَ «١»؟ أو المراد أنهم مع هذا الإعراض عن الحق يريد أن يعطى كتابه يوم القيامة منشورا فيه الحسنات، إذ الكتاب إذا كان فيه سيئات يطوى لثلا يطلع عليه أحد، أما إذا كان فيه الحسنات ينشر على رؤوس الأشهاد للافتخار و المباهاة، و كأن الإتيان ب «بل» لإفادة أنهم مع الكفر يتوقعون هذا.

[٥٤] كَلَّا لَا يَعْطُونَ كِتَابًا مَنشورًا، فإنهم لم يعملوا ما يستحقون به ذلك بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ حتى يدخلوا فى زمرة المؤمنين الموجب لإعطاء كتاب منشور بأيديهم، أو المراد أنهم حيث لا يخافون الآخرة أعرضوا عن التذكرة.

[٥٥] كَلَّا لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا تَوْهَمُوا مِنْ أَنْ يُعْرَضَهُمْ خَيْرٌ لَهُمْ إِنَّهُ تَذَكَّرٌ أى القرآن يذكرهم.

[٥٦] فَمَنْ شَاءَ التَّذْكَرَةَ وَ الْإِهْتِدَاءَ وَ الْخَيْرَ ذَكَرَهُ أى اتعظ به، و من لم يشأ فهو و شأنه.

[٥٧] وَ مَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ فَإِنَّ التَّذْكَرَ لَهُ طَرَفَانِ: إِرَادَةُ اللَّهِ

(١) الفرقان: ٢٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٥٩

سبحانه بإرسال الرسول و إرشاد الناس، و تقبل الإنسان، فتذكرهم مرتبط بإرادة الله، و قد أراد سبحانه، و أرشد فبقى عليهم أن يقبلوا هُوَ سبحانه أَهْلُ التَّقْوَى أى أهل لأن يتقى منه، إذ الإنسان إنما يتقى من العالم القادر الذى إذا خالفه الإنسان علم بالمخالفة و عاقب، و كل ذلك موجود فيه سبحانه وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ أى أهل لأن يغفر الذنب لمن اتقاه و جاء إلى الطريق، فاتقوه أيها الناس حتى يغفر لكم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٦٠

٧٥ سورة القيامة مكية / آياتها (٤١)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على لفظة «القيامة»، و هي كسائر السور المكية تعالج قضايا العقيدة في أصولها الثلاث، و حيث ختمت سورة «المدثر» بما يرتبط بالقيامة ابتدأت هذه السورة بذلك.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الله الذي هو الإله بالحق، و لا إله غيره، الرحمن الرحيم الذي يتفضل على العباد بالرحم و الفضل في الدنيا و الآخرة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٦١

[سورة القيامة (٧٥): الآيات ١ إلى ٤]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَ لَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ (٣) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤)
[٢] لا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ «لا» للنفي، و قد سبق أن الإتيان بها لنكتة مليحة، هي أن الحالف يريد أن يبين و يؤكد المطلوب غير حالف مع الإيماء إلى الحلف، كما تقول «لا أقسم بحياتك إلا أن الأمر كذا» تريد أن لا تحلف به- لأمر- مع الإلماع إلى الحلف لتحصل فائدة التأكيد.

[٣] وَ لَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ و هي النفس اليقظة التي تلوم صاحبها عن التقصير في خدمة الله سبحانه، و إن كان الإنسان في أرقى درجات الطاعة. و قيل أن جهة نفي القسم أن الكفار لم يكونوا يقرّون بالمقسمين، فكانه قيل لا أحلف بهما لأنكم لا تقرّون بذلك.

[٤] أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَى هَلْ يَظُنُّ أَلَّنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ بعد الموت لأن يحشر؟ و المعنى أ يظن أنه لا قيامة و لا معاد؟.

[٥] و قد كان زعم الإنسان بعدم الجمع، من جهة حسبانته انه تعالى غير قادر على ذلك، و لذا جاء السياق لدفع هذا الزعم الباطل بقوله: بلى نجمع عظامه فإنا نكون قادرين على أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ أى رؤوس أصابعه، و هذا في غاية القدرة، لأن خطوط أصابع الناس يختلف بعضها مع بعض و إن كان البشر عشرات الآلاف من الملايين، و من يقدر على صنع و إعادة أدق أجزاء الإنسان قادر على إعادة غير ذلك من سائر أجزائه: قالوا: و أعجب ما في الإنسان أربعة: اختلاف الأصوات، و الوجوه، و خطوط البنان، و ذبذبات الخطوط حتى أن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٦٢

[سورة القيامة (٧٥): الآيات ٥ إلى ١٠]

بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ (٦) فَإِذَا بَرَقَ الْبَصْرُ (٧) وَ حَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ (٩)
يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠)

إنسانين لو خطأ كان من المستحيل عادة أن يتساوى خطهما، و إنما يعرف الاختلاف بالمجاهر و الآلات الحديثة:

[٦] إن الإنسان لا يكفر بالمعاد، لأنه ينكر في قلبه قدرة الله سبحانه على البعث بل إنما ينكر لأنه يريد الإنسان لِيَفْجُرَ أى يعصى أمامه أى في مستقبل عمره، و حيث إن الاعتراف بالآخرة يمنع عن فجوره، ينكر حتى يكون الطريق مفتوحا لفجوره، و إذ خوّف من الآخرة أنكرها ليسكت المنكر له:

[٧] ف يَسْتَلْ سؤال منكر أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ أى متى يكون، بمعنى أنه لا يكون، و إلا فأين هو؟

[٨] ثم يأتي السياق ليعين وقت يوم القيامة فإِذَا بَرَقَ الْبَصْرُ أى شخص عند معاينته الأحوال، أو تقلب البرق، أو خرج منه البرق، فإن الإنسان لدى الاصطدام يخرج من عينه مثل البرق.

[٩] وَخَسَفَ الْقَمَرُ أَى ذَهَبَ نوره، فظهر جرماً كمدا بلا نور.

[١٠] وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بَأَن يَخْتَلِ نِظَامَهُمَا الفلكى فى رى كل واحد منهما بجنب الآخر.

[١١] يَقُولُ الْإِنْسَانُ الْمَكْذِبُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ يُؤْمِنُ أَى فى هذا اليوم أَيْنَ الْمَفْرُ أَى إِلَى أَيْنَ يُمْكِنُ الْفِرَارُ مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَالِ؟ وَ هَذَا اسْتِفْهَامٌ لِلْإِنْكَارِ، وَ التَّحْسُرِ، بِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ الْفِرَارُ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٦٣

[سورة القيامة (٧٥): الآيات ١١ الى ١٦]

كَأَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَى رَبِّكَ يُؤْمِنُ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يُؤْمِنُ بِمَا قَدَّمَ وَ أَخَّرَ (١٣) بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَ لَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (١٥)

لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦)

[١٢] كَلَّا فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ الْفِرَارُ لَا وَزَرَ وَ هُوَ مَا يَتَحَصَّنُ بِهِ الْإِنْسَانُ مِنْ جَبَلٍ وَ نَحْوِهِ، أَى لَا مَلْجَأَ لِلْفِرَارِ وَ الْهَرَبِ.

[١٣] إِلَى حِسَابِ رَبِّكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ يُؤْمِنُ أَى فى هذا اليوم الْمُسْتَقَرُّ أَى الْمُنْتَهَى، فَالْصَّالِحُونَ إِلَى جَنَّتِهِ، وَ الطَّالِحُونَ إِلَى نَارِهِ.

[١٤] يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ أَى يُخْبِرُ الْإِنْسَانَ، وَ الْمَخْبِرُ هُوَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ بِوَسْطَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَ الشَّهَدَاءِ يُؤْمِنُ أَى فى يوم القيامة بِمَا قَدَّمَ إِلَى الْآخِرَةِ فى حَيَاتِهِ، مِنْ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَ مَا أَخَّرَ كَمَا لَوْ أَوْقَفَ وَقْفًا وَ مَاتَ فَجُرَتْ الصَّدَقَةُ بَعْدَ مَمَاتِهِ، وَ إِنَّمَا يُخْبِرُ بِذَلِكَ لِلْجَزَاءِ وَ الثَّوَابِ، أَوْ النِّكَالِ فَإِنَّ الْمَحْسَنَ أَوْ الْمَجْرِمَ، يَقْرَأُ أَوَّلًا مَا عَمِلَ ثُمَّ يَجَازَى.

[١٥] وَ مَهْمَا اعْتَذَرَ الْإِنْسَانُ بِشَتَى الْأَعْدَارِ، فَإِنَّهُ مِمَّا لَا تَقْبَلُ مِنْهُ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ وَ مَا عَمِلَ فى الدُّنْيَا بَصِيرَةٌ التَّاءُ لِلْمُبَالَغَةِ، أَى كَامِلُ الْعِلْمِ وَ الْعِرْفَانِ، أَوْ التَّاءُ لِلتَّأْنِيثِ، أَى حِجَّةٌ بِصِيرَةٍ، فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ تَشْهَدُ بِمَا صَدَرَ مِنْهُ.

[١٦] وَ لَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ أَى وَ لَوْ اعْتَذَرَ لَمْ يَنْفَعِهِ عِذْرُهُ، أَوْ يَعْلَمُ مَا صَنَعَ وَ إِنْ اعْتَذَرَ فى ظَاهِرِ لَفْظِهِ، فَإِنَّ الْإِلْقَاءَ بِمَعْنَى الْإِعْطَاءِ، كَمَا يَقَالُ فَلَانُ أَلْقَى بِحِجَّتِهِ، «وَ مَعَاذِيرٌ» جَمْعُ مَعْذَرَةٍ، أَوْ مَعْدَارٍ.

[١٧] ثُمَّ يَأْتِي السِّيَاقُ لِتَوْجِيهِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فى كَيْفِيَّةِ تَحْمِيلِ الْقُرْآنِ إِذَا مَا يُوحَى إِلَيْهِ، وَ لَعَلَّ الْمُنَاسِبَةَ الرِّبْطَ بَيْنَ أَحْوَالِ الْقِيَامَةِ وَ بَيْنَ الْعَمَلِ الَّذِي

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٦٤

[سورة القيامة (٧٥): الآيات ١٧ الى ٢٠]

إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠)

يُوجِبُهُ إِلَيْهِ الْقُرْآنَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ النَّبِيُّ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ عَجَلَ بِتَحْرِيكِ لِسَانِهِ لِحُبِّهِ إِيَّاهُ وَ حِرْصِهِ عَلَى أَخْذِهِ وَ ضَبْطِهِ مَخَافَةَ أَنْ يَنْسَاهُ، وَ نَحْوَهُ نَقَلَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، أَقُولُ: وَ لَعَلَّ هَذَا الْعَمَلُ كَانَ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ أَثْنَاءَ هَذِهِ السُّورَةِ، وَ لِذَا جَاءَ هَذَا التَّوْجِيهُ فى الْأَثْنَاءِ لَا تُحَرِّكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِهِ أَى بِالْقُرْآنِ لِسَانَكَ بِأَن تَقْرَأَهُ كَلِمَةً كَلِمَةً بِمَجْرَدِ قِرَاءَةِ جِبْرِئِيلَ قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ الْوَحْيُ لِتَعْجَلُ بِهِ أَى لِتَأْخُذَهُ عَلَى عَجَلِهِ مَخَافَةَ أَنْ تَنْسَاهُ.

[١٨] إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ أَنْ نَجْمَعَهُ وَ نَوَلِّفَهُ وَقُرْآنَهُ أَى أَنْ نَقْرَأَهُ عَلَيْكَ.

[١٩] فَإِذَا قَرَأْنَاهُ وَ ذَلِكَ بِقِرَاءَةِ جِبْرِئِيلَ لَكَ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ أَى قِرَاءَتَهُ.

[٢٠] ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ أَى إِضْاحَهُ وَ تَفْسِيرَهُ فى مَجْمَلَاتِهِ وَ مُتَشَابِهَاتِهِ فَعَلِينَا الْجَمْعَ وَ الْقِرَاءَةَ وَ الْبَيَانَ، وَ عَلَيْكَ الرِّسَالَةَ وَ التَّبْلِيغَ. وَ فى الْحَقِيقَةِ الْأَمْرُ مِنَ الْمَدْمَهَشَاتِ لَوْ لَا الرِّسَالَةُ، فَإِنَّهُ كَيْفَ يَتَسَنَّى لِلشَّخْصِ أَنْ يَحْفَظَ هَذَا الْمَقْدَارَ الْكَبِيرَ مِنَ الْكَلَامِ بِدُونِ تَكَرُّرِ فى الْقِرَاءَةِ عَنْ كِتَابٍ. أَلَا تَرَى أَنْ أَبْلَغَ الْخُطْبَاءُ وَ أَذْكَرَهُمْ إِذَا صَعِدَ الْمَنْبِرَ وَ قَرَأَ مَقْدَارَ صَفْحَتَيْنِ، وَ كَانَ عَرَفَهُ عَلَى حَفْظِهِ لَمْ يَتِمَّ مِنْ قِرَاءَتِهِ مَرَّةً ثَانِيَةً كَمَا قَرَأَ أَوَّلًا، لَكِنْ وَعَدَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ لِلرَّسُولِ بِقَوْلِهِ «فَلَا تَنْسَى» هُوَ الَّذِي أَوْجَبَ حَفْظَهُ بِمَجْرَدِ قِرَاءَةِ جِبْرِئِيلَ، وَ لَوْ كَانَ الرَّسُولُ غَيْرَ

صديق في دعواه- كما زعم الكفار- كيف تسنى له هذا الحفظ المدهش.

[٢١] ثم رجع السياق إلى الكلام السابق بقوله: كَلَّا لَا تَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٦٥

[سورة القيامة (٧٥): الآيات ٢١ الى ٢٦]

وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَازِرَةٌ (٢٣) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٍ (٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥) كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦)

ولا تتفكرون في المعاد «إرادته لأن تفجروا أمامكم» بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ أَي الدنيا الحاضرة.

[٢٢] وَتَذَرُونَ أَي تتركون الْآخِرَةَ فلا تعملون لها.

[٢٣] فاعلموا أن من عمل هنا للآخرة كان حاله هناك حسنا، و من لم يعمل كان حاله سيئا وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ أَي في يوم القيامة ناصِرَةٌ أَي ناعمة بهيجته حسنة و هي وجوه المؤمنين.

[٢٤] إِلَىٰ رَبِّهَا نَازِرَةٌ أَي إلى رحمته سبحانه و فضله و لطفه، و هذا كما تقول «أنظر إلى فلان» و هو بعيد عنك، تريد إلى فضله و رحمته، أو إلى حركاته و أعماله.

[٢٥] وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ أَي في يوم القيامة بِاسِرَةٌ شديدة العبوس و التقطيب، فإن الإنسان المحزون الخائف يبسر وجهه، و هي وجوه الكافرين و العصاة.

[٢٦] تَظُنُّ أصحاب تلك الوجوه، و نسبة الظن إلى الوجوه مجاز أن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ أَي داهية تكسر فقار الظهر من شدتها، و إنما قال «تظن» لأن الإنسان مهما رأى العذاب قريبا لا يستعد لأن يعترف بنزوله عليه رجاء أن يدفع عنه، فهو ظان بالعذاب لا متيقن.

[٢٧] كَلَّا ليس الأمر على ما توهم الكفار من أنها دنيا بلا آخرة، فإنه سيظهر لهم كذب هذا الزعم إذا بَلَغَتِ الرُّوحُ التَّرَاقِيَ جمع

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٦٦

[سورة القيامة (٧٥): الآيات ٢٧ الى ٣٣]

وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالتَّفْتِ السَّاقِ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ (٣١) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ (٣٣)

«ترقوة»، و هي العظام المكتنفة بالحلق، و هذا كناية عن الإشراف على الموت.

[٢٨] وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ لعل المراد أن الملائكة تسأل بعضها بعضا من يرقى بروح هذا الشخص هل ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب؟

[٢٩] وَظَنَّ الْمُحْتَضِرُ أو من حضره أَنَّهُ الْفِرَاقُ أَي أن الذي نزل به هو فراقه من الدنيا، و ابتعاده عن الأحبة.

[٣٠] وَالتَّفْتِ السَّاقِ بِالسَّاقِ هذا كناية عن عدم الحيلة في إرجاعه إلى الدنيا، و شفائه من الموت، فإن الإنسان الذي تلتف رجليه، لا يتمكن من الهرب و الفرار عن المكروه.

[٣١] إِلَىٰ رَبِّكَ أَيها الإنسان يَوْمَئِذٍ أَي في يوم الاحتضار الْمَسَاقُ أَي السوق، فلا علاج إلا الذهاب إليه، و قد تم عمرك في الدنيا.

[٣٢] فهل عمل هذا الإنسان الكافر عملا ينجيهِ هناك؟ كلا فَلَا صَدَقَ ما يجب التصديق به وَلَا صَلَّىٰ لله الصلوات المفروضات.

[٣٣] وَلَكِنْ عوض ذلك كَذَّبَ بالله و ما يجب الإيمان به وَتَوَلَّىٰ أَي أعرض عن الحق.

[٣٤] ثُمَّ لترتيب الكلام، لا- لترتيب المطلب في الخارج ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ أَي يتكبر افتخارا بتكذيبه، من المط و هو التمدد، فإن

الإنسان

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٦٧

[سورة القيامة (٧٥): الآيات ٣٤ الى ٣٧]

أُولَى لَكَ فَأُولَى (٣٤) ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى (٣٥) أَيْ يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً (٣٦) أَلَمْ يَكْ نُطْفَهُ مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٧) المتبختر يمدد بدنه، و لعل المراد ب «ذهب إلى أهله» أن المتبختر إنما يظهر معظم كبره لأهله حين يرجع إليهم من خارج البيت. [٣٥] أُولَى لَكَ الْحَالَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِطَاعَةِ، وَالْإِتْيَانِ بِ «لَكَ» بِمَعْنَى أَنْ الْمَتَكْبِرَ الطَّاعِيَ أُولَى لَهُ حَالَتِهِ السَّيِّئَةُ مِنَ الْأَمْرِ الْحَسَنِ الَّذِي يَدْعَى إِلَيْهِ، لِأَنَّهَا تَجَانَسُهُ لَا الْحَسَنَ فَأُولَى أَيْ أَيْضًا نَقُولُ أُولَى لَكَ تَأْكِيدًا لِعَدَمِ قَابِلِيَّتِهِ لِلْإِيمَانِ وَالْهُدَايَةِ. [٣٦] ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى لِلتَّأْكِيدِ.

و قد روى أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ ذَاتَ مَرَّةٍ بِيَدِ أَبِي جَهْلٍ وَقَالَ لَهُ «أُولَى لَكَ فَأُولَى ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: بِأَيِّ شَيْءٍ تَهْدِدُنِي لَا تَسْتَطِيعُ أَنْتَ وَلَا رَبُّكَ أَنْ تَفْعَلَ بِي شَيْئًا وَإِنِّي لِأَعَزُّ أَهْلَ هَذَا الْوَادِي، فَأَنْزَلَ اللهُ سَبْحَانَهُ هَذِهِ الْآيَةَ. (١).

أقول: و قد تمكن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَرَبِّهِ تَعَالَى أَنْ يَفْعَلَ بِهِ كُلَّ شَيْءٍ، فَقَدْ قَتَلَ أَبُو جَهْلٍ فِي بَدْرٍ، وَالتَّحَقَّ بِالسَّعِيرِ. وَ لَفْظَةُ «أُولَى لَكَ» تَهْدِيدٌ، أَيْ إِنَّكَ سَتَرَى عَاقِبَةَ مَا اخْتَرْتَ مِنَ الْإِنْحِرَافِ. [٣٧] أَيْ يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَيْ هَلْ يَظُنُّ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً أَيْ مَهْمَلًا- بَلَا أَمْرٍ وَلَا نَهْيٍ وَلَا حِسَابٍ وَلَا جَزَاءٍ؟ فَإِنَّ «سُدَى» بِمَعْنَى «مَهْمَل».

[٣٨] أَلَمْ يَكْ الْإِنْسَانُ نُطْفَهُ مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى أَيْ يَصُبُّ وَيُرَاقُ أَلَا- يَسْتَدِلُّ بِذَلِكَ وَبِمَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَطْوَارِ أَنَّ اللهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَعِيدَهُ.

(١) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ١٦٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٦٨

[سورة القيامة (٧٥): الآيات ٣٨ إلى ٤٠]

ثُمَّ كَانَ عَاقِبَتُهُ فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (٤٠) [٣٩] ثُمَّ كَانَ عَاقِبَتُهُ وَ هِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الدَّمِ الْمَنْعَقِدِ، فَإِنَّ النُّطْفَةَ تَبْدُلُ إِلَى تِلْكَ فَخَلَقَ اللهُ مِنْهَا بَشَرًا سَوِيًّا فَسَوَّى أَيْ سَوَّى خَلْقَهُ بِإِعْطَائِهِ الْأَلَاتِ وَالْأَجْزَاءَ وَالْمَشَاعِرَ وَغَيْرَ ذَلِكَ.

[٤٠] فَجَعَلَ مِنْهُ أَيْ مِنَ الْإِنْسَانِ الزَّوْجَيْنِ أَيْ الصَّنْفَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى فَمَنْ يَأْتِي صَنْعَ كُلِّ ذَلِكَ غَيْرَهُ سَبْحَانَهُ؟

[٤١] أَلَيْسَ ذَلِكَ اللهُ الَّذِي فَعَلَ هَذَا بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى

فَمَنْ قَدَرَ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ قَدَرَ عَلَى الْإِعَادَةِ، فَكَيْفَ يَنْكُرُ الْكَافِرُ قُدْرَتَهُ سَبْحَانَهُ عَلَى الْبَعْثِ وَالنَّشُورِ؟

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٦٩

٧٦ سورة الإنسان مدنية / آياتها (٣٢)

و تسمى بسورة الدهر، سميت السورة بهذين الاسمين لاشتمالها على لفظي «الإنسان» و «الدهر»، و هي كسائر السور المدنية مشتملة على ما يرتبط بالنظام إلى جنب معالجتها لقضايا العقيدة، و حيث ختمت سورة القيامة بذكر أحوال الإنسان من حين كونه نطفة إلى حين البعث، افتتحت هذه السورة بذكر ابتداء الإنسان، ليرتب عليه معاده و نشره.

نزلت هذه السورة في الخامس و العشرين من ذى الحجة في علي و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام و جارية لهم تسمى فضة، و ذلك أنه مرض الحسن و الحسين عليهما السلام فأعادهما الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْحَسَنِ لَوْ نَذَرْتَ عَلِيَّ وَوَلَدِيكَ نَذْرًا، فَنَذَرَ صَوْمَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ إِنْ شَفَاهُمَا اللهُ سَبْحَانَهُ. وَ نَذَرَتْ فَاطِمَةُ وَ كَذَلِكَ فَضَةُ، فَبَرَّآ وَ لَيْسَ عِنْدَهُم

شيء، فاستقرض على ثلاثة أصوع من شعير من يهودى فطحنت الزهراء عليها السلام صاعاً منها فاخبزته، و صلى على المغرب و قربته إليهم، فأتاهم مسكين يدعو لهم و سألهم فأعطوه أقراصهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٧٠

جميعاً و لم يفطروا إلا- بالماء، فلما كان اليوم الثانى صاموا جميعاً، و أخذت فاطمة عليها السلام صاعاً فطحنته و اخبزته، و لما كان المغرب قدمته للإفطار فإذا يتيم على الباب يستطعم، فأعطوه و لم يذوقوا إلا الماء فى إفطارهم، فلما كان اليوم الثالث عمدت فاطمة عليها السلام إلى الصاع الثالث فطحنته و اخبزته، و لما كان المغرب و أرادوا أن يفطروا فإذا أسير بالباب يستطعم، فأعطوه أقراصهم الخمسة و لم يفطروا إلا بالماء، فلما كان اليوم الرابع و قد قضاوا نذورهم أتى على و معه الحسن و الحسين إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم و بهما ضعف، فبكى رسول الله مما رأى فيهما من الضعف، فنزل جبرئيل بسورة «هل أتى» (١).

و

فى بعض الأحاديث أن الله سبحانه أنزل عليهم مائدة من السماء (٢).

قالوا: و من غريب أمر هذه السورة أنها وصفت نعيم الجنة كله باستثناء ذكر «الحر» تكريماً لفاطمة عليها السلام.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الإله الذى هو أول كل شيء، فمن حسن الابتداء أن يبدأ باسمه الكريم فى كل أمر، الرحمن الرحيم الذى يتفضل بالرحم لكل ناقص، فيكمل نقصه و من تكميل النقص غفران الزلل حتى يكون الإنسان و كأنه لم يذنب.

(١) تأويل الآيات الظاهرة: ص ٧٢٤.

(٢) الطوائف فى معرفه مذاهب الطوائف: ج ١ ص ١٠٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٧١

[سورة الإنسان (٧٦): الآيات ١ الى ٤]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَ إِمَّا كَفُوراً (٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَ أَغْلَالاً وَ سَعيراً (٤)

[٢] هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ استفهام للتقرير حتى يقر الإنسان بهذه الحقيقة، فيرتب عليه أنه إذا لم يكن ثم كان، كان مكوّنه قادراً على أن يعيده بعد أن يفنى و يهلك حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ أى زمان طويل من الأزمنة السالفة لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً أى شيئاً يذكر، بأن كان معدوماً لا أثر له؟ و الجواب: أنه نعم كان كذلك، و هل لأحد أن ينكر هذه الحقيقة.

[٣] إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ هى المنى أمشاج جمع «مشيج» من مشجت بمعنى خلطت، أى النطفة أخلاط مختلفة من ماء الرجل و ماء المرأة، و من الأجزاء المتجمعة من المأكولات المختلفة، و إنما خلقناه ل نَبْتَلِيهِ أى نمتحنه بما نكلفه من الأعمال، هل يحسن أم يسيء؟

فَجَعَلْنَاهُ أى الإنسان سَمِيعاً بَصِيراً يسمع و يبصر ل يتم عليه التكليف.

[٤] إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ أى الطريق إلى الحق ببعث الأنبياء و إرسال الكتب، ف إِمَّا يَكُونُ شَاكِراً لأنعم الله سبحانه بالإيمان و الإطاعة، وَ إِمَّا يَكُونُ كَفُوراً كثير الكفر، فإن كل كافر هو كفور باعتبار مختلف الأزمنة و الأحوال.

[٥] إِنَّا أَعْتَدْنَا أى هيأنا للكافرين سَلَاسِلَ لأن يجروا بها جمع سلسله

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٧٢

[سورة الإنسان (٧٦): الآيات ٥ الى ٦]

إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦)

وهي قطعات الحديد المتداخلة، وهي غير منصرفة، لأنها على وزن «مفاعل» وأغلاً لجمع غل لأن يقيدوا بها وسعيراً أي نارا مستعرة، أي ذات لهب و اتقاد، والمراد تهيؤ ذلك لهم في الآخرة.

[٦] إِنَّ الْأَبْرَارَ جَمْعُ بَرٍّ وَهُوَ الْمُؤْمِنُ الصَّالِحُ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ وَهِيَ الْقَدَحُ الَّتِي تَكُونُ فِيهِ الْخَمْرُ، أَوْ سَائِرِ أَقْسَامِ الْمَشْرُوبَاتِ وَ لَعَلَّ تَقْدِيمَ الشَّرَابِ لِمُنَاسَبَتِهِ مَعَ مَا تَقَدَّمَ مِنَ «السَّعِيرِ» الْمَوْجِبُ لَطَلْبِ الْإِنْسَانِ الْمَاءَ - مَنَاسِبَةُ الضَّدِّ لِلضَّدِّ - كَانَ مِزَاجُهَا أَيْ مَا يَمِزُجُ بِشَرَابِهَا كَافُورًا لِبَرُودَتِهِ وَ عَذُوبَتِهِ وَ طِيبِ عَرْفِهِ، وَ إِيَّانِ الضَّمِيرِ مُؤَنَّثًا لِأَنَّ الْكَأْسَ مُؤَنَّثٌ سَمَاعِي.

وقد كانت العرب تمزج الخمر بالكافور حيناً وبالزنجبيل حيناً، ولذا ذكروا أن خمر الجنة كذلك، تماشياً مع مداركهم، وإن كان هناك ما لا يشبه أطعمته الدنيا وأشربتها، لذة وفضلاً.

[٧] عَيْنًا أَيْ أَنَّ تِلْكَ الْكَأْسُ تَمَلَأُ مِنْ عَيْنٍ، وَ كَأْنُهَا مَنْصُوبَةٌ عَلَى تَقْدِيرِ الْفِعْلِ، أَيْ نَبَشْرَكُمْ أَوْ نَهَيْتُكُمْ يَشْرَبُ بِهَا أَيْ مِنْهَا - وَ الْإِيَّانِ بِالْبَاءِ لِنَكْتَتِهِ بِبَلَاغِيَّةٍ - عِبَادُ اللَّهِ الَّذِينَ عَبَدُوا اللَّهَ وَ أَطَاعُوهُ حَقَّ طَاعَتِهِ يُفَجِّرُونَهَا أَيْ يَجْرُونَهَا وَ يَخْرُجُونَهَا حَيْثُ شَاءُوا مِنْ مَنَازِلِهِمْ وَ قُصُورِهِمْ تَفْجِيرًا وَ مِنَ الْمَتَعَةِ أَنَّ يَكُونُ الْمَنْزِلُ بَحِيثٌ يُمْكِنُ تَفْجِيرُ الْعَيْنِ فِيهِ، فَإِنَّهُ تَلْهَى وَ تَلْذُذُ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٧٣

[سورة الإنسان (٧٦): الآيات ٧ الى ٩]

يُوفُونَ بِالْأَنْذَرِ وَيَخَافُونَ يُومًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشَكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩)

[٨] ثم وصف عباد الله بقوله: يُوفُونَ بِالْأَنْذَرِ أَيْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا بَحِيثٌ إِذَا نَذَرُوا نَذْرًا وَفَوَّاهُ بِهِ وَ لَمْ يَغْشَوْا، وَ النَّذْرُ هُوَ أَنْ يَلْتَزِمَ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ خَيْرًا لِأَجْلِ سَبْحَانِهِ، كَأَنَّ يَنْذِرُ الصِّيَامَ أَوْ الصَّدَقَةَ أَوْ مَا أَشْبَهَ وَيَخَافُونَ يُومًا أَيْ مِنْ أَهْوَالِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا أَيْ مُنْتَشِرًا فِي كُلِّ جِهَةٍ، حَتَّى يَشْمَلَ كُلَّ كَافِرٍ وَ آثِمٍ، وَ لَيْسَ كَشُرُورِ الدُّنْيَا الَّتِي تَكُونُ خَاصَّةً بِأَرْضٍ أَوْ إِنْسَانٍ أَوْ مَحَلٍّ.

[٩] وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ أَيْ لِأَجْلِ اللَّهِ سَبْحَانِهِ، وَ عَلَى حُبِّهِ تَعَالَى، أَوْ بِمَعْنَى عَلَى أَنَّهُمْ يَجِبُونَ الطَّعَامَ لِجُوعِهِمْ مَشَكِينًا وَ هُوَ الْفَقِيرُ الَّذِي أَسْكَنَ الْفَقْرَ حَرَكَاتِهِ، فَإِنَّ الْغِنَى يَتَحَرَّكُ هُنَا وَ هُنَاكَ أَمَّا الْفَقِيرُ فَإِنَّهُ يَسْكُنُ لِعَدَمِ مَالٍ لَهُ يَصْرَفُهُ فِي أُمُورِهِ وَ يَتِيمًا وَ هُوَ الطِّفْلُ الَّذِي مَاتَ أَبُوهُ، أَوْ أَبَوَاهُ، وَ قَدْ يَطْلُقُ عَلَى مَنْ مَاتَتِ أُمُّهُ وَ أَسِيرًا الَّذِي أُسْرِفَ فِي الْحَرْبِ، وَ قَدْ كَانَ أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَفَوَّاهُ بِالنَّذْرِ وَ أَطْعَمُوا الثَّلَاثَةَ - كَمَا تَقَدَّمَ -.

[١٠] وَ قَصْدُهُمْ حِينَ الْإِطْعَامِ هُوَ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ أَيُّهَا الْفُقَرَاءُ لِوَجْهِ اللَّهِ أَيْ لِذَاتِهِ سَبْحَانَهُ وَ إِنَّمَا جِيءَ بِ «الوجه» كناية عن الاتجاه و القصد، تشبيهاً بوجه الإنسان الذي يتوجه الإنسان إليه حين طلب مرضاته لا نريد منكم أيها الفقراء جزاء لنا، كأن تعملوا بعض أعمالنا جزاء تصدقنا لكم و لا شكوراً بأن تشكرونا و لو باللسان - و إنما الصدقة خالصة لله سبحانه، للتقرب من رضوانه -.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٧٤

[سورة الإنسان (٧٦): الآيات ١٠ الى ١٤]

إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يُومًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَ جَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَ حَرِيرًا (١٢) مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَارَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَ لَا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَ دَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَ ذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَدْلِيًا (١٤)

[١١] إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا لَوْ عَصَيْنَاهُ بَأْنَ لَمْ نَفِ بِالنَّذْرِ، أَوْ لَمْ نَطْعَمْ الْمَسْكِينِ لِوَجْهِهِ يُومًا عَبُوسًا أَيْ مَكْفَهْرًا تَعَبَسَ فِيهِ الْوَجُوهُ. وَ نِسْبَةُ الْعَبُوسِ إِلَى الْيَوْمِ مِنْ بَابِ عِلَاقَةِ الْحَالِ وَ الْمَحَلِّ، مِنْ قَبِيلِ «يَا سَارِقُ اللَّيْلَةَ» قَمْطَرِيرًا أَيْ صَعْبًا شَدِيدًا.

[١٢] فَوَقَاهُمُ اللَّهُ أَيْ حَفِظَهُمْ وَ كَفَاهُمْ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لَقَّاهُمْ أَيْ اسْتَقْبَلَهُمْ وَ أَعْطَاهُمْ نَضْرَةً فِي الْوَجُوهِ، وَ هِيَ الْبَهْجَةُ وَ الْحَسَنُ وَ سُورُورًا فِي الْقُلُوبِ.

[١٣] وَ جَزَاهُمْ أَى كَفَاهُمْ وَ أَعْطَاهُمْ جِزَاءً بِمَا صَبَرُوا أَى بِسَبَبِ صَبْرِهِمْ جَنَّةً وَ حَرِيرًا مَكَانًا لِلسَّكَنِ، وَ لِبَاسًا وَ أَثَاثًا.

[١٤] فِى حَالِ كَوْنِهِمْ مُتَّكِنِينَ أَى مُسْتَرِيحِينَ فِيهَا أَى فِى الْجَنَّةِ عَلَى الْأَرَائِكِ جَمْعُ أَرِيكَةٍ، وَ هِىَ سُرِيرُ الْعُرُوسِ فِى الْحَجَلَةِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا أَى فِى تِلْكَ الْجَنَّةِ شَمْسًا تَحْرِقُهُمْ وَ لَا زَمْهَرِيرًا أَى بَرْدًا يُؤْذِيهِمْ.

[١٥] وَ دَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا يَعْنَى أَنَّ ظِلَّ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ قَرِيبَةٌ مِنْهُمْ فَإِنَّ الضِّيَاءَ الْمَوْجُودَ هُنَاكَ وَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْحَرَارَةِ مُحْجُوبٌ بِالأَشْجَارِ وَ حَيْطَانِ الْقُصُورِ وَ السَّقُوفِ، وَ يَكُونُ الْهَوَاءُ فِى ظِلَالِهَا أَهْنَأَ وَ أَطْيَبَ، وَ إِنَّمَا جَعَلَ كَذَلِكَ لِتَطْلُبِ الْإِنْسَانَ لِتَغْيِيرِ الْهَوَاءِ مِنَ الظِّلِّ إِلَى الْحَرِّ،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٧٥

[سورة الإنسان (٧٦): الآيات ١٥ الى ١٧]

وَ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَاتِهِ مِنْ فَضَّةٍ وَ أَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا (١٥) قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَ يُشَقِّقُونَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (١٧)

وَ بِالْعَكْسِ، وَ «دَانِيَةً» حَالِ عَطْفٍ عَلَى «مُتَّكِنِينَ» وَ ذَلَّتْ قُطُوفُهَا جَمْعُ قُطْفٍ وَ هُوَ الثَّمَرَةُ تَذَلُّلًا أَى سَهْلَةً أَخَذَ ثَمَارَهَا بِالْيَدِ، لِقُرْبِهَا وَ نَضَجِهَا فَتَقُطِفُ بِسُرْعَةٍ.

[١٦] وَ يُطَافُ عَلَيْهِمْ وَ الطَّائِفُ هُمُ الْوَالِدَانُ الْمَخْلُودُونَ بِآيَاتِهِ أَى ظَرْفُ كَأَنَّهَا الْإِبْرِيْقُ وَ نَحْوَهُ مِمَّا فِيهِ الْمَاءُ مِنْ فَضَّةٍ لَعَلَّ فِيهَا الشَّرَابُ وَ أَكْوَابٍ جَمْعُ كُوبٍ، وَ هُوَ الْقَدْحُ الصَّغِيرُ، وَ ذَلِكَ لِصَبِّ الشَّرَابِ مِنَ الْآيَةِ فِى الْأَكْوَابِ لِتَنَاوُلِ النَّاسِ الْأَبْرَارِ كَأَنَّ تِلْكَ الْأَكْوَابِ قَوَارِيرًا أَى زَجَاجَاتٍ.

[١٧] قَوَارِيرًا مِنْ فَضَّةٍ فَهِيَ مِنْ زَجَاجَةٍ بِلَوْنِ الْفِضَّةِ لِتَجَمُّعِ بَيْنِ اللَّذَتَيْنِ فِى الْمَشَاهِدَةِ.

قال الصادق عليه السلام ينفذ البصر في فضة الجنة كما ينفذ الزجاج

«١». أقول: فهى جامعة بين صفاء الزجاج و شفيفها و بياض الفضة و لينها قدروها أى قدروا تلك الأكواب تقديرًا كأنها صنعت ب «الماكنة» فى توحيد أشكالها و مزاياها، لا كالأواني المصنوعة باليد التى يراها الإنسان مختلفة تنبو عنها العين لاختلافها.

[١٨] وَ يُشَقِّقُونَ فِيهَا أَى فِى الْجَنَّةِ، وَ الْفَاعِلُ هُمُ الْأَبْرَارُ الْمَقْدَمُ ذَكَرَهُمْ كَأَسًا أَى شَرَابًا فِى الْكَأْسِ - بِعِلَاقَةِ الْحَالِ وَ الْمَحَلِّ - كَانَ مِزَاجُهَا

(١) بحار الأنوار: ج ٨ ص ١١١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٧٦

[سورة الإنسان (٧٦): الآيات ١٨ الى ٢١]

عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا (١٨) وَ يُطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا (١٩) وَ إِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَ مُلْكًا كَبِيرًا (٢٠) عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَ إِسْتَبْرَقٌ وَ حُلُوعًا أَسْوَرَ مِنْ فِضَّةٍ وَ سَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١)

أَى مِزَجَ بِشَرَابِهَا زَنْجَبِيلًا أَى مَا يَشْبَهُ الزَنْجَبِيلَ فِى الطَّعْمِ وَ هُوَ عَقَارٌ مَعْرُوفٌ كَانُوا يَخْلُطُونَهُ بِالشَّرَابِ - كَمَا تَقْدَمُ -.

[١٩] عَيْنًا بَدَلَ مِنْ زَنْجَبِيلٍ، أَوْ مَنْصُوبٌ عَلَى تَقْدِيرِ الْفِعْلِ كَمَا ذَكَرَ سَابِقًا فِيهَا أَى فِى الْجَنَّةِ تُسَمَّى سَلْسِيلًا فَالشَّرَابُ الْمَمْزُوجُ بِالزَنْجَبِيلِ يُؤْخَذُ مِنَ تِلْكَ الْعَيْنِ، وَ سَمِيَتْ «سَلْسِيلًا» لِسَيْلَانِهِ فِى الْأَنْهَارِ عَذْبًا صَافِيًا رَقْرَاقًا، أَوْ لِأَنَّهُ سَائِعٌ فِى الْخَلْقِ لِصَفَائِهِ وَ خَفْتِهِ، فَلَا يَتَوَهَّمُ أَنَّ الزَنْجَبِيلَ يُوجِبُ لِدَعَا وَ حَرْقَةً.

[٢٠] وَ يُطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ مَعْنَى الطَّوَافِ هُوَ الذَّهَابُ مِنَ عِنْدِ هَذَا إِلَى ذَاكَ إِلَى ذَلِكَ، وَ هَكَذَا حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْأَوَّلِ، وَ «الْوِلْدَانُ» جَمْعُ وِلْدٍ، وَ مَعْنَى مُخَلَّدُونَ بَاقُونَ فِى الْجَنَّةِ إِلَى الْأَبَدِ، وَ هُمْ قَسِيمٌ لِلْحُورِ، فَهُمْ أَوْلَادٌ وَ تِلْكَمُ بَنَاتٌ إِذَا رَأَيْتَهُمْ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ حَسِبْتَهُمْ أَى ظَنَنْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا لِصَفَاءِ أَلْوَانِهِمْ وَ بَرِيقَتِهَا، وَ تَفَرَّقَهُمْ هُنَا وَ هُنَاكَ يَشْبَهُهُمْ بِاللُّؤْلُؤِ غَيْرِ الْمَنْظُومِ، لِاتِّشَارِهِمْ فِى الْخِدْمَةِ.

[٢١] وَإِذَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ أَيُّهَا الرَّائِي تَمَّ أَيُّ الْجَنَّةِ، فَإِنَّ تَمَّ بِمَعْنَى هُنَا لَكَ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَ مُلْكًا كَبِيرًا أَى وَسِعًا، فَإِنَّهُ يُعْطَى لِأَقْلٍ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً مِنَ الْقُصُورِ وَ الْجَنَّاتِ مَا يَكْفِي لِأَنَّ يَضِيفُ الثَّقَلَيْنِ فِي ضِيَاغَهُ وَاحِدَةً.

[٢٢] عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ أَى يَلْبَسُونَ ثِيَابًا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٧٧

[سورة الإنسان (٧٦): الآيات ٢٢ إلى ٢٤]

إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَ كَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا (٢٢) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (٢٤)

سندسا، و هو الحرير الأخضر الرقيق، وَ إِشْتَبَرُّ وَ هو الحرير الخشن و الرقيق أنعم للبدن، و الخشن أجمل في المنظر وَ حُلُوا أَى يَحْلُونَ بِالزَيْنَةِ أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ جَمَعَ سَوَارٍ، وَ هُوَ مَا يَلْبَسُ فِي الْيَدِ مِنَ الْحَلِيِّ، وَ الْفِضَّةُ هُنَا أَثْمَنُ مِنَ الذَّهَبِ - كَمَا قَالُوا - وَ قَدْ كَانَتْ الْعَادَةُ فِي الْمُلُوكِ وَ الْكِبْرَاءِ لِبَسِ السَّوَارِ وَ سَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا فَلَيْسَ كَشْرَابِ الدُّنْيَا نَجَسًا أَوْ مُوجِبًا لِلرَّذِيلَةِ مِنَ السُّكْرِ وَ نَحْوِهِ.

[٢٣] وَ يُقَالُ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا النَّعِيمَ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ كَانَ لَكُمْ جَزَاءً عَلَى إِيمَانِكُمْ وَ أَعْمَالِكُمُ الصَّالِحَةِ، «وَ كَانَ» لِمَجْرَدِ الرِّبْطِ وَ كَانَ سَعْيُكُمْ تَعَبَكُمْ فِي الدُّنْيَا مَشْكُورًا شَكَرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ قَدْرَهُ، وَ لِذَا جَزَاكُمْ بِهَذَا الثَّوَابِ.

[٢٤] تَمَّ يَأْتِي السِّيَاقُ لِيَسْلَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ عَمَلًا يَلَاقِيهِ مِنَ الْأَذَى فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ إِلَى مِثْلِ هَذِهِ الْجَنَّاتِ، بَعْدَ مَا بَيْنَ جَزَاءِ الْعَالَمِينَ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا وَ التَّأْكِيدُ بـ «نَحْنُ» لِدَفْعِ كَلِمَاتِ الْكُفْرَانِ حَوْلَ الْقُرْآنِ، بِأَنَّهُ كِهَانَةٌ أَوْ شَعْرٌ أَوْ يَعْلَمُهُ بَشَرٌ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

[٢٥] فَاصْبِرْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي تَبْلِيغِ الْقُرْآنِ لِحُكْمِ رَبِّكَ بِأَنَّ تَبْلِيغَ رِسَالَاتِهِ فِي وَسْطِ هَذَا الْمَوْجِ الْعَاتِي مِنَ الْإِنْكَارِ وَ الْإِيذَاءِ وَ الْاسْتِهْزَاءِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٧٨

[سورة الإنسان (٧٦): الآيات ٢٥ إلى ٢٧]

وَ أَذْكَرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَ أَحْصِيًا (٢٥) وَ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَ سَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢٦) إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَ يَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا نَقِيلًا (٢٧)

وَ لَا تُطِعْ مِنْهُمْ أَى مِنْ هَؤُلَاءِ آثِمًا أَى عَاصِيًا أَوْ كُفُورًا أَى كَافِرًا، يَعْنِي لَا تُطِعِ الْآثِمَ فِي إِثْمِهِ وَ لَا الْكُفُورَ فِي كُفْرِهِ، بِأَنَّ لَا تَبْلِيغِ الْأُصُولِ أَوْ الْفُرُوعِ إِطَاعَةً لَهَا وَ جَلْبَا لِرِضَائِهَا فَقَدْ وَرَدَ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ نَهَى الرَّسُولَ عَنِ الصَّلَاةِ، كَمَا أَنَّ عَتَبَةَ وَ الْوَلِيدَ قَالَا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: ارْجِعْ عَنِ هَذَا الْأَمْرِ وَ نَحْنُ نَرْضِيكَ بِالْمَالِ وَ التَّرْوِيحِ «١». وَ الْآيَةُ عَامَةٌ تَشْمَلُ كُلَّ كَافِرٍ يَأْمُرُ بِالْكَفْرِ وَ آثِمٍ يَأْمُرُ بِالْإِثْمِ.

[٢٦] وَ أَذْكَرِ يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْمَ رَبِّكَ بِالذِّكْرِ وَ الدَّعَاءِ وَ الصَّلَاةِ بُكْرَةً أَى صَبَاحًا وَ أَحْصِيًا أَى عَصَاءً، يَعْنِي اسْتَمْرَ عَلَى شَأْنِكَ وَ الدَّعَاءِ إِلَيْهِ فِي طَرْفِي النَّهَارِ.

[٢٧] وَ مِنَ اللَّيْلِ أَى بَعْضَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ أَى لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَ الْمَرَادُ بِالسُّجُودِ الصَّيْلَةَ وَ الْعِبَادَةَ، أَى اخْضَعْ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَ سَبِّحْهُ أَى سَبِّحِ اللَّهَ وَ نَزْهَهُ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِهِ لَيْلًا طَوِيلًا فَإِنَّ اللَّيْلَ رِبْعَ الْعِبَادِ يَتَّخِذُونَ طَوْلَهُ وَ سَبِيلَهُ لِلضَّرَاعَةِ وَ الْاسْتِكْنَانَةِ، فَإِنَّ الْخَوَاطِرَ الْكَامِنَةَ لَا تَجِيْشُ إِلَّا بِطَوْلِ الضَّرَاعَةِ وَ الْإِبْتِهَالِ. وَ قَدْ وَرَدَ أَنَّ «بُكْرَةً» لِصَّلَاةِ الصُّبْحِ وَ «أَصِيلًا» لِلظُّهْرِ وَ «أَسْجُدْ لَهُ» لِلْعِشَائِيِّ وَ «سَبِّحْهُ» لِصَّلَاةِ اللَّيْلِ.

[٢٨] إِنَّ هَؤُلَاءِ الْكُفْرَانِ الَّذِينَ تَرَاهُمْ مُعْرِضِينَ عَنِ اللَّهِ مُقْبِلِينَ عَلَى شَهْوَاتِهِمْ يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ أَى الدُّنْيَا وَ الشَّهْوَاتِ الْعَاجِلَةَ وَ يَذُرُونَ

(١) عين العبرة: ص ٦٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٧٩

[سورة الإنسان (٧٦): الآيات ٢٨ إلى ٣٠]

نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا (٢٨) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٩) وَمَا تَشَاوُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠)

أى يتركون وراءهم فى مستقبلهم يوماً تقيلاً هو يوم القيامة الذى يثقل على الإنسان لما فيه من الأهوال و الشدائد، فلا يعملون لذلك اليوم.

[٢٩] إنهم يكفرون بالله الذى خلقهم و أعناقهم بيده نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ من العدم و شَدَدْنَا أَسْرَهُمْ أى أحكمتنا خلقهم، بتنظيم الأجهزة، فإن «الأسر» أصله الشد، و منه سُمى الأسير أسيراً، لأنه يشد بالحبال، فالمعنى أحكمتنا شدتهم فى الخلق، بحيث لا ينفصم جزء من جزء، بل الأجزاء كلها متماسكة مترابطة و إِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ مَكَانَهُمْ تَبْدِيلًا بأن أهلكنا هؤلاء و جئنا بدلهم مكانهم.

[٣٠] إِنَّ هَذِهِ السُّورَةُ، أو هذه العظات و العبر المذكورة فى القرآن تَذْكِرَةٌ تذكر الناس بما أودع فى فطرتهم، و إلفات لهم نحو الكون و آياته فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا أى مضى فى طريق مرضاته سبحانه، بعد ما رأى الحق، و ميز بين الصدق و الكذب.

[٣١] وَمَا تَشَاوُنَ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْبَشَرُ الْإِيمَانَ وَ الْهُدْيَةَ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ بِأَنْ يَرْسِلَ الرَّسُولَ وَ يُوَضِّحَ الطَّرِيقَ، إِذِ الْهُدْيَةُ لَهَا طَرَفَانِ: طَرَفٌ مِنْ جَانِبِهِ بِنَصَبِ الْأَدْلَةِ، وَ طَرَفٌ مِنْ جَانِبِكُمْ بِالِاتِّبَاعِ وَ الْإِهْتِدَاءِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا بِمَصَالِحِكُمْ حَكِيمًا فِيمَا يَفْعَلُ، فَإِنَّ الْحِكْمَةَ وَضَع

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٨٠

[سورة الإنسان (٧٦): آية ٣١]

يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَ الظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٣١)
الأشياء موضعها، و الله لا يفعل شيئاً إلا بالحكمة و المصلحة.

[٣٢] يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ أى فى سعادة الدنيا و الآخرة و ليس الإدخال اعتباراً بل إنما يدخل سبحانه عباده الصالحين و الظَّالِمِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ أَوْ الْعِصْيَانِ أَعَدَّ أَيُّهَا سَبْحَانَهُ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا أى مؤلماً موجعاً، فى الدنيا يعيشه ضنك و فى الآخرة بالنار و النكال.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٨١

٧٧ سورة المرسلات مكية / آياتها (٥١)

سميت هذه السورة بهذا الاسم لاشتغالها على لفظه «المرسلات»، و هى كسائر السور المكية تعالج قضايا العقيدة فى أصولها، و حيث ختمت سورة «الإنسان» بذكر القيامة، افتتحت هذه السورة بمثل ذلك.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نَشْرَعُ فِي السُّورَةِ بِاسْمِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ الْإِلَهُ بِالْحَقِّ، وَ مَا دُونَهُ بَاطِلٌ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الَّذِي يُعْطِي كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَ يَهْدِيهِ إِلَىٰ مَصَالِحِهِ، وَ يَهْبِئُ لَهُ الْمُسْتَقْبَلَ الْحَسَنَ، فَإِنَّ «الرَّحْمَنَ» وَ مَا مِنْ قَبِيلِهِ مِنَ الصِّفَاتِ لَا بَدَّ وَ أَنْ يَرَادَ بِهَا نَتَائِجُ هَذِهِ الصِّفَاتِ لِاسْتِحَالَةِ أَمْثَالِهَا فِي حَقِّهِ تَعَالَىٰ بِمَعْنَاهَا الْجَارِي فِي حَقِّهَا.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٨٢

[سورة المرسلات (٧٧): الآيات ١ الى ٨]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَ النَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤)

فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُدْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ (٧) فَإِذَا التُّجُومُ طُمِسَتْ (٨)

[٢] وَ الْمُرْسَلَاتِ أى قسما بالملائكة التى أرسلت إرسالا- إلى الأرض- عُرْفًا أى فى حال كونهم كعرف الفرس فى تواليه و تتابعه، و هو شعرها النابت على رقبتها.

[٣] فَالْعَاصِفَاتِ أَيِ ثُمَّ قَسَمَا بِالْمَلَائِكَةِ الَّتِي تَعْصِفُ عَصْفَ الرِّيحِ فِي امْتِثَالِ أَمْرِهِ سَبْحَانَهُ عَصْفًا مُصَدَّرًا تَأْكِيدِي.

[٤] وَقَسَمَا بِالنَّاشِرَاتِ أَيِ الْمَلَائِكَةِ الَّتِي تَنْشُرُ الْكُتُبَ وَتَبْسُطُهَا، أَوْ تَنْشُرُ الْأَجَالَ وَالْأَرْزَاقَ وَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِنَشْرِهِ نَشْرًا مُصَدَّرًا تَأْكِيدِي، وَ أَنَّ الْإِتْيَانَ بِ«الْوَاوِ» لِلتَّفَنُّنِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاغَةِ.

[٥] فَالْفَارِقَاتِ أَيِ قَسَمَا بِالْمَلَائِكَةِ الَّتِي تَفْرُقُ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ بِأَمْرِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ فَرْقًا مُصَدَّرًا تَأْكِيدِي.

[٦] فَحَسَمَا بِالْمَلَائِكَةِ الْمَلْفِيَاتِ ذِكْرًا أَيِ تَلْقَى الذِّكْرَ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ.

[٧] عُدْرًا أَوْ نُذْرًا أَيِ لِأَجْلِ إِعْذَارِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، وَ إِذْكَارِهِ لِلْبَشَرِ عَلَى كُفْرِهِمْ وَ عَصْيَانِهِمْ.

[٨] قَسَمَا بِهَيُولَاءِ الطَّوَائِفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ مِنْ أَحْوَالِ الْقِيَامَةِ وَ الْجَنَّةِ وَ النَّارِ لَوَاقِعٌ أَيِ يَقَعُ لَا مُحَالَةً فَلَا خَلْفَ فِيهِ.

[٩] ثُمَّ بَيْنَ عِلْمَةِ الْقِيَامَةِ بِقَوْلِهِ: فَإِذَا التُّجُومُ طُمِسَتْ أَيِ ذَهَبَ نُورُهَا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٨٣

[سورة المرسلات (٧٧): الآيات ٩ الى ١٥]

وَ إِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَ إِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَ إِذَا الرُّسُلُ أُقْتَتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفُضْلِ (١٣)

وَ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفُضْلِ (١٤) وَ يَلُومُ الْيَوْمِذِي لِلْمُكَذِّبِينَ (١٥)

حتى صارت بلا ضياء أو نور.

[١٠] وَ إِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ أَيِ شَقَّتْ وَ صَدَعَتْ فَصَارَ فِيهَا فُرُوجٌ وَ شُقُوقٌ، لِاخْتِلَالِ نِظَامِ الْمَدَارَاتِ.

[١١] وَ إِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ أَيِ قَلَعَتْ مِنْ أَمَاكِنِهَا، وَ صَارَتْ كَالْهَبَاءِ سَائِرَةً فِي الْفِضَاءِ.

[١٢] وَ إِذَا الرُّسُلُ أُقْتَتَتْ أَيِ جَمَعَتْ لَوْقَتِهَا فِي الْقِيَامَةِ لِتَشْهَدَ عَلَى الْأُمَّمِ، وَ هُوَ مِنَ الْوَقْتِ، وَ إِنَّمَا تَبَدَّلَ الْوَاوُ هَمْزَةً لِكِرَاهَةِ ضَمِّ الْوَاوِ-

كَمَا قَالُوا- [١٣] لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ هَذَا حِكَايَةُ عَنِ الْحَالِ، أَيِ أَنَّ الْحَالَةَ تَقْتَضِي أَنْ يُقَالَ فِيهَا: لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ وَ أُخِرَتْ الرُّسُلُ؟ وَ لِمَاذَا يَرَادُ جَمْعُهُمْ وَ هَذَا تَعْظِيمٌ لِلْيَوْمِ وَ تَعْجِيبٌ مِنْ هَوْلِهِ.

[١٤] وَ يَأْتِي الْجَوَابُ لِيَوْمِ الْفُضْلِ الَّذِي يَفْصَلُ فِيهِ بَيْنَ أَهْلِ النَّارِ وَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَ السَّعْدَاءِ وَ الْأَشْقِيَاءِ.

[١٥] وَ مَا أَدْرَاكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، أَوْ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يَوْمُ الْفُضْلِ أَيِ لَا- تَدْرِي أَنْتَ حَقِيقَةَ هَذَا الْيَوْمِ الْهَائِلِ، وَ هَذَا تَعْبِيرٌ لِلتَّهْوِيلِ وَ الْاسْتَعْظَامِ.

[١٦] وَ يَلُومُ وَ هِيَ كَلِمَةٌ تَقَالُ عِنْدَ الْهَوْلِ وَ الشَّدَّةِ الْمَتَوَجِّهَةُ عَلَى أَحَدِ يَوْمِذِي أَيِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ الْمَعَادِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٨٤

[سورة المرسلات (٧٧): الآيات ١٦ الى ٢٢]

أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُنَبِّئُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَ يَلُومُ الْيَوْمِذِي لِلْمُكَذِّبِينَ (١٩) أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٢٠)

فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (٢١) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢٢)

[١٧] ثُمَّ يَأْتِي السِّيَاقُ لِإِنذَارِ الْمُكَذِّبِينَ بِأَنَّهُمْ فِي مَعْرَضِ الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأُمَّمَ الْأَوَّلِينَ الَّذِي كَذَّبُوا أَنْبِيَاءَهُمْ؟

[١٨] ثُمَّ نُنَبِّئُهُمْ أَيِ أَتْبَعْنَا الْأَوَّلِينَ بِالْآخِرِينَ فَأَهْلَكْنَا الْأُمَّمَ الْآخِرِينَ أَيْضًا لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ؟ وَ الْأَوَّلُونَ كَقَوْمِ نُوحٍ وَ عَادٍ وَ ثَمُودَ، وَ الْآخِرُونَ كَقَوْمِ لُوطٍ وَ فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ.

[١٩] وَ كَذَلِكَ أَيِ إِهْلَاكَ كَأَهْلَاكَ أَوْلَيْكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا بِالْكَفْرِ وَ الْعَصْيَانِ، فَإِنَّ الْعَذَابَ يَنْزِلُ بِهِمْ، وَ هَذَا تَهْدِيدٌ لِكُفَّارِ مَكَّةَ.

[٢٠] وَيُلِّ يَوْمِيذٍ أَي فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِلْمُكْذِبِينَ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَ سَائِرِ الْأَصُولِ.

[٢١] ثُمَّ يَأْتِي السِّيَاقَ لِبَيَانِ جَمَلَةٍ مِنْ نَعْمِ اللَّهِ عَلَى الْبَشَرِ لِيَشْكُرُوهُ، بَعْدَ مَا هَدَدَهُمْ لِيَخَافُوا مِنْهُ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ أَيُّهَا الْبَشَرُ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ أَيِ النَّظْفَةِ الَّتِي هِيَ «مَهِينٌ» أَيِ حَقِيرِ ذَلِيلٍ، مِنْ هَانَ بِمَعْنَى ذَلٌّ؟

[٢٢] فَجَعَلْنَا أَيِ جَعَلْنَا ذَلِكَ الْمَاءَ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنَ الصَّلْبِ وَ التَّرَائِبِ فِي قَرَارٍ أَيِ مُسْتَقَرِّ مَكِينٍ أَيِ مُسْتَحْكَمٍ، وَ الْمُرَادُ بِهِ الرَّحْمَ.

[٢٣] إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ أَيِ مَقْدَارٍ مِنَ الزَّمَانِ مُعَيَّنٍ، وَ هُوَ مَدَّةُ الْحَمْلِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٨٥

[سورة المرسلات (٧٧): الآيات ٢٣ إلى ٢٩]

فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣) وَيُلِّ يَوْمِيذٍ لِلْمُكْذِبِينَ (٢٤) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءَ وَ أَمْوَاتًا (٢٦) وَ جَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَ أَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا (٢٧)

وَيُلِّ يَوْمِيذٍ لِلْمُكْذِبِينَ (٢٨) انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكْذِبُونَ (٢٩)

[٢٤] فَجَعَلْنَا عَلَى ذَلِكَ فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ نَحْنُ إِذْ نَقْدِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَ بَعْدَ هَذَا هَلْ يَنْكُرُ الْكَافِرُ قَدْرَتَنَا عَلَى الْبَعْثِ وَ إِعَادَةِ الْأَجْسَامِ بَعْدَ مَمَاتِهَا؟

[٢٥] وَيُلِّ يَوْمِيذٍ أَيِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِلْمُكْذِبِينَ وَ تَكَرَّرَ هَذِهِ الْجَمَلَةُ لِلتَّرْكِيزِ وَ الْإِيحَاءِ كَمَا سَبَقَ فِي سُورَةِ «الرَّحْمَنِ» وَ غَيْرِهَا.

[٢٦] أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا يُقَالُ كَفَتَ الشَّيْءُ: إِذَا ضَمَّهُ، أَيِ ضَامَهُ لِلْعِبَادِ تَكْفِثُهُمْ وَ تَشْمَلُ عَلَيْهِمْ.

[٢٧] أَحْيَاءَ وَ أَمْوَاتًا فَتَشْمَلُ أَحْيَاءَهُمْ بِالْبِنَاءِ وَ الزَّرْعِ وَ سَائِرِ لَوَازِمِ الْحَيَاةِ، وَ تَشْمَلُ أَمْوَاتَهُمْ فِي بَطْنِهَا.

[٢٨] وَ جَعَلْنَا فِيهَا أَيِ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ جَمْعُ رَاسِيَةٍ، وَ هِيَ الْجِبَلُ الشَّامِخَةُ شَامِخَاتٍ أَيِ عَالِيَاتٍ مَرْتَفَعَاتٍ تَحْفَظُ الْأَرْضَ عَنِ التَّصَدُّعِ وَ

الانْهِيَارِ وَ التَّفَرُّقِ فِي الْهَوَاءِ وَ أَسْقَيْنَاكُمْ أَيُّهَا الْبَشَرُ مَاءً فُرَاتًا أَيِ عَذْبًا سَائِغًا؟ أَلَيْسَتْ كُلُّ هَذِهِ النِّعَمِ شَاهِدَةً عَلَى إِلَهٍ وَاحِدٍ عَالِمٍ قَدِيرٍ؟

وَ أَلَيْسَتْ هَذِهِ النِّعَمُ مُوجِبَةٌ لِإِيْمَانِكُمْ بِاللَّهِ وَ تَصْدِيقِكُمْ لِرَسُولِهِ؟

[٢٩] وَيُلِّ يَوْمِيذٍ أَيِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِلْمُكْذِبِينَ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، فَإِنَّهُمْ يَلْقَوْنَ عَذَابًا وَ نَكَالًا.

[٣٠] وَ إِذَا قَامَتِ الْقِيَامَةُ يُقَالُ لِلْمُكْذِبِينَ: انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكْذِبُونَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٨٦

[سورة المرسلات (٧٧): الآيات ٣٠ إلى ٣٤]

انْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (٣٠) - لَا - ظَلِيلٍ وَ لَا يُعْنَى مِنَ اللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ (٣٣) وَيُلِّ يَوْمِيذٍ لِلْمُكْذِبِينَ (٣٤)

أَيِ إِلَى النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ بِهَا، وَ تَقُولُونَ أَنَّهَا غَيْرُ كَائِنَةٍ.

[٣١] انْطَلِقُوا أَيِ اذْهَبُوا أَيُّهَا الْكَافِرُ إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ لَعَلَّ الْمُرَادَ بِالظِّلِّ النَّارَ الَّتِي فَوْقَهَا الدِّخَانُ، وَ كَوْنُهُ عَلَى ثَلَاثِ شُعَبٍ لِأَنَّهَا

كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَطُوفُونَ بَيْنَ الْكُفْرِ وَ الْإِيْمَانِ وَ النِّفَاقِ، وَ قِيلَ: شُعْبَةٌ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَ شُعْبَةٌ مِنْ يَمِينِهِمْ، وَ شُعْبَةٌ مِنْ يَسَارِهِمْ.

[٣٢] - لَا - ظَلِيلٍ أَيِ - يَظِلُّ صَاحِبُهُ مِنَ الْحَرِّ وَ لَا يُعْنَى مِنَ اللَّهَبِ أَيِ مِنَ لَهَبِ النَّارِ، وَ هُوَ مَا يَعْلوها بِاخْتِلَاطِ الْهَوَاءِ أَحْمَرَ أَوْ أَصْفَرَ أَوْ

أَزْرَقَ، فَإِنَّ هَذَا الظِّلَّ لَيْسَ كَظِلِّ السَّقُوفِ يَمْنَعُ الْهَوَاءَ الْحَارَّ وَ لَهَبِ النَّارِ، كَمَا أَنَّهَا كَانُوا يَعِيشُونَ فِي الدُّنْيَا فِي ظِلِّ الْكُفْرِ وَ الْعَصِيَانِ.

[٣٣] إِنَّهَا أَيِ النَّارِ - الَّتِي فَهَمْتَ مِنْ قَوْلِهِ سَبَّحَانَهُ مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكْذِبُونَ «١» - تَرْمِي أَيِ تَطْرَحُ وَ تَطِيرُ بِشَرِّرٍ كَالْقَصْرِ الشَّرِّرُ هُوَ مَا يَتَطَايرُ مِنَ

النَّارِ لَشِدَّةِ الْحَرِّ، وَ خَفَةُ ذَلِكَ الشَّرِّرِ، وَ الْقَصْرُ هُوَ الْبَيْتُ الْجَمِيلُ مِنَ الْحِجَارَةِ، أَوْ أَصْلُ الشَّجَرِ، وَ الْأَوَّلُ أَظْهَرَ، وَ الثَّانِي أُنْسَبَ.

[٣٤] كَأَنَّهُ أَيِ الشَّرِّرِ الْمَرْمِيِّ جِمَالَتٌ صُفْرٌ أَيِ أَنَّ الشَّرَارَةَ كَالْجَمَلِ الْأَصْفَرَ فِي لَوْنِهِ، بَعْدَ مَا كَانَ بِقَدْرِ الْقَصْرِ فِي حَجْمِهِ، وَ التَّشْبِيهِ

بِالْجِمَالَةِ لِتَتَابِعِهَا وَ تَطَايُرِهَا كَالْجِمَالَاتِ الَّتِي تَرْتَعُ هُنَا وَ هُنَاكَ، وَ نَارِهَا شَرِّرُهَا كَيْفَ يَكُونُ أَصْلُهَا وَ مَحَلُّهَا؟

[٣٥] وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ أَي يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ

(١) المرسلات: ٣٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٨٧

[سورة المرسلات (٧٧): الآيات ٣٥ إلى ٤٠]

هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَذَا يَوْمُ الْفُضْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولَىٰ (٣٨) فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا (٣٩) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٠)

كيف يلقون في النار، ويقاسون العذاب والنكال؟

[٣٦] هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ أَي الْمَجْرُمُونَ مِنْ شِدَّةِ الْهَوْلِ وَالْفَرْعِ.

[٣٧] وَلَا- يُؤْذَنُ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ فَيَعْتَذِرُونَ عَنْ سَالِفِ أَعْمَالِهِمْ وَهَذَا إِنَّمَا يَكُونُ فِي مَوْقِفٍ مِنْ مَوَاقِفِ الْقِيَامَةِ، وَفِي مَوْقِفٍ آخَرَ يَتَكَلَّمُونَ وَيَعْتَذِرُونَ،

فَلِلْقِيَامَةِ خَمْسُونَ مَوْقِفًا كُلُّ مَوْقِفٍ يَطُولُ أَلْفَ سَنَةٍ- كَمَا وَرَدَ

«١».

[٣٨] وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ أَي فِي هَذَا الْيَوْمِ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِاللَّهِ وَبِمَا أُرْسِلَ.

[٣٩] ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ: هَذَا يَوْمُ الْفُضْلِ الَّذِي يَفْصَلُ فِيهِ بَيْنَ الْمُحْسِنِينَ وَالْمَجْرُمِينَ، وَيَدْخُلُ كُلُّ إِلَىٰ مَحَلِّهِ الَّذِي هِيَ لِنَفْسِهِ جَمَعْنَاكُمْ أَيُّهَا الْكُفَّارُ وَالْأُولَىٰ أَي مَعَ الْمَكْذِبِينَ الْأُولِينَ السَّابِقِينَ عَلَيْكُمْ مِنْ سَائِرِ الْأُمَّمِ.

[٤٠] فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فِي خِلَاصِكُمْ مِنَ الْعِقَابِ فَكِيدُوا أَي احْتَالُوا وَكِيدُوا لِإِنجَاءِ أَنْفُسِكُمْ، وَهَذَا اسْتِهْزَاءٌ بِهِمْ وَتَقْرِيعٌ لَهُمْ، فَقَدْ كَانُوا يَكِيدُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا، فَلْيَكِيدُوا هُنَا إِنْ كَانَ لَهُمْ كَيْدٌ وَحِيلَةٌ.

[٤١] وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ أَي فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَصْلُهُ يَوْمٌ إِذْ كَانَ كَذَا، حُذِفَتْ

(١) مستدرک وسائل الشیعة: ج ١٢ ص ١٥٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٨٨

[سورة المرسلات (٧٧): الآيات ٤١ إلى ٤٦]

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُّوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤٤) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٥)

كُلُّوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ (٤٦)

الجملة وقام التنوين مقامها للمُكَذِّبِينَ بهذا اليوم و بسائر ما جاء به الرسل.

[٤٢] وَإِذَا رَأَيْنَا مَقَامَ الْكُفَّارِ، فَلِنَنْظُرْ إِلَىٰ مَقَامِ الْأَخْيَارِ إِنَّ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ اتَّقَوْا الْكُفْرَ وَالْمَعَاصِيَ فِي ظِلَالٍ مِنْ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ، وَظِلَالٍ قُصُورِهَا وَعُيُونٍ أَي أَنَّهُمْ فِي أَرْضٍ بَيْنَ الْعُيُونِ، أَوِ الْمَرَادُ أَنَّهُمْ يَسْبَحُونَ وَيَسْتَحْمُونَ فِي نَفْسِ الْعُيُونِ.

[٤٣] وَفِي فَوَاكِهٍ جَمْعُ فَكْهَةٍ، وَهِيَ الثَّمَرَةُ أَي أَنَّ الثَّمَارَ تَحِيطُ مِنْ كُلِّ جَوَانِبِهِمْ مِمَّا يَشْتَهُونَ أَي مِنَ الْأَجْناسِ الَّتِي يَمِيلُونَ إِلَيْهَا.

[٤٤] وَيُقَالُ لَهُمْ: كُلُّوا مِنَ الثَّمَارِ وَأَشْرَبُوا مِنَ الْعُيُونِ، وَالْمَرَادُ بِالْأَمْرِ الْإِبَاحَةَ، مِنْ قَبِيلِ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا «١» هَنِيئًا أَي أَكَلًا وَشَرَبًا خَالِيًا مِنَ الْأَذَى، فَإِنَّ الْهَنِيءَ هُوَ النَّفْعُ الْخَالِصُ مِنْ شَائِبِ الْأَذَى بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَي بِمَقَابِلِ أَعْمَالِكُمُ الصَّالِحَةِ فِي الدُّنْيَا.

[٤٥] إِنَّا كَذَبْنَاكَ أَي كَالَّذِي ذَكَرْنَا مِنَ الْإِنْعَامِ وَالْإِفْضَالِ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

[٤٦] وَيُلِّ يُؤْمِنُ لِلْمُكْذِبِينَ كَيْفَ يَرُونَ أَنَّ هَذِهِ النِّعَمَ أَفَلَتَ مِنْ أَيْدِيهِمْ بِسَبَبِ أَعْمَالِهِمُ الْفَاسِدَةِ فِي الدُّنْيَا، وَكَمْ يَتَحَسَّرُونَ لِدَلِكِ.

[٤٧] ثُمَّ يَأْتِي السِّيَاقُ لِيخَاطَبَ الْمَجْرِمِينَ - فِي الدُّنْيَا - كُلُّوْا أَيُّهَا الْكُفَّارُ

(١) المائدة: ٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٨٩

[سورة المرسلات (٧٧): الآيات ٤٧ إلى ٥٠]

وَيُلِّ يُؤْمِنُ لِلْمُكْذِبِينَ (٤٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (٤٨) وَيُلِّ يُؤْمِنُ لِلْمُكْذِبِينَ (٤٩) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (٥٠)

وَتَمَتَّعُوا بِمَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قَلِيلًا فَإِنَّ أَمَدَ الدُّنْيَا قَصِيرٌ إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ وَ هَلْ مِنْ فَائِدَةٍ لِلْأَكْلِ وَ التَّمَتُّعِ الْقَلِيلِ لِمَنْ وَرَأَوْهُ عَذَابٌ شَدِيدٌ؟

[٤٨] وَيُلِّ يُؤْمِنُ أَي فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِلْمُكْذِبِينَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِاللَّهِ وَ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِهِ.

[٤٩] وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَي لِلْمُكْذِبِينَ ارْكَعُوا وَ اخْضَعُوا لِلَّهِ سَبْحَانَهُ، فَإِنَّ الْمُرَادَ بِالرُّكُوعِ إِذَا مَطْلُوقَ الْخُضُوعِ، أَوْ الرُّكُوعَ كِنَايَةً عَنِ الصَّلَاةِ لَا يَرْكَعُونَ عَنَادًا وَ اسْتِكْبَارًا.

روى أنها نزلت في وفد ثقيف حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالصلاة فقالوا: لا ننحنى فإن ذلك مسبة علينا، فقال

صلى الله عليه وآله وسلم: لا خير في دين ليس فيه ركوع وسجود

«١». أقول: المراد ب «لا ننحنى» أي لا نعطف ظهورنا، فقد استقبحوا رفع عجيزتهم.

[٥٠] وَيُلِّ يُؤْمِنُ لِلْمُكْذِبِينَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْأَحْكَامِ، وَ لَمْ يَصْدُقُوا بِالرُّكُوعِ وَ سَائِرِ الْعِبَادَاتِ، فَإِنَّهُمْ يَلَاقُونَ جَزَاءَ ذَلِكَ.

[٥١] فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ أَي بَعْدَ الْقُرْآنِ يُؤْمِنُونَ فَإِنَّهُمْ إِذَا لَا يُؤْمِنُونَ بِالْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ مِنْ جَمِيعِ النَّوَاحِي، فَهَلْ هُنَاكَ

رَجَاءٌ لِإِيمَانِهِمْ بِشَيْءٍ آخَرَ؟ كَلَّا إِنَّهُ الشَّقَاءُ الْأَبَدِيُّ الَّذِي يَشْمَلُهُمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْكِتَابِ الْعَظِيمِ.

(١) بحار الأنوار: ج ١٧ ص ٥٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٩١

تقريب القرآن إلى الأذهان الجزء الثلاثون من آية (١) سورة النبأ إلى آية (٧) سورة الناس

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٩٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَ الصَّلَاةِ وَ السَّلَامِ عَلَى أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ وَ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى وَ عَتَرَتِهِ الطَّاهِرِينَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٩٣

٧٨ سورة النبأ مكية / آياتها (٤١)

سميت هذه السورة بسورة النبأ و عم لاشتمالها على لفظة «النبأ» و «عم» و حيث ختمت سورة المرسلات بذكر القيامة و وعيد الكفار

بذلك، افتتحت هذه السورة بذلك.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الإله، الذي هو الأول قبل كل شيء، الرحمن الرحيم الذي يرحم العباد بإعطائهم ما يكملهم و

بغفران ذنوبهم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٩٤

[سورة النبأ (٧٨): الآيات ١ إلى ٣]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣)

[٢] عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ أصله «عن ما» مركبة من «عن» الجارة و «ما» الاستفهامية، ثم أدغمت النون في الميم لقرب مخرجهما، وحذفت الألف من «ما» على ما هي القاعدة من حذفها مطلقاً إذا دخل على «ما» حرف الجر، فيقال «بم، و لم، و عم» وهكذا. والمعنى عما إذا يتساءل الكفار بعضهم عن بعض،

فقد قال في المجمع قالوا: لما بعث رسول الله و أخبرهم بتوحيد الله تعالى و بالبعث بعد الموت و تلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم- أى يسأل بعضهم بعضاً على طريق الإنكار و التعجب- فيقولون: ماذا جاء به محمد صلى الله عليه و آله و سلم و ما الذى أتى به؟ فأنزل الله تعالى «عم يتساءلون»

«١».

أقول: و المراد بالاستفهام التفيخيم، كما تقول: أية قصة هذه؟ إذا أردت تفيخيمها، و ورد فى جملة من الأحاديث: أن المراد بالنبيا العظيم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام «٢»، و هذا من باب المصدق- إن أريد بالآية الأعم، و من باب البطون إن أريد بها القيامة فقط.

[٣] ثم جاء الجواب عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ أى الخبر المهم، و هو ما يتعلق بالمبدأ و المعاد.

[٤] الَّذِي أى النبأ الذى هُم أى هؤلاء الكفار فيه أى فى ذلك النبأ مُخْتَلِفُونَ فمن مصدق له باعتبار كونه من أهل الكتاب أو من أشبههم، و من مكذب له.

(١) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٢٣٩.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٢٠٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٩٥

[سورة النبيا (٧٨): الآيات ٤ الى ٩]

كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩)

[٥] كَلَّا ليس الأمر كما قالوا و زعموا، حيث أنكروا التوحيد و الرسالة و المعاد سَيَعْلَمُونَ عاقبه تكذيبهم و صدق الرسول صلى الله عليه و آله و سلم.

[٦] ثُمَّ لترتيب الكلام كَلَّا ليس الأمر كما زعموا سَيَعْلَمُونَ عند موتهم أو فى يوم القيامة: إن الأمر كان كما أخبر الرسول، و إنهم كانوا فى ضلال و انحراف، و هذا تهديد بعقب تهديد.

[٧] ثم جاء السياق ليدكر طرفاً من نعمه سبحانه الدالة على وجوده و سائر صفاته، حجة على المنكرين: أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا؟ أى وطاء و قراراً مهياً للتصرف، كالمهد الذى يستقر فيه الطفل من غير أذية.

[٨] وَ أَلَمْ نجعل الجبال أوتاداً جمع «وتد» و هو «المسمار» أى مسامير للأرض حتى لا تتشقق و لا تتبعثر فى الهواء من جراء الحركة و الجاذبيات، كالتود الذى يربط بعض ألواح الخشب ببعض حتى لا تنفصم.

[٩] وَ خَلَقْنَاكُمْ أيها البشر أزواجاً جمع «زوج»، و هو الصنف، أى أصنافاً و أشكالاً، باختلاف ألوانكم، و ألسنتكم، و مدارككم إلى غير ذلك من الاختلافات.

[١٠] وَ جَعَلْنَا نَوْمَكُمْ أيها البشر سُبَاتًا أى قاطعاً للعمل لأجل الاستراحة، و منه سبت أنفه: إذا قطعه، فمن يا ترى جعل هذه الأمور غير

الله سبحانه؟!]

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٩٦

[سورة النبا (٧٨): الآيات ١٠ الى ١٤]

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤)

[١١] وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا أى غطاء و سترة يستر كل شىء كما يستر اللباس البدن، و ذلك لحكمه الاستراحة و الانصراف عن العمل، فإن الليل لو كان مثل النهار لم يهدأ الإنسان و لم يهنا بالراحة، بالإضافة إلى أن ظلمة الليل تساعد على الراحة و النوم- كما قالت الأطباء-.

[١٢] وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا المعاش هو العيش، أى وقت العيش تتقبلون فيه لتحصيل أسباب العيش و البقاء، و هذا من الإسناد المجازى، فإن النهار زمان العيش لا نفسه.

[١٣] وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ أى خلقنا و صنعنا فوقكم أيها البشر سَبْعًا أى سبع سماوات، و المراد بها مدارات الكواكب السيارة، أو ما أشبه شِدادًا جمع «شديد» أى محكمة الصنع متقنه الأسلوب و النظام.

[١٤] وَجَعَلْنَا فِي السَّمَاوَاتِ سِرَاجًا أى مصباحا، و المراد به الشمس وَهَاجًا أى وقادا متلألاً بالنور، من «وهج» بمعنى أثار و أضاء.

[١٥] وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ بَصِيغَةً اسم الفاعل، و المراد بها السحاب، فإنها تعصر نفسها، بما أودع فيها من الطاقات العاصرة حتى تمطر، كالغسالة التى تعصر الثوب حتى تخرج قطرات الماء منه. أو المراد بالمعصرات الرياح التى تعصر السحاب، و معنى «من» نشوية ماءً ثَجَّاجًا أى صابا دفاعا فى الصبابة، من «ثج» بمعنى انصب بكثرة، و المراد المطر الكثير الانصباب.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٩٧

[سورة النبا (٧٨): الآيات ١٥ الى ١٩]

لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَاتٍ أَلْفَافًا (١٦) إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩)

[١٦] وَ إِنَّا أَنْزَلْنَا الْمَطَرَ لِنُخْرِجَ بِهِ أى بواسطة ماء المطر حَبًّا كالحنطة و نحوها وَ نَبَاتًا كل ما ينبت من أنواع المزروعات.

[١٧] وَ نَخْرَجُ بِهِ جَنَّاتٍ أى بساتين أَلْفَافًا أى ملتفة الشجر، و هو جمع «لف» يراد به الشجر الملتف بعضه ببعض، و يسمى البستان «جنة» لتسترها بالأشجار.

[١٨] ثم يأتى السياق لبيان المعاد، بعد ما ذكر جملة من أدلة الألوهية إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ الذى يفصل فيه بين الخلائق، ليجزى كل إنسان بما عمل من خير و شر، و هو يوم القيامة كَانَ مِيقَاتًا أى وقتا و زمانا لما وعد الله سبحانه من الحساب و الجزاء، فإن «المقات» يستعمل بمعنى الزمان و بمعنى المكان- كمواقيت الحج-.

[١٩] ثم بين ذلك بقوله: يَوْمَ بَدَلٍ مِنْ «يَوْمِ الْفُضْلِ» يُنْفَخُ فِي الصُّورِ أى البوق، ينفخ فيه إسرافيل لحشر الخلائق و حياتهم بعد الموت، كما ينفخ النافخ فى البوق لحركة القافلة أو الجيش أو من أشبه، و هذه هى النفخة الثانية فَتَأْتُونَ أيها البشر من قبوركم أحياء أَفْوَاجًا جمع «فوج»، أى جماعات جماعات، كأن كل جماعة تشتمل على المشاكليين فى العمل.

[٢٠] وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ أى انشقت و ظهرت فيها أبواب فَكَانَتْ السَّمَاءُ أَبْوَابًا فَإِنْ كَلِمًا تَبَدَّلَ بِشَكْلِ أَبْوَابٍ تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ مِنْهَا لِلْحِسَابِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٩٨

[سورة النبا (٧٨): الآيات ٢٠ الى ٢٣]

وَسَيَّرَتِ الْجِبَالَ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَابًا (٢٢) لَا يَشِينُ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣)

و الجزاء و إطاعة الأوامر.

[٢١] وَ شِيْرَتِ الْجِبَالِ أَى سارت عن أماكنها بعد أن انقلعت و إنما يسيرها الله سبحانه فكأنت الجبال سيراباً أَى كالسراب- الذى هو خيال الماء فى الصحراء وقت الظهيرة- فإن الجبال إذا رآها الإنسان حسبها جامدة كسابقها، بينما هى صارت كالهباء، ترى شيئاً جامداً و ليس بجامد، كالضباب الذى يحسبه البعيد شيئاً و ليس بشىء.

[٢٢] إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً كالمحل الذى يرصد فيه لحفظ الدار أو البستان أو ما أشبهه، فإنها محل لرصد الملائكة للناس، حيث يرون منها أَى إنسان يجرم حتى يستحق النار، و أياً يحسن حتى لا يستحقها فإن «المرصاد» هو المكان الذى يراقب فيه العدو.

[٢٣] لِلطَّائِفِينَ أَى الذين طغوا و جاوزوا حدود الله سبحانه مآباً من «آب» بمعنى رجع، و المراد به المنزل، و يسمى المنزل «مآباً» لأن الإنسان كلما خرج منه رجع إليه.

[٢٤] لَا يَبِئْسَ مِنَ «لبث» بمعنى بقى، أَى يبقى الطاغون فيها أَى فى جهنم أخقاباً جمع «حقب» على وزن عرف، و هو جمع «حقبه»، و المراد بها الزمان الطويل، أَى يمكنون فى جهنم دهوراً طويلاً. و قد

روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال الأحقاب ثمانية حقب، و الحقب ثمانون سنة، و السنة ثلاثمائة و ستون يوماً، و اليوم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٥٩٩

[سورة النبا (٧٨): الآيات ٢٤ الى ٢٨]

لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَ غَسَاقًا (٢٥) جَزَاءً وَ فِاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا (٢٨)

كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ

«١» «٢» أقول: أما المعاند من أهل الباطل فلا مخرج له منها.

و أما العصاة فإنهم يخرجون بعد أزمنة طويلة- حسب اختلاف عصيانهم-.

[٢٥] لَا يَذُوقُونَ فِيهَا أَى فى جهنم برّداً و لا شراباً فلا هواء بارد، و لا طعام بارد، و لا شىء بارد لهم هناك، و لا شراب يشربون ليروى عطشهم المتزايد.

[٢٦] إِلَّا حَمِيمًا وَ غَسَاقًا وَ غَسَاقًا هو صديد أهل النار، و الاستثناء منقطع، أَى لا يذوقون إلا الحميم و الغساق أما البرد و الشراب فليس لهم، أو متصل بقوله «شراباً».

[٢٧] و إنما يجزون بذلك جزاءً على كفرهم و عصيانهم وفاقاً أَى وفق أعمالهم و بقدرها.

[٢٨] ثم يأتى البيان لبيان أعمالهم التى استحقوا بها هذا العذاب:

إِنَّهُمْ كَانُوا فى الدنيا لا- يَرْجُونَ حِسَابًا أَى لم يكونوا يتوقعون القيامة، بل كانوا يكذبون بها، و كأن لفظه «لا يرجون» باعتبار أن كل متوقع لشىء إنما يحتمل النجاح فيه.

[٢٩] وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا التى أقمناها على المبدأ و الرسالة و المعاد كذباباً أَى تكذيباً، فلم يكونوا يقبلون الآيات الدالة على الألوهية و الرسالة و المعاد.

(١) معانى الأخبار: ص ٢٢٠.

(٢) الحج: ٤٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٠٠

تقريب القرآن إلى الأذهان ج ٥ ٦٥١

[سورة النبا (٧٨): الآيات ٢٩ إلى ٣٣]

وَ كُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَ كَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) [٣٠] و هل زعم هؤلاء أن أعمالهم الباطلة لا تأخذهم؟ وَ كُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ أَي جميع ما عملوه جمعناه و عددناه و بيناه، كِتَابًا أَي إحصاء في الكتاب لا بالقول فقط.

[٣١] و هناك يقال لهم: فَذُوقُوا هذا العذاب و النكال جزاء على أعمالكم الباطلة فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا فليس الأمر محتمل النقص و الانقطاع، بل تزدادون عذابا و نكالا كل يوم و ساعة، و ذلك باعتبار أن كل يوم يضاف عذاب ذلك اليوم على الأيام السابقة- و إن كان بقدره في الكيفية-.

[٣٢] و إذا عرفنا أحوال المجرمين في الآخرة فلنتعرف بالمؤمنين إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا مصدر ميمي، أي أن لهم فوزا و فلاحا «و المتقى» هو المؤمن الذي يتقى الله فلا يذنب.

[٣٣] حَدَائِقَ بدل من «مفاز» جمع حديقة و هي البستان الصغير المنظم، أو هي الجنة المحوطة بالسور و إن كانت كبيرة، من «حديق» بمعنى أحاط و أعناباً جمع «عنب» خصّ بالذكر مثالا، و لكثرة الالتذاذ به.

[٣٤] وَ كَوَاعِبَ جمع «كاعبة»، و هي المرأة التي استدار ثديها لكونها في أول زمان رشدتها أتراباً جمع «ترب»، عمر الواحدة بعمر الأخرى كأنهم أتراب بعضهم لبعض، أو بعضهن مع أزواجهن، فليس عمر إحداهن أقل من عمر الزوج أو أكثر، ليرى العنت و الصعوبة في معاشرتها.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٠١

[سورة النبا (٧٨): الآيات ٣٤ إلى ٣٨]

وَ كَأَسَا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَ لَا كِدَابًا (٣٥) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (٣٦) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ قَالَ صَوَابًا (٣٨) [٣٥] وَ كَأَسَا و هو إناء الشراب دِهَاقًا أَي مملوءة، من «الدهق» بمعنى شدة الضغط، كأنه لا مجال فيها للماء أو الشراب بعد ذلك.

[٣٦] لَا يَسْمَعُونَ أَي المتقون فيها أي في الجنة كلاما لَغْوًا لا فائدة فيه وَ لَا كِدَابًا أَي تكديبا من بعضهم لبعض.

[٣٧] و إنما يكون المتقون في هذا النعيم الأبدى جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لهم، على أعمالهم الحسنة في الدنيا، في حال كون ذلك الجزاء عَطَاءً حِسَابًا أَي عطاء بالحساب، فليس الأمر اعتباطا.

[٣٨] ثم بين ربك بما يدل على عظمته سبحانه بقوله: رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا فكل شيء له خلقا و تربية الرَّحْمَنِ و جيء بهذا الوصف للدلالة على أنه سبحانه رحيم بعباده يتفضل عليهم بالمغفرة و الرحمة، و أنهم إنما استحقوا الثواب برحمته لا بأعمالهم لا يَمْلِكُونَ أَي البشر مِنْهُ تعالی خِطَابًا فلا يقدر أحد أن يكلم الله سبحانه أو يشفع لأحد إلا بإذنه، فهو رحيم ذو هيبة و جلال، و ليس كرحيم الدنيا الذي إذا عطف قلبه على أحد يمكن التسلط عليه للين قلبه.

[٣٩] ثم بين معنى «لا- يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا» بقوله: يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ هو ملك عظيم كما ورد في الأحاديث «١» وَ الْمَلَائِكَةُ صَفًّا كما يصطف

(١) راجع مجمع البيان: ج ١٠ ص ٢٤٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٠٢

[سورة النبا (٧٨): الآيات ٣٩ إلى ٤٠]

ذَلِكَ الْيَوْمِ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَأ (٣٩) إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَ يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ

تُراباً (٤٠)

الجيش أمام الملك، و ذلك مما يزيد القيامة هيبه و هولاً لا يتكلمون أى أولئك الملائكة و الروح، أو أى متكلم إلا من أذن له الرُحْمَنُ بالكلام، فى أى شأن من الشؤون وَ قَالَ صَوَاباً وَ كَانَ هَذَا فى بعض المواقف، و فى بعض المواقف الأخر يتكلم كل أحد بما يريد من صدق و كذب كما قال سبحانه: انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ «١» أو المراد بالتكلم - الشفاعة -.

[٤٠] ذَلِكِ الْيَوْمِ الذى وصف هو اليوم الحَقُّ الكائن لا محاله، فلا كذب فى الإخبار به. قالوا: إذا طابق الخبر الواقع فباعبار كونه مطابقاً للواقع يسمى صدقاً، و باعتبار مطابقتها الواقع له يسمى حقاً فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ أَى إِلَىٰ رِضَاهُ وَ ثَوَابِهِ مَآباً، بالإيمان و الطاعة، كَأَنَّ الْمُؤْمِنَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآباً، و الكافر اتخذ إلى ربه غيره مآباً، حيث يتعد عن لطفه و رحمته بسبب الكفر و العصيان فليس مآبه إليه.

[٤١] إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ عَذَاباً قَرِيباً فَإِنَّ الآخِرَةَ قَرِيبَةٌ و إن ظنّها الناس بعيدة، كما قال سبحانه: إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً* وَ نَرَاهُ قَرِيباً «٢». ثم بين وقت ذلك العذاب بقوله: يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ

(١) الأنعام: ٢٥.

(٢) المعارج: ٧ و ٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٠٣

أى يرى جزاء أعماله و يلاقيه. و نسبة التقديم إلى اليد لكونها العضو الفعال فى الأمور المرتبطة بالإنسان وَ يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً لَهْوَلِ مَا يَرَىٰ مِنَ الْعَذَابِ، فإنه يتمنى أن كان فى الدنيا تراباً، و لم يكن إنساناً حتى يكفر فيبتلى بذلك العذاب العظيم. لكن تمنيه هناك لا ينفع، كما لا ينفع تمنى كل مجرم إذا وقع فى مخالف الجزاء.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٠٤

٧٩ سورة النازعات مكيّة / آياتها (٤٧)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على لفظه «النازعات»، و هى كسائر السور المكيّة تعالج قضايا العقيدة، ألوهية، و رسالته، و معاداً. و لما ختمت سورة النبأ بذكر أحوال القيامة افتتحت هذه السورة بمثل ذلك.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نستعين باسم الله المالك لكل شىء و المتصرف الوحيد فى الكون، الرحمن الرحيم الذى يتفضل على العباد بالرحمة المكررة فى الدنيا و الآخرة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٠٥

[سورة النازعات (٧٩): الآيات ١ الى ٦]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ النَّازِعَاتِ غَرْقاً (١) وَ النَّاشِطَاتِ نَشْطاً (٢) وَ السَّابِحَاتِ سَبْحاً (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً (٤)

فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْراً (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦)

[٢] وَ النَّازِعَاتِ أى قسماً بالنازعات، و هى الملائكة التى تنزع أرواح الكفار عن أبدانهم بشدة غَرْقاً أى إغراقاً فى النزع، كما يغرق النازع فى القوس فيبلغ به غاية مدّ الوتر.

[٣] وَ النَّاشِطَاتِ نَشْطاً أى قسماً بالملائكة الناشطات التى تنشط فى قبض أرواح الكفار نشاطاً، أو تنشط فى الذهاب بأرواحهم نحو الهاوية بعد نزعها.

[٤] وَالسَّابِحَاتِ أَى قَسَمَا بِالمَلَائِكَةِ الَّتِي تَسْبِحُ فِى الفِضَاءِ بَعْدَ قَبْضِ الأرواحِ، وَ «السَّبْحُ» هِىَ الحَرَكَةُ بِسَهولَةٍ كحَرَكَةِ السَّابِحِ فِى المَاءِ سَبِيحًا مَصْدَرًا تَأْكِيدِيًّا.

و روى: أن المراد بذلك الملائكة التي تقبض أرواح المؤمنين يسألونها سلاً رقيقاً.

[٥] فَالسَّابِقَاتِ سَبِيحًا أَى قَسَمَا بِالمَلَائِكَةِ الَّتِي تَسْبِقُ بالأرواحِ - أَوْ بأرواحِ المُؤْمِنِينَ - نَحْوَ المَلَأِ الأَعْلَى، وَ الإِتْيَانِ بِالفَاءِ هُنَا وَ بِالوَاوِ قَبْلَهُ لِلتَّفَنُّنِ فِى الكَلَامِ الذِى هُوَ نَوْعٌ مِنَ البَلَاغَةِ.

[٦] فَالْمَدْبِرَاتِ أَمْرًا أَى قَسَمَا بِالمَلَائِكَةِ الَّتِي تَدْبِرُ الأُمُورَ بِإِذْنِ اللّهِ سَبْحَانَهُ.

[٧] قَسَمَا بِأولئِكَ الطوائف من الملائكة أن ما يأتى من أهوال القيامة و أخبار الجنة و النار صدق مطابق للواقع. و قد حذف هذا فى الكلام لدلالة الآيات التالية عليه، أذكر يا رسول الله يَوْمَ تَرْجُفُ أَى تَتَحَرَّكُ وَ تَضْطَرِبُ الرَّاجِفَةُ أَى الأَرْضُ، كما قال سبحانه تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٠٦

[سورة النازعات (٧٩): الآيات ٧ الى ١١]

تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِى الحَافِرَةِ (١٠) أِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (١١) يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَ الجِبَالُ (١٢).

[٨] تَتَّبِعُهَا أَى تَتَّبِعُ رَجْفَةَ الأَرْضِ الرَّادِفَةُ أَى الَّتِي تَرْدِفُ وَ تَتَّبِعُ الأَرْضُ فِى اخْتِلَالِ النِّظَامِ وَ الاضْطِرَابِ، وَ هِىَ السَّمَاءُ، أَوْ المَرَادُ بِالرَّادِفَةِ النِّفْحَةُ الأُولَى، وَ بِالرَّادِفَةِ النِّفْحَةُ الثَّانِيَّةُ.

[٩] قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ أَى فِى هَذَا اليَوْمِ، وَ هُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ وَاجِفَةٌ أَى شَدِيدَةُ الاضْطِرَابِ.

[١٠] أَبْصَارُهَا أَى الأَبْصَارِ المَنْسُوبَةُ إِلَى تِلْكَ القُلُوبِ، أَوْ أَبْصَارِ أَصْحَابِهَا خَاشِعَةٌ أَى ذَلِيلَةٌ، لَا تَنْظُرُ إِلا مِنْ طَرَفِ خَفَى خَشِيئَةٍ وَ رَهْبَةٍ وَ خَوْفًا وَ خَجَلًا.

[١١] يَقُولُونَ أَصْحَابِ تِلْكَ القُلُوبِ أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِى الحَافِرَةِ أَى الطَّرِيقَةَ الَّتِي جِئْنَا فِيهَا، فَإِنَّ «الحَافِرَةَ» هِىَ الطَّرِيقَةُ الَّتِي مَرَّ فِيهَا الإِنْسَانُ، تَسْمَى بِذَلِكَ بِاعتبار أنه حفرها بتأثير أقدامه فيها. وَ هَذَا حِكَايَةٌ عَنِ أولئِكَ، حَالِ كَوْنِهِمْ فِى الدُّنْيَا حَيْثُ يَتَسَاءَلُونَ: هَلْ نَحْنُ نَرْجِعُ إِلَى الحَيَاةِ بَعْدَ المَوْتِ حَتَّى نَكُونَ كَالسَّابِقِ؟ وَ هَذَا اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارِيٌّ مِنْهُمْ لِلْمَعَادِ.

[١٢] أِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً أَى وَقْتِ كُنَّا عِظَامًا بِالْيَهُ، مِنْ «نَخْر»: إِذَا

(١) المزمّل: ١٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٠٧

[سورة النازعات (٧٩): الآيات ١٢ الى ١٥]

قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ (١٤) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ مُوسَى (١٥) بلى. أَى كَيْفَ نَرْجِعُ إِلَى حَالَتِنَا الأُولَى بَعْدَ أَنْ مَتْنَا وَ صرْنَا عِظَامًا؟.

[١٣] قَالُوا هَؤُلَاءِ المُنْكَرُونَ لِلْمَعَادِ تِلْكَ أَى تِلْكَ الرُّجْعَةُ الَّتِي تَقُولُونَ بِهَا أَنْتُمْ المُؤْمِنُونَ إِذَا أَى إِذَا كَانَتْ كَمَا تَقُولُونَ كَرَّةٌ أَى رَجْعَةٌ إِلَى الدُّنْيَا خَاسِرَةٌ فَإِنَّ الإِنْسَانَ خَاسِرٌ فِى تِلْكَ الكَرَّةِ، وَ إِنَّمَا أُسْنَدَتِ الخِيسَارَةُ إِلَى الكَرَّةِ مَجَازًا، بِعِلَاقَةِ الظَّرْفِ وَ المِظْرُوفِ. وَ قَدْ قَالَ الكُفَّارُ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الاسْتِهْزَاءِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَرْضُونَ بِذَلِكَ.

[١٤] وَ جَاءَ الرَّدُّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ أَى أَنَّ الكَرَّةَ لَيْسَتْ صَعْبَةً عَلَى اللّهِ سَبْحَانَهُ، وَ إِنَّمَا الكَرَّةُ هِىَ صِيحَةٌ وَاحِدَةٌ يَصِيحُ بِهَا إِسْرَافِيلُ فِى الصُّورِ - فِى النِّفْحَةِ الثَّانِيَّةِ - وَ سَمِيَتْ الصِّيحَةُ «زَجْرَةٌ» لِأَنَّهَا تَرْجُرُ وَ تَرْدَعُ المِخَاطَبَ عَنِ سِيرِهِ الأَوَّلِ إِلَى نَحْوِ السَّيْرِ الثَّانِي.

[١٥] فَإِذَا هُم أَى البَشَرِ كُلِّهِمْ بِالسَّاهِرَةِ أَى رَاجِعُونَ عَنِ بَطُونِ الأَرْضِ إِلَى ظَاهِرِهَا، فَإِنَّ «السَّاهِرَةَ» هِىَ وَجْهَ الأَرْضِ، وَ إِنَّمَا سَمِيَتْ

بذلك لأن الإنسان يسهر عليها ولا ينام- إذا كان في صحراء- خوفا من العدو و السبع- بعلاقة الحال و المحل، فإن الإنسان يسهر في الأرض، لكن السهر نسب إلى المحل. و فيه إشارة إلى أن المحشر يكون في أرض مستوية كالفلات لا اعوجاج فيها و لا بناء و لا شجر.

[١٦] ثم يأتي السياق لبيّن طرفا من قصة موسى و فرعون ليعتبر الكفار كيف فرعون لما لم يؤمن هل أتاك أي هل جاءك و هل سمعت حديث موسى أي قصته.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٠٨

[سورة النازعات (٧٩): الآيات ١٦ الى ٢٢]

إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَقُلْ هَيْلٌ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَ أَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى (٢٢)

[١٧] إِذْ أَي فِي حِين نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ أَوْل مَا أَوْحَى سَبْحَانَهُ إِلَيْهِ عِنْد مَرْجَعِهِ مِنْ «مَدِين» شَعِيبَ إِلَى أَرْضِ مِصْرَ طُوًى اسْمِ الْوَادِ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ فِيهِ مُوسَى، وَ أَوْحَى إِلَيْهِ بِالنَّبُوءَةِ.

[١٨] قَائِلًا لَهُ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ الْمَلِكِ الطَّاعِي إِنَّهُ طَغَى أَي تَجَاوَزَ الْحُدَّ فِي الْكُفْرِ وَ الْعِصْيَانِ.

[١٩] فَقُلْ يَا مُوسَى لَه هَلْ لَكَ طَلَبُ بَصُورَةِ الْاِسْتِفْهَامِ تَأْدِبًا إِلَى أَنْ تَزَكَّى أَي هَلْ لَكَ رَغْبَةٌ فِي أَنْ تَسْلَمَ، وَ تَطْهَرَ نَفْسَكَ عَنِ الْكُفْرِ وَ الْعِصْيَانِ؟

[٢٠] وَ هَلْ لَكَ أَنْ أَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ أَي أَدْلِكَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَعْرِفُ مَزَايَاهُ سَبْحَانَهُ إِلَّا بَعْدَ الْإِرْشَادِ وَ الْهَدَايَةِ فَتَخْشَى أَي تَخْشَاهُ بِاجْتِنَابِ الْكُفْرِ وَ الْعِصْيَانِ، إِذِ الْخَشْيَةُ إِنَّمَا تَكُونُ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ.

[٢١] فَأَرَاهُ أَي أَرَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِرْعَوْنَ الْآيَةَ أَي الْمَعْجِزَةَ الْكُبْرَى وَ هِيَ الْعَصَا، أَوِ الْمَرَادُ جِنْسَ الْآيَةِ مِنْ جَمِيعِ آيَاتِهِ التَّسْعِ.

[٢٢] فَكَذَّبَ فِرْعَوْنَ بِالْآيَاتِ وَ عَصَى مُوسَى فَلَمْ يَتَمَثَّلْ أَمْرُهُ فِي الْإِذْعَانِ لِلَّهِ سَبْحَانَهُ.

[٢٣] ثُمَّ أَذْبَرَ فِرْعَوْنَ، أَي وَلَّى الدَّبَرَ يَسْعَى وَ يَجْتَهِدُ لِيَطْلُبَ مَا يَكْسِرُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٠٩

[سورة النازعات (٧٩): الآيات ٢٣ الى ٢٧]

فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٢٦) أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧)

به حجة موسى، و يبطل به نبوته.

[٢٤] فَحَشَرَ فِرْعَوْنَ، أَي جَمَعَ حَاشِيَتَهُ وَ جُنُودَهُ فَنَادَى وَ خَطَبَ فِيهِمْ.

[٢٥] فَقَالَ لَهُمْ: أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى فَإِنَّ الْأَصْنَامَ تَحْتَ الْوَهْيَتِي، وَ إِنَّمَا الرَّبُّ الْأَعْلَى- الَّذِي لَا رَبَّ فَوْقَهُ- هُوَ أَنَا، لَا كَمَا يَزْعُمُ مُوسَى بِأَنْ لِي إِلَهًا فَوْقِي.

[٢٦] فَأَخَذَهُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ، وَ هُوَ إِغْرَاقُهُ وَ جُنُودُهُ فِي الْبَحْرِ وَ إِدْخَالُهُ النَّارَ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَ الْأُولَى «النَّكَالُ» هُوَ الْعُقُوبَةُ، وَ هُوَ مَصْدَرُ تَأْكِيدِي، لِأَنَّ مَعْنَى «أَخَذَ» نَكَلَ بِهِ، أَي عَاقَبَهُ سَبْحَانَهُ عُقُوبَةَ الْآخِرَةِ فِي النَّارِ، وَ عُقُوبَةُ الْأُولَى بِالْغُرْقِ، أَي عَذَبَهُ بِالصَّنْفِينِ مِنَ الْعَذَابِ.

[٢٧] إِنَّ فِي ذَلِكَ النَّكَالِ الَّذِي حَلَّ بِفِرْعَوْنَ لَعِبْرَةً أَي لَعِظَةً وَ اعْتِبَارًا لِمَنْ يَخْشَى النَّكَالَ وَ الْعِقَابَ، كَيْ يَعْتَبِرَ بِهِ وَ يَعْلَمُ أَنَّ الْكُفْرَ عَاقِبَتَهُ الْعِقَابَ وَ النَّكَالَ.

[٢٨] وَ بَعْدَ مَا أتم قصة فرعون- في سرعته موقظة- يأتي السياق ليحدد من اعتزاز الكفار بقوتهم أمام أمر الله سبحانه، مبينا أنهم لا

شئ قبال خلق الله سبحانه، فكيف بهم في قبال أمره سبحانه؟ أ أنتم أيها البشر، أو يا كفار مكة أشد خلقاً و أقوى استحكاماً أم السماء و لا شك أن الجواب: كون السماء أشد. و هذا لا ينافي كون الإنسان ألطف و أدق و أجمل خلقاً، لأن الكلام في الشدة لا في الجمال و الدقة بناها الله

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦١٠

[سورة النازعات (٧٩): الآيات ٢٨ إلى ٣٢]

رَفَعَ سَمَكُهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَ أَغْطَشَ لَيْلَهَا وَ أَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَ الْأَرْضَ بَعِيدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَ مَرْعَاهَا (٣١) وَ الْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢)

سبحانه، و باني السماء لا يصعب عليه شئ، و لا تعادل قوته قوة.

[٢٩] رَفَعَ اللَّهُ سَمَكُهَا أَي سَقَفَهَا، فَإِنَّ السَّمَكَ هُوَ الارتفاعُ أَي أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ رَفَعَ كَثِيرًا السَّمَاوَاتِ فِي جِهَةِ الطُّولِ فَسَوَّاهَا أَي عَدَّلَهَا بِلَا شَقِيقٍ وَ لَا فَطُورٍ وَ لَا فِسَادٍ وَ خَلَلٍ.

[٣٠] وَ أَغْطَشَ لَيْلَهَا أَي أَظْلَمَهَا وَ أَخْرَجَ ضُحَاهَا أَي أَظْهَرَ ضِيَاءَهَا.

و إنما نسب الأمران إلى السماء لأنها مصدرهما، بطلوع الشمس و غروبها.

[٣١] وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ أَي بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ تَنْظِيمِ أُمُورِهَا دَحَاهَا أَي بَسَطَهَا، فَإِنَّهُ سَبَّحَانَهُ أَوْ لَا خَلْقِ الْأَرْضِ غَيْرِ مَدْحُوهٍ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ، ثُمَّ دَحَى الْأَرْضَ، وَ «الدحو» هُوَ البسط، وَ قَدْ اسْتَدَلَّ عُلَمَاءُ الْفَلَكِ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى حَرَكَةِ الْأَرْضِ، لِأَنَّ الدَّحْوَ هُوَ الرَّمْيُ الْمَسْتَلْزَمُ لِلْحَرَكَةِ، وَ لِذَا يُقَالُ لِلْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ «داحي الباب» كَذَا اسْتَدَلُّوا بِقَوْلِهِ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا «١» مِنْ كَفَتِ الطَّيْرِ: إِذْ طَارَ وَ اللَّهُ الْعَالِمُ.

[٣٢] أَخْرَجَ مِنْهَا أَي مِنَ الْأَرْضِ مَاءَهَا بِأَنْ فَجَّرَ الْعَيُونَ وَ فَلَقَ الْبَحَارَ وَ مَرْعَاهَا أَي مَرْجُوحَهَا الَّتِي هِيَ مَحَلُّ رَعَى الْحَيَوَانَاتِ وَ الْبَهَائِمِ وَ ذَلِكَ بِمَعْنَى أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ خَلَقَ فِيهَا الْأَعْشَابَ وَ النَّبَاتَ.

[٣٣] وَ الْجِبَالَ أَرْسَاهَا أَي أَثْبَتَهَا فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ لثَلَا تَتَزَلْزَلُ

(١) المرسلات: ٢٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦١١

[سورة النازعات (٧٩): الآيات ٣٣ إلى ٣٨]

مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ (٣٣) فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (٣٥) وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (٣٦) فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧)

وَ آثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨)

الأرض و تضطرب.

[٣٤] وَ إِنَّمَا فَعَلَ كُلُّ ذَلِكَ مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ أَي لِأَجْلِ تَمَتُّعِكُمْ وَ مَنَفَعَتِكُمْ أَنْتُمْ الْبَشَرُ، وَ تَمَتُّعِ أَنْعَامِكُمْ بِالسُّكُونِ فِي الْأَرْضِ، وَ تَحْصِيلِكُمْ الْمَعَايِشَ وَ رَعَى الْبَهَائِمِ، «و أنعام» جمع نعم، و هي الإبل و البقر و الغنم.

[٣٥] فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ هِيَ الْقِيَامَةُ، سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَطْمُ أَي تَعْلُو وَ تَغْلِبُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، يُقَالُ «طَمَّ الطَّائِرُ الشَّجْرَةَ» أَي عَلَاهَا وَ تَسْمَى الدَّاهِيَةُ «طاممة» لِأَنَّهَا تَعْلُو الشَّيْءَ وَ تَغْلِبُهُ الْكُبْرَى لِأَنَّهَا أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ دَاهِيَةٍ هَائِلَةٍ.

[٣٦] وَ ذَلِكَ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى أَي مَا عَمَلَهُ مِنْ خَيْرٍ وَ شَرٍّ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَتَذَكَّرُ كُلَّ عَمَلٍ عَمَلَهُ إِمَّا ذَكَرًا فِي الْخَاطِرِ، وَ إِمَّا ذَكَرًا مِنْ مَطَالَعَةِ كِتَابِهِ الَّذِي كَتَبَهُ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلَانُ بِهِ.

[٣٧] وَ يَوْمَ بُرْزَتْ أَى أَظْهَرَتْ، وَ الْمَظْهَرُ لَهَا هُوَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ الْجَحِيمُ هِيَ جَهَنَّمُ لِمَنْ يَرَى أَى لِكُلِّ مَنْ تَأْتَى مِنْهُ الرَّؤْيَةُ، فَإِنَّهُمْ يَرُونَهَا ظَاهِرَةً مَكْشُوفَةً، وَ جَوَابُ «إِذَا» مَحْذُوفٌ، أَى كَانَ النَّاسُ قَسْمِينَ، وَ إِنَّمَا حَذَفَ لِدَلَالَةِ مَا بَعْدَهُ عَلَيْهِ.

[٣٨] فَأَمَّا مَنْ طَغَى أَى تَكَبَّرَ وَ تَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي كَفْرِهِ وَ عَصِيَانِهِ.

[٣٩] وَ آثَرَ أَى اخْتَارَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ، بِأَنَّ كَانَتْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦١٢

[سورة النازعات (٧٩): الآيات ٣٩ الى ٤٣]

فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١) يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (٤٣) أعماله للدنيا و لم يعمل شيئا للآخرة.

[٤٠] فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى لَهُ، «وَ الْمَأْوَى» مِنْ آوَى، بِمَعْنَى اتَّخَذَ الْمَنْزِلَ، أَى أَنْ مَصِيرَهُ إِلَى النَّارِ الْكَثِيرَةِ- فَإِنَّ الْجَحِيمَ بِمَعْنَى ذَلِكَ.

[٤١] وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ أَى الْمَقَامَ الْمَرْبُوطَ بِالرَّبِّ تَعَالَى وَ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَ الْإِضَافَةُ تَشْرِيْفِيَّةٌ، مِنْ قَبِيلِ «بَيْتَ اللَّهِ» بِمَعْنَى خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى أَى نَهَى نَفْسَهُ وَ حَفِظَهَا مِنْ أَنْ يَتَّبِعَ هَوَاهَا وَ مَشْتَهَاتِهَا فِي ارْتِكَابِ الْمَحْرَمَاتِ وَ تَرَكَ الْوَاجِبَاتِ.

[٤٢] فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى لَهُ، فَإِنَّهُ يَصِيرُ إِلَيْهَا.

[٤٣] وَ حَيْثُ كَانَ الْكَلَامُ فِي الْقِيَامَةِ أَتَى السِّيَاقَ لَجَوَابِ سُؤَالِ النَّاسِ عَنِ وَقْتِ الْقِيَامَةِ يَسْتَلُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِ السَّاعَةِ أَى الْقِيَامَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا أَى مَتَى يَكُونُ قِيَامُهَا، مِنْ «الْإِرْسَاءِ» وَ هُوَ الثَّبُوتُ وَ الْإِسْتِقْرَارُ.

[٤٤] فِيمَ أَنْتَ أَى فِيمَا ذَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ ذِكْرَاهَا أَى مِنْ تَذَكُّرِ السَّاعَةِ فَإِنَّكَ لَا تَعْلَمُ وَقْتَ قِيَامِهَا، كَأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا كَانَ دَاخِلًا فِي شَيْءٍ عِلْمَ مَزَايَاهُ، أَمَا إِذَا كَانَ خَارِجًا لَا يَعْلَمُ خُصُوصِيَّاتِهِ، وَ «فِيمَ أَنْتَ» لِلْإِنْكَارِ، أَى لَسْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا فِي شَيْءٍ حَتَّى تَعْلَمَهَا فَإِنَّمَا عِلْمُهَا خَاصٌ بِاللَّهِ سَبْحَانَهُ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦١٣

[سورة النازعات (٧٩): الآيات ٤٤ الى ٤٦]

إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا (٤٥) كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦)

[٤٥] إِلَى رَبِّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مُنْتَهَاهَا أَى انْتِهَاءُ عِلْمِ السَّاعَةِ إِلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ، فَإِذَا سئِلَ شَخْصٌ عَنِ السَّاعَةِ حَوْلَهُ الْمَسْئُولُ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ وَ غَيْرِهِ إِلَى آخِرٍ، وَ هَكَذَا حَتَّى يَنْتَهَى إِلَى اللَّهِ الَّذِي هُوَ عَالِمٌ بِوَقْتِهَا، وَ الْمُنْتَهَى أَضْيَفٌ إِلَى السَّاعَةِ، وَ الْمُرَادُ بِهَا وَقْتُهَا- بِعِلَاقَةِ الْمَلَابِسَةِ-

[٤٦] وَ لَيْسَ عِلْمُ وَقْتِ السَّاعَةِ مَرْبُوطًا بِكَ، فَ إِنَّمَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مُنْذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا أَى شَأْنُكَ الْإِنْذَارُ لِمَنْ يَخْشَى مِنَ السَّاعَةِ، وَ إِنَّمَا خَصَّ الْإِنْذَارَ بِهِمْ لِأَنَّهِمُ الْمُنْتَفِعُونَ بِالْإِنْذَارِ دُونَ سِوَاهُمْ.

[٤٧] ثُمَّ جَاءَ السِّيَاقَ لِيُنْذِرَ النَّاسَ وَ يَذْكُرَهُمْ بِأَنَّ لِبَشَرِهِمْ فِي الدُّنْيَا قَلِيلٌ حَتَّى كَانَتْهُمْ أَى النَّاسُ يَوْمَ يَرَوْنَهَا أَى يَرُونَ السَّاعَةَ، فِيمَا إِذَا قَامَتْ عَلَيْهِمْ لَمْ يَلْبُثُوا أَى لَمْ يَمَكْتُوْا وَ لَمْ يَبْقُوا فِي الدُّنْيَا إِلَّا عَشِيَّةً أَى مَقْدَارَ عَصْرِ يَوْمٍ أَوْ ضُحَاهَا أَوْ صَبْحَ تِلْكَ الْعَشِيَّةِ، وَ الْمَعْنَى يَظُنُّونَ أَنَّ هُمْ لَمْ يَكُونُوا فِي الدُّنْيَا إِلَّا نِصْفَ يَوْمٍ صَبَاحًا أَوْ مَسَاءً.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦١٤

٨٠ سورة عبس مكية / آياتها (٤٣)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتغالها على لفظة «عبس»، و هي كسائر السور المكية مشتملة على معالجة قضايا العقيدة، و حيث ختمت

سورة «النازعات» بإنذار من يخشى، افتتحت هذه السورة بإنذار شخص خاص.

«عبس و تولى» و قد نزلت هذه السورة في «عثمان بن عفان»، حيث كان عند الرسول مع جملة من أصحابه، فجاء أعمى و جلس قرب عثمان، فعبس عثمان وجهه و تولى عنه و جمع ثيابه، و أقبل على بعض الجالسين الآخرين الذين كان لهم ثراء، فنزلت الآيات «١». و من غريب الأمر أن بعض بنى أمية المبعضين للرسول صلى الله عليه و آله و سلم نسب هذا الأمر إلى الرسول لتبرئه ساحة قريبهم «عثمان» و قال: إن الرسول هو الذى عبس و تولى، مخالفاً بذلك نص القرآن العظيم و «إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ» (٢) و «عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ» (٣) و غيرها.

(١) بحار الأنوار: ج ١٧ ص ٨٥.

(٢) القلم: ٥.

(٣) التوبة: ١٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦١٥

ثم جاء جماعة من الوهابيين فأخذوا يلحسون قصاع الأميين في نسبة هذه السببة إلى الرسول، بتزويقات و زخارف من القول، و قد صار ذلك حراباً في أيدي الصليبيين في الهجوم على الرسول صلى الله عليه و آله و سلم حتى أن بعض كراريسهم كتبت: أيهما خير المسيح أو محمد، فإن الأول كان يبرئ الأعمى - بنص كتابكم و أُبرئ الأكمه و الأبرص «١» و الثانى كان يعبس و يتولى إذا جاءه الأعمى بنص كتابكم؟

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الإله الذى له ما فى السماوات و الأرض، فهو أحق بالابتداء باسمه من غيره، إذ هو المبدأ الذى بيده كل شىء، الرحمن الرحيم الذى يرحم العباد، و يتفضل عليهم بما يكمل نقصهم.

(١) آل عمران: ٥٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦١٦

[سورة عبس (٨٠): الآيات ١ الى ٦]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَ تَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَ مَا يُدْرِيكُ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤)

أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦)

[٢] عَبَسَ عثمان بن عفان، أى قَطَبَ وجهه و تَوَلَّى أى أعرض.

[٣] أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى أى بسبب أن جاءه شخص أعمى. قالوا و كان الأعمى ابن أم مكتوم.

[٤] ثم أخذ السياق لتأنيب عثمان بما فعله موجه الخطاب معه، كما هو دأب القرآن فى توجيه الخطاب إلى الناس، نحو أ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا «١» و مَا يُدْرِيكُ أيها العابس لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أى لعل الأعمى يتطهر بالعمل الصالح؟ فيكون الإعراض عنه إثماً، حيث إنه إعراض عن الزاكي الطاهر.

[٥] أَوْ يَذَّكَّرُ أى يتذكر بسبب الوعظ و الإرشاد، أصله «تذكر» ثم أدغمت التاء فى الذال لقرب مخرجهما، فجاء بهمزة الوصل لتعذر الابتداء بالساكن فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى و الفرق بين الآيتين أن الأولى «زكاة» من نفسه، و الثانية «زكاة» بواسطة التذكير.

[٦] أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى أى كان غنياً بالمال، و الإيتان من باب الاستفعال، من جهة أن الشخص يطلب الغنى.

[٧] فَأَنْتَ يَا عَابِسَ لَهُ تَصَدَّى أى تتعرض، أصله «تتصدى» حذفت إحدى تائيه على القاعدة، أى تقبل عليه و تحاوره.

(١) النزاعات: ٢٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦١٧

[سورة عبس (٨٠): الآيات ٧ الى ١٤]

وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْتَهُ تَلْهَى (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١)

فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُكْرَمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤)

[٨] و مَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى أى لا تبالى هل هو زكى أم لا؟ فإن المال هو الذى يعظم فى نفسك لا الدين، و لذا لا تبالى بالدين إذا كان الشخص ذا مال.

[٩] وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ساعيا لأجل الخير و الرشد كابن أم مكتوم.

[١٠] وَهُوَ يَخْشَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.

[١١] فَأَنْتَ أَيُّهَا الْعَابِسُ عَنْتَهُ عَنْ ذَلِكَ السَّاعَى تَلْهَى أى تتلهى - على غرار تصدى - أى تتغافل و تشتغل بغيره، لأنه فقير معدوم.

[١٢] كَلَّا لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا زَعَمْتَ: من أن المال خير من الدين إِنَّهَا أى هذه الآيات تَذْكِرَةٌ مذكرة بالحسن و القبيح الكامن فى النفس و الفطرة.

[١٣] فَمَنْ شَاءَ الْخَيْرِ وَ السَّعَادَةِ ذَكَرْهُ أى ذكر ما أودع فى نفسه و فطرته، بأن عمل بالوعظ و الإرشاد.

[١٤] إِنْ هَذِهِ التَّذْكَرَةُ هِيَ فِي صُحُفٍ مُكْرَمَةٍ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَ الْمُرَادُ «بِالصُّحُفِ» اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ وَ سَائِرُ الْأَلْوَاحِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى.

[١٥] مَرْفُوعَةٍ فِي السَّمَاءِ - حَسَا - أَوْ مَعْظَمُهُ مَجْلَلَةٌ - مَعْنَى - مُطَهَّرَةٌ أَى مَنْزَهُةٌ مِنَ الْخَطَا وَ النِّقَاصِ وَ مَا أَشْبَهَهَا.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦١٨

[سورة عبس (٨٠): الآيات ١٥ الى ٢٠]

بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ (١٩)

ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠)

[١٦] بِأَيْدِي سَفَرَةٍ أى إن تلك الصحف إنما هى بأيدى الملائكة الكرام، فإن «سفرة» جمع «سافر» و هو الكاتب، أو السفير.

[١٧] كِرَامٍ جمع كريم، أى ذوى مقامات رفيعة بَرَرَةٍ جمع «بار»، و هو المحسن.

[١٨] ثم يأتى السياق ليتعجب من الكافر كيف يكفر بهذا الكتاب العظيم، المنزل من عند الله سبحانه الذى هو الخالق و بيده أزمه كل شىء قُتِلَ الْإِنْسَانُ دَعَاءَ عَلَيْهِ، أى اللهم أقتله، و المراد به الجنس المنحرف بدلالة القرائن الآتية ما أَكْفَرَهُ تعجب من كفره و ضلاله بعد وضوح الحجته و تمام المحجته.

[١٩] مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى؟ أى ألا- ينظر إلى أصل خلقه كيف خلقه تعالى من ماء مهين، حتى جعله إنسانا بهذه الغرابة فى الدقة و الأجهزة و الآلات؟

[٢٠] مِنْ نُطْفَةٍ أى قطرة من المنى خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ أى قدر مزاياه و خصوصياته من حواسه و مشاعره و آلاته و أجهزته و كفه و كيفه و طوله و عرضه و غير ذلك.

[٢١] ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ أى يسر و سهل له سبيل الحياة، بأن هيا له الأسباب و الوسائل و أرشده إلى خيره و سعادته، و الأصل يسر له السبيل ثم حذف الجر - على قاعدة القطع و التوصيل -.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦١٩

[سورة عبس (٨٠): الآيات ٢١ الى ٢٨]

ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (٢٣) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨)

[٢٢] ثُمَّ بعد أن انتهى أمده في الحياة أماته بأن قبض روحه فأقبره أى أدخله القبر، و هو المحل الذى يشتمل على جسمه بعد الموت، و إن كان البحر أو نحوه، أو من باب الغلبة.

[٢٣] ثُمَّ إِذَا شَاءَ و أراد سبحانه قيام القيامة أنشره أى بعثه حيا سويا.

[٢٤] فهل تراه تهيأ للنشور و استعد لذلك اليوم العظيم بالإيمان و العمل الصالح؟ كَلَّا إنه فى غفلة و سبات و لَمَّا يَقْضِ أى لم يأت بعد ب ما أمره الله سبحانه من الإيمان و العمل الصالح.

[٢٥] ثم يأتى السياق لتذكير الإنسان بجملة من الآيات الكونية تدليلا على وجوده سبحانه بالآيات الآفاقية بعد أن ذكره الآيات الأنفسية فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ الذى يأكله، ليتذكر أصل الخلقة، و من خلقها، ليرعوى عن غيه و ضلاله.

[٢٦] أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ المطر من السماء صَبًّا أى إنزالا.

[٢٧] ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ بإخراج النبات منها شَقًّا حتى أن النبات الضعيف خرج من الأرض الصلبة.

[٢٨] فَأَنْبَتْنَا فِيهَا أى فى الأرض حَبًّا أى جنس الحبوب من الحنطة و الشعير و أمثالهما.

[٢٩] و أَنْبَتْنَا فِيهَا عِنَبًا خص بالذكر لكثرتة و لذته و عظم فائدته و قَضْبًا و هو القت الرطب الذى يقضب و يقطع مرة بعد أخرى لعلف الدواب.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٢٠

[سورة عبس (٨٠): الآيات ٢٩ الى ٣٤]

وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقِ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢) فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤)

[٣٠] وَزَيْتُونًا و هو ما يعصر منه الزيت وَنَخْلًا و هو الشجرة التى تعطى التمر.

[٣١] وَحَدَائِقِ جمع «حديقة»، و هو البستان المحوَّط بالسور أو البستان الصغير ذو الأشجار و الأوراد غُلْبًا جمع «غلباء» و هى الحديقة العظيمة الملتفة الأشجار، كأنه مأخوذ من التغالب، لتغالب أشجارها فى الارتفاع للاستفادة من الهواء و الضياء.

[٣٢] وَفَاكِهَةً أى سائر ألوان الفواكه و أَبًّا و هو المرعى من الحشيش و غيره الذى يرعاه الحيوان.

[٣٣] و إنما أنبتنا كل ذلك متاعاً لكم أى لأجل متاعكم و عيشكم و لِأَنْعَامِكُمْ أى بهائمكم. قالوا: الفاكهة لكم، و الأبّ لأنعامكم.

[٣٤] ثم ينتقل السياق من المبدأ إلى المعاد بقوله تعالى: فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ و هى من أسامى القيامة، بمعنى الصاكة، لأنها تصك الأسماع، أى تبالغ فى إسماعها، من أصواتها الشديدة، كصوت النفخة، و صوت النار، و أصوات الملائكة، و ما أشبهه. و الجواب محذوف، أى يكون الناس يومئذ قسمين، و قد دل على الجواب ما يأتى فى قوله «وجوه».

[٣٥] ثم بين وقت مجيئها بقوله: و ذلك يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ أى كل أحد مِنْ أَخِيهِ خوفاً بأن يتلى به، بأن يطلب منه شيئاً، أو يلقي عليه بعض تبعته.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٢١

[سورة عبس (٨٠): الآيات ٣٥ الى ٤١]

وَأُمِّهِ وَآبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١)

[٣٦] وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ حَذْرًا مِنْ أَنْ يَكُونَ قَصْرًا فِي حَقِّهِمَا، أَوْ يَطَالِبَانَهُ بِشَيْءٍ.

[٣٧] وَصَاحِبَتَيْهِ أَي زَوْجَتَيْهِ، وَهُوَ مِنْ بَابِ الْمَثَالِ، وَإِلَّا فَالزَّوْجَةُ أَيْضًا تَفْرُجُ مِنْ زَوْجِهَا وَبَيْنَهُ أَي أَوْلَادِهِ، وَالْمُرَادُ إِنَّهُ يَفْرُجُ مِنْ أَعَزِّ أَقْرَبَائِهِ وَعَشْرَانَهُ.

[٣٨] لِكُلِّ أَمْرِيٍّ مِنْهُمْ أَي مِنْ هَؤُلَاءِ الْفَارِسِينَ، أَوْ كُلِّ مَنْ حَضَرَ فِي الْقِيَامَةِ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ أَي أَمْرٌ عَظِيمٌ يُغْنِيهِ عَنْ شُؤْنٍ غَيْرِهِ لِأَنَّهُ مَبْتَلَى بِحِسَابِ نَفْسِهِ يَشْغَلُهُ عَنِ الْإِهْتِمَامِ بِالْآخِرِينَ.

[٣٩] وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ أَي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهِيَ وَجْهُ الْمُؤْمِنِينَ مُسْفِرَةٌ أَي مُشْرِقَةٌ مُضِيئَةٌ، «مِنْ أَسْفَرٍ» بِمَعْنَى ظَهَرَ فَإِنَّهَا تَظْهَرُ عَلَيْهَا آثَارُ الْفَرْحِ وَالسُّرُورِ.

[٤٠] ضَاحِكَةٌ مِنَ السُّرُورِ مُسْتَبْشِرَةٌ اسْتَبْشَرَتْ بِالْخَيْرِ وَالْثَوَابِ أَي فَرِحَتْ وَتَهَلَّلَتْ.

[٤١] وَوُجُودٌ يَوْمَئِذٍ أَي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْمُرَادُ بِهَا وَجْهُ الْكُفَّارِ وَالْعِصَاةِ عَلَيَّهَا عَبْرَةٌ أَي سُودٌ وَكَأْبَةٌ وَحُزْنٌ، مُشْتَقٌّ مِنَ الْغُبَارِ وَهُوَ التُّرَابُ الْمَتَصَاعِدُ الَّذِي يَعْلُو الْأَشْيَاءَ.

[٤٢] تَرَهَّقَهَا أَي تَعْلُو تِلْكَ الْوُجُوهَ وَتَغْشَاهَا قَتْرَةً وَهِيَ ظِلْمَةُ الدِّخَانِ، فَالْغُبَارُ وَالدِّخَانُ وَعَبُوسُ النَّفْسِ كُلُّهَا تَظْهَرُ عَلَى وَجْهِهِمْ، وَلَا يَجْلِيهَا رِضْوَانُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ، كَمَا يَجْلِي وَجْهَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ فَرَضَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٢٢

[سورة عبس (٨٠): آية ٤٢]

أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجْرَةُ (٤٢)

مرورها من محلات القيامة المغبرة.

[٤٣] أُولَئِكَ الَّذِينَ وَصَفُوا بِتِلْكَ الْأَوْصَافِ السَّيِّئَةِ هُمُ الْكَافِرَةُ جَمْعُ كَافِرٍ الْفَجْرَةُ جَمْعُ فَاجِرٍ أَي الْعَاصِي، يَعْنِي أَنَّ الْكُفَّارَ وَالْفَجَّارَ هُمُ الَّذِينَ تَكُونُ عَلَى وَجْهِهِمْ غَبْرَةٌ وَقَتْرَةٌ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٢٣

٨١ سورة التكوير مكية / آياتها (٣٠)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على الفعل من هذا المصدر، وهو قوله «كورت» وهي كسائر السور المكية تبين قضايا العقيدة في أصولها الثلاث، وحيث ختمت سورة «عبس» بذكر القيامة، افتتحت هذه السورة بذكر علاماتها.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الله الذي هو المبدأ لكل شيء، فمنه سبحانه جاء الكون، وإليه مصير الخلق، الرحمن الرحيم بكل شيء خلقاً وتربيةً ولطفاً.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٢٤

[سورة التكوير (٨١): الآيات ١ إلى ٧]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤)

وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧)

[٢] إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ أَي ذَهَبَ نُورُهَا فَأَظْلَمَتْ، وَالتَّكْوِيرُ هُوَ اللَّفُّ، كَأَنَّ الْمُرَادَ لَفَّ ضَوْوُهَا، فَذَهَبَ انْبِسَاطُهَا فِي الْآفَاقِ، فَتَصِيرُ سُودًا مَظْلَمَةً.

[٣] وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ بِأَنَّ يَذْهَبُ نُورُهَا وَضِيَاؤُهَا، مِنَ الْكِدْرَةِ.

[٤] وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ قلعها الله عن مكانها، و سيرها كالهباء في الفضاء.

[٥] وَإِذَا الْعِشَارُ وَ هِيَ النوق الحوامل، جمع «عشراء» و هى الناقة الحامل، و الناقة التى وضعت لتمام عَطَلَتْ أى تركت هملا بلا راع و لا محافظ، و ذلك كناية عن أن أهوال ذلك اليوم بحيث توجب أن يذهل الإنسان عن أعز ماله.

[٦] وَإِذَا الْوُحُوشُ جَمَع و حش، و هو الحيوان البرى الذى لا- يأنس، أو مطلق الحيوان حُشِرَتْ أى جمعت فى ذلك اليوم ليقتنص للمظلوم منها من الظالم.

[٧] وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ أى حولت إلى النيران، و منه تسجير التنور، بإيقاد النار فيه.

[٨] وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ بأن قرنت كل نفس إلى من يشاكلها فالمؤمن مع المؤمن، و الكافر مع الكافر، أو زوجت نفوس المؤمنين بحور العين و نفوس الكافرين بالشياطين، أو زوجت النفوس بالأحباء، بعد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٢٥

[سورة التكوير (٨١): الآيات ٨ الى ١٤]

وَ إِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) وَ إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَ إِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَ إِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَ إِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا أُخْضِرَتْ (١٤)

مفارقتها عنها فى حال الموت.

[٩] وَ إِذَا الْمَوْؤُودَةُ من وئد بمعنى دفن الشيء حيا، فقد كانت العرب تئد البنات خوف الفقر و العار سُئِلَتْ أى يسأل عنها.

[١٠] بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ يسأل عن الذين و أدوا بناتهم: بأى ذنب صدر منهن قتلتموهن، و هن بريئات لا ذنب لهن؟

[١١] وَ إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ أى صحائف أعمال الناس تنشر ليقراها أصحابها و يطلعوا على ما فيها من خير و شر حتى يجازون بما عملوا.

[١٢] وَ إِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ الكشط هو القلع عن شدة، كأن السماء جلد يكشط و يقلع عن الكون، و ذلك كناية عن تبدل الأنظمة العلوية حتى يرى الإنسان السماء غير السماء كما يرى البدن المكشوط جلده بغير شكله السابق.

[١٣] وَ إِذَا الْجَحِيمُ أى النار سُعِّرَتْ أى أوقدت، بأن ترتفع نارها و لهيبها لتشتد و تزداد حرارة و هولاً.

[١٤] وَ إِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ أى قربت، كأنها فى محل بعيد فى الفضاء ثم تدنى إلى الأرض التى هى المحشر و الموقف، أو المراد قربت إلى المؤمنين قرباً زمانياً.

[١٥] إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأُمُورَ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا أُخْضِرَتْ أى عرفت أعمالها

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٢٦

[سورة التكوير (٨١): الآيات ١٥ الى ١٩]

فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَ اللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ (١٧) وَ الصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) التى عملتها فى دار الدنيا من خير و شر و سعادة و شقاء و التى أحضرتها ليوم القيامة، فإنها تعرف بأعمالها لتجازى عليها.

[١٦] ثم جاء السياق لتثبيت أمر الرسالة و بيان أن القرآن ليس كلام الرسول صلى الله عليه و آله و سلم- كما يزعم الكفار- فلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ قد سبق أن «لا» للنفى، و إنما يؤتى بها لنكتة هى إرادة تعظيم القسم و الإشعار به مع عدم الحلف واقعا. كما تقوم لرجل عظيم «لا- أقسم بحياتك لكن الأمر كذا». و «الخنس» جمع الخانس، و هو الذى يستتر و يرجع، و المراد بها الكواكب، أى لا- أقسم بالكواكب التى تستتر عند مغيبها فى المغرب، أو لضياء النهار.

[١٧] الْجَوَارِ جمع جاريه، لأن الكواكب تجرى و تسير فى السماء الْكُنَّسِ جمع «كانس» و هو الذى يستتر فى محله، كالضبى الذى يأوى إلى كناسه أى منزله، و كأن المعنى لا أقسم بالكواكب السيارة التى ترجع فى دورتها الفلكية و تجرى و تختفى فى أماكنها، فإن

أول الليل يرى الإنسان الكواكب رجعت عن مغيبيها، ثم يرى جريانها ثم اختفاءها عند المغرب أو عند إضاءة الصباح.

[١٨] وَ قَسَمَ بِاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ أَي أَقْبَلَ، أَوْ بِمَعْنَى أَدْبَرَ.

[١٩] وَ قَسَمَ بِالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ أَي أَسْفَرَ وَأَضَاءَ.

[٢٠] ثم جاء متعلق الحلف بقوله: إِنَّهُ أَي إِنْ هَذَا الْقُرْآنَ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ المراد به جبرئيل عليه السلام، في مقابل أن يكون من مخترعات

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٢٧

[سورة التكوير (٨١): الآيات ٢٠ الى ٢٥]

ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَ مَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَ لَقَدْ رَأَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَ مَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤)

وَ مَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢٥)

الرسول- كما زعم الكفار- و كونه قول جبرئيل يراد به حكايته لذلك عن الله سبحانه، لا إنه قوله الاستقلالي- كما لا يخفى-

[٢١] ذِي قُوَّةٍ جَسَدِيَّةٌ وَ عَقْلِيَّةٌ، فَيَتِمَكَّنُ مِنَ النَّزُولِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَ يَبْلُغُ رِسَالَةَ اللَّهِ إِلَى الرَّسُولِ كَامِلَةً بِلا زِيَادَةٍ أَوْ نَقْصَانٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ أَي لَهُ مَكَانٌ عَظِيمٌ عِنْدَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ- الَّذِي هُوَ صَاحِبُ الْعَرْشِ، الْمَالِكُ لِلْكَوْنِ كُلِّهِ، كَمَا يَقَالُ لِلْمَلِكِ «صَاحِبُ الْعَرْشِ» كِنَايَةٌ عَنِ كَوْنِهِ مَلِكًا- وَ «مَكِينٌ» بِمَعْنَى مُتِمَكِّنٍ.

[٢٢] وَ هُوَ مُطَاعٌ لِلْمَلَائِكَةِ، أَي يُطِيعُونَهُ الْمَلَائِكَةُ لِكِبَرِ مَقَامِهِ ثَمَّ أَي هُنَاكَ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى أَمِينٌ عَلَى الْوَحْيِ فَلَا يَزِيدُ فِيهِ وَ لَا يَنْقُصُ.

[٢٣] فَالْقُرْآنُ إِذَا كَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى، أَمَّا الرَّسُولُ وَ مَا صَاحِبُكُمْ أَيِهَا الْكُفَّارُ- وَ الْمُرَادُ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ الَّذِي صَحِبَهُمْ- بِمَجْنُونٍ قَدْ خَلَطَ عَقْلَهُ كَمَا تَتَقَوْلُونَ عَلَيْهِ.

[٢٤] وَ لَقَدْ رَأَاهُ أَي رَأَى الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ جِبْرَائِيلَ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ فِي نَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ عِنْدَ الْأُفُقِ الْوَاضِحِ، فَلَمْ يَكُنْ وَهْمًا أَوْ إِلقاءً مِنَ الشَّيَاطِينِ أَوْ مَا أَشْبَهَ- كَمَا تَزْعُمُونَ-

[٢٥] وَ مَا هُوَ أَي الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ عَلَى الْغَيْبِ أَي وَحَى اللَّهُ سَبْحَانَهُ لَهُ بِضَنِينٍ بِمَتَّهِمْ، مِنَ «الضَّنْءِ» بِمَعْنَى التَّهْمَةِ، أَوْ بِبَخِيلٍ.

[٢٦] وَ مَا هُوَ أَي لَيْسَ الْقُرْآنُ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ مَرْجُومٍ أَي مَطْرُودٍ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٢٨

[سورة التكوير (٨١): الآيات ٢٦ الى ٢٩]

فَأَيُّنَ تَدْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَ مَا تَشَاوَنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩) بِاللَّعْنِ، كَسَائِرِ الْكُهَانَاتِ الَّتِي هِيَ أَقْوَالُ الشَّيَاطِينِ تَلْقَى عَلَى الْكُهْنَةِ.

[٢٧] فَأَيُّنَ تَدْهَبُونَ أَيِهَا الْكُفَّارُ؟ وَ كَيْفَ لَا تُؤْمِنُونَ وَ الْقُرْآنَ شَاهِدٌ صَدَقَ عَلَى نَفْسِهِ، بِأَنَّهُ لَيْسَ كَلَامٌ مَجْنُونٍ، وَ لَا كَلَامٌ شَيْطَانٍ، وَ لَا مَا زِيدَ فِيهِ أَوْ نَقِصَ لِبَخْلِ الرَّسُولِ بِإِعْطَاءِ الْوَحْيِ كَامِلًا، فَإِنَّهُ مِنْ طَرَفِ الْمَنْزَلِ، وَ هُوَ اللَّهُ، وَ مِنْ طَرَفِ الْمَنْزَلِ إِلَيْهِ وَ هُوَ الرَّسُولُ، أَحْسَنُ كِتَابٍ لِلْهِدَايَةِ.

[٢٨] إِنْ هُوَ أَي لَيْسَ الْقُرْآنُ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ أَي لِجَمِيعِ الْأَجْيَالِ وَ الْعَوَالِمِ، عَالِمِ الْإِنْسِ وَ عَالِمِ الْجِنِّ، يَذْكُرُهُمْ بِمَا أَوْدَعُوا فِي فِطْرَتِهِمْ مِنَ الْأُمُورِ الْمُرْتَبِطَةِ بِالْأَلُوهِيَّةِ وَ الرِّسَالَةِ وَ الْمَعَادِ، وَ الْأَخْلَاقِ وَ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

[٢٩] لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَيِهَا الْمَكْلُفُونَ أَنْ يَسْتَقِيمَ فِي عَقِيدَتِهِ وَ عَمَلِهِ، بِأَنَّهُ لَا يَنْحَرِفُ يَمِينًا أَوْ شِمَالًا، وَ إِنَّمَا خَصَّصَهُمْ لِأَنَّهُمْ الْمُتَنَفِعُونَ بِالذِّكْرِ، كَمَا تَقُولُ «هَذَا مَعْلَمٌ لِمَنْ شَاءَ أَنْ يَتَلَمَّذَ عِنْدَهُ» تَعْنِي أَنَّ الْمُرِيدَ هُوَ الْمُسْتَفِيدُ مِنْهُ، وَ إِنْ كَانَ هُوَ مُسْتَعِدًّا لِتَعْلِيمِ كُلِّ فَرْدٍ.

[٣٠] وَ مَا تَشَاوُونَ أَنْتُمْ الِاسْتِقَامَةَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتِمَكَّنْ عَلَى الْإِهْتِدَاءِ إِلَّا بَعْدَ مَشِيئَةِ اللَّهِ بِنَصَبِ الْأَدْلَةِ وَ قَدْ شَاءَ سَبْحَانَهُ ذَلِكَ، وَ أَرْسَلَ الرَّسُولَ، وَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَشِيئَةُ الْبَشَرِ أَنْ يَقْبَلُوا الْهُدَى وَ يَتَّبِعُوا السَّبِيلَ. وَ فِي هَذَا تَحْرِيطُ الْعِبَادِ عَلَى الْمَشِيئَةِ إِذْ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدْ شَاءَ، فَهَلْ يَحِقُّ لِلْبَشَرِ أَنْ لَا يَشَاءَ؟
تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٢٩

٨٢ سورة الانفطار مكية / آياتها (٢٠)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على فعل المصدر و هو قوله «انفطرت»، و هى كسائر السور المكية تعالج قضايا العقيدة فى أصولها، و حيث كانت سورة «التكوير» لبيان أهوال القيامة، جاءت هذه السورة مؤكدة لتلك.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نَشْرَعُ فِي السُّورَةِ بِاسْمِ الْإِلَهِ الَّذِي لَهُ كُلُّ شَيْءٍ، فَإِنَّ اللَّهَ عِلْمُ اللَّذَاتِ الْمُسْتَجْمَعِ لِجَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرْحَمُ الْعِبَادَ وَ يَتَفَضَّلُ عَلَيْهِمْ بِتَكْمِيلِ نَوَاقِصِهِمْ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٣٠

[سورة الانفطار (٨٢): الآيات ١ الى ٦]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١) وَ إِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (٢) وَ إِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَ إِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤)

عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ (٥) يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦)

[٢] إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ أَى انشقت و ظهر فيها أثر الانفطار حتى إذا شاهدها الإنسان رآها كالحائط المنفطر.

[٣] وَ إِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَثَرَتْ أَى تهافتت و اختلفت أمكنتها و بطل نظامها الحالى، من النثر و هو التبعر.

[٤] وَ إِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ كَمَا تَتَفَجَّرُ الْعَيُونُ، بَأَنْ أَخَذَتْ تَغْلَى بِالْمَاءِ أَوْ بِاللَّهَبِ.

[٥] وَ إِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ أَى قلب ترابها لخروج الأموات منها، و الشىء المبعثر هو المتفرق.

[٦] إِذَا صَارَ كُلُّ ذَلِكَ، فَقَدْ قَامَتِ الْقِيَامَةُ وَ عَلِمَتْ كُلُّ نَفْسٍ وَ الْمَرَادُ بِالنَّفْسِ الْجِنْسُ، وَ لَذَا أَدْخَلْنَا عَلَيْهَا «كُلَّ» مَا قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ أَى يعرف كل إنسان- بالنظر إلى صحيفته عمله- ما قدم إلى الآخرة فى حال كونه فى الدنيا و ما أخر إلى الآخرة بعد وفاته، بما خلف من صدقات جارية و كتب علم و دين أو أشياء ضارة و ما أشبه ذلك، فإنه يعرف بكل ذلك ليجزى حسب ما عمل إن حسنا فحسن، و إن سيئا فسيء.

[٧] ثُمَّ يَأْتِي السِّيَاقُ لِإِيْقَاطِ الْإِنْسَانِ مِنْ نَوْمِهِ، بِقَوْلِهِ: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ أَى شَىءٌ خَدَعَكَ بِرَبِّكَ حَتَّى صَرْتَ تَعْصِيَهُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٣١

[سورة الانفطار (٨٢): الآيات ٧ الى ١٠]

الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَى صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّينِ (٩) وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ (١٠)

و تخالفه، آمننا من عذابه و عقابه؟ و هل كان من العدل أن تقابل كرمه بالعصيان؟ و هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟-

و فى حديث أن النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ لما تلا هذه الآية قال: غره جهله

«١».

[٨] الَّذِي خَلَقَكَ بِأَنْ أَوْجَدَكَ مَنِيًّا فَسَوَّاكَ جَعَلَ أَجْهَزَتَكَ سَلِيمَةً مَعْدَةً لِمَنَافِعِهَا فَعَدَلَكَ أَى جعل بعض أعضائك عدل بعض

كعنين و يدين و رجلين و ما أشبه بحيث يتناسب أحدهما مع الآخر دون كبر فى بعض و صغر فى بعض.

[٩] فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ «ما» زائدة لتأكيد اختلاف الصور رَكَّبَكَ أى ركبك فى أية صورة شاء من أنواع الصور الحسنه والقيحه والمليحه أو غيرها و هكذا، فإن بسائط الجسم من لحم و عظم و شحم و دم و غيرها ركب سبحانه منها صورة كل إنسان بشكل خاص.

[١٠] فهل بعد ذلك كله تنكرون وجود الله، أو قدرته على البعث كلاً ليس الأمر على ما تزعمون بل تُكذِّبُونَ بِالَّذِينَ أى بالجزاء لا تؤمنون، بل تكذبون.

[١١] و تظنون أن لا- حساب و إِنَّ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ لِحَافِظِينَ من الملائكة، يحفظون أعمالكم بكتابتها فى دواوين لتجزون عليها يوم القيامة، و «حافظين» اسم «إن».

(١) بحار الأنوار: ج ٧ ص ٩٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٣٢

[سورة الانفطار (٨٢): الآيات ١١ الى ١٨]

كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَظُنُّونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ (١٨)

[١٢] كراماً أى ملائكة كراما ذوى رفعة و مكانة رفيعة كاتِبِينَ يكتبون أعمال بني آدم.

[١٣] و لا يسقط من حسابهم شىء، بل يَظُنُّونَ كل ما تَفْعَلُونَ من طاعة و معصية و خير و شر.

[١٤] ثم فى يوم القيامة يجازى كل حسب ما عمل إِنَّ الْأَبْرَارَ جمع «بر» و هو المحسن فى العقيدة و العمل لَفِي نَعِيمٍ الجنان و رفاها و خيرها.

[١٥] وَإِنَّ الْفُجَّارَ جمع «فاجر» و هو العامل بالمعاصى، كفرًا كان أو غيره لَفِي جَحِيمٍ اسم من أسامى جهنم، و هى النار الكثيرة.

[١٦] يَصْلَوْنَهَا أى يدخلونها ملازمين لها يَوْمَ الدِّينِ أى يوم القيامة.

[١٧] وَمَا هُمْ أى الفجار عَنْهَا أى عن الجحيم بِغَائِبِينَ بأن يغيبوا عن النار فى بعض الأوقات، بل إنهم مؤبدون فيها بلا انقطاع.

[١٨] و إذا تقدم ذكر يوم القيامة جاء السياق لتحويل شأنه و ما أَدْرَاكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا يَوْمَ الدِّينِ أى شىء هو؟ فإن أهوالها لا تدرك، حتى يراها الإنسان رأى العين.

[١٩] ثُمَّ لترتيب الكلام و تكثير التهويل ما أَدْرَاكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٣٣

[سورة الانفطار (٨٢): آية ١٩]

يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩)

ما يَوْمَ الدِّينِ أى ما هو الجزاء.

[٢٠] إنه يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا، فلا يقدر أحد الدفاع عن غيره، أو إنقاذه بسائر الوسائل و الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ أى فى ذلك اليوم لِلَّهِ وحده، و لا ينفع للنجاة إلا العمل الصادر لله تعالى.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٣٤

٨٣ سورة المطففين مكيه - مدنيه / آياتها (٣٧)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على لفظه «المطففين»، و لعل السورة مركبة من المدنيه و المكيه لاشتمالها على ما يشبه النظام إلى جنب قضايا العقيدة، و حيث ختمت سورة الانفطار بذكر القيامة و أحوال الناس فيها، ذكر فى هذه السورة ذلك أيضا.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الإله الذى له الملك و هو الأول لكل شىء، فما أجدر أن يتبدأ باسم الكريم، الرحمن الرحيم الذى يتفضل بالرحم على العباد و يكمل نقص كل إنسان.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٣٥

[سورة المطففين (٨٣): الآيات ١ الى ٥]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا- يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤)

لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥)

[٢] وَيْلٌ وَ هى كلمة تقال بمعنى سوء الحال، أى أن سوء الحال لِلْمُطَفِّفِينَ و «التطفيف» هو نقص الكيل و الميزان.

[٣] ثم فسره سبحانه بقوله: الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ أى كالوا ما على الناس ليأخذوه لأنفسهم، كما لو دفعوا مالا لا شراء من من الحنطة، فإذا كالوها يَسْتَوْفُونَ أى يأخذون بمقدار حقهم وافيًا، و لما كان الكيل و الوزن من جنس واحد اكتفى بأحدهما عن ذكر الآخر.

[٤] وَإِذَا كَالُوهُمْ أى كالوا لهم أَوْ وَزَنُوهُمْ أى وزنوا لهم، بأن أرادوا بيع من من الحنطة مثلا للناس و قبض الثمن لأنفسهم يُخْسِرُونَ أى ينقصون فيما يعطون، فمثلا- ينقصون من المَنِّ حقاً. و لا- يخفى أن العمل الأول ليس محرماً، و إنما يكون بشعاً إذا قيس بالعمل الثانى، كما أن إطراء الناس فى وجههم ليس محرماً، و لكن إذا ضم إلى ذمهم فى قفاهم صار بشعاً، و سُمى الفاعل لذلك ذا لسانين، و كان له يوم القيامة لسانان من نار- كما ورد-

[٥] ثم يأتى السياق ليهددهم بقوله: أَلَا- يَظُنُّ و الإتيان بلفظ الظن لإفادة أن مجرد الظن كافى فى الانقطاع، فكيف بالعلم أُولَئِكَ المطففون أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ أى يبعثون.

[٦] لِيَوْمٍ عَظِيمٍ فى يوم القيامة الذى يحاسب فيه كل إنسان بما عمل.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٣٦

[سورة المطففين (٨٣): الآيات ٦ الى ١١]

يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) كَلَّا- إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِّينٍ (٧) وَ مَا أَدْرَاكَ مَا سَجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٠)

الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١)

[٧] وَ هُوَ يَوْمٌ يَقُومُ النَّاسُ من قبورهم لِرَبِّ الْعَالَمِينَ أى لحسابه و جزائه.

[٨] كَلَّا ليس الأمر على ما زعمتم من أنه لا حساب و لا جزاء، بل هناك يجازى كل إنسان بما عمل، ف إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ جمع فاجر، و هو العاصى لله سبحانه، سواء كان بالكفر أو الإثم، و المراد بكتابهم ما أدرج فيه أسماءهم و خصوصياتهم لَفِي سَجِّينٍ و هو السجل على جهة التخليد فيه، يعنى أنه قرر لهم السجن الأبدى، و هكذا سجل أسماءهم بأنهم فى سجين، كما تقول:

«كتاب فلان فى المجرمين» أى أنه كتب مجرماً فى ضمن سائر المجرمين.

[٩] ثم جاء السياق لتحويل أمر سجين بقوله: وَ مَا أَدْرَاكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، أَوْ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا سَجِّينٌ فما أعلمك به، بل أنتم لا تدرن به.

[١٠] إنما هو كِتَابٌ مَرْقُومٌ قد رقم و كتب و فرغ منه، فلا يمكن تبديله و تغييره، بأن يمحو اسم الفاجر منه، ليدرج فى كتاب الأبرار.

[١١] وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ أى فى يوم القيامة لِلْمُكَذِّبِينَ

[١٢] ثم حدد معنى المكذبين، و المراد بهم بقوله: الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ أى بيوم القيامة، فإن الدين بمعنى الجزاء، و التكذيب

بيوم القيامة يلزم التكذيب بسائر الأصول.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٣٧

[سورة المطففين (٨٣): الآيات ١٢ الى ١٥]

وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ (١٣) كَلَّا- بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥)

[١٣] وَمَا يَكْذِبُ بِهِ أَي يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ يَعْتَدِي وَيُظْلَمُ وَيَتَجَاوَزُ عَنِ الْحُدِّ أَثِيمٌ يَأْتُمُ وَيَعْصِي فِي كَثْرَةٍ وَيَبَالِغُ فِي الْاِعْتِدَاءِ.

[١٤] إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِ أَي تَقْرَأُ عَلَى ذَلِكَ الْمُعْتَدِي آيَاتُنَا الدَّالَّةُ عَلَى الْاَلُوْهِيَّةِ وَالتَّوْحِيدِ وَسَائِرِ الْأَصُولِ، أَوِ الْمَرَادُ بِهَا الْقُرْآنَ قَالَ هَذِهِ الَّتِي تَتَلَوْنَهَا هِيَ اأَسَاطِيرُ الْأُولِينَ حِكَايَاتِهِمْ وَكَلِمَاتِهِمُ الْخُرَافِيَّةُ، جَمْعُ «أَسْطُورَةٍ» وَهِيَ الْقِصَّةُ الْخَيَالِيَّةُ الَّتِي لَا حَقِيقَةَ لَهَا، وَفِي هَذَا الْيَوْمِ يَسْمُونُ الدِّينَ «رَجْعِيَّةً» عِبَارَةٌ أُخْرَى عَنِ «أَسَاطِيرِ الْأُولِينَ».

[١٥] كَلَّا لَيْسَتْ الْآيَاتُ اأَسَاطِيرُ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ «الرِّينُ» فِي الْأَصْلِ بِمَعْنَى الْغَلْبَةِ، أَي غَلَبَ عَلَيْهَا مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ مِنَ الذَّنُوبِ وَالْآثَامِ، حَتَّى أَنْ عَصِيَانَهُمْ سَبَّبَ تَحْجَرِ قَلْبِهِمْ، فَلَا يَرُونَ الْحَقَّ إِلَّا بِاطْلَا، وَالْآيَاتُ إِلَّا اأَسَاطِيرُ.

قال الصادق عليه السلام يصدأ القلب، فإذا ذكرته بالله انجلي

«١».

[١٦] كَلَّا لَا يَبْقَى هُوَلاءُ فِي خَيْرٍ وَنَعِيمٍ إِلَى الْأَبَدِ، كَمَا يَظُنُّ الْكُفَّارُ بِأَنَّهُمْ هُنَاكَ أَيْضًا يَحْظُونَ بِكَرَامَةِ اللَّهِ وَإِحْسَانِهِ قَائِلِينَ وَلَيْتَنُ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا «٢» إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ أَي عَنِ لَطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ يَوْمَئِذٍ أَي فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَمَحْجُوبُونَ مَمْنُوعُونَ، وَهَذَا كَمَا

(١) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٢٩٣.

(٢) الكهف: ٣٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٣٨

[سورة المطففين (٨٣): الآيات ١٦ الى ٢١]

ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧) كَلَّا- إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَ مَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٢٠)

يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١)

تقول «حجبنى فلان عن الملك» أى منع لطفه عنى.

[١٧] ثُمَّ إِنَّهُمْ بَعْدَ أَنْ حَجَبُوا عَنِ فَضْلِ اللَّهِ وَ لَطْفِهِ لَصَالُوا الْجَحِيمِ أَي دَاخِلُونَ فِيهَا مَلَاذِمُونَ لَهَا.

[١٨] ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ بَعْدَ أَنْ دَخَلُوا الْجَحِيمِ عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ هَذَا الَّذِي ذَقْتُمُوهُ مِنَ الْعَذَابِ وَالنِّكَالِ كُنْتُمْ بِهِ فِي الدُّنْيَا تُكَذِّبُونَ وَ تَقُولُونَ: لَا جَنَّةَ، وَ لَا نَارَ، وَ لَا حِسَابَ، وَ لَا جَزَاءَ.

[١٩] كَلَّا لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمْتُمْ مِنْ أَنْكُمْ أَهْلُ كَرَامَةِ اللَّهِ، إِنْ الْكَرَامَةُ لَيْسَتْ لَكُمْ، وَ إِنَّمَا هِيَ لِلْأَبْرَارِ إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ أَي الْكِتَابَ الَّذِي أَدْرَجَ فِيهِ أَسْمَاؤُهُمْ وَ عَيْنَ فِيهِ مَقَامَاتِهِمْ، وَ «أَبْرَارٌ» جَمْعُ بَرٍّ وَهُوَ الْمُحْسِنُ عَقِيدَةً وَ عَمَلًا لَفِي عِلِّيِّينَ أَي مَرَاتِبَ عَالِيَةٍ، فَإِنَّهُمْ مَكْتُوبُونَ فِي سَجَلِهِمْ أَنْ مَقَامَهُمْ هُنَاكَ.

[٢٠] ثُمَّ جَاءَ السِّيَاقُ لِتَعْظِيمِ مَقَامِهِمْ بِقَوْلِهِ: وَ مَا أَدْرَاكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، أَوْ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هِيَ عِلِّيُّونَ

[٢١] إِنَّهُ كِتَابٌ مَرْقُومٌ قَدْ رَقِمَ وَ سَجَّلَ فَلَا يَمْحَى عَنْهُ أَسْمَاءُ الْأَبْرَارِ.

[٢٢] يَشْهَدُهُ أَي يَعْرِفُهُ وَ يَعْلَمُ مَزَايَاهُ الْمُقَرَّبُونَ أَي الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ، وَ فِي ذَلِكَ كَرَامَةٌ أُخْرَى لِلْأَبْرَارِ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَجِبُ أَنْ يَطَّلِعَ

الناس و غيرهم على أعماله الحسنه.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٣٩

[سورة المطففين (٨٣): الآيات ٢٢ الى ٢٦]

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يُنْظَرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُشِيقُونَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦)

[٢٣] ثم جاء القياس يعين مكان الأبرار الذي كتب في كتابهم أنهم في عليين إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ في الملاذ و المشتبهات.

[٢٤] و هم جالسون عَلَى الْأَرَائِكِ جمع أريكة، و هي كرسى العروس الذي تجلس عليه يُنْظَرُونَ إلى هنا و هناك ليلتذوا بالنظر كما التذوا بسائر أنواع الحواس.

[٢٥] تَعْرِفُ أيها الإنسان، إذا نظرت إلى أولئك الأبرار في وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ أي بريقه و حسنه و جماله، فإن الإنسان الذي في نعمه و راحة يظهر على وجهه بريق و لمعان و نضارة.

[٢٦] يُشِيقُونَ و الساقى هم الملائكة بأمره سبحانه مِنْ رَحِيقٍ هو الشراب الخالص من كل كدوره و فساد مَخْتُومٍ قد ختم على آنيته بعد أن سد رأسه، لئلا يصيبه الأذى من الخارج، كالمربيات و الأشربة التي تقفل و تختم في العلب في الدنيا.

[٢٧] خِتَامُهُ مِسْكٌ فإن المداد الذي يختم به على أواني الرحيق من المسك المذاب، و في ذلك تشويق و أناقة و دلالة على النعيم و كثرة الرفاه و فِي ذَلِكَ النعيم فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ أي فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله سبحانه، و أصل التنافس التزاحم على الشيء، إن نعيم الجنة هو القابل لأن يتزاحم فيه الناس، و ذلك بأن يبادر إلى كل الأعمال الصالحة لينالها، لا أن يتنازعا في ملذات الدنيا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٤٠

[سورة المطففين (٨٣): الآيات ٢٧ الى ٣٠]

وَ مَزَاجِيَهُ مِنْ تَشْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٨) إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَ إِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَرُونَ (٣٠)

فإنها زائلة فانية.

[٢٨] وَ مَزَاجِيَهُ أي الشيء الذي مزج بذلك الرحيق مِنْ عَيْنٍ تسمى بال تَشْنِيمٍ و هي عين جيدة، سميت بالتشليم لارتفاعها، من سنم بمعنى ارتفع.

[٢٩] في حال كون ذلك التشليم عَيْنًا أو منصوب على المدح يَشْرَبُ بِهَا أي منها الْمُقَرَّبُونَ الذين قربوا إلى رضوان الله تعالى بأعمالهم الصالحة.

[٣٠] ثم يأتي ليبين أن ما يراه المجرم و المحسن هناك إنما هو جزاء أعمالهم إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا أي فعلوا الجرائم و الآثام في دار الدنيا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ على وجه السخرية بهم و الاستهزاء لهم، و «من» ابتدائية، كأن ضحكهم كان يبتدئ و ينشأ من طرف المؤمنين، و هذا حكاية عن أحوالهم و هم في الدنيا و كأن الحكاية في الآخرة حين يعاتب المجرمين و يثاب المحسنون.

[٣١] وَ إِذَا مَرُّوا أي المؤمنون بِهِمْ أي بالمجرمين يَتَغَامَرُونَ بأن يشير بعضهم إلى بعض بالعين و الحاجب استهزاء بالمؤمنين، و من المعلوم أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان ممن يتغامز به المنافقون و لذا ورد في بعض الروايات تفسير الآية بذلك «١»، و هو من باب المصدق.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٤١

[سورة المطففين (٨٣): الآيات ٣١ إلى ٣٦]

وَ إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَ إِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَ مَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٣٥) هَلْ تُؤْتِبُ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)

[٣٢] وَ إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ رَجْعِ أَوْلِيكُمُ الْمَجْرُمِينَ إِلَىٰ أَهْلِهِمْ أَي إِلَىٰ بِيوتِهِمْ انْقَلَبُوا وَ رَجَعُوا فِي حَالِ كَوْنِهِمْ فَكِهِينَ فَكِهِ هُوَ الْمَرِحُ الْأَشْرُ، أَي مُتَلَذِّينَ بِالسَّخْرِيَّةِ مِنْهُمْ، كَمَا هُوَ شَأْنُ الْجَهْلَاءِ دَائِمًا.

[٣٣] وَ إِذَا رَأَوْهُمْ أَي رَأَى الْمَجْرُمُونَ، الْمُؤْمِنِينَ قَالُوا أَي قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ لَضَالُّونَ عَنِ طَرِيقِ الصَّوَابِ حَيْثُ تَرَكَوْا نَعِيمَ الدُّنْيَا، بَزَعَمُ النَّعِيمِ الْآخِرَةَ «و هل عاقل باع الوجود بدين؟»

[٣٤] وَ الْحَالُ أَنَّ الْكُفَّارَ مَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ أَي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَافِظِينَ أَعْمَالِهِمْ وَ يَشْهَدُونَ بِرَشْدِهِمْ وَ ضَلَالِهِمْ.

[٣٥] فَالْيَوْمَ أَي يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ جَزَاءً وَفَاقًا كَمَا ضَحِكَ الْكُفَّارُ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ بَعْضَ الْأَحْوَالِ السَّيِّئَةِ لِشَخْصٍ يَوْجِبُ ضَحْكَ الطَّرْفِ الْمَقَابِلِ.

[٣٦] عَلَى الْأَرَائِكِ جَمْعُ أَرِيكَةٍ وَ هُوَ الْكَرْسِيُّ الْمَعْدُ لِجُلُوسِ الْعُرُوسِ يَنْظُرُونَ أَي يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى الْكُفَّارِ، وَ هُمْ فِي النَّارِ يَتَقَلَّبُونَ.

[٣٧] ثُمَّ يَأْتِي بِالْمُسْتَهْزِئِينَ جَزَاءً اسْتَهْزَأْتَهُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا هَيْلُ تُوْبِ الْكُفَّارِ أَي أَثْبِوْا وَ جُوزُوا مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ فِي الدُّنْيَا؟ نَعَمْ أَثْبِوْا وَ هَا هُمْ فِي النَّارِ يَتَقَلَّبُونَ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٤٢

٨٤ سورة الانشقاق مكية / آياتها (٢٦)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتغالها على الفعل من هذا المصدر، و هو «انشقت»، و هي كسائر السور المكية تعالج قضايا العقيدة، و حيث ختمت سورة المطففين بذكر القيامة، ابتدأت هذه السورة بذكر أهوالها.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نَسْتَعِينُ بِاسْمِ اللَّهِ، لِيَكُونَ سَبْحَانَهُ عَوْنًا لَنَا فِي أُمُورِنَا، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الَّذِي يَتَفَضَّلُ بِالرَّحْمِ عَلَى الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا كَمَا قَالَ وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ «١»، وَ هُوَ أَنْ يَفْعَلَ بِالشَّيْءِ مَا يَخْرُجُهُ مِنَ النِّقْصِ إِلَى الْكَمَالِ.

(١) الأعراف: ١٥٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٤٣

[سورة الانشقاق (٨٤): الآيات ١ إلى ٦]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١) وَ أَدْنَتْ لِرَبِّهَا وَ حُحَّتْ (٢) وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَ أَلْقَتْ مَا فِيهَا وَ تَخَلَّتْ (٤) وَ أَدْنَتْ لِرَبِّهَا وَ حُحَّتْ (٥) يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦)

[٢] إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ أَي تَصَدَّعَتْ وَ انْفَرَجَتْ، كَمَا يَنْشَقُّ الْحَائِطُ فَيُظْهِرُ لِلْعَيْنِ فِي السَّمَاءِ لَوْنَ الْانْفِطَارِ وَ الْانْشِقَاقِ، وَ تَتَنَاطَرُ النُّجُومُ لِاخْتِلَالِ النَّظَامِ.

[٣] وَ أَدْنَتْ السَّمَاءَ لِرَبِّهَا أَي خَالَقَهَا، وَ الْمُرَادُ انْقَادَتْ لِلَّهِ سَبْحَانَهُ، وَ أَصْلُ الْإِدْنِ الْاسْتِمَاعُ، يُقَالُ «أَذَنَ فُلَانٌ لِأَمْرِي» أَي اسْتَمَعَ، وَ اسْتَعْمَلَ مَجَازًا بِمَعْنَى الْانْقِيَادِ بِعِلَاقَةِ السَّبَبِ وَ الْمَسَبِّبِ وَ حُحَّتْ أَي وَ حَقَّتْ أَي وَ حَقَّ لَهَا أَنْ تَأْذَنَ وَ تَنْقَادَ، وَ إِنَّمَا جِيءَ بِالْمَجْهُولِ لِأَنَّ الْمَعْنَى أَنَّهَا

جعلت حقيقةً بالانقياد، بأن خلقت بكيفية تنقاد و تطيع الأمر.

[٤] وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ أَى بسطت باندكاك جبالها حتى تصير كالصحيفة الملساء فتوسع لأنه لا عوج فيها و لا أمت.

[٥] وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا أَى أخرجت ما فى جوفها من الكنوز و المعادن و الأموات و تَخَلَّتْ أَى خلت فلم يبق فى بطنها شىء.

[٦] وَأَذْنَتْ أَى انقادت الأرض لِرَبِّهَا اللهُ سبحانه و حَقَّتْ لها أن تأذن بالإطاعة و الانقياد، و الجواب ل «إذا» محذوف، أَى انقسم الناس إلى قسمين ناج و هالك، يدل على ذلك قوله «فأما من» الآتية.

[٧] ثم توجه الخطاب إلى الإنسان ليستعد لهذا اليوم المهول يا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا «الكدح» هو السعى الشديد فى الأمر، أَى سعى إلى ربّه- أَى إلى جزائه و حسابه- سعياً شديداً، فإن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٤٤

[سورة الانشقاق (٨٤): الآيات ٧ الى ١٢]

فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَ يَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَ أَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا (١١)

وَ يَصْلى سَعِيرًا (١٢)

الإنسان لا- يزال يسعى فى الأرض بجهد و شدة- إذ الدنيا دار تعب و عناء- حتى ينتهى إلى حساب الله سبحانه فَمَلَأَ فِيهِ أَى تلاقى كدحك- بمعنى جزاء عملك- عند ما صرت إلى حساب ربك.

[٨] فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ أَى أعطى كِتَابَهُ الذى كتبه الملكان، المدروج فيه أعماله بِيَمِينِهِ أَى بيده اليمنى، و ذلك دليل السعادة و الفلاح.

[٩] فَسَوْفَ بعده بمدّة يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا سهلاً بلا أتعاب و نقاش، و لعل المدّة بين إعطاء الكتاب و بين الحساب طويل و لذا جىء ب «سوف».

[١٠] وَ يَنْقَلِبُ أَى يرجع من محل المحاسبة إلى أَهْلِهِ الذين حوسبوا قبله و انتظروا مقدمه، أو المراد حور العين التى أعدت له مَسْرُورًا فرحاً.

[١١] وَ أَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ بأن يأخذ الملائكة بيده اليسرى إلى وراء ظهره ثم يعطى كتابه هناك، تكثرى للخزى و الفضاحة و إيدانا بأنه من أهل النار و العذاب.

[١٢] فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا أَى هلاكاً، إذا قرأ كتابه فيقول «وا ثبورا» أَى يا هلاك احضر فهذا وقتك.

[١٣] وَ يَصْلى سَعِيرًا أَى يدخل النار المستعرة الملتهبة، ملازماً لها.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٤٥

[سورة الانشقاق (٨٤): الآيات ١٣ الى ١٩]

إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (١٤) بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٥) فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَ اللَّيْلِ وَ مَا وَسَقَ (١٧) وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ (١٩)

[١٤] إِنَّهُ أَى هذا المجرم كَانَ فِي أَهْلِهِ فى الدنيا مَسْرُورًا بما أوتى من أمور الدنيا فلا يهتم بأمر الآخرة، بخلاف من يهتم بأمر الآخرة فإنه حزين لأنه لا يدرى ماذا يصنع به، و ما تكون عاقبته.

[١٥] إِنَّهُ ظَنَّ فى الدنيا أَنْ لَنْ يَحُورَ أَى لن يرجع إلى حال الحياة بعد الموت، من حار: بمعنى رجع.

[١٦] بَلَى يرجع، و ظنه فاسد إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا يرى أعماله فيجازيه عليها و لا يتركه سدى هملاً.

[١٧] فَلَا أُقْسِمُ أَى أقسم، أو أن «لا» للنفى كما اخترنا سابقاً بِالشَّفَقِ و هى الحمرة التى تبقى فى الأفق عند الغروب.

[١٨] وَ لَا أُقْسِمُ ب اللَّيْلِ وَ مَا وَسَقَ أَى ما جمع و ضم مما كان منتشرًا بالنهار من أقسام الحيوان، و أفراد الإنسان، يقال وسقه:

إذا جمعه.

[١٩] وَلَا أَقْسَمُ بِالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ أَي إِذَا تَكَامَلَ بَدْرًا فَإِنَّهُ يَجْتَمِعُ حِينَئِذٍ، اِفْتِعَالٌ مِنْ «وَسَقَ».

[٢٠] لَتَرْكَبَنَ أَي لَتَشَاهِدُنَّ، وَتَعَانُونَ طَبَقًا أَي حَالًا عَن طَبَقٍ أَي بَعْدَ حَالٍ سَابِقَةٍ، مِمَّا قَدَرَ لَكُمْ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَالِإِتْيَانِ ب «عَنْ» لِأَنَّهَا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٤٦

[سورة الانشقاق (٨٤): الآيات ٢٠ الى ٢٣]

فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (٢١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣)

للتجاوز، أى تركب حلالاً مجاوزين عن حال سابقة، وإنما سُمي الحال طبقاً لأنه يطابق الإنسان، والمعنى أنكم تسيرون فى أحوالكم المختلفة سيرا حتى تنتهون إلى يوم القيامة، كما قال فى أول السورة «إنك كادح» وهذا هو جواب «لا أقسم»، وكان هذه الجملة للتنبه على تغير أحوال الدنيا، فلا يغتر الإنسان بحالها الحسن وينسى الآخرة حتى تفوته دنياه و آخرته.

[٢١] وَإِذَا كَانَتِ الدُّنْيَا مَعْرُضَ زَوَالٍ وَفَنَاءٍ، وَأَحْوَالُهَا مَعْرُضٌ تَبَدُّلٌ وَانْقِلَابٌ فَمَا لَهُمْ أَي لِهَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ حَتَّى يَنْجُونَ

من عذاب الآخرة الباقية؟

[٢٢] وَمَا لَهُمْ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ أَي لَا يَخْضَعُونَ لِلَّهِ سَبْحَانَهُ، بَعْدَ أَنْ تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ، وَتَمَّ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ بِقِرَاءَةِ

القرآن عليهم؟

[٢٣] بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا عَوْضُ أَنْ يَخْضَعُوا يُكَذِّبُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.

[٢٤] وَاللَّهُ أَعْلَمُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ حَتَّى مِنْ أَنْفُسِهِمْ بِمَا يُوعُونَ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبِينَ، وَالْمَعْنَى بِمَا يَضْمُرُونَ فِي صُدُورِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالنَّوَايَا

السئية، من «وعى» بمعنى تقبل و جمع، يقال «فلان يعى الكلام» أى يتقبله و يحفظه.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٤٧

[سورة الانشقاق (٨٤): الآيات ٢٤ الى ٢٥]

فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥)

[٢٥] فَبَشِّرْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالِإِتْيَانِ بِلَفْظِ الْبَشَارَةِ لِلْإِسْتِهْزَاءِ بِهِمْ - بِعِلَاقَةِ الضَّدِّ - بِعَذَابٍ أَلِيمٍ مَوْلَمٌ مَوْجَعٌ لَهُمْ.

[٢٦] إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ الْمَلَازِمَ لِعَدَمِ الْإِتْيَانِ بِالسَّيِّئَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ أَي

غير مقطوع، لأن نعيم الآخرة دائم لا نفاذ له، والظاهر أن الاستثناء منقطع، وقد سبق أن ذكرنا وجه الاستثناء المنقطع فى مثل هذه المقامات.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٤٨

٨٥ سورة البروج مكيه / آياتها (٢٣)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على لفظه «البروج»، وهى كسائر السور المكية تعالج قضايا العقيدة، و حيث ختمت سورة الانشقاق بذكر المؤمنين، ابتدأت هذه السورة بذكرهم.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الإله الذى هو المبدأ لكل شىء، ولا أحق بالابتداء منه، ليطابق الابتداء فى الكلام للابتداء فى

الخارج، الرحمن الرحيم الذى يرحم العباد بإعطائهم ما يحتاجون، و يتفضل عليهم بغفران ذنوبهم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٤٩

[سورة البروج (٨٥): الآيات ١ الى ٤]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَ الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَ شَاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ (٤)

[٢] وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ أى قسما بالسماء التى هى صاحبة البروج، جمع برج و هو القطعة من السماء، سميت برجا لظهوره، من برج: إذا ظهر، و البروج هى الحمل و الثور و الجوزاء و السرطان و الأسد و السنبله و الميزان و العقرب و القوس و الجدى و الدلو و الحوت، و القمر فى سيره النفسى يقطع كل برج فى ظرف يومين و نصف، و الشمس تقطعه فى ظرف شهر.

[٣] وَ قَسَمَ بِ الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، الذى وعد به الخلق.

[٤] وَ قَسَمَ بِ شَاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ فى ذلك اليوم، أو كل شاهد و مشهود.

و هذا الأقرب بالعموم، و إن أورد فى التفسير معانى مختلفة لهما.

[٥] قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ هُوَ الشَّقُّ الْعَظِيمُ فى الأرض، أى قتل الله أصحاب الأخدود الكفار الذين حفروا الأخاديد فى الأرض لتعذيب المؤمنين، و هذا دعاء على أولئك الكفار، و كان من قصتهم على ما نقله القمى: إن الذى هيج الحبشة على غزو اليمن ذو نواس، و هو آخر من ملك من حمير تهود و اجتمعت معه حمير على اليهودية، و سمى نفسه يوسف، و أقام على ذلك حينما من الدهر، ثم أخبر أن بنجران بقايا قوم على دين النصرانية و كانوا على دين عيسى و على حكم الإنجيل، و رأس ذلك الدين عبد الله بن برياس، فحملة أهل دينه على أن يسير إليهم و يحملهم على اليهودية و يدخلهم فيها فسار حتى قدم نجران، فجمع من كان بها على دين النصرانية، ثم عرض عليهم دين اليهودية و الدخول فيه فأبوا عليه، فجادلهم و عرض عليهم و حرص الحرص كله

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٥٠

[سورة البروج (٨٥): الآيات ٥ الى ٨]

النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَ هُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَ مَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨)

فأبوا عليه و امتنعوا من اليهودية و الدخول فيها و اختاروا القتل، فاتخذ لهم أخدودا و جمع فيه من الحطب و أشعل فيه النار، فمنهم من أحرق بالنار و منهم من قتل بالسيف و مثل بهم كل مثله فبلغ عدد من قتل و أحرق بالنار عشرين ألفا و أفلت رجل منهم يدعى «دوس»

«١».

[٦] النَّارِ بدل عن أخدود أى أصحاب النار ذات الوقود الكثير، إشارة إلى عظم تلك النار، و الوقود: هو الحطب الذى توقد به النار.

[٧] إِذْ هُمْ أى أولئك الكفار عليها أى على حوالى النار قُعُودٌ جمع قاعد، أى كان الكفار قاعدين أطراف النار يشاهدون ما يفعل بالمؤمنين من رميهم فيها.

[٨] وَ هَيْمَ الْمَلِكِ الْكَافِرِ وَ أَصْحَابِهِ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ جلاوزتهم بِالْمُؤْمِنِينَ من إلقاءهم فى النار شُهُودٌ جمع شاهد، أى حاضرون مشاهدون، و هذا ذم لهم كيف رضوا و سمحت لهم أنفسهم بأن يشاهدوا هذا النحو من التعذيب البشع.

[٩] وَ مَا نَقَمُوا مِنْهُمْ أى ما كره الملك و أصحابه من المؤمنين إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ و يتركوا دين الملك الباطل الْعَزِيزِ الْغَالِبِ فى سلطانه الْحَمِيدِ المجرد فى أفعاله، إشارة إلى أن الغلب كان للمؤمنين،

(١) تفسير القمى: ج ٢ ص ٤١٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٥١

[سورة البروج (٨٥): الآيات ٩ الى ١١]

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَ لَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١)

و إن صال الملك و جال أياما، كما أن ما فعل بالمؤمنين كان لحكمته و صلاح لهم لعلو درجاتهم.

[١٠] الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَهُوَ الْمَالِكُ الْمَطْلُوقُ لَهُمَا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَيْ حَاضِرٌ عَالِمٌ، فَلَمْ يَغِبْ عَنْهُ مَا فَعَلُوا بِالْمُؤْمِنِينَ فَسَيَنْتَقِمُ مِنْهُمْ.

[١١] إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ أَى عَذَّبُوهُم و أَحرقوهم بنار الأخدود، من أصحاب ذلك الملك الطاغى ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا بَعْدَ ذَلِكَ بِالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمُ فِي الْآخِرَةِ بِكُفْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ بِمَا أَحْرَقُوا الْمُؤْمِنِينَ، وَكَأَنَّ الْمُرَادَ بِعَذَابِ جَهَنَّمَ سَائِرَ أَنْوَاعِ عَذَابِهَا مِنْ لَدِغِ السَّامَاتِ وَ أَكْلِ الزَّقُومِ، وَ شَرَبِ الْغَسَلِينَ وَ مَا أَشْبَهَهُ، وَ «حَرِيقٌ» اسْمُ النَّارِ، وَ لَذَا أُضِيفَ إِلَيْهِ «عَذَابٌ».

[١٢] وَ فِي مَقَابِلِ أَوْلِيكَ الْمُؤْمِنُونَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ عَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ أَى بَسَاتِينٌ، وَ سَمِيَتْ جَنَّةٌ لِتَسْتَرِ أَرْضَهَا بِالْأَشْجَارِ وَ الْقُصُورِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَى مِنْ تَحْتِ قُصُورِهَا وَ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ مِنْ عَسَلٍ وَ لَبَنٍ وَ خَمْرٍ وَ مَاءٍ وَ غَيْرِهَا ذَلِكَ التَّنْعَمُ بِتِلْكَ الْجَنَّاتِ الْفُوزِ وَ الْفَلَاحِ الْكَبِيرِ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ فَوْزٌ. وَ لَعَلَّ الْمُرَادَ بِ «إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا»، وَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٥٢

تقريب القرآن إلى الأذهان ج ٥ ٦٩٨

[سورة البروج (٨٥): الآيات ١٢ الى ١٧]

إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ (١٣) وَ هُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧)

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا»، مطلق الكفار و المؤمنين، لا خصوص الكافر و المؤمن من أصحاب الأخدود، أو أصحاب الرسول و معاصريه.

[١٣] إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَى أَخَذَهُ لِلْكَافِرِينَ وَ انتقامه منهم لَشَدِيدٌ فانه إذا بطش بأحد يغشاه العذاب، بمختلف ألوانه و صنوفه، فليحذر الكفار و العصاة بطشه.

[١٤] إِنَّهُ سَبْحَانَهُ هُوَ يُبْدِي الْخَلْقَ، بَأَن يُعْطِيهِم الْحَيَاةَ مِنَ الْعَدَمِ أَوَّلًا وَ يُعِيدُ لِلْخَلْقِ بَعْدَ الْمَمَاتِ أَحْيَاءً.

[١٥] وَ هُوَ الْغَفُورُ لِمَنْ تَابَ وَ آمَنَ، أَى كَثِيرِ الْمَغْفِرَةِ الْوَدُودُ الَّذِي يُحِبُّ النَّاسَ فَلَا يُرِيدُ تَعْذِيبَهُمْ إِلَّا إِذَا تَمَادَوْا فِي الْكُفْرِ وَ الْعِصْيَانِ.

[١٦] ذُو الْعَرْشِ وَ هُوَ كُنْيَاةٌ عَنْ أَنَّ لَهُ الْمَلِكُ، يُقَالُ لِلْمَلِكِ «صَاحِبُ الْعَرْشِ» كُنْيَاةٌ عَنْ سُلْطَانِهِ، وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُرْسِيٌّ يُجْلِسُ عَلَيْهِ الْمَجِيدُ الْمَوْصُوفُ بِالْمَجْدِ وَ الْعِظَمَةِ.

[١٧] فَعَالَ أَى كَثِيرِ الْفِعْلِ لِمَا يُرِيدُ فَكُلُّ شَيْءٍ أَرَادَهُ فَعَلَهُ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَ هَذِهِ الْآيَاتُ لِلْإِلْمَاعِ إِلَى وَجُوبِ رَجَاءِ الْبَشَرِ إِيَّاهُ، وَ خَوْفِهِمْ مِنْهُ، لِأَنَّ لَهُ الْمَلِكُ وَ الْعِظَمَةَ وَ أَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ فَعَلَهُ.

[١٨] ثُمَّ جَاءَ السِّيَاقُ لِبَيَانِ شَاهِدٍ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّهُ سَبْحَانَهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، لِيرجوه المؤمن و يخافه الكافر هَلْ أَتَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ أَيُّهَا السَّمَاعُ حَدِيثُ الْجُنُودِ أَى هَلْ بَلَغَكَ خَبَرُ الَّذِينَ تَجَنَّدُوا عَلَى خِلَافِ اللَّهِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٥٣

[سورة البروج (٨٥): الآيات ١٨ الى ٢٢]

فِرْعَوْنُ وَ ثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَ اللَّهُ مِنْ ورائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢) و محاربة أنبيائه، لتعرف كيف صنع الله بهم؟

[١٩] فِرْعَوْنُ وَ جُنْدُهُ، الَّذِينَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ ثَمُودَ الَّذِينَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُمْ لَمَّا كَذَّبُوا الْأَنْبِيَاءَ عَذَّبَهُمُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ، وَ هَكَذَا عَادَةُ اللَّهِ سَبْحَانَهُ مَعَ الْمَكْذِبِينَ.

[٢٠] إِنْ كَفَرَ مَكَّةٌ لَا يَرْعَوْنَ عَنْ كُفْرِهِمْ وَ عِصْيَانِهِمْ بِهَذِهِ الْأَمْثَالِ وَ الْقِصَصِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ فِي تَكْذِيبِ الْإِسْلَامِ وَ الْقُرْآنِ، أَى مَشْغُولُونَ عَنْهُ، وَ مَعْزُومُونَ عَنِ الْحَقِّ.

[٢١] وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ أَى من جوانبهم مُحِيطٌ كأنهم فى دائرة علم الله سبحانه الشامل، و قدرته الواسعة فيعلم ماذا يصنعون، و هم فى قبضة قدرته، يقول الملك «أنا محيط بفلان» يريد إحاطة علمه و قدرته لا إحاطة الجسم.

[٢٢] و ليس كما ذكر الكفار إن القرآن شعر أو كهانة أو ما أشبه بلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ، ذو مجد و عظمة لأنه من قبله سبحانه.

[٢٣] فى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ من التغيير و التبديل، فهو محفوظ باق و إن اجتهد الكفار لمحوه و إبطاله.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٥٤

٨٦ سورة الطارق مكيّة / آياتها (١٨)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على لفظه «الطارق»، و هى كسائر السور المكيّة مشتملة على قضايا العقيدة، و حيث ختمت سورة البروج بتهديد المكذبين، افتتحت هذه السورة بمثل ذلك.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الإله المستجمع لجميع صفات الكمال، فهو شعار للمسلم الذى يصفه أول كل حركة و سكون له ليصبغ بهذه الصبغة، الرحمن الرحيم، إعلاما لكونه إلها رحيمًا، لا قاسيا غليظًا، كما كانت بعض آلهة الكفار توصف بالقسوة و الخشونة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٥٥

[سورة الطارق (٨٦): الآيات ١ الى ٦]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤)

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ (٦)

[٢] وَالسَّمَاءِ أَى قسما بالسماء وَالطَّارِقِ أَى قسما بالطارق و هو الذى يأتى ليلا، سمي طارقا لأنه يطرق الباب، أما فى النهار فقد كانت العادة الجارية لديهم أن تفتح الأبواب، فإذا جاء أحد استأذن و دخل، و المراد به هنا النجم الذى يطلع ليلا.

[٣] وَ مَا أَدْرَاكَ أَيْهَا الْإِنْسَانَ، أو أَيْهَا الرَسُولَ ما هُوَ الطَّارِقُ

و ذلك لتعظيم شأنه.

[٤] هُوَ النَّجْمُ الثَّاقِبُ الذى يثقب السماوات بنوره، و من يعرف عظم النجوم و كثرة بعدها حتى أنها تحتاج إلى سنوات ضوئية حتى توصل نورها إلى الأرض يعرف عظم هذا القسم. و الظاهر أن المراد بالنجم الجنس لا خصوص نجم واحد، و ما ذكر له فى التفسير من المصداق فهو من باب المثال.

[٥] إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ أَى ما كل إنسان لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ أَى إِلَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ من قبل الله سبحانه، و هم الملائكة الذين يحفظون البشر من المهلك كما يحفظون أعمالهم، و هذا هو متعلق القسم.

[٦] و إذا كان الإنسان فى شك من الإله فليفكر فى أصله و نشأته فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ أَى ليفكر و يتدبر مِمَّ خُلِقَ أَى مما ذا خلق؟ و ما هو أصله؟

[٧] خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ أَى ماء يدفق، و الدفق هو الصب الذى فيه دفع و قوة، فإن المنى يخرج هكذا.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٥٦

[سورة الطارق (٨٦): الآيات ٧ الى ١٢]

يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَ لَا نَاصِرٍ (١٠) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ

(١١)

وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢)

[٨] يَخْرُجُ ذَلِكَ الْمَاءُ الَّذِي هُوَ مَبْدَأُ الْإِنْسَانِ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ لِلرَّجْلِ، وَ هُوَ الْعَظْمُ الَّذِي فِي ظَهْرِهِ مَرْكَزُ الْمَنِيِّ وَ التَّرَائِبِ نَوَاحِي الصَّدْرِ، وَاحِدَتَهَا تَرْيِبَةٌ، فَإِنَّ مَنِي الْمَرْأَةِ مَرْكَزُهُ هُنَاكَ.

[٩] إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ بِهَذِهِ الْكَيْفِيَّةِ إِنَّهُ عَلَيَّ رَجْعِهِ أَيْ إِرْجَاعِهِ إِلَى الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ لِقَادِرٍ كَمَا قَدَرَ عَلَى ابْتِدَاءِ خَلْقِهِ حِينَ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا.

[١٠] قَادِرٌ عَلَى رَجْعِهِ فِي يَوْمٍ تُبْلَى السَّرَائِرُ أَيْ تَخْتَبِرُ الضَّمَائِرَ، فَإِنَّ «سَرَائِرَ» جَمْعُ سَرِيرِهِ، وَ هِيَ الْمَحَلُّ الْكَامِنُ فِي الْإِنْسَانِ، فَإِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَظْهَرُ بِوَاطِنِ النَّاسِ وَ مَا انْطَوَوْا عَلَيْهِ مِنْ خَيْرٍ وَ شَرٍّ.

[١١] فَمَا لَهُ أَيْ لِلْإِنْسَانِ مِنْ قُوَّةٍ يَدْفَعُ بِهَا الْعَذَابَ وَ لَا نَاصِرٍ يَنْصُرُهُ مِنْ تِلْكَ الْأَهْوَالِ، فَلْيَخْشِ وَ لِيَحْذَرِ أَنْ يَخَالَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ حَتَّى لَا يَبْتَلَى بِالْعَذَابِ.

[١٢] وَ السَّمَاءِ أَيْ قِسْمًا بِالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ الَّتِي تَرْجِعُ فِي كُلِّ دَوْرَةٍ إِلَى مَكَانِهَا الْأَوَّلِ، أَوْ ذَاتِ الْمَطَرِ، وَ سُمِّيَ الْمَطَرُ رَجْعًا لِأَنَّهُ يَرْجِعُ كُلُّ نَفْسِهِ، أَوْ لِأَنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى الْأَرْضِ بَعْدَ التَّصَاعُدِ مِنْهَا بِالْأَبْخَرَةِ.

[١٣] وَ الْأَرْضِ أَيْ قِسْمًا بِالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ الَّتِي تَتَّصِدُّ وَ تَتَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهَا النَّبَاتُ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٥٧

[سورة الطارق (٨٦): الآيات ١٣ الى ١٧]

إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ (١٣) وَ مَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَ أَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا (١٧)

[١٤] إِنَّهُ أَيْ الْقُرْآنَ، أَوْ مَا ذَكَرَهُ مِنْ رَجُوعِ الْخَلْقِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَ تَشَقُّقِ الْأَرْضِ عَنْهُمْ، وَ هَذَا هُوَ الْمُنَاسِبُ لِلآيَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ لِقَوْلِ فَضْلٍ يَفْصَلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ.

[١٥] وَ مَا هُوَ بِالْهَزْلِ أَيْ اللَّعِبِ، فَإِنَّهُ كَلَامٌ وَاقِعِي لَا أَنَّهُ قِيلَ عَلَى وَجْهِ اللَّعِبِ وَ الْهَزْلِ.

[١٦] إِنَّهُمْ أَيْ الْكَافِرِينَ يَكِيدُونَ وَ يَحْتَالُونَ لِإِبْطَالِ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي هُوَ قَوْلُ فَضْلٍ كَيْدًا بِقَوْلِهِمْ إِنَّهُ شِعْرٌ وَ سِحْرٌ وَ كِهَانَةٌ وَ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

[١٧] وَ أَكِيدُ أَيْ أُرِيدُ أَمْرًا آخَرَ ضِدَّ مَا يَرِيدُونَ، وَ سُمِّيَ كَيْدًا لِلْمِشَابَهَةِ كَيْدًا كَمَا أَنَّهُمْ يَكِيدُونَ.

[١٨] فَمَهْلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ الْكَافِرِينَ أَيْ أَنْتَظِرُ بِهِمْ قَلِيلًا فَلَا تَشْغَلُ نَفْسَكَ بِهِمْ أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا أَيْ زَمَانًا قَلِيلًا حَتَّى تَرَى بِأَسِ اللَّهِ فِيهِمْ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٥٨

٨٧ سورة الأعلى مكيه / آياتها (٢٠)

سُمِّيَتِ السُّورَةُ بِهَذَا الْاسْمِ لِأَسْتِمَالِهَا عَلَى لَفْظَةِ «الْأَعْلَى»، وَ هِيَ كَسَائِرُ السُّورِ الْمَكِّيَّةِ بِصَدَدِ بَيَانِ الْعَقِيدَةِ فِي أَصُولِهَا، وَ إِذْ خَتَمَتِ سُورَةَ «الطَّارِقِ» بِكَيْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِلْكَافِرِينَ افْتَتَحَتْ هَذِهِ السُّورَةَ بِأَنَّهُ تَعَالَى «أَعْلَى» تَأْكِيدًا لِمَا ذَكَرَ.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ابْتِدَاءً بِاسْمِ الْإِلَهِ الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ، وَ هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الَّذِي يَتَفَضَّلُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بِالرَّحْمَةِ، فَضْلًا مِنْهُ وَ امْتِنَانًا، وَ ذَكَرَهُ تَعَالَى بِهَذِهِ الصِّفَةِ يَدْرُ الْرَحْمَ عَلَى الذَّاكِرِ، فَإِنَّهُ شَاكِرٌ لِمَنْ شَكَرَهُ، وَ ذَاكِرٌ لِمَنْ ذَكَرَهُ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٥٩

[سورة الأعلى (٨٧): الآيات ١ الى ٥]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَ الَّذِي قَدَّرَ فْهَدَى (٣) وَ الَّذِي أَخْرَجَ الْمُرْجَى (٤)

فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥)

[٢] سَبَّحَ أَي نَزَّهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ أَيُّهَا الْمَخَاطَبُ اسْمَ رَبِّكَ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ الشَّرِكِ وَالْوَلَدِ، فَلَا تَنْسِبُ إِلَيْهِ شَيْئًا يَنَافِي مَقَامَ الْأُلُوْهِيَّةِ وَ ذَكَرَ «اسْمَ» لِلتَّعْظِيمِ، فَمَنْ يَجِبُ أَنْ يَسْبَحَ اسْمَهُ يَجِبُ أَنْ يَسْبَحَ هُوَ بِالْأَوْلَى الْأَعْلَى أَي الْأَرْفَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا شَيْءَ أَرْفَعُ مِنْهُ فِي الْعِلْمِ أَوْ الْقُدْرَةِ أَوْ الْخَلْقِ أَوْ الرِّزْقِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ صِفَاتِ الذَّاتِ وَ صِفَاتِ الْفِعْلِ.

[٣] الَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ فَسَوَّى بَيْنَهُمْ فِي الْإِحْكَامِ وَالْإِتْقَانِ وَ الدَّقَّةِ، فَلَيْسَ بَعْضُ الْخَلْقِ مَتَقِنًا وَ بَعْضُهُ غَيْرُ مَتَقِنٍ، كَمَا سَوَّى خَلْقَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَعْطَاهُ مَا يَصِلُ بِهِ إِلَى الْكَمَالِ اللَّاتِقِ بِهِ مِنَ الْأَجْهَزَةِ وَالْآلَاتِ.

[٤] وَالَّذِي قَدَّرَ وَ التَّقْدِيرُ هُوَ التَّخْطِيطُ، كَمَا يَقْدِرُ الْمُهَنْدِسُ الْبِنَاءَ ثُمَّ يَبْنِيهِ فَهَدَى كُلَّ ذِي رُوحٍ إِلَى مَصَالِحِهِ، فَهُوَ خَلْقٌ، وَ إِعْطَاءُ أَجْهَزَةٍ، وَ تَقْدِيرٌ لِلْحَيَاةِ، وَ هِدَايَةٌ.

[٥] وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى أَي أَنْبَتَ الْحَشِيشَ الَّذِي تَرَعَاهُ الْحَيَوَانَاتُ مِنَ الْأَرْضِ.

[٦] فَجَعَلَهُ أَي الْمَرْعَى بَعْدَ الْخَضِرَةِ غُنَاءً أَي هَشِيمًا جَافًا كَالْغُنَاءِ الَّذِي تَرَاهُ فَوْقَ السَّيْلِ، بِمَعْنَى الْمَجْتَمِعِ مِنْ هُنَا وَ هُنَاكَ بِلا عِلَاقَةٍ وَ ارْتِبَاطٍ وَ مِثَابَهُهُ أَحْوَى أَي أَسْوَدَ بَعْدَ الْخَضِرَةِ، فَإِنَّ الْحَوَّةَ بِمَعْنَى السَّوَادِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٦٠

[سورة الأعلى (٨٧): الآيات ٦ الى ٨]

سُنُقِرْتُكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ مَا يَخْفَى (٧) وَ نُسِّرُكَ لِلْيُسْرَى (٨)

[٧] وَ مِنْ هِدَايَتِهِ سَبْحَانَهُ أَنَّهُ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى الرَّسُولِ،

وَ قَدْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ إِذَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ جِبْرَائِيلُ بِالْوَحْيِ يَقْرَأُهُ مَخَافَةً أَنْ يَنْسَاهُ، فَكَانَ لَا يَفْرَغُ جِبْرَائِيلُ مِنْ آخِرِ الْوَحْيِ حَتَّى يَشْرَعَ الرَّسُولُ فِي الْقِرَاءَةِ.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ

«١» سَبَّحْتُكَ الْقُرْآنَ، أَي نَتَلُو عَلَيْكَ لِتَقْرَأَهُ فَلَا تَنْسَى مِنْهُ شَيْئًا، فَقَدْ شَاءَتْ إِرَادَتُهُ سَبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ مَنْزَهَا عَنِ النِّسْيَانِ، وَ كَذَلِكَ سَائِرُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. أَمَا قَوْلُهُ «تَنْسَى» فَهُوَ مِنْ قَبِيلِ «إِنَّا نَسِيْنَاكُمْ» (٢)، وَ لَعَلَّ الْعَمَلَ كَانَ تَعْلِيمًا لِلْمُسْلِمِينَ فِيمَا بَعْدَ بَأْنِ يَحْرُصُوا عَلَى الْقُرْآنِ مِثْلَ هَذَا الْحَرْصِ.

[٨] إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَنْسَاهُ، وَ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ عَدَمَ نَسْيَانِهِ إِنَّمَا هُوَ مِنَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، حَتَّى أَنَّهُ إِذَا شَاءَ غَيْرَهُ قَدَرَ عَلَيْهِ، قَالُوا: وَ دَخُولِ الْمَشِيئَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ مَهْمًا بَلِغٌ مِنَ الْعِظَمَةِ فَإِنَّ جَمِيعَ أُمُورِهِ بِيَدِهِ تَعَالَى إِنَّهُ سَبْحَانَهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْكَلَامِ وَ مَا يَخْفَى كَالسِّرِ وَ النُّجُومِ، فَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْإِقْرَاءِ وَ عَدَمِ النِّسْيَانِ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ تَابِعٌ لِعِلْمِهِ الْوَاسِعِ الَّذِي يَشْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَ بِمَا عَلَّمَهُ مِنَ الصَّلَاحِ جَعَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ بِحَيْثُ لَا يَنْسَى، وَ إِلَّا فَلَوْ كَانَ يَنْسَى لَمْ يُؤْمَرْ عَلَى التَّبْلِيغِ، لِتَطْرُقِ احْتِمَالُ النِّسْيَانِ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَقْوَالِهِ وَ أَعْمَالِهِ.

[٩] وَ نُسِّرُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَي نُوَفِّقُكَ لِلْيُسْرَى أَي الطَّرِيقَةَ الْيُسْرَى

(١) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٣٢٩.

(٢) السجدة: ١٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٦١

[سورة الأعلى (٨٧): الآيات ٩ الى ١٤]

فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى (٩) سَيِّدُكُمْ مَنْ يَخْشَى (١٠) وَ يَتَجَبَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَ لَا

يُحْيِي (١٣)

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤)

في جميع الأمور، فإن أحكامه سبحانه توصل إلى السعادة بأيسر الطرق وأسهلها.

[١٠] فَذَكَرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ النَّاسَ بِمَا أودع فيهم من الفطرة الدالة على الألوهية والمعاد وما أشبه إن نَفَعَتِ الذُّكْرَى أى إن كان الذكر في معرض النفع ولو إتمام الحجّة، أما إذا علم الرسول أن ذكره لا ينفع إطلاقاً في الهداية لليأس، ولا في إتمام الحجّة لتمام الحجّة على المخاطبين سابقاً، فلا لزوم للتذكير. وقيل «إن» بمعنى «قد» أى قد نفعت الذكرى، بمعنى قد تنفع.

[١١] سَيَذَكَّرُ أَصْلَهُ «يتذكر» أدغمت التاء في الذال وجيء بهمزة الوصل لتعذر الابتداء بالساكن مَنْ يَخْشَى أى سيتعظ بالقرآن و بكلامك من يخشى عقاب الله سبحانه.

[١٢] وَ يَتَجَبَّبُهَا أى يتعد عن الموعظة و الذكرى الأَشَقَى أى الأكثر شقوة، فإن الكافر المجتنب للذكرى أكثر شقاء من العاصي.

[١٣] الَّذِي يَصَلَّى أى يدخل و يلزم النَّارَ الكُبْرَى و هى نار جهنم.

[١٤] ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا أى فى تلك النار ليستريح وَلَا يَحْيِي حَيَاةً هَادِئَةً مَرِيحَةً.

[١٥] قَدْ أَفْلَحَ أى فاز و نجح مَنْ تَزَكَّى أى تطهر باجتناب الرذائل، و التحلى بالفضائل.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٦٢

[سورة الأعلى (٨٧): الآيات ١٥ الى ١٩]

وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَ الْآخِرَةَ خَيْرٌ وَ أَبْقَى (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى (١٩)

[١٦] وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ أى تذكر الله سبحانه بقلبه، و الإتيان ب «اسم» للتعظيم فَصَلَّى لله، أى خضع و خشع، أو أتى بالصلاة فإنها دليل خشوع الإنسان و تذكره لله تعالى. و فى بعض الروايات أن المراد بها زكاة الفطرة و صلاة العيد، و الظاهر أنها من باب المصداق، و انطباق الكلى على مصاديقه يمكن أن يكون بعد مدة- عند وجود المصداق فلا يقال: كيف يصح و السورة مكية و لم يكن هناك زكاة فطرة و لا صلاة عيد؟

[١٧] بَلْ أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَفْعَلُونَ ذَلِكَ، و إنما تُؤَثِّرُونَ أى تختارون الْحَيَاةَ الدُّنْيَا أى الحياة القريبية، تختارونها على الآخرة فتصرفون أموالكم و أوقاتكم فى ملاذها، لا فى الزكاة و الصلاة.

[١٨] وَ الْآخِرَةُ أى الجنة خَيْرٌ من الدنيا، لأن نعيمها أكثر و لا يشوبها كدر و أَبْقَى لأنها دائمة مستمرة، بخلاف الدنيا فإنها فانية زائلة.

[١٩] إِنَّ هَذَا الَّذِي ذَكَرَ مِنْ فَلَاحِ الْمُتَزَكِّيِ الْمُصَلِّيِ، أو سائر ما ذكر فى هذه السورة لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى فكل كتب الله المنزل تحرض على الزكاة و الصلاة و سائر الخيرات، و ليس هذا بدعا من القرآن.

[٢٠] صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى و ذكر هذين النبيين من باب المثال، و إلا فكل الأنبياء كانوا يدعون إلى التزكى و التطهر و الصلاة و الزكاة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٦٣

٨٨ سورة الغاشية مكية / آياتها (٢٧)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتغالها على لفظه «الغاشية»، و هى كسائر السور المكية تعالج قضايا العقيدة، و حيث تضمنت سورة الأعلى انقسام الناس فى الآخرة إلى قسمين، جاءت هذه السورة لمثل ذلك.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الإله المالك لكل شىء فهو أفضل شىء يتبدأ به، الرحمن الرحيم الذى يتفضل بالرحمة على

كل العباد.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٦٤

[سورة الغاشية (٨٨): الآيات ١ إلى ٦]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصَلِي نَارًا حَامِيَةً (٤)

تَشْقَى مِنْ عَيْنِ آتِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيْعٍ (٦)

[٢] هَلْ أَتَاكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، أَوْ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ أَيُّ خَبَرِ الْقِيَامَةِ؟ وَتَسْمَى بِالْغَاشِيَةِ لِأَنَّهَا تَغْشَى النَّاسَ بِأَهْوَالِهَا، وَالِاسْتِفْهَامُ لِلإِيقَاتِ وَالإِيقَاطِ.

[٣] وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ أَيُّ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ خَاشِعَةٌ ذَلِيلَةٌ بِسَبَبِ مَا عَمِلَتْ مِنَ الْكُفْرِ وَالْإِثْمِ، وَإِنَّمَا نَسَبَ الْخُشُوعَ إِلَى الْوَجْهِ لِظُهُورِهِ فِيهَا.

[٤] عَامِلَةٌ قَدْ عَمِلَتْ فِي النَّارِ وَكَدَتْ نَاصِبَةٌ وَتَعَبَتْ، فَإِنَّ النَّصْبَ بِمَعْنَى التَّعَبِ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَنْتَفِعْ بِأَعْمَالِهَا وَاتَّعَابِهَا، بَلْ بِالْعَكْسِ صَارَتْ دُنْيَاهُ سَبَبًا لِلْعَذَابِ وَالْعِقَابِ.

[٥] تَصَلِي نَارًا أَيُّ تَدْخُلُ تِلْكَ الْوَجْهَ النَّارِ وَتَلَازِمُهَا حَامِيَةً قَدْ حَمَيْتْ حَتَّى تَنَاهَتْ فِي الْحَرِّ.

[٦] تُشَقَّى أَيُّ أَصْحَابِ تِلْكَ الْوَجْهِ، وَقَدْ أُطْلِقَ الْوَجْهَ عَلَى أَصْحَابِهَا بِعِلَاقَةِ الْجُزْءِ وَالْكُلِّ، مِنْ قَبِيلِ إِطْلَاقِ «الرَّقَبَةُ» عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ عَيْنِ آتِيَةٍ قَدْ بَلَغَتْ حَرَارَتَهَا وَأَنَاهَا إِلَى مُنْتَهَى الدَّرَجَةِ، فَإِنَّ آتِيَةً بِمَعْنَى الْبَالِغَةِ أَشَدَّ دَرَجَاتِ الْحَرَارَةِ.

[٧] ذَاكَ شَرَابِهِمْ، فَمَا هُوَ طَعَامُهُمْ؟ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيْعٍ وَهُوَ نَبْتٌ يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ.

وَفِي حَدِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ شَيْءٌ يَكُونُ فِي النَّارِ يَشْبَهُ الشُّوكَ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ وَأَنَّ مِنَ الْجِيْفَةِ وَأَشَدَّ حَرًّا مِنَ النَّارِ
«١».

(١) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٣٣٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٦٥

[سورة الغاشية (٨٨): الآيات ٧ إلى ١٤]

لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٧) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسْعِيْهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِأَغْنِيَةٍ (١١)

فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤)

[٨] لَا يُسْمِنُ أَكَلَهُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ فَآكَلَهُ يَحْسُ بِالْجُوعِ بَعْدَ أَكَلِهِ كَمَا يَحْسُ بِالْجُوعِ قَبْلَ أَكَلِهِ.

[٩] ذَلِكَ أَحْوَالُ الْعَصَاةِ فَلِنَنْظُرِ إِلَى أَحْوَالِ الْمُتَّقِينَ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ أَيُّ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ نَاعِمَةٌ مَنَعْمَةٌ فِي أَنْوَاعِ اللَّذَاتِ ظَاهِرٌ عَلَيْهَا أَثَرُ النِّعْمَةِ وَالسُّرُورِ.

[١٠] لِسْعِيْهَا فِي الدُّنْيَا وَمَا عَمِلَتْ سَابِقًا رَاضِيَةٌ حَيْثُ قَدْ حَصَلَتْ عَلَى الْجَنَّةِ بِسَبَبِهَا.

[١١] فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ رَفِيْعَةُ الْمَكَانِ وَالْقَدْرِ، فَإِنَّ قُصُورَهَا وَمَكَانَهَا فِي أَعَالَى الْجُودِ.

[١٢] لَا تَسْمَعُ أَوْلَيْكَ الْأَشْخَاصَ أَصْحَابِ الْوَجْهِ النَّاعِمَةِ فِيهَا فِي الْجَنَّةِ لِأَغْنِيَةٍ أَيُّ كَلِمَةٌ سَاقِطَةٌ لَا فَائِدَةَ فِيهَا.

[١٣] فِيهَا أَيُّ فِي تِلْكَ الْجَنَّةِ عَيْنٌ جَارِيَةٌ تَجْرِي حَتَّى يَتَنَاوَلَ الْمَاءَ كُلُّ إِنْسَانٍ يَمْرُ بِهَا، وَالْمَاءُ الْجَارِيُّ أَطْيَبُ ذَوْقًا وَأَجْمَلُ فِي النَّظَرِ.

[١٤] فِيهَا أَيُّ فِي تِلْكَ الْجَنَّةِ سُرُرٌ جَمْعُ سَرِيرٍ، وَهُوَ الْكُرْسِيُّ مَرْفُوعَةٌ فِي الْمَكَانِ، وَفِي الْقِيَمَةِ، وَفِي الْقَدْرِ.

[١٥] وَأَكْوَابٌ جَمْعُ كُوبٍ، وَهُوَ قَدْحٌ صَغِيرٌ جَمِيلٌ مَوْضُوعَةٌ عَلَى حَافَاتِ الْأَنْهَارِ لِلِاسْتِقَاءِ وَالشُّرْبِ، وَفِي تَقَابُلِ «مَوْضُوعَةٌ» ل

«مرفوعة»

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٦٦

[سورة الغاشية (٨٨): الآيات ١٥ الى ١٩]

وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦) أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩)

بلاغة بديعة.

[١٦] وَنَمَارِقُ جمع نمرقة، وهى الوسادة التى يتكأ عليها مَصْفُوفَةٌ قد صف بعضها إلى جانب البعض.

[١٧] وَزَرَابِيُّ جمع زربى، وهو البساط مَبْثُوثَةٌ أى منتشرة مفروشة للجلوس عليها.

[١٨] و إذ ذكر سبحانه بعض أحوال الجنة و النار عطف السياق نحو الأدلة الدالة على الألوهية، تعبئة للناس نحو السعادة الأبدية أَفَلَا يَنْظُرُونَ هؤلاء المنكرون للخالق إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ فى إحكام و تدقيق، و ليس لأى حيوان بالذات خصوصية، فى التذكير بالله سبحانه و الدلالة عليه، إذ كل حيوان آية دالة على وجود الله و سائر صفاته، و إنما ذكر الإبل لأنها إحدى الآيات الأليفة للعرب، مع مناسبة لها بسائر ما ذكر فى الآيات التالية فإن السماء المرفوعة و الأرض المسطوحة الوسيعة و الجبال المرفوعة إنما تلائمها الإبل السائرة عبر الصحارى حيث لا شىء إلا الأرض و الجبال و السماء.

[١٩] وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ و المراد بها الكواكب، أو المدارات، أو ما يرى من الهواء الملون.

[٢٠] وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ على الأرض كالأوتاد لئلا تزول و تتحرك و تضطرب؟.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٦٧

[سورة الغاشية (٨٨): الآيات ٢٠ الى ٢٦]

وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذُكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ (٢٢) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (٢٣) فَيَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (٢٤)

إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (٢٦)

[٢١] وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ أى بسطت لتصلح طرائق للناس، و المراد أَفَلَا يَتَفَكَّرُونَ فى هذه المخلوقات حتى يستدلوا بها على وجوده سبحانه و سائر صفاته؟ و الاستفهام للتوبيخ و التقرير.

[٢٢] فَذُكِّرْ يا رسول الله الناس بهذه الآيات إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ تبين لهم الحقائق ليتذكروا ما أودع فى فطرتهم من الألوهية و المعاد و ما أشبه.

[٢٣] لَسْتَ عَلَيْهِمْ أى على هؤلاء القوم بِمُصَيِّرٍ أى بمسلط، حتى تكون مسئولاً عن انحرافهم، و إنما شأن الأنبياء التذكير و الوعظ، فمن شاء اهتدى و من شاء انحرف.

[٢٤] فَذُكِّرْ، فإن الذكرى تنفع إلا فى مَنْ تَوَلَّى أى من أعرض عن الحق وَكَفَرَ بالله و اليوم الآخر، و ذلك لا- يفلت من قبضة الله سبحانه.

[٢٥] فَيَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ و هو عذاب الآخرة.

[٢٦] إِنَّ إِلَيْنَا أى إلى جزائنا و حسابنا إِيَابُهُمْ أى رجوعهم بعد الموت، من «آب» بمعنى رجوع.

[٢٧] ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بعد الإياب حِسَابَهُمْ فيحاسب كل بما عمل، و يعطى جزاؤه إن شرا فشر و إن خيرا فخير.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٦٨

٨٩ سورة الفجر مكية / آياتها (٣١)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على لفظة «الفجر»، وهى كسائر السور المكية تعالج قضايا العقيدة فى أصولها، و لما ختمت سورة الغاشية بذكر عذاب «من تولى» فى الآخرة ابتدأت هذه السورة بذكر تعذيبهم فى الدنيا.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نستعين باسم الله الذى بيده كل شىء، و هو المبدأ و المعاد، و هل شىء أولى بالابتداء من اسم الله تعالى؟

الرحمن الرحيم الذى يتفضل بالرحمة على العباد.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٦٩

[سورة الفجر (٨٩): الآيات ١ الى ٧]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الْفَجْرِ (١) وَ لَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَ الشَّفْعِ وَ الْوَتْرِ (٣) وَ اللَّيْلِ إِذَا يَسِرٍ (٤)

هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧)

[٢] وَ الْفَجْرِ أى قسما بالفجر، و هو انفجار الصبح قبل طلوع الشمس، فإن النور يظهر ممتدا فى جانب المشرق قبل ساعة و نصف من الطلوع.

[٣] وَ لَيَالٍ عَشْرٍ أى قسما بالليالى العشر من ذى الحجة- على ما ذكروا- و كأن الحلف هنا بما ينشأ منه الخير، فإن الفجر ينشأ منه الضياء، و هذه الليالى محل الأعمال و الطاعات.

[٤] وَ قَسَمَ بِ الشَّفْعِ ركعتا صلاة الليل وَ الْوَتْرِ الركعة الأخيرة منها، أو الشفع يوم ترويه، و الوتر يوم عرفه- كما روى-

[٥] وَ قَسَمَ بِاللَّيْلِ إِذَا يَسِرٍ أى يمضى، كقوله: وَ اللَّيْلِ إِذَا يَسِرٍ (١) و أصله «يسرى» حذف الياء للسياق، و المقسم له محذوف، تقديره لعاقب الكفار، دل عليه قوله «ألم تر ..».

[٦] هَلْ فِي ذَلِكَ الذى تقدم من الأيمان قَسَمٌ يكن لِذِي حِجْرٍ أى ذى عقل؟ فإن «الحجر» من أسماء العقل، سمي بذلك لأنه يحجر صاحبه عن الإتيان بما لا يليق به، و الاستفهام للتأنيب، بمعنى كيف لا تصدقون بما نقول بعد هذه الأيمان؟.

[٧] أَلَمْ تَرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أو أيها السامع، و المراد بالرؤية العلم، أى ألم تعلم كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ أى بقبيلة عاد؟

[٨] إِرْمَ عَطْفَ بِيَانٍ ل «عاد»، و هى اسم أرض بنت عاد عليها أبنية فخمه

(١) المدثر: ٣٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٧٠

[سورة الفجر (٨٩): الآيات ٨ الى ١٠]

الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَ تَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَ فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠)

جميلة، و إنما مع أن تكون «إرم» عطف ببيان، لأن «عادا» اسم لقبيلتين «عاد» الأولى و «عاد» الثانية، فالأولى كانت صاحبة «إرم» و التقدير «عاد إرم»، و هذا كما تقول «مرت بنى هاشم، المدينة المنورة» ذات العِمَادِ جمعه عمد، أى أبنية إرم التى كانت لها أعمدة، و يستعمل العمداد فى القوة و الشرف، يقال «فلان رفيع العمداد».

فقد قالوا إن «شداد» من أبناء «عاد» توسع سلطانه، و عظم أمره، و كان كافرا بالله، فسمع بالجنه و أوصافها، فقال نبى فى الأرض مثلها، فبناها فى «إرم» و سميت بهذا الاسم، و كانت عظيمة فخمه جميلة ذات قصور و حدائق و أثاث و رياض، فلما أن أراد هو و قومه و جيشه دخولها أهلكتهم الله سبحانه، بأن بعث عليهم صيحة عظيمة فهلكوا جميعا.

[٩] الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا أَى مثل قبيلته عاد- فى القوة و الثروة و ما أشبهه- أو مثل «إرم» فى الفخامة و الضخامة و الجمال فى البلاد و الظاهر أن المراد عدم خلق مثلها فى تلك الأزمنة، لا مطلقا.

[١٠] وَ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِ تَمُودَ قَوْمِ صَالِحِ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ أَى قطعوا الصخور من الجبال، و جاؤوا بها بالوادي أَى وادى قرى، و هو مسكنهم فبنوا بها البيوت الصخرية؟

[١١] وَ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِ فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ جمع «وتد» الذى كان يدق فى جسم مخالفه الوتد، و يذره حتى يموت- كما قيل-

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٧١

[سورة الفجر (٨٩): الآيات ١١ الى ١٥]

الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبَلَمُرْصَادٍ (١٤) فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥)

و المراد به فرعون موسى عليه السلام و قد مثل الله سبحانه بأقوى الأمم فى زمانهم، ليبين أنهم حيث عتوا و خالفوا أوامر الله سبحانه أهلكتهم سبحانه و لم تنفعهم قوتهم شيئا و مصير هؤلاء الكفار- الذين هم أضعف من أولئك- مصير أولئك لو تمادوا فى الكفر و الطغيان.

[١٢] الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ أَى تجبروا على أنبياء الله، و عملوا بالكفر و المعاصى.

[١٣] فَأَكْثَرُوا فِيهَا أَى فى البلاد الفساد بالقتل و الفجور و غيرها.

[١٤] فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ و إنما عبر عن العذاب بالسوط لشدة إيلامه، و نسب إليه الصب لأن السوط حيث فيه لين يأتى إلى الجسم تدريجيا مشابها للصب، الذى يأتى على الجسم بتدرج- و فى هذا التعبير من البلاغة ما لا يخفى-.

[١٥] إِنَّ رَبَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَبَلَمُرْصَادٍ هو المحل الذى يجلس الإنسان ليرصد و يراقب أحوال غيره- من حيث لا يرونه- و هذا كناية عن أنه سبحانه مطلع على الناس، فمن كفر و أساء مراقب من قبله تعالى، لا يفوته.

[١٦] و هكذا يطغى الإنسان- ليكون له ذلك المصير- إذا لم يسترشد بإرشادات الله تعالى فَأَمَّا الْإِنْسَانُ و المراد به الذى لم يهتد بنور الإيمان إذا ما ابتلاه ربه أى امتحنه و اختبره، و «ما» مزيدة جيئت

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٧٢

[سورة الفجر (٨٩): الآيات ١٦ الى ١٧]

وَ أَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ التَّيِّمَ (١٧)

للتأكيد، و لعل النكته فى زيادتها الإلماح إلى أن «ابتلاه» ليس بابتلاء حقيقة، و إنما هو شىء طفيف يصيبه و مع ذلك لا ينجح فى الامتحان فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ بأن جعل له مكانا كريما ذا شرافة، و نعمه و افره، ليختبره هل يعمل بوظيفته فى الثروة و الجاه أم لا؟ فيفرح بذلك و يظنه ثوبا له و جزاء على عمله، و أنه باستحقاق أوتى ما أوتى و يقول رَبِّي أَكْرَمَنِ حذف الياء تخفيفا، أى أن هذا لكرامتى على الله، و لا يعتبره امتحانا.

[١٧] وَ أَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ أَى امتحنه الله سبحانه بالفقر و الضعة فَقَدَرَ أَى ضيق عَلَيْهِ أَى على الإنسان رِزْقَهُ فجعله فقيرا مملقا فيحزن لذلك و يظن أن ذلك هوان من الله عليه، و يقول رَبِّي أَهَانَنِ أَى أهاننى، و لا يعتبر ذلك ابتلاء، و هذا بخلاف الإنسان المؤمن الذى يرى كل شىء يصيبه اختبارا و امتحانا، فيخاف من النعمة لئلا يعصى الله فيها فلا يشكره، و لا يحزن من الفقر لأنه يعتبره امتحانا له إن صبر كان رفعا لدرجته.

[١٨] كَلَّا لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا ظَنَ هَذَا الْإِنْسَانَ، فَإِنَّ التَّنْعِيمَ لَيْسَ لِكِرَامَةٍ، وَ الْإِفْقَارَ لَيْسَ لِأَهَانَةٍ بَلْ كُلُّ ذَلِكَ مُخْتَلَفٌ، وَ الْمَجْمُوعُ لِلْإِبْتِلَاءِ وَ

الاختبار بل إنهم غافلون عن حكمة الإعطاء والمنع، ذاهلون أن كل ذلك للابتلاء، ولذا لا يقومون بواجب العطاء- ولم يذكر القيام بواجب الفقر من الصبر، لأن الكلام كان موجها نحو الأغنياء من الناس الذين مثل لهم بمصارع عاد و ثمود و فرعون- ف

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٧٣

[سورة الفجر (٨٩): الآيات ١٨ الى ٢١]

وَلَا تَحَاضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ (١٨) وَ تَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (١٩) وَ تَحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠) كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١)

لا تُكْرِمُونَ النَّبِيَّ الَّذِي مَاتَ أَبُوَاهُ، يَاوَاهُ وَ إِعْطَاهُ.

[١٩] وَلَا تَحَاضُونَ مِنَ الْحِضِّ - وَ هُوَ الْحِثُّ - أَى لَا يَحِثُّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ أَى الْفَقِيرِ الَّذِي أَسْكَنَهُ فَقْرُهُ عَنِ الْحَرَكَةِ فِي الْأُمُورِ.

[٢٠] وَ تَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَى الْمِيرَاثَ أَكْلًا لَمًّا شَدِيدًا تَلْمُونَ جَمِيعَهُ فِي الْأَكْلِ، بَلَا إِعْطَاءِ حَقُوقِ الْمَيْتِ، وَ حَقُوقِ اللَّهِ، وَ حَقُوقِ سَائِرِ ذَوَى الْمِيرَاثِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَحْرَمُونَ النِّسَاءَ وَ الصِّبْيَانَ وَ الضَّعْفَاءَ مِنَ الْوَرِثَةِ، فَلَا يُعْطُونَهُمْ مِنْ حَقِّهِمْ شَيْئًا، وَ هَذَا دَلِيلُ الشَّرِّ نَحْوَ الْمَالِ وَ إِنَّهُمْ لَا يُجْعَلُونَ الْمَالَ دَلِيلًا لِلْإِبْتِلَاءِ، بَلْ دَلِيلًا لِتَكْرِيمِ اللَّهِ لَهُمْ.

[٢١] وَ تَحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا أَى حُبًّا كَثِيرًا شَدِيدًا، حَتَّىٰ أَنَّهُمْ لَا يَنْفِقُونَهُ فِيمَا يَجِبُ أَوْ يَسْتَحِبُّ إِفْئَاقَهُ، كَمَا هُوَ شَأْنٌ مِنْ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ، وَ لَا يُجْعَلُ الْمَالَ دَلِيلًا لِلْإِبْتِلَاءِ لِيَعْمَلَ فِيهِ بِأَمْرِ اللَّهِ وَ يَخْشَىٰ مَغْبِتَهُ.

[٢٢] كَلَّا لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمْتُمْ بِأَنَّهُ لَا - عَوَاقِبُ وَ خِيَمَةٌ لِأَعْمَالِكُمْ هَذِهِ، فَإِنَّ مِنْ يَظُنُّ تَكْرِيمَ اللَّهِ لَهُ يَسْهَلُ عَلَيْهِ الْعَمَلُ بِالْوِظَائِفِ فِي أُمُورِهِ وَ شُؤُونِهِ فِ إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ أَى كَسَرَ كُلُّ شَيْءٍ عَلَىٰ ظَهْرِهَا دَكًّا دَكًّا كَسَرَ كَسْرًا، مِنْ جِبَالٍ وَ مَرْتَفَعَاتٍ وَ أَنْصَبَةٍ وَ أَشْبَاهِهَا، وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْأَرْضَ تَسْوَىٰ حَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ عَلَىٰ ظَهْرِهَا عِوَجٌ وَ لَا أُمَّتٌ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٧٤

[سورة الفجر (٨٩): الآيات ٢٢ الى ٢٥]

وَ جَاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَ جِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَ أَنَّىٰ لَهُ الذُّكْرَىٰ (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا (٢٥)

[٢٣] وَ جَاءَ رَبُّكَ أَى أَمْرُ رَبِّكَ، كَمَا يَظْهَرُ مَلُوكِ الدُّنْيَا فِي هَيْبَةٍ وَ جَلَالٍ، فَإِنَّ الْهَيْبَةَ وَ الْجَلَالَ التَّى تَظْهَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ تَكُونُ بِمِثَابَةِ مَجِيءِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، لَكِنَّهُ حَيْثُ كَانَ مَتْرَاهَا عَنِ الْجِسْمِ وَ لَوَازِمِهِ، يَجِيءُ آثَارُ جَلَالِهِ وَ جَاءَ الْمَلَكُ الْمُرْبُطُونَ بِذَلِكَ الْيَوْمِ فِي حَالِ كَوْنِهِمْ صَفًّا صَفًّا أَى مُصْطَفِينَ صَفُوفًا مُتَعَدَّةً.

[٢٤] وَ جِيءَ يَوْمَئِذٍ أَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِجَهَنَّمَ بِأَنَّ تَمْتَدَّ نِيرَانُهَا إِلَى الْمَحْشَرِ بَعْدَ مَا كَانَتْ مَبْتَعَدَةً مُسْتَعَدَّةً لِاتِّهَامِ الْكُفَّارِ وَ الْعَاصِينَ يَوْمَئِذٍ أَى فِي هَذَا الْيَوْمِ - وَ أَوَّلُهُ يَوْمٌ إِذْ كَانَ كَذَا - يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ أَى يَتَعَطَّ وَ يَخَافُ وَ يَهْتَدِي وَ لَكِنْ أَنَّىٰ لَهُ الذُّكْرَىٰ أَى مِنْ أَيْنَ يَنْفَعُهُ التَّذَكُّرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَقَدْ مَضَىٰ وَقْتُ نَفْعِ التَّذَكُّرِ، وَ إِنَّمَا هُنَاكَ جِزَاءٌ فَقَطْ لَا عَمَلٌ.

[٢٥] يَقُولُ الْإِنْسَانُ الْعَاصِي، يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ عَمَلًا صَالِحًا لِحَيَاتِي هَذِهِ التَّى تَبْقَىٰ إِلَى الْأَبَدِ، وَ لَكِنْ لَا يَنْفَعُهُ التَّمَنَّى، كَمَا يَقُولُ الْمَثَلُ «نَدَمٌ زَيْدٌ وَ لَمَّا يَنْفَعُهُ النَّدَمُ».

[٢٦] فَيَوْمَئِذٍ أَى فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا أَى لَا يَعَذِّبُ مِثْلَ عَذَابِ اللَّهِ أَحَدًا، فَإِنَّ عَذَابَهُ لَيْسَ كَسَائِرِ أَنْوَاعِ عَذَابِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَ إِنَّمَا هُوَ عَذَابٌ غَرِيبٌ عَجِيبٌ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٧٥

[سورة الفجر (٨٩): الآيات ٢٦ الى ٣٠]

وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (٢٦) يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)

[٢٧] وَيَوْمَئِذٍ لَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَي مِثْل وَثَاقِهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَحَدٌ وَالْوِثَاقُ هُوَ الشَّدُّ، يُقَالُ أَوْثَقْتَهُ أَي شَدَدْتَهُ.

[٢٨] ثُمَّ يَخَاطَبُ الْمُؤْمِنُونَ بِقَوْلِهِ سَبْحَانَهُ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ مِنْ أَهْوَالِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، لَمَّا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِطَاعَةِ.

[٢٩] ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ أَي إِلَىٰ ثَوَابِهِ وَجَزَائِهِ فِي حَالِ كَوْنِكَ رَاضِيَةً عَنِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ مَرْضِيَّةً لَهُ تَعَالَىٰ، فَإِنَّهُ سَبْحَانَهُ رَاضٍ عَنْكَ بِسَبَبِ إِيْمَانِكَ وَأَعْمَالِكَ.

[٣٠] فَادْخُلِي فِي زَمْرَةِ عِبَادِي الصَّالِحِينَ.

[٣١] وَادْخُلِي جَنَّتِي فَأَنْتِ فِي رِضَايَ وَفِي جَنَّتِي، وَكَأَنَّ الْخُطَابَ لِلنَّفْسِ لَزِيَادَةِ التَّكْرِيمِ، حَتَّىٰ كَأَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَحْمَلُ أَتْعَابَ الْجَسَدِ، فَاسْتَحَقَّتْ أَنْ تَكُونَ هِيَ صَاحِبَةُ الْمَثُوبَةِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٧٦

٩٠ سورة البلد مكيه / آياتها (٢١)

سميت هذه السورة بهذا الاسم لاشتمالها على لفظه «بلد»، وهي كسائر السور المكيه تعالج قضايا العقيدة و تحتج عليها، و حيث كانت السورة السابقة لتقسيم الناس إلى صالحين و طالحين جاءت هذه السورة لتبين ذلك بوجه آخر.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نبتدئ باسم الله، و إنما جاء بالاسم لأنه هو المبدوء به لا- الذات، الرحمن الرحيم الذي يرحم العباد بتكميل نواقصهم و إبلاغهم الكمال الممكن فيهم تكويننا و إرشادنا.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٧٧

[سورة البلد (٩٠): الآيات ١ الى ٥]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَالْوَالِدِ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤)
أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥)

[٢] لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَ الْمُرَادُ بِهِ مَكَّةُ، وَ «لَا» إِمَّا لِلنَّفْيِ جِيءَ بِهَا لِلتَّلْوِيحِ إِلَى الْقِسْمِ مَعَ تَعْظِيمِ الْمَقْسَمِ بِهِ، وَ إِمَّا زَائِدَةٌ، فَالْمَعْنَى أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ، وَ الْآيَةُ الثَّانِيَةُ تَنَاسَبَ الْأُمْرِينَ بِاعْتِبَارِهِنَّ.

[٣] وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حِلٌّ أَي مُقِيمٌ قَدْ حَلَلْتَ بِهَذَا الْبَلَدِ فَإِنَّهُ قَدْ تَشَرَّفَ بِكَ، فَإِنَّ شَرَفَ الْمَنْزِلِ بِشَرَفِ النَّازِلِ، وَ «الْحِلُّ» بِمَعْنَى الْحَالِ، وَ كِلَاهُمَا بِمَعْنَى السَّاكِنِ، فَهَذَا الْبَلَدُ إِذَا قَسِمَ بِهِ لَشَرَفِهِ بِكَ أَوْ يَعْظَمُ فَلَا يَقْسَمُ بِهِ لَشَرَفِهِ بِكَ.

[٤] وَقَسَمَ بِالْوَالِدِ وَمَا وَلَدَ أَي كُلِّ وَالِدٍ وَ كُلِّ وَلَدٍ، أَوِ الْمُرَادُ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ أَوْلَادُهُ، فَإِنَّ كُلَّ خَلْقٍ اللَّهُ عَظِيمٌ يَصِحُّ أَنْ يُجْعَلَ فِي مَعْرِضِ الْقِسْمِ. نَعَمْ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَحْلِفَ بِكُلِّ شَيْءٍ، لَمَّا

ورد من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ

«مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لَيْسَكَ»

«١».

[٥] وَ جَوَابُ الْقِسْمِ قَوْلُهُ: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ أَي فِي تَعَبٍ وَ مَشَقَّةٍ، فَإِنَّهُ يَكَابِدُ الشَّدَائِدَ وَ الْمَصَائِبَ وَ الْمُتَاعِبَ، فَإِنَّ «الْكَبَدَ» لُغَةً بِمَعْنَى شِدَّةِ الْأَمْرِ، وَ الْمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَزَالُ يَكَابِدُ الْأَتْعَابَ - بِمَا قَدَرَ اللَّهُ لَهُ وَ لِلْكَوْنِ مِنَ الْأَنْظُمَةِ - وَ لِذَا

قال تعالى في حديث قدسي «إني ما جعلت الراحة في الدنيا و الناس يطلبونها فيها فلا يجدوها».

[٦] إن الإنسان الذي خلق في عناء ومشقة، ليدل ذلك على ضعفه وعجزه إذا رأى بعض القوة في ذاته عتا وتكبر وزعم أنه لا قادر عليه

(١) متشابه القرآن و مختلفه: ج ٢ ص ١٩٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٧٨

[سورة البلد (٩٠): الآيات ٦ الى ٩]

يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا (٦) أَيْ حَسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩)

أَيْ حَسَبُ أَى هَل يَظُن وَيُزَعِمُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ بِسَلْبِهِ الْقُوَّةَ وَالثَّرْوَةَ وَ الْحَيَاةَ وَ مَا أَشْبَهَ؟

[٧] و إذا قيل له: ابتغ مرضاء الله ببذل الأموال في سبيله لأنك عبد عاجز ضعيف له سبحانه، و هو قادر على تقليبك كيف يشاء يُقُولُ في الجواب: أَهْلَكْتُ في الإنفاق مَالًا لُبَدًا أَى كَثِيرًا، مأخوذ من تلبس الشيء إذا تراكم بعضه على بعضه، و حسبى ما أنفقت - كما أن هذا هو منطق الأثرياء غالبًا-

[٨] أَيْ حَسَبُ أَى يُزَعِمُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ حَيْثُ أَنْفَقَ؟ بَلْ إِنَّ اللَّهَ رَأَاهُ وَعَرَفَ قَدْرَ إِنْفَاقِهِ وَ لَمْ يَكُنْ مَا أَنْفَقَ كَثِيرًا بِالنَّسْبَةِ إِلَى أَمْوَالِهِ وَ بِالنَّسْبَةِ إِلَى مَقَابَلَتِهِ بِالثَّوَابِ الْمَرْجُوعِ فِي الْآخِرَةِ لِلْمُنْفِقِينَ. قيل: إنها نزلت في الحرث، و ذلك أنه أذنب ذنبا فاستفتى رسول الله؟ فأمره أن يكفر، فقال: لقد ذهب مالي في الكفارات و النفقات منذ دخلت في دين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ.

[٩] إنه يبخل عن بذل بعض ماله في سبيل الله الذي أودع فيه القوى التي لا تتمن بئمن فلم يؤد شكرها، و لم يبصر بسببها طريق الرشاد أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ لِيَبْصُرَ بِهِمَا وَيَرَى طَرِيقَهُ؟

[١٠] وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ لِيَنْطِقَ بِهِ وَيَتَجَمَّلَ بِالشَّفَةِ لَعَدَمِ قَبْحِ مَنْظَرِهِ بِفِغْرِ الْفَمِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٧٩

[سورة البلد (٩٠): الآيات ١٠ الى ١٥]

وَ هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠) فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكَّ رَقَبَةً (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥)

[١١] وَ هَدَيْنَاهُ أَى أُرْشَدِنَاهُ النَّجْدَيْنِ أَى سَبِيلِ الْخَيْرِ وَ سَبِيلِ الشَّرِّ، وَ أَصْلُ «النَّجْدِ» هُوَ الْعُلُو، وَ كَانَ الطَّرِيقُ مُوجِبًا لارتفاع الإنسان ارتفاعا معنويا بوصوله إلى حاجته، أو لظهور الطريق سمي نجدا تشبيها بالمرتفع من الأرض.

[١٢] فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ «الاقْتِحَامُ» هُوَ الدَّخُولُ فِي الشَّيْءِ بِشِدَّةٍ، وَ «عَقَبَةُ» هِيَ الطَّرِيقُ الصَّعْبُ فِي الْجَبَلِ، أَى أَنَّ الْإِنْسَانَ لَمْ يَشْكُرْ تِلْكَ النِّعْمَ الَّتِي أُعْطِيَهَا إِيَّاهُ بِاقْتِحَامِ الْأُمُورِ الْحَسَنَةِ وَ الْعَمَلِ بِهَا، وَ سَمِيَتْ عَقَبَةً لِشِدَّةِ أَمْرِهَا عَلَى الْإِنْسَانِ.

[١٣] وَ مَا أَدْرَاكَ أَيُّهَا السَّامِعُ مَا الْعَقَبَةُ أَى مَا هِيَ الْعَقَبَةُ؟ وَ هَذَا التَّعْبِيرُ لِتَعْظِيمِ أَمْرِهَا وَ الْإِجْلَالِ لَهَا، ثُمَّ فَسَّرَتْ الْعَقَبَةَ بِأَنَّهُ عَتَقَ الْعَبْدَ وَ الْإِطْعَامِ.

[١٤] الْعَقَبَةُ هِيَ فَكُّ رَقَبَةٍ أَى تَحْرِيرِ الْعَبْدِ مِنْ إِسَارِ الرِّقِّ، وَ إِنَّمَا أُطْلِقَ عَلَى الْإِنْسَانِ «الرَّقَبَةُ» بِعِلَاقَةِ الْجُزْءِ وَ الْكُلِّ - كَمَا قَرَّرَ فِي الْبَلَاغَةِ.

[١٥] أَوْ إِطْعَامٌ «أَوْ» بِمَعْنَى الْوَاوِ، يَعْنِي أَنَّ مِنْ أَفْرَادِ «العقبة» إِطْعَامُ النَّاسِ فِي يَوْمِ ذِي مَسْغَبَةٍ «السَّغْبُ» هُوَ الْجُوعُ، وَ الْمَسْغَبَةُ الْمَجَاعَةُ.

[١٦] يَتِيمًا مَفْعُولٌ «إِطْعَامٌ» أَى لِيُطْعَمَ الطِّفْلَ الَّذِي مَاتَ أَبُوهُ ذَا مَقْرَبَةٍ أَى ذَا قَرَابَةٍ مِنَ الْمَطْعَمِ، فَإِنَّ الْإِحْسَانَ إِلَى الْأَقْرَبَاءِ أَفْضَلُ مِنَ الْإِحْسَانِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٨٠

[سورة البلد (٩٠): الآيات ١٦ الى ١٨]

أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨)
إلى غيرهم، كما
قال عليه السلام «لا صدقة و ذو رحم كاشح»
«١».

[١٧] أَوْ مَسْكِينًا وَهُوَ الْفَقِيرُ الَّذِي أَسْكَنَهُ الْفَقْرُ، فَإِنَّ الْأَغْنِيَاءَ يَتَحَرَّكُونَ فِي مَخْتَلَفِ حَوَائِجِهِمْ، أَمَّا الْفُقَرَاءُ فَإِنَّهُمْ حَيْثُ لَا مَالَ لَهُمْ لَا يَتِمَكَّنُونَ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي الشُّؤْنِ ذَا مَتْرَبَةٍ بِمَعْنَى الْحَاجَةِ الشَّدِيدَةِ مِنْ قَوْلِهِمْ «ترب الرجل» إِذَا افْتَقَرَ، وَ أَصْلُهُ مِنَ التَّرَابِ، لِأَنَّ الْفَقْرَ يَلْزَمُ التَّرَابَ، لِعَدَمِ فِرَاشٍ لَهُ لِيَقِيَهُ مِنْهُ، فَالْمَعْنَى قَدْ لَصِقَ بِالتَّرَابِ مِنْ شِدَّةِ فَقْرِهِ.

[١٨] ثُمَّ لَتَرْتِيبِ الْكَلِمَةِ لَا تَرْتِيبِ الْمَطْلَبِ كَانَ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ الَّذِي لَمْ يَقْتَحِمِ الْعَقْبَةَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَ مَا جَاءَ بِهِ، وَ هَذَا عَطْفٌ عَلَى النَّفْسِ، أَيْ لَمْ يَقْتَحِمِ الْعَقْبَةَ مَعَ كَوْنِهِ مُؤْمِنًا وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ أَيْ أَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَنْ يَصْبِرَ عَلَى الشَّدَائِدِ، طَاعَةٌ كَانَتْ أَوْ مَعْصِيَةٌ أَوْ مَصِيبَةٌ، بِأَنْ يَعْمَلَ الْأَوَّلَ، وَ يَتْرَكَ الثَّانِي، وَ لَا يَجْزِعُ فِي الثَّالِثِ وَ تَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ أَيْ بِرَحْمِ النَّاسِ وَ الْعَطْفِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ «مَرْحَمَةً» مُصَدَّرٌ مِمَّا بِمَعْنَى الرَّحْمِ.

[١٩] أُولَئِكَ الْمُتَصَفُّونَ بِفِكَ الرِّقَابِ وَ إِطْعَامِ الطَّعَامِ وَ التَّوَاصِيِ بِالصَّبْرِ وَ الْمَرْحَمَةِ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ يُؤْخَذُ بِهِمْ - فِي الْقِيَامَةِ - نَاحِيَةُ الْيَمِينِ نَحْوَ الْجَنَانِ، وَ يَعْطُونَ كِتَابَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، أَوْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ يَمَنِ وَ بَرَكَةٌ.

(١) راجع من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٦٨، وردت كلمة محتاج بدل كاشح في الحديث.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٨١

[سورة البلد (٩٠): الآيات ١٩ إلى ٢٠]

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ (٢٠)

[٢٠] وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا حَجَجْنَا الدَّالَّةَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَ سَائِرِ الْأَصُولِ هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَصْحَابَ شَوْمٍ عَلَى أَنْفُسِهِمْ.

[٢١] عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ أَيْ أَنَّ أَبْوَابَ النَّارِ عَلَيْهِمْ مَسْدُودَةٌ مُطَبَّقَةٌ، مِنْ أَوْصَدَ الْبَابَ: إِذَا سَدَّهُ وَ غَلَقَهُ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٨٢

٩١ سورة الشمس مكيه / آياتها (١٦)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتغالها على لفظه «الشمس»، و هي كسائر السور المكيه تعالج قضايا العقيدة، و هي مثل السورة السابقة تصنف الناس صنفين: صنفا للنار، و صنفا للجنة.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نَسْتَعِينُ بِاسْمِ الْإِلَهِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مَعِينٍ لِمَنْ اسْتَعَانَ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الَّذِي يُتَفَضَّلُ بِالرَّحْمَةِ وَ الْعَطْفِ لِكُلِّ خَلْقٍ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ «١».

(١) الأعراف: ١٥٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٨٣

[سورة الشمس (٩١): الآيات ١ إلى ٧]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَ ضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاها (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤)

وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّاها (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧)

[٢] وَالشَّمْسِ أَى قسما بالشمس وَقسما ب ضُحَّاها أَى انبساط ضوءها فى الآفاق.

[٣] وَقسما ب الْقَمَرِ إِذا تَلَّها أَى تبع الشمس، فأخذ من ضوءها و سار فى عقبها.

[٤] وَقسما ب النَّهَارِ إِذا جَلَّها أَى جلى الشمس و أظهرها و فيه لطف حيث أسند تجليهُ الشمس إلى النهار من باب «القلب»، فكان النهار لشدة ضوءه يوضح الشمس و يظهرها، كما قال أهل البلاغة فى قوله «كما طينت بالفدن السباعا».

[٥] وَقسما ب اللَّيْلِ إِذا يَغْشاها أَى يغشى الشمس فيغطيها عن الأبصار و يخفيها.

[٦] وَقسما ب السَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا أَى «و قسما بمن بنى السماء» و المراد به الله تعالى، أو «ما» مصدرية، أَى و بنائها المحكم المتقن.

[٧] وَقسما ب الْأَرْضِ وَمَا طَحَّاها «الطحو» بمعنى البسط، أَى و من بسطها و هو الله، أو طحوها، على أن تكون «ما» مصدرية- كما سبق-.

[٨] وَنَفْسٍ أَى قسما بكل نفس، و الإتيان بها نكرة للتفنن و البلاغة وَمَا سَوَّاهَا أَى الذى صنعها، و كون «ما» موصولة- هنا- أقرب، بقريته الآية التالية.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٨٤

[سورة الشمس (٩١): الآيات ٨ الى ١٢]

فَأَلَّهَمَّها فُجُورَها وَ تَقَواها (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَ قَدْ خابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغَواها (١١) إِذِ انبَعَثَ أَشقاها (١٢)

[٩] فَأَلَّهَمَّها أَى عَزَّها بطريق الإلقاء فى القلب فُجُورَها أَى عصيانها وَ تَقَواها أَى إطاعتها، فإن كل إنسان يميز بين الخير و الشر و الطاعة و العصيان، و هذه الأقسام فى هذه السورة و غيرها إنما تلفت الأنظار إلى هذه الآيات و المعارف، بالإضافة إلى كونها حلفاً، فلا يقال: أية حاجة لهذه الأيمان؟

[١٠] قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا هذا هو المقسم له، أَى فاز من زكى نفسه و طهرها من الآثام و الكفر.

[١١] وَ قَدْ خابَ أَى خسر مَنْ دَسَّاهَا أَى أحمَلها و أخفى محلها بالكفر و العصيان، فإن «دس» نقيض «زكى».

[١٢] ثم جاء السياق ليهدد الذين يدسون أنفسهم بأن مصيرهم مصير أولئك الأقسام المكذبين من قبلهم كَذَّبَتْ ثَمُودُ أَى قبيلة ثمود و هم قوم صالح عليه السلام بِطَغَواها أَى بسبب طغيانها، فإن الطغيان يوجب التكذيب و الكفر كما قال سبحانه ثُمَّ كَانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ أَساؤا السُّواى أَنْ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ (١). و «طغوى» و «طغيان» بمعنى واحد، و هو مجاوزة الحد فى العصيان.

[١٣] إِذِ انبَعَثَ فقد بعثه الأشيياء لارتكاب هذه الجناية، فانبعث أَشقاها أَى أشقى ثمود، بمعنى الفرد الذى هو أكثر شقوة من غيره

(١) الروم: ١١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٨٥

[سورة الشمس (٩١): الآيات ١٣ الى ١٥]

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقياها (١٣) فَكَذَّبُوا فَعَقَرُواها فَدمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَ لا يَخافُ عَقاها (١٥)

من أفراد القبيلة، و هو «قدار»، و هو الذى عقر الناقة.

[١٤] فَقَالَ لَهُمْ تفریع على «كذبت» لا على «انبعث»، و الضمير عائد إلى قبيلة ثمود رَسُولُ اللَّهِ و المراد به صالح عليه السلام: احذروا نَاقَةَ اللَّهِ بأن تمسوها بسوء و احذروا سُقياها أَى شربها من الماء فلا تزجروها فى شربها، فقد كان هناك نهر، و قرر صالح أن يكون ماء النهر يوماً للناقة و تعطى بعوضه اللبن بقدر احتياج القبيلة، و يوماً للناس، و قال لهم: إن مسستم الناقة بسوء أخذكم العذاب- كما تقدم تفصيل القصة-.

[١٥] فَكَذَّبُوهُ أَى كَذَبَ أَهْلُ قَبِيلِهِ ثُمُودٌ صَالِحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ - المَتَقَدِّمُ بِاسْمِ «رَسُولِ اللَّهِ» - فَعَقَّرُوها أَى نَحَرُوا الناقَةَ وَضَرَبُوا يَدِيها وَرَجَلِيها بِالسيفِ، وَالعَاقِرُ كانَ واحداً لَكِن تَأَمَّرهم عَلى ذلِكَ وَرِضاهِم بِهِ أَوْجِب إِسنادَ الفِعلِ إِلى جَميعِهِم فَدَمَدَمَ عَلَیْهِم رُبُّهُم أَى دَمَر عَلَیْهِم اللَّهُ تَعَالَى، فَإِنَّ الدَمْدَمَةَ تَرديدُ الحَوالِ المَسْتَكِرهِ بِمُضاعَفَةٍ ما فِيهِ المَشقَّةُ بِذَنبِهِم أَى بِسَببِ ذَنبِهِم بِعَقْرِ الناقَةِ فَسَوَّاهَا أَى سَوَّى اللَّهُ الدَمْدَمَةَ عَلَیْهِم أَجمِيعينَ بِحِث لَم يَفَلتَ مِنْها أَحَدٌ، أَوْ سَوَّى اللَّهُ أَرْضَهُم بِحِث اسْتَوَتْ فِلا شِئٍ فِيها.

[١٦] وَلا يَخَافُ اللَّهُ سِبحانَهُ عُقباها أَى عاقِبَةُ الدَمْدَمَةِ، فَإِنَّهُ هُوَ السُلطانُ المَطْلُوقُ الَّذى لا مَعقِبَ لَأَمْرِهِ، وَليسَ كأَفْرادِ البَشَرِ - الَّذينَ يَخافونَ عاقِبَةَ بَعْضِ أَعْمالِهِم - وَإِنْ بَلِغُوا ما بَلِغُوا مِنَ السُلْطَةِ وَالشوْكَةِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٨٦

٩٢ سورة الليل مكية / آياتها (٢٢)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على لفظة «الليل»، و هي كسائر السور المكية تشتمل على قضايا العقيدة، و يظهر من القصص الآتية أنها مدنية أو بعضها، و هذه السورة كالسورة السابقة بصدد تصنيف الناس إلى صنفين.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الله الذى هو أول كل شىء، و كما هو الأول فى الكون كان من الجدير أن يبدأ به فى أول كل أمر، الرحمن الرحيم الذى يرحم العباد بسد خللهم و غفران زللهم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٨٧

[سورة الليل (٩٢): الآيات ١ الى ٧]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَ النَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَ ما خَلَقَ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثَى (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤)
فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَ اتَّقَى (٥) وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧)

[٢] وَ اللَّيْلِ أَى قسما بالليل إِذا يَغْشَى أَى يحيط بِظلمته على الأشياء، وَ تخصيص بعض الأقسام بأُمور خاصَّة، من باب التفتن فى البلاغَة.
[٣] وَ قسما ب النَّهَارِ إِذا تَجَلَّى أَى ظهر وَ بان وَ أضاء.

[٤] وَ قسما ب ما خَلَقَ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثَى «ما» إما موصولة، أَى الذى خلق، وَ المراد به الله سبحانه، وَ إنما جىء ب «ما» دون «من» لأن «من» فى الغالب يستعمل للبشر وَ نحوهم، وَ إما مصدرية أَى قسما يخلق الصنفين.

[٥] إِنَّ سَعْيَكُمْ أَيها الناس، فى الأمور، وَ تطلبكم للأشياء لَشَتَّى جمع شتيت كمرضى جمع مريض، أَى أنه مختلف، فمن طالب دنيا و من طالب آخرة، وَ الحلف على ذلك باعتبار ما يعقبه من النتائج، أَو لتبديد أوهام الزاعمين بأن السعى ليس إلا للدنيا فحسب، إذ ليس هناك آخرة.

[٦] فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى المال فى سبيل الله وَ اتَّقَى الكفر وَ المعاصى.

[٧] وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنَى أَى بالكلمة الحسنى، وَ هى الشهادتان، وَ حيث إن المقام كان فى الإِعطاء تقدم، ثم ذكر التقوى لأنه من أقسام الإِعطاء، ثم جاء دور العقيدة بعد ذين الأمرين.

[٨] فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى أَى سنهون عليه الطريقة اليسرى، وَ هى طريقة الطاعة، أَو نيسره للحياة اليسرى، أَى الأسهل، فإن من تبع نهج

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٨٨

[سورة الليل (٩٢): الآيات ٨ الى ١١]

وَ أَمَّا مَنْ بَخَلَ وَ اسْتَغْنَى (٨) وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠) وَ ما يُغْنِي عَنْهُ مالُهُ إِذا تَرَدَّى (١١)

الإسلام سهلت عليه الأمور لما فى الإسلام من المناهج السهلة الموجبة للسعادة و الرفاه يقال «يسره» إذا سهل عليه، و «يسرى» مؤنث

«أيسر» بمعنى الأسهل.

[٩] وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ بِمَالِهِ فَلَمْ يَنْفِقْهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاسْتَعْنَىٰ أَي طَلَبَ الْغِنَىٰ بِجَمْعِ الْمَالِ وَالبَخْلُ مِنْ إِنْفَاقِهِ.

[١٠] وَكَذَّبَ بِالْخُشْنَىٰ أَي بِالْكَلِمَةِ الْحَسَنَةِ، وَ هِيَ كَلِمَةُ الشَّهَادَتَيْنِ أَوْ الْمَرَادِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ «الْعِدَّةُ الْحَسَنَىٰ» وَ هِيَ الثَّوَابُ وَ الْجَنَّةُ.

[١١] فَسْتَيْسَّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ أَي سَهَوْنَ عَلَيْهِ الطَّرِيقَةَ الْأَعْسَرَ وَ هِيَ طَرِيقَةُ الْكُفْرِ، وَ هَذَا عَلَىٰ سَبِيلِ الْمَزَاجَةِ فِي الْكَلَامِ - مِنْ قَبِيلِ فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ «١»، إِذِ اللَّهُ سَبَحَانَهُ لَا يَسْهَلُ عَلَىٰ أَحَدٍ سَبِيلَ الْعُسْرِ، وَ إِنَّمَا الْمَرَادُ أَنَّهُ سَبَحَانَهُ يَخْلَىٰ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ مَا يَعْمَلُ -.

[١٢] وَ مَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ أَي لَا يَفِيدُهُ مَالُهُ الَّذِي يَخْلُ بِهِ إِذَا تَرَدَّىٰ أَي هَلَكَ وَ سَقَطَ فِي الْهَوَايَةِ.

روى أن رجلا كانت له نخلة فرعها في دار رجل فقير ذى عيال و كان الرجل إذا جاء فدخل الدار و صعد النخلة ليأخذ منها التمر فربما سقطت التمرة فيأخذها صبيان الفقير، فينزل الرجل من النخلة حتى يأخذ التمر من أيديهم، فإن وجدها في فم أحدهم أدخل إصبعه حتى يأخذ التمرة من فيه، فشكا ذلك الرجل إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم و أخبره بما يلقي من صاحب النخلة، فقال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: اذهب، و لقي رسول الله

(١) البقرة: ١٩٥. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٨٩

[سورة الليل (٩٢): الآيات ١٢ الى ١٣]

إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ (١٣)

صاحب النخلة فقال: تعطيني نخلتك المائلة التي فرعها في دار فلان و لك بها نخلة في الجنة؟ فقال له الرجل: إن لى نخلا كثيرا و ما فيه نخلة أعجب إلى تمره منها. قال: ثم ذهب الرجل، فقال رجل كان يسمع الكلام من رسول الله - و قيل اسمه أبو دحداح - يا رسول الله أ تعطيني ما أعطيت الرجل نخلة في الجنة إن أنا أخذتها؟ قال: نعم.

فذهب الرجل و لقي صاحب النخلة فساومها منه، فقال له:

أشعرت أن محمدا صلى الله عليه و آله و سلم أعطاني بها نخلة في الجنة فقلت له يعجبني تمرها و إن لى نخلا كثيرا فما فيه نخلة أعجب إلى تمره منها. فقال له الآخر أ تريد بيعها؟ فقال: لا إلا أن أعطى ما لا أظنه أعطى؟ قال: فما هناك؟ قال: أربعون نخلة، فقال الرجل: جئت بعظيم تطلب بنخلتك المائلة أربعين نخلة، ثم سكت عنه، فقال له: أنا أعطيك أربعين نخلة، فقال له: اشهد إن كنت صادقا، فمر إلى أناس، فدعاهم فأشهد له بأربعين نخلة، ثم ذهب إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم فقال: يا رسول الله إن النخلة قد صارت في ملكي، فهي لك. فذهب رسول الله إلى صاحب الدار، فقال له: النخلة لك و لعيالك، فأنزل الله تعالى «و الليل» فمن أعطى «أبو دحداح» و من بخل «صاحب النخلة»

«١».

[١٣] إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ أَي أَنَّ اللّٰهَ يَهْدِي عَلَى سَبْحَانِهِ - بِقَاعِدَةِ اللَّطْفِ - أَنَّ يَنْصَبُ الْأَدْلَةَ وَ يَرْسِلُ الرَّسَلَ، أَمَا الْإِتْبَاعُ وَ الْإِهْتِدَاءُ فَعَلَى النَّاسِ مِنْ شَاءَ اهْتَدَى وَ مِنْ شَاءَ بَقِيَ عَلَى ضَلَالِهِ.

[١٤] وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ أَي الدُّنْيَا، فَمَنْ اهْتَدَىٰ مِنْحَنَاهُ السَّعَادَةُ فِي

(١) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٦٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٩٠

[سورة الليل (٩٢): الآيات ١٤ الى ١٩]

فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَطَّىٰ (١٤) لَا يُصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَىٰ (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَ تَوَلَّىٰ (١٦) وَ سَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَىٰ (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨)

وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩)

الدارين، و من بقى على كفره حرم من خير الدنيا و سعادة الآخرة.

[١٥] فَانذَرْتُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ نَارًا تَلْظَى أَى تَلْظَى - حذفت إحدى تائيه لقاعدة اجتماع التائين على رأس المضارع- و معنى التلظى المتلهب و المتوقع و هذه النار عذابها أشد.

[١٦] لَا يَصِيلاها أَى لَا يَدْخُلُها مَلَازِمًا لَهَا إِلَّا الْأَشَقَى أَى الْأَكْثَرُ شَقْوَةً، وَ هُوَ الْكَاْفِرُ، مَقَابِلُ الْعَاصِي الَّذِي هُوَ أَقْلُ شَقْوَةً فَإِنَّهُ وَ إِنْ دَخَلَ النَّارَ لَكِنَّهُ لَا يَلَازِمُهَا.

[١٧] الَّذِي كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَ كَفَرَ بِهِ وَ تَوَلَّى أَى أَعْرَضَ عَنِ الْحَقِّ.

[١٨] وَ سَيُجْزَى أَيُّهَا النَّارُ، وَ يَجْعَلُ مِنْهَا عَلَى جَانِبٍ، وَ دَخُولُ «السَّيْنِ» لِكُونِ الْقِيَامَةِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ الْأَتَقَى أَى الْأَكْثَرُ تَقْوَى وَ هُوَ الْمُؤْمِنُ الْمَطِيعُ، وَ أَمَّا الْمُؤْمِنُ غَيْرُ الْمَطِيعِ فَإِنَّهُ يَدْخُلُ فِيهَا وَ إِنْ خَرَجَ بَعْدَ مَدَّةٍ.

[١٩] الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ أَى يَنْفِقُ مَالَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى يَتَزَكَّى أَى يَطْلُبُ الزَّكَاةَ وَ الطَّهَارَةَ بِإِعْطَاءِ مَالِهِ، فَإِنَّ الْإِنْفَاقَ يَطْهَرُ الْقَلْبَ مِنَ الرِّذَالِ.

[٢٠] وَ مَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى أَى لَا يَعْطَى الْأَتَقَى مَالَهُ لِأَنَّ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ إِحْسَانًا، يَرِيدُ بِهَذَا الْإِنْفَاقَ جِزَاءَ ذَلِكَ الْمَحْسَنِ، وَ «مَنْ» لِنَفْسِي

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٩١

[سورة الليل (٩٢): الآيات ٢٠ الى ٢١]

إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَ لَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)

الجنس ... و المراد أنه لا يعطى جزاء لإحسان، و إنما عطاؤه لوجه الله سبحانه.

[٢١] إِلَّا ابْتِغَاءَ أَيُّهُ طَلَبَ رِضَى وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى أَيُّهُ رِضَاهُ سَبْحَانَهُ، وَ إِنَّمَا أُضِيفَ إِلَى «وَجْهِ» لِأَنَّهُ الَّذِي يَظْهَرُ عَلَيْهِ أَثَرُ الرِّضَا فِي الْإِنْسَانِ، فَهُوَ مِنْ بَابِ تَشْبِيهِ الْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوسِ، وَ الْإِسْتِثْنَاءُ مَنْقُطِعٌ، وَ التَّقْدِيرُ لَا يَعْطَى مَالَهُ جِزَاءً، بَلْ إِنَّمَا يَعْطَى قَرْبَهُ إِلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ.

[٢٢] وَ لَسَوْفَ فِي الْآخِرَةِ، يَعْطِيهِ اللَّهُ مِنَ الثَّوَابِ وَ الْأَجْرِ مَا بِهِ يَرْضَى فَقَدْ وَرَدَ مَا مَعْنَاهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَعْطَى فِي الْجَنَّةِ بِمَا لَمْ يَخْطُرَ عَلَى قَلْبِهِ كَمَا وَ كَيْفًا.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٩٢

٩٣ سورة الضحى مكية / آياتها (١٢)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على لفظه «الضحى»، و هي كسائر السور المكية تعالج قضايا العقيدة، مع تركيز خاص بأمر الرسول صلى الله عليه وآله و سلم و حيث ختمت سورة الليل بأن الأتقى يعطى حتى يرضى، جاءت هذه السورة تبين ترضية الله سبحانه لنيه بما يعطيه من الأجر و الثواب.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الإله الذى هو الذات المستجمع لجميع صفات الكمال، الرحمن الرحيم الذى يرحم العباد بتكميل نواقصهم و غفران معاصيهم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٩٣

[سورة الضحى (٩٣): الآيات ١ الى ٦]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الضُّحَى (١) وَ اللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ مَا قَلَى (٣) وَ لِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤)

وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦)

[٢] وَالضُّحَى أى قسما بالضحى، و هو وقت ارتفاع الشمس فى كبد السماء بحيث يعم نورها، و الواو فى مثل هذه المواضع استثنائية لتمليح الكلام و توحيد السياق.

[٣] وَاللَّيْلِ أى قسما بالليل إذا سَجَى أى سكن و استقر ظلامه، فإن «السجوى» بمعنى السكون.

[٤] مَا وَدَّعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ رَبُّكَ أى ما ترك عنك الوحي توديعا لك، بأن يكون كالمفارق الذى يودع صديقه و ما قلى أى ما قلاك، بمعنى ما أبغضك، فإن القلى بمعنى المبغض.

روى عن الإمام الباقر عليه السلام إن جبرئيل أبطأ على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أنه كانت أول سورة نزلت «أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» ثم أبطأ عليه، فقالت خديجة: لعل ربك قد تركك فلا يرسل إليك؟ فأنزل الله تبارك و تعالى «مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ مَا قَلَى

«١».

[٥] وَلَلْآخِرَةُ «اللام» للتأكيد خَيْرٌ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ الْأُولَى أى الدنيا، فقد أعد لك الخير هناك، فكيف يتركك و يقلاك فى منتصف الطريق؟

[٦] وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فى الآخرة رَبُّكَ بما تشاء فَتَرْضَى من كثرة فضله و إحسانه، و من جملة ما يعطى صلى الله عليه و آله و سلم الشفاعة - كما لا يخفى.

[٧] ثم أخذ السياق يعدد بعض نعم الله سبحانه عليه سابقا ليؤكد أنه صلى الله عليه و آله و سلم

(١) تفسير القمى: ج ٢ ص ٤٢٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٩٤

[سورة الضحى (٩٣): الآيات ٧ الى ١١]

وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)

الآن فى وسط الطريق بين نعمه سبقت و نعمه تأتى فكيف يقلاه بعد ذلك؟ أَلَمْ يَجِدْكَ اللَّهُ يَتِيمًا قد مات أبوك فأوى أى آواك، و أعطاك مأوى و منزلا و عشيرة تأوى إليهم، فى حين أن اليتيم كان ذليلا مهانا لدى أهل الجاهلية؟

[٨] وَوَجَدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ضَالًّا قد تفردت فى أناس جاهلين كالشئء الثمين الذى يضل فى صحراء مقفرة فهدى الناس إليك فأخرجك عن الوحشة و التفرد حيث لا يهتدى الناس؟

[٩] وَوَجَدَكَ اللَّهُ عَائِلًا أى فقيرا لا مال لك فَأَغْنَى أغناك بالمال، كمال خديجة عليها السلام و غيره.

[١٠] و إذ قد ذاق الرسول مرارة اليتيم و الضلال و الفقر، فليحن على البائسين و يعطف على المنكوبين فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ أى لا تقهره يا رسول الله، بأن ترعجه و تظلمه. و الرسول و إن كان منزها عن ذلك لكن الأوامر و النواهي شاملة له كشمولها لغيره من سائر المكلفين.

[١١] وَأَمَّا السَّائِلَ الذى يسأل المال، و هو الفقير و من أشبهه فَلَا تَنْهَرْ أى لا تطرده خائبا، بل أعطه شيئا، أورده ردا جميلا.

[١٢] وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ التى أنعمها عليك، و المراد بها جنس النعمة - و من أعظمها الهداية - فَحَدِّثْ للناس، حتى تظهر فضله سبحانه فإنه بالإضافة إلى كونه شكرا، فهو تعليم للناس بأن لا يستروا النعم، كما جرت عادة الكثيرين، بأن يذكروا نواقص حياتهم، و لا يذكرون فضائله سبحانه عليهم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٩٥

٩٤ سورة الشرح مكية / آياتها (٩)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتغالها على لفظة «نشرح» كما تسمى سورة «ألم نشرح» و «الانشراح» أيضا، وهي كسائر السور المكية بصدد الأمور المرتبطة بالعقيدة مع تركيز خاص بأمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كالسورة السابقة، و حيث كانت سورة «الضحى» بصدد الأمر المتعلق بالرسول، جاءت هذه السورة معقبه لتلك.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ شروع باسم الإله الذى هو خير شعار للمعتقد به سبحانه، و هل شىء أحسن من جعله تعالى شعارا فى أول كل أمر؟ الرحمن الرحيم الذى يتفضل بالرحم على كل شىء، كما قال تعالى وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ «١».

(١) الأعراف: ١٥٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٩٦

[سورة الشرح (٩٤): الآيات ١ الى ٤]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤)

[٢] أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ يا رسول الله صَدْرَكَ و شرح الصدر توسعته بالأخلاق الفاضلة، فكأن صدر من لم يكن حليما أو سخيا أو عالما- أو ما أشبه- ضيق كالإناء الضيق الذى لا- يحتوى إلا على شىء قليل، و النسبة إلى الصدر لأن القلب الذى هو محل الفضائل فى الصدر، و لعل وجه ذلك أن الإنسان إذا ضاق بأمر حمى قلبه، فيحتاج إلى هواء أكثر لتبريد القلب، فتنتفخ الرئة انتفاخا كثيرا مما يضيق الصدر حسا، ثم أن فى الاستفهام حلاوة ليس فى الإخبار.

[٣] وَوَضَعْنَا أى حططنا عَنكَ يا رسول الله وِزْرَكَ أى حملك الثقيل، فإن «الوزر» هو الحمل، و ذلك بشرح صدرك حتى لا يثقل عليك حمل التبليغ، و هذا ما يحسه كل إنسان مرشد، فإنه فى أول أمره يرى حملا ثقيلا عليه من جراء الإرشاد، ثم يتسع صدره- بفضل سبحانه- و يحس كأنه وضع عنه الثقل، حتى يشعر أحيانا بأنه لا حمل إطلاقا.

[٤] الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ من ثقله، و «أنقض» بمعنى أسمع الصوت فإن الإنسان إذا حمل حملا- ثقيل سمع لظهره فرقعة، و هذا هو الإنقاض- و ذلك من باب التشبيه للمعقول بالمحسوس-.

[٥] وَرَفَعْنَا لَكَ يا رسول الله ذِكْرَكَ حتى يعرفك كل أحد بالصدق و الأمانة و ما أشبه ذلك، هذا بالإضافة إلى ما رفعه سبحانه- بعد ذلك- من ذكره فى المآذن و غيرها.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٩٧

[سورة الشرح (٩٤): الآيات ٥ الى ٦]

فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦)

[٦] و إذ تقدم بيان أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم صار فى اليسر بعد ما كان فى العسر، جاء السياق يؤكد هذه الحقيقة فى مختلف أدوار الحياة لكل إنسان فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا فإذا عسر الأمر على الإنسان و اشتد كان لا بد و أن يأتى بعده يسر و سهولة.

[٧] إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا هذا للتأكيد، مع أن فيه تأسيسا، و هو كون «يسر» الثانى غير «يسر» الأول لأنه منكر، بخلاف «العسر» فى الموضوعين فإنه واحد، لكون اللام- سواء كان للعهد أو الجنس- توجب الإشارة إلى الحصه المعهودة، و لذا لو قلت «اشترت فرسا ثم بعت الفرس» فهم ان المبيع هو المشتري و لو قلت «اشترت فرسا ثم بعت فرسا» فهم أن المبيع غير المشتري.

وقد روى أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خرج مسرورا فرحا وهو يضحك ويقول:
لن يغلب عسر يسرين فان مع العسر يسرا، إن مع العسر يسرا
«١».

أقول: وقد نظم الشاعر ذلك بقوله:
إذا ضاقت بك الدنيا تفكر في ألم نشرح تجد يسرين مع عسر إذا ذكرتها تفرح

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٣٩٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٩٨

[سورة الشرح (٩٤): الآيات ٧ الى ٨]

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)

[٨] فَإِذَا فَرَغْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ أُمُورِكَ الْخَاصَّةِ فَمَانُصِبْ فِي الدُّعَاءِ وَالْعِبَادَةِ، مِنْ «النَّصَبِ» بِمَعْنَى التَّعَبِ، أَيْ أَتَعَبَ نَفْسَكَ فِي الْإِسْتِغَالِ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ.

[٩] وَإِلَى رَبِّكَ وَحْدَهُ فَارْغَبْ أَيْ اجْعَلْ رَغْبَتَكَ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي سَهَّلَ عَلَيْكَ الْأَمْرَ، وَيَسَّرَ الْحَمْلَ الثَّقِيلَ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٦٩٩

٩٥ سورة التين مكية / آياتها (٩)

سميت السورة بذلك، لاشتمالها على لفظة «التين»، وهي كسائر السور المكية بصدد بيان الأمور المرتبطة بالعبادة، وحيث ختمت سورة «الإنشراح» بالرغبة إليه سبحانه جاءت هذه السورة لتؤكد بأن الله هو أحكم الحاكمين وأن بيده الأمور، فالرغبة إليه توجب حسن الجزاء.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم «الله» الذي هو علم للذات المستجمع لجميع صفات الكمال، الرحمن الرحيم الذي يتفضل بالرحمة لكل عباده، ترغيبا لهم في أن يطلبوا من واسع فضله ورحمته.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٠٠

تقريب القرآن إلى الأذهان ج ٥ ٧٦٣

[سورة التين (٩٥): الآيات ١ الى ٥]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَ الزُّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَ هَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤)

ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥)

[٢] وَالتِّينِ وَ الزُّيْتُونِ أَيْ قَسَمًا بِهَاتَيْنِ الْفَاكِهَتَيْنِ، وَ إِنَّمَا جَاءَ الْحَلْفُ بِهِمَا لِكَثْرَتِهِمَا فِي الشَّامِ وَ حَوَالِيهَا الْمُبَارَكَةِ- الَّتِي يَرَادُ التَّلْمِيحَ إِلَيْهَا لِكُونِهَا مَبْعَثَ الْأَنْبِيَاءِ وَ مَهْبَطَ مَلَائِكَةِ السَّمَاءِ-.

[٣] وَ قَسَمًا بِ طُورِ سِينِينَ يَعْنِي الْجَبَلَ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى وَ «سِينِينَ» وَ «سِينَاءَ» لَغْتَانِ فِيهِ فَالْقِسْمُ بِرِزْقِ اللَّهِ الْمَادِي الْفَوَاكِهَ، وَ فَضْلَهُ الْمَعْنَوِي الرَّسَالَاتِ.

[٤] وَ قَسَمًا بِ هَذَا الْبَلَدِ وَ هُوَ مَكَّةُ الْأَمِينِ الَّذِي يَأْمَنُ فِيهِ الْخَائِفُ، فَكَأَنَّهُ لَا يَخُونُ وَارِدَهُ بِإِهْلَاكِهِ وَ إِيْذَاءِ.

[٥] لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ هَذَا جَوَابُ الْقِسْمِ، وَ التَّقْوِيمُ بِمَعْنَى تَصْيِيرِ الشَّيْءِ عَلَى مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ مِنَ التَّأْلِيفِ وَ

التعديل يعنى الإنسان مخلوق فى أحسن طراز من جهة حواسه و ظواهره، و من جهة مشاعره و أجهزته، و هذا يناسب القسم، لأن الكل إحسان و إفضال ففاكهة، و وحى، و إنسان ينتفع بهما فى ماديته و معنوياته.

[٦] ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَى أَرْجَعْنَا الْإِنْسَانَ أَشْفَلَ سَافِلِينَ أَى تَرَكَاهُ و لم نلطف به الألطاف الخفية حتى تردى فى أبعد مهوى، و صار فى أسفل من كل إنسان، و المعنى أن الإنسان له شأنية هذا النحو من التردى إذا أعرض عن الإيمان و الهدى و اتبع الأهواء و الشهوات.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٠١

[سورة التين (٩٥): الآيات ٦ الى ٨]

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالَّذِينَ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (٨)
[٧] إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ الْمَلَاظِمَةَ لِاجْتِنَابِ السَّيِّئَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَثَوَابٌ فِي الْآخِرَةِ غَيْرُ مَمْنُونٍ أَى غير مقطوع بل متواصل دائم إلى الأبد، من «مَنْ» بمعنى قطع.

[٨] فَمَا يُكَذِّبُكَ أَيهَا الْإِنْسَانَ بَعْدَ أَى بعد هذه الحجج والآيات و بيان طرفى الإنسان صعودا و هبوطا بالَّذِينَ أَى بالجزاء، و المعنى ما الذى يسبب أن تكذب بالجزاء بعد أن عرفت الرفعة و الانحطاط فى الإنسان، كما لو بين الأستاذ مضره الرسوب و منفعة النجاح يتساءل ما الذى يوجب للتلميذ أن يترك درسه؟

[٩] أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ أَى أحسن حكما من كل حاكم، حيث قرر للإنسان هذين النوعين من الجزاء، فمن أحسن له أجر غير ممنون و من أساء فهو يتردى فى مهاوى الانحطاط.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٠٢

٩٦ سورة العلق مكية / آياتها (٢٠)

و هى أول سورة نزلت على الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بمكة على المشهور، و سميت بهذا الاسم لاشتمالها على لفظة «علق»، و هى كسائر السور المكية بصدد الأمور المرتبطة بالعقيدة و ما إليها، و إذ تقدم فى تلك السورة ذكر خلق الإنسان فى أحسن تقويم، جاءت هذه السورة مؤكدة لذلك.

ولا يخفى أن ترتيب السور - كما ورد - إنما كان بأمر الرسول صلى الله عليه و آله و سلم كما أن إدخال كل آية فى سورة خاصة كان كذلك، و تسميتها بأسمى خاصة أيضا بأمره صلى الله عليه و آله و سلم، و هذا لا ينافى النزول على غير هذا الترتيب.

و أما ما صنعه «أبو بكر» و «عثمان» حتى اشتهر بأنهما جمعا القرآن، فإنما كان كل إنسان كتب بعض القرآن فى زمن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بمقدار ما سمع، فهما ردا الجميع إلى أصل واحد هو المنظم المرتب على ترتيب الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، كما لو فرضنا أن كتاب أحد المؤلفين قسم إلى أجزاء و بيد كل شخص جزء، ثم جاء شخص، و جمع الكل على

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٠٣

نسق كتابه، و جاء بعده آخر فأحرق الناقصات و أمر بلزوم أن يكون الكتاب المتداول بلا زيادة أو نقصان - و للكلام تفصيل ذكرناه فى بعض ما كتبناه -.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الله، الذى لا أحق بالابتداء منه، فإن بيده الابتداء و الانتهاء، و هو المبدئ و المعيد، الرحمن الرحيم الذى يتفضل بالرحمة لكل إنسان و لكل شىء.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٠٤

[سورة العلق (٩٦): الآيات ١ الى ٦]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤)
عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِيَطْغَى (٦)

[٢] أَقْرَأْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، القرآن مصاحبا قراءتك باسم رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ فإذا قرأ كل إنسان ما يقرأ بدون اسم الله، فأنت أقرأ مع اسم الله، وفي الحديث أن جبرئيل نزل على الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في جبل «حراء» بمكة.
فقال: «أقرأ» قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أقرأ و لست أنا بقارئ فقال عليه السلام:
«أقرأ...»
«١».

[٣] خَلَقَ الْإِنْسَانَ تخصيص بعد التعميم، فإن «خلق» الأول حيث حذف متعلقه أفاد العموم مِنْ عَلَقٍ و العلق هو الدم المنجمد الذي ينقلب المنى إليه، بعد استقراره في الرحم، وهذا هو بدء الإنسان.
[٤] أَقْرَأْ للتأكيد في القراءة وَرَبُّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هو الْأَكْرَمُ من كل كريم، و من كرمه خلق الإنسان من تلك العلقة القذرة، و أوصله إلى المقامات الرفيعة.
[٥] الَّذِي عَلَّمَ الْإِنْسَانَ المعارف أو العلوم بسبب القلم فلو لا- خلقه للقلم و تعليمه للإنسان الكتابة لبقى الإنسان في دياجير الجهل و الرذيلة، فمنه سبحانه «القراءة» ف «أقرأ...» و منه الكتابة فعلم «بالقلم» و منه البدء «من علق» و منه الإيصال إلى الكمال.
[٦] عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ من أنواع العلوم و المعارف.
[٧] و هل يشكر الإنسان هذا الفضل العظيم لله سبحانه، حيث أوجده من

(١) راجع بحار الأنوار: ج ١٨ ص ١٧٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٠٥

[سورة العلق (٩٦): الآيات ٧ إلى ١٠]

أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرَّجْعِي (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠)

العدم إلى أن أبلغه إلى غاية الكمال الجسدى، و قد كان جاهلا ضالا فأبلغه رتبة العلم و الهدى؟ كَلَّا لا يشكر الإنسان، ف إِنَّ الْإِنْسَانَ لِيَطْغَى يتجاوز حدوده و يتكبر على ربه.

[٨] ل أَنْ رَأَاهُ أى حين رأى نفسه اسْتَغْنَى فى جسمه و ماله و يظن أنه غنى بعد ذلك فلا يحتاج إلى ربه.

[٩] إِنَّ إِلَى رَبِّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجْعِي مصدر «رجع»، أى رجوع الخلق، و يرجع إليه تعالى- أى إلى جزائه و حسابه- فيمن يرجع هذا الطاغى الذى طغى على الله سبحانه.

[١٠] أَرَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الَّذِي طَغَى عَلَى اللَّهِ، حتى أنه يَنْهَى

[١١] عَبْدًا إِذَا صَلَّى فإنه لم يكتف بطغيانه على الله فى تركه الصلوة- بنفسه- حتى أصبح ينهى سائر العباد إذا قاموا للصلوة؟ أ رأيت هذا الإنسان يا رسول الله؟ و هذا استفهام لتوبيخ ذلك الشخص الناهى و تهديده.

قال القمى: كان الوليد بن المغيرة ينهى الناس عن الصلوة و أن يطاع الله و رسوله، فنزلت هذه الآية «١».

و فى رواية أخرى أن أبا جهل قال: هل يغير محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم. قال: فبالذى يحلف به لئن رأيتك يفعل ذلك لأطأن على رقبتك، فقيل: ها هو ذلك يصلى، فانطلق ليطأ على رقبة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فما جاءهم إلا و هو ينكص على عقبيه و يتقى بيديه، فقالوا: ما لك يا أبا الحكم؟ قال:

(١) تفسير القمى: ج ٢ ص ٤٣٠. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٠٦

[سورة العلق (٩٦): الآيات ١١ الى ١٥]

أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (١٤) كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَه لَنْشَفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥)

رأيت بيني وبينه خندقا من نار و هو لا و أجنحة، و قال الرسول صَلَّى الله عليه و آله و سلم:

و الذى نفسى بيده لو دنى منى لا لاخطفته الملائكة عضوا عضوا «١»، فأنزل سبحانه «أ رأيت ...»

و كأن التقدير أ رأيت المانع عن الصلاة؟

و هل علمت ماذا يكون جزاؤه؟ لبيان عظمه هذا العمل من حيث الإثم.

[١٢] أَرَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ الْعَبْدُ الَّذِي صَلَّى - وَ هُوَ الرَّسُولُ - عَلَى الْهُدَى وَ كَانَتْ صَلَاتُهُ حَسْبَ أَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ؟

[١٣] أَوْ أَمَرَ ذَلِكَ الْعَبْدَ بِالتَّقْوَى وَ الْمَخَافَةِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ؟ مَاذَا كَانَ مُصِيرَ ذَلِكَ لَهُ؟ أَلَيْسَ مُصِيرُهُ إِلَى الْعَذَابِ وَ

النكال؟

[١٤] أَرَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَذَّبَ ذَلِكَ النَّاهِي - وَ هُوَ أَبُو جَهْلٍ أَوْ الْوَلِيدُ - بِآيَاتِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَوَلَّى أَى أَعْرَضَ عَنِ الْحَقِّ، مَا هِيَ

عاقبته؟

[١٥] أَلَمْ يَعْلَمَ ذَلِكَ النَّاهِي بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى عَمَلَهُ وَ نَهَيْهِ عَنِ الصَّيْلَةِ وَ كَذْبِهِ وَ تَوَلِيهِ؟ وَ لَمْ يَعْلَمْ جَزَاءَ هَذِهِ السَّيِّئَاتِ؟ فَإِنَّهُ كَيْفَ يَنْهَى وَ

يكفر و يعصى، و جزاء من يفعل ذلك النار و النكال؟

[١٦] كَلَّا لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا تَوْهَمُ مِنْ أَنَّهُ لَا جَزَاءَ عَلَى أَعْمَالِهِ السَّيِّئَةِ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهْ هَذَا النَّاهِي عَنْ أَعْمَالِهِ وَ سَيِّئَاتِهِ لَنْشَفَعًا بِالنَّاصِيَةِ أَى

لنجرته بناصيته إلى النار، من «سفع» بمعنى جذب الشيء جذبا شديدا، «و الناصية» هى شعر مقدم الرأس، فإنه أسهل للأخذ و أوجب

لانقياد المأخوذ.

(١) بحار الأنوار: ج ٩ ص ١٧٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٠٧

[سورة العلق (٩٦): الآيات ١٦ الى ١٩]

نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَ اسْجُدْ وَ اقْتَرِبْ (١٩)

[١٧] نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ نَسْبَةُ الْكُذْبِ وَ الْخَطَا إِلَى النَّاصِيَةِ مَجَازٌ بِاعْتِبَارِ عِلَاقَةِ الْجِزْءِ وَ الْكُلِّ، كَمَا أَنَّ نَسْبَةَ الْإِيمَانِ إِلَى الرَّقْبَةِ فِي قَوْلِهِ

رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ «١» كَذَلِكَ وَ الْمُرَادُ أَنَّ صَاحِبَ النَّاصِيَةِ كَاذِبٌ فِي أَقْوَالِهِ خَاطِئٌ فِي أَعْمَالِهِ.

[١٨] فَلْيَدْعُ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ النَّاهِي نَادِيَهُ أَى أَهْلَ مَجْلِسِهِ وَ أَصْدِقَائِهِ، فَإِنَّ «النَّادِي» هُوَ مَحَلُّ الْاجْتِمَاعِ، الَّذِي يَنَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَيْهِ، وَ

نَسْبَةُ النَّدَاءِ إِلَيْهِ مَجَازٌ مِنْ بَابِ «أَسْأَلَ الْقَرِيَةَ» يَعْنِي يَدْعُوهُمْ لِخُلُوصِهِمْ فَهَلْ يَتِمَكَّنُونَ إِنْقَاذَهُ مِنْ بَطْشِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ؟

قال ابن عباس لما أتى أبو جهل رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم انتهره الرسول صَلَّى الله عليه و آله و سلم، فقال أبو جهل: أ

تنتهرنى يا محمد فو الله لقد علمت ما بها أحد أكثر ناديا منى؟ فأنزل الله هذه الآية.

[١٩] سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ يَعْنِي إِنَّا نَدْعُو الْمَلَائِكَةَ الْمُوَكَّلِينَ بِالنَّارِ لِقَبْضِ ذَلِكَ الشَّخْصِ النَّاهِي، وَ لِيَدْعُ هُوَ نَادِيَهُ، حَتَّى يَظْهَرَ أَيْنَا يَغْلِبُ الْآخَرَ.

و هذا تهديد له بأنه لا- منقذ له من بطشه سبحانه، و «الزبانية» جمع «زبينة» و هى النفس التى تدفع، من «الزبن» بمعنى الدفع، فإن

الملائكة يدفعون المجرمين إلى النار دفعا.

[٢٠] كَلَّا لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمَ هَذَا النَّاهِي، فَ لَا تَطِعُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي تَرْكِ الصَّيْلَةِ الَّتِي يَنْهَى عَنْهَا وَ اسْجُدْ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، أَوْ بِمَعْنَى

أخضع له بالصلاة ونحوها وأقرب من رضوان الله بطاعته وعبادته من «القرب». و سورة اقرأ إحدى «العزائم» الأربع، وهذه هي آية السجدة.

(١) النساء: ٩٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٠٨

٩٧ سورة القدر مكية أو مدنية / آياتها (٦)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على لفظه «القدر»، وهي إما مكية- كما يظهر من سياقها- أو مدنية، وعلى أي حال ترتبط بقضايا العقيدة و إذ ختمت سورة «العلق» بذكر الاقتراب منه سبحانه، بينت في هذه السورة إن الاقتراب إليه في ليلة القدر أفضل من الاقتراب إليه سبحانه في سائر الأوقات.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نستعين باسم الإله، ليكون عوناً لنا في أمورنا، الرحمن الرحيم الذي يرحم العباد و يتفضل عليهم بما يسترزلهم و يسد خللهم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٠٩

[سورة القدر (٩٧): الآيات ١ الى ٢]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢)

[٢] إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ أَي الْقُرْآن - المعلوم من السياق- و الإتيان بلفظ الجمع في «إِنَّا» و «أَنْزَلْنَا» باعتبار التعظيم، فقد كان المتعارف أن يتكلم كل رئيس عن نفسه و عن أتباعه، ثم أستعير «الجمع» في كل تعظيم في لَيْلَةِ الْقَدْرِ و هي «التاسعة عشرة» أو «الواحدة و العشرون» أو «الثالثة و العشرون» من شهر رمضان المبارك، فقد نزل القرآن بجملته إلى البيت المعمور- في السماء الرابعة- في إحدى هذه الليالي الثلاث، ثم نزل منجماً على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في ظرف ثلاث و عشرين سنة، أو المراد أن إنزاله على قلب الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان في هذه الليلة، و إنما إتيان جبرئيل به أقساطاً من السماء- بمناسبات- كان في ظرف ثلاث و عشرين سنة، و سميت الليلة ب «القدر» لتقدير أعمال العباد في هذه الليلة.

و قد ورد في الأحاديث ان في هذه الليلة من كل سنة تنزل أفواج من الملائكة بالتقديرات لتلك السنة، إلى الإمام الحى من الأئمة الإثنى عشر عليهم السّلام بعد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيعلم الإمام بما قدر الله سبحانه للخلائق من الآجال و الأرزاق و الأعمال و سائر الأمور المرتبطة بهم «١»، و هذا لا يعنى أنهم كالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في نزول الوحي، فقد نزل جبرئيل على مريم و ليست رسولا بل هو تشریف من الله سبحانه للإمام الذى هو خليفة في أرضه بعد الرسول، و فى دورنا تنزل الملائكة بالتقديرات- فى ليلة القدر- على الإمام المهدي المنتظر «عجل الله فرجه».

[٣] وَمَا أَدْرَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ أَيُّهَا السَّامِعُ مَا هِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ؟

و هذا لتعظيم شأنها.

(١) راجع بحار الأنوار: ج ٨٢ ص ٥٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧١٠

[سورة القدر (٩٧): الآيات ٣ الى ٥]

لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ (٥)

[٤] لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ يعنى أن الأعمال الصالحة فى ليلة القدر خير من العمل الصالح فى ألف شهر- التى هى أكثر من ثمانين سنة- فإن الأزمان إنما تفضل بعضها على بعض بما يقع فيها من الأعمال أو المعنى أن تلك الليلة التى نزل فيها القرآن، خير من ألف شهر لما حدث فيه من أمر عظيم هو نزول القرآن.

[٥] تَنْزَلُ أَسْوَءُ «تنزل» حذفت إحدى تائيه على القاعدة- كما سبق- الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ وَهُوَ مَلَكٌ عَظِيمٌ، أو جبرئيل عليه السّلام فيها أى فى تلك الليلة بِإِذْنِ رَبِّهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ يُأْذِنُ لَهُمْ فِى النُّزُولِ عَلَى الرَّسُولِ وَالإِمَامِ لِبَيَانِ مَقَدَّرَاتِ الْعِبَادِ فِى تِلْكَ السَّنَةِ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ فَقَدْ جَاءَ جِبْرَائِيلُ وَسَائِرُ الْمَلَائِكَةِ إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِى تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَمَعَهُمْ كُلُّ أَمْرٍ مَرْبُوطٍ بِالأَرْضِ مِنَ الْهُدَايَةِ وَالإِرشَادِ، وَالتَّنْظِيمِ وَالتَّقْيِينِ وَالسَّعَادَةِ وَالخَيْرِ؟ وَكَذَلِكَ يَأْتُونَ فِى كُلِّ سَنَةٍ إِلَى الإِمَامِ الْحَى بِذَلِكَ كَلَهُ.

[٦] سَلَامٌ هِيَ أى تلك الليلة، فقد قدر فيها منهاج السّلام العام للعالم، سلامة الروح عن الأوضار، و سلامة الجسم عن الأمراض، و سلامة المجتمع عن المفساد، و سلامة العقل عن الخرافة. أو المعنى أن الليلة هى سلام، بمعنى كونها سالمة عن البلايا والآفات، فلا يقدر فيها إلا- السّلام حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ انْتَهَى نَزْلُ الْمَلَائِكَةِ، وَيَتِمُّ الأَمْرُ، كما حين طلع الفجر من ليلة نزول القرآن انتهت نزل الملائكة و قدر الأمر. و من المستحب الدعاء و الضراعة فى هذه الليلة، تذكر لابتداء الوحي، و طلباً لأن يقدر فيها الخير، بالنسبة إلى السنة المقبلة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧١١

٩٨ سورة البينة مدنية أو مكية / آياتها (٩)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتغالها على لفظه «البينة» و هى كسائر السور المكية تعالج قضايا العقيدة، و هناك قول آخر بأنها مدنية، و فيها بعض إماراتها. و حيث بينت سورة القدر أن القرآن نزل فى ليلة القدر، جاءت هذه السورة تبين أن الكفار لم يزالوا على كفرهم و ضلالهم، حتى أتاهم القرآن، فاهتدى بعضهم به.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم «الله» الذى هو الذات المستحق لكل تجلئ و إعظام، الرحمن الرحيم، الذى يرحم كل شىء بإعطائه خلقه ثم هدايته إلى طريق حياته، و يرحم الإنسان بصورة خاصة بإرشاده و غفران خطئه إن تاب و أناب.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧١٢

[سورة البينة (٩٨): الآيات ١ الى ٣]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ (٣)

[٢] لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يعنى اليهود و النصارى و المجوس، و الوصف ليس للتصنيف بل للبيان، فإن كل أهل الكتاب قد كفروا بنسبتهم إلى الله الولد و الشريك و توصيفهم له بما لا يليق بجلال شأنه و من المُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ وَعَبَدُوا الأَصْنَامَ مَعَهُ مُنْفَكِينَ أى منتهين عن كفرهم، من «انفك» بمعنى زال عنه، و ابتعد حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ أى الحجة الظاهرة- و هو القرآن الكريم، و الرسول العظيم- إذ لا مجال لهم فى عرفان الحقائق بعد ما حرّفوا كتبهم و بدلوا دينهم.

[٣] ثم بين المراد بالبينة بقوله: رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ أى من طرفه سبحانه يَتْلُوا وَ يَقْرَأُ عَلَيْهِمْ صُحُفًا مُطَهَّرَةً هى صحائف القرآن الحكيم التى طهرت عن الكفر و الشرك و نسبة ما لا يليق إلى الله و إلى أنبيائه، فإن النبى و إن كان يتلو عن ظهر القلب لكنه كان يقرأ عن اللوح المحفوظ عكس كتاب العهدين.

[٤] فيها أى فى تلك الصحف كُتِبَ قِيَمَةٌ «الكتاب» يستعمل بمعنى الموضوع، كما يقال: كتاب الصلاة، وكتاب الحج، يراد موضوعهما- ولذا نرى كتاب الصلاة، مثلاً- فى ضمن كتاب «شرائع الإسلام للمحقق»، أو أن الكتاب بمعنى المكتوب، و هو فى الصحيفة، يعنى أن تلك الصحف تشتمل على موضوعات ذات قيمة و ثمن، أو بمعنى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧١٣

[سورة البينة (٩٨): الآيات ٤ الى ٦]

وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيُعْبَدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ (٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) ذات استقامته، فإن القيمة بمعنى المستمرة فى جهة الصواب.

[٥] وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ أى أعطوا الكتاب السماوى إلا من بعد ما جاءتهم البينة أى الحجج الواضحة، والمعنى أن أهل الكتاب إنما اختلفوا- فى أمر الرسول أو أمر دينهم السابق بأن صار لكل فئة مذهب و طريقة- بعد أن تمت عليهم الحجج و عرفوا الصواب، وإنما اختلفوا بغيا و حسدا.

[٦] وَ الْحَالُ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْهُمْ إِلَّا بِعِبَادَتِهِ وَ اتِّبَاعِ طَرِيقَتِهِ، فَإِنَّهُمْ مَا أُمِرُوا إِلَّا لِيُعْبَدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ فِي حَالِ كَوْنِهِمْ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ أى يخلصون الطريقة لله سبحانه، بلا- زيادة أو نقصان، أو شرك أو انحراف، فى حال كونهم حنفاء جمع حنيف، أى مائلين عن الأديان الباطلة و الطرائق الزائفة، من «حنف» بمعنى مال و يُقِيمُوا الصَّلَاةَ أى يداوموا على إقامة الصلاة و يُؤْتُوا الزَّكَاةَ أى يعطوها، و المراد بها إما مطلق الإعطاء، أو الزكاة المفروضة. فقد فرضت الزكاة فى الأديان السابقة- و ذلك الدين المشتمل على هذه الأمور المذكورة دِينُ الْقِيَمَةِ أى دين الكتب القيمة- التى تقدم ذكرها- بمعنى أنه الدين المذكور فى تلك الكتب.

[٧] إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ اسْتَمَرُوا عَلَى كُفْرِهِمْ فَلَمْ يُؤْمِنُوا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧١٤

[سورة البينة (٩٨): الآيات ٧ الى ٨]

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨)

بالرسول صلى الله عليه و آله و سلم و من المُشْرِكِينَ بأن استمروا فى شركهم يكونون فى نارِ جَهَنَّمَ فى الآخرة حال كونهم خالدين فيها أى فى النار إلى الأبد أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ أى شر الخلق، فإن البرية هى الخليقة، من برأ بمعنى خلق و أنشأ.

[٨] إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أى الأعمال الصالحة، الملازمة لعدم الإتيان بالأعمال الفاسدة أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ أى الأفضل من جميع الخلق، و فى مقابلهم من آمن و عصى، فإنه ليس بذلك الشر و لا بذلك الخير.

[٩] جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ أى المحل الذى أعده للحساب و الجزاء فإنه سبحانه لا مكان له جَنَّاتٌ عَدْنٍ أى بساتين إقامة، من «عدن» بالمكان إذا أقام فيه تجرى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أى من تحت أشجارها و قصورها، أنهار من عسل و خمر و لبن و ماء خالدين فيها أى فى تلك الجنات أبداً دائماً لا- يزولون عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حيث عبدوه و أطاعوه وَرَضُوا عَنْهُ حيث أكرمهم و تفضل عليهم بالخير و السعادة ذلك الثواب و الفضل لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ أى خافه فلم يعصه و لم يرتكب ما يخالف أوامره.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧١٥

٩٩ سورة الزلزلة مدنية أو مكية / آياتها (٩)

و تسمى سورة «الزلزال» أيضاً، لاشتمالها على كلمة «زلزلت»، و فى كونها مدنية أو مكية خلاف لكنها تعالج قضايا العقيدة، و هى التى

تؤكد كونها مكيّة، و حيث ختمت سورة «البينة» بجزء المطيعين في الجنان، و العاصين بالنيران، افتتحت هذه السورة بذكر أشراف الساعة، و علائم القيامة، التي هي يوم الفصل و الجزاء.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الله الذي هو الأول، فلا شيء قبله و معه، تطابقا للشروع في الشيء مع الخارج، بجعل اسم الله سبحانه شعارا، الرحمن الرحيم الذي يتفضل بالرحمة لمن استرحمه، و لمن لم يسترحمه، و إن كان فرق بينهما في زيادة التفضل و المثوبة و ما أشبه.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧١٦

[سورة الزلزلة (٩٩): الآيات ١ الى ٦]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَ قَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُخْبِرُهَا أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦)

[٢] إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا أى حركت تحركها الشديد، و اضطربت اضطرابا عظيما.

[٣] وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا كل ما فيها من الأشياء الثقيلة، من معادن و دفائن و أموات و أشباه ذلك، فإنها تلقيها على ظهرها عند قيام الساعة.

[٤] وَ قَالَ الْإِنْسَانُ متعجبا من هذه الحوادث: ما لها أى ما للأرض تتزلزل و تضطرب و تخرج ما فى بطنها؟! [٥] يَوْمَئِذٍ أى فى ذلك اليوم- و هو يوم القيامة- تُخْبِرُهَا أَخْبَارَهَا

ورد عن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال أ تدرّون ما أخبارها؟ قالوا:

الله و رسوله أعلم. قال: أخبارها أن تشهد على كل عبد بما عمل على ظهرها.

[٦] كل ذلك الزلزال و الإخراج و الحديث يصدر من الأرض بسبب أن ربك يا رسول الله أوحى لها أى للأرض بأن تعمل ذلك، و السماء و الأرض مطيعتان لله سبحانه فيما يأمر، كما قال سبحانه (قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) «١».

[٧] يَوْمَئِذٍ أى فى ذلك اليوم يَصُدُّرُ النَّاسُ أى يرجع الناس من قبورهم إلى المحشر أشتاتاً جمع «شتيت» أى متفرقين، بعضهم

(١) فصلت: ١٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧١٧

[سورة الزلزلة (٩٩): الآيات ٧ الى ٨]

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)

لعاقبة حسنة و بعضهم لعاقبة سيئة لِيُرَوْا- على البناء للمفعول- أى حتى يريهم الله أعمالهم التي عملوها و يجازى كل على عمله.

[٨] فَمَنْ يَعْمَلْ فى الدنيا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ أى بقدر ثقل ذرة- و هى الهباءة التى ترى فى الشمس إذا دخلت من الكوة فى المحل المظلم- خَيْرًا يَرَهُ أى يرى جزاء ذلك الخير، فى ذلك اليوم.

[٩] وَ مَنْ يَعْمَلْ فى الدنيا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا من الكفر و العصيان يَرَهُ فى ذلك اليوم، و لا يظلم أحد شيئا، إلا أن يدرك عامل الشر شفاعته، إن كان من أهلها، أو عامل الخير إحباطا، لأنه أتى بسيئته تحبط أعماله.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧١٨

١٠٠ سورة العاديات مدنية أو مكية / آياتها (١٢)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على لفظه «العاديات»، وهى كسائر السور المدنية تلمح إلى الأمور المرتبطة بالنظام إلى جنب العقيدة، وهذه السورة نظير السورة السابقة فى ذكر الجزاء.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نَشْرَعُ بِاسْمِ اللَّهِ، لِيَكُونَ شَرْعًا مَبْرُكًا، فَإِنَّهُ لَا يَبْدَأُ شَيْءًا بِاسْمِ اللَّهِ إِلَّا كَانَ الْخَيْرَ قَرِينَةً بِلُطْفِهِ وَفَضْلِهِ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، الَّذِي يَرْحَمُ الْعِبَادَ وَيُفَضِّلُ عَلَيْهِمُ بِالْإِحْسَانِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧١٩

[سورة العاديات (١٠٠): الآيات ١ الى ٥]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَنْزَلْنَاهُ نَقْعًا (٤)

فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥)

[٢] وَالْعَادِيَاتِ أى قسما بالأفراس التى تعدو فى سبيل الله للجهاد ضَبْحًا أى تضحج ضبحا، «و الضبح» هو صوت الجوف الذى يسمع من الخيل حين تعدو.

[٣] فَالْمُورِيَاتِ أى قسما بالموريات، و الفاء للترتيب فى الكلام أى الخيل التى تورى النار و تظهرها، بوطء حوافرها على الأحجار قَدْحًا مثل نار الزناد إذا قدح، تقدح قدحا أى تضرب ضربا يقال أورى القادح النار: إذا أظهرها.

[٤] فقسما بالمغيرات أى الأفراس التى أغارت على العدو صُبْحًا بعد أن سار المجاهدون ليلا، حتى إذا أصبحوا أغاروا.

[٥] فَأَنْزَلْنَاهُ نَقْعًا أى غبارا، يعنى أن تلك الخيل أثارت بذلك المكان الغبار الكثير لمطاردتها الأعداء، و «نون» جمع المؤنث يأتى للعاقلة و غير العاقلة- كما سبق-.

[٦] فَوَسَطْنَ تلك الأفراس به أى بذلك المكان جَمْعًا أى صرن فى وسط ذلك المكان، حتى فتحوا على العدو، إذ حصلوا فى وسطهم و أحدثوا الفوضى و الاضطراب فيهم على حين غرة، و هذه الآيات نزلت فى «غزوة ذات السلاسل». و هى كما فى كتاب «قادة الإسلام» «١» اشتركت قبائل من «لخم» و «جذام» و «بلقين» و «بهر» و

(١) للمؤلف.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٢٠

«بلى» و «طى» و «عذرة» و غيرها فى حرب «مؤتة» و ساعدت الكفار على المسلمين، و بعد وقعة «مؤتة» تجمعت قوى هؤلاء لمحاربة المسلمين و كان عددها اثنى عشر ألف مقاتل، فأراد الرسول صلى الله عليه و آله و سلم أن يؤدبهم و يأخذ بثأر المسلمين الذين استشهدوا فى «مؤتة»، فجهز جيشا من أربعة آلاف نفر، برئاسة «أبى بكر» و أمرهم بالذهاب إلى الكفار و مقاتلتهم، و توجه أبو بكر إلى تلك المنطقة، فلما رأوه خرجوا إليه و حذروه من محاربتهم، فخاف أبو بكر و رجع، و اغتاض الرسول صلى الله عليه و آله و سلم من رجوعه، ثم أمر الرسول صلى الله عليه و آله و سلم «عمر» على الجيش فأرسلهم و حذرهم من الجبن، لكن عمر جبن كأخيه من قبل، «و أب بخفى حنين» ثم أمر الرسول «عمر و بن العاص» و أرسلهم لكنهم أيضا رجعوا حينئذ عقد الرسول صلى الله عليه و آله و سلم اللواء بقيادة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام و وصاه بما أوصى به أولئك ثم

قال الرسول صلى الله عليه و آله و سلم: أنه لا بد و أن يفتح الله على يديك ... جاء الإمام عليه السلام حتى وصل إلى قرب معسكر الكفار بحيث يرونه و يراهم، فانحاز من معسكرهم مائتا رجل، و كلموا الإمام فدعاهم إلى الإسلام، لكنهم أبوا و قالوا: إنا لنقتلكم جميعا و ضربوا الموعد يوم غد، و انصرفوا إلى معسكرهم ينتظرون غدا.

أمر الإمام جيشه أن يستعدوا، فأخذوا كامل استعدادهم فى الليل فلما أصبح الصباح وصلوا صلاة الصبح، أمر الإمام الجيش بالهجوم

على القوم، فهجم جيش المسلمين يقدمهم الإمام عليه السلام على الكفار و هم نائمون إلا- قليلا- منهم، و أولئك القليل لم يكونوا مستعدين للقتال فانهمزوا أمام الجيش الإسلامي، و قد أكثر فيهم الجيش من

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٢١

[سورة العاديات (١٠٠): الآيات ٦ الى ١٠]

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَ حُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠)

القتل و الأسر، و لم تطلع الشمس إلا و الجيش الإسلامي يحملون الأسرى و الغنائم، ليعودوا إلى المدينة منتصرين، و استقبل الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و المسلمون الإمام عليه السلام و جيشه، و هنا نزلت سورة العاديات (١).

[٧] قسما بتلك الأقسام المتقدمة إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ أى لكفور، و منه الأرض الكنود التي لا تنبت شيئا، و الأصل فيه منع الحق. [٨] وَإِنَّهُ أى الإنسان على ذلك الكفر لشهيد أى يشهد بذلك، فإن الإنسان يعلم ما له و ما عليه، و إن لم يعترف بما عليه، أو المعنى أنه يشهد بذلك يوم القيامة، حيث يختم على أفواههم و تكلمنا أيديهم و أرجلهم بما كانوا يعملون. [٩] وَإِنَّهُ أى الإنسان لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ فإنه شديد فى حب كل خير لنفسه، هذا طبع الإنسان، لو لم يخرج الإيمان. [١٠] أَفَلَا يَعْلَمُ الإنسان إذا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ أى بعث الموتى و أخرجوا من قبورهم، منتشرين مبعثرين هنا و هناك؟ [١١] وَ حُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ بأن ظهرت نوايا الناس و ما أضمره من خير و شر؟ ليجازى كل حسب ما نواه و أضمره و عمله و أتى به. الأ

(١) تفسير فرات الكوفى: ص ٥٩١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٢٢

[سورة العاديات (١٠٠): آية ١١]

إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ (١١)

يعلم ماذا يكون مصيره يومذاك؟ فكيف يعصى و يكند؟ كما تقول لمن يعصى: ألا تعترف بالحساب؟ تريد بذلك تهديده.

[١٢] إِنَّ رَبَّهُمْ أى الله الذى خلقهم و رباهم بهم أى بالناس يَوْمَئِذٍ أى فى يوم القيامة لَخَبِيرٌ عالم مطلع، فيجازى كل إنسان حسب عمله و نيته، و قوله «يومئذ» من جهة أن الجزاء فى ذلك اليوم، و إلا فكونه سبحانه خيرا عام لكل الأزمان.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٢٣

١٠١ سورة القارعة مكية أو مدنية / آياتها (١٢)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على لفظة «القارعة»، و هى كسائر السور المكية تعالج قضايا العقيدة، و حيث ختمت سورة «العاديات» بتهديد العصاة، جاءت هذه السورة لتبين علائم القيامة، موعد التهديد.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نبتدى باسم «الله» الذى هو المستجمع لجميع صفات الكمال، لنجعله شعارا لنا فى أعمالنا و أمورنا، إذ لا شىء أفضل منه فى أن يكون شعارا لمعترف بربه، الرحمن الرحيم، الذى يتفضل على العباد بالرحمة و الغفران.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٢٤

[سورة القارعة (١٠١): الآيات ١ الى ٦]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤)
وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦)

[٢] القَارِعَةُ هي من أسماء القيامة، لأنها تفرع القلوب بالخوف و تفرع الناس بالعذاب، و تفرع الجبال فتجعلها دكا دكا.

[٣] مَا الْقَارِعَةُ أى ما هي القارعة؟ و ذلك لتفخيم شأنها و تعظيم أمرها، و «القارعة» الأولى مبتدأ، و «ما» مبتدأ ثان، و «القارعة» الثانية خبر «ما»، و الجملة خبر «قارعة» الأولى.

[٤] وَمَا أَدْرَاكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ أَوْ أَيُّهَا النَّاسُ مَا الْقَارِعَةُ؟ هذه الجملة لتفخيم شأنها، يعنى أنها من الهول بحيث لا تعلمها و لا تدركها، إلا بعد أن تراها.

[٥] يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ وَ هُوَ الْغَوْغَاءُ مِنَ الْجَرَادِ الَّذِي يَنْفَرُشُ وَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضِ الْمَبْثُوثِ أى المنتشر، فإن الناس يكونون مثل الفراش فى الكثرة و الاضطراب و الانتشار.

[٦] وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ أى الصوف الملون المنفوش أى المندوف، فإنها تقلع عن أماكنها و تحطم حتى تكون كالصوف ذى الألوان الخفيف اليسير، و ألوانها، لاختلاف ألوان الجبال فإنها بيض و حمر و سود و غيرها.

[٧] فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ أى رجحت حسناته و كثرت و الإتيان بالجمع

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٢٥

[سورة القارعة (١٠١): الآيات ٧ الى ١١]

فَهُوَ فِي عِيشِهِ رَاضِيَةٌ (٧) وَ أَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأَمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَ مَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١)

لأن لكل عمل حسن ميزان فميزان للصلاة، و ميزان لبر الوالدين، و هكذا. و هل المراد بالميزان هو المعهود فى الدنيا- كما هو الظاهر- أو غيره احتمالان؟

[٨] فَهُوَ فِي عِيشِهِ رَاضِيَةٌ أى عيشه ذات رضى يرضاها صاحبها و نسبة الرضى إليها- مع كون الرضى هو الذى يعيش- مجاز.

[٩] وَ أَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ بَأَنَّ قَلَّتْ حَسَنَاتِهِ، وَ كَثُرَتْ سَيِّئَاتِهِ.

[١٠] فَأَمُّهُ أى مأواه هَاوِيَةٌ أى جهنم، و المعنى أن محله النار، فكما أن الولد يأوى إلى أمه كذلك يأوى العاصى إلى جهنم، و إنما سميت بالهاوية لهوى الشخص فيها.

[١١] وَ مَا أَدْرَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا هِيَ هَذَا تَفْخِيمٌ لِعَذَابِ النَّارِ، حَتَّى أَنْ الرَّسُولِ- أَوْ السَّمْعِ- لَا يَدْرِكُ حَقِيقَتَهَا وَ تَفْصِيلَهَا لِهَوْلِهَا، وَ الْهَاءُ لِلسَّكْتِ.

[١٢] إِنَّهَا نَارٌ حَامِيَةٌ قَدْ بَلَغَتْ آخِرَ شِدَّتِهَا فِي الْحَرَارَةِ وَ الْإِلْتِهَابِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٢٦

١٠٢ سورة التكاثر مكية / آياتها (٩)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتغالها على لفظه «التكاثر»، و فى كونها مكية أو مدنية خلاف، و هى تعالج قضايا العقيدة، و حيث اختتمت سورة «القارعة» بذكر النار، افتتحت هذه السورة بغفلة الناس عنها.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الإله الذى له كل شىء و لا أحق بالابتداء منه، الرحمن الرحيم، الذى يتفضل على العباد بالرحمة تفضلا و امتنانا.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٢٧

[سورة التكاثر (١٠٢): الآيات ١ الى ٦]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرَ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤)

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦)

[٢] أَلْهَأَكُمُ أَي أَشْغَلَكُمُ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ، أَيهَا النَّاسُ التَّكَاثُرُ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَالْأُمُورِ الْمُرْتَبِطَةُ بِالدُّنْيَا، وَالتَّفَاخُرُ بِكَثْرَتِهَا يُقَالُ تَكَاثَرَ إِذَا تَبَاهَى بِالكَثْرَةِ.

[٣] حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ أَي ذَهَبْتُمْ إِلَى الْقُبُورِ لِزِيَارَتِهَا، فَإِنَّ هُنَاكَ يَنْتَبِهَ الْإِنْسَانُ إِلَى فَنَاءِ الدُّنْيَا، وَعَدَمِ الْفَائِدَةِ فِي التَّبَاهَى وَالتَّفَاخُرِ بِكَثْرَةِ الْأُمُورِ الْمُرْتَبِطَةِ بِهَا، أَوِ الْمَعْنَى حَتَّى أَدْرَكْتُمْ الْمَوْتَ، وَكُنِيَ عَنْ ذَلِكَ زِيَارَةُ الْمَقَابِرِ دَلَالَةً عَلَى عَدَمِ بَقَاءِ الْإِنْسَانِ فِيهَا أَيْضًا، فَإِنَّهُ يَنْتَقِلُ مِنْهَا إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ.

[٤] كَلَّا لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّكَاثُرِ سَوْفَ تَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ الْإِشْتِغَالِ بِالدُّنْيَا، وَالْغَفْلَةَ عَنِ الْآخِرَةِ، وَهَذَا تَهْدِيدٌ لَهُمْ.

[٥] ثُمَّ لَتَرْتَبِ الْكَلَامُ كَلَّا لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ سَوْفَ تَعْلَمُونَ كَزَّرَ لِلتَّكْرِيرِ وَالإِيحَاءِ بِالْإِرْتِدَاعِ عَنِ التَّكَاثُرِ لَوْ خَامَهُ عَاقِبَتُهُ.

[٦] كَلَّا لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمْتُمْ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ أَي عِلْمًا يَقِينِيًّا، بَحِيثٌ تَتَقَنُّونَ بِالْآخِرَةِ - لَا عِلْمًا اسْتِدْلَالِيًّا فَقَطْ - أَي لَوْ تَعْلَمُونَ لَعَلِمْتُمْ أَنَّ التَّبَاهَى وَالتَّفَاخُرَ لَا يَنْبَغِي، وَإِنَّمَا الْإِشْتِغَالُ بِالْآخِرَةِ هُوَ الْأَمْرُ اللَّازِمُ.

[٧] لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ رُؤْيَهُ بِالْقُلُوبِ، حَتَّى كَأَنَّكُمْ تَشَاهَدُونَهَا، فَتَخَافُونَ مِنَ الْإِشْتِغَالِ عَنْ أَمْرِهَا، بِمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ مِنَ التَّبَاهَى وَالتَّفَاخُرِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٢٨

[سورة التكاثر (١٠٢): الآيات ٧ الى ٨]

ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨)

[٨] ثُمَّ بَعْدَ كَثْرَةِ التَّفَكِيرِ فِي الْجَحِيمِ وَرُؤْيِهَا بِالْقَلْبِ لَتَرَوُنَّهَا أَي الْجَحِيمَ عَيْنَ الْيَقِينِ أَي الْيَقِينِ الَّذِي هُوَ كَالْمَعَايِنَةِ، كَمَا

قَالَ الْإِمَامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ «فَهْمٌ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا فَهْمٌ فِيهَا مَنْعَمُونَ، وَهَمٌّ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا فَهْمٌ فِيهَا مَعَذَّبُونَ» فَأُولَى الْمَرَاتِبِ الْعِلْمُ الْاسْتِدْلَالِي، ثُمَّ ذَوْقُ الْقَلْبِ بِالْيَقِينِ الصَّادِقِ ثُمَّ اسْتِيْلَاءُ الْيَقِينِ عَلَى الْقَلْبِ حَتَّى كَأَنَّ الْإِنْسَانَ يَشَاهِدُ الشَّيْءَ الْمَعْلُومَ. [٩] ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ أَيهَا النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَوْمَ زَادَ يَقِينَكُمْ حَتَّى صَارَ عَيْنَ الْيَقِينِ عَنِ النَّعِيمِ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا زَادَ يَقِينَهُ أَخَذَ يَبْحَثُ فِي أُمُورِهِ حَتَّى لَا يَكُونَ فِيهَا حَرَامٌ أَوْ مَشْتَبَهُ، فَيَسْأَلُ مَنْ أَيْنَ جَاءَ بِهَذَا الْمَالِ وَالْوَلَدُ؟

وَمَنْ أَيْنَ لَهُ هَذَا الْجَاهُ وَالْمَقَامُ؟ أَمِنْ حَلٍّ أَوْ مِنْ حَرَامٍ؟ وَ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَهُوَ كَالْمَسْئُولِ الَّذِي تَسْأَلُهُ نَفْسُهُ عَنْ تِلْكَ الْأُمُورِ، وَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَرَادَ كَوْنُ السُّؤَالِ هُنَاكَ فِي الْآخِرَةِ، وَ كَذَلِكَ رُؤْيَهُ الْجَحِيمِ - كَمَا فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٢٩

١٠٣ سورة العصر مكية / آياتها (٤)

سميت السورة بهذا الاسم، لاشتمالها على لفظ «العصر»، وهي كسائر السور المكية بصدد بيان قضية العقيدة، و حيث ختمت سورة «التكاثر» بوعيد من ألهاه التكاثر، افتتحت هذه السورة بمثل ذلك.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نَسْتَعِينُ بِاسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَيَقْدِرُ عَلَى جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْإِعَانَةِ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الَّذِي يَرْحَمُ كُلَّ شَيْءٍ بِخَلْقِهِ وَتَكْمِيلِهِ، وَ يَرْحَمُ الْإِنْسَانَ بِغَفْرَانِ ذَنْبِهِ وَجَبْرِ كَسْرِهِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٣٠

[سورة العصر (١٠٣): الآيات ١ الى ٣]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (٣)

[٢] وَالْعَصْرِ قسما بالعصر، أى عصر النبوة، أو عصر الدهر، أو عصر الحجّة عليه السلام، أو العصر مقابل الصبح، كما حلف سبحانه ب «الضحى» و ما أشبهه- وقد سبق الوجه فى هذه الأقسام-.

[٣] إِنَّ الْإِنْسَانَ بطبيعته لَفِي خُسْرٍ أى خسارة مستمرة، إذ يتدرج نحو الفناء، كما تتدرج أخلاقه فى الانحطاط، فإن الإنسان كلما دخل فى الدنيا أكثر، زاد تكالبه و رذائله، بالإضافة إلى أن كل ساعة تذهب و لم يعمل الإنسان فيها صالحا كان خاسرا، إذ ذهب من رأس ماله- الذى تمكن به من تحصيل أرقى الدرجات- هباء هدرًا، و لو لم يحصل على المعصية فى تلك الساعة فرضًا.

[٤] إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ و رسوله و ما جاء به و عَمِلُوا الأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ التى لا يشوبها السيئات و تَوَّصُوا بِالحَقِّ بآن أوصى بعضهم بعضًا، بآن يلازم الحق و يعمل به و تَوَّصُوا بِالصَّبْرِ بآن يصبروا على مكاره الدنيا، و ذلك بالصبر على الطاعة، و الصبر على المعصية، و الصبر فى الرزية. و خصص السياق هذين الأمرين، بعد دخولهما فى مطلق الأعمال الصالحة، لشدة الاحتياج إليهما، فى تلازم العمل الصالح فإنهما عمادان له.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٣١

١٠٤ سورة الهمة مكية / آياتها (١٠)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتغالها على لفظة «الهمة»، و هى كسائر السور المكية بصدد بيان قضايا العقيدة و ما إليها، و حيث ذكر فى السورة السابقة كون الإنسان فى الخسر، أتت هذه السورة لتبين بعض أسبابها.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الإله الذى هو الأول قبل كل شىء، الرحمن الرحيم، ذو الرحمة المكررة المؤكدة التى وسعت كل شىء.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٣٢

[سورة الهمة (١٠٤): الآيات ١ الى ٥]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَ عَدَّدَهُ (٢) يُحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلَّا لَيُبَدِّلَنَّهُ فِي الحُطْمَةِ (٤)

وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الحُطْمَةُ (٥)

[٢] وَيْلٌ هى كلمته تقال لبيان سوء حال المقولة فيه لِكُلِّ هُمَزَةٍ هو الكثير الطعن على الناس بغير حق العائب لهم، و أصل الهمز الكسر، فكأن العائب يكسر الشخص و يهدم شوكرته لُمَزَةٍ هو المغتاب للناس، و هما وصفان بمعنى «همّاز» و «لمّاز».

[٣] الَّذِي جَمَعَ مَالًا من هنا و هناك وَ عَدَّدَهُ أى أحصاه، ليرى كم زاد، و هذه صورة للإنسان الشره المنحط النفس الذى يدأب فى جمع المال، و يعيب الناس كلهم بلا استثناء.

[٤] يُحْسَبُ أى يظن أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ أى يقيه فى الدنيا و يمنعه من الحوادث، فإن كل حادث ينوبه يدفع بالمال رشوة، أو إنفاقا لدفع جريمة عملها، أو مرض جاء إليه، أو ما أشبهه. و المراد أن فعله فعل من يحسب ذلك و إن كان كل إنسان يعلم بالموت، و يدرى أنه لا مفر له منه.

[٥] كَلَّا ليس الأمر على ما توهم، من أنه ذو مال مرح إلى الأبد، و أنه خالد بماله لَيُبَدِّلَنَّهُ أى يطرحن هذا الهمزة للهمزة طرحا بدون مبالاة و اعتناء فى الحُطْمَةِ اسم من أسامى جهنم، سميت بها لأنها تحطم كل شىء و تكسره فتحطم النار كيانه و كبريائه.

[٦] وَ مَا أَدْرَاكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، أو أيها الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم مَا الحُطْمَةُ؟ و هذه لتفخيم شأنها و أنها لا تدرك إلا إذا

شاهدها الإنسان.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٣٣

[سورة الهمزة (١٠٤): الآيات ٦ الى ٩]

نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (٩)

[٧] ثم جاء البيان لها بقوله: هي نارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ و كم يقدر الإنسان عظمة النار التي يوقدها و يؤججها الله سبحانه الذي هو أقدر القادرين للنكال و العقاب.

[٨] الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ جمع فؤاد، أى تشرف على القلوب لتتحرق مكان انبعاث السخريه و حب المال و تعداده بلا إنفاقه فى سبيل الله و فى وجوه الخير.

[٩] إِنَّهَا أى الحطمة عَلَيْهِمْ أى على هؤلاء المجرمين مُّوَصَّدَةٌ فتغلق أبوابها عليهم ليسيئوا من الخروج، من أوصد الباب: بمعنى أغلقه.

[١٠] فِي عَمَدٍ جمع عمود مُّمَدَّدَةٌ أى موثقتين فى أعمدة ممدودة، فقد اعتاد الملوك السابقون أن يربطوا رجل المجرم بعمود ممدود مبنى فى الأرض أو فى الحائط لئلا يفر، و هذا لزيادة النكال و العذاب.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٣٤

١٠٥ سورة الفيل مكية / آياتها (٦)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على لفظه «الفيل»، و هى كسائر السور المكية لمعالجته قضية العقيدة، و حيث تقدمت فى السورة السابقة نكال الله بالكافرين فى الآخرة، ذكر فى هذه السورة نكاله بهم فى الدنيا.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الله المستجمع لجميع صفات الكمال، الرحمن الرحيم الذى يتفضل بالرحمة لكل أحد.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٣٥

[سورة الفيل (١٠٥): الآيات ١ الى ٥]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَزِمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤)

فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥)

[٢] أَلَمْ تَرَ أى ألم تسمع يا رسول الله، أو أيها السامع كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ من العذاب و النكال بِأَصْحَابِ الْفِيلِ الذين جاؤوا به لهدم الكعبة؟

[٣] أَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ كَيْدَهُمُ الذى كادوا لهدم البيت و احتالوا لإطفاء نور الله فى تَضَلُّيلٍ أى فى تضييع و إبطال، فكأن كيدهم عوض أن يهدى إلى مقصدهم أضلهم و أورث هلاكهم و دمارهم.

[٤] وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا يسمى أبابيل و هو الخطاف أو بمعنى جماعات، فإن أبابيل فى اللغة بمعنى جماعات فى تفرقة أى جماعة جماعة.

[٥] تَزِمِيهِمْ تلك الأسراب من الطير- فإن المراد بالطير الجنس بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ أى تقذفهم بأحجار صغار صلبة هى من طين متحجر، و هو معرّب «سنگ كل»، و ذلك أشد و أصلب و أوجع إذا أصاب الإنسان.

[٦] فَجَعَلَهُمْ أى جعل الله أولئك الأصحاب كَعَصْفٍ أى زرع مَأْكُولٍ قد أكل ثمره فبقى خاليا خاويا، فقد كان الحجر إذا أصاب أحدهم، جعله خاليا، كأنه تبين بلا حب.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٣٦

و كان الأصل في ذلك أن فئته من قريش خرجوا تجارا إلى أرض النجاشي، فساروا حتى دنوا من ساحل البحر، وفي حقف من أحقادها بيعة من بيع النصارى تسميها قريش «الهيكل»، فنزل القوم فجمعوا حطبا ثم أجبوا نارا و شؤوا لحما، فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف، فذهبت الرياح بالنار فاضطرم الهيكل نارا، فغضب النجاشي لذلك فبعث أبرهه لهدم الكعبة، فجاء أبرهه بالفيل مع الجيش، فلما أدنوه من باب المسجد قال له عبد المطلب: أتدرى يا فيل أين يؤم بك؟ قال برأسه: لا. قال: أتوا بك لتهدم كعبة الله أ تفعل ذلك؟ فقال برأسه: لا، فجهدت به الجند ليدخل المسجد فامتنع، فحملوا عليه بالسيوف و قطعوه فأرسل الله إليهم طيرا أبابيل بعضها إثر بعض، ترميهم، فكان مع كل طير ثلاثة أحجار، حجر في منقاره، و حجران في مخالبه، و كانت ترفرف على رؤوسهم و ترمى الحجر بدماغهم، فيدخل الحجر في أدمغتهم و يخرج من أذبارهم فتنتقض أبدانهم «١».

(١) بحار الأنوار: ج ١٥ ص ٦٣٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٣٧

١٠٦ سورة قريش مكية / آياتها (٥)

سميت ب «الإيلاف» أيضا، لاشتمالها على اللفظتين، و هي كسائر السور المكية بصدد معالجة قضية العقيدة، و لما ذكر سبحانه دفعه الأعداء عنهم، ألحق بذلك لطفه عليهم بإطعامهم و تهيئته أسباب العيش لهم.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الإله الأول قبل كل شيء، ليكون شعارا للمسلم المعترف بذلك، الرحمن الرحيم، الذي يتفضل بالرحمة المتكررة في الدنيا و الآخرة على عباده.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٣٨

[سورة قريش (١٠٦): الآيات ١ إلى ٤]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤)

[٢] لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ من «ألف» نقيض «أوحش» يعني من أجل أن جعل الله الحرم و طرقة آمننا حتى ألف قريش أن يذهب إلى الشام و إلى اليمن، في أمن و دعة، بلا استيحاش و خوف.

[٣] إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ أى رواحهم في الشتاء إلى اليمن لأجل التجارة و الصَّيْفِ أى رواحهم في الصيف إلى الشام لأجل التجارة، و هذا توضيح لقوله «الإيلاف قريش».

[٤] فَلْيَعْبُدُوا هَذَا متعلق «الإيلاف» أى ليعبد قريش ربَّ هَذَا الْبَيْتِ إله الحرم لأجل ما صنع لهم من الألفه و الأمن، حتى ألفوا السفر في كل سنة بلا خوف و لا وحشة، فقوله «الإيلاف» متعلق بقوله «فليعبدوا».

[٥] ثم بين بعض أوصافه سبحانه مما تخصصهم بقوله: الرب الَّذِي أَطْعَمَهُمْ أى طعم من جُوعٍ بما سبب لهم من الأرزاق في رحلتى الشتاء و الصيف وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ بما هيا لهم حرما آمننا، لا يلقون فيه إلا الأمن حيث يختطف الناس من حولهم، و معنى «من»: بعد، أى

أطعمهم بعد الجوع، و آمنهم بعد الخوف، أو بمعنى «من حيث» أى من هاتين الناحيتين - و هذا أقرب بالنسبة إلى الموضوع - قال القمى: نزلت في قريش، لأنه كان معاشهم من الرحلتين رحلة في الشتاء إلى اليمن و رحلة في الصيف إلى الشام، و كانوا يحملون من

مكة الأدم و اللب و ما يقع من ناحية البحر من الفلفل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٣٩

وغيره، فيشترتون من الشام الثياب و الدرملك «و هو دقيق الحبوب» و الحبوب، و كانوا يتألفون فى طريقهم و يشتون فى الخروج فى كل خرجه رئيسا من رؤساء قريش، و كان معاشهم من ذلك، فلما بعث الله نبيه محمد صلى الله عليه و آله و سلم استغنوا عن ذلك، لأن الناس وفدوا على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و حجوا إلى البيت «١».

(١) تفسير القمى: ج ٢ ص ٤٤٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٤٠

١٠٧ سورة الماعون مكيه أو مدنيه / آياتها (٨)

سميت السورة بهذا الاسم، لاشتمالها على لفظه «الماعون»، و فى كونها مكيه أو مدنيه خلاف، و على كل فهى بصدد بيان العقيدة و ما إليها، و إذ تقدم فى السورة السابقة نعمه الله على قريش، جاءت هذه السور لتردعهم عن الكفر و العصيان. بعد إسباغ تلك النعم الجليله عليهم.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نستعين باسم «الله» ليكون سبحانه عوناً لنا فى مهام الحياه، و فى ما بعد الممات، ذى الرحمه الشامله التى وسعت كل شىء، فتعم الأشياء عامه، و المؤمنین خاصه.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٤١

[سورة الماعون (١٠٧): الآيات ١ الى ٥]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (٢) وَ لَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥)

[٢] أَرَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ أَيُّهَا الرَّائى الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ أى بيوم القيامة. فإن «الدين» بمعنى الجزاء، أَوْ المراد بدين الإسلام و هذا استفهام تعجيبى. يعنى كيف أنه يكذب مع كثرة الآيات الداله على صحه الدين و وقوعه.

[٣] فَذَلِكَ الْإِنْسَانُ الْمَكْذِبُ بِالذِّينِ، هُوَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ «الدع» هو الدفع بشده، أى يدفع اليتيم فلا يحسن إليه، فإن التكذيب بالدين يلازم الأعمال البشعه القاسيه.

[٤] وَ لَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ أى لا يحث الناس على إطعام الفقراء الذين أسكنهم الفقر عن الحركة و العمل، و «الحض» و إن لم يكن واجبا- فى غير مورد الأمر بالمعروف و ما أشبهه- إلا أن ذلك دليل القساوه و نضوب معين الفضيله من القلب، مما لا يكون إلا من ملازمات الكفر، و قد ورد إن بعض كفار قريش كان كذلك إذا جاءه يتييم يطلب رفته بقساوه، و هكذا كان بالنسبه إلى المساكين.

[٥] و إذا كان «دع اليتيم» و «عدم الحض على طعام المساكين» موجبا للذم و التوبيخ، فمن يعمل باسم الإسلام و هو بعيد عنه كان أولى بالذم و التوبيخ، إذ المنافق أسوأ حالا من الكافر فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ

[٦] الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ أى غافلون غير مباليين بها إذ عدم المبالاه يلازم السهو.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٤٢

[سورة الماعون (١٠٧): الآيات ٦ الى ٧]

الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ (٦) وَ يَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)

[٧] الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ فإذا صلوا صلوا للرياء لا لله سبحانه. و قال بعض: إن المعنى أنهم إن لم يكن أحد لم يصلوا، و إن كان أحد

صلوها ليرأوه.

[٨] وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ وَ هُوَ كُلُّ مَا فِيهِ مَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ، أَى يَمْنَعُونَ خَيْرَهُمْ وَ رَفَدَهُمْ- وَ ذَلِكَ مِمَّا يَلِازِمُ عَدَمَ الْإِيمَانِ الرَّاسِخِ فِي الْقَلْبِ.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٤٣

١٠٨ سورة الكوثر مكية أو مدنية / آياتها (٤)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتغالها على لفظة «الكوثر»، و فى كونها مكية أو مدنية خلاف و هى موجهة إلى الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، و لعل المناسبة بين السورتين التحدث عن «الماعون» و «الكوثر»، فهم يمنعون الماعون و الله سبحانه يعطى الخير الكثير، أو المناسبة أنهم يسهون عن الصلاة، و يمنعون الخير، و الرسول مأمور بالصلاة و الخير.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الله الذى ما ابتدأ به شىء إلا بورك فيه، الرحمن الرحيم الذى يتفضل بالرحمة و الغفران.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٤٤

[سورة الكوثر (١٠٨): الآيات ١ الى ٣]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ أَنْحِرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)

[٢] إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الْكَوْثَرَ مشتق من الكثرة، بمعنى الخير الكثير. قالوا: إن السورة نزلت فى العاص بن وائل السهمى، و ذلك أنه رأى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يخرج من المسجد فالتقيا عند باب بنى سهم و تحدث مع الرسول، و صناديد قريش جالسون، فلما أن دخل قالوا له مع من كنت تتحدث؟ قال: مع الأبتري- يعنى الرسول صلى الله عليه و آله و سلم-، و قد كانت قريش تسمى من لا- ولد له «أبتري» من البتر بمعنى القطع، كأنه مقطوع ليس له ولد حتى يبقى ذكره، و قد كان مات «عبد الله» ابن رسول الله من خديجة عليها السلام، فنزلت هذه السورة «١»، و لذا كان من جملة الأقوال فى معنى كوثر أن المراد بها «فاطمة» عليها السلام التى سببت كثرة النسل للرسول صلى الله عليه و آله و سلم، و حيث إن «الكوثر» بمعنى الخير الكثير، و هو عام، كان شاملا للنبوّة و العلم، و النسل، و حوض الكوثر فى الآخرة، و غيرها من سائر المعانى التى يشملها لفظ «الكوثر» بعمومه.

[٣] فَصَلِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِرَبِّكَ شُكْرًا عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظْمَى.

وَ أَنْحِرْ الْإِبِلَ لِإِطْعَامِ النَّاسِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ يَحِبُّ إِطْعَامَ الطَّعَامِ، أَوْ الْمَرَادُ أَرْفَعُ يَدَيْكَ إِلَى نَحْرِكَ عِنْدَ التَّكْبِيرِ- كما ورد «٢»- فَإِنَّ فِي ذَلِكَ خُضُوعًا لِلَّهِ سَبَّحَانَهُ، يَلَائِمُ الشُّكْرَ عَلَى نِعْمَتِهِ بِإِعْطَائِهِ الْكَوْثَرَ.

[٤] إِنَّ شَانِئَكَ أَى مَبْغُضَكَ الَّذِى يَنْسَبُكَ إِلَى «البتري» هُوَ الْأَبْتَرُ الْمُقْطُوعُ عَنِ الْخَيْرِ، الْخَامِلُ الذَّكْرُ، لِأَنَّكَ كَمَا نَسَبَ إِلَيْكَ- وَ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى صِغَرِهَا إِحْدَى مَعَاجِزِ الرَّسُولِ، وَ أَدْلَى مَعْجِزِيَةِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ.

(١) بحار الأنوار: ج ١٧ ص ٢٠٣.

(٢) راجع من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٣٠٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٤٥

١٠٩ سورة الكافرون مكية أو مدنية / آياتها (٧)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتغالها على لفظة «الكافرون»، و حيث إن «الكافرون» علم لها لا يتغير فى الإعراب، كما يقال «دعاء أبو حمزة»، و فى كون السورة مكية أو مدنية خلاف، و على كل فإنها تعالج قضايا العقيدة، و حيث ختمت سورة «الكوثر» بذكر شانى

الرسول، جاءت هذه السورة لتبين مباينة الرسول معهم في الطريقة، فلا أنه يتبعهم، ولا أنهم يتبعونه - كفرا و عنادا-.
وقد ورد إن جماعة من قريش قالوا للرسول صلى الله عليه وآله وسلم هلم يا محمد فلنعبد ما تعبد، و تعبد ما نعبد، فنشترك نحن و أنت في الأمر، فإن يكن الذى نحن عليه الحق فقد أخذت بحظك منه، و إن يكن الذى أنت عليه الحق فقد أخذنا بحظنا منه فنزلت السورة
«١».

(١) بحار الأنوار: ج ٧ ص ٣٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٤٦

و فى حديث عن الصادق عليه السلام أنهم قالوا للرسول صلى الله عليه وآله وسلم: تعبد إلها سنة و نعبد إلهك سنة، و تعبد إلها سنة، و نعبد إلهك سنة. فأجابهم الله بمثل ما قالوا- أى مكررا
«١»-.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ شروع فى السورة مصاحبا باسم الله ليكون شعارا للشارع، و عوننا فى مهمات الحياة، الرحمن الرحيم الذى يتلطف بالرحمة الخاصة على من يشاء من عباده، و رحمته العامة وسعت كل شىء.

(١) بحار الأنوار: ج ٩ ص ٢٥٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٤٧

[سورة الكافرون (١٠٩): الآيات ١ الى ٦]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤)
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ (٦)

[٢] قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مخاطبا للكافرين يا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ النزول و إن كان خاصا لكن المراد عام لكل كافر معاند لا يتزحزح عن كفره و طغيانه.

[٣] لَا أَعْبُدُ أَنَا مَا تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ، و المعنى لا أعبد فى الحال ما تعبدونه الآن.

[٤] وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ أَى تعبدون ما أعبد إذ عاندم و كابرتم الحق، و هذا إخبار عن الواقع، و إن كانوا مأمورين بالعبادة حسب الشرع و العقل.

[٥] وَلَا أَنَا عَابِدٌ فِى الْمُسْتَقْبَلِ مَا عَبَدْتُمْ مِنَ الْأَصْنَامِ.

[٦] وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ فِى الْمُسْتَقْبَلِ مَا أَعْبُدُ أَنَا، و حيث إن الجملة الاسمية تدل على الدوام و الثبوت فسرنا الآيتين ب «المستقبل»، بخلاف الجملة الأولى حيث كانت فعلا و ظاهر الفعل «الحال» و عطفنا عليه الجملة الثانية سياقاً.

[٧] لَكُمْ دِينُكُمْ فالزموه حتى ترون جزاءه السىء و لى دین و هذا إجمال لما فصل أولا، و الأصل «دينى» حذف ياء المتكلم للتخفيف و دلالة الكسرة عليه.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٤٨

١١٠ سورة النصر مدنية / آياتها (٤)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتغالها على لفظه «النصر»، و هي كسائر السور المدنية تبين الفتح المرتبط بالنظام والدولة، و إذ كان ختم سورة «الكافرون» ذكر الدين، جاءت هذه السورة لظهور الدين.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم «الله» الذي هو الأول في الكون، فيبدأ باسمه في أول كل شيء، الرحمن الرحيم الذي يتفضل بالرحمة خاصة و عامة لعباده المؤمنين، الذين يبدعون باسمه و يؤمنون به.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٤٩

[سورة النصر (١١٠): الآيات ١ الى ٣]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)

[٢]

لقد نزلت هذه السورة بعد حجة الوداع حين أخذت القبائل تدخل في الدين أفواجا حيث رأوا سلطان الإسلام يعم الجزيرة، فلما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: نعت إلى نفسي «١».

قالوا: و ذلك لأنها دلت على تمام مهمة الرسول إذا جاء يا رسول الله نَصْرُ اللَّهِ لَدِينِهِ عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ، و للمسلمين على الكفار وَ الْفَتْحُ أى جاء فتح مكة، بأن فتحت عاصمته الوثنية و الشرك في الجزيرة، مما أخضع الجزيرة فتحها.

[٣] وَرَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ النَّاسَ الْقَبَائِلَ وَ غَيْرَهُمْ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ الْإِسْلَامَ أَفْوَاجًا أى فوجا بعد فوج، و جماعة بعد جماعة.

[٤] فَسَبِّحْ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِحَمْدِ رَبِّكَ أى نزهه عن النقائص بذكر الحمد، فإن الحمد تنزيه و تحميد، لأن ذكر الجميل مدح مطابق و تنزيه التزامى - كما سبق-، و التسييح و التحميد إنما ذلك للشكر على النصر و الفتح وَ اسْتَغْفِرْهُ هُضْمًا لِلنَّفْسِ، حتى لا تتعالى و تظن أن النصر إنما هو بالأتعاب، و الرسول و إن كان منزها عن ذلك، و إنما هو تعليم، بالإضافة إلى ما تقدم: من أن الأعمال الضرورية المباحة لدى الكاملين العارفين بالله مما يعدونها ابتعادا عن ساحة قربه سبحانه، فتوجب الاستغفار إِنَّهُ سَبَّحَانَهُ كَانَ تَوَّابًا أى كثير الرجوع من «تاب» إذا رجع، بمعنى أن العبد مهما أذنب ثم تاب تاب الله عليه.

(١) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ١١٦.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٥٠

١١١ سورة المسد مكية / آياتها (٦)

سميت السورة بهذا الاسم، لاشتغالها على لفظه «مسد»، كما أنها تسمى بسورة «أبى لهب» و هي كسائر السور المكية ترتبط بقضية العقيدة، و إذ تقدم في سورة النصر نصر الله للرسول جاءت هذه السورة لبيان ما كفاه سبحانه من أمر أعدائه.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الإله المستجمع لجميع صفات الكمال، الرحمن الرحيم الذي يتفضل على العباد بالرحم و الفضل.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٥١

[سورة المسد (١١١): الآيات ١ الى ٤]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَ مَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَ امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤)

[٢] لقد كان أبو لهب عم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في جملة من يرمى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالحجارة و يؤذيه، و كانت زوجته أم جميل تحمل الشوك في الليل فتنشره في طريق الرسول، حتى إذا أراد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الخروج من منزله نغزت الأشواك رجله الكريمة، فنزلت تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ أَي خسرت يدها، و هذا من جهة أن ما ارتكبه من الإثم كان بيديه، كما

قال الرسول لعروه «بارك الله في صفقة يمينك»

حين كان البيع بيده، و تَبَّ الثاني تأكيد للأول، أي خسرت يدها و خسرت.

[٣] مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ أَي عَنْ أَبِي لَهَبٍ مَالُهُ أَي مَا نفعه في دفع العذاب عنه و مَا كَسَبَ أَي مَا عمل من الكفر و الآثام و إيذاء الرسول، و «ما» موصولة عائدها محذوف، أي ما كسبها.

[٤] سَيِّضِي لِي فِي الْآخِرَةِ، أَي يدخل النار ملازماً لها ناراً ذات لَهَبٍ أَي اشتعال و توقد، كما كان هو «أبا لهب»، باعتبار أن وجنتيه محمرتان كأنهما ملتتهبتان من شدة البريق.

[٥] وَ امْرَأَتُهُ أَي تبت و خسرت امرأته، أعني حَمَالَةً الْحَطَبِ و سميت بهذا الاسم لأنها كانت تحمل الشوك كما تقدم، و نصب «حماله» على الذم، كما قال ابن مالك:

و اقطع أو اتبع إن يكن معيناً بدونها أو بعضها اقطع معلناً

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٥٢

[سورة المسد (١١١): آية ٥]

فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ (٥)

و ارفع أو انصب إن قطعت مضمرًا مبتدأ أو ناصباً لن يظهرها [٦] فِي جِيدِهَا أَي جيد امرأته أم جميل، و كانت أخت «أبي سفيان» المعروف حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ هو «الليف»، فقد كانت تعلق الحبل المشدود على الأشواك بعنقها، و يحتمل أن يكون «و امرأته» مبتدأ و «في جيدها» خبره.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٥٣

١١٢ سورة الإخلاص مكية أو مدنية / آياتها (٥)

و تسمى بسورة «التوحيد»، سميت ب «الإخلاص» لأن فيها إخلاص المبدأ من الشريك، و سميت ب «التوحيد» لاشتمالها على توحيد الله سبحانه، في قوله «الله أحد»، و في كونها مكية أو مدنية خلاف، و على أي حال فإنها ترتبط بقضايا العقيدة، و حيث كانت السورة السابقة مرتبطة بالرسول، جاءت هذه السورة مرتبطة بالمرسل.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الإله الذي له ما في السماوات و الأرض، و هو الواحد المنفرد في الكون بالألوهية، الرحمن الرحيم الذي يتفضل على العباد بالرحم و اللطف.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٥٤

[سورة الإخلاص (١١٢): الآيات ١ الى ٤]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ و لَمْ يُولَدْ (٣) و لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)

[٢]

ورد إن اليهود جاؤوا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فسألوا منه ما نسبة ربك؟

فأنزل الله سبحانه هذه السورة

«١» قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ رَبِّي الَّذِي أَدْعُو إِلَيْهِ اللَّهُ أَحَدًا لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا جُزْءَ.

[٣] اللَّهُ الصَّمَدُ «الصمد» لغه: بمعنى السيد المقصود الذي لا يقضى أمر إلا بإذنه، يعنى أنه السيد المطلق الذي بيده كل شيء، فلا يقع أمر فى الكون إلا بإذنه و أمره.

[٤] لَمْ يَلِدْ أَحَدًا، فليست الملائكة بناته- كما زعم الكفار- ولا المسيح و عزيز و اليهود و النصارى أبناؤه- كما زعم أهل الكتاب- و لَمْ يُولَدْ مِنْ أَحَدٍ، فلا أب له و لا أم.

[٥] وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا خَيْرٌ كَانَ، أى مثلا و نظيرا أحيد اسم كان، أى ليس أحد كفوه بمعنى نظيره و مثله، فهو المتفرد الذى لا شبيه له و لا نظير.

(١) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٤٨٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٥٥

١١٣ سورة الفلق مدنية / آياتها (٦)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على لفظة «الفلق»، و السورة مدنية، و إن كانت بصدد بعض الأمور المرتبطة بالإنسان حين يصد بمكروه، و حيث كانت سورة الإخلاص إقرارا بالإله الواحد، كانت هذه السورة استعاذة به.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الله المستجمع لجميع صفات الكمال، الرحمن الرحيم، الذى يتفضل بالرحمة و اللطف على جميع الخلق ابتداء و تربيته، و تكميلا للنواقص و النقائص.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٥٦

[سورة الفلق (١١٣): الآيات ١ الى ٥]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤)

وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)

[٢] قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعُوذُ أَى أَعْتَصِمُ و أستجير من المكاره بِرَبِّ الْفَلَقِ «الفلق» هو الصبح، و أصله الشق، لأن الظلمة تنشق عنه.

[٣] مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ أى شر كل ما خلقه الله سبحانه من المؤذيات، إنسانا كان أو جنا أو حيوانا أو جمادا كالسيل و العواصف.

[٤] وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ أى الليل، من «الغسق» بمعنى الظلمة إذا وَقَبَ أى إذا دخل، فإن كثيرا من الشرور يتوجه إلى الإنسان فى الليل و فى ظلامه، حيث العيون نائمة، و الظلام مخيم.

[٥] وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ جمع «نفاثة» و هى المرأة الساحرة التى تنفث- أى تنفخ- فى الشيء الذى عقد السحر به، و «عقد» جمع عقدة، فإن الساحرة تعقد الخيط بقصد عقد حظ أحد، أو عقده عن زوجته، ثم تنفث فى تلك العقدة بسحرها و أورادها، و

السحر له أثر، كما ثبت فى علم النفس، و دلت على ذلك التجربة.

[٦] وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ فإن الإنسان إذا حسد غيره أورثه حسده على أن يؤذيه بلسانه و يده، و لعل معنى إذا حسد: إذا ظهر حسده، و عمل بمقتضاه.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٥٧

١١٤ سورة الناس مدنية / آياتها (٧)

سميت السورة بهذا الاسم لاشتمالها على لفظه «الناس»، و هي مدنية، و تعالج بعض الأمور المرتبطة بالإنسان، و هي نظير السورة السابقة في الاستعاذة بالله، من بعض أقسام الشرور.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم «الله» الذي هو علم للذات المستجمع لجميع صفات الكمال، و هل هناك أحق بالابتداء منه، الرحمن الرحيم، الذي يتفضل على العباد بالرحم و الفضل، فقد وسعت رحمته كل شيء.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٥٨

[سورة الناس (١١٤): الآيات ١ الى ٥]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤)

الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥)

[٢] قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعُوذُ أَيُّ اسْتَجِيرُ وَ أَعْتَصِمُ مِنَ الشَّرِّ بِرَبِّ النَّاسِ خَالِقِهِمْ وَ مَرِيهِمْ.

[٣] مَلِكِ النَّاسِ فَهُوَ الْمَالِكُ الْمَطْلُوقُ لَهُمْ، لَا مَلِكَ غَيْرَهُ وَ سَائِرَ الْمُلُوكِ إِنَّمَا هُمْ صُورِيُونَ، لَا حَقِيقَةَ لِمُلُوكِيَّتِهِمْ إِلَّا الْاِعْتِبَارُ.

[٤] إِلَهِ النَّاسِ الَّذِي هُوَ إِلَهُهُمْ، فَلَيْسَتْ الْأَصْنَامُ آلِهَةً كَمَا يَزْعُمُ الْكُفَّارُ، فَهُوَ «رَبٌّ» وَ «مَلِكٌ» وَ «إِلَهٌ» فَتَرْبِيَةُ النَّاسِ مِنْهُ، وَ سَيِّدُهُمُ الْمَالِكُ لَهُمْ هُوَ، وَ مَعْبُودُهُمُ الَّذِي لَا مَعْبُودَ سِوَاهُ هُوَ سَبْحَانَهُ.

[٥] مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ أَيُّ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الشَّيْءِ الَّذِي يُوسْوِسُ لِلْإِنْسَانِ، لِيَلْقِيَهُ فِي الْكُفْرِ وَ الْعِصْيَانِ، وَ أَصْلُهُ مِنَ «الْوَسْوَسَةِ» وَ هِيَ الصَّوْتُ الْخَفِيُّ، فَإِنْ مِنْ يَرِيدُ الْإِغْوَاءَ مِنْ إِنْسٍ أَوْ شَيْطَانٍ يَخْفَى الصَّوْتُ فِي أُذُنِ الشَّخْصِ أَوْ صَدْرِهِ، حَتَّى يَضِلَّهُ وَ يَلْقِيَهُ فِي الْمَعْصِيَةِ الْخَنَّاسِ مِنْ «خَنَّاسٍ» بِمَعْنَى اخْتَفَى، وَ ذَلِكَ لِأَنَّ مِنْ يَرِيدُ الْإِضْلَالَ كَثِيرَ الْاِخْتِفَاءِ، أَمَا الشَّيْطَانُ فَوَاضِحٌ، وَ أَمَا الْإِنْسَانُ فَإِنَّهُ إِذَا أَرَادَ الْإِضْلَالَ يَخْفَى نَفْسَهُ لئَلَّا يَرَاهُ أَحَدٌ فَيَحْبِطُ وَ سَوْسَتَهُ، وَ تَظْهَرُ مَكِيدَتُهُ لِلنَّاسِ فَيَزِدُّونَهُ وَ يَطْرُدُونَهُ.

[٦] الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ أَمَا وَسْوَسَةُ الشَّيْطَانِ فِي الصَّدرِ فَوَاضِحٌ، وَ كَوْنُهُ فِي الصَّدرِ لِأَنَّ الْوَسْوَسَةَ فِي الْقَلْبِ وَ الْقَلْبُ فِي الصَّدرِ، وَ أَمَا وَسْوَسَةُ الْإِنْسَانِ فِيهِ فَلِأَنَّهُ يَلْقَى الْكَلَامَ إِلَى الْقَلْبِ - مِنْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٥٩

[سورة الناس (١١٤): آية ٦]

مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ (٦)

الأذن - و القلب في الصدر.

[٧] مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ بَيَانٌ لِلْوَسْوَاسِ، أَيُّ الْوَسْوَاسِ الَّذِي هُوَ مِنْ جِنْسِ الْجِنِّ - أَيُّ الشَّيَاطِينِ فَإِنَّهُمْ قَسَمٌ مِنَ الْأَجْنَةِ - أَوْ مِنْ جِنْسِ الْإِنْسِ.

وقانا الله جميعا من شر كل شر بمحمد و آله الطاهرين سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَ سَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١) وَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ الطَّيِّبِينَ الْمَيَامِينِ.

تم على يد مؤلفه محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي سنة ١٣٨٤ هجرية بكرابلاء المقدسة

المصادر و المراجع

- ١- الاحتجاج، أبو منصور، أحمد بن علي الطبرسي، نشر المرتضى - مشهد، ١٤٠٣ هـ. ق.
- ٢- الاقتصاد. الشهيد السيد حسن الحسيني الشيرازي، مؤسسة الوفاء، لبنان، ١٩٨٠ م.
- ٣- الإسلام يتحدى.
- ٤- الأمالي، الشيخ الطوسي، دار الثقافة للنشر - قم، ١٤١٤ هـ. ق.
- ٥- الأمالي، الشيخ الصدوق، المكتبة الإسلامية، ١٤٠٤ هـ. ق.
- ٦- أنيس الأعلام، الشيخ محمد صادق فخر الإسلام.
- ٧- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت لبنان، ١٤٠٤ هـ. ق.
- ٨- بصائر الدرجات، محمد بن الحسن بن فروخ الصفار، مكتبة آية الله المرعشي - قم، ١٤٠٤ هـ. ق.
- ٩- تأويل الآيات الظاهرة، السيد شرف الدين الحسيني، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٤٠٩ هـ. ق.
- ١٠- التحصين، السيد علي بن طاوس الحلبي، مؤسسة دار الكتاب - قم، ١٤١٣ هـ. ق.
- ١١- تفسير الإمام العسكري، المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، مدرسة الإمام المهدي - قم، ١٤٠٩ هـ. ق.
- ١٢- تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، المطبعة العلمية - طهران،
تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٦٢
١٣٨٠ هـ. ق.
- ١٣- تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي، مؤسسة الطبع و النشر، ١٤١٠ هـ. ق.
- ١٤- تفسير القمي، علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، دار الكتاب - قم، ١٤٠٤ هـ. ق.
- ١٥- التهذيب، الشيخ الطوسي، دار الكتب الإسلامية - طهران، ١٣٦٥ هـ. ش.
- ١٦- تنزيه الأنبياء، السيد المرتضى علم الهدى، دار الشريف الرضي - قم ١٧- ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، دار الرضي للنشر - قم، ١٤٠٦ هـ. ق.
- ١٨- جواهر الكلام، محمد حسن النجفي.
- ١٩- حريه الفكر، سلامة موسى ٢٠- الخصال، الشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٤٠٣ هـ. ق.
- ٢١- دائرة المعارف، وجدى.
- ٢٢- دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري، دار الذخائر للمطبوعات - قم ٢٣- ديوان الإمام علي، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، دار نداء الإسلام للنشر - قم، ١٤١١ هـ. ق.
- ٢٤- رسول الله في المدينة (سلسلة قادة الإسلام)، الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي، مطبعة الآداب، النجف الأشرف.
- ٢٥- روضة الواعظين، محمد بن الحسن الفتال، دار الرضي - قم ٢٦- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، مكتبة آية الله المرعشي - قم، ١٤٠٤ هـ. ق.
- ٢٧- شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني، مؤسسة الطبع و النشر، ١٤١١ هـ. ق.
- ٢٨- الطرائف، السيد علي بن طاوس الحلبي، مطبعة الخيام - قم، ١٤٠٠ هـ. ق.
- ٢٩- عبادات الإسلام، الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي، مؤسسة الفكر
تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٦٣
الإسلامي، لبنان بيروت، ١٩٩٣ م.

- ٣٠- العدالة الإسلامية، الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي، مطبعة الغري، النجف الأشرف، ١٣٨٠ هـ. ق.
- ٣١- عدة الداعي، أحمد بن فهد الحلبي، دار الكتاب الإسلامي، ١٤٠٧ هـ. ق.
- ٣٢- علي حافة العالم، الاثيري ٣٣- عوالي اللاكئي، ابن أبي جمهور الأحسائي، دار سيد الشهداء قم، ١٤٠٥ هـ. ق.
- ٣٤- عين العبرة، أحمد بن موسى بن طاووس الحلبي، دار الشهاب- قم ٣٥- الفلسفة و الكلام ٣٦- الفقه حول القرآن الكريم، الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي، دار العلوم، لبنان، ١٩٨٧ م ٣٧- فقه القرآن، قطب الدين الراوندي، مكتبة آية الله المرعشي- قم، ١٤٠٥ هـ. ق.
- ٣٨- الفقه (الموسوعة الاستدلالية)، الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي، دار العلوم، لبنان، ١٩٨٧ م.
- ٣٩- قصص الأنبياء، قطب الدين الراوندي، مؤسسة البحوث الإسلامية- مشهد، ١٤٠٩ هـ. ق.
- ٤٠- قصص الأنبياء، السيد نعمه الله الجزائري، مكتبة آية الله المرعشي- قم، ١٤٠٤ هـ. ق.
- ٤١- الكافي، ثقة الإسلام الكليني، دار الكتب الإسلامية- طهران، ١٣٦٥ هـ. ش.
- ٤٢- كامل الزيارات، ابن قولويه القمي، دار المرتضوية- النجف الأشرف، ١٣٥٦ هـ. ق.
- ٤٣- كنز العمال، للمتقي.
- تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٥، ص: ٧٦٤
- ٤٤- اللهوف، السيد علي بن طاووس الحلبي، دار العالم (جهان)- طهران، ١٣٤٨ هـ. ش.
- ٤٥- متشابه القرآن، ابن شهر آشوب المازندراني، دار بيدار للنشر، ١٣٦٩ هـ. ق.
- ٤٦- مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، لبنان، ٢٠٠٠ م.
- ٤٧- مستدرک الوسائل، المحدث النوري، مؤسسة آل البيت- قم، ١٤٠٨ هـ. ق.
- ٤٨- المس الروحى، عبد الرزق نوفل ٤٩- معانى الأخبار، الشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامى- قم، ١٤٠٣ هـ. ق.
- ٥٠- مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، دار العلوم، لبنان، ٢٠٠٣ م ٥١- مفتاح الفلاح، الشيخ البهائي، دار الأضواء- بيروت، ١٤٠٥ هـ. ق.
- ٥٢- مناقب آل أبي طالب، محمد بن شهر آشوب المازندراني، مؤسسة العلامة للنشر، قم، ١٣٧٩ هـ. ش.
- ٥٣- من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامى- قم، ١٤١٣ هـ. ق.
- ٥٤- نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، دار الهجرة للنشر- قم.
- ٥٥- الهيئة و الإسلام، للعلامة الشهرستاني.
- ٥٦- وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، مؤسسة آل البيت- قم، ١٤٠٩ هـ. ق.
- ٥٧- الوسيلة، ابن حمزة الطوسي، مكتبة آية الله المرعشي- قم، ١٤٠٨ هـ. ق.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَابِرَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثَّقافي بأصبهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحداً من جَهاِذِ هذه

المدينة، الذي قد اشتَهَرَ بِشَعْفِهِ بأهل بَيْتِ النَّبِيِّ (صلواتُ اللهِ عَلَيْهِم) ولا سِيَّما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بِسَاحَةِ صاحِبِ الزَّمانِ (عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ)؛ ولِهذا سَيَس مع نظره و درايتِه، في سَنَةِ ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسَّسَةً و طَريقَةً لَمْ يَنْطَفِئِ مِصْبَاحُها، بل تُتَبَّعُ بِأَقْوَى و أَحْسَنِ مَوْقِفٍ كُلِّ يَوْمٍ.

مركز "القائمة" للتحرري الحاسوبى - بأصبهان، إيران - قد ابتدأ أنشِطَتَهُ من سَنَةِ ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دامَ عَزُّهُ - و مع مساعِدَةٍ جَمَعَ من خَرِيجِ الحوزات العلميَّة و طلابِ الجوامع، بالليل و النهار، في مجالاتٍ شتى: ديتية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدِّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافتهم الثَّقَلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلى التَّحرُّرِ الأَدَقِّ للمسائل الدِّيَّة، تخليف المطالب النَّافعة - مكانَ البلاَّتيثِ المبتدلة أو الرَّدِيئة - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامعَة ثقافية على أساس معارف القرآن و اهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطُّلاب، توسعة ثقافته القراءة و إغناء أوقات فراغه هُوَءَ برامج العلوم الإسلامية، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة في الجامعة، و...

- منها العَدالة الاجتماعيَّة: التي يُمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعدة، على أَنَّهُ يُمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - في أنحاء العالم - من جهةٍ أُخرى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبه، نشره شهريَّة، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيَّة و مكتبيَّة، قابلة للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثَلَاثِيَّة الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرِّسوم المتحرِّكة و... الأماكن الدينيَّة، السياحيَّة و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمة" www.Ghaemiyeh.com و عدَّة مواقع أُخرى

(ه) إنتاج المُنتجات العرضيَّة، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدِّعم العلميِّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيَّة، الاخلاقيَّة و الاعتقاديَّة (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائي و اليدوي للبلوتوث، ويب كشك، و الرِّسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيَّة و اعتباريَّة، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميَّة، الجوامع، الأماكن الدينيَّة كمسجد جَمَكَرَانَ و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاص بالأطفال و الأحداث المُشاركين في الجلسة

(ي) إقامة دورات تعليميَّة عموميَّة و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرِّئيسي: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "بنج رَمَضان" و "مفترق" و فائى / بنايه "القائمة"

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنيَّة: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الإلكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزاتية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكوميته، و غير ربحيته، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينيه و العلميه الحالية و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله اعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ان يوفق الكل توفيقاً متزائداً ليعانتهم - في حد التمكن لكل احد منهم - ايانا في هذا الامر العظيم؛ ان شاء الله تعالى؛ و الله ولي التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩